سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

٤

بسم الله الرحمن الرحيم



ذكرُ غزوة مُؤْتة

في جُمادَى الأولى سنة ثمانٍ[1]

ومَقتَل جعفرٍ وزيدٍ وعبدِ الله بن رَوَاحة

قال ابن إسحاق: فأقامَ بها بقيّةَ ذي الحِجّة، ووَلِيَ تلك الحَجّةَ المشركون، والمُحرَّمَ وصَفَراً وشهرَي ربيعٍ، وبَعَثَ في جُمادَى الأُولى بَعْثَه إلى الشّام الَّذين أُصِيبوا بمُؤْتة.

حدَّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ بَعْثَه إلى مُؤْتة في جُمادَى الأولى سنة ثَمانٍ، واستَعمَلَ عليهم زيدَ بن حارثةَ، وقال: «إنْ أُصِيبَ زيدٌ فجعفرُ بن أبي طالبٍ على النَّاسِ، فإنْ أُصِيبَ جعفرٌ فعَبدُ الله بنُ رَوَاحةَ على النَّاسِ»[2].

---

(١) مؤتة: بلدة جنوب مدينة الكرك وسط الأردن، وتبعد عنها قرابة ١٠ كم.

(٢) هذا الخبر مع ما بعده بطوله من مراسيل عروة بن الزبير، وهو من أعلم التابعين بالمغازي، والراوي عنه ـ وهو ابنُ أخيه محمد بن جعفر بن الزبير ـ من الثقات.

وهو بطوله عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٣٦-٤٠، والطبراني في «الكبير» (١٥٠١١)، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٥٨-٣٦٠، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢/ ٦-٧ و٢٨/ ١٢٣-١٢٤، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ١٣٢-١٣٤ من طرق عن ابن إسحاق، به.

وهذه الفِقرة من الخبر في ذكر الأمراء الثلاثة قد رُوِيَت مُسنَدة من حديث ابن عمر عند البخاري (٤٧٤١)، وابن حبان (٤٧٤١).

ومن حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند أحمد (١٧٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٥٠)، وإسناده صحيح.

ومن حديث أبي قتادة الأنصاري عند أحمد (٢٢٥٥١)، والنسائي (٨١٩٢)، وابن حبان =

فتَجهَّزَ الناسُ ثمّ تَهيَّؤوا للخروج، وهم ثلاثةُ آلافٍ، فلمّا حَضَرَ خروجُهم وَدَّعَ الناسُ أُمراءَ رسول الله ﷺ وسَلَّموا عليهم.

فلمّا وُدِّعَ عبدُ الله بن رَوَاحة مع مَن وُدِّعَ من أُمراءِ رسول الله ﷺ بَكَى، فقالوا: ما يُبكِيكَ يا ابن رَوَاحة؟ فقال: أمَا والله ما بي حُبُّ الدّنيا ولا صَبَابةٌ بكم[1]، ولكنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقرَأُ آيةً من كتاب الله عزَّ وجلَّ يذكرُ فيها النارَ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]، فلستُ أَدري كيفَ لي بالصَّدَرِ بعد الوُرودِ؟![2]

فقال المسلمون: صَحِبَكم اللهُ ودَفَعَ عنكم، ورَدَّكم إلينا صالحينَ، فقال عبدُ الله ابن رَوَاحةَ:

لكنَّني أسألُ الرَّحمنَ مَغفِرةً ... وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تَقذِفُ الزَّبَدا[3]

= (٧٠٤٨)، وإسناده جيد.

وذُكِروا أيضاً بهذا الترتيب لمّا نعاهم النبيُّ ﷺ إلى المسلمين كما في حديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢١١٤)، والبخاري (١٢٤٦).

(١) الصَّبابة: رِقّة الشوق وحرارته.

(٢) أخرج هذه الفِقرة في قصة بكاء ابن رواحة أبو نعيم في «الحلية» ١/ ١١٨ من طريق عبد الرحمن بن محمد المُحاربي، عن محمد بن إسحاق، به.

وقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١٠-١١، ومن طريقه الحاكم (٨٩٦٣)، بسند رجاله ثقات، عن قيس بن أبي حازم مرسلاً قال: كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حَجْر امرأته، فبكى فبكت امرأته، فقال: ما يُبكيكِ؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيتُ، قال: إني ذكرتُ قول الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فلا أدري أنجو منها أم لا. ونحوه عند النسائي في «الكبرى» (١١٨٣٦) والحاكم (٨٩٦٢)، وقيس بن أبي حازم تابعي مُخضرَم كبير.

(٣) ذات فَرْغ، أي: واسعة، يعني ضربة شديدة. والزَّبَد هنا: رَغْوة الدم.

أو طَعنــةً بيــدَيْ حَــرّانَ مُجهِــزةً　　　بحَرْبــةٍ تُنفِــذُ الأحشــاءَ والكَبِــدا[1]

حتّـى يقـالَ إذا مَـرُّوا علـى جَـدَثي　　　أرشَـدَه اللهُ مـن غـازٍ وقـد رَشَـدا[2]

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ القومَ تهيَّؤوا للخروج، فأَتى عبدُ الله بن رَوَاحةَ رسولَ الله ﷺ فوَدَّعَه، ثمّ قال:

فثَبَّــتَ الله مــا آتــاكَ مــن حَسَــنٍ　　　تثبيتَ موسى ونَصراً كالّذي نُصِروا

إنّـي تَفَرَّسْـتُ فيـكَ الخيـرَ نافِلـةً　　　اللهُ يَعلَــمُ أنّــي ثابــتُ البَصَــرِ[3]

أنـتَ الرّسـولُ فمَـن يُحـرَمْ نوافِلَـهُ　　　والوَجْـهَ منه، فقـد أَزرَى بـه القَـدَرُ[4]

قال ابن هشام: أنشَدَني بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر هذه الأبياتَ:

أنـتَ الرّسـولُ فمَـن يُحـرَمْ نوافِلَـهُ　　　والوجـهَ منـه فقـد أَزرَى بـه القَـدَرُ

---

(١) الحرّان: الشديد التلهُّب، يغلي جوفه من حرارة غيظه. والمُجهِزة: السريعة القتل. وتنفذ الأحشاء، أي: تخترقها.

(٢) الجَدَث: القبر.

(٣) نافلة، أي: هِبَة من الله وعطيّة منه، والنوافل: العطايا والمواهب. وفي هذا البيت إقواء.

(٤) أزرى به القدرُ، أي: تهاوَن به واستحقره.

وروى ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤٨٩، والطبري في مسند عمر من «تهذيب الآثار» ٢/ ٦٦١-٦٦٢، والطبراني في «الكبير» (١٥٠٢١) من طرق عن عمر بن أبي زائدة عن مُدرِك بن عُمارة مرسلاً: أن عبد الله بن رواحة أنشد النبيَّ ﷺ هذه الأبيات في المسجد، فلما ذكر البيت الذي فيه الدعاء بالتثبيت، أقبل عليه النبيُّ ﷺ متبسِّماً وقال: «وأنت فثبَّتك الله». وعمر ومُدرك لا بأس بهما.

وبنحو هذا علَّقه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٩٧ من رواية هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن الزبير بن العوام. وقال هشام في آخره: فثبّته الله أحسنَ الثبات فقُتل شهيداً وفُتِحَت له الجنّة فدخلها.

فثَبَّتَ الله ما آتاكَ من حَسَنٍ في المُرسَلِينَ ونصراً كالّذي نُصِروا
إنّي تَفرَّستُ فيك الخيرَ نافِلةً فِراسةً خالَفَت فيكَ الّذي نَظَروا

يعني المشركين. وهذه الأبياتُ في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج القومُ وخرج رسولُ الله ﷺ يُشيِّعُهم، حتّى إذا وَدَّعَهم وانصَرَفَ عنهم قال عبدُ الله بن رَوَاحة:

خَلَفَ السّلامُ على امرِئٍ وَدَّعتُهُ في النَّخلِ خيرِ مُشيِّعٍ وخليلِ

ثمّ مَضَوْا حتّى نزلوا مَعَانَ من أرض الشّام، فبَلَغَ النّاسَ أنّ هِرَقلَ قد نَزَلَ مَآبَ من أرض البَلْقاء[1] في مئةِ ألفٍ من الرُّوم، وانضَمَّ إليهم من لَخْم وجُذَام والقَيْن وبَهْراءَ وبَلِيٍّ مئةُ ألفٍ منهم، عليهم رجلٌ من بَلِيٍّ ثمّ أَحدِ إرَاشةَ يقال له: مالكُ بن زافِلةَ[2].

فلمّا بَلَغَ ذلك المسلمين أقاموا على مَعانَ ليلتَينِ يُفكِّرون في أمرِهم، وقالوا:

(١) مَعَان: مدينة عامرة جنوب الأردن، تبعد عن مؤتة قرابة ١٠٠ كم.
أما مآب: فهي ما يُعرَف اليوم بالرَّبّة، وتقع شمال مؤتة على قرابة ٢٢ كم.
وقد تقدم التعريف بأكثر من هذا بمآب والبلقاء ١/ ٨٦.

(٢) في هذه الفِقرة أمران لا بدَّ من التنبيه عليهما:
الأول: أن هرقل لم يكن حاضراً في هذه المعركة، والذي قاد الروم فيها إنما هو أخوه، واسمه ثيودورس.
الثاني: أن أعداد الروم والعرب التابعين لهم في هذه الغزوة قد اضطُرِب فيها وبولِغَ فيها ولم تُضبَط لكثرتهم، إلا أنها في الغالب لم تصل إلى هذه الأرقام الهائلة المذكورة هنا عند ابن إسحاق وتابعه عليها غيرُ واحد من كتّاب السير والمغازي.
وانظر في تنقيد هذين الأمرين كتاب «غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية» من تأليف د. بريك أبو مايلة العمري ص٢٨٣-٢٨٦، ففيه تفصيل نفيس.

نَكتُبُ إلى رسول الله ﷺ فنُخبِرُه بعَدَدِ عدوِّنا، فإمّا أن يُمِدَّنا بالرِّجال، وإمّا أن يأمُرَنا بأمرِه فنَمضِيَ له.

قال: فشَجَّعَ الناسَ عبدُ الله بن رَوَاحة وقال: يا قومِ، والله إنَّ الّتي تكرَهُون لَلّتي خرجتُم تَطلُبون: الشّهادةُ، وما نُقاتِلُ الناسَ بعَدَدٍ ولا قوّةٍ ولا كَثْرةٍ، وما نُقاتِلُهم إلّا بهذا الدِّين الّذي أكرَمَنا اللهُ به، فانطَلِقوا، فإنّما هي إحدى الحُسنَيَينِ: إمّا ظُهورٌ، وإمّا شهادةٌ، قال: فقال الناسُ: قد واللهِ صَدَقَ ابنُ رَوَاحة. فمَضَى الناسُ، فقال عبدُ الله ابن رَوَاحةَ في مَحبِسِهم ذلك:

جَلَبْنا الخيلَ من أجأٍ وفَرْغٍ[1] ... تُغَرُّ من الحَشيشِ لها العُكومُ

حَذَوْناها من الصَّوّانِ سِبتاً ... أزَلَّ كأنَّ صَفْحتَه أديمُ[2]

أقامَت ليلتَينِ على مَعَانٍ ... فأعقَبَ بعدَ فَتْرَتِها جُمومُ[3]

---

(١) في (ت) و(ش١) و(غ): وفرع، بالعين، وهو على هذا أطول جبل بأجأ وأوسطه فيما قال ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٢٥٢-٢٥٣، وأجأ: أحد جبلَي طيّئ، والآخر سَلمى، ويقال لهما اليوم: جبلا حائل، لأنهما يشرفان على مدينة حائل شمال نجد، وفي سائر نسخنا الخطية بالغين كما أثبتنا، والفَرْغ من بُلدان تميم كما في «معجم البلدان» ٤/ ٢٥٤، وبلاد تميم ممتدّة في نجد ونواحيها.

وتُغَرّ: تُطعَم شيئاً بعد شيء، يقال: غرَّ الطائرُ فرخَه غَرّاً وغِراراً: زقَّه. والعُكوم: جمع عَكْم، وهو الجَنْب.

(٢) حذوناها، أي: جعلنا لها حذاءً، وهو النَّعل. والصَّوّان: حجارة مُلْس، واحدتها: صَوّانة. والسِّبت: النِّعال التي تصنع من الجلود المدبوغة. وأزلَّ، أي: أملَس. والصفحة: الجانب. والأديم: الجلد. يقول: لكثرة ما مشينا بهذه الخيول في الأراضي الجرداء فكأننا جعلنا الحجارة لها كالنِّعال.

(٣) الفَتْرة: الضعف والسكون. والجُموم: اجتماع القوة والنَّشاط بعد الراحة.

فرُحْنـــا والجيـــادُ مُســـوَّماتٌ   تَـــنَفَّسُ في مَناخِرِهـــا السَّـــمومُ[١]

فـــلا وأَبـــي مَـــآبَ لنَأتِيَنْهـــا   وإنْ كانـــت بهـــا عَـــرَبٌ ورُومُ

فعَبَّأْنـــا أعِنَّتَهـــا فجـــاءَت   عَـــوابسَ والغُبـــارُ لهـــا بَـــرِيمُ[٢]

بِـذِي لَجَـبٍ كـأنَّ البَـيضَ فيـهِ   إذا بَـــرَزَت قَوانِسُـــها النُّجـــومُ[٣]

فراضِـــيةُ المعيشـــةِ طَلَّقَتْهـــا   أسِـــنَّتُها فتَـــنكِحُ أو تَئِـــيمُ[٤]

قال ابن هشام: ويُروَى: جَلَبْنا الخيلَ من آجامِ قُرْحٍ[٥]، وقولُه: فعَبّأْنا أعِنّتَها، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثمّ مَضَى الناسُ.

فحدَّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ أنّه حُدِّثَ عن زيد بن أرقَمَ قال: كنتُ يَتيماً لعبد الله

---

(١) مسوَّمات: مُرسَلات أو مُعلَمات. والسَّموم: الريح الحارّة.

(٢) الأعنّة: جمع عِنان، وهو لجام الدابّة. والبريم: كلُّ ما فيه لونان مختلطان، والبَريم أيضاً: الدمع المختلط بالإثمد، وهذا هو المراد هنا غالباً، يريد أن ما علا هذه الجيادَ من الغبار، قد خالط ماء عيونها فصار كالبَرِيم.

(٣) بذي لَجَب، أي: جيش، واللَّجب: اختلاط الأصوات وكثرتها. والبَيْضُ: جمع البَيضة، وهي الخُوذَة من حديد توضع على الرأس. والقوانس: جمع قَونَس، وهي حديدة طويلة في أعلى الخُوذَة.

(٤) راضية المعيشة، أي: المعيشة المرضيّة. وأسنّتها، يعني: أسنّةَ الحرب، وهي رؤوس الرّماح. والأيِّم: التي لا زوج له؛ يريد: أن هذه المعيشة المرضيّة الهنيّة، قد استبدلتُها بساحات الحرب والقتال، فلتبحث عمَّن يركن إليها غيري.

(٥) الآجام: جمع أُجُم، وهو الحصن، أو البناء المرتفع. وقُرْح: سوق وادي القُرى، وهو مدينة العُلا اليوم، تقع غرب الجزيرة العربية، وتبعد عن المدينة المنورة قرابة ٣٠٠ كم في الشمال الغربي منها.

ابن رَوَاحةَ في حَجْرِه، فخرج بي في سفرِه ذلك مُرْدِفي على حَقِيبةِ رَحْلِه[1]، فوالله إنّه لَيسيرُ ليلةً إذ سمعتُه وهو يُنشِدُ أبياتَه هذه:

إذا أدَّيتِنــي وحَمَلْــتِ رَحْلـي ... مَسِــيرةَ أربــعٍ بعــدَ الحَسَــاءِ[2]

فشــأنُكِ أنعُــمٌ وخَــلَاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرجِــعْ إلـى أهــلٍ وَرَائـي[3]

وجــاءَ المســلمونَ وغــادَرُوني ... بــأرضِ الشّـامِ مُشـتهِيَ الثَّـواءِ[4]

---

(١) الحَقيبة: ما يجعله الراكبُ وراءه إذا ركب.

(٢) هكذا قُيِّدت في (ط) و(ق٢) و(ي) بفتح الحاء، وفي (ش١) و(ش٢) بكسرها، وفي (م) بهما جميعاً، وأُهملت في (ت) و(ص) و(غ) و(ف).

والحَسَاء: يُمَدّ ويُقصَر، والظاهر أنه يعني به البلد المعروف الآن في وسط الأردن، وهو الذي يقع في طريقهم إلى مآب ومؤتة، ويبعد عن مآب (أو الرَّبّة) قرابة ٦٠ كم في الجنوب الشرقي منها، وعن مؤتة قرابة ٤٠ كم.

وذهلَ الرَّحّالةُ نصرٌ الإسكندريُّ فيما ذهب إليه ـ وتابعه الحازميُّ في كتابه «الأماكن» وياقوت في «معجم البلدان» ـ من أنّ المراد بالحساء هنا في شعر ابن رواحة موضع قريب من الرَّبَذة، فإن هذا الموضع الذي أشار إليه يبعد أياماً عن المدينة في شرقها، وليس هو في الطريق إلى الشام حيث توجّه هذا الجيش الإسلامي، وانظر تعليق الأستاذ البارع حمد الجاسر رحمه الله على كتاب «الأماكن» للحازمي ص٣٤٧.

(٣) فشأنك أنعُمٌ، أي: أمرُك ذو أنعُمٍ، جمع نِعمةٍ، أي: إحسان، يعني أنها لن تُكلَّف السفر والمَشقّة بعد ذلك، لأنه عازم على القتال والموت في سبيل الله وعدم الرجوع عليها إلى أهله، وهو قوله: ولا أَرجِعْ، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٥٥: هو مجزوم على الدعاء، دعا على نفسه أن يُستشهَدَ ولا يرجعَ إلى أهله.

وخلاكِ ذمٌّ، أي: فارقك الذمُّ، فلستِ بأهلٍ له.

(٤) الثَّواء: الإقامة في المكان. وعند السهيليِّ في «الروض» ٧/ ٣٥: مُستنهيَ الثواء، وقال: مُستفعِل من النهاية والانتهاء، أي: حيث انتهى مَثْواه، ومن رواه: مشتهي الثواء، أي: لا أريد =

وَرَدَّكِ كُلُّ ذي نَسَبٍ قريبٍ إلى الرَّحمن مُنقطِعَ الإخاءِ
هنالكِ لا أُبالي طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَخْلٍ أسافِلُها رِوَاءِ[1]

فلمّا سمعتُهنَّ منه بَكَيتُ، قال: فخَفَقَني بالدِّرّةِ[2] وقال: ما عليك يا لُكَعُ[3] أن يَرزُقَني اللهُ شهادةً وتَرجِعَ بين شُعبَتَي الرَّحْلِ![4]

قال: ثمّ قال عبدُ الله بن رَوَاحة في بعض سَفَرِه ذلك وهو يَرتجِزُ:

يا زيدُ زيدَ اليَعمَلاتِ الذُّبَّلِ تَطاوَلَ الليلُ هُدِيتَ فانزِلِ[5]

= رجوعاً.

(١) البَعْل: الذي يشرب بعروقه من الأرض. والرِّواء: الممتلئة من الماء، وهي بكسر الهمزة صفة للنخل، ومن رواه بضمّ الهمزة ـ كما في (ت) ـ فهو إقواءٌ كما قال أبو ذر الخشنيّ.

(٢) خفقني بالدِّرة، أي: ضربني بها، والدِّرّة: عودٌ أو سوطٌ يُضرَب به.

(٣) اللُّكَع: تُطلق على الأحمق والصغير واللئيم وغير ذلك، والظاهر أنه أراد هنا الصِّغَر مع الحُمق، فزيدٌ إذ ذاك كان شابّاً صغيراً.

(٤) شُعبتا الرَّحل: طرفاه المقدَّم والمؤخَّر. والرَّحل للنّاقة كالسَّرج للفرس.

والخبر مخرَّج أيضاً في «تاريخ الطبري» ٣/ ٣٨-٣٩، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٥٠١٣)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم ١/ ١١٩-١٢٠، و«أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ١٣١-١٣٢ من طرق عن ابن إسحاق.

وذكره الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٥٩ وزاد: ثم نزل نزلةً من الليل فصلَّى ركعتين وعاقَبَهما دعاءً طويلاً، ثم قال لي: يا غلام، فقلت: لبَّيك، قال: هي إن شاء الله الشهادةُ.

(٥) قوله: يا زيد، المنادى هنا هو زيد بن أرقم، وقد اختلفت النسخ في تقييد حركة الدال في زيد الأول، فبعضها قيّدها بالضم مرفوعاً، وأخرى بالفتح منصوباً، وهما وجهان صحيحان، فالرفع فيه مذهب المبرّد كما في «المقتضب» له ٤/ ٢٣٠ وجوّده، وهو على أنه منادى مفرد، والثاني منصوب لأنه مضاف، وأما النصب فيه ـ أي: في الأول ـ فمذهب سيبويه كما في «الكتاب» له ٢/ ٢٠٦، وهو عنده منادى مضاف إلى ما بعد الثاني، والثاني مُقحَم بين المضاف والمضاف =

قال ابن إسحاق: فمضى الناسُ حتّى إذا كانوا بتُخومِ[١] البَلْقاءِ لَقِيَتهم جموعُ هِرَقلَ من الرُّوم والعرب بقريةٍ من قُرَى البَلقاءِ يقال لها: مَشارِفُ[٢]، ثمّ دَنَا العدوُّ، وانحازَ المسلمون إلى قريةٍ يقال لها: مُؤْتة، فالْتَقَى الناسُ عندها فتَعبّأَ لهم المسلمون، فجَعَلوا على مَيمَنَتِهم رجلاً من بني عُذْرةَ يقال له: قُطْبةُ بن قَتادة، وعلى مَيسَرَتِهم رجلاً من الأنصار يقال له: عَبَايةُ بن مالكٍ.

قال ابن هشام: ويقال: عُبَادةُ بن مالكٍ.

قال ابن إسحاق: ثمّ التَقَى الناسُ فاقتتلوا، فقاتَلَ زيدُ بن حارثةَ برايةِ رسول الله ﷺ حتّى شاطَ[٣] في رِماح القوم[٤].

= إليه. وانظر «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ٢/ ٤٢، و«شرح الكافية» لابن مالك ٣/ ١٣٢٠-١٣٢١.

واليَعمَلات: جمع يَعمَلة، قال السيرافي: وهي الناقة القوية التي تصبر على السير، والذُّبَّل: جمع ذابلة، وهي التي ذَبَلَت من شدة السير وطُول السُّرى، وأضاف زيداً إلى اليَعمَلات لأنه ينزل ويَحدُو لها فتسير، وهو قويٌّ على ضبطها وسَوْقها، فتطاول اللّيلُ عليك، أي: قد أخَّرتَ النزول إليها حتى ذهب أكثر الليل.

(١) التخوم: جمع تَخْمٍ، وهو الحدّ الفاصل بين أرض وأرض.

(٢) لا يعرف اليوم قرية بهذا الاسم، إلا أنه يوجد في شمال مؤتة قرية تسمَّى المشيرفة، وتبعد عنها قرابة ٥ كم، فيحتمل أنها المرادة هنا ويكون اسمها قد تغيّر مع مرور الزمن كما هو الحال في كثير من أسماء القرى والبلدان، وذِكرُ المصنِّف هنا بأن المسلمين انحازوا من هذه القرية إلى مؤتة، يؤيد هذا الاحتمال، فإن الانحياز يُوحي بأنهم كانوا في مركز متقدِّم ثم تأخروا عنه إلى مركز آخر قريب منه لغرض إعادة التعبئة وتحسين الموقف للقتال.

(٣) أي: هَلَكَ، يقال: شاطَ الرجل، إذا سال دمُه فهَلَكَ.

(٤) روى هذه الفِقرةَ يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق عند الحاكم (٥٠١٨) عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عمّه عروة بن الزبير مرسلاً.

ثمّ أَخذَها جعفرٌ فقاتَلَ بها، حتّى إذا أَلحَمَه القتالُ، اقتَحَمَ عن فرسٍ له[1] شقراءَ فعَقَرَها[2]، ثمّ قاتَلَ القومَ حتّى قُتِل، فكان جعفرٌ أوّلَ رجلٍ من المسلمين عَقَرَ في الإسلام.

وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: حدّثني أَبي الّذي أرضَعَني، وكان أحدَ بني مُرَّة بن عَوفٍ[3]، وكان في تلك الغزوةِ، غزوةِ مُؤْتةَ، قال: واللهِ لَكأنّي أنظُرُ إلى جعفرٍ حين اقتَحَمَ عن فرسٍ له شقراءَ ثمّ عَقَرَها، ثمّ قاتَلَ حتّى قُتِلَ[4]، وهو يقول:

يا حَبّذا الجَنّةُ واقتِرابُها ... طَيّبةً وبارداً شَرابُها

والرُّوم رومٌ قد دَنا عذابُها ... كافرةٌ بَعيدةٌ أنسابُها

عليَّ إذْ لاقَيتُها ضِرابُها

قال ابن هشام: وحدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العِلْم: أنّ جعفرَ بن أبي طالبٍ أَخذَ اللِّواءَ بيمينِه فقُطِعَت، فأَخذَه بشمالِه فقُطِعَت، فاحتَضَنَه بعَضُدَيهِ حتّى قُتِلَ رضي الله عنه، وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً، فأثابَه اللهُ بذلك جَناحَينِ في الجنّة يَطِيرُ بهما حيثُ

(١) ألحَمَه القتال، أي: عَلِقَ فيه فلم يجد له مخلصاً. واقتحم عن فرس له، أي: رمى بنفسه عنها من غير رويّةٍ.

(٢) أي: ضرب قوائمها بالسيف وهي قائمة.

(٣) وبنو مرّة بن عوف بطنٌ من غَطَفان.

(٤) إسناده صحيح.

ورواه مع الرَّجَز يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٣٦٣.

ورواه بدونه محمدُ بن سلمة الحرّاني عند أبي داود (٢٥٧٣)، وعبدُ الله بن إدريس عند الحاكم (٤٩٩٦)، كلاهما عن ابن إسحاق. وانظر تمام تخريجه والتعليق عليه في «سنن أبي داود» طبعة دار الرسالة.

شاءَ[1].

ويقال: إنّ رجلاً من الرُّوم ضربه يومَئذٍ ضربةً فقطَعَه بنِصفَينِ[2].

---

(١) قد روي من غير وجهٍ أن الله تعالى قد أثاب جعفراً رضي الله عنه جناحين، ممّا يقوّي هذا الخبر:

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُرِيتُ جعفراً مَلَكاً (يعني كالمَلَك) يطير بجناحيه في الجنة». أخرجه الترمذي (٣٧٦٣)، وابن حبان (٧٠٤٧)، والحاكم (٤٩٩٩)، وهو حديث حسن.

وعن إسماعيل بن أبي خالد عن رجلٍ: أن النبي ﷺ قال: «لقد رأيتُه في الجنة ـ يعني جعفراً ـ له جناحان مضرَّجان بالدماء مصبوغ القوادم». أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٥، ورجاله ثقات وظاهره الإرسال إلا إن كان الرجل المذكور صحابياً فيحتمل عندها الاتصال ويصحّ، فقد روى إسماعيل عن بعض الصحابة ممّن تأخَّرت وفاته.

وعن موسى بن عقبة معضلاً: أن رسول الله ﷺ نَعَتَهم (يعني الأمراءَ في هذه الغزوة) قال: «مرَّ عليَّ جعفرُ بن أبي طالب في الملائكة يطير مع الملائكة كما يطيرون، له جناحان». أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٦٥، ورجاله إلى موسى لا بأس بهم.

وعن عامر الشعبيّ: أن ابن عمر كان إذا سلَّم على عبد الله بن جعفرٍ قال: السلام عليك يا ابنَ ذي الجناحين. أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٠٢).

(٢) وروى هذا الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٦١ ـ ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٥، والحاكم (٤٩٩٥) ـ عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه قال: ضربه رجل من الرُّوم فقطعه نصفين، فوقع أحدُ نصفيه في كَرْم، فوُجِدَ في نصفه ثلاثون أو بضع وثلاثون جرحاً. وهذا ضعيف لا يصحُّ لتفرّد الواقديِّ به، وهو متكلَّم فيه عند أهل الحديث، ثم إنه معضلٌ، فمحمد بن عمر بن علي من أتباع التابعين.

ومما يدلّ على ضعف هذه الرواية: أن عبد الله بن عمر كان حاضراً في هذه الغزوة ولم يذكر أن جعفراً قُطع نصفين، فقد روى حديثه البخاري في «صحيحه» (٤٢٦١) قال: كنت فيهم في =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: حدّثني أَبي الذي أرضَعَني، وكان أحدَ بني مُرَّة بن عَوفٍ، قال: فلمّا قُتِلَ جعفرٌ أَخذَ عبدُالله بن رَوَاحةَ الرّايةَ ثمّ تَقدَّمَ بها وهو على فرسِه، فجَعَلَ يَستَنزِلُ نفسَه ويَتردَّدُ بعضَ التّردُّدِ، ثمّ قال:

أَقسَمتُ يا نفسُ لتَنزِلِنَّهْ لتَنزِلِنَّ أو لتُكرَهِنَّهْ
إنْ أَجلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ ما لي أراكِ تكرهينَ الجنَّهْ[1]
قد طالَ ما قدْ كنتِ مُطمئِنَّهْ هل أنتِ إلّا نُطْفةٌ في شَنَّهْ[2]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إلّا تُقتَلي تَمُوتي هذا حِمَامُ الموتِ قد صَلِيتِ[3]
وما تَمنّيتِ فقد أُعطِيتِ إنْ تفعلي فِعلَهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه: زيداً وجعفراً؛ ثمّ نَزَلَ، فلمّا نَزَلَ أتاه ابنُ عمٍّ له بعَرْقٍ من لحمٍ[4] فقال: شُدَّ بهذا صُلْبَك، فإنّك قد لَقِيتَ أيّامَك هذه ما لَقِيتَ، فأَخذه من يده ثمّ

= تلك الغزوة، فالتمسنا جعفرَ بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورَمْية. وفي رواية عنده أيضاً (٤٢٦٠) قال: عددتُ به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دُبُره. يعني: في ظهره. والرواية الأولى عنه أَثبت، وسواء كان هذا أو ذاك، فالعدد بعينه قد لا يكون له مفهوم، وإنما المراد به الدّلالة على ثبات جعفر وبيان فَرْط شجاعته وإقدامه في أرض المعركة، رضي الله عنه. وانظر «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٤٧٦.

(١) أجلَبَ الناسُ: صاحوا واجتمعوا. والرَّنّة: الصوت الشديد.

(٢) النُّطفة: القليل من الماء. والشَّنّة: السِّقاء البالي. فيوشك أن تُهراق النطفة، وينخرق السقاء، ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٣٧.

(٣) حِمام الموت: قضاؤه المحتوم.

(٤) العَرْق: العظم الذي عليه بعض لحم.

انتَهَسَ منه نَهْسةً، ثمّ سمعَ الحَطْمةَ[1] في ناحية النّاس، فقال: وأنتَ في الدُّنيا! ثمّ أَلقاه من يده ثمّ أَخذ سيفَه فتَقدَّمَ فقاتَلَ حتّى قُتِل.

ثمّ أَخذَ الرّايةَ ثابتُ بن أقرَمَ أخو بني العَجْلانِ فقال: يا مَعشَرَ المسلمين، اصطَلِحوا على رجلٍ منكم، قالوا: أنتَ، قال: ما أنا بفاعلٍ. فاصطَلَحَ النّاسُ على خالدِ بن الوليد، فلمّا أَخذَ الرّايةَ دافَعَ القومَ وحاشَى بهم[2]، ثمّ انحازَ وانحِيزَ عنه حتّى انصَرَفَ بالنّاس[3].

---

(١) انتهس منه: أخذ منه بمقدَّم أسنانه شيئاً يسيراً. والحطمة: ازدحام الناس وضرب بعضهم بعضاً.

(٢) دافع القومَ، أي: الروم، وحاشى بهم، أي: بالمسلمين.

وحاشى بهم: بالحاء المهملة في (ت) و(ش١) و(ص) و(ط) و(غ) و(م)، من الحَشَى: وهي الناحية، ومعناه: انحاز بهم.

وفي (ش٢) و(ف) و(ق٢) و(ي) ونسخة في حاشية (م): خاشى، بالخاء، والمُخاشاة من الخَشْية، لأنه خشي على المسلمين لقلّة عددهم. وأشار إلى هذا الخلاف في اللفظين وشرحهما السهيليّ في «الروض» ٧/ ٤١.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه بطوله الطبري في «تاريخه» ٣/ ٣٩-٤٠، والطبراني في «الكبير» (١٥٠١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٢٠ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

فائدة: روى محمد بن عائذٍ في «مغازيه» ـ كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ١٦/٢ ـ عن عطاف ابن خالد وغيره مرسلاً: أن خالد بن الوليد بات ثم أصبح غازياً وقد جعل مقدّمتَه ساقةً وساقتَه مقدّمةً، وميمنته ميسرةً وميسرته ميمنةً، فأنكروا ما جاء به من خلاف ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم، وقالوا: قد جاءهم مَدَدٌ، فانهزموا وقُتلوا مَقتَلةً لم يُقتَلها قومٌ. اهـ، يعني أنهم انحازوا عن المسلمين.

وفي هذه الغزاة سمَّى رسولُ الله ﷺ خالداً سيفَ الله، فقد روى أنسُ بن مالك عن النبي ﷺ: =

قال ابن إسحاق: ولمّا أُصيبَ القوم قال رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني: «أَخذَ الرَّاية زيدُ بنُ حارثةَ فقاتَلَ بها حتَّى قُتِلَ شهيداً، ثمّ أَخذَها جعفرٌ فقاتَلَ بها حتَّى قُتِلَ شهيداً»، قال: ثمّ صَمَتَ رسولُ الله ﷺ حتّى تَغيَّرَت وجوهُ الأنصار، وظَنُّوا أنّه قد كان في عبد الله بن رَوَاحة بعضُ ما يَكرَهون، ثمّ قال: «ثمَّ أَخذَها عبدُ الله بنُ رَوَاحةَ فقاتَلَ بها حتَّى قُتِلَ شهيداً»[1].

ثمّ قال: «لقد رُفِعُوا لي في الجَنَّةِ فيما يَرَى النّائمُ على سُرُرٍ من ذَهَبٍ، فرأَيتُ في سَرِيرِ عبدِ الله بن رَوَاحةَ ازوِرَاراً[2] عن سَرِيرَيْ صاحبَيهِ، فقلت: عَمَّ هذا؟ فقِيلَ لي: مَضَيَا وتَردَّدَ عبدُ الله بعضَ التَّردُّدِ ثمَّ مَضَى»[3].

= أنه لمّا نعى الأمراءَ الثلاثة وعَيناه تَذرِفان قال في حقّ خالدٍ: «حتى أَخذ سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم». أخرجه البخاري (٣٧٥٧) و(٤٢٦٢).

ولقد اشتدَّ القتال في هذه المعركة وحميَ إلى الغاية، حتى قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعةُ أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحةٌ يمانيَةٌ. أخرجه البخاري (٤٢٦٥) و(٤٢٦٦). والصَّفيحة: السيف العريض.

(١) حديث صحيح.

فقد روي من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأُصيب». أخرجه أحمد (١٢١١٤)، والبخاري (١٢٤٦).

زاد أبو قتادة الأنصاريُّ في حديثه عن النبي ﷺ في الثلاثة: «أُصيب شهيداً فاستَغفِروا له». أخرجه أحمد (٢٢٥٥١)، وإسناده جيّد.

(٢) ازوراراً، أي: ميلاً وانحرافاً.

(٣) هذا الحديث ذكره ابن إسحاق معضلاً بلا إسناد، فهو ضعيف.

ورواه معضلاً أيضاً كرواية البكّائي عن ابن إسحاق يونسُ بنُ بكيرٍ عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٦٨، وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٣٤٣. =

فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن أمِّ عيسى الخُزَاعيَّة، عن أمِّ جعفرٍ بنتِ محمّد ابن جعفر بن أبي طالبٍ، عن جَدَّتها أسماءَ بنتِ عُمَيسٍ قالت: لمّا أُصيبَ جعفرٌ وأصحابُه دَخَلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وقد دَبَغتُ أربعينَ مَناً[1] ـ قال ابن هشام: ويُروَى أربعين مَنِيئةً ـ وعَجَنتُ عَجِيني، وغَسَّلتُ بَنيَّ ودَهَنتُهم ونَظَّفتُهم، قالت: فقال لي رسولُ الله ﷺ: «ائتِيني ببَنِي جعفرٍ»، قالت: فأَتيتُه بهم، فتَشَمَّمَهم وذَرَفَت عَيْناهُ، فقلت: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأُمّي ما يُبكِيكَ؟ أبَلَغَك عن جعفرٍ وأصحابه شيءٌ؟ قال: «نَعَم، أُصِيبُوا هذا اليومَ». قالت: فقُمْتُ أَصيحُ، واجتَمَعَ إليَّ النّساءُ، وخرج رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه فقال: «لا تُغفِلُوا آلَ جعفرٍ من أن تَصنَعُوا لهم طعاماً، فإنَّهم قد شُغِلُوا بأَمرِ صاحبِهم»[2].

= ورواه مع الذي قبله: الطبراني في «الكبير» (١٥٠١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٢٠، من طريق محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق، وظاهره أنه موصولٌ بإسناد ما قبلَهما من خبر الأمراء الثلاثة وأَخْذ ثابت بن أقرم الرايةَ بعد ابن رواحة، والله تعالى أعلم.

(١) بتخفيف النون، وفي لغة بالتشديد: وهو مِكيال يكال به أو يوزن به رِطْلان. تريد أنها دبغت من الجلود بهذا المقدار.

(٢) إسناده فيه لِينٌ لجهالة أم عيسى الخزاعية، وأم جعفر بنت محمد ـ ويقال لها أيضاً: أم عون ـ هي زوجة محمد ابن الحنفيّة كما في «الطبقات» لابن سعد ٧/ ٩٤، وآخر الحديث حسنٌ بشاهده.

وأخرجه أحمد (٢٧٠٨٦)، والطبراني في «الكبير» ٢٤/ (٣٨٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٥٩) من طريق إبراهيم بن سعد، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٧٠ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٦١: وفيه امرأتان لم أجد من وثَّقهما ولا جرحهما، وبقيّة رجاله ثقات. =

وحدّثني عبدُ الرَّحمن بن القاسم بن محمّدٍ، عن أبيه، عن عائشة زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: لمّا أَتى نَعْيُ[1] جعفرٍ عَرَفْنا في وجهِ رسول الله ﷺ الحُزنَ، قالت: فدخل عليه رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، إنَّ النّساءَ عنّينَنا وفَتَنَّنا! قال: «فارجِعْ إليهنّ فأَسكِتْهُنَّ».

قالت: فذهبَ ثمّ رجعَ فقال له مِثلَ ذلك. قال: تقول: ورُبَّما ضَرَّ التّكلُّفُ أهلَه، قالت: قال: «فاذهَبْ فأَسكِتْهُنَّ، فإنْ أَبَينَ فاحْثُ في أَفواهِهِنَّ التُّرابَ[2]»، قالت: قلت في نفسي: أبعَدَك اللهُ، فوالله ما تَرَكتَ نفسَك، وما أنتَ بمُطِيعٍ رسولَ الله ﷺ. قالت: وعَرَفتُ أنّه لا يَقدِرُ على أن يَحثِيَ في أفواهِهِنَّ التُّرابَ[3].

= وروى آخره في صنع الطعام لآل جعفرٍ عبدُ الأعلى بن عبد الأعلى عند ابن ماجه (١٦١١) عن ابن إسحاق مختصراً.

ويشهد لهذا القدر منه حديثُ عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعيُ جعفرٍ حين قُتل، قال النبي ﷺ: «اصنعوا لآل جعفرٍ طعاماً، فقد أتاهم أمرٌ يَشغَلُهم». أخرجه أحمد (١٧٥١)، وأبو داود (٣١٣٢)، وابن ماجه (١٦١٠)، والترمذي (٩٩٨)، والحاكم (١٣٩٣)، وإسناده حسنٌ، وحسّنه الترمذيُّ وصحّحه الحاكم.

(١) النَّعْيُ: خبر الميّت الذي يأتي، والنَّعِيُّ: هو الشخص الذي يأتي بخبر موته.

(٢) يقال: حَثَا عليه الترابَ، إذا صبَّه عليه.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٦٣)، والحاكم (٤٣٩٧) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٤٣١٣)، والبخاري (١٢٩٩) و(١٣٠٥) و(٤٢٦٣)، ومسلم (٩٣٥)، وأبو داود (٣١٢٢)، والنسائي في «المجتبى» (١٨٤٧) و«الكبرى» (١٩٨٦)، وابن حبان (٣١٤٧) و(٣١٥٥) من طريق عَمْرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة. وذكرت في أوله الأمراء الثلاثة.

قال ابن إسحاق: وقد كان قُطْبةُ بن قَتَادة العُذْريُّ الّذي كان على مَيمَنةِ المسلمين قد حَمَلَ على مالك بن زافِلةَ فقتله، فقال قُطْبةُ بن قَتَادة:

طَعَنتُ ابنَ زافِلةَ بنِ الإرَاشِ ... بِرُمحٍ مضى فيه ثمّ انحَطَمْ[1]

وثُمَّ ضَرَبتُ على جِيدِهِ[2] ... فمالَ كما مالَ غُصنُ السَّلَمْ

وسُقْنا نساءَ بني عمِّهِ ... غَداةَ رَقُوقَينِ سَوقَ النَّعَمْ[3]

قال ابن هشام: قوله: ابن الإرَاشِ، عن غير ابن إسحاق، والبيتُ الثالث عن خَلّاد ابن قُرّةَ[4]. ويقال: مالكُ بن رافلةَ[5].

بقيّة أمر غَزَاة زيد وجعفر

قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنةٌ من حَدَسٍ[6] حين سَمِعَت بجيشِ رسول الله

---

(١) انحطم، أي: انكسر.

(٢) في (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): ضربتُ على جيدِه ضربةً، وفي نسخة على حاشية (غ): ضربتُ بسيفي على جيدِه.

والجِيد: العُنُق. والسَّلَم: شجر صحراويّ شوكيّ طويل، الواحدة: سَلَمة.

(٣) النَّعَم: الأنعام من الإبل والبقر والغنم.

(٤) يعني أن البيت الثالث أنشده له شيخه خلّاد بن قرّة السَّدوسي، وهو لا يصحُّ إيراده مع البيتين الأوَّلين ونسبته لقُطبة، لأنه لم يذكر أحدٌ من أهل العلم بالمغازي أنه حصل في هذه الغزوة شيءٌ من السَّبي، من مبدأ خروجهم من المدينة إلى حين عودتهم إليها، فكيف يقول: سقنا نساء بني عمّه!

وأما رقوقين المذكورة، فالظاهر أنه اسم مكان، لكنه لا يُعرَف الآن، وانظر للاستزادة كتاب «غزوة مؤتة» لبريك أبو مايلة ص٢٤٢-٢٤٤.

(٥) يعني بالراء من رافلة.

(٦) بنو حَدَس: قبيلة من لَخْم، بطن عظيم من اليمن. وهو حَدَس بن أُرَيش بن إرَاش بن =

ﷺ مُقبلاً، قد قالت لقومها من حَدَسٍ ـ وقومُها بطنٌ يقال لهم: بنو غَنْمٍ ـ: أُنذِرُكم قوماً خُزْراً، يَنظُرون شَزْراً، ويَقُودُون الخيلَ تَتْرَى، ويُهرِيقُون دماً عَكْراً[1]. فأَخذوا بقولها واعتَزَلوا من بين لَخْمٍ، فلم تَزَلْ بعدُ أَثرَى[2] حَدَسٍ، وكان الّذين صَلُوا الحربَ[3] يومَئذٍ بنو ثَعْلبةَ بطنٌ من حَدَسٍ، فلم يَزالُوا قليلاً بعدُ.

فلمّا انصَرَفَ خالدٌ بالنّاس أقبَلَ بهم قافلاً.

فحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير قال: لمّا دَنَوْا من حولِ المدينة تَلقّاهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون، قال: ولَقِيَهم الصِّبيانُ يَشتَدُّون ورسولُ الله ﷺ مُقبِلٌ مع القوم على دابّةٍ، فقال: «خُذُوا الصِّبْيانَ فاحمِلُوهم، وأَعطُونِي ابنَ جعفرٍ»، فأُتيَ بعبدِ الله بن جعفرٍ فأَخذَه فحَمَلَه بين يديه، قال: وجَعَلَ النّاسُ يَحْثُونَ على الجيشِ التُّرابَ ويقولون: يا فُرّارُ، فَرَرتُم في سبيل الله! قال: فيقول رسولُ الله ﷺ: «ليسوا بالفُرّارِ، ولكنَّهم الكُرّارُ إنْ شاءَ الله»[4].

= جَزِيلة بن لَخْم. انظر «نسب مَعَد واليمن الكبير» لابن الكلبي ١/ ٢١١-٢١٢، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٤٢٣.

(١) الخُزر: جمع أَخزَر، وهو الذي ينظر بمُؤخِر عينه نظرَ المتكبِّر. والشَّزْر: نظرُ العداوة. وتَتْرى: متتابعة شيئاً بعد شيءٍ، كما في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون:٤٤]. والعَكْر: المتعكر، تريد دماً مُختلِطاً.

(٢) من الثروة: وهي الكَثْرة، أي: أكثر مالاً وعدداً.

(٣) أي: احترقوا بنارها وشدّتها.

(٤) مرسلٌ رجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٢، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٧٤ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وروى أحمد (٥٣٨٤)، وأبو داود (٢٦٤٧)، والترمذي (١٧١٦) ـ واللفظ له ـ من طريق =

وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبَير، عن بعض آلِ الحارث بن هشامٍ ـ وهم أخوالُه ـ عن أمِّ سَلَمة زوجِ النبيِّ ﷺ؛ قال: قالت أمُّ سَلَمة لامرأةِ سَلَمة بن هشام بن العاصِ[1] بن المغيرةِ: ما لي لا أَرَى سَلَمةَ يَحضُرُ الصّلاةَ مع رسول الله ﷺ ومع المسلمينَ؟! قالت: والله ما يستطيعُ أن يَخرُجَ، كلَّما خرج صاحَ به النّاسُ: يا فُرّارُ، فَرَرتُم في سبيلِ الله، حتّى قَعَدَ في بيتِه فما يخرجُ[2].

= يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ابن عمر قال: بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ في سريّة، فحاصَ الناسُ حَيصةً، فقَدِمنا المدينة فاختبأنا بها وقلنا: هَلَكْنا، ثم أتينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، نحن الفرّارون، قال: «بل أنتم العكّارون، وأنا فِئَتُكم». وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد الهاشمي مولاهم، لكن يصلح حديثه للاعتبار، فهذا الحديث يشهد لمرسل عروة، وابنُ عمر كان ممّن حضر وقعة مؤتة.

قال الترمذي: معنى قوله: فحاصَ الناسُ حيصةً، يعني: أنهم فرُّوا من القتال، ومعنى قوله: «بل أنتم العكّارون»، العكّار: الذي يفرّ إلى إمامه لينصره ليس يريد الفرارَ من الزَّحف.

(١) هكذا وقع في النسخ كافة، بزيادة العاصِ في هذا النسب، وهذا لم يقع إلا في رواية زياد البكّائي عن ابن إسحاق إن لم يكن ذلك خطأً تتابع عليه النسّاخ، إذ لم يذكره بقيّةُ أصحاب ابن إسحاق عنه، وليس في نسب سلمةَ العاصِ هذا، إنما العاص هو أخوه وأخو أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، وهو المقتول ببدرٍ كافراً على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رجاله ثقات غير الرجل المبهم من آل الحارث بن هشام، وقد سمّاه مصعب بن ثابت الزُّبيري عند الواقدي في «المغازي» ٢/ ٧٦٥ أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فإن كان محفوظاً كما قال، فأبو بكر هذا من ثقات التابعين وفقهائهم وله سماع ورواية عن أم سلمة، لكن رُوِيَ خبره هذا عنده على وجه الإرسال.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٢ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤١٧) من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه يونسُ بن بُكَير عن ابن إسحاق عند الحاكم (٤٤٠٣) وغيره، فأسقط من إسناده البعض =

قال ابن إسحاق: وقد قال ـ فيما كان من أمرِ النّاس، وأمرِ خالدٍ ومُخَاشاتِه[1] بالنّاس وانصرافِه بهم ـ قيسُ بن المُسحَّرِ[2] اليَعمَرِيّ، يَعتذِرُ ممّا صَنَعَ يومَئذٍ وصَنَعَ النّاسُ:

والله لا تَنفَكُّ نفسي تَلُومُني — على مَوقِفي والخيلُ قابعةٌ قُبْلُ[3]
وَقَفتُ بها لا مُستَجيراً فنافِذاً — ولا مانِعاً مَن كان حُمَّ له القتلُ[4]
على أنّني آسَيتُ نفسي بخالدٍ — ألا خالدٌ في القومِ ليس له مِثلُ[5]
وجاشَتْ إليَّ النّفسُ من نحوِ جعفرٍ — بمُؤْتةَ إذ لا يَنفَعُ النابلَ النَّبْلُ[6]
وضَمَّ إلينا حَجْرَتَيهِم[7] كِلَيهما — مُهاجِرةٌ لا مُشرِكون ولا عُزْلُ

= من آل الحارث. وهو على هذه الرواية منقطع، فإن عامر بن عبد الله لم يدرك أمَّ سلمة.

(١) المخاشاة: المُحاجَزة، وهي مُفاعَلة من الخَشْية، لأنه خَشِيَ على أصحابه لقلّة عددهم.

(٢) تحرّف في (غ) و(ق٢) ونسخة على حاشيتي (ش١) و(ش٢) إلى: المحسّر، بتقديم الحاء، وقد نصَّ ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ١٤٦ على أنه عند ابن إسحاق بتقديم السين على الحاء، وذكره ابن عبد البر بتقديم الحاء على السين، وهو قول الأكثرين كما قال ابن ناصر الدين الدمشقي في «توضيح المشتبه» ٨/ ٥٥.

(٣) قابعةٌ، أي: منقبضة، وفي (غ) و(ف): قائعة، قال الخشنيّ في «إملائه» ص٣٥٨: معناه: واثبة، يقال: قَأَعَ الفحلُ على الناقة، إذا وثب عليها، ومن رواه: قانعة بالنون ـ كما في (ش١) ـ فمعناه: رافعة رؤوسها. وقُبْل: جمع أَقبَل وقَبْلاء، وهو الذي يُمِيل عينَه في النظر إلى جهة العين الأخرى، وقد تفعل ذلك الخيلُ حِدّةً ونشاطاً.

(٤) حُمَّ له القتلُ، أي: قُدِّرَ له.

(٥) آسيتُ نفسي بخالد، أي: اقتديت به، من الأُسْوة: وهي القُدْوة.

(٦) جاشت، أي: تحرّكت وارتفعت. والنابل: صاحب النَّبل.

(٧) تصحّف في (ت) و(م) إلى: حجزتيهم، بالزاي. ومعنى حَجْرتيهم: ناحيتيهم، يقال: =

فبَيَّنَ قيسٌ ما اختَلَفَ فيه الناسُ من ذلك في شِعْره: أنّ القومَ حاجَزُوا وكَرِهوا الموتَ، وحَقَّقَ انحيازَ خالدٍ بمَن معه[1].

قال ابن هشام: وأمّا الزُّهْريّ فقال فيما بَلَغَنا عنه: أمَّرَ المسلمون عليهم خالدَ بن الوليد، ففَتَحَ الله عليهم، وكان عليهم حتّى قَفَلَ إلى النبيّ ﷺ.

قال ابن إسحاق: وكان ممّا بُكيَ به أصحابُ مُؤْتة من أصحاب رسول الله ﷺ قولُ حسَّان بن ثابت[2]:

تأوَّبَني ليلٌ بيَثْرِبَ أَعسَرُ وهَمٌّ إذا ما نَوَّمَ الناسَ مُسهِرُ[3]

= قَعَدَ حَجْرَةً، أي: ناحيةً. وعُزْل: جمع أَعزَل، وهو الذي لا سلاح معه.

(١) قال ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» ٦/ ٤٣٧: ذهب ابن إسحاق إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلُّص من أيدي الروم، وسمَّى هذا نصراً وفتحاً، أي: باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدوِّ بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم، فكان مقتضى العادة أن يُصطَلَموا (أي: يُستأصَلوا ويُبادُوا) بالكُلِّيّة، فلما تخلَّصوا منهم وانحازوا عنهم، كان هذا غايةَ المُرام في هذا المقام، وهذا محتمَل، لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام: «ففتح الله عليهم».

قلنا: وهذا الحديث ـ وهو قوله ﷺ: «ففتح الله عليهم» ـ رواه عن النبي ﷺ أنسٌ عند أحمد (١٢١١٤) والبخاري (٣٧٥٧) و(٤٢٦٢)، وعبدُ الله بن جعفر عند أحمد (١٧٥٠) والنسائي في «الكبرى» (٨٥٥٠) والحاكم (٥٣٧٩).

وقال البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٣٧٥: اختلف أهل المغازي في فِرارهم وانحيازهم، منهم مَن ذهب إلى ذلك، ومنهم مَن زَعَمَ أن المسلمين ظهروا على المشركين وانهزم المشركون، وحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «ثم أخذها خالد ففُتح عليه»، يدلّ على ظهوره عليهم، والله أعلم.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٩٨.

(٣) تأوَّبني: عاوَدَني ورجع إليّ. وأعسر: عَسِير. ونوَّم الناسُ، أي: ناموا كثيراً. ومُسهِر، أي: =

لِذِكرَى حبيبٍ هَيَّجَت لي عَبْرةً ... سَفُوحاً وأسبابُ البكاءِ التَّذكُّرُ[1]

بلى، إنّ فِقْدانَ[2] الحبيبِ بليَّةٌ ... وكمْ من كريمٍ يُبتَلى ثمّ يَصبِرُ

رأيتُ خِيارَ المُؤمنينَ تَوارَدُوا ... شَعُوبَ وخَلْفاً بعدَهم يتأخَّرُ[3]

فلا يُبعِدَنَّ اللهُ قَتلَى تتابَعُوا ... بمُؤْتةَ منهم ذو الجناحَينِ جعفرُ

وزيدٌ وعبدُ الله حين تتابَعُوا ... جميعاً وأسبابُ المَنيَّةِ تَخطِرُ[4]

غَدَاةَ مَضَوا بالمؤمنينَ يقودُهم ... إلى الموتِ ميمونُ النَّقيبةِ أَزهَرُ[5]

أغرُّ كضَوءِ البدرِ من آلِ هاشمٍ ... أَبيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مِجسَرُ[6]

فطاعَنَ حتّى مالَ غيرَ مُوسَّدٍ ... بمُعتَرَكٍ فيه قَناً مُتكسِّرُ[7]

فصار معَ المُستَشْهَدِينَ ثوابُهُ ... جِنانٌ ومُلتَفُّ الحدائقِ أخضرُ

وكنّا نرى في جعفرٍ من محمَّدٍ ... وَفاءً وأَمراً حازماً حين يَأمرُ

= مانع من النوم.

(١) العَبْرة: الدمعة. والسَّفُوح: السائلة المنهمرة.

(٢) في «الديوان»: بَلاءٌ وفقدان.

(٣) شَعُوبُ: اسم للمَنيّة لا يُصرَف، من قولك: شَعَبتُ الشيءَ، إذا فرَّقته. وخَلْفاً، أي: من يأتي بعدُ.

(٤) تخطر، أي: تختال وتهتزّ، والكلام هنا على التمثيل.

(٥) ميمون النقيبة: مبارك النفس مُنجِح فيما يطلبه، كأنه يريد جعفر بن أبي طالب. وأزهر: مُشرِق الوجه.

(٦) أغرُّ، أي: شريف. والأبيّ: عزيز الجانب. وقوله: سِيمَ، أي: كُلِّف وحُمِّل. والمِجسَر: المِقدام الجسور.

(٧) مال، أي: مات، وهي كذلك في «الديوان». وغير موسَّد، أي: سقط على أرض المعركة ولم يمت على فراشه تحته الوسائد. والمُعتَرَك: موضع الحرب.

وما زال في الإسلامِ من آل هاشمٍ ... دعائمُ عزٍّ لا يَزُلنَ ومَفخَرُ
هم جبلُ الإسلامِ والناسُ حولَهمْ ... رِضَامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوقُ ويَقهَرُ[1]
بَهالِيلُ منهمْ جعفرٌ وابنُ أمِّهِ ... عليٌّ ومنهم أحمدُ المُتخيَّرُ[2]
وحمزةُ والعبّاسُ منهمْ ومنهمُ ... عَقِيلٌ وماءُ العُودِ من حيثُ يُعصَرُ
بهم تُفرَجُ اللَّأْواءُ في كلِّ مأزِقٍ ... عَمَاسٍ إذا ما ضاقَ بالناسِ مَصدَرُ[3]
همُ أَولياءُ الله أنزَلَ حُكمَهُ ... عليهم، وفيهمْ ذا الكِتابُ المُطهَّرُ

وقال كعبُ بن مالكٍ:

نامَ العُيونُ ودمعُ عَينِكَ يَهمُلُ ... سَحّاً كما وَكَفَ الطِّبَابُ المُخضَلُ[4]
في ليلةٍ وَرَدَت عليَّ همومُها ... طَوْراً أَخِنُّ وتارةً أَتمَلمَلُ[5]
واعتادَني حُزنٌ فبِتُّ كأنّني ... ببَناتِ نَعْشٍ والسِّمَاكِ مُوكَّلُ[6]

---

(١) الرِّضام: جمع رَضْمة، وهي الحجارة يتراكم بعضها فوق بعض. والطَّود: الجبل. يَرُوق، أي: يُعجِب.

(٢) البَهاليل: جمع بُهلول، وهو السيد الجامع لكل خير.

(٣) اللّأواء: الشِّدة. والعَمَاس: الشديد المُظلم.

(٤) هَمَلَ الدمع: سال وانهمر. وسحّاً: صبّاً. ووَكَفَ: قَطَرَ. والطِّباب: جمع طِبابة، وهي الجلدة التي تُغطَّى بها الخُرَز في القِربة، فإذا كانت غير مُحكمَة وَكَفَ منها الماء. والمخضل: المرطَّب المبتلّ بالماء.

شبّه دموع عينيه بالماء المنحدر من هذه الجلدة المبتلّة في قِربة الماء.

(٥) أخِنّ: هكذا في أكثر النسخ بالخاء، من الخنين: وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء، وفي (ص) و(ش١): أحِنّ، بالحاء من الحنين. والتململ: التقلّب في المضجع.

(٦) اعتادني، أي: عادَني مرةً بعد مرّة. يريد أنه بات يرعى النجوم طول ليله من الأرق.

وبنات نعشٍ: سبعة نجوم، أربعة منها نعش لأنها مربّعة وثلاثة في ذيلها بنات، شُبِّهت بحَمَلة =

وكأنّما بين الجوانِحِ والحَشَى ... ممّا تأوَّبني شِهابٌ مُدخَلُ[1]

وَجْداً على النَّفَرِ الّذين تتابَعُوا ... يوماً بمُؤتةَ أُسنِدوا لم يُنقَلوا

صَلّى الإلٰهُ عليهِم من فِتْيةٍ ... وسَقَى عِظامَهمُ الغَمامُ المُسبِلُ[2]

صَبَروا بمُؤتةَ للإلٰهِ نُفوسَهمْ ... حَذَرَ الرَّدَى ومَخافةً أن يَنكُلُوا[3]

فمَضَوْا أمامَ المسلمينَ كأنّهمْ ... فُنُقٌ عليهنَّ الحديدُ المُرفَلُ[4]

إذ يَهتَدُون بجعفرٍ ولوائِهِ ... قُدّامَ أوّلِهمْ فنِعمَ الأوّلُ

حتَّى تفرَّجَتِ الصّفوفُ وجعفرٌ ... حيثُ الْتَقَى وَعْثُ الصُّفوفِ مُجدَّلُ[5]

فتغيَّرَ القمرُ المُنِيرُ لفَقْدِه ... والشّمسُ قد كَسَفَت وكادتْ تأفُلُ[6]

قَرْمٌ عَلَا بُنيانُه من هاشمٍ ... فَرْعاً أشَمَّ وسُودَداً ما يُنقَلُ[7]

= النَّعش، وهي ما يسمَّى بكوكبة الدبّ الأكبر، وتشاهد جهة القطب الشمالي.

والسِّماك: نجم نيِّر في النصف الشمالي للكرة الأرضية وهو ألمع نجومها، عملاق أحمر.

(١) الجوانح: عظام أسفل الصدر. وتأوَّبني: أتاني وعادني. والمدخل: النافذ إلى الداخل.

(٢) المُسبِل: الممطر. واستسقاؤهم لأهل القبور استرحامٌ لهم، لأن السَّقي رحمة، وضدّها عذاب. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٦.

(٣) صبروا نفوسهم، أي: حَبَسوها على ما يريدون. ويَنكُلوا، أي: يَجبُنوا ويرجعوا هائبين لعدوّهم.

(٤) الفُنُق: الفحول من الإبل، الواحد: فَنِيقٌ. والمُرفَل: الذي تنجرّ أطرافه على الأرض، يريد أن دروعهم سابغة.

(٥) وَعْث الصفوف: يريد حيث تشتبك الصفوف وتلتحم ببعضها فيصعب الخلاص منها، تشبيهاً بالوَعْث، وهو الرمل الذي تغيب فيه الأرجُل ويشقّ السير فيه. ومجدَّل: مطروح على الجَدَالة، وهي الأرض.

(٦) تأفل، أي: تغيب. والمراد من الكلام تعظيم الحزن والمصاب.

(٧) القرم: السيِّد. والأشمّ: الشامخ. والسُّودَد: الشرف والسيادة. وما يُنقَل، أي: لا يتحول =

قــومٌ بهــم عَصَــمَ الإلٰــهُ عِبــادَه ... وعلــيهمِ نَــزَلَ الكتــابُ المُنــزَلُ

فَضَــلُوا المَعاشــرَ عِــزّةً وتكرُّمــاً ... وتغمَّــدَت أحلامُهــم مَــن يَجهَــلُ [1]

لا يُطلِقــون إلــى السَّــفَاهِ حُبَــاهمُ ... ويُــرَى خطيــبُهُمُ بحَــقٍّ يَفصِــلُ [2]

بِــيضُ الوجــوهِ تَــرَى بُطــونَ أكُفِّهِــمْ ... تَنــدَى إذا اعتَــذَرَ الزّمــانُ المُمحِــلُ [3]

وبهَــدْيِهم رضــيَ الإلٰــهُ لخَلقِــهِ ... وبجِــدِّهم نُصِــرَ النبــيُّ المُرسَــلُ [4]

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي جعفرَ بن أبي طالبٍ [5]:

ولقـد بَكَيـتُ وعَـزَّ مُهلَـكُ جعفـرٍ ... حِـبِّ النبـيِّ علـى البَرِيّـةِ كلِّهـا [6]

ولقد جَزِعتُ وقلتُ حين نُعِيتَ لي ... مَـن للجِـلَادِ لَـدَى العُقـابِ وظِلِّهـا [7]

= ولا يتغير. قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٦٠: ومنهم من رواه: ما يُنفَل، بالفاء، ومعناه: لا يُجحَد.

(١) أي: سَتَرَت عقولُهم جهل الجاهلين ووسعتهم، والأحلام: العقول. وقوله: فَضَلوا المعاشر، أي: تفوَّقوا على سائر الناس.

(٢) السَّفاه والسَّفاهة واحد: وهي الخِفّة والجهالة. والحُبْوة في الأصل: أن يشبّك الإنسان أصابع يديه بعضَها في بعضٍ ويجعلها على ركبتيه إذا جلس، يريد: أنهم لا يشاركون في أمور هي من السفاهة. ويفصل، أي: يَبسُط كلامه ويبيّنه.

(٣) تندى، أي: يقطر بللُها، والكلام على التشبيه، يريد كثرة الجود والعطاء. والمُمحِل: هو الشديد القَحْط.

(٤) الجِدُّ، بكسر الجيم: الاجتهاد في الأمر والصبر عليه، وقُيّد في نسخةٍ بفتحها، ومعناه: الحظّ والعَظَمة، وفي (ش١) و(ش٢): بحَدِّهم، بالحاء، قال أبو ذر الخُشَنيُّ: معناه: بشجاعتهم وإقدامهم.

(٥) انظر «ديوان حسان» ١/ ٣٢٣.

(٦) الحِبّ: المحبوب.

(٧) الجِلَاد: المجالدة والمضاربة بالسيوف وغيرها في الحرب. والعُقاب: هو اسم لراية =

بـالبِيضِ حـين تُسَـلُّ مـن أَغمادِهـا ضـربـاً وإنهـالِ الرِّمـاحِ وعَلِّهـا[1]
بعـدَ ابـنِ فاطمـةَ المُبـارَكِ جعفـرٍ خيـرِ البَرِيّـةِ كلِّهـا، وأجلِّهـا[2]
رُزْءاً، وأكرَمِهـا جميعـاً مَحتِـداً وأعزِّهـا مُتظلِّمـاً، وأذلِّهـا[3]
للحَـقِّ حـين يَنُـوبُ غيـرَ تَنحُّـلٍ كَـذِباً، وأَنـداها يـداً، وأقلِّهـا[4]
فُحْشـاً، وأكثرِهـا إذا مـا يُجتَـدَى فضـلاً، وأَنـداها يـداً، وأبَلِّهـا[5]
بـالعُرفِ، غيـرَ محمَّـدٍ لا مِثلُـهُ حـيٌّ مـن أحيـاءِ البَرِيّـةِ كلِّهـا

وقال حسّانُ بن ثابتٍ في يوم مُؤتةَ يبكي زيدَ بن حارثةَ وعبدَ الله بن رَوَاحةَ:

عَـينِ جُـودِي بـدمعِك المَنـزورِ واذكُـري في الرَّخـاءِ أهـلَ القُبـورِ[6]
واذكُـري مُؤتـةً ومـا كـان فيهـا يـومَ راحُـوا في وَقْعـةِ التَّغـويرِ[7]

= النبيّ ﷺ، وكانت سوداء كما تقدّم عند المصنف ٢/ ٣٠٦.

(١) البِيض: السيوف. والإنهال: الشُّرب في المرّة الأولى، والعَلُّ الشرب الثاني؛ يريد الطعن بعد الطعن.

(٢) فاطمة: هي أم جعفر وعلي بن أبي طالب، وهي فاطمة بنت أَسد بن هاشم، وهي أول هاشميّة ولدت لهاشمي، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتُوفِّيت بها، رضي الله عنها.

(٣) أجلّها رُزءاً: أعظمها مصيبةً. والمَحتِد: الأصل. وأعزّها متظلّماً، أي: إذا أراده أحدٌ بظُلم فهو أعزّ الناس.

(٤) ينوب، أي: يأتي. والتنحُّل: ادّعاء القول كذباً. وأنداها يداً: أكثرها عطاءً وجوداً. وفي هذا البيت في «الديوان»: وأغمرها يداً، وفي البيت التالي: وأبذلها ندًى.

(٥) الاجتداء: طلب الجَدْوى، وهي العطيّة. وأبلّها بالعُرف، أي: أوصلها بالمعروف.

(٦) المنزور: القليل، يريد أنه بكى حتى قلَّ دمعه، فهو يأمر عينه أن تجود بذلك القليل على ما هو عليه.

(٧) في «ديوان حسان» برواية محمد بن حبيب ١/ ٢٩٥: يوم ولَّوا، وكذا في البيت التالي: =

حـين راحـوا وغـادَروا ثَـمَّ زيـداً نِعـمَ مـأوَى الضَّـريكِ والمأسـورِ [1]

حِـبَّ خيـرِ الأنـامِ طُـرّاً جميعـاً سـيِّدِ النـاسِ حُبُّـه في الصُّـدورِ [2]

ذاكُـمُ أحمـدُ الّـذي لا سِـواهُ ذاكَ حُـزْني لـه مَعـاً وسُـرُوري

إنَّ زيـداً قـد كـان منّـا بـأَمرٍ لـيس أمـرَ المُكـذَّبِ المغـرورِ [3]

ثُـمّ جُـودي للخَزْرجـيِّ بـدمعٍ سـيِّداً كـان ثَـمَّ غيـرَ نَـزُورِ [4]

قـد أتانـا مـن قـتلِهِمْ مـا كَفَانـا فبحُـزنٍ نَبيـتُ غيـرَ سُـرورِ

وقال شاعرٌ من المسلمين ممّن رجع من غزوة مُؤتة:

كَفَى حَزَناً أنّي رَجَعتُ وجعفرٌ وزيـدٌ وعبـدُ الله في رَمْـسِ أقبُـرِ [5]

قَضَوْا نَحْبَهم لمَّا مَضَوْا لسَبيلِهم وخُلِّفـتُ للبَلْـوَى مـع المُتَغبِّـرِ [6]

وهذه تسميةُ من استُشهد يوم مُؤْتة

من قُرَيشٍ، ثمّ من بني هاشمٍ: جعفرُ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وزيدُ بن حارثة

= حين ولّوا، مكان: راحوا.

والتغوير: الإسراع، يريد الانهزام، وهو يعيبُ على الجيش انسحابهم من مؤتة.

(١) الضَّريك: الفقير السيّئ الحال. والمأسور من الأسر.

(٢) طُرّاً: جميعاً.

(٣) هذا البيت ليس في رواية ابن حبيبٍ للديوان.

(٤) الخزرجي: هو عبد الله بن رواحة. والنَّزور: القليل العطاء.

(٥) الرَّمْس هنا: القبر الخفيّ، وأصل الرَّمْس: السَّتر والتغطية.

(٦) قضوا نحبَهم، أي: ماتوا. والمتغبِّر: الباقي.

تنبيه: زاد في طبعة السقا وصاحبيه بعد هذا البيت، وليس في شيء من نسخنا الخطية:

ثلاثـةُ رَهـطٍ قُدّمـوا فتَقـدّمـوا إلى وِرد مَكروهٍ من الموتِ أحمرِ

رحمه الله.

ومن بني عَدِيّ بن كعبٍ: مسعودُ بن الأسوَد بن حارثة بن نَضْلة.

ومن بني مالك بن حِسْلٍ: وهبُ بن سعد بن أبي سَرْحٍ.

ومن الأنصار، ثمَّ من بني الحارثِ بن الخَزْرجِ: عبدُ الله بن رَوَاحةَ، وعبَّادُ بن قيسٍ.

ومن بني غَنْمِ بن مالك بن النَّجّارِ: الحارثُ بن النُّعمان بن إسافَ بن نَضْلة بن عبد بن عَوْف بن غَنْمٍ.

ومن بني مازن بن النَّجّارِ: سُرَاقةُ بن عَمْرو بن عَطيَّة بن خَنْساءَ.

قال ابنُ هشامٍ: وممّن استُشهِدَ يومَ مُؤتةَ، فيما ذكرَ ابنُ شِهابٍ:

من بني مازن بن النَّجّارِ: أبو كُلَيبٍ وجابرٌ ابنا عَمْرو بن زيد بن عَوْف بن مَبذُولٍ، وهما لأبٍ وأمٍّ.

ومن بني مالك بن أَفصَى: عَمْرٌو وعامرٌ ابنا سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد ابن عامر بن ثَعْلبة بن مالك بن أَفصَى.

قال ابنُ هشامٍ: ويقال: أبو كِلَابٍ وجابرٌ ابنا عَمْرو.

ذكرُ الأسبابِ المُوجِبةِ المسيرَ إلى مكّة
وذكرُ فتح مكّة
في شهر رمضان سنة ثمانٍ[1]

قـال ابنُ إسحاق[2]: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بعد بَعثِه إلى مُؤْتةَ جُمادَى الآخرةَ ورَجَباً.

ثمّ إنَّ بني بكر بن عبدِ مَناة بن كِنانةَ عَدَت على خُزَاعةَ وهم على ماءٍ لهم بأسفلِ مكّة يقال له: الوَتِيرُ[3].

وكان الّذي هاجَ ما بين بني بكرٍ وخُزَاعةَ: أنّ رجلاً من بني الحَضْرميّ واسمه مالكُ بن عبّادٍ، وحِلفُ الحَضْرميِّ يومَئذٍ إلى الأسوَد بن رَزْنٍ[4]، خرج تاجراً، فلمّا توسَّطَ أرضَ خُزَاعة عَدَوْا عليه فقتلوه وأخذوا مالَه، فعَدَتْ بنو بكرٍ على رجلٍ من خُزَاعة فقتلوه، فعَدَتْ خُزَاعةُ قُبيلَ الإسلام على بني الأسوَد بن رَزْنٍ الدِّيلِيِّ، وهم مَنخِرُ[5] بني كِنانةَ وأشرافُهم: سَلْمى وكُلْثومٌ وذُؤَيبٌ، فقتلوهم بعَرَفة عند أَنصابِ

---

(١) واختُلف في يومَي خروجه ﷺ من المدينة ودخوله مكة على ما سيأتي ص٥٠-٥٢.

(٢) في (غ): وبالسند المتقدم أولاً قال ابن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائيُّ عن محمد ابن إسحاق المُطَّلِبيّ قال.

(٣) وهو موضع معروف جنوب غربيّ مكة على حدود الحرم، يبعد عن مكة ١٦ كيلاً، وهو من ديار خُزاعة قديماً وحاليّاً. قاله البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٣١.

(٤) رزن: يروى هنا بكسر الراء وفتحها، وإسكان الزاي وفتحها، وقيّده الدارقطنيُّ بفتح الراء وإسكان الزاي لا غير. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٦٣.

(٥) في (ت) و(م): مَتجَر، وفي (ص) و(ط) و(ف) و(ي): مَفخَر، والمثبت من (ش١) =

الحَرَم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني رجلٌ من بني الدِّيل قال: كان بنو الأسوَد بن رَزْن يُودَوْنَ في الجاهليّة دِيَتَين دِيَتَين، ونُودَى دِيةً دِيةً، لفَضْلهم فينا.

قال ابن إسحاق: فبَيْنا بنو بكرٍ وخُزَاعةُ على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلامُ وتشاغَلَ النّاسُ به، فلمّا كان صُلْحُ الحُدَيبيَة بين رسول الله ﷺ وبين قريشٍ، كان فيما شَرَطوا لرسول الله ﷺ وشَرَطَ لهم ـ كما حدّثني الزُّهْريُّ، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن المِسوَر ابن مَخرَمةَ ومروانَ بن الحَكَمِ وغيرِهم من عُلمائنا ـ: أنّه من أحَبَّ أن يَدخُلَ في عَقْد رسول الله ﷺ وعَهدِه فليَدخُلْ فيه، ومن أحَبَّ أن يَدخُلَ في عَقْد قُريشٍ وعَهدِهم، فليَدخُلْ فيه، فدَخَلَت بنو بكرٍ في عَقْد قريشٍ، ودَخَلَت خُزَاعةُ في عَقْد رسولِ الله ﷺ[2].

قال ابن إسحاق: فلمّا كانت الهُدْنةُ اغتَنَمَها بنو الدِّيلِ من بني بكرٍ من خُزَاعة، وأرادوا أن يُصيبوا منهم ثأْراً بأُولئك النَّفَر الّذين أصابوا منهم؛ بني الأسوَد بن رَزْن، فخرج نَوفَلُ بن معاويةَ الدِّيلِيُّ في بني الدِّيل وهو يومَئذٍ قائدُهم، وليس كلُّ بني بكرٍ تابَعَه، حتّى بَيَّتَ خُزَاعةَ وهم على الوَتِيرِ، ماءٍ لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتَحاوَزُوا

= و(ش٢) و(غ). وعليه شرح أبو ذرّ الخشنيُّ فقال: يريد بالمَنخِرِ المتقدِّمين، لأن الأَنف هو المقدَّم من الوجه.

(١) أنصاب الحرم: حجارة كبيرة تجُعِلَت علامات بين الحِلّ والحَرَم.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٨٩١٠) ـ في حديث قصة الحديبية الطويل ـ عن يزيد بن هارون، عن ابن إسحاق، به.

وتقدم هذا في صلح الحديبية ٣/ ٤١٥.

واقتَتَلوا، ورَفَدَت[1] بني بكرٍ قُرَيشٌ بالسِّلاح، وقاتَـلَ معهم من قريشٍ مَـن قاتَـلَ بالليـل مُستخفِياً، حتّى حازُوا[2] خُزَاعةَ إلى الحَرَم، فلمّا انتَهَوْا إليه قالت بنو بكرٍ: يا نوفلُ، إنّا قد دخلنا الحَرَمَ، إلٰهَكَ إلٰهَكَ، فقال كَلِمةً عظيمةً: لا إلٰهَ له اليومَ، يا بني بكرٍ أَصِيبوا ثأرَكم، فلَعَمْري إنّكم لتَسرِقون في الحَرَم، أفلا تُصِيبونَ ثأرَكم فيه[3].

وقد أصابوا منهم ليلةَ بَيَّتُوهم بالوَتِيرِ رجلاً يقال له: مُنبِّهٌ، وكان مُنبِّهٌ رجلاً مَفْؤوداً[4]، خرج هو ورجلٌ من قومه يقال له: تَمِيمُ بن أَسدٍ، فقال له مُنبِّهٌ: يا تميمُ، انجُ بنفسِك، فأمّا أنا فوالله إنّي لَميّتٌ قَتَلوني أو تَرَكوني، لقد انبتَّ[5] فُؤادي، وانطَلَقَ تميمٌ فأَفلَتَ، وأدرَكُوا منبِّهاً فقتلوه، فلمّا دَخَلَت خُزاعةُ مكّةَ، لَجَؤُوا إلى دارِ بُدَيل ابن وَرْقاءَ ودارِ مولًى لهم يقال له: رافعٌ.

فقال تميمُ بن أَسدٍ يَعتذِرُ من فِرَارِه عن مُنبِّهٍ[6]:

---

(١) تَحاوَزوا، أي: انحازت كلُّ قبيلة إلى جهة. ورَفَدَت، أي: أعطتهم وأعانتهم.

(٢) حازُوهم، أي: ساقُوهم ودفعوهم.

وذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٤: أنّ ممّن أعان بني بكرٍ ليلتئذٍ من قريش صفوان بن أُمية وحُوَيطِب بن عبد العُزّى ومِكرَز بن حفص بن الأخيَف متنكّرين متنقِّبين.

(٣) ثمّ أسلم نوفل بن معاوية بعد ذلك، وله صُحبة ورواية عن النبي ﷺ، وعُمِّر فوق المئة حتى مات في خلافة يزيد بن معاوية.

(٤) زاد في (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): أي: ضعيف الفؤاد.

قلنا: المفؤود: هو الذي أصابه ألمٌ في فؤاده، أي: قلبه.

(٥) أي: انقطع.

(٦) وذكرها له أيضاً محمد بن حبيب البغدادي في «المحبَّر» ص٤٩٦-٤٩٧، ونسبها أبو سعيد السكّري في «شرح أشعار الهذليين» ٣/ ١٢٤٠ لأبي خِراش الهُذَلي ثم قال: ويُروى لتأبّطَ شرّاً، ونسبها الآمديّ في «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء» ص١١٩ للأعلم الهُذلي.

لمّـا رأيـتُ بنـي نُفَاثـةَ أَقبَلـوا يَغشَـوْنَ كـلَّ وَتِيـرةٍ وحِجـابِ[1]

صَـخراً ورَزْنـاً لا عَرِيـبَ سِـواهمُ يُزْجُـون كـلَّ مُقلِّـصٍ خِنّـابِ[2]

وذكـرتُ ذَحْـلاً عنـدنا مُتقادِمـاً فيما مضى من سالفِ الأَحقابِ[3]

ونَشِيتُ ريحَ الموتِ من تِلقائهمْ ورَهِبـتُ وَقْـعَ مُهنَّـدٍ قَضّـابِ[4]

وعَرَفتُ أنْ مَـن يَثقَفُـوه يَتـرُكوا لحمـاً لمُجرِيَـةٍ وشِـلْوَ غُـرابِ[5]

قَوّمـتُ رِجـلاً لا أخـافُ عِثارَهـا وطَرَحـتُ بـالمَتْنِ العَـراءِ ثيـابي[6]

ونَجَوتُ لا يَنجُو نَجَائي أحقَبٌ عِلْـجٌ أقَـبُّ مُشَـمَّرُ الأقـرابِ[7]

تَلْحَى ولو شَهِدَت لكان نَكِيرُها بَـولاً يَبُـلُّ مَشـافِرَ القَبْقـابِ[8]

---

(١) بنو نُفاثة: بطنٌ من بكر بن عبد مناة. والوتيرة: الأرض الممتدّة، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٦٣: ومن رواه بالثاء المثلَّثة (يعني الوثيرة) فهي الأرض اللَّيِّنة الرَّطْبة، ومنه يقال: فِراشٌ وَثِيرٌ، إذا كان رطباً، والحِجاب هنا: ما اطمأنَّ من الأرض وخفي.

(٢) لا عَرِيب، أي: لا أَحد. ويُزجُون: يسوقون. والمقلِّص: هو الفرس الخفيف المشمِّر. والخِنّاب: الفرس الواسع المَنخِرَين، قال الخشنيُّ: ويروى: خَبّاب، أي: مسرع، من الخَبَب: وهو السُّرعة في السير.

(٣) الذَّحل: طلب الثأر. والأحقاب: السِّنون.

(٤) نَشِيتُ، أي: شممتُ. والمهنَّد القضّاب: السيف القاطع.

(٥) يَثقَفوه، أي: يجدوه ويصادفوه. والمُجرِيَة: اللَّبُؤة معها جِراؤها. والشِّلْو: بقية الجسد.

(٦) المتن: ما ظهر من الأرض وارتفع. والعَراء: الخالي منها لا يخفى فيه شيء كالصحراء.

(٧) نجوت: أسرعت. والأحقب: حمارُ الوحش أبيض المؤخَّر، وهو موضع الحَقِيبة التي يضع فيها المسافر حاجته. والعِلْج: الغليظ. والأقب: الضامر البطن. وقوله: مشمِّر الأقراب، أي: منقبض الخواصر وما يليها، قال الخشنيُّ: ويروى: مقلِّص الأقراب، وهو بمعناه. قلنا: وفي «شعر الهذليِّين»: مسيَّر الأقراب، أي: فيه خطوط، قاله السكّري.

(٨) تَلحَى: تَلُوم. والمَشافر: النواحي والجوانب. والقبقاب: من أسماء الفَرْج؛ يقول: لو =

القـومُ أعلـمُ مـا تَرَكـتُ مُنبِّهـاً ... عن طِيبِ نفسٍ فاسأَلي أَصحابي

قال ابن هشام: وتُروَى لحَبِيب بن عبد الله الأعلَمِ الهُذَليّ.

وبيتُه: وذكرتُ ذَحْلاً عندنا مُتقادِماً، عن أبي عُبيدة، وقولُه: خِنّاب، وعِلجٌ أَقَبُّ مُشمِّرُ الأقرابِ، عنه أيضاً.

قال ابن إسحاق: وقال الأخزَرُ بن لُعْطٍ الدِّيلِيّ فيما كان بين كِنانةَ وخُزَاعةَ في تلك الحرب:

ألا هل أَتى قُصْوَى الأحابيشِ أنّنا ... رَدَدْنـا بنـي كعـبٍ بـأفوَقَ ناصِـلِ[1]

حَبَسْـناهمُ في دارَةِ العبـدِ رافـعٍ ... وعنـد بُـدَيلٍ مَحبِسـاً غيـرَ طائـلِ[2]

بدارِ الذَّليلِ الآخذِ الضَّيمِ بعدَما ... شَفَيْنا النُّفوسَ منهم بالمَناصِلِ[3]

حَبَسْـناهمُ حتّى إذا طـالَ يـومُهمْ ... نَفَحْنا لهـم مـن كـلِّ شِعبٍ بوابِلِ[4]

نُـذبِّحُهم ذبـحَ التُّيـوسِ كأنّنـا ... أُسـودٌ تَبـارَى فـيهمِ بالقَواصِـلِ[5]

= شَهِدَت هذه التي لامَتْه على فراره، لبالت خوفاً من شدّة الموقف.

(١) قُصوى: أبعدُ. والأحابيش: كل من حالف قريشاً ودخل في عهدها من القبائل. وبنو كعب: هم خُزاعة.

والأفوَق: السهم الذي انكسر فُوقُه، وهو طرفه الذي يلي الوَتَرَ. والناصل: الذي زال نصلُه، وهي حديدته التي تكون في رأسه.

يريد بقوله: رددناهم بأفوقَ ناصلٍ: رددناهم خائبين.

(٢) الدارة: الدار.

(٣) الضَّيم: الذل. والمناصل: جمع نَصْل، وهو السيف.

(٤) نفحنا: وسَّعنا. والشِّعب: الموضع المنفرج المطمئن بين جبلين. والوابل: هو المطر الشديد، لكن أراد به هنا دُفْعة الخيل.

(٥) القواصل هنا: الأنياب، من القَصْل: وهو القَطْع.

هـم ظَلَمونـا واعتَـدَوا في مَسيرِهِمْ وكـانوا لَـدَى الأنصـابِ أوّلَ قاتـلِ[1]

كــأنّهمُ بــالجِزْعِ إذ يَطــرُدونَهمْ قَفَا ثَوْرٍ[2] حَفّانُ النَّعـامِ الجوافِـلِ

فأجابه بُدَيلُ بن عبدِ مَناة[3] بن سَلَمة بن عَمْرو بن الأَجَبِّ[4] - وكان يقال له: بُدَيلُ ابن أمِّ أصرَمَ - فقال:

---

(١) الأنصاب: أنصاب الحرم كما تقدم في أول خبرهم، وهي حجارة كبيرة جُعِلَت علامات بين الحِلّ والحَرَم.

(٢) في (ت): قفاتور، وفي (ص) و(م): فعاثور، وفي (ف): قفا ثَور، وكله تحريف.

وفي (غ): بفاثُور، وذهب البَرقيُّ في ظاهر كلامه في شرح هذا البيت - كما قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ٨٢ - إلى أنه اسم موضع ولم يعيّنه.

وأَبعَدَ أبو عبيدٍ البكريُّ الأندلسيُّ النُّجْعةَ فذكر هذا البيت في «معجم ما استعجم» ٣/ ١٠١٢ في رسم (فاثور) الذي هو جبل بالسَّماوة من أرض العراق المتصلة بنجدٍ، وهذا تخليط عجيب وقع فيه، فأين السّماوة من بلاد خُزاعة وبني بكرٍ في الحجاز وتِهامة من حول مكّة!

وما أثبتناه فمن (ش١) و(ش٢) و(ق٢) ونسخة في (م)، وهو الصواب، وهكذا قُيِّد في أصل السهيليّ كما ذكر، على أن ثوراً اسم الجبل المعروف جنوب مكة.

وقُيّدت راؤه في هذا البيت في (ش١) و(ش٢) بالكسر وفي (ق٢) بالفتح، وكلاهما له وجهٌ، وقَفَا ظرفٌ بمعنى: وراء.

والجِزع: ما انعطف من الوادي. وحَفّانُ النَّعام: صغارها، واحده: حَفّانة. والجوافل: الذاهبة المُسرِعة.

(٣) هكذا سمّاه ابن إسحاق، وسمّاه عَبْدانُ المَروَزي وأبو موسى المَديني: عبد مناف - كما وقع في نسخة (ف) - وهو كذلك في «أسد الغابة» ١/ ٢٠٢، و«الإصابة» ١/ ٢٧٤، وبعضهم يسقطه من نسب بديلٍ ويجعل سلمةَ هو أباه، كما في الكتابين المذكورين.

(٤) في (ت) ونسخة على حاشية (ش٢): الأحب، بالحاء، ولابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٩٢: الأخنس.

تَفاقَدَ قومٌ يَفخَرونَ ولم نَدَعْ ... لهم سيِّداً يَندُوهمُ غيرَ نافِلِ[1]
أمِنْ خِيفَةِ القومِ الأُلَى تَزدَرِيهمُ ... تُجِيزُ الوَتِيرَ خائفاً غيرَ آيِلِ[2]
وفي كلِّ يومٍ نحنُ نَحبُو حِباءَنا ... لعَقلٍ ولا يُحبَى لنا في المَعاقِلِ[3]
ونحنُ صَبَحْنا بالتِّلَاعةِ دارَكمْ ... بأسيافِنا يَسبِقنَ لومَ العَواذِلِ[4]
ونحنُ مَنَعْنا بين بَيضٍ وعِتوَدٍ ... إلى خَيفِ رَضْوَى من مَجَرِّ القَنابِلِ[5]

---

(١) تفاقد قوم، أي: فَقَدَ بعضهم بعضاً، وهو دعاءٌ عليهم. ويندوهم: يجمعهم في النّادي، وهو المجلس. ونافل: أراد به نَوفلاً، وهو نوفل بن معاوية الدِّيلي قائد بني بكرٍ يومئذٍ.

(٢) الأُلى هنا بمعنى: الّذين. وتزدريهم: تحتقرهم. وتُجيز، أي: تتعدّاه. والوتير: اسم ماء لخزاعة، وقد سبق التعريف به أول هذا الفصل. وغير آيل: غير راجع.

(٣) نحبو حِباءنا: نعطي عطاءنا. والعقل: الدِّيَة. يريد: أنهم ـ أي: خزاعة ـ كانوا يُكثِرون دفع الدِّيات لكثرة ما يَقتُلون من غيرهم، ولا تُدفَع لهم لقلّة من يُقتَل منهم، ويريد بهذا الفخرَ على بني بكر من كِنانة.

(٤) التِّلاعة: قُيِّد في بعض نسخنا بكسر التاء وأُهمل في بعضها، وهكذا قيّده أيضاً البكري في «معجم ما استعجم» ١/ ٣١٨، وقيّده ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٤٠ بالفتح، وهو وادٍ صغير يقع جنوب مكة على قرابة ٦٠ كم فيما قاله البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٦٣، يشترك فيه بنو هُذيل وبنو كِنانة. ويسبقن، أي: السيوف، لومَ العواذل، أي: لوم اللائمين، يريد قولهم في المثل: سَبَقَ السيفُ العَذْلَ.

(٥) بَيْض وعِتوَد: واديان شمال مدينة جازان في أقصى الجزيرة العربية جنوباً، والخَيف: ما انحدر من الجبل، ورضوى: جبل شمال غربيّ ينبع النخل التي تقع غرب المدينة المنوَّرة على قرابة ١٣٠ كم، وهذه البلاد الشاسعة هي لبني كِنانة وليست لخزاعة، وإنما افتخار بُديل بمنعها وهو خُزاعيٌّ وليس كنانيّاً، أراد به ما كان في الزمن الغابر، أيام كانت خزاعة لها السطوة في مكة ونواحيها قبل أن ينتزعها منهم قُصيُّ بن كلابٍ الكِناني القُرشيّ.

والقنابل: جمع قَنبَلةٍ، وهي القِطعة من الخيل. ومَجَرُّها: يعني جَرّها في الأرض، أي: حيث =

ويـومَ الغَمـيمِ قـد تَكفَّـتَ سـاعياً عُبَـيسٌ فَجَعْنـاهُ بجَلْـدٍ حُلاحِـلِ (١)

أأَنْ أجمَـرَت في بيتِهـا أمُّ بَعضِـكمْ بجُعمُوسِـها تَنـزُونَ أنْ لـم نُقاتِـلِ (٢)

كَـذَبتُمْ وبَيـتِ الله مـا إن قَتلـتُمُ ولكـنْ تَرَكْنـا أمـرَكمْ في بلابِـلِ (٣)

قال ابن هشام: قولُه: غيرَ نافل، وقولُه: إلى خَيفِ رَضْوَى، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وقال حسّانُ بن ثابتٍ في ذلك(٤):

لَحَا اللهُ قوماً لم نَدَعْ من سَرَاتِهمْ لهم أَحداً يَندُوهمُ غيرَ ناقِبِ (٥)

أخُصيَيْ حِمارٍ مات بالأمسِ نَوفلاً متى كنتَ مِفْلاحاً عدوَّ الحَقائبِ (٦)

= تمرّ بها غازيةً مُغيرةً.

(١) الغميم: يريد الموضع المعروف بكُراع الغميم، ويقع شمال غربيّ مكة على قرابة ٦٤كم، وأما يوم الغميم فالظاهر أنه يوم كان بين هذين الحيَّين ـ كِنانة وخُزاعة ـ قبل الإسلام، وعُبيسٌ اسم رجل ولم نتبيّنه. وتكفّت: حادَ عن طريقه واعوجَّ عنه. وفَجَعناه، أي: أصبناه برزيّة. والجَلْد: الرجل القويّ. والحُلاحل: السيِّد.

(٢) أجمرت، أي: بَخَّرَت. والجُعموس: ما يخرجه الإنسان من الغائط. وتنزون: تَقفِزون. وقوله: أن لم نقاتل، يريد: أنه بسبب ما دخلنا فيه من الصلح فلم نقاتلكم، فشعرتم بالطمأنينة وأَغراكم هذا بقتالنا وأُخذنا على حين غِرّةٍ منّا.

(٣) ما إنْ: ما للنّفي، وإنْ زائدةٌ. والبلابل: اختلاط الهمّ ووساوسه، وذلك بسبب ترقّبكم لما سنفعله.

(٤) انفرد ابن هشام بذكر هذين البيتين لحسّان.

(٥) لَحَا اللهُ قوماً، أي: قبّحهم ولعنهم. وسَرَاة القوم: أشرافهم وخيارهم. ويَندُوهم: يجمعهم في النّادي، وهو المجلس. وناقب: رجل، والظاهر أنه من سَفِلة القوم.

(٦) نوفلاً: كأنه يريد نافلةً، والنافلة: ما زاد على الأصل، يعني أنه كان من حواشي الناس =

قال ابن إسحاق: فلمّا تَظاهَرَت بنو بكرٍ وقُرَيشٌ على خُزَاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونَقَضُوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهدِ والميثاقِ بما استَحَلُّوا من خُزَاعة، وكانوا في عَقْدِه وعهدِه، خرج عَمرُو بن سالمٍ الخُزاعيُّ ثمّ أحدُ بني كعبٍ حتّى قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينةَ، وكان ذلك ممّا هاجَ فتحَ مكّة، فوَقَفَ عليه وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهْرِي النّاسِ[1]، فقال:

يا ربِّ إنّي ناشدٌ محمّدا ... حِلفَ أَبينا وأَبيهِ الأَتلَدا[2]

قد كنتمُ وُلْداً وكنّا والدا ... ثُمَّتَ أسلَمْنا فلم نَنزِعْ يدا[3]

فانصُرْ هداكَ الله نصراً أَعتَدا ... وادعُ عِبادَ الله يأتوا مَدَدا[4]

فيهمْ رسولُ الله قد تَجَرَّدا ... إنْ سِيمَ خَسْفاً وجهُه تَرَبَّدا[5]

في فَيلَقٍ كالبحرِ يَجْري مُزبِدا ... إنّ قُرَيشاً أخلَفُوك المَوعِدا[6]

ونَقَضُوا مِيثاقَك المُوكَّدا ... وجَعَلوا لي في كَدَاءٍ رَصَدا[7]

= وليس من المعدودين فيهم. والمِفلاح: من الفلاح، وهو بقاء الخير.

والحقائب: جمع حَقِيبة، وهو ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب على دابّته.

(١) في (غ) و(م): ظَهْرانَي الناس، وكلاهما صحيح، أي: وسطهم.

(٢) ناشدٌ: طالبٌ ومذكِّر. والأتلد: القديم.

(٣) الوُلْد بمعنى الوَلَد، يريد: أن بني عبد مناف أمُّهم من خُزاعة، وكذلك قصيٌّ أمُّه خُزاعيّة.

(٤) أعتَدُ: حاضر، من الشيء العَتِيد: وهو الحاضر. والمَدَد: العَوْن.

(٥) تجرَّد، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٦٧: من رواه بالحاء المهملة فمعناه: غَضِبَ، ومن رواه بالجيم فمعناه: شمَّر وتهيَّأ لحربهم. وسِيمَ، معناه: طُلِب منه وكُلِّف. والخَسْف: الذلّ. وتربَّد: تغيَّر إلى السواد.

(٦) الفيلق: العسكر الكثير. ومُزبِد، أي: علاه الزَّبَد، وهي الرّغوة على وجه الماء.

(٧) كَدَاء: ثَنيّة ـ أي: فُرجة فيها طريق بين جبلين ـ بأعلى مكة شمالاً. والرَّصَد: هو الطالب =

وزَعَموا أن لستُ أدعُو أَحدا   وهُمْ أذلُّ وأقلُّ عَددا

هم بَيَّتُونا بالوَتيرِ هُجَّدا   وقَتَّلونا رُكَّعاً وسُجَّدا[1]

يقول: قُتِلنا وقد أسلَمْنا[2].

قال ابن هشام: ويُروَى أيضاً: فانصُرْ هَدَاكَ الله نصراً أيِّدا[3].

ويُروَى أيضاً: نحنُ وَلَدْناك فكنتَ وَلَدا.

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله ﷺ: «نُصِرتَ يا عَمْرَو بنَ سالمٍ».

ثمّ عَرَضَ لرسول الله ﷺ عَنَانٌ من السماءِ، فقال: «إنَّ هذه السَّحَابةَ لتَستَهِلُّ[4] بنَصْرِ بني كَعبٍ»[5].

= للشيء الذي يَرصُده ويترقَّبه، ويجوز أن يكون رُصَّداً جمع راصدٍ، وهو بمعنى الأول.

(١) الهُجَّد: هم النِّيام، وقد يكون الهُجّد أيضاً المستيقظين، وهو من الأضداد. قاله أبو ذرٍّ الخشنيُّ.

(٢) هكذا قال ابن إسحاق، وللسهيليِّ رأي آخر في معناه، فقد قال في «الروض» ٧/ ٨٤: قوله: ثُمّتَ أسلمنا، هو من السِّلم، لأنهم لم يكونوا آمنوا بعدُ، غير أنّه قال: رُكَّعاً وسُجَّدا، فدلّ على أنه كان فيهم من صلّى لله فقُتِل، والله أعلم.

(٣) أي: قويّاً، وهو من الأَيْد: وهي القوّة، يقال: أيَّده تأييداً، أي: قوّاه.

(٤) العَنَان: السَّحاب. وتستهلّ السحابة، أي: تسيل مطراً، وقاله النبي ﷺ تفاؤلاً واستبشاراً بالنصر.

(٥) هذا الخبر في قصة عمرو بن سالم وإجابة رسول الله ﷺ له بالنُّصرة خبر صحيح.

فقد أسنده عن ابن إسحاق سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٣-٤٨، وإبراهيمُ ابن سعد عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٠٦٠)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «السنن» ٩/ ٢٣٣ وفي «الدلائل» ٥/ ٥-٧، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٥١٩-٥٢٠، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٧٢١-٧٢٢، ثلاثتهم عنه قال: حدّثني الزهري، عن عُروة بن الزبير، عن مروان بن الحكم والمِسوَر بن مَخرَمة. ورجاله ثقات. =

ثمّ خرج بُدَيلُ بن وَرْقاءَ في نَفَرٍ من خُزَاعة حتّى قَدِموا على رسول الله ﷺ المدينةَ، فأخبروه بما أُصِيبَ منهم وبمُظاهَرة[1] قُريشٍ بني بكرٍ عليهم، ثمّ انصَرَفوا راجعينَ إلى مكّة، وقد قال رسولُ الله ﷺ للناس: «كأنَّكم بأبي سُفْيانَ قد جاءَكم ليَشُدَّ العَقْدَ ويزيدَ في المُدَّةِ»[2].

ومضى بُدَيلُ بن وَرْقاءَ وأصحابُه حتّى لَقُوا أبا سفيانَ بن حربٍ بعُسْفانَ[3] قد بَعَثَته قريشٌ إلى رسول الله ﷺ ليَشُدَّ العَقْدَ ويزيدَ في المُدّة، وقد رَهِبوا الّذي صَنَعوا، فلمّا لَقِيَ أبو سفيانَ بُدَيلَ بن ورقاءَ قال: من أين أقبلتَ يا بُدَيلُ؟ وظَنَّ أنه قد أَتى

= وروى أبو يعلى في «مسنده» (٤٣٨٠) عن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ غَضِبَ فيما كان من شأن بني كعبٍ (أي: خُزاعة) غضباً لم أره غضبه منذ زمانٍ، وقال: «لا نَصَرَني اللهُ إن لم أنصُرْ بني كعب». وإسناده محتمل للتحسين.

ورواه الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٩١ بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال: قام رسول الله ﷺ وهو يجرُّ طرف ردائه وهو يقول: «لا نُصِرتُ إن لم أَنصر بني كعبٍ ممّا أنصرُ منه نفسي».

وروى البزار في «مسنده» (٨٠١٣) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة: أن قائل خزاعة قال... وذكر البيتين الأول والثالث من قصيدة عمرو. وحسّن إسناده ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٤٩٢.

لكن رواه ابن أبي شيبة في «مصنَّفه» ١٤/ ٤٧٣ عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرَّحمن بن حاطب مرسلاً، وزادا فيه قصة السحابة.

(١) المظاهَرة: المعاوَنة.

(٢) قد بيَّن البيهقيُّ في «الدلائل» ٥/ ٧ في روايته هذا الخبر عن أبي عبد الله الحاكم بسنده عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق: أن قول النبيّ ﷺ هذا قد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي سلمة مرسلاً، فهو ضعيف لإرساله، فعبد الله بن أبي سلمة ـ وهو الماجِشُون ـ من الطبقة الوسطى من التابعين، وهو ثقة.

(٣) عُسفان: شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

رسولَ الله ﷺ، قال: سَيَّرتُ في خُزاعةَ في هذا السّاحل، وفي بَطْن هذا الوادي، قال: أوَما جئتَ محمّداً؟ قال: لا، فلمّا راحَ بُدَيلٌ إلى مكّة، قال أبو سفيانَ: لئن كان جاءَ المدينةَ لقد عَلَفَ بها النَّوى، فأتى مَبْرَكَ راحلتِه فأَخذ من بَعْرِها ففَتَّه، فرأى فيه النَّوى، فقال: أَحلِفُ بالله لقد جاءَ بُدَيلٌ محمّداً.

ثمّ خرج أبو سفيانَ حتّى قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينةَ، فدخل على ابنتِه أمِّ حَبيبةَ بنتِ أبي سفيانَ، فلمّا ذهبَ ليَجلِسَ على فِرَاشِ رسول الله ﷺ طَوَتْه عنه، فقال: يا بُنَيّةُ، ما أدري أرَغِبتِ بي عن هذا الفِراشِ، أم رَغِبتِ به عنّي؟! قالت: بل هو فِراشُ رسول الله ﷺ، وأنت رجلٌ مُشرِكٌ نَجَسٌ، فلم أُحِبَّ أن تَجلِسَ على فراشِ رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابَكِ يا بُنيَّةُ بعدي شَرٌّ.

ثمّ خرج حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ فكَلَّمَه، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً، ثمّ ذهبَ إلى أبي بكرٍ فكَلَّمَه أن يُكلِّمَ له رسولَ الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعلٍ، ثمّ أَتى عمرَ بن الخَطّاب فكَلَّمَه، فقال: أنا أشفَعُ لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجِدْ إلّا الذَّرَّ[1]، لَجاهَدْتُكم به.

ثمّ خرج فدخل على عليِّ بن أبي طالبٍ وعنده فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ، وعندها حسنُ بن عليٍّ غلامٌ يَدِبُّ[2] بين يَدَيها فقال: يا عليُّ، إنّك أمَسُّ القوم بي رَحِماً، وإنّي قد جئتُ في حاجةٍ، فلا أَرجِعنَّ كما جئتُ خائباً، فاشفَعْ لي إلى رسول الله ﷺ، فقال: وَيحَكَ يا أبا سفيانَ، والله لقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيعُ أن نُكلِّمَه فيه، فالْتَفَتَ إلى فاطمة فقال: يا بنتَ محمّدٍ، هل لكِ أن تأمُري بُنَيَّكِ هذا فيُجِيرَ بين الناس فيكونَ سيِّدَ العربِ إلى آخرِ الدَّهر؟ قالت: والله ما بَلَغَ بُنيِّي ذاكَ

(١) الذَّرّ: صِغار النمل.

(٢) أي: يمشي هُويناً هُويناً.

أن يُجِيرَ بين الناس، وما يُجِيرُ أَحدٌ على رسول الله ﷺ، قال: يا أبا حَسَن، إنّي أَرى الأُمورَ قد اشتَدَّت عليَّ فانصَحْني، قال: والله ما أَعلمُ لك شيئاً يُغْني عنك شيئاً، ولكنّك سيِّدُ بني كِنانةَ، فقُمْ فأَجِرْ بين الناسِ ثمّ الحَقْ بأرضِك، قال: أوَتَرَى ذلك مُغنِياً عنّي شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظُنُّه، ولكنّي لا أَجِدُ لك غيرَ ذلك، فقامَ أبو سفيانَ في المسجد فقال: أيُّها النّاسُ، إنّي قد أَجَرتُ بين النّاس. ثمّ رَكِبَ بعيرَه فانطَلَق.

فلمّا قَدِمَ على قريشٍ قالوا: ما وراءَك؟ قال: جئتُ محمّداً فكَلَّمتُه، فوالله ما رَدَّ عليَّ شيئاً، ثمّ جئتُ ابنَ أبي قُحَافةَ فلم أجِدْ فيه خيراً، ثمّ جئتُ ابنَ الخَطّاب فوَجَدتُه أَدنَى العدوِّ.

قال ابن هشام: أَعدَى العدوِّ.

قال ابن إسحاق: ثمّ أَتيتُ علياً فوَجَدتُه أَلْيَنَ القومِ، وقد أشارَ عليَّ بشيءٍ صَنَعتُه، فوالله ما أدري هل يُغْني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبِمَ أمَرَك؟ قال: أمَرَني أن أُجِيرَ بين النّاس، ففعلتُ، قالوا: فهل أجازَ ذلك[1] محمّدٌ؟ قال: لا، قالوا: وَيلَك، واللهِ إنْ زادَ الرَّجلُ على أن لَعِبَ بك، فما يُغْني عنك ما قلتَ؟! قال: لا والله ما وَجَدتُ غيرَ ذلك[2].

وأَمَرَ رسولُ الله ﷺ بالجَهَازِ وأمَرَ أهلَه أن يُجهِّزوه، فدخل أبو بكرٍ على ابنته عائشة وهي تُحرِّكُ بعضَ جَهازِ رسول الله ﷺ فقال: أي بُنيّةُ، أأمَرَكم رسولُ الله ﷺ

(١) أجازه، أي: قَبِلَ به وأنفَذَه.

(٢) وروى قصة خزاعة وبني بكر وطلب خزاعة النُّصرة من النبي ﷺ وقصة مجيء أبي سفيان إلى المدينة: ابنُ أبي شيبة في «المصنف» ١٨/ ٤٨١، وابنُ زنجويه في «الأموال» (٦٧٥)، بإسناد صحيح إلى عِكرمة مولى ابن عباس، وعكرمة أرسله.

أن تُجهِّزوه؟ قالت: نعم، فتَجَهَّزْ، قال: فأين تَرَينَه يريدُ؟ قالت: لا والله ما أَدري[1].

ثمّ إنَّ رسولَ الله ﷺ أعلَمَ الناسَ أنّه سائرٌ إلى مكّة، وأمَرَهم بالجِدِّ والتّهيُّؤ، وقال: «اللّهمَّ خُذِ العُيونَ والأخبارَ عن قُرَيشٍ حتّى نَبغَتَها[2] في بلادِها»، فتَجهَّزَ الناسُ.

فقال حسّانُ بن ثابتٍ يُحرِّضُ الناسَ، ويَذكُرُ مُصابَ رجال خُزَاعة[3]:

عَنَاني ولم أَشهَدْ ببَطْحاءِ مكّةٍ ... رِجالُ بني كعبٍ تُحَزُّ رِقابُها[4]

بأيدي رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفَهمْ ... وقَتلَى كثيرٌ لم تُجَنَّ ثيابُها[5]

ألا لَيتَ شِعْري هل تَنالَنَّ نُصرَتي ... سُهيلَ بن عَمرٍو حَرُّها[6] وعِقابُها

وصفوانَ عَوْداً حَنَّ من شُفْرِ استِهِ ... فهذا أَوانُ الحربِ شُدَّ عِصابُها[7]

---

(١) أسند هذه الفِقرة في تجهيز عائشة بنحوها يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢، فقال: حدثنا محمد بن جعفر، عن عُروة بن الزبير، عن عائشة. وإسناده صحيح، ومحمد بن جعفر: هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام، ابن أخي عروة.

(٢) أي: حتى نفاجئَها، والبَغْتة: الفَجْأة.

(٣) انظر «ديوان حسان» ١/ ٢٩٦.

(٤) عناني، أي: أهمّني وأحزنني.

(٥) لم تجنَّ ثيابها، أي: لم تُستَر، يريد أنهم قُتلوا ولم يُدفَنوا.

ورواية هذا الشطر في «الديوان»: بحقٍّ وقتلى لم تُجنَّ ثيابها.

(٦) في نسخة على حاشيتي (ش١) و(غ): حربها. وفي «الديوان»: وَخْزها.

(٧) العَوْد: الجمل المُسنّ. وحَنَّ، أي: أصدر صوتاً، من شُفْر استِه، أي: من ناحية دُبره؛ الشُّفْر: الناحية، والاستُ: العَجُز أو الدُّبر.

ولفظ «حنّ» هكذا هو في (ش١) و(ش٢) و(ي)، وفي (ت) و(غ): حُزَّ، أي: قُطع، وفي (ت) و(ش١) و(ش٢): من شعر استه، وسقط هذا البيت من (ص) و(ف) و(ق٢). =

فـــلا تأمَنَنّـــا يـــا ابـــنَ أمِّ مُجالـــدٍ إذا احتُلِبَـت صِـرفاً وأعصَـلَ نابُهـا[1]

ولا تَجزَعُـوا منهـا فـإنّ سـيوفَنا لهـا وَقْعـةٌ بـالموتِ يُفـتَحُ بابُهـا

قال ابن هشام: قولُ حسّان: بأيدي رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفَهم؛ يعني قُريشاً، وابنُ أمِّ مُجالدٍ؛ يعني عِكْرمةَ بن أبي جهلٍ[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير وغيرِه من عُلَمائنا، قالوا: لمّا أَجمَعَ رسولُ الله ﷺ السَّيرَ إلى مكّة، كَتَبَ حاطبُ بن أبي بَلْتَعةَ كتاباً إلى قُرَيشٍ يخبـرُهم بالّذي أَجمَعَ عليه رسولُ الله ﷺ من الأمر في السَّير إليهم، ثمّ أعطاه امرأةً ـ زَعَمَ محمّدُ بن جعفرٍ[3] أنّها من مُزَينةَ، وزَعَمَ لي غيرُه أنّها سارَةُ مولاةٌ لبعض بني عبد المُطَّلِب ـ وجَعَلَ لها جُعْلاً[4] على أن تُبلِّغَه قُريشاً، فجَعَلَته في رأسها ثمّ فَتَلَت عليه قُرونَها[5] ثمّ خرجت به، وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماءِ بما صَنَعَ حاطبٌ، فبَعَثَ عليَّ بن أبي طالبٍ والزُّبيرَ بن العوّامِ فقال: «أَدرِكا امرأةً قد كَتَبَ معها حاطِبٌ بكتابٍ إلى قُرَيشٍ، يُحذِّرُهم ما قد أَجمَعْنا له في أَمرِهم».

= والعِصاب: كالعِصابة، وهو ما عُصِبَ به الرأس وغيره، أي: شُدَّ به.

(١) الصِّرْف: اللبن الخالص هنا. وأعصل: اعوجَّ، والعَصَل: الاعوجاج الشديد.

(٢) وأمُّه أمُّ مجالد بنت يربوع من بني هلال بن عامر بن صعصعة كما في «الطبقات» لابن سعد ٦/ ٨٥.

(٣) وهو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوّام، ثقة عالم.

(٤) أي: أُجرة. ونقل ابن حجر في «فتح الباري» ٢٢/ ٢٦٨ عن «تفسير مقاتل بن حيّان»: أن حاطباً أعطاها عشرة دنانير وكَسَاها بُرْداً.

(٥) أي: ضفائر شعرها.

فخَرَجَا حتّى أدرَكَاها بالخَلِيقةِ ـ خَلِيقةِ[1] بني أبي أحمد ـ فاستَنزَلاها، فالْتَمَسا في رَحْلِها فلم يَجِدا شيئاً، فقال لها عليُّ بن أبي طالب: إنّي أَحلِفُ بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ﷺ ولا كَذَبنا، ولتُخرِجِنَّ لنا هذا الكتابَ أو لنَكشِفنَّكِ، فلمّا رأَت الجِدَّ منه قالت: أَعرِضْ، فأَعرَضَ، فحَلَّتْ قُرونَ رأسها فاستَخرَجَت الكتابَ منها فدَفَعَته إليه، فأَتى به رسولَ الله ﷺ.

---

(١) هكذا قُيِّد بفتح أوله وبقاف فيهما في كلٍّ من النسخ (ص) و(غ) و(ق٢) و(م) و(ي)، وفي (ت) و(ش١) و(ش٢) و(ف): حُليفة، وفي نسخة على حاشية (ش٢): خُليفة، وكلاهما تصحيف.

وقيّده ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٣٨٧ كما أثبتنا، وقال: هو منزل على اثني عشر ميلاً من المدينة بينها وبين ديار سُليم.

قلنا: وأما أبو أحمد المنسوبة هذه الخَليقة إلى بنيه: فهو أبو أحمد بن جحش الأسديّ الأعمى أخو أمِّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنهما، ابنا عمّة النبي ﷺ، وهو من أوائل من هاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ، وكان لآله من بعده في هذا الموضع مزارع ونخل وقصور كما في «معجم ما استعجم» للبكريّ ٤/ ١٣٢٨، فنُسبت إليهم.

وقد ذكر عليٌّ في حديثه في قصة حاطبٍ هذه، فيما أخرجه أحمد (٦٠٠) و(٨٢٧) والبخاري (٣٠٠٧) و(٣٩٨٣) و(٤٨٩٠) ومسلم (٢٤٩٤) وغيرهم من حديثَي عبيد الله بن أبي رافع وأبي عبد الرَّحمن السُّلَميّ عنه: أن النبيَّ ﷺ قال له وللزبير ومعهما المِقدادُ بن الأسود ـ وذكر السلميُّ في حديثه مكان المقدادِ أبا مَرثَد الغنويَّ ـ: «انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنّ بها ظَعِينةً ومعها كتاب، فخُذوه منها».

فسُمّي المكانُ في حديث عليٍّ عن النبي ﷺ روضةَ خاخ، ولا تعارضَ إن شاء الله، فإن الخليقة هذه التي عُرِفَت بعد العهد النبوي بخليقة بني أبي أحمد، أرضٌ قريبة من روضة خاخ فيما أشار إليه السمهوديّ في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ٤/ ٦٦، وتقع روضة خاخ هذه جنوب المدينة المنوَّرة على قرابة ٢٠ كم.

فدعا رسولُ الله ﷺ حاطباً، فقال: «يا حاطبُ، ما حَمَلَكَ على هذا؟» فقال: يا رسولَ الله، أمَا والله إنّي لَمُؤمنٌ باللهِ ورسولِه، ما غَيَّرتُ ولا بَدَّلتُ، ولكنّي كنت امرَأً ليس لي في القوم من أصلٍ ولا عَشِيرة[1]، وكان لي بين أظهُرِهم ولدٌ وأهلٌ، فصانَعتُهم عليهم[2]، فقال عمرُ بن الخَطّاب: يا رسولَ الله، دَعْني فلأضرِبْ عُنُقَه، فإنّ الرّجلَ قد نافَقَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «وما يُدرِيك يا عمرُ، لَعَلَّ اللهَ قدِ اطَّلَعَ إلى أصحابِ بدرٍ يومَ بدرٍ فقال: اعمَلُوا ما شِئتُم، فقد غَفَرتُ لكم».

فأنزَلَ الله في حاطبٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] إلى آخر القِصّة[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن

---

(١) فهو لخميٌّ كان حليفاً في بني أَسد بن عبد العزَّى بن قُصيّ.

(٢) وفي حديث ابن أبي رافع عن عليٍّ: فقال رسول الله ﷺ: «لقد صَدَقكم»، زاد السلميُّ في حديثه: «ولا تقولوا له إلا خيراً».

(٣) هذا خبر مرسلٌ صحيح، يشهد له حديث عليٍّ في «الصحيحين» وغيرهما كما سبق.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٥٦١-٥٦٢، و«تاريخه» ٣/ ٤٨-٤٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه عن عُروة أيضاً الزهريُّ فيما أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، والطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٥٦٣ من طريق معمر عن الزهريّ.

وكون سبب نزول أوائل سورة الممتحنة في قصة حاطبٍ هذه ذُكر أيضاً مُدرَجاً في حديث عبيد الله بن أبي رافع عن عليٍّ، وبُيِّن في روايةٍ عند البخاري (٤٨٩٠) أنه مُدرج من قول عمرو ابن دينارٍ راوي حديث ابن أبي رافع. وانظر «فتح الباري» ١٤/ ٣٩١-٣٩٢.

عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ، عن عبد الله بن عبّاسٍ قال: ثمّ مَضَى رسولُ الله ﷺ لسَفَرِه، واستَخلَفَ على المدينة أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بن حُصَين بن عُتْبة بن خَلَفٍ الغِفاريَّ[1]، وخرج لعَشْرٍ مَضَينَ من شهر رمضان، فصامَ رسولُ الله ﷺ وصامَ النّاسُ معه، حتّى إذا كان بالكَدِيدِ بين عُسْفانَ وأَمَجٍ[2] أفطَرَ[3].

---

(١) وذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٥، والبلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٣٦٤: أنه استخلف ابنَ أم مكتوم. وأبو رُهْم أصحّ.

(٢) أَمَج ـ ويسمّى اليوم خُليص ـ شمال عُسفان، والمسافة بينهما ٣٠ كم تقريباً، وعُسفان ما زال معروفاً، وهو شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

وأما الكَديد: فأرض تُعرف اليوم باسم الحَمْض، لكثرة نبات العصلاء فيها، على ٩٠ كم من مكة. وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص٢٦٣.

(٣) إسناده صحيح على إدراجٍ فيه.

وأخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٨، وأحمد (٢٣٩٢) و(٢٨٨٢)، والطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٩-٥٠، والطبراني في «الكبير» (٧٢٦٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٩-٢٠ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

والمُدرَج فيه قوله: خرج لعشرٍ مَضَينَ من شهر رمضان، فقد ذكر البيهقي: أنه من قول ابن إسحاق مدرجاً في الحديث؛ ثم ساق قولَ ابن إسحاق هذا وحده من رواية صدقة ـ وهو ابن سابق ـ عنه.

وممّا يؤيّد إدراجه: أنه قد روى هذا الخبرَ عن الزهريِّ دون ذكر تأريخ يوم خروجه ﷺ من المدينة، غيرُ واحدٍ من أصحابه الثقات فيما أخرجه أحمد (١٨٩٢) و(٣٠٨٩) و(٣٢٥٨)، والبخاري (١٩٤٤) و(٢٩٥٣) و(٤٢٧٥) و(٤٢٧٦)، ومسلم (١١١٣)، وابن حبان (٣٥٥٥) و(٣٥٦٣) وغيرهم.

وممّا يؤيّد ذلك أيضاً: أنه قد رُوي عن الزهري ما يخالفه، فقد وقع في رواية معمرٍ ـ وهو أروى الناس عن الزهريِّ ـ عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٨) ومسلم (١١١٣) والبيهقي ٥/ ٢٢، =

= وفي رواية عبيد الله بن أبي زياد الرُّصافي عند أبي عوانة في «صحيحه» (٧٤٠٥)، كلاهما عن الزهري قال: صبَّح رسول الله ﷺ مكةَ لثلاث عشرة ليلةً خَلَت (أي: مَضَت) من رمضان.

ورواه كذلك محمدُ بن أبي حفصة عن الزهري عند أحمد (٢٥٠٠)، والحاكم (٤٤٠٦)، والبيهقي ٥/ ٢٣، إلا أنه جعله من روايته عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس. وهو وهمٌ من ابن أبي حفصة، قال البيهقيُّ: هذا الإدراج وهمٌ، وإنما هو من قول الزهري.

قلنا: فلو كان خرج من المدينة لعشرٍ مَضَينَ من الشهر كما وقع في رواية ابن إسحاق، فإنه من الاستحالة أن يصبّح مكةَ بعد ثلاثٍ كما وقع في كلام الزهري، فالمسافة بينهما لا تُقطَع في أقلَّ من عشرة أيام لقافلةٍ أو جيشٍ بهذه الكثرة التي كان بها جيش الفتح.

وقد خالف يونسُ بن يزيد الأيليُّ عن الزهري عند البيهقي ٥/ ٢٣، فروى عنه قال: افتتَح مكة لثلاث عشرة بَقِيَت من رمضان. قلنا: فعلى هذا يكون الفتح في ست عشرة أو سبع عشرة منه، لكن هذه الرواية عن الزهري شاذّة.

والقول الأول عنه ـ وهو أنّ الفتح كان لثلاث عشرة مضت من رمضان ـ يؤيّده ما صحَّ في حديث قَزَعة بن يحيى عن أبي سعيد الخُدْريّ ـ فيما أخرجه أحمد (١١٨٢٦) وابن حبان (٤٧٤٢) ـ قال: أمَرَنا رسول الله ﷺ بالرَّحيل عام الفتح في ليلتين خَلَتا من رمضان.

وهذا بنحو ما وقع في رواية عُقيل بن خالد عن الزهريِّ من التردُّد في وقت خروج النبي ﷺ من المدينة حيث قال ـ فيما أخرجه أبو زُرعة الدمشقي في «تاريخه» ١/ ١٦٦ والبيهقي ٥/ ٢١ ـ: لا أدري أخرج في ليالٍ من شعبان فاستقبل رمضان، أو خرج في رمضان بعدما دخل؟!

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٤٩٦: وحديث أبي سعيد يدفع هذا التردُّد ويعيِّن يوم الخروج، وقولُ الزهري (يعني في كون الفتح لثلاث عشرة) يعيِّن يوم الدخول، ويُعطِي أنّه أقام في الطريق اثني عشر يوماً. اهـ

لكن روى عبد الله بن إدريس كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٢٤ عن ابن إسحاق عن ابن شهاب الزهري ومحمد بن علي بن الحسين وعاصم بن عمر بن قَتَادة وعمرو بن شعيب وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا: كان فتحُ مكّة في عشرٍ بَقِيَت من شهر رمضان سنة ثمان! وهذا يعني أنه كان عندهم في تسع عشرة أو عشرين من رمضان. =

قال ابن إسحاق[1]: ثمّ مضى حتّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْران[2] في عَشَرةِ آلافٍ من المسلمين فسَبَّعَت سُلَيمٌ، وبعضُهم يقول: ألَّفَت[3] سُلَيمٌ، وألَّفَت مُزَينةُ، وفي كلّ القبائل عددٌ

= وهذا يتوافق مع ما ذكره الواقديُّ في «المغازي» ٢/ ٨٠١، وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٥: أن النبيّ ﷺ خرج يوم الأربعاء لعشرٍ خَلَونَ من رمضان بعد العصر ـ وهذا موافق لقول ابن إسحاق الذي أدرجه في حديث ابن عباس ـ وأنه دخل مكةَ يوم الجمعة لعشرٍ بَقِينَ من رمضان كما في «المغازي» ٣/ ٨٨٩ و«الطبقات» ٢/ ١٢٧.

ويتلخّص ممّا سبق قولان في يوم الفتح: الأول: أن يكون في ثلاثَ عشرةَ من رمضان، والثاني: أن يكون في تسعَ عشرةَ منه، وهذا القول الثاني هو الأشهر عند أهل التواريخ والسِّيَر، والله تعالى أعلم.

(١) هذا وما بعده موصول بالإسناد السابق كما في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٤٩-٥٠، ومحمد بن سلمة عنه عند الطبراني في «الكبير» (٧٢٦٤)، وكذا يونس بن بكير عند الحاكم (٤٤٠٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٧، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ١٤٥. وهو صحيح.

وتابع ابنَ إسحاق في هذا الحديث مطوّلاً جعفرُ بن بُرْقان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس، أخرجه الطبراني (٧٢٦٥) من طريق يونس بن بكيرٍ عنه.

ولابـن إسحاق فيه إسناد آخر، فقد رواه عنه سلمة بن الفضل أيضاً عند الطبري ٣/ ٥٠ عن العباس بن عبد الله بن مَعبَد بن العباس بن عبد المطّلب عن ابن عباس. والعباس هذا ثقة من أتباع التابعين، إلا أن روايته عن عمِّ أبيه عبدِ الله بن عباس مرسلة، فإنه لم يدركه.

ويشهد لبعضه مرسلُ عروة بن الزبير عند البخاري في «صحيحه» برقم (٤٢٨٠)، وفيه قصة خروج أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يلتمسون الخبر، وحبس العباس لأبي سفيان حتى رأى الكتائب تمرّ كتيبة كتيبة.

(٢) هو وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ شمال غرب مكة على قرابة ٢٢ كم، ويسمَّى اليوم وادي فاطمة.

(٣) سبَّعَت سليم، أي: كانت سبع مئة مقاتل، وألَّفَت، أي: كانت ألفاً.

وإسلامٌ، وأَوعَبَ[1] مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصارُ، فلم يَتَخلَّفْ عنه منهم أحدٌ، فلمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهرانِ وقد عُمِّيَت الأخبارُ عن قُريشٍ فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعلٌ، وخرج في تلك اللَّيالي أبو سفيانَ ابن حربٍ وحَكِيمُ بن حِزامٍ وبُدَيلُ بن وَرْقاءَ يَتَحسَّسُون الأخبارَ ويَنظُرون هل يَجِدُون خبراً أو يسمعون به، وقد كان العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب لَقِيَ رسولَ الله ﷺ ببعض الطَّريق.

قال ابن هشام: لَقِيَه بالجُحْفة[2] مُهاجِراً بعِيَالِه، وقد كان قبلَ ذلك مُقِيماً بمكّة على سِقَايتِه ورسولُ الله ﷺ عنه راضٍ فيما ذكرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ.

قال ابن إسحاق[3]: وقد كان أبو سفيانَ بن الحارثِ بن عبد المُطَّلِب وعبدُ الله ابن أبي أُميّة بن المغيرةِ قد لَقِيَا رسولَ الله ﷺ أيضاً بنِيقِ العُقَابِ[4] فيما بين مكّة والمدينة، فالْتَمَسا الدُّخولَ عليه، فكَلَّمَته أمُّ سَلَمة فيهما، فقالت: يا رسولَ الله، ابنُ عمِّك وابنُ عمَّتِك وصِهْرُك[5]! قال: «لا حاجَةَ لي بهما، أمَّا ابنُ عَمِّي فهَتَكَ عِرضي،

(١) أي: خرجوا بأجمعهم لم يبق منهم أحدٌ.

(٢) وهي عن مكة قرابة ١٦٠ كم، وعن المدينة قرابة ٢٠٠ كم.

(٣) هو موصول بالإسناد السابق كما تقدّم، وهو صحيح.

(٤) موضع قرب الجُحفة فيما قاله ياقوت في «معجمه» ٥/ ٣٣٣.

وقال البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٢٠: لا يُعرَف هذا الموضع اليوم، وخاصة على الجادّة. يعني على الطريق بين مكة والمدينة.

(٥) ابن عمّ النبي ﷺ هو أبو سفيان بن الحارث، وكان في شركه يهجو النبيَّ ﷺ بقصائد، وحسانُ بن ثابت يردُّ عليه هجاءَه. انظر حديثَي عائشة في «صحيح مسلم» (٢٤٨٩) و(٢٤٩٠).

وأما ابن عمّته وصهره، فهو عبد الله بن أبي أُمية، وهو أخو أم سلمة لأبيها، وأمُّه عاتكة بنت عبد المطّلب عمّة النبي ﷺ. وانظر قوله المشار إليه فيما تقدم ١/ ٣٤٥.

وأمَّا ابنُ عَمَّتي وصِهْري، فهو الَّذي قالَ لي بمكّةَ ما قالَ». قال: فلمّا خرج الخبرُ إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنيٌّ له فقال: والله لَيأذَنَنَّ لي أو لآخُذَنَّ بيد بُنيِّي هذا، ثمّ لنَذهَبَنَّ في الأرض حتّى نموتَ عَطَشاً وجُوعاً، فلمّا بَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ رَقَّ لهما، ثمّ أَذِنَ لهما فدَخَلا عليه فأَسلَما.

وأنشَدَه أبو سفيانَ قولَه في إسلامه واعتَذَرَ إليه عمّا كان مضى منه، فقال:

لَعَمـرُكَ إنّـي يـومَ أحمِـلُ رايـةً ... لتَغلِـبَ خيـلُ اللّاتِ خيـلَ محمّـدِ[1]

لَكالمُـدْلِجِ الحَيـرانِ أظلَـمَ ليلُـهُ ... فهـذا أَواني حـين أُهـدَى وأَهتَـدي[2]

هَـدَاني هـادٍ غيـرُ نفسـي ونـالَني ... مـع الله مَـن طَـرَّدتُ كـلَّ مُطـرَّدِ

أَصُـدُّ وأَنـأَى جاهـداً عـن محمّـدٍ ... وأُدعَى ـ وإنْ لم أنتَسِبْ ـ من محمّـدِ[3]

هُـمُ مـا هـمُ مَـن لـم يَقُـلْ بهَـواهُمُ ... وإن كـان ذا رأيٍ يُلَـمْ ويُفنَّـدِ[4]

أُريـدُ لأُرضِـيَهِمْ ولسـتُ بلائـطٍ ... مع القومِ ما لم أُهدَ في كلِّ مَقعَدِ[5]

فقـل لثَقيـفٍ لا أُريـدُ قِتالَهـا ... وقـل لثَقيـفٍ تلك غَيـرِيَ أَوعِـدي[6]

---

(١) أحمل راية: يعني في الحرب. واللّات: بيتٌ لثقيفٍ بالطائف كانوا يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة. وخيل اللات: يعني جيوش الكفر.

(٢) المُدلِج: الذي يسير بالليل.

(٣) أنأى: أُبعِد. وقوله: وأُدعى... إلخ، يعني لشبهه به، وكان أبو سفيان يُشبَّه بالنبي ﷺ، وكان يأتي الشام، فكان إذا رُئِيَ قيل: هذا ابن عمِّ ذاك الصابئ، لشبهه به. روى ذلك ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٤٧ عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب.

(٤) قوله: هم ما هم، يريد أشياخ قريش وكبراءها المشركين. ويُفنَّد: يُلام ويكذَّب.

(٥) قوله: ولست بلائط مع القوم، أي: لست مُلصَقاً فيهم، يعني أنه ذو نسب حُرّ.

(٦) أَوعدي: هدِّدي.

فما كنتُ في الجيشِ الّذي نالَ عامراً ... وما كان عن جَرَّى لساني ولا يدي[١]

قبائلُ جاءَت من بلادٍ بعيدةٍ ... نَزائعُ جاءَت من سَهَامٍ وسُردَدِ[٢]

قال ابن هشام: ويُروَى: ودَلَّني على الحقِّ مَن طَرَّدتُ كلَّ مُطرَّدِ.

قال ابن إسحاق: فزَعَموا أنّه حين أنشَدَ رسولَ الله ﷺ قولَه: ونالَني مع الله مَن طَرَّدتُ كلَّ مُطرَّدِ، ضرب رسولُ الله ﷺ في صَدْرِه وقال: «أنتَ طَرَّدتَني كُلَّ مُطرَّدٍ؟!»[٣].

فلمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرانِ، قال العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب[٤]: قلت: واصَبَاحَ قُرَيشٍ، والله لئِنْ دخل رسولُ الله ﷺ مكّةَ عَنْوةً قبلَ أن يأتُوه فيَستأمِنُوه، إنّه لَهلاكُ قُريشٍ إلى آخرِ الدَّهر، قال: فجَلَستُ على بغلةِ رسول الله ﷺ البيضاءِ فخَرَجتُ عليها، قال: حتّى جئتُ الأَرَاكَ[٥]، فقلت: لَعلِّي أَجِدُ بعضَ الحَطّابة، أو

(١) عن جرَّى، أي: من جرّاء، يعني من أجل لساني... والمراد بعامر: بنو عامر بن صعصعة من هوازن، حلفاء ثقيف.

(٢) نزائع، أي: غرائب. وسَهام وسُردد: واديان في اليمن غربَ صنعاء. وكأنه يشير هنا إلى قبائل الأوس والخزرج، فهي قبائل يمانيَةٌ.

تنبيه: الأبيات الثلاث الأخيرة ليس هذا موضعها، فظاهرها يشير إلى أنها قِيلَت بعد غزوة حُنين وما وقع لهوازنَ فيها من القتل والهزيمة.

(٣) هذا الخبر لم يسنده ابن إسحاق، ولم نقف عليه مسنداً عند غيره، فهو ضعيف لا يصحّ، والله تعالى أعلم.

(٤) حديث العباس هذا موصول بالإسناد السابق من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، وتقدَّم تخريجه، وهو صحيح.

(٥) لعله يقصد موضعاً يكثر فيه شجر الأراك، وقد تقدّم في قصة هلاك الوليد بن المغيرة ٢/ ٢٨ قولُ ابن إسحاق: كانت الظَّهرانُ وأَراكةُ منازلَ بني كعب بن عمرو من خُزَاعة؛ فالظاهر =

صاحبَ لَبَنٍ، أو ذا حاجةٍ يأتي مكّةَ فيُخبِرَهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيَستأمِنُوه قبلَ أن يدخُلَها عليهم عَنْوةً.

قال: فوالله إنّي لأَسِيرُ عليها وأَلتَمِسُ ما خرجتُ له، إذ سمعتُ كلامَ أبي سفيانَ وبُدَيلِ بن وَرْقاءَ وهما يَتَراجَعانِ، وأبو سفيانَ يقول: ما رأيتُ كاللّيلةِ نيراناً قَطُّ ولا عَسكَراً، قال: يقول بُدَيل: هذه والله خُزَاعةُ حَمَشَتْها[1] الحربُ، قال: يقول أبو سفيانَ: خُزَاعةُ أذَلُّ وأقَلُّ من أن تكون هذه نيرانَها وعسكرَها، قال: فعَرَفتُ صوتَه، فقلت: يا أبا حَنظَلة، فعَرَفَ صوتي، فقال: أبو الفَضْل؟ قال: قلت: نَعَم، قال: ما لك فِدَاكَ أَبي وأُمّي؟ قال: قلت: وَيحَك يا أبا سفيانَ، هذا رسولُ الله ﷺ في الناس، واصَبَاحَ قُرَيشٍ واللهِ، قال: فما الحِيلةُ فِدَاكَ أَبي وأُمّي؟ قال: قلت: والله لئِنْ ظَفِرَ بك لَيَضرِبَنَّ عُنُقَك، فاركَبْ في عَجُزِ هذه البغلةِ حتّى آتيَ بك رسولَ الله ﷺ فأستأمِنَه لك.

قال: فرَكِبَ خَلْفي ورَجَعَ صاحباهُ[2]، قال: فجئتُ به كلَّما مَرَرتُ بنارٍ من نِيرانِ المسلمين قالوا: مَن هذا؟ فإذا رَأَوا بغلةَ رسولِ الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عَمُّ رسولِ الله على بَغلتِه، حتّى مَرَرتُ بنارِ عمرَ بن الخَطّاب فقال: مَن هذا؟ وقامَ إليَّ، فلمّا رأى أبا سفيانَ على عَجُزِ الدّابّة قال: أبو سفيانَ عَدوُّ الله، الحمدُ لله الّذي أَمكَنَ منك بغير عَقْدٍ ولا عَهْدٍ، ثمّ خرج يَشتَدُّ نحوَ رسول الله ﷺ، ورَكَضتُ البغلةَ فسَبَقَتْه بما تَسبِقُ الدّابّةُ البَطيئةُ الرَّجلَ البَطيءَ.

= أنه المراد.

(١) حَمَشَتها الحرب: معناه: أحرَقَتها وهيَّجَتها، ومن قال: حَمَسَتها بالسين المهملة، فمعناه: اشتدَّت عليها، وهو مأخوذٌ من الحَمَاسة: وهي الشدة والشجاعة.

(٢) يريد بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام.

قال: فاقتَحَمتُ عن البغلةِ[1] فدَخَلتُ على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمرُ فقال: يا رسولَ الله، هذا أبو سفيانَ قد أمكَنَ الله منه بغير عَقدٍ ولا عَهدٍ، فدَعْني فلأضرِبْ عُنُقَه، قال: قلت: يا رسولَ الله، إنّي قد أَجَرْتُه، ثمّ جَلَستُ إلى رسول الله ﷺ فأَخذتُ برأسِه فقلت: والله لا يُناجِيهِ اللّيلةَ دوني رجلٌ، فلمّا أكثرَ عمرُ في شَأْنِه، قال: قلت: مَهْلاً يا عمرُ، فوالله أنْ لو كان من رجالِ بني عَدِيٍّ بن كعبٍ ما قلتَ هذا، ولكنّك قد عَرَفتَ أنّه من رجالِ بني عبد مَنافٍ! فقال: مَهْلاً يا عبّاسُ، فوالله لَإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلامِ الخَطّابِ لو أسلمَ، وما بي إلّا أنّي قد عَرَفتُ أنّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلامِ الخَطّابِ لو أسلمَ، فقال رسول الله ﷺ: «اذهَبْ به يا عبّاسُ إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبَحْتَ فأْتِني به».

قال: فذهبتُ به إلى رَحْلي فباتَ عندي، فلمّا أصبَحتُ غَدَوتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: «وَيحَكَ يا أبا سفيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لكَ[2] أنْ تَعلَمَ أنّه لا إلٰهَ إلّا اللهُ؟!» قال: بأَبي أنت وأُمّي ما أَحلَمَك وأَكرَمَك وأَوصَلَك، والله لقد ظَنَنتُ أنْ لو كان مع الله إلٰهٌ[3] غيرُه لقد أَغنَى شيئاً بعدُ، قال: «وَيحَكَ يا أبا سفيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لك أنْ تَعلَمَ أنّي رسولُ الله؟!» قال: بأَبي أنت وأُمّي، ما أحلَمَك وأكرَمَك وأَوصَلَك، أمّا والله هذه فإنَّ في النَّفسِ منها حتّى الآنَ شيئاً، فقال له العبّاسُ: وَيحَكَ أسلِمْ واشهَدْ أن لا إلٰهَ إلّا الله وأنّ محمّداً رسولُ الله، قبلَ أن تُضرَبَ عُنُقُك، قال: فشَهِدَ شهادةَ الحقِّ فأسلَمَ.

قال العبّاسُ: قلت: يا رسولَ الله، إنّ أبا سفيانَ رجلٌ يُحِبُّ هذا الفَخْرَ، فاجعَل

---

(١) أي: قفزتُ عنها وهي تمشي.

(٢) أي: ألم يَحِنْ لك، يقال: آنَ الشيءُ يَئِينُ، وأَنَى يَأْنِي، وأَنِيَ يَأْنَى، كلُّه بمعنًى واحد.

(٣) لفظ «إله» من (ش١) و(ش٢) و(غ)، ولم يرد في بقية النسخ.

له شيئاً، قال: «نَعَم، مَن دَخَلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومَن أغلَقَ بابَه فهو آمِنٌ، ومَن دخل المسجِدَ فهو آمنٌ»، فلمّا ذَهَبَ ليَنصَرِفَ قال رسولُ الله ﷺ: «يا عبَّاسُ، احبِسْهُ بمَضِيقِ الوادي عند خَطْمِ الجبلِ[1] حتَّى تَمُرَّ به جنودُ اللهِ فيَرَاها»، قال: فخرجتُ حتّى حَبَستُه بمَضِيقِ الوادي، حيثُ أمَرَني رسولُ الله ﷺ أن أَحبِسَه.

قال: ومَرَّت القبائلُ على راياتِها، كلَّما مَرَّت قبيلةٌ قال: يا عبّاسُ، مَن هذه؟ فأقول: سُلَيمٌ، فيقول: ما لي ولسُلَيمٍ، ثمّ تَمُرُّ القبيلةُ فيقول: يا عبّاسُ، مَن هؤلاءِ؟ فأقول: مُزَينةُ، فيقول: ما لي ولمُزَينةَ، حتّى نَفِدَت القبائلُ، ما تَمُرُّ قبيلةٌ إلّا سألني عنها، فإذا أخبَرتُه بهم قال: ما لي ولبَنِي فُلانٍ، حتّى مَرَّ رسولُ الله ﷺ في كَتِيبتِه الخَضْراءِ.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لها: الخضراءُ، لكَثْرة الحديد وظُهورِه فيها[2]، قال الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليَشكُريّ[3]:

---

(١) خطم الجبل: أنف الجبل، وهو ما خرج منه ونَتَأ من بعض حجارته يَضِيق معه الطريق، ووقع في مرسل عُروة بن الزبير في «صحيح البخاري» (٤٢٨٠) لأكثر رواة «الصحيح»: عند حَطْم الخَيْل.

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» ١/ ٤٠٤ معلِّقاً على هذه الرواية: إن صحَّت الروايةُ به ولم يكن تحريفاً من الكَتَبة، فيكون معناه ـ والله أعلم ـ أنّه يحبسه في الموضع المُتضايِق الذي تتحطَّم فيه الخيلُ، أي: يَدُوس بعضُها بعضاً، ويَزحَمُ بعضُها بعضاً، فيراها جميعَها وتَكثُر في عينه بمرورها في ذلك الموضع الضيِّق، وكذلك أراد بحبسه عند خَطْم الجَبَل ... فإن الأنف النادر من الجبل يُضيِّق الموضعَ الذي يَخرُج فيه.

(٢) وذلك لكثرة لابسي الدُّروع والخُوَذ فيها.

(٣) انظر «ديوانه» ص٣٤.

وهو في هذا البيت وغيره من قصيدته يعدِّد مآثرَ قومه بني يَشكُر بن بكر بن وائلٍ عند عمرو =

ثمّ حُجْراً أَعْني ابنَ أمِّ قَطَامٍ ... ولـه فارِسـيّةٌ خَضـراءُ[1]

يعني الكَتِيبةَ، وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال حسّانُ بن ثابتٍ:

لمّا رأى بدراً تَسِيلُ جِلاهُهُ ... بكَتيبةٍ خَضْراءَ من بَلخَزْرجِ

وهذا البيت في أبياتٍ له قد كتبناها في أشعارِ يوم بدرٍ[2].

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصارُ لا يُرَى منهم إلّا الحَدَقُ من الحديد فقال: سُبْحانَ الله يا عبّاسُ، مَن هؤلاءِ؟ قال: قلت: هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحدٍ بهؤلاءِ قِبَلٌ ولا طاقةٌ، والله يا أبا الفضل لقد أصبَحَ مُلْكُ ابنِ أخيك الغَدَاةَ عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنّها النُّبوَّةُ، قال: فنَعَم إذاً.

قال: قلت: النَّجاءَ[3] إلى قومك، حتّى إذا جاءَهم صَرَخَ بأعلى صوته: يا مَعشَرَ قُرَيش، هذا محمّدٌ قد جاءَكم فيما لا قِبَلَ لكم به، فمَن دخل دارَ أبي سفيانَ، فهو آمنٌ، فقامت إليه هِندٌ بنتُ عُتْبةَ فأخَذَت بشاربه فقالت: اقتُلوا الحَميتَ الدَّسِمَ الأحمسَ[4]، قُبِّحَ من طَليعةِ[1] قومٍ! قال: وَيلَكم لا تَغُرَّنَّكم هذه من أنفُسِكم، فإنّه

= ابن المنذر المعروف بعمرو ابن هندٍ ـ وهي أمّه ـ ملك الحِيرة، وكان حُجْر المذكور ـ وهو من كِنْدة ـ غزا أباه المنذرَ ابنَ ماء السماء بجمعٍ من كندة، فخرجت إليه بكرُ بن وائل فردَّته وهزمت جموعه. انظر «المعاني الكبير» لابن قتيبة ٢/ ٩٤٣.

(١) يعني كتيبة عليها سلاح من عمل فارس، خضراء من كثرة السلاح من الحديد.

(٢) فيما تقدم ٢/ ٤٧٤. والجِلاه: ما استقبلك من أطراف الوادي، الواحدة: جَلْهة.

(٣) النَّجاء: السُّرعة.

(٤) الحَمِيت: زِقّ السَّمن، والدَّسِم: الكثير الشّحم، والأحمس هنا: الشديد اللّحم، شبَّهته بالزِّق لضخامته وسِمَنه.

قد جاءَكم ما لا قِبَلَ لكم به، مَن دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمنٌ، قالوا: قاتَلَك الله، وما تُغْني عنّا دارُك، قال ومَن أغلَقَ عليه بابَه فهو آمنٌ، ومَن دخل المسجدَ فهو آمنٌ، فتفرَّقَ النّاسُ إلى دُورِهم وإلى المسجد.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ رسول الله ﷺ لمّا انتَهى إلى ذي طُوًى(٢)، وَقَفَ على راحلته مُعتجِراً بشُقّةِ بُرْدٍ حِبَرةٍ(٣) حَمْراءَ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ ليَضَعُ رأسَه تواضُعاً لله حين رأى ما أكرَمَه اللهُ به من الفَتْح، حتّى إنّ عُثْنونَه لَيَكادُ يَمَسُّ واسطةَ(٤) الرَّحْلِ(٥).

---

(١) الطليعة: الذي يتقدّم العسكر ليطّلع على أمر العدوّ.

(٢) وهو وادٍ من أودية مكة في شمالها، كلُّه معمور اليوم، فيه عدّة أحياءَ من أحياء مكة.

(٣) الاعتجار: التعمّم بغير ذُؤابة. والشُّقة: النِّصف. والبُرد: الشَّملة، والحِبَرة: مخطَّطة، وهي بردٌ يمانيَةٌ.

(٤) في (ت) و(ص) و(م) و(ي): وسط. وهو خطأ، فإن واسطة الرَّحل: هي مقدَّمته الطويلة التي تحاذي صدر الراكب.

والرَّحل: ما يركب عليه راكب البعير كالسَّرج للفرس. والعُثنون: اللِّحية.

(٥) حسنٌ لغيره غير ذكر لون العمامة بأنها حمراء، فإنه منكرٌ لمخالفته ما صحَّ أنها كانت سوداء كما سيأتي، وهذا إسناد ضعيف لإرساله، عبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وهو ثقة من صغار التابعين.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» برواية نعيم بن حماد (١٩٤) عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر وابن أبي نَجِيح ويحيى بن عبّاد، مرسلاً. ورواية هؤلاء يشدّ بعضها بعضاً، وليس فيها ذكرٌ للون العمامة.

وقد روي نحوه من حديث أبي هريرة عند الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٨٢٣-٨٢٤، وفيه ذكر لون العمامة أنها كانت سوداء. والواقدي متكلَّم فيه.

لكن قد صحَّ فيما أخرجه أحمد (١٤٩٠٤)، ومسلم (١٣٥٨)، وغيرهما من حديث جابر =

إسلام أبي قُحَافة يوم الفتح

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن جَدَّته أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ قالت: لمّا وَقَفَ رسولُ الله ﷺ بذي طُوًى قال أبو قُحَافة لابنةٍ له من أصغر ولده: أيْ بُنَيّةُ، اظهَرِي بي على أبي قُبَيسٍ[1]، قالت: وقد كُفَّ بَصَرُه، قالت: فأَشرَفتُ به عليه، فقال: أي بُنَيّةُ، ماذا تَرَينَ؟ قالت: أَرى سواداً مُجتمِعاً، قال: تلك الخيلُ، قالت: وأَرى رجلاً يَسعَى بين يَدَيْ ذلك السَّواد مُقبِلاً ومُدبِراً، قال: أي بُنَيّةُ، ذلك الوازعُ - يعني الذي يأمُرُ الخيلَ ويَتقدَّم إليها[2] - ثمّ قالت: قد واللهِ انتَشَرَ السّوادُ، قالت: فقال: قد والله إذاً دُفِعَت الخيلُ، فأَسرِعي بي إلى بيتي، فانحَطَّت به، وتَلقَّاه الخيلُ قبل أن يَصِلَ إلى بيته، قالت: وفي عُنُقِ الجارية طَوقٌ من وَرِقٍ[3] فتَلقّاها رجلٌ فيَقطَعُه من عُنُقِها.

= ابن عبد الله: أن النبي ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامةٌ سوداءُ.

ومثله أخرج ابن ماجه (٣٥٨٦) من حديث ابن عمر. لكن في إسناده ضعفٌ.

وأما في تواضعه ﷺ ذلك اليوم، فقد أخرج الحاكم (٤٤١٣) من حديث أنس بن مالك قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذَقَنُه على رَحْله متخشِّعاً. وفي إسناده ضعفٌ.

فائدة: كان رسول الله ﷺ في ذلك اليوم يقرأ على ناقته سورة الفتح، أخرج البخاري (٤٢٨١) ومسلم (٧٩٤) من حديث عبد الله بن مغفَّل قال: رأيت رسول الله ﷺ يومَ فتح مكة على ناقتِه وهو يقرأ سورةَ الفتح يُرجِّعُ. والترجيع: ترديد القارئِ الحرفَ في الحَلْق.

(١) اظهَري بي، أي: اصعدي وارتفعي بي. وأبو قُبيس: جبل معروف بمكّة يشرف على المسجد الحرام من الشرق من جهة الصَّفا.

(٢) فهو الذي يرتّب الجيش ويصفّه، ويحبس أوّله على آخره، فكأنه يَكفُّهم عن التفرق والانتشار.

(٣) الطوق: القلادة، والوَرِق: الفضة.

قالت: فلمّا دخل رسولُ الله ﷺ مكّةَ ودخل المسجدَ، أَتى أبو بكرٍ بأبيه يَقُودُه، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: «هَلَّا تَركتَ الشَّيخَ في بيتِه حتَّى أكونَ أنا آتِيهِ فيه» قال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، هو أحقُّ أن يَمشِيَ إليك من أن تَمشِيَ إليه أنتَ، قالت: فأجلَسَه بين يديهِ ثمّ مَسَحَ صَدْرَه ثمّ قال له: «أَسلِمْ»، فأسلَمَ، قالت: فدخل به أبو بكرٍ وكأنّ رأسَه ثَغَامةٌ[1]، فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا هذا من شَعَرِه».

ثمّ قامَ أبو بكرٍ فأَخذَ بيد أُخته، وقال: أَنشُدُ اللهَ والإسلامَ[2] طَوقَ أُختي، فلم يُجِبْه أَحدٌ، قالت: فقال: أيْ أُخَيّةُ، احتَسِبي طَوقَكِ، فوالله إنّ الأمانةَ في النّاسِ اليومَ لقليلٌ[3].

---

(١) الثَّغَامة: واحدة الثَّغام، وهو من نبات الجبال، وأشدّ ما يكون بياضاً إذا يَبِسَ، يشبّهونَ به الشيب.

ويشهد لقصة أمر النبيِّ ﷺ بتغيير شيب أبي قُحافة عند إسلامه حديثُ جابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٦٤١)، ومسلم (٢١٠٢).

وحديث أنس بن مالك عند أحمد (١٢٦٣٥)، وابن حبان (٥٤٧٢)، وزاد فيه: «وجنِّبوه السوادَ». وإسناده صحيح.

(٢) أي: أسألُ بالله وبحقّ الإسلام.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٩٥٦)، وابن حبان (٧٢٠٨)، والحاكم (٤٤١١) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وقول أبي بكر الصِّدّيق: إن الأمانة في الناس اليوم لقليل، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٦/ ٥٥١: يعني ذلك اليومَ على التعيين، لأن الجيش فيه كَثْرة ولا يكادُ أحدٌ يَلْوي على أحدٍ مع انتشار الناس، ولعلَّ الذي أخذه تأوّل أنه من حربيٍّ، والله أعلم.

قلنا: أو أنه لم يسمع نِشدةَ أبي بكرٍ أو لم تبلغه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيحٍ: أنّ رسول الله ﷺ حين فرّق جيشَه من ذي طُوًى، أمَرَ الزُّبَيرَ بن العَوّام أن يَدخُلَ في بعضِ الناس من كُدًى، وكان الزُّبيرُ على المُجنِّبة اليُسرى، وأمَرَ سعدَ بنَ عُبادةَ أن يَدخُلَ في بعضِ الناس من كَدَاءٍ[1].

قال ابن إسحاق: فزَعَمَ بعضُ أهلِ العلم: أنّ سعداً حين وَجَّهَ داخلاً قال: اليومُ يومُ المَلحَمة، اليومَ تُستَحلُّ الحُرُمَة، فسمعها رجلٌ من المهاجرين ـ قال ابن هشام: هو عمرُ بن الخَطّاب[2] ـ فقال: يا رسول الله، اسمَعْ ما قال سعدُ بن عُبادة، ما نأمَنُ

(١) خبر عبد الله بن أبي نجيح صحيح بالجُملة، ومع إعضالِه لكون عبد الله بن أبي نجيح من أتباع التابعين، فإنه يشهدُ لأبعاضه أحاديثُ موصولة تقوّيه، لكن ما جاء في خبره هذا من أن الزبير بن العوّام دخل من كُدًى مخالف لما ثبت من أنه كان يحمل راية رسول الله ﷺ وأنه أمره أن يركزها بالحَجُون كما وقع في حديث عروة بن الزبير عند البخاري (٤٢٨٠)، ممّا يعني أنه دخل مكةَ من جهة كَدَاءٍ.

وكَدَاءٌ: هي ثنيّة ـ أي: فُرجة فيها طريق بين جبلين ـ بأعلى مكة شمالاً، وتعرف اليوم برِيع الحَجُون، وتُفضي إلى مقبرة أهل مكة المَعلاة.

وقد صحَّ من حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ دخل مكةَ يوم الفتح من كَدَاءٍ، فيما أخرجه البخاري (١٥٧٧-١٥٨٠) و(٤٢٩٠) ومسلم (١٢٥٨).

وعليه فيكون سعد بن عبادة هو الذي أُمر أن يدخلها من كُدًى.

وكُدًى: في جهة الغرب من مكة بانحرافٍ إلى الجنوب، وكانت تعرف إلى زمن قريب برِيع الرَّسّام، ثم أُزيلَت في توسعة المسجد الحرام.

ويشهد لخبره في كون إحدى مجنِّبَتي الجيش كان عليها الزبير والأخرى كان عليها خالدٌ كما سيأتي عنه لاحقاً، حديثُ أبي هريرة عند أحمد (١٠٩٤٨) ومسلم (١٧٨٠)، وسيأتي: أن النبيَّ ﷺ أمر خالداً أن يدخل مكة من أسفلها.

(٢) استبعد ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٥٠٥ قولَ ابن هشام هذا، لأن عمر كان معروفاً بشدّة =

أن يكون له في قُريشٍ صَوْلةٌ[1]، فقال رسول الله ﷺ لعليِّ بن أبي طالبٍ: «أدرِكْه فخُذِ الرَّايةَ منه، فكُنْ أنتَ الّذي تَدخُلُ بها»[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ في حديثه: أنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ خالدَ بن الوليدِ فدخل من اللِّيطِ أسفلَ مكّة[3] في بعض الناس، وكان خالدٌ على

= البأس عليهم.

ووقع عند الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٨٢١-٨٢٢: أن قائل ذلك من المهاجرين عبدُ الرَّحمن بن عوف وعثمانُ بن عفان.

وفي حديث عروة بن الزبير عند البخاري (٤٢٨٠): أن سعد بن عبادة قال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحلّ الكعبة، فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعدُ بن عبادة؟ قال: «ما قالَ؟» قال: قال كذا وكذا، فقال: «كذب سعدٌ، ولكن هذا يومٌ يُعظِّم الله فيه الكعبة، ويومٌ تُكسَى فيه الكعبة».

(١) أي: بطشٌ وشِدّة.

(٢) هذا خبر مُعضَل لم يسنده ابنُ إسحاق، وخالفه سعيد بن يحيى الأُمويُّ فروى في «مغازيه» - كما في «الفتح» لابن حجر ١٢/ ٥٠٥ -: أن النبي ﷺ لمّا أرسل إلى سعدٍ فأخذ الراية منه دفعها إلى ابنه قيسٍ. كذا قال ولم يسنده أيضاً.

وروى البزار في «مسنده» (٧٣١٦) من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ مكةَ كان قيسٌ في مقدّمته، فكلَّم سعدٌ النبيَّ ﷺ أن يَصرِفَه عن الموضع الذي هو فيه، مخافةَ أن يُقدِمَ على شيءٍ، فصَرَفَه عن ذاك.

وجزم موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٤٤: أن رسول الله ﷺ أرسل إلى سعد بن عبادة فعزله عن الأنصار، وجعل الزُّبيرَ مكانه على الأنصار مع المهاجرين.

فالله أعلم أي ذلك كان، غير أنّ جميعهم قد اتفقوا على أن النبيَّ ﷺ قد أخذ الرايةَ من سعدٍ لمّا بَدَرَت منه تلك المقولة.

(٣) من جهة الغرب، وهو في الغالب السهل الذي ينتهي إليه سيل وادي طُوى كما قال عاتق =

المُجنِّبة اليُمنى، وفيها أسلَمُ وسُلَيمٌ وغِفارٌ ومُزَينةُ وجُهَينةُ، وقبائلُ من قبائلِ العرب، وأقبَلَ أبو عُبيدةَ بن الجَرّاح بالصَّفِّ من المسلمين[1] يَنصَبُّ لمكّةَ بين يَدَيْ رسول الله ﷺ، ودخل رسولُ الله ﷺ من أَذاخِرَ[2] حتّى نزلَ بأعلى مكّة، وضُرِبَت هنالك قُبّتُه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُالله بن أبي نَجيحٍ وعبدُالله بن أبي بكرٍ: أنّ صفوانَ ابن أُميّة وعِكْرمةَ بن أبي جهلٍ وسُهيلَ بن عمرٍو كانوا قد جَمَعُوا ناساً بالخَندَمةِ[3] ليُقاتِلوا، وقد كان حِمَاسُ بن قيس بن خالدٍ أخو بني بكرٍ يُعِدُّ سلاحاً قبلَ دخول رسول الله ﷺ ويُصلِحُ منه، فقالت له امرأتُه: لماذا تُعِدُّ ما أَرى؟ قال: لمحمّدٍ وأصحابِه، قالت: والله ما أُراه يقومُ لمحمّدٍ وأصحابِه شيءٌ، قال: والله إنّي لَأرجو أن أُخدِمَك بعضَهم، ثمّ قال:

= البِلاديُّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٧٤، وهو اليوم أحد أحياء مكة الغربيّة، ويُسمّى حيّ الطَّنْدُباوي.

(١) أراد بالصَّفِّ هنا الرَّجّالةَ، كما وقع في رواية عند مسلم (١٧٨٠)(٨٦) في حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ جعل خالد بن الوليد على المجنِّبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنِّبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البيَاذِقة.

والبياذقة: هم الرَّجّالة، وهو فارسيٌّ معرَّب.

وفي رواية أخرى في هذا الحديث عند أحمد (١٠٩٤٨)، ومسلم (١٧٨٠)(٨٤)، وابن حبان (٤٧٦٠): أنه بعث أبا عبيدة على الحُسَّر. والحُسَّر: جمع حاسرٍ، وهو الذي لا درعَ عليه ولا مِغفرَ.

(٢) وهو جبل شمال مكّة يتّصل بالحَجُون من شرقيّه.

(٣) الخندمة: سلسلة جبال مكة الشرقية، حيث تبدأ من أبي قُبيس وتنتهي باتجاه الجنوب بما يُسمّى حيّ العزيزية اليوم، وفي هذه السلسلة اليوم أحياء كثيرة من مكة.

إنْ يُقبِلوا اليومَ فما لي عِلَّهْ هـذا سِلاحٌ كامـلٌ وأَلَّـهْ[1]

وذو غِـرارَينِ سَـريعُ السِّـلَّهْ[2]

ثمّ شَهِدَ الخَندَمةَ مع صفوانَ وسُهيلٍ وعِكْرمة، فلمّا لَقِيَهم المسلمون من أصحاب خالدِ بن الوليد، ناوَشُوهم شيئاً من قتالٍ فقُتِلَ كُرْزُ بن جابرٍ أحدُ بني مُحارِب بن فِهْرٍ، وخُنَيسُ[3] بن خالد بن رَبيعة بن أَصرَمَ حليفُ بني مُنقِذ، وكانا في خيل خالد ابن الوليد، فشَذَّا عنه فسَلَكا طريقاً غيرَ طريقِه، فقُتِلا جميعاً، قُتِلَ خُنَيسُ بن خالد قبل كُرْز بن جابرٍ فجعله كُرْزُ بن جابرٍ بين رِجلَيه، ثمّ قاتَلَ عنه حتّى قُتِلَ وهو يَرتجِزُ ويقول:

قد عَلِمَت صَفْراءُ من بني فِهرْ نَقيّـةُ الوجـهِ نَقيّـةُ الصَّـدرْ

لَأضرِبَنَّ اليومَ عن أبي صَخِرْ

وكان خُنَيسٌ يُكنَى أبا صَخْرٍ[4].

---

(١) الألّة: الحَرْبة لها سِنان طويل.

(٢) ذو غِرارين، أي: سيف ذو حدَّين.

و السِّلّة: بكسر السين هو الرواية، يريد الحالة من سَلِّ السيف، ومن أراد المصدر فَتَح. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٠٣.

(٣) قال السهيليُّ ٧/ ١٠١-١٠٢: لم يختلفوا عن ابن إسحاق أنه خُنَيس، بالخاء المنقوطة والنون، وأكثرُ من ألَّف في المُؤتلِف والمُختلِف يقول: الصواب فيه: حُبَيش، بالحاء المهملة والباء والشين المنقوطة، وكذلك في حاشية الشيخ عن أبي الوليد: أن الصواب فيه حُبَيش. اهـ، ويعني بالشيخِ أبا بحرٍ الأسَديّ الأندلسيّ في نسخته من «السيرة»، وبأبي الوليدِ الوَقَّشِيِّ الذي ضبط «السيرة» في بلاد الأندلس.

(٤) قوله: وكان خنيس يكنى أبا صخر، جُعل في طبعة السقا وصاحبيه من قول ابن هشام، وليس في النسخ ما يشير إلى ذلك، بل هو من تتمة كلام ابن إسحاق.

قال ابن هشام: خُنَيسُ بن خالدٍ من خُزَاعة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ وعبدُ الله بن أبي بكرٍ قالا: وأُصِيبَ من جُهَينةَ سَلَمةُ بن المَيْلاءِ من خيل خالد، وأُصِيبَ من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثني عَشَرَ أو ثلاثةَ عَشَرَ ثمّ انهَزَموا[1].

فخرج حِماسٌ مُنهزِماً حتّى دخل بيتَه ثمّ قال لامرأته: أَغلِقي عليَّ بابي، قالت: فأين ما كنتَ تقولُ؟!

فقال:

إنّكِ لو شَهِدْتِ يومَ الخَندَمَهْ ... إذ فَرَّ صفوانُ وفَرَّ عِكرِمَهْ

وأبو يزيدَ قائمٌ كالمُوتَمَهْ ... واستَقبَلَتهمْ بالسُّيوفِ المُسلِمَهْ[2]

---

(١) ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٢٥: أن عدّة من قُتل يومئذٍ من المشركين أربعة وعشرون من قريش، وأربعةٌ من هُذيل.

(٢) المُؤتَمة، وقد تُكسَر التاء، وتُسهَّل الهمزة: هي التي مات عنها زوجها وترك لها أيتاماً. قال أبو سعيد السكّريُّ في «شرح أشعار الهذليِّين» ٢/ ٧٨٨: المُوتَمة: أم الأيتام.

وأبو يزيد: هو سهيل بن عمرو.

قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٠٣-١٠٤: وقال ابن إسحاق في غير هذه الرواية (يعني رواية ابن هشام عن البكّائي عنه): المُوتِمة: الأُسطوانة، وهو تفسير غريب، وهو أصحُّ من التفسير الأول، لأنه تفسير راوي الحديث، فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ المُوتِمة من قولهم: وَتَمَ وأَتَمَ: إذا ثَبَتَ، لأن الأُسطوانة تثبت ما عليها، ويقال فيها على هذا: مُؤتِمة بالهمز، وتُجمَع: مآتم، ومُوتِمة بلا همز، وتجمع: مَواتِم.

قلنا: بل المعنى الذي ذكره أبو سعيد السكريُّ - ولم يذكر الخشنيُّ في «مختصره» ص٣٧٠ غيرَه - أَوجهُ، إذ يريد به الراجزُ بيانَ حال سهيل بن عمرو من التشتُّت وقِلّة الحيلة ذلك اليوم وقد أُحيط بهم، لا أنه كان ثابتاً غيرَ متزعزعٍ، والله تعالى أعلم.

يَقطَعْـنَ كـلَّ سـاعِدٍ وجُمجُمَـهْ ضـرباً فـلا تسـمعُ إلّا غَمغَمَـهْ[1]

لهـمْ نَهِيـتٌ خَلْفَنـا وهَمهَمَـهْ لـم تَنطِقـي في اللَّـومِ أَدنـى كَلِمَـهْ[2]

قال ابن هشام: أنشدني بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر قولَه: كالمُوتَمَهْ، وتُروَى للرَّعّاشِ الهُذَليِّ[3].

وكان شِعارُ أصحابِ رسول الله ﷺ يومَ فتحِ مكّة وحُنَينٍ والطّائفِ؛ شعارُ المهاجرين: يا بني عبد الرَّحمن، وشعارُ الخَزْرج: يا بني عَبد الله، وشعارُ الأَوس: يا بني عُبَيد الله.

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ قد عَهِدَ إلى أُمرائه من المسلمين حين أمَرَهم أن يَدخُلوا مكّةَ: أن لا يُقاتِلوا إلّا مَن قاتَلَهم، إلّا أنّه قد عَهِدَ في نَفَرٍ سمّاهم أمَرَ بقتلِهم وإن وُجِدوا تحت أستارِ الكعبة[4].

---

(١) الغمغمة: أصوات غير مفهومة لاختلاطها.

(٢) النَّهيت: صوت الصدر، وأكثر ما يوصف به الأسد. والهمهمة: صوت في الصدر أيضاً.

(٣) هكذا وقع لابن هشام: الرَّعّاش الهذلي، وسمّاه أبو سعيد السُّكّري في «شرح أشعار الهذليِّين» ٢/ ٧٨٧ أبا الرَّعّاس، بكنيةٍ وسين مهملة، وذكر من خبره: أنه أقبل يوم فتح مكة يريد نصر قريش وبني بكر ويطلب الغنائم، وقال لامرأته: آتيك بخادم وأُحلّيك من غنائم أصحاب محمد، فلم يفجأه إلا أصحاب النبي ﷺ يطردون المشركين، فأقبل فارّاً حتى قدم على أهله، فلامته امرأته وعيّرته، فقال هذه الأبيات معتذراً.

(٤) أسند هذا يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٦١-٦٢ قال: حدثنا أبو عُبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر وعبد الله بن أبي بكر بن حَزْم: أن رسول الله ﷺ حين دخل مكةَ وفرّق جيوشه أمَرَهم أن لا يقتلوا أحداً إلّا مَن قاتَلَهم إلّا نفراً قد سمّاهم رسول الله ﷺ، فقال: «اقتلوهم وإن وَجَدتُموهم تحت أستار الكعبة». وأبو عبيدة وابن حزم من جملة الثقات وابن حزم أوثق الرجلين، وحديثهما هذا مرسلٌ، فهما من صغار التابعين. =

منهم ابنُ سعدٍ[1] أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

وإنّما أمَرَ رسولُ الله ﷺ بقتلِه، لأنّه قد كان أسلَمَ، وكان يكتبُ لرسول الله ﷺ الوحيَ، فارتَدَّ مشركاً راجعاً إلى قُريشٍ[2].

ففَرَّ إلى عثمانَ بن عَفّان، وكان أخاه للرَّضَاعة، فغَيَّبَه حتّى أَتى به رسولَ الله ﷺ بعدَ أن اطمأنَّ النّاسُ وأهلُ مكّة، فاستأمَنَ له، فزَعَمُوا: أنّ رسولَ الله ﷺ صَمَتَ طويلاً، ثمّ قال: «نعم»، فلمّا انصَرَفَ عنه عثمانُ، قال رسولُ الله ﷺ لمن حولَه من أصحابه: «لقد صَمَتُّ ليَقُومَ إليه بعضُكم فيَضرِبَ عُنُقَه»، فقال رجلٌ من الأنصار: فهَلّا أَومَأتَ إليَّ يا رسولَ الله، قال: «إنَّ النبيَّ لا يَقتُلُ بالإشارَةِ»[3].

= لكنه مرسلٌ صحيح يشهد له حديث سعد بن أبي وقّاص عند أبي داود (٢٦٨٣)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠٦٧) و«الكبرى» (٣٥١٦)، والحاكم (٢٣٦٠)، قال: لمّا كان يومُ فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناسَ إلا أربعة نفرٍ وامرأتين، وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلّقين بأستار الكعبة»، وسمّاهم. وإسناده حسن.

ونحوه حديث سعيد بن يربوع المخزوميّ - وهو من مُسلِمة الفتح - عند أبي داود (٢٦٨٤) بإسنادٍ محتمل للتحسين في المتابعات والشواهد.

ومرسل أبي سلمة بن عبد الرَّحمن ويحيى بن عبد الرَّحمن بن حاطبٍ عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٤٧٥.

وانظر «فتح الباري» لابن حجر ٦/ ١٦٨-١٦٩.

(١) هو عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح العامريّ.

(٢) أخرج أبو داود (٤٣٥٩)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠٦٩) وفي «الكبرى» (٣٥١٨)، والحاكم (٣٤٠١) و(٤٤٠٩) من حديث ابن عبّاس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزلّه الشيطانُ فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقتَل يوم الفتح، فاستجار له عثمانُ بن عفّان، فأجاره رسولُ الله ﷺ. وإسناده قويّ.

(٣) هذا الخبر بنحوه في حديث سعد بن أبي وقّاص فيما أخرجه أبو داود (٢٦٨٣) =

قال ابن هشام: ثمّ أسلمَ بعدُ فوَلَّاهُ عمرُ بن الخطّاب بعضَ أعماله، ثمّ وَلَّاهُ عثمانُ ابن عفّانَ بعدَ عمر[1].

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن خَطَلٍ رجلٌ من بني تَيْمِ بن غالبٍ، وإنّما أمَرَ بقتله أنّه كان مسلماً، فبَعَثَه رسولُ الله ﷺ مُصدِّقاً[2]، وبَعَثَ معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولًى له يَخدُمُه وكان مسلماً، فنَزَلَ مَنزِلاً وأمَرَ المولى أن يَذبَحَ له تَيْساً فيصنعَ له طعاماً، فنامَ فاستَيقَظَ ولم يَصنَعْ له شيئاً، فعَدَا عليه فقتله، ثمّ ارتَدَّ مشركاً[3].

وكانت له قَيْنتانِ، فَرْتَنَى وصاحبتُها، وكانتا تُغنِّيانِ بهِجاءِ رسول الله ﷺ، فأمَرَ بقتلِهما معه[4].

= و(٤٣٥٩)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠٦٧) و«الكبرى» (٣٥١٦)، والحاكم (٤٤٠٨)، وفيه: قال النبيُّ ﷺ: «إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن يكون له خائنةُ أعيُنٍ». وإسناده حسن.

(١) وليَ لعمرَ الصعيدَ بمصر، ثم ولّاه عثمان مصرَ كلَّها، وكان محموداً، غزا إفريقيّةَ ـ وهي ساحل دول المغرب الإسلامي كلّه من ليبيا إلى المغرب ـ أيام عثمان سنة ٢٧هـ أو بعدها، فقتل جُرجِيرَ صاحبَها، ثم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه اعتزل ابن أبي السرح في الرَّملة من فلسطين وتوفي فيها أيام عليٍّ رضي الله عنه، ويُذكَر عنه أنه لمّا احتُضِرَ قال: اللهم اجعل خاتمةَ عملي الصُّبح، فتوضأ ثم صلّى، فسلّم عن يمينه ثم ذهب يسلِّم عن يساره فقُبِضَ، رضي الله عنه. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٣/ ٣٣-٣٥.

(٢) المُصَدِّق: الجامع للصدقات، وهي الزّكاة هنا.

(٣) وأخرج البخاري (١٨٤٦) و(٣٠٤٤) ومسلم (١٣٥٧) من حديث أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ دخل عامَ الفتح وعلى رأسه المِغفَر، فلمّا نَزَعَه جاء رجل فقال: إنّ ابن خَطَلٍ متعلّق بأستار الكعبة، فقال: «اقتُلوه».

(٤) وقع في حديث سعيد بن يربوع المخزومي عند أبي داود (٢٦٨٤) والطبري في مسند الزبير بن العوّام من «تهذيب الآثار» (١٠٣٧) بإسنادٍ فيه ضعفٌ: أن هاتين القَينتَين كانتا لمِقيَس ابن صُبَابة، فقُتلت إحداهما وأفلَتَت الأخرى فأسلمت. =

والحُوَيرِثُ بن نُقَيذ بن وهب بن عبد بن قُصَيٍّ، وكان ممّن يُؤذيهِ بمكّة[1].

قال ابن هشام: وكان العبّاسُ بن عبد المُطّلِب حَمَلَ فاطمةَ وأمَّ كُلثومٍ ابنتَي رسولِ الله ﷺ من مكّة يريد بهما المدينةَ، فنَخَسَ بهما الحُوَيرِثُ بن نُقَيذٍ فرَمَى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحاق: ومِقيَسُ بن صُبَابة، وإنّما أمَرَ رسولُ الله ﷺ بقتلِه، لقتلِ الأنصاريِّ الّذي كان قَتَلَ أخاه خطأً، ورجوعِه إلى قُريشٍ مشركاً[2].

وسارَةُ مولاةٌ لبعض بني عبد المُطَّلِب، وبعِكْرمةَ[3] بن أبي جهلٍ، وكانت سارةُ

= فتعقَّب الطبريُّ هذه الرواية قال: هي عند أهل العلم بالسِّيَر غلطٌ، يقولون: إنما كانت القَينتانِ اللَّتان كانتا تغنِّيان بهجاء رسول الله ﷺ لعبد الله بن خَطَل، تُدعَى إحداهما فَرْتَنى، فأَمر النبي ﷺ بقتله وقتلهما، فقُتل هو وإحدى القَينتَينِ، وأَسلمت الأخرى وسارةُ فتُرِكَتا. قلنا: وسارة سيأتي ذكرها لاحقاً.

(١) وقع ذكرُ اسمه في الأربعة الذين لم يؤمّنهم النبيُّ ﷺ يوم الفتح في حديث سعيد بن يربوع المخزومي فيما أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (١٣٢٠)، وابن قانع في «معجم الصحابة» ١/ ٢٦٢، والدارقطني في «سننه» (٢٧٩٣)، والبيهقي في «سننه» ٩/ ٢١٢، وهم: الحويرث هذا، ومِقيَس بن صُبابة، وابن خَطَل، وعبد الله بن أبي سرح.

وذُكر مكانه في هؤلاء الأربعة في حديث سعد بن أبي وقّاص فيما أخرجه النسائي في «المجتبى» (٤٠٦٧) و«الكبرى» (٣٥١٦)، والحاكم (٢٣٦٠): عكرمةُ بن أبي جهل، وحديث سعد هذا أحسنهما إسناداً.

وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٢٥: أن هؤلاء النفر كانوا ستة، فذكر فيهم عكرمةَ والحويرثَ وزاد هبّارَ بن الأسود الذي نَخَس البعير بزينب ابنة النبي ﷺ حين هجرتها، والله تعالى أعلم. وقد تقدّم خبر هبّارٍ في ذلك ٢/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) تقدّم ذكر خبره عند المصنف ٣/ ٣٧٣.

(٣) هكذا في نسختنا الخطية: بعكرمة، والمراد: أمر بعكرمة أن يُقتَل. وانظر التعليق السابق =

ممّن يُؤذِيهِ بمكّة.

فأمّا عِكرمةُ، فهَرَبَ إلى اليَمَن، وأسلَمَت امرأتُه أمُّ حَكيمٍ بنتُ الحارث بن هشامٍ فاستأمَنَت له من رسول الله ﷺ فآمَنَه، فخرجت في طَلَبِه[1] حتّى أتَت به رسولَ الله ﷺ فأسلَمَ.

وأمّا عبدُ الله بن خَطَلٍ، فقتله سعيدُ بن حُرَيثٍ المخزوميُّ وأبو بَرْزَةَ الأسلَميّ، اشتَرَكا في دمِه.

وأمّا مِقيَسُ بن صُبَابة، فقتله نُمَيلةُ بن عبد الله، رجلٌ من قومه، فقالت أختُ مِقيَسٍ في قتلِه:

لَعَمْري لقد أَخزَى نُمَيلةُ رَهطَهُ ... وفَجَّعَ أضيافَ الشِّتاءِ بمِقيَسِ[2]

فللّهِ عَينَا مَن رأى مِثلَ مِقيَسٍ ... إذا النُّفَساءُ أصبَحَت لم تُخرَّسِ[3]

= عند الحويرث.

(١) وقع هنا في (ش١) و(ش٢) و(غ) زيادة: إلى اليمن، وليس في بقية النسخ، وهذه الزيادة في هذا الموضع خطأ.

فقد ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري ـ كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٤٧ ـ: أنها أدركته بتِهامة، ونحوه ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٥١: أنها أدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة يريد أن يركب البحر.

وتِهامةُ: ما انخفض من أرض الحجاز، ومن أهمّ مدنه على الساحل جُدّةُ ويَنبُع، والظاهر أنها أدركته بجُدّة، مثلما أدرك عُميرُ بن وهبٍ ابنَ عمِّه صفوانَ بن أُمية بها يريد أن يركب إلى اليمن كما سيأتي ص٨٧.

(٢) فجّع، أي: أَوجَع. وأضياف الشتاء: ذكرت الشتاءَ لما فيه من قلّة الطعام عند الناس.

(٣) لم تُخرَّس، أي: لم يُصنَع لها طعام عند ولادتها، واسم ذلك الطعام: خُرْس وخُرْسة، وإنما أرادت به زمن الشِّدّة.

وأمّا قَينَتا ابنِ خَطَلٍ، فقُتِلَت إحداهما وهَرَبَت الأُخرَى حتّى استُؤمنَ لها رسولُ الله ﷺ بعدُ فآمَنَها.

وأمّا سارةُ، فاستُؤمنَ لها فآمَنَها، ثمّ بَقِيَت حتّى أَوطَأَها رجلٌ من الناس فَرَساً في زمنِ عمر بن الخَطّاب بالأَبطَحِ[1]، فقتلها.

وأمّا الحُوَيرِثُ بن نُقَيذٍ، فقتله عليُّ بن أبي طالبٍ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن أبي هِندٍ، عن أبي مُرَّة مولى عَقِيل بن أبي طالبٍ: أنّ أمَّ هانئٍ ابنةَ أبي طالبٍ قالت: لمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ بأَعلى مكّة، فَرَّ إليَّ رجلانِ من أَحْمائي[2] من بني مخزومٍ - وكانت عند هُبَيرةَ بن أبي وهبٍ المخزوميّ - قالت: فدخل عليَّ عليُّ بن أبي طالبٍ أَخي، فقال: والله لَأقتُلَنَّهما، فأغلَقتُ عليهما بيتي[3]، ثمّ جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو بأَعلى مكّة، فوَجَدتُه يَغتسِلُ من جَفْنةٍ[4] إنّ فيها لَأثَرَ العَجِين، وفاطمةُ ابنتُه تَستُرُه بثوبه، فلمّا اغتَسَلَ أخذَ ثوبَه فتَوشَّحَ به، ثمّ صَلَّى ثمانيَ رَكَعاتٍ من الضُّحى، ثمّ انصَرَفَ إليَّ فقال: «مَرحَباً وأَهلاً يا أمَّ هانئٍ، ما جاءَ بكِ؟» فأخبرتُه خَبَرَ الرّجُلينِ وخَبَرَ عليٍّ، فقال: «قد أَجَرْنا مَن أَجَرتِ، وآمَنّا مَن آمَنتِ، فلا يَقتُلْهما»[5].

---

(١) موضعٌ سهل بين الحَجُون والمسجد الحرام بمكة.

(٢) الأحماء: أقارب الزوج، واحده: حَمُو أو حَمٌ.

(٣) في نسخة في (ش١) و(غ): باب بيتي.

(٤) الجَفْنة: إناء كبير.

(٥) إسناده صحيح. أبو مرّة: اسمه يزيد.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٦٨٩٢) و(٢٦٨٩٦) و(٢٦٩٠٧)، والبخاري (٣٥٧) و(٣١٧١)، ومسلم (٧١٩) (٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٦٣١)، وابن حبان (١١٨٨) و(٢٥٣٧) من =

قال ابن هشام: هما الحارثُ بن هشامٍ وزهيرُ بن أبي أُميّة بن المغيرةِ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُبيد الله بن عبد الله ابن أبي ثَورٍ، عن صَفِيّة بنت شَيْبة: أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا نَزَلَ مكّةَ واطمأنَّ النّاسُ، خرج حتّى جاءَ البيتَ فطافَ به سبعاً على راحلتِه يَستلِمُ الرُّكْنَ بمِحجَنٍ[2] في يده، فلمّا قَضَى طَوَافَه دعا عثمانَ بن طَلْحة فأَخذَ منه مِفتاحَ الكعبة، ففُتِحَت له فدَخَلَها، فوَجَدَ فيها حَمَامةً من عِيدانٍ[3] فكَسَرَها بيده ثمّ طَرَحَها، ثمّ وَقَفَ على بابِ الكعبة وقد استَكَفَّ له النّاسُ[4] في المسجد[5].

= طرق عن أبي مرة، به.

وأخرجه مختصراً دون قصة الإجارة مسلم (٣٣٦)(٧١) و(٧٢)، وابن ماجه (٤٦٥) من طريقين عن سعيد بن أبي هند، به.

(١) وذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٢٩ ـ وعنه صاحبه ابنُ سعد في «الطبقات» ٦/ ٨٣ ـ في رواية مرسلةٍ مكان زهير بن أبي أميّة: عبدَ الله بن أبي رَبيعة المخزومي. وانظر «فتح الباري» ٢/ ٢٢٧.

(٢) المحجن: عصاً معوجّة الطَّرَف، يمسكها الراكب للبعير في يده.

(٣) هكذا قُيِّدت في (ش٢) و(ص) و(ط) و(غ)، بكسر العين: جمع عُودٍ، وأُغفلت في (ت) و(ش١) و(ف) و(ي)، وقُيِّدت في (ق٢) و(م) بفتح العين، والعَيْدانُ: الطِّوال من النخل، الواحدة: عَيدانةٌ.

(٤) استَكفَّ له الناس، أي: استَجمَعوا، من الكافّة، وهي الجماعة.

(٥) إسناده قويٌّ، وصفيّةُ بنت شيبة أبوها هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدريّ ابنُ عمِّ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وكان مشاركاً له في سِدانة البيت، وهما من مُسلِمة الفتح، وأما صفيّة فقد ثبت لها رؤيةٌ للنبيّ ﷺ.

وأخرج هذا الخبر بمثل هذا السِّياق أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٧٢١) من طريق إبراهيم ابن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعضُ أهلِ العلم: أنّ رسولَ الله ﷺ قامَ على باب الكعبة فقال: «لا إلٰهَ إلّا اللهُ وَحْدَه، لا شَرِيكَ له، صَدَقَ وَعْدَه، ونَصَرَ عَبْدَه، وهَزَمَ الأَحزابَ وَحْدَه، ألَا كلُّ مأثُرَةٍ[1] أو دمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهو تحت قَدَميَّ هاتَينِ، إلّا سِدَانةَ البيتِ وسِقَايةَ الحاجِّ[2]، ألَا وقَتِيلُ الخَطَأِ شِبْهِ العَمْدِ: السَّوطِ[3] والعَصَا، ففيه الدِّيَةُ مُغلَّظةً، مئةٌ من الإبلِ أَربعونَ منها في بُطونِها أَولادُها»[4].

«يا مَعشَرَ قُرَيشٍ، إنَّ اللهَ قد أَذهَبَ عنكم نَخْوةَ الجاهليَّةِ وتَعظُّمَها بالآباءِ، النّاسُ

= وأخرجه مختصراً أبو داود (١٨٧٨)، وابن ماجه (٢٩٤٧)، والحاكم (٧١١٥) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به. ولم يذكر أبو داود فيه قصة الحمامة، والحاكم لم يذكر قصة الطواف، وزادوا فيه قول صفيّة: وأنا أنظر إليه.

ويشهد لبعضه في قصة طوافه ﷺ على راحلته واستلامه الركنَ بمِحجَنه حديثُ ابن عمر عند ابن حبان (٣٨٢٨)، وسمَّى راحلته القَصْواءَ. وإسناده صحيح.

(١) المأثُرة: الخَصْلة من الأخلاق ولأفعال التي تُتَوارث ويتحدّث بها الناس.

(٢) سدانة البيت: هي خِدمته وحِجابته وتولِّي حفظه. والسِّقاية: هي ما كانت قريش تسقيه الحجّاجَ من الزَّبيب المنبوذ في الماء، وكان يليها العباس بن عبد المطّلب في الجاهلية والإسلام. قاله ابن الأثير في «النهاية» ٢/ ٣٨١.

(٣) في (غ): بالسوط.

(٤) إسناده هنا معضل مُبهَم، فهو ضعيف، وقد أسند سلمةُ بن الفضل هذه الخطبة بطولها عن ابن إسحاق عن عمر بن موسى بن الوَجِيه عن قتادةَ مرسلاً فيما أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٠-٦١، فإن كان سلمةُ حَفِظَه ـ وهو يكثر خطؤُه ـ فهذا إسناد ضعيف جداً، فابنُ الوجيه هذا متروك ذاهب الحديث.

لكن هذا الحديث صحيحٌ، أخرجه بنحو لفظه هنا أحمد (٦٥٣٣) و(١٥٣٨٨)، وأبو داود (٤٥٤٧)، وابن حبان (٦٠١١)، مسنَداً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أنّ رسول الله ﷺ لمّا افتتح مكة قال... وذكره. وإسناده صحيح.

من آدمَ وآدمُ من تُرابٍ» ثمّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ الآيةَ كلَّها [الحجرات:١٣](١).

ثمّ قال: «يا مَعشَرَ قُرَيشٍ، ما تُرَونَ أنّي فاعلٌ فيكم؟» قالوا: خيراً، أخٌ كَريمٌ، وابنُ أخٍ كَريمٍ، قال: «اذهَبُوا فأنتمُ الطُّلَقاءُ»(٢).

---

(١) وهذا حديث صحيح.

وقد أخرج نحوه الترمذي (٣٢٧٠)، وابن حبان (٣٨٢٨)، مسنداً من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «يا أيها الناس»، وذكر الحديث، وزاد فيه: «إنما الناس رجلان: بَرٌّ تقيٌّ كريم على ربّه، وفاجرٌ شقيٌّ هيِّنٌ على ربّه»، وزاد في آخره عند ابن حبان: «أقولُ هذا وأستغفرُ الله لي ولكم». وهو حديث صحيح.

وفي الباب عن أبي هريرة عند أحمد (٨٧٣٦)، وأبي داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥) و(٣٩٥٦) مرفوعاً: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيّة الجاهلية (أي: كِبْرها ونَخْوتها) وفخرَها بالآباء، مؤمنٌ تقيّ، وفاجرٌ شقيّ، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، ليَدَعَنَّ أقوام فخرَهم برجال، أو ليكونُنَّ أهونَ عند الله من عِدَّتهم من الجِعْلان التي تدفع بأنفها النَّتنَ». ولم يذكر فيه أن ذلك كان في الفتح، وإسناده صحيح.

(٢) هذا خبر ضعيف بهذا اللفظ، ولم يرد من وجهٍ مسندٍ ما يشدّه وفيه تسمية النبي ﷺ لأهل مكة بالطلقاء.

لكن روي من وجه لا بأس به في حديث أبي هريرة عند النسائي في «الكبرى» (١١٢٣٤): أن النبيَّ ﷺ قال: «يا معشر قريش، ما تقولون؟» قالوا: نقول: ابنُ أخٍ وابنُ عمٍّ رحيمٌ كريمٌ، ثم عاد عليهم القولَ، فقالوا مثل ذلك، قال: «فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢]»، فخرجوا فبايعوه على الإسلام.

أمّا تسميتهم بالطُّلَقاء، فممّا اشتَهَر بين أصحاب النبي ﷺ، فقد وقع في كلام أنس بن مالك كما عند البخاري (٤٣٣٣) ومسلم (١٠٥٩) قال: لما كان يومُ حنينٍ التقى هوازن ومع النبي ﷺ عشرةُ آلافٍ ومعه الطلقاءُ فأدبروا عنه. =

ثمّ جَلَسَ رسولُ الله ﷺ في المسجد، فقامَ إليه عليُّ بن أبي طالبٍ ومِفتاحُ الكعبة في يده فقال: يا رسولَ الله، اجمَعْ لنا(١) الحِجابةَ مع السِّقايةِ، صلَّى الله عليك، فقال رسولُ الله ﷺ: «أينَ عثمانُ بنُ طَلْحةَ؟» فدُعِيَ له، فقال: «هاكَ مِفتَحَكَ(٢) يا عثمانُ، اليومُ يومُ بِرٍّ ووَفَاءٍ»(٣).

= وفي كلام أم سُليمٍ عندما أدبر هؤلاء يوم حنينٍ كما عند مسلم (١٨٠٩)، فقالت: يا رسول الله، اقتُلْ مَن بعدَنا من الطلقاءِ، انهَزَموا بك.

(١) أي: لبني هاشم.

(٢) هكذا في أكثر النسخ، وفي (ش١) و(ص) و(غ): مِفتاحك، وفي نسخة على حاشية (غ): مِفتَحك. وهما واحدٌ.

(٣) هذا الخبر في قصة مفتاح الكعبة، ذكر ابن أبي حاتم الرازي في «علل الحديث» (٨٥٩) عن أبيه قال: هذا من كلام ابن إسحاق؛ يعني أنه غير متصل بما قبله، فهو على هذا مُعضَل لم يسنده ابن إسحاق، فهو ضعيف.

وأغربَ مسروقُ بن المَرزُبان فرواه عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن ابن إسحاق ـ كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣٨/ ٣٨٩ ـ فأسنده عنه عن محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُبيد الله ابن عبد الله بن ثَوْر، عن صفيّة بنت شيبة. وابن المرزبان هذا فالراجح فيه أنه يُكتَب حديثه للاعتبار، وليس بقويٍّ كما قال أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٩٧.

لكن أخرج ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ١٨ ـ ومن طريقه ابن عساكر ٣٨/ ٣٨٨ ـ بإسناد لا بأس برجاله عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن بن عوف مرسَلاً: أن رسول الله ﷺ لمّا فرغ من صلاة الركعتين في البيت، خرج على الباب، وتطاوَلَ عليٌّ بن أبي طالبٍ رجاءَ أن تُجمَع له السقاية والحِجابة، فقال النبي ﷺ: «يا عثمان، هاكَ خُذوا ما أعطاكم الله». وهو ضعيف لإرساله.

وقد روي: أن النبي ﷺ قال لبني أبي طلحة العبدريِّين في حِجابة البيت: «خُذُوها يا بني أبي طلحة خالدةً تالدةً لا يأخذُها منكم إلا ظالمٌ»، وساق ابنُ عساكر في «تاريخه» في هذا المعنى عدّة أخبارٍ بأسانيد لا يصحُّ منها شيءٌ منفرداً، لكن مجموعها يدلّ على أنَّ لهذا الخبر أصلاً، مع ما =

قال ابن هشام: وذكرَ سفيانُ بن عُيَينةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعليٍّ: «إنّما أُعطِيكُم ما تُرزَؤُونَ لا ما تَرزَؤُونَ»[1].

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهلِ العلم: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخل البيتَ يومَ الفتحِ فرأَى فيه صُوَرَ الملائكةِ وغيرِهم، فرأَى إبراهيمَ عليه السلام مُصوَّراً في يده الأزلامُ يَستقسِمُ بها[2]، فقال: «قاتَلَهمُ اللهُ، جَعَلُوا شَيْخَنا يَستَقسِمُ بالأَزلامِ، ما شأنُ إبراهيمَ والأَزلامَ؟! ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]»، ثمّ أمَرَ بتلك الصُّوَرِ كلِّها فطُمِسَت[3].

= ينضاف إليه من أنّ عمل الخلفاء وأُولي الأمر من لَدُنْ رسولِ الله ﷺ إلى يوم الناس هذا عليه، والله تعالى أعلم.

(١) أسند هذا عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٧٣) ـ ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٨٣٩٥) ـ عن ابن عيينة قال: أخبرني ابن جريج، عن ابن أبي مُليكة: أن النبي ﷺ قاله لعليٍّ يومئذٍ حين كلَّمه في المفتاح. وهذا ضعيف لإرساله، فابن أبي مليكة ـ وهو عبد الله بن عبيد الله ـ من الوسطى من التابعين.

وروي نحوه من طريق عبد الله بن أبي رَزِين عن أبيه عن عليٍّ عند الحاكم (٥٥١٩) وغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عبد الله بن أبي رزين، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: لا يُدرَى من هو.

ورُزِئَ الرجلُ: أُخذ منه شيء ونُقِص منه، وفسَّر عبد الرزاق قوله: «أعطيتكم ما تُرزَؤون...» قال: يقول: أعطيتكم السِّقايةَ لأنكم تَغرَمُون فيها، ولم أُعطِكم البيتَ، أي: أنهم بأخذه يأخذون من هديّته.

(٢) الاستقسام: هو الاقتراع لطلب معرفة ما قُسِم له ممّا لم يُقسَم. والأزلام: هي السِّهام التي يُقتَرع بها، واحدها: زَلَمٌ، بفتح الزاي وضمّها.

(٣) أصل الحديث صحيح، وهذه الرواية مُعضَلة مجهولٌ راويها.

وقد أخرج نحوه مسنداً أحمد (٣٠٩٣) و(٣٤٥٥)، والبخاري (١٦٠١) و(٣٣٥٢)، وأبو =

قال ابن هشام: وحدَّثني: أنّ رسولَ الله ﷺ دخل الكعبةَ ومعه بلالٌ، ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ وتَخلَّفَ بلالٌ، فدخل عبدُ الله بن عمرَ على بلالٍ فسأله: أين صَلَّى رسولُ الله ﷺ؟ ولم يَسأَلْه كم صَلَّى، فكان ابنُ عمرَ إذا دخل البيتَ مشى قِبَلَ وجهِه وجَعَلَ البابَ قِبَلَ ظَهرِه، حتّى يكون بينَه وبينَ الجِدارِ ثلاثُ[1] أذرُعٍ ثمّ يُصلِّي، يَتَوخَّى[2] بذلك الموضعَ الّذي قال له بلالٌ[3].

قال ابن هشامٍ: وحدّثني: أنّ رسولَ الله ﷺ دخل الكعبةَ عامَ الفتحِ ومعه بلالٌ، فأمَرَه أن يؤذِّنَ[4] وأبو سفيانَ بن حَرْبٍ وعَتّابُ بن أَسِيدٍ والحارثُ بن هشامٍ جلوسٌ بفِنَاءِ الكعبة، فقال عتّابُ بن أَسِيدٍ: لقد أكرَمَ اللهُ أَسِيداً أن لا يكونَ سمعَ هذا،

= داود (٢٠٢٧)، وابن حبان (٥٨٦١)، والحاكم (٤٠٦٣) من حديث عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لمّا رأى الصورَ في البيت ـ يعني الكعبة ـ لم يدخل، وأَمر بها فمُحِيَت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلامُ فقال: «قاتَلَهم الله، والله ما استَقسَما بالأزلام قطُّ».

زاد في رواية عند أحمد والبخاري وأبي داود: ثم دخل البيت فكبَّر في نواحيه، وخرج ولم يصلِّ فيه.

(١) في (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): قدر ثلاث.

(٢) يتوخى، أي: يتحرى ويقصد.

(٣) هذا الحديث صحيح.

وقد أسنده بمعناه أحمد (٤٤٦٤) و(٥٩٢٧) و(٢٣٩٠٠)، والبخاري (٤٦٨) و(٥٠٤-٥٠٦)، ومسلم (١٣٢٩)، وأبو داود (٢٠٢٣) و(٣٠٦٣)، والنسائي في «المجتبى» (٧٤٩) وفي «الكبرى» (٨٢٧)، وابن حبان (٢٢٢٠) و(٣٢٠٢) من طرق عن نافع، عن ابن عمر.

(٤) إنما أمره النبيُّ ﷺ أن يؤذِّن على ظهر الكعبة كما روي في غير ما خبر مرسل يشدُّ بعضها بعضاً كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٧٨-٧٩ في باب ما روي في تأذين بلال بن رباح رضي الله عنه يوم الفتح على ظهر الكعبة.

فيَسمَعَ منه ما يَغِيظُه، فقال الحارثُ: أمَا والله لو أعلمُ أنه مُحِقٌّ لاتَّبعتُه، فقال أبو سفيانَ: لا أقولُ شيئاً، لو تكلَّمتُ لأخبرَت عنّي هذه الحصى، فخرج عليهم النبيُّ ﷺ فقال: «قد عَلِمتُ الَّذي قلتُم»، ثمّ ذكرَ ذلك لهم، فقال الحارثُ وعَتّابٌ: نَشهَدُ أنّك رسولُ الله، والله ما اطَّلَعَ على هذا أحدٌ كان معنا فنقولَ: أخبرَك[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن أبي سَندَرٍ الأسلَميُّ، عن رجلٍ من قومه قال: كان معنا رجلٌ يقال له: أَحمرُ بأساً[2]، وكان رجلاً شجاعاً، وكان إذا نامَ غَطَّ غَطِيطاً[3] مُنكَراً لا يَخفَى مكانُه، فكان إذا باتَ في حيِّه باتَ مُعتَنِزاً[4]، فإذا بُيِّتَ الحيُّ[5] صَرَخوا: يا أحمرُ، فيَثُورُ مثلَ الأَسد لا يقومُ لسَبيلِه شيءٌ. فأقبَلَ غَزِيٌّ[6] من هُذَيلٍ يريدون حاضِرَه[7]، حتّى إذا دَنَوْا من الحاضرِ قال ابنُ الأَثوَغ[8] الهُذَليُّ:

---

(١) هذا حديث ضعيف لإعضاله وجهالة راويه.

وذكر نحوه الواحديُّ في «أسباب النزول» (٧٦٥م) عن مقاتلٍ مرسلاً؛ وزاد في هذا المجلس رابعاً، وهو سهيل بن عمرو. وهو ضعيف كذلك لإرساله.

(٢) هكذا قُيِّد في نسخنا الخطية، وذهب الخشني في «إملائه» ص٣٧٢ إلى أنه جملة مركَّبة كحضرَموتَ ونحوه؛ يريد أن الراء من أحمر مبنيّة على الفتح، وهذا خلاف ما قُيِّد به في نسخنا.

(٣) الغطيط: ما يسمع من صوت الآدميِّين إذا ناموا، وهو صوت في الحَلْق.

(٤) مُعتنِزاً، أي: ناحيةً من الحيّ، يقال: هذا بيتٌ مُعتنِزٌ، إذا كان خارجاً عن بيوت الحيّ.

(٥) بُيِّت الحي، أي: غُزُوا ليلاً.

(٦) الغزيُّ: جماعة من القوم الذين يَغزُون.

(٧) الحاضر: القوم الذين ينزلون على الماء، أو الحيّ العظيم.

(٨) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(ط) و(ص) و(غ) و(ف) و(ق٢) و(م)، وفي (ت) و(ي): الأثوع، بالعين المهملة، وهكذا قيَّده ابن حجر في «الفتح» ٢٢/ ٤٦.

وسمّاه الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٨٤٣ جُنيدِبَ بنَ الأدلع، وتابعه الأزرقيُّ في «أخبار مكة» =

لا تَعجَلُوا عليَّ حتّى أنظُرَ، فإن كان في الحاضر أحمرُ، فلا سبيلَ إليهم، فإنَّ له غَطِيطاً لا يَخفَى، قال: فاستَمَعَ، فلمّا سمعَ غَطِيطَه مشى إليه حتّى وَضَعَ السّيفَ في صَدْرِه، ثمّ تَحامَلَ عليه حتّى قَتَلَه، ثمّ أَغاروا على الحاضر، فصَرَخوا: يا أحمرُ، ولا أحمرَ لهم.

فلمّا كان عامُ الفتحِ وكان الغدُ من يومِ الفتحِ، أَتى ابنُ الأثوَغِ الهُذَليُّ حتّى دخل مكّةَ يَنظُرُ ويَسأَلُ عن أمرِ النّاس وهو على شِرْكِه، فرَأَته خُزاعةُ فعَرَفوه، فأَحاطوا به وهو إلى جَنْبِ جِدارٍ من جُدُرِ مكّة، يقولون: أأنتَ قاتلُ أحمرَ؟ قال: نعم، أنا قاتلُ أحمرَ، فمَهْ[1]؟ قال: إذ أقبَلَ خِراشُ بن أُميّةَ مُشتمِلاً على السَّيف، فقال: هكذا عن الرَّجل[2]، والله ما نَظُنُّ إلّا أنّه يريد أن يُفرِّجَ الناسَ عنه، فلمّا تَفرَّجْنا عنه حَمَلَ عليه فطَعَنَه بالسّيف في بطنِه، فوالله لكأنّي أنظرُ إليه وحِشْوَتُه[3] تَسِيلُ من بطنه، وإنّ عينيهِ لَتُرنِّقانِ[4] في رأسه وهو يقول: أقد فعلتُموها يا معشرَ خُزَاعة؟ حتّى انجَعَفَ[5] فوَقَعَ.

فقال رسول الله ﷺ: «يا مَعشَرَ خُزاعةَ، ارفَعُوا أَيدِيَكم عن القتلِ، فقد كَثُرَ القتلُ

= ٢/ ١٢٢ والطبريُّ في «تاريخه» ٣/ ٦٢ وابن حجر في «الإصابة» ١/ ٥١٨، وسيأتي لاحقاً عن ابن هشام تسميته بجُنيدِب بن الأوكع.

(١) فمَهْ: هي «ما» التي للاستفهام أُبدلت ألفُها هاءً في الوقف، ومعناه: فما الذي تريدون أن تصنعوه؟ قاله الخشنيُّ.

(٢) قال الخشنيُّ: هكذا: اسمٌ سُمِّي به الفعل، ومعناه: تَنحَّوا عن الرجل.

(٣) الحشوة، بكسر الحاء وضمّها: ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها.

(٤) لتُرنِّقان: يريد أنهما قاربتا أن تنغلقا، يقال: رنَّقت الشمسُ، إذا دَنَت للغروب، ورنَّقه النُّعاس: إذا ابتدأَه قبل أن تنغلقَ عينُه.

(٥) انجَعَف: سقط سقوطاً ثقيلاً، يقال: انجعفت الثمرة، إذا انقلعت أصولُها فسَقَطت.

إنْ نَفَعَ، لقد قَتَلتُم قَتيلاً لَأَدِيَنَّه»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الرَّحمن بن حَرمَلة الأسلَميّ، عن سعيد بن المُسيّب قال: لمّا بَلَغَ رسولَ الله ﷺ ما صَنَعَ خِرَاشُ بن أُميّةَ قال: «إنَّ خِرَاشاً لَقَتّالٌ»، يَعيبُه بذلك[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن أبي سعيدٍ المَقبُريّ، عن أبي شُرَيحٍ الخُزاعيّ قال: لمّا قَدِمَ عمرُو بن الزُّبَير[3] مكّةَ لقتالِ أخيه عبدِ الله بن الزُّبَير، جئتُه فقلت له: يا هذا، إنّا كنّا مع رسول الله ﷺ حين افتَتَحَ مكّةَ، فلمّا كان الغدُ من يومِ الفتحِ عَدَتْ خُزَاعةُ على رجلٍ من هُذَيلٍ فقتلوه وهو مشركٌ، فقامَ رسولُ الله ﷺ فينا خطيباً فقال: «يا أيُّها النّاسُ، إنَّ الله حَرَّمَ مكّةَ يومَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، فهي حَرَامٌ من حَرَامٍ إلى يومِ القيامةِ، فلا يَحِلُّ لامرِئٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخرِ أن يَسفِكَ فيها دماً،

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة سعيد بن أبي سندر، فإنه لا يُعرَف، إلا أن أصل الحديث صحيح من رواية سعيد بن أبي سعيد المَقبُريّ عن أبي شريح الخُزاعي في «الصحيحين» وغيرهما كما سيأتي لاحقاً.

(٢) مرسلٌ حسنٌ، فعبد الرَّحمن بن حرملة صدوق حسن الحديث، وأما سعيد بن المسيّب فمن كبار التابعين ومراسيله أصح المراسيل، وقد احتجَّ بها أكثر أهل العلم.

وأخرج نحوه الطبري في مسند ابن عباس من كتاب «تهذيب الآثار» ١/ ٣٢ من طريق بشر بن المفضَّل، عن عبد الرَّحمن بن حرملة، به. ولم يسمِّ فيه المقتول، إنما قال: قتل خِراشٌ رجلاً من بني بكر أو من هُذيل، وفيه: أن النبي ﷺ أمر خزاعةَ بدفع ديته مئةَ ناقة.

(٣) وكان بينه وبين أخيه عبد الله بن الزبير شرٌّ وتقاطعٌ، وأمّه هي أمُّ خالدٍ أَمَةُ بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّةَ الأُمويّة، وُلِدَت لأبيها في الحبشة في هجرته، رضي الله عنها وعن أبيها، والذي كان وجَّه عمراً هذا لحربِ أخيه عبد الله هو عمرُو بن سعيدٍ الأُموي المعروف بالأشدق، والي المدينة لمعاوية ثم ليزيد.

ولا يَعضِدَ[1] فيها شَجَراً، لم تَحلِلْ لأَحدٍ كان قَبْلي، ولا تَحِلُّ لأَحدٍ يكونُ بعدي، ولم تُحلَلْ لي إلَّا هذه السَّاعةَ غَضَباً على أَهلِها، أَلَا ثمَّ قد رَجَعَت كحُرْمتِها بالأَمسِ، فليُبلِّغِ الشَّاهدُ منكم الغائبَ، فمَن قال لكم: إنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قاتَلَ فيها! فقولوا: إنَّ الله قد أَحَلَّها لرسولِه ولم يُحلِلْها لكم.

يا مَعشَرَ خُزَاعةَ، ارفَعُوا أيديَكم عن القتلِ، فلقَدْ كَثُرَ القتلُ إنْ نَفَعَ، لقد قَتلتُم قَتيلاً لَأَدِيَنَّهُ، فمَن قُتِلَ بعدَ مَقَامي هذا فأَهلُه بخيرِ النَّظَرَين[2]: إنْ شاؤُوا فدَمُ قاتلِه، وإنْ شاؤُوا فعَقْلُه».

ثمّ وَدَى رسولُ الله ﷺ ذلك الرَّجلَ الّذي قَتَلَته خُزاعةُ.

فقال عمرٌو لأبي شُرَيحٍ: انصَرِفْ أيّها الشّيخُ، فنحن أعلمُ بحُرْمتِها منك، إنّها لا تَمنَعُ سافكَ دمٍ، ولا خالعَ طاعةٍ، ولا مانعَ جِزْيةٍ[3]! فقال أبو شُرَيحٍ: إنّي كنتُ شاهداً وكنتَ غائباً، ولقد أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن يُبلِّغَ شاهدُنا غائبَنا، وقد أبلَغتُكَ،

---

(١) لا يَعضِد، أي: لا يقطع.

(٢) أي: خير الأمرين.

(٣) هكذا في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ق٢) و(ي) وحاشية (م): جزية، وفي (ص) و(ط) و(م) وحاشيتَي (ش١) و(ش٢): خَرْبة.

قلنا: والخَرْبة: السَّرقة، فإن كانت كذلك، فلعلّه أراد بقوله: ولا مانع خربة: ولا سارق سرقة، لأنه مَنَعَها عن مالكها، ووقع في رواية الليث ابن سعد الآتي تخريجها في «الصحيحين» وغيرهما: ولا فارّاً بخَرْبةٍ، وهو أصحُّ وأثبتُ، والله تعالى أعلم.

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١/ ٤١٦-٤١٧: وقد تشدَّق عمرٌو في الجواب وأتى بكلام ظاهرُه حقٌّ لكن أراد به الباطل، فإنّ الصحابيَّ أنكر عليه نَصْبَ الحربِ على مكّة، فأجابه بأنها لا تمنعُ من إقامة القِصاص، وهو صحيحٌ، إلا أن ابن الزُّبير لم يرتكب أمراً يجبُ عليه فيه شيءٌ من ذلك.

فأنتَ وشأنُك[1].

قال ابن هشام: وبَلَغَني: أنّ أوّلَ قتيلٍ وَدَاهُ رسولُ الله ﷺ يومَ الفتحِ جُنَيدِبُ بن الأَوكَعِ[2]، قَتَلَته بنو كعبٍ، فوَدَاهُ بمئةِ ناقة.

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن يحيى بن سعيدٍ: أنّ النبيَّ ﷺ حين افتَتَحَ مكّةَ ودخلها، قامَ على الصَّفَا يدعو وقد أحدَقَت به[3] الأنصارُ، فقالوا فيما بينهم: أتُرَونَ رسولَ الله ﷺ إذ فتَحَ اللهُ عليه أرضَه وبلدَه يُقِيمُ بها؟ فلمّا فَرَغَ من دعائه قال: «ماذا قُلتُم؟» قالوا: لا شيءَ يا رسولَ الله، فلم يَزَلْ بهم حتّى أخبَرُوه، فقال النبيُّ ﷺ: «مَعَاذَ اللهِ، المَحْيا مَحْياكُم، والمَمَاتُ مَمَاتُكم»[4].

---

(١) إسناده صحيح، لكن وقع في هذه الرواية عن ابن إسحاق وهمٌ في كون أبي شريحٍ خاطَبَ بهذا الحديث عمرَو بنَ الزبير قائدَ الجيش، والصواب أنه خاطب به عمرَو بنَ سعيدٍ أميرَ المدينة نفسه، هكذا رواه سائرُ أصحاب ابن إسحاق عنه فيما أخرجه أحمد (١٦٣٧٧)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٤٨٥)، والطحاوي في «معاني الآثار» ٢/ ٢٦٠-٢٦١، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٨٣-٨٤.

وهكذا رواه على الصواب أيضاً الليثُ بن سعدٍ عن سعيد المقبُريِّ، أخرجه أحمد (١٦٣٧٣) و(٢٧١٦٤)، والبخاري (١٠٤) و(١٨٣٢) و(٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤)، والترمذي (٨٠٩)، والنسائي في «المجتبى» (٢٨٧٦) وفي «الكبرى» (٣٨٤٥).

(٢) هكذا في النسخ الخطية غير (ش١) و(غ) و(ي) ففيها: الأكوع، وعلى حاشيتي (ش١) و(غ): الأوكع، كبقيّة النسخ، وفي (ف) وحدها: الأثوغ. والأوكع: الطويل الأحمق.

وبنو كعب: هم خُزاعة.

(٣) أي: أحاطت به.

(٤) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيفٌ فهو بين ابن هشام ويحيى بن سعيد ـ وهو الأنصاري ـ مُعضَل، ويحيى أرسله. =

قال ابن هشام: وحدَّثني مَن أثِقُ به من أهلِ الرِّواية في إسنادٍ له عن ابن شِهابٍ الزُّهْريِّ، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عبّاسٍ قال: دخل رسولُ الله ﷺ مكّةَ يومَ الفتحِ على راحلتِه فطافَ عليها، وحولَ البيتِ أصنامٌ مُشدَّدةٌ بالرَّصاصِ، فجَعَلَ النبيُّ ﷺ يُشيرُ بقَضيبٍ في يدِه إلى الأصنام ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، فما أشارَ إلى صَنَمٍ منها في وجهِه إلّا وَقَعَ لقَفَاه، ولا أشارَ إلى قَفَاه إلّا وَقَعَ لوجهِه، حتّى ما بَقِيَ منها صَنَمٌ إلّا وَقَعَ[1].

= لكن يشهد له حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة: أن النبيَّ ﷺ أتى الصفا فعَلَاه حيث يَنظُر إلى البيت فرفع يديه، فجعل يَذكُر اللهَ بما شاء أن يذكره ويدعوه، والأنصار تحته يقول بعضهم لبعض: أمّا الرجلُ فأدرَكَته رغبةٌ في قريته، ورأفةٌ بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يَخْفَ علينا، فليس أحدٌ من الناس يرفعُ طَرْفَه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحيُ، فلما انقضى الوحيُ رفع رأسه، ثم قال: «يا معشرَ الأنصار، أقلتم: أمّا الرجل فأدركته رغبةٌ في قريته، ورأفةٌ بعشيرته؟» قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: «كلّا إنّي عبدُ الله ورسولُه، هاجرتُ إلى الله وإليكم، فالمَحْيا محياكم، والمَمَات مماتكم»، فأَقبلوا إليه يَبكُون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضَّنَّ بالله وبرسوله، فقال رسول الله ﷺ: «فإن الله ورسوله يُصدِّقانِكم ويَعذِرانِكم». أخرجه أحمد (١٠٩٤٨)، ومسلم (١٧٨٠).

(١) حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لجهالة رواته بين ابن هشام والزهري.

وأخرجه الأزرقيُّ في «أخبار مكة» ١/ ١٢١ من طريق عبد العزيز بن عمران، عن محمد بن عبد العزيز، عن ابن شهاب، به. وهذا إسناد ضعيف جداً، عبد العزيز بن عمران ومحمد بن عبد العزيز ـ وهو ابن عمر بن عبد الرَّحمن بن عوف ـ متروكا الحديث.

وأخرج نحوه الطبراني في «الصغير» (١١٥٢) وفي «الكبير» (١٠٦٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٢١١-٢١٢ وفي «دلائل النبوة» (٤٤٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٧١-٧٢، والضِّياء المقدسي في «المختارة» ١٢/ (٣٧٧) و(٣٧٨) من طريقين عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ =

فقال تميمُ بن أَسَدٍ الخُزاعيُّ في ذلك:

وفي الأصنامِ مُعتبَرٌ وعِلمٌ   لمن يَرجُو الثّوابَ أو العِقابا

قال ابن هشام: وحدّثني: أنّ فَضَالةَ بن عُمَير بن المُلوَّحِ اللَّيْثيَّ أرادَ قتلَ النبيِّ ﷺ وهو يَطُوفُ بالبيت عامَ الفتح، فلمّا دَنا منه قال رسولُ الله ﷺ «أفَضَالَةُ؟» قال: نعم، فَضَالةُ يا رسولَ الله، قال: «ماذا كنتَ تُحدِّثُ به نَفْسَك؟» قال: لا شيءَ، كنت أذكُرُ الله، قال: فضَحِكَ النبيُّ ﷺ ثمّ قال: «استَغفِرِ اللهَ»، ثمّ وَضَعَ يدَه على صَدرِه فسَكَنَ قلبُه، فكان فَضَالةُ يقول: والله ما رَفَعَ يدَه عن صَدْري حتّى ما من خَلْقِ الله شيءٌ أحبَّ إليَّ منه.

قال فَضَالةُ: فرَجَعتُ إلى أَهلي، فمَرَرتُ بامرأةٍ كنت أتحدَّثُ إليها فقالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت: لا، وانبَعَثَ فَضَالةُ يقول[1]:

= مكةَ يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاث مئة وستون صنماً قد شَدَّ لهم إبليسُ أقدامَها برصاص، فجاء ومعه قضيبٌ فجعل يهوي به إلى كلِّ صنمٍ منها فيَخِرُّ لوجهه، فيقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾، حتى مرَّ عليها كلِّها.

واللفظ للطبراني، وإسناده صحيح، وقد صرّح ابن إسحاق بسماعه له من عبد الله بن أبي بكر عند الطبراني وغيره.

ويشهد له حديث ابن مسعود عند البخاري (٤٢٨٧) و(٤٧٢٠) ومسلم (١٧٨١)، قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاث مئة وستون نُصُباً، فجعل يطعنها بعودٍ في يده وجعل يقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾.

(١) خبرُ فضالة بن عميرٍ هذا ضعيف مُعضَل الإسناد، ولم نقف عليه مسنَداً في غير هذا الموضع، فهو مما تفرّد به ابن هشام.

لكن أورد الشعرَ المذكورَ في تكسير الأصنام الأزرقيُّ في «أخبار مكة» ١/ ١٢١، والفاكهيُّ في «أخبار مكة» أيضاً (١٨٧)، ونسباه إلى فضالة بن عمير الليثي هذا.

قالت هَلُمَّ إلى الحديثِ فقلتُ لا ... يـأبَى عليـكِ اللهُ والإسـلامُ

أوَمـا رأيـتِ[1] محمّـداً وقَبيلَـهُ ... بـالفتحِ يـومَ تُكسَّـرُ الأصـنامُ

لَرأيـتِ ديـنَ الله أَضـحى بَيِّنـاً ... والشِّـركُ يَغشَـى وجهَـه الإظـلامُ

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن جعفرٍ، عن عُرْوة بن الزُّبَير قال: خرج صفوانُ بن أُميّةَ يريد جُدَّةَ ليَركَبَ منها إلى اليمن، فقال عُمَيرُ بن وهبٍ: يا نبيَّ الله، إنّ صفوانَ بن أُميّة سيِّدُ قومِه، وقد خرج هارباً منك ليَقذِفَ نفسَه في البحر، فآمِنْه صلَّى الله عليك، قال: «هو آمِنٌ» قال: يا رسولَ الله، فأَعطِني آيةً يَعرِفُ بها أمانَك؛ فأعطاه رسولُ الله ﷺ عِمامتَه التي دخل فيها مكّةَ، فخرج بها عُمَيرٌ حتّى أدرَكَه وهو يريد أن يَركَبَ في البحر، فقال: يا صفوانُ، فِداكَ أَبي وأُمّي، اللهَ اللهَ في نفسِك أن تُهلِكَها، فهذا أمانٌ من رسول الله ﷺ قد جئتُك به، قال: وَيلَك، اغرُبْ عنّي فلا تُكلِّمْني، قال: أيْ صفوانُ، فِداكَ أَبي وأُمّي، أفضلُ النّاس وأبرُّ النّاس وأحلَمُ النّاس وخيرُ النّاس، ابنُ عَمِّك، عِزُّه عِزُّك، وشَرَفُه شَرَفُك، ومُلْكُه مُلْكُك، قال: إنّي أَخافُه على نفسي، قال: هو أحلَمُ من ذلك وأكرَمُ، فرجع معه حتّى وَقَفَ به على رسول الله ﷺ، فقال صفوانُ: إنّ هذا يَزعُم أنّك قد آمَنتَني، قال: «صَدَقَ» قال: فاجعَلْني فيه بالخِيارِ شهرَينِ، قال: «أنتَ بالخِيارِ أَربعةَ أشهُرٍ»[2].

---

(١) في (غ): لوما رأيت.

(٢) مرسل قوي رجاله ثقات.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

ويشهد له بنحوه مرسلُ الزهريِّ عند مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٤٣-٥٤٤، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٦٤٦). لكن ذكر فيه: أن الذي لحق بصفوان هو وهب بن عُمير، وأن النبي ﷺ أعطاه رداءَه لا عمامتَه، ورواية عروة أصحُّ، فإنه يشهد لها روايةُ موسى بن عقبة في مغازيه كما =

قال ابن هشام: وحدّثني رجلٌ من قُريشٍ من أهلِ العلم: أنّ صفوانَ قال لعُمَيرٍ: وَيحَك، اغرُبْ عنّي فلا تُكلِّمْني، فإنّك كذّابٌ؛ لمَا كان صَنَعَ به، وقد ذكرناه في آخر حديث يومِ بدرٍ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريُّ: أنّ أمَّ حَكيمٍ بنتَ الحارث بن هشامٍ وفاخِتةَ بنتَ الوليد ـ وكانت فاخِتةُ عند صفوانَ بن أُميّة وأُمُّ حَكيمٍ عند عِكْرمةَ بن أبي جهلٍ ـ أسلَمَتا، فأمّا أمُّ حَكيمٍ فاستأمَنَت رسولَ الله ﷺ لعِكْرمة، فآمَنَه، فلَحِقَت به باليمن فجاءَت به[2]، فلمّا أسلمَ عِكْرمةُ وصفوانُ أقَرَّهما رسولُ الله ﷺ عندهما على النِّكاح الأوَّل[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن عبد الرَّحمن بن حسّان بن ثابتٍ قال: رَمَى

= في «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٤٦.

ثمّ إن صفوان أسلمَ بعد ذلك بنحوٍ من شهرٍ فيما قاله الزهري كما في «الموطأ» ٢/ ٥٤٤، وذلك بعد حُنينٍ والطائف.

وروى مسلم (٢٣١٣) عن ابن شهاب قال: خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذٍ صفوانَ بن أُمية مئةً من النَّعَم ثم مئةً ثم مئةً. قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيّب أن صفوانَ قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنّه لأبغضُ الناس إليّ، فما بَرِحَ يُعطِيني حتى إنّه لأحبُّ الناس إليّ.

(١) انظر فيما تقدم ٢/ ٣٨٥-٣٨٦.

(٢) تقدم ص٧٢ ترجيحنا أنها أدركته بساحل من سواحل تهامةَ، وأن ذلك الساحل هو جُدَّةُ، كما وقع لصفوان بن أميّة.

(٣) ورواه عن الزهريِّ أيضاً مالكٌ في «الموطأ» ٢/ ٥٤٤ و٥٤٥، ومعمرٌ كما في «مصنف عبد الرزاق» (١٢٦٤٦).

قال الشافعي في «الأم» ٦/ ٣٩٦: هذا أمر معروف عند أهل العلم بالمغازي.

حسّانُ ابنَ الزِّبَعرَى وهو بنَجْرانَ ببيتٍ واحدٍ ما زادَه عليه:

لا تَعدَمَنْ رجلاً أحَلَّك بُغضُهُ   نَجرانَ في عَيشٍ أَجَدَّ لَئيمِ[1]

فلمّا بَلَغَ ذلك ابنَ الزِّبَعرَى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلمَ، فقال حين أسلمَ[2]:

يا رسولَ المَليكِ إنّ لساني   راتِقٌ ما فَتَقتُ إذ أنا بُورُ[3]

إذ أُبارِي الشّيطانَ في سَنَنِ الغَيِّ   ومَن مالَ مَيلَهُ مَثْبورُ[4]

آمَنَ اللّحمُ والعِظامُ لربِّي   ثمّ قَلْبي الشَّهيدُ أنتَ النَّذيرُ

إنّني عنكَ زاجِرٌ ثَمَّ حيّاً   من لُؤيٍّ وكلُّهمْ مغرورُ

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن الزِّبَعرَى أيضاً حين أسلمَ[5]:

مَنَعَ الرُّقادَ بَلابلٌ وهُمومُ   واللّيلُ مُعتلِجُ الرِّوَاقِ بَهيمُ[6]

ممّا أَتاني أنّ أحمدَ لامَني   فيهِ فبِتُّ كأنّني محمومُ

---

(١) من رواه: أجدَّ (كما في النسخ: ت، ص، ط، ف، ق٢، م، ي) فمعناه: يابس منقطع، ومن رواه: أحذَّ (كما في: ش٢، غ) فمعناه: القليل الخفيف، وقُيِّد في (ش١) و(ش٢) بالوجهين.

وأحَلَّك، أي: أنزلك. وأراد بالرجلِ رسولَ الله ﷺ.

وهذا البيت في «ديوان حسان» ١/ ٢٨٧، وزاد فيه بيتين آخرين.

(٢) انظر «شعر عبد الله بن الزبعرى» صنعة يحيى الجبوري ص٣٦.

(٣) الراتق: السادّ، تقول: رَتقتُ الشيءَ، إذا سَدَدتَه، قال الله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]. وفتَقَ، أي: شقَّ وخرق، يريد: ما أفسدتُ أيام جاهليّتي. والبُورُ: الهالك.

(٤) أباري: أُعارض وأُجاري. والسَّنَن: وسط الطريق. والمثبور: الهالك أيضاً.

(٥) انظر «شعره» أيضاً ص٤٥.

(٦) البلابل: الوساوس المختلطة والأحزان. والاعتلاج: شدة وقوة. والرّواق: طائفة من الليل. والبهيم: الذي لا ضياءَ فيه.

يا خيرَ مَن حَمَلَت على أَوصالِها عَيْرانـةٌ سُـرُحُ اليـدَينِ غَشُـومُ[1]

إنّـي لَمُعتـذِرٌ إليـكَ مـنَ الّـذي أسـدَيتُ إذ أنـا في الضَّـلالِ أَهِـيمُ[2]

أيّـامَ تـأمُرُني بـأَغوَى خُطّـةٍ سَـهْمٌ وتـأمُرُني بهـا مخـزومُ[3]

وأمُـدُّ أسـبابَ الـرَّدَى ويَقُـودُني أمـرُ الغُـوَاةِ وأمـرُهمْ مشـؤومُ[4]

فـاليومَ آمَـنَ بـالنبيِّ محمّـدٍ قَلْبـي ومُخطِـئُ هـذه محـرومُ

مَضَت العَداوةُ وانقَضَت أسبابُها ودَعَـت أواصِـرُ بينَنَـا وحُلـومُ[5]

فاغفِرْ فِدًى لـك والـدايَ كِلاهمـا زَلَلِـي فإنّـك راحـمٌ مَرحُـومُ

وعليكَ من عَلَمِ المَليكِ عَلامةٌ نـورٌ أغَـرُّ وخـاتَمٌ مَختُـومُ[6]

أعطـاكَ بعـدَ مَحَبّـةٍ بُرهانَـهُ شَـرَفاً وبُرهـانُ الإلٰـهِ عظـيمُ

ولقد شَهِدتُ بأنّ دينَكَ صادِقٌ حـقٌّ وأنّـك في العِبـادِ جَسـيمُ[7]

---

(١) عَيرانة: ناقة تُشبِه العَيْر ـ وهو حمار الوحش ـ في شدّته ونشاطه. وسُرُح اليدين: خفيفة اليدين. والغَشُوم: التي لا تُرَدُّ عن وجهها، ويروى: سَعُوم، وهي القويّة على السير، ومن رواه: رَسُوم، فمعناه أنها ترسم الأرض وتؤثّر فيها من شدّة وطئها. انظر «الروض» للسهيليِّ ٧/ ١٤٦، و«الإملاء» للخشنيّ ص٣٧٤.

(٢) أسديتُ: صنعتُ وحِكتُ، يعني به ما قال من الشعر قبل إسلامه. وأَهيم: أذهبُ على وجهي متحيِّراً.

(٣) بأغوى خُطّة، أي: بأشرِّ أمر وأقبحه. وسهم ومخزوم البطنان المعروفان من قريش، وابن الزِّبعرى سهميٌّ.

(٤) أسباب الرَّدى: طرق الهلاك.

(٥) الأواصر: جمع آصِرَة، وهي قرابة الرَّحِم بين الناس. وحُلوم: جمع حِلْم، وهو الأَناة والعقل.

(٦) العَلَم: الأثر والسِّمة. والأغرّ: الأبيض الوضيء.

(٧) جسيم، أي: عظيم ذو شأن.

والله يَشْهَدُ أنّ أحمدَ مُصطفًى مُستقبَلٌ في الصّالحين كريمُ[1]
قَرْمٌ علَا بُنيانُه من هاشمٍ فَرْعٌ تمكَّنَ في الذُّرَى وأَرُومُ[2]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها له.

قال ابن إسحاق: وأمّا هُبَيرةُ بن أبي وهبٍ المخزوميُّ، فأقامَ بها[3] حتّى مات كافراً، وكانت عنده أمُّ هانئٍ ابنةُ أبي طالبٍ، واسمها هِندٌ، وقد قال حين بَلَغَه إسلامُ أمِّ هانئٍ:

أشاقَتْكَ هِندٌ أم نَآكَ[4] سُؤالُها كذاكَ النَّوَى أسبابُها وانفِتالُها
وقد أَرَّقَتْ في رأسِ حِصنٍ مُمنَّعٍ بنَجْرانَ يَسْري بعدَ ليلٍ خَيالُها[5]
وعاذِلةٍ هَبَّتْ بلَيلٍ تَلُومُني وتَعذِلُني باللّيلِ ضَلَّ ضَلالُها[6]
وتَزعُمُ أنّي إن أطَعتُ عَشيرتي سأَرْدَى وهل يُردِينِ إلّا زِيالُها[7]
فإنّي لَمِن قومٍ إذا جَدَّ جِدُّهمْ على أيِّ حالٍ أصبحَ اليومَ حالُها

---

(١) مستقبَل: منظور إليه ملحوظ.

(٢) قَرْم: سيِّد، وأصله الفحل من الإبل. والذُّرى: الأعالي، جمع ذُرْوة. والأَرُوم والأَرُومة: الأصل، والجمع: أُرُوم.

(٣) أي: أقام بنجران.

(٤) في (ش١) ونسخة على حاشيتَي (ش٢) و(غ): أتاك. ومعنى نآك: بَعُدَ عنك، والنّأي والنَّوى: البُعد.

وقوله: أشاقتك هندٌ، أي: أشوَّقك طيفُها وذِكراها.

وقوله: وانفتالها، أي: تقلُّبها من حالة إلى حالة، وفي نسخة (غ): وانتقالها.

(٥) أرّقت، أي: أزالت النوم.

(٦) هبَّت: استيقظت. وضلَّ ضلالها: دعاء عليها بالضلال.

(٧) سأَردى: سأَهلِك. وزيالها: رحيلها وذهابها.

وإنّــي لَحَــامٍ مِــن وراءِ عَشــيرتي ... إذا كان من تحتِ العَوَالي مَجَالُها[1]

وصــارت بأيـدِيها السّـيوفُ كأنّهـا ... مَخـارِيقُ وِلـدانٍ ومنهـا ظِلالُهـا[2]

وإنّـي لأَقلِي الحاسـدينَ وفِعلَهـمْ ... علـى الله رِزْقـي نفسُـها وعِيالُهـا[3]

وإنّ كـلامَ المَـرءِ في غيـرِ كُنهِـهِ ... لَكالنَّبلِ تَهْوي ليس فيها نِصالُها[4]

فإن كنتِ قد تابَعتِ دينَ محمّدٍ ... وعَطَّفَتِ الأَرحـامَ منـكِ حِبالُهـا

فكُوني على أَعلى سَحيقٍ بهَضْبةٍ ... مُلَملَمــةٍ غَبْــراءَ يَــبْسٍ بِلالُهــا[5]

قال ابن هشام: ويُروى: وقَطَّعَتِ الأرحامَ منكِ حِبالُها[6].

قال ابن إسحاق: وكان جميعُ مَن شَهِدَ فتحَ مكّة من المسلمين عَشَرةَ آلافٍ: من بني سُلَيمٍ سبعُ مئة، ويقول بعضهم: ألفٌ، ومن بني غِفارٍ أربعُ مئة، ومن أسلَمَ أربعُ مئة، ومن مُزَينةَ ألفٌ وثلاثةُ نَفَرٍ، وسائرُهم من قُريشٍ والأنصارِ وحُلَفائهم وطوائفِ العربِ من تَميمٍ وقيسٍ وأَسَدٍ.

---

(١) العوالي: أعالي الرماح. والمَجَال: الجَوَلان في ساحة الحرب.

(٢) المخاريق: جمع مِخراق، وهي مناديل تلف ويمسكها الصبيان بأيديهم، ويضرب بها بعضهم بعضاً، شبَّه السيوف بها.

(٣) لأَقلي، أي: لأُبغِض، يقال: قَلَاه يَقلِيه، إذا أبغضه وكَرِهَه غاية الكراهة. ونفسها وعيالها: يريد نفسه وعياله.

(٤) في غير كُنهه، أي: في غير حقيقته. والنِّصال: حديد السّهام.

(٥) السحيق: البعيد. والهضبة: الأرض الصُّلبة العالية. والمُلملَمة: المستديرة. والغبراء: التي علاها الغبار. ويَبْس: يابسة.

وبِلالها، أي: نداوتها، يعني: ليس فيها ماء. وجاء في نسخة على حاشية (م): تِلالُها، جمع تلٍّ، وهو واضح، وقُيّدت في (ط) بالوجهين، التاء والباء.

(٦) كلام ابن هشام هذا من نسخة في (ش١) و(غ).

وكان ممّا قيل من الشِّعر في يوم الفتحِ قولُ حسّانَ بن ثابتٍ الأنصاريّ[1]:

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِوَاءُ   إلى عَذْراءَ مَنزِلُها خَلاءُ[2]

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ١٧.

تنبيه: هذه القصيدة لحسّان هي في الحقيقة جزءان، فيما نرى، فالأبيات التسعة الأولى منها نَفَسُها جاهليٌّ وليس بإسلاميٍّ، لما جاء فيها من التشبيب بالنساء وتحسين الوصف للخمر وما تُحدِثه في نفوس شاربيها، مما يعني أن هذين الجزءين قِيلا في مناسبتين مختلفتين، وأشار إلى ذلك السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٥١، والله تعالى أعلم.

(٢) عَفَت: تغيَّرت ودَرَسَت. وخلاء، أي: لا أَنيس فيها ولا جليس.

وذات الأصابع والجِوَاء وعَذْراء، ذَكَرَ حسان أنها ديار كانت لبني الحَسحاس ثم انمحت، وقد ذهب ابن الكلبي في «نسب معدّ واليمن» ١/ ٣٩٩، وابن عبد ربِّه في «العقد الفريد» ٣/ ٣٢٩، ونشوان الحِميَري في «شمس العلوم» ٣/ ١٢٧٩، إلى أن بني الحسحاس المذكورين في شعر حسان، هم الذين من بني النجار من الخزرج، وعليه فإن هذه الأماكن المذكورة كانت قريبة من مدينتهم يثرب ثمّ انمحت ولم يبق لها أثر.

ويحتمل أن يكون أراد ببني الحسحاس حيّاً معروفاً من بني أَسد بن خُزيمة كما ذكر السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٤٧، وديار بني أَسد بنجدٍ، وذكر نصرٌ الإسكندريّ فيما نقله عنه ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ١٧٤ أن الجِواءَ في ديار عبسٍ أو أَسدٍ. قلنا: وهذه تعرف الآن بعيون الجِواء، وهي في الشمال الغربي من مدينة بريدة على قرابة ٣٠ كم.

وذهب الأندلسيّانِ أبو عبيد البكريُّ في «معجم ما استعجم» ١/ ١٦١ والسهيليُّ، إلى أن هذه الأماكن في الشام، وأن الجِواء كان منزل الحارث بن أبي شَمِر الغسّاني، وزاد السهيليُّ: أن حسان كان كثيراً ما يَرِدُ على ملوك غسان بالشام يمدحهم ـ يعني في جاهليّته ـ فلذلك يذكر هذه المنازل. وإلى نحو هذا ذهب عبد الرَّحمن البرقوقيُّ في «شرح ديوان حسان» ص٢، لكنه قال: أحسب حسان أراد بالحسحاسِ الرجلَ الجواد، يريد بذلك بني الجُود.

قلنا: فإن كان هذا مراد حسان في شعره، فإنه لم يعد يُعرَف من الأماكن الثلاثة المذكورة غير عَذْراء، وأهل الشام الآن يلفظونها: عَذْرا، وهي بلدة تقع شمال شرق مدينة دمشق وتبعد عنها =

دِيارٌ من بني الحَسْحاسِ قَفْرٌ   تُعفِّيها الرَّوَامسُ والسَّماءُ[1]

وكانت لا يَزالُ بها أَنيسٌ   خِلالَ مُروجِها نَعَمٌ وشاءُ[2]

فدَعْ هذا، ولكنْ مَن لطَيْفٍ   يُؤرِّقُني إذا ذهبَ العِشاءُ[3]

لِشَعثاءَ الّتي قد تَيَّمَتْهُ   فليسَ لقَلبِه منها شِفاءُ[4]

كأنّ خَبيئةً من بيتِ رأسٍ   يكون مِزاجَها عسلٌ وماءُ[5]

إذا ما الأَشرِباتُ ذُكِرنَ يوماً   فهُنَّ لطيِّبِ الرَّاحِ الفِداءُ[6]

= قرابة ٢٥ كم.

ولعلَّه مما يرجِّح هذا القول، ذكرُ حسان لبيتِ رأس والتنويه بخمرتها كما سيأتي، وبيتُ رأس من بلاد الشام أيضاً كما سيأتي، فتكون هذه الأماكن ممّا كان حسان يرتاده قبل الإسلام لمنادمة الغساسنة ومن يليهم من العرب، والله تعالى أعلم.

(١) الرَّوامس: الرياح التي تَرمُس الآثارَ، أي: تغطّيها بالتراب. والسماء: المطر.

(٢) المروج: جمع مَرْج، وهي أرض ذات نبات ومَرْعى. والنَّعَم: المال الراعي، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. والشَّاء: اسم لجماعة الشِّياه.

(٣) الطَّيف: خيال المحبوبة يهجم عند النوم. ويؤرِّقني: يسهِّرني ويُذهِب نومي، يريد أن الطيف إذا زال عنه وَجَدَ له لوعةً تؤرّقه. والعِشاء: أول الظلام من الليل.

(٤) تَيَّمَته، أي: عذَّبت قلبه. قال السهيليُّ: وشعثاء التي يشبِّب بها حسان هي بنت سلام بن مِشكَم اليهودي، وقد كان تحت حسان أيضاً امرأة اسمها شعثاءُ بنت كاهن الأسلميّة، وَلَدَت له أمَّ فِراس.

(٥) الخَبيئة: الخمر المخبوءة المَصُونة المضنون بها.

وبيت رأس ـ وتُسهَّل الهمزة ـ: بلدة شمال مدينة إربد في شمال الأردنّ متّصلة بها، كانت مشهورة بصناعة الخمر قبل الإسلام.

ومِزاجها، أي: مَزجُها وخَلطُها.

(٦) الأَشرِبات: جمع الأشربة، والأشربة: جمع شراب، يريد أن الأشربة غير الراح، =

نُولِّيهـا المَلَامـةَ إن أَلَمْنـا	إذا مـا كـان مَغْـثٌ أو لِحـاءُ[1]
ونَشـربُها فتَتْرُكُنـا مُلوكـاً	وأُسْـداً مـا يُنَهنِهُنـا اللِّقـاءُ[2]
عَـدِمْنا خيلَنـا إن لـم تَروهـا	تُثِيـرُ النَّقْـعَ مَوعِـدُها كَـدَاءُ[3]
يُنـازِعنَ الأعِنّـةَ مُصـغِياتٍ	علـى أكتافِهـا الأَسَـلُ الظِّمـاءُ[4]
تَظَـلُّ جِيادُنـا مُتَمطِّـراتٍ	تُلطِّمُهُـنَّ بالخُمُـرِ النِّسـاءُ[5]

= وهي الخمر، لا تدانيها في اللّذّة.

(١) نولِّيها المَلامة، أي: نَصرِف اللوم إلى الخمر ونعتذر بالسُّكر. إن ألَمْنا، أي: إن فعلنا ما نستحقّ عليه اللوم. والمَغْث: الشرُّ والضرب باليد. واللِّحاء: السِّباب.

(٢) ما ينهنهنا، أي: ما يَزجُرنا وما يردّنا.

(٣) النَّقع: الغُبار. وكَدَاء: بأعلى مكة تقدّم التعريف بها ص٤١-٤٢.

ويروى كما في «صحيح مسلم» (٢٤٩٠) في حديث عائشة:

ثَكِلتُ بُنيَّتي إن لم تروها　　تثيرُ النَّقعَ من كَنَفَي كَداءِ

وعلى هذه الرواية ففي هذا البيت إقواءٌ مخالف لباقيها.

(٤) الأعنّة: جمع عَنان، وهو اللِّجام. ومُصغِيات، أي: مُميلات رؤوسهن للطَّعن. والأَسَل: الرِّماح. والظِّماء: العِطاش المشتاقة إلى الدماء.

وفي «الديوان»: يُبارِين الأسنّة، بدل: ينازعن الأعنة، ويروى كما عند مسلمٍ: يُبارِين الأعنّة مُصعِدات. ومعنى مُصعِدات: مقبلات إليكم ومتوجِّهات.

يصفُ حسّان الخيلَ بأنها لشوقها للحرب سَلِسةُ القِياد ماضيةٌ لا تلوي على شيء، وأن على أكتاف الفرسان الرماح المتعطِّشة إلى الدماء، ومباراة الخيل للأسنّة: أن يمدَّ الفارسُ رمحَه فيركضَ الفرسُ ليسبقَ السِّنان.

(٥) متمطِّرات، أي: يتسارعن في الجَرْي يسابق بعضُها بعضاً.

وتلطِّمهنّ، أي: تضرب النساء وجوههن بخُمُرهنّ لتردّهنّ، والخُمُر: جمع خِمار، وهو ما تغطّي به المرأة رأسها، أي: أن النساء كنَّ يضربن وجوه الخيل بخُمُرهن يوم الفتح. =

فإمّا تُعرِضوا عنّا اعتَمَرْنا ... وكان الفتحُ وانكَشَفَ الغِطاءُ[1]

وإلّا فاصبِروا لجِلادِ يومٍ ... يُعِينُ اللهُ فيه مَن يَشاءُ[2]

وجِبريلُ رسولُ الله فينا ... ورُوحُ القُدْسِ ليس له كِفاءُ[3]

وقال الله: قد أَرسلتُ عبداً ... يقول الحقَّ إن نَفَعَ البَلاءُ[4]

شَهِدتُ به فقُومُوا صَدِّقوهُ ... فقلتُم: لا نَقومُ ولا نَشاءُ

وقال اللهُ: قد يَسَّرتُ جُنداً ... هُمُ الأنصارُ عُرضَتُها اللِّقاءُ[5]

لنا في كلِّ يومٍ من مَعَدٍّ ... سِبابٌ أو قتالٌ أو هِجاءُ[6]

فنُحكِمُ بالقَوافي مَن هَجَانا ... ونَضرِبُ حين تَختلِطُ الدِّماءُ[7]

= وذكر السهيليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ١٥٢ عن ابن دريد في «الجمهرة» أنه قال: كان الخليل رحمه الله يروي بيت حسّان: يُطلِّمُهنّ بالخُمُر، وينكر يلطِّمهنّ، ويجعله بمعنى: ينفض النساءُ بخُمُرهنّ ما عليهن من غُبار أو نحو ذلك، وأَتبع بذلك ابنُ دريد قوله: الطَّلْمُ ضربك خُبْزة المَلَّة (والمَلَّة: الرَّماد الحارّ) بيدك لتنفضَ ما عليها من الرَّماد، والطُّلْمة: الخُبزة.

وكلام ابن دريدٍ هذا في كتابه «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٢٥-٩٢٦.

(١) اعتمرنا: أدَّينا مناسك العمرة، وهي زيارة بيت الله الحرام.

يقول: إن لم تتعرّضوا لنا حين تغزوكم خيلُنا وأخليتم لنا الطريق، قصدنا إلى البيت الحرام وزرناه، وتمَّ الفتحُ وانكشف الغطاء عمّا وعد الله به نبيَّه ﷺ من فتح مكة.

(٢) الجِلاد: القتال بالسيوف. ويروى كما عند مسلمٍ: يُعِزُّ اللهُ، بدل: يُعِين الله.

(٣) روح القُدس: هو جبريل نفسه، والقُدس: الطهارة. وليس له كِفاء، أي: ليس له نظير.

(٤) ويروى كما عند مسلمٍ: يقول الحق ليس به خفاءُ.

(٥) عُرْضتها اللقاء، أي: عادتها أن تتعرّض للقاء عدوّها، فهي قويّة عليه.

(٦) من معدٍّ، أي: من قريش، لأنهم من مَعَدّ بن عدنان.

(٧) نُحكِم من هجانا، أي: نُلجِمه فنمنعه ونكفُّه.

ألا أَبلِـغْ أبـا سـفيانَ عنّـي ... مُغَلغَلـةً فقـد بَـرِحَ الخَفـاءُ[1]

بـأنَّ سـيوفَنا تَرَكَتـكَ عبـداً ... وعبـدُ الـدّارِ سـادَتُها الإمـاءُ[2]

هَجَوتَ محمّداً وأَجبتُ عنه ... وعنـدَ الله في ذاكَ الجَـزاءُ

أتَهجُـوهُ ولسـتَ لـه بكُـفْءٍ ... فشَـرُّكما لخيرِكما الفِـداءُ[3]

هَجَـوتَ مُبارَكـاً بَـرّاً حَنيفـاً ... أمـينَ الله شِـيمَتُه الوَفـاءُ[4]

---

(١) أبو سفيان: هو ابن الحارث بن عبد المطّلب، ابنُ عمّ النبي ﷺ، وكان هجا النبيَّ ﷺ قبل أن يُسلِم. ومُغلغَلة: رسالة تُحمَل من بلد إلى بلد. وبَرِحَ الخفاءُ، أي: زال الخفاء ووَضُح الأمر وظهر ما كان خافياً وانكشف.

(٢) يريد أن سيوف الأنصار جعلت أبا سفيان كالعبد الذليل لكثرة من قتلوا من سادة قريش، وأما عبد الدار فإن سادتها، وهم حَمَلة لواء قريش، قد قُتلوا قتلاً ذريعاً يوم أُحد حتى أخذ اللواء يومها عبدٌ لهم اسمه صُؤَاب فقُتل، ثم أخذته امرأةٌ منهم وهي عَمْرة بنت علقمة الحارثية كما تقدّم ٣/ ٥٦، فكأنّ حسان يشير إلى ذلك.

(٣) قوله: فشرُّكما لخيركما الفداءُ، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٥١: في ظاهر هذا اللفظ بشاعة، لأن المعروف أن لا يقال: هو شرُّهما، إلّا وفي كِليهما شرٌّ، وكذلك: شرٌّ منك، ولكن سيبويه قال في «كتابه» (١/ ٤٢٣): تقول: مررتُ برجلٍ شرٍّ منك، إذا نقص عن أن يكون مثلَه، وهذا يدفع الشَّناعةَ عن الكلام الأوّل، ونحوٌ منه قوله عليه السلام: «شرُّ صفوف الرِّجال آخرُها» (وهو عند مسلم: ٤٤٠) يريد نقصانَ حظِّهم عن حظّ الأول، كما قال سيبويه، ولا يجوز أن يريد التفضيلَ في الشرِّ، والله أعلم.

(٤) قوله: حنيفاً، هكذا في النسخ (ش١) و(غ) و(ف) و(ي)، وعليه شرح الخشنيّ في «إملائه» ص٣٧٦ فقال: الحنيف: المسلم، وسُمّي حنيفاً، لأنه مالَ عن الباطل إلى الحق، والحَنَف: المَيْل.

وفي (ت) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م): حَفِيّاً. والحفيُّ: هو الرجل اللطيف بك، يَبَرُّك ويحتفي بك. =

أمَنْ يَهجُو رسولَ الله منكمْ ... ويَمدَحُه وينصُرُه سَواءُ

فإنَّ أَبي ووالدَهُ وعِرْضي ... لعِرْضِ محمّدٍ منكمْ وِقَاءُ

لِساني صارمٌ لا عَيْبَ فيهِ ... وبَحْري لا تُكدِّرُه الدِّلاءُ[1]

قال ابن هشام: قالها حسّانُ قبلَ[2] يوم الفتح.

ويُروَى: لساني صارمٌ لا عَتْبَ فيه.

وبَلَغَني عن الزُّهْريّ أنه قال: لمّا رأى رسولُ الله ﷺ النّساءَ يَلطِمنَ الخيلَ بالخُمُر تَبسَّمَ إلى أبي بكرٍ[3].

قال ابن إسحاق: وقال أنسُ بن زُنَيمٍ الدِّيليّ يَعتذِرُ إلى رسول الله ﷺ ممّا كان قال فيهم عمرُو بن سالمٍ الخُزَاعيّ[4]:

أأنتَ الذي تُهدَى مَعَدٌّ بأمرِهِ ... بلِ اللهُ يَهدِيهمْ وقال لكَ: اشهَدِ

= وشِيمتُه: طبيعته.

(١) صارم، أي: حادٌّ قاطع. وبحري: يريد به شِعره، شبّهه بالبحر لغزارته وكثرة مياهه فلا تعكّره كثرة الدلاء، يعني أنه لا يستطيع أحد أن يجاريه بحدّة معانيه وكثرتها.

(٢) لفظ «قبل» سقط من مطبوعة السقا وصاحبيه، ولا يصح إسقاطها، فأبو سفيان المذكور في هذه القصيدة هو ابن الحارث بن عبد المُطَّلِب، وكان قد لقي النبيَّ ﷺ في الطريق هو وأهله فأسلموا كما تقدّم ص٥٣-٥٤، ودخل مع النبي ﷺ مكةَ مسلماً.

(٣) حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله وإعضاله بين ابن هشام والزهري.

لكن يشهد له بنحوه حديث عبد الله بن عمر عند الحاكم (٤٤٩١)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٦٦، بإسناد حسن في المتابعات والشواهد، وحسّنه ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٥٠٨.

(٤) وقد كان عمرو الخزاعيُّ قال للنبيِّ ﷺ عندما قدم يستنصره على بني بكر لمّا نقضوا العهدَ: إن أنس بن زنيم هَجَاك، فأهدَرَ رسول الله ﷺ دمَه، فبلغه ذلك، فقَدِمَ عليه معتذراً وأنشده هذه الأبيات يمدحه بها، فعفا عنه. انظر «الإصابة» لابن حجر ١/ ١٢٢.

وما حَمَلَت من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها ... أبَرَّ وأَوفَى ذِمّةً من محمَّدِ
أحَثَّ على خيرٍ وأسبَغَ نائلاً ... إذا راحَ كالسّيفِ الصَّقيلِ المُهنَّدِ[(١)]
وأَكسَى لبُرْدِ الخالِ قبلَ ابتذالِه ... وأَعطَى لرأسِ السّابقِ المُتَجرِّدِ[(٢)]
تَعلَّمْ رسولَ الله أنّكَ مُدْرِكي ... وأنّ وعيداً منك كالأخذِ باليدِ[(٣)]
تَعلَّمْ رسولَ الله أنّكَ قادرٌ ... على كلِّ صِرْمٍ مُتْهِمينَ ومُنجِدِ[(٤)]
تَعلَّمْ بأنّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيمرٍ ... هم الكاذبونَ المُخلِفو كلِّ موعدِ[(٥)]
ونَبَّوْا رسولَ الله أنّي هَجَوتُهُ ... فلا حَمَلَت سَوْطي إليَّ إذاً يَدِي[(٦)]
سوى أنّني قد قلتُ: وَيلُ اْمِّ فِتْيةٍ ... أُصيبوا بنَحسٍ لا بطَلْقٍ وأَسعُدِ[(٧)]
أصابَهم مَن لم يكن لدِمائهمْ ... كِفاءً فعَزَّتْ عَبْرتي وتَبلُّدي[(٨)]

---

(١) أسبغ: أكمل. والنائل: العطاء.

(٢) الخال: نوع من برود اليمن، وهو من أجود الثياب، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٥٣: وأحسبه سُمّي بالخال الذي بمعنى الخُيَلاء.

وقوله: قبل ابتذاله، أي: قبل أن يَبلَى. والسابق: الفرس. والمتجرِّد: الذي يتجرّد من الخيل، أي: الذي ينفصل عنها لهِمّته، فيسبقها.

(٣) تعلَّم: بمعنى اعلَمْ. والوعيد: التهديد.

(٤) الصِّرم: البيوت المجتمعة. والمُتهِم: هو الذي يسكن تِهامةَ، وهي المنخفض من أرض الحجاز. والمُنجِد: من يسكن النَّجد، وهو المرتفع من الأرض.

(٥) الرَّكب: جماعة المسافرين. وعُويمر: أراد عمرو بن سالم الخُزاعي.

(٦) نبَّوا، مسهَّل من: نبَّؤُوا، أي: أخبَروا.

(٧) الطَّلْق: الأيام السعيدة، يقال: يوم طَلْق، إذا لم يكن فيه حرٌّ ولا بردٌ ولا شيءٌ يؤذي، وكذلك: ليلةٌ طَلْقٌ وطَلْقةٌ.

(٨) عزَّت: اشتدَّت. والعَبْرة: الدمعة. وتبلُّدي: تحيُّري، وعلى حاشية (ش٢): ويروى: =

وأنّكَ قد أخفَرتَ إن كنتَ ساعياً ... بعبدِ بنِ عبدِ الله وابنةِ مَهْوَدِ[1]

ذُؤَيبٌ وكُلثومٌ وسَلْمى تَتابَعوا ... جميعاً فإلّا تَدمَعِ العينُ أَكمَدِ[2]

وسَلْمى، وسَلْمى ليس حيٌّ كمِثلِه ... وإخوَتِه، وهلْ ملوكٌ كأعبُدِ

فإنّيَ لا دِيناً[3] فَتَقتُ ولا دماً ... هَرَقتُ، تَبَيَّنْ عالِمَ الحقِّ واقصِدِ

فأجابه بُدَيلُ بن عبد مَنافٍ ابنُ أمِّ أصرَمَ[4]، فقال:

بَكَى أنسٌ رَزْناً فأعوَلَه البُكا ... فألّا عَدِيّاً إذ تُطَلُّ وتُبعَدُ[5]

بَكَيتَ أبا عَبسٍ لقُربِ دمائِها ... فتُعذَرُ إذ لا يُوقِدُ الحربَ مُوقِدُ

أصابَهمُ يومَ الخنادمِ فِتيةٌ ... كِرامٌ فسَلْ، منهم نُفَيلٌ ومَعبَدُ[6]

= تجلُّدي؛ أي: تصبُّري.

(١) أخفرت: نقضتَ العهد.

(٢) أكمَدُ: من الكَمَد، وهو الحزن المكتوم.

وذؤيب وكلثوم وسلمى هؤلاء كانوا من أشراف بني رَزْنٍ من بني الدِّيل، من بني بكر بن عبد مناة، وكانت خزاعةُ قد قتلتهم قبل الإسلام بعرفة كما تقدم ص٣٣.

(٣) في (ت) و(ط) و(ف) ونسخة على حاشيتَي (ص) و(م): ذنباً، وقُيِّد في نسخة (ش١) بالوجهين. أي: ما أحدثتُ من ذنبٍ.

وقوله: لا ديناً فتقت، أي: ما أحدثتُ فيه شيئاً، أو ما خرجتُ منه. وأراد بقوله: عالِم الحق، النبيَّ ﷺ، والقَصْد: العدل.

(٤) هكذا سمّاه ابن إسحاق، وسمّاه ابن سعد كما في «الطبقات» ٥/ ١٨٩: بديل بن سلمة بن خلف الخزاعي، وكذا سمّاه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٩٢، وتابعهما ابن الأثير في «أسد الغابة» وابن حجر في «الإصابة».

(٥) العويل: رفع الصوت بالبكاء. وتُطَل: يُبطَل دمها ولا يؤخذ بثأرها.

(٦) يوم الخنادم: أراد يوم الخَندَمة، فجمعها مع ما حولها، وهي موضع بمكة، وقد تقدم =

هنالـك إن تَسـفَحْ دُموعَـك لا تُلَـمْ   عليهمْ وإن لم تَدمعِ العينُ فاكمَدُوا[1]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال بُجَير بن زهير بن أبي سُلْمى[2] في يوم الفتح:

نَفَـى أهـلَ الحَبَلَّـقِ كـلَّ فـجٍّ   مُزَينـةُ غُـدْوةً وبنـو خُفَـافِ[3]

ضَـرَبناهمْ بمكّـةَ يـومَ فـتحِ النّـبـيِّ الخَيْـرِ بـالبِيضِ الخِفـافِ[4]

صَـبَحْناهمْ بسَـبعٍ مـن سُـلَيمٍ   وأَلْـفٍ مـن بنـي عثمـانَ وافِ[5]

نَطَـا أكتـافَهمْ ضـرباً وطَعنـاً   ورَشْـقاً بالمُرَيَّشـةِ اللِّطـافِ[6]

= ذكر يوم الخندمة ص٦٥-٦٦.

(١) تسفح دموعك، أي: تُسِيلها.

وقوله: فاكمدوا، هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، على لفظ الجمع، من الكَمَد: وهو الحزن، وفي (ت) و(ص) و(ط) و(ف) و(ق٢) و(م) و(ي): فاكمَدِ، بالإفراد بكسر الدال، وهو إقواءٌ.

(٢) وقد وهمَ أبو العباس الأحول اللُّغوي فنسب هذه القصيدة لكعب بن زهير أخي بجير وأدخلها في ديوانه، وإنما أسلم كعبٌ بعد فتح مكة. انظر آخر «شرح ديوان كعب» صنعة أبي سعيد السُّكّري ص٢٤٤ بتحقيق عباس عبد القادر.

(٣) قال السهيليّ في «الروض» ٧/ ١٥٥: الحبلَّق: أرض يسكنها قبائل من مُزينة وقيس، والحبلَّق: الغنم الصِّغار، ولعله أراد بقوله: أهل الحبلَّق، أصحاب الغنم، وبنو خُفَاف: بطن من سُليم.

(٤) الخَيْر، أي: ذو الخير، ويجوز أن يريد الخيِّر، بتشديد الياء فخفَّف، كما يقال: هيِّن وهَيْن. والبِيض الخِفاف: السيوف.

(٥) بسبع، أي: بسبع مئة. وبنو عثمان: هم مُزينة، وهم بنو عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة ابن الْياس بن مُضَر، ومزينةُ أمُّهم.

(٦) نطا: أراد نَطَأُ، فخفَّف الهمزة. والرَّشق: الرمي السريع. والمريَّشة: يعني بها السِّهام =

تَـرَى بـين الصُّـفوفِ لهـا حَفيفـاً كما انصاعَ الفُوَاقُ مـن الرِّصـافِ[1]

فرُحْنـا والجِيـادُ تَجُـولُ فـيهمْ بأرمــاحٍ مُقوَّمــةِ الثِّقــافِ[2]

فأُبْنـا غـانِمينَ بمـا اشـتَهَينا وآبُـوا نـادِمينَ علـى الخِـلافِ[3]

وأعطَينــا رســولَ الله منّــا مَواثِقَنـا علـى حُسـنِ التَّصـافي

وقــد سَـمِعوا مَقالتَنـا فهَمُّـوا غَـداةَ الـرَّوعِ منّـا بانصِـرافِ[4]

قال ابن هشام: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ السُّلَميّ في فتح مكّة:

منّـا بمكّــةَ يـومَ فـتحِ محمّــدٍ ألـفٌ تَسـيلُ بـه البِطـاحُ مُسـوَّمُ[5]

نَصَـروا الرسـولَ وشاهَدوا أيّامَـهُ وشِــعارُهمْ يــومَ اللّقــاءِ مُقــدَّمُ[6]

في مَنــزِلٍ ثَبَتَــت بــه أقــدامُهمْ ضَــنْكٍ كـأنّ الهـامَ فيـه الحَنـتَمُ[7]

= ذوات الرِّيش.

(١) الحفيف: الصوت. وانصاع: ذهبَ وخرج من موضعه. والفُواق هنا: الفُوق، وهو طرف السَّهم الذي يلي وَتَر القوس.

والرِّصاف: جمع رَصَفة، وهي خيط أو نحوه يُلوَى على مدخل النَّصل في السهم، أو يلوى على فُوق السهم.

(٢) الثِّقاف: الخشبة أو الحديدة التي تُقوَّم بها الرماح والسهام.

(٣) أُبنا غانمين، أي: رجعنا غانمين بالأجر من محاربتهم على الإسلام، ورجعوا هم نادمين على مخالفتهم لرسول الله ﷺ.

(٤) الرَّوع: الفزع.

(٥) البِطاح: جمع بطحاء وهي الأرض السهلة المتسعة. ومسوَّم، أي: مرسل، أو هو المُعلَم بعلامة.

(٦) شعارهم: علامتهم في الحرب. ومقدَّم: يريد أنهم في مقدَّمة الجيش.

(٧) الضَّنك: الضِّيق. والهامُ: الرؤوس، واحدها: هامَةٌ. والحَنتَم هنا: الحنظل المرّ.

جَــرَّتْ سَــنابكَها بنَجــدٍ قبلَهــا   حتّى استَقادَ لها الحِجازُ الأدهَمُ[1]
اللهُ مَكَّنَــــه لــــه، وأذَلَّــــهُ   حُكْمُ السّيوفِ لنا وجَدٌّ مِزحَمُ[2]
عَــوْدُ الرِّياســةِ شــامخٌ عِرْنينُــهُ   مُتَطلِّــعٌ ثُغَــرَ المَكــارمِ خِضــرِمُ[3]

إسلام عبّاس بن مِرْداس

قال ابن هشام: وكان إسلامُ عبّاس بن مِرْداسٍ ـ فيما حدّثني بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر ـ وحديثُه: أنّه كان لأبيه مِرْداسٍ وَثَنٌ يَعبُدُه وهو حَجَرٌ كان يقال له: ضَمَارِ[4] فلمّا حُضِرَ مِرداسٌ قال لعبّاس: أيْ بُنيَّ، اعبُدْ ضَمَارِ، فإنّه يَنفَعُك ويَضُرُّك. فبَيْنا عبّاسٌ يوماً عند ضَمَارِ، إذ سمعَ من جَوْفِ ضَمَارِ منادياً يقول:

قُــلْ للقبائــلِ مِــن سُــلَيمٍ كلِّهــا   أَودَى ضَمَارِ وعاشَ أهلُ المسجدِ[5]
إنَّ الــذي وَرِثَ النُّبــوّةَ والهُــدَى   بعدَ ابنِ مريمَ من قُريشٍ مُهتَدِي
أَودَى ضَــمَارِ وكــان يُعبَــدُ مَــرّةً   قبلَ الكتابِ إلى النبيِّ محمّدِ

(١) سنابكها: أطراف حوافر الخيل. واستقاد: من الانقياد، وهو الخضوع. والأدهم هنا: المجتمع من الدَّهماء، وهي جماعة الناس.

(٢) مِزحم، أي: يزاحم الأمور ولا يهابها.

(٣) عَوْد الرياسة، أي: قديمها، وأصل العَوْد: المُسِنّ من الإبل. وشامخ: مرتفع. والعِرنين: طرف الأنف، يريد به العِزّة.

وقوله: متطلِّع ثُغَر المكارم، أي: يسعى دائماً إلى المواضع التي تُذكر في المكارم. والخِضرِم: الجواد الكثير العطاء.

(٤) هكذا قُيِّد في نسخنا، وكذا قيَّده السهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٥٦ ببناء الراء على الكسر مثل: حَذَامِ ورَقَاشِ.

(٥) أَودى: هَلَكَ. والمسجد هنا: مسجد النبي ﷺ بالمدينة.

فحَرَّقَ عبّاسٌ ضَمَارِ ولَحِقَ بالنبيِّ ﷺ فأسلمَ[1].

قال ابن هشام: وقال جَعْدةُ بن عبد الله الخُزاعيّ يومَ فتح مكّة:

أكعبَ بنَ عمرٍو دَعْوةً غيرَ باطلٍ   لحَيْنٍ له يومَ الحديدِ مُتاحِ[2]

أُتِيحَت له من أرضِه وسمائِه   لِتَقتلَهُ ليلاً بغيرِ سلاحِ

ونحنُ الأُلَى سَدَّت غَزَالَ خيولُنا   ولِفْتاً سَدَدْناه وفَجَّ طِلَاحِ[3]

خَطَرْنا وراءَ المسلمينَ بجَحفَلٍ   ذَوِي عَضُدٍ من خيلِنا ورِماحِ[4]

---

(١) روي خبر إسلام عباس بن مرداسٍ هذا بنحوه عند ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٩٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٩٢)، والدِّينوري في «المجالسة» (٢٠٤٤)، والطبراني كما في «جزء ما انتقى ابن مردويه عليه» (١٦٤)، وقوام السنة الأصبهاني في «دلائل النبوة» (١٥٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٦/ ٤١١-٤١٢، بإسناد ضعيف بمرّةٍ عن عباس بن مرداس.

(٢) كعب بن عمرو: هم خُزاعة. والحَين: الهلاك. ومُتاح: مقدَّر، وهو صفة لحَينٍ.

وأما يوم الحديد: فالظاهر أنه يريد به اليوم الذي يقع فيه اقتتال، لكثرة ما تصطكُّ فيه السيوف المصنوعة من الحديد.

(٣) الأُلى: الذين.

وغَزَال: ثنيّة عُسْفان التي تهبط إليه من الشمال. ولِفْت: تعرف اليوم باسم الفَيْت، وهي بين قُدَيد وخُلَيص، شمال عُسفان. والفجُّ: الطريق الواسع بين جبلين، ويعني به الوادي، وفجُّ طِلاح هذا: وادٍ صغير شمال شرقيّ غزال وجنوب شرقيّ لِفت كرأس المثلّث بينهما. قاله البِلادي في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٢٥-٢٢٦.

وعُسفان: شمال غرب مكة على قرابة ٧٥ كم.

(٤) خَطَرنا: اهتززنا وتحرَّكنا، ويروى: حَظَرْنا، كما قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٧٩، أي: مَنَعْنا، والشيء المحظور: الممنوع. وذوو عَضُد، أي: أصحاب سواعد قوية شديدة. والجحفل: الجيش الكثير.

وهذه الأبيات في أبياتٍ له.

وقال نُجَيدُ[1] بن عِمرانَ الخُزاعيّ:

وقـد أنشَـأَ الله السّـحابَ بنصـرِنا ... رُكـامَ سـحابِ الهَيـدَبِ المُتَـراكـبِ[2]

وهِجرَتُنـا في أرضِـنا عنـدَنا بهـا ... كتابٌ أَتى من خيـرِ مُمْـلٍ وكاتـبِ

ومـن أجلِنـا حَلَّـت بمكّـةَ حُرْمـةٌ ... لنُـدرِكَ ثـأراً بالسّـيوفِ القَواضِـبِ[3]

قال ابن إسحاق: وقد بَعَثَ رسولُ الله ﷺ فيما حولَ مكّة السَّرايا تدعو إلى الله عزَّ وجلَّ ولم يأمُرْهم بقتال، وكان ممّن بَعَثَ خالدُ بن الوليد وأمَرَه أن يسيرَ بأسفلِ تِهامةَ داعياً، ولم يَبعَثْه مقاتلاً، فوَطِئَ بني جَذِيمة فأصابَ منهم.

قال ابن هشام: وقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ في ذلك:

فإن تَكُ قد أمَّـرْتَ في القـوم خالـداً ... وقَدّمتَـــه فإنّـــه قـــد تَقــدَّما

بجُنـــدٍ هَـــدَاه اللهُ أنـــتَ أميـــرُه ... نُصِيبُ به في الحقِّ مَن كـان أظلَمـا

قال ابن هشام: وهذان البيتانِ في قصيدة له في حديث يوم حُنَينٍ، سأذكرُها إن شاءَ الله في موضعِها[4].

---

(١) هكذا في (ت) و(ق٢) و(ي)، وفي (ص) و(ط) و(غ) و(ف) و(م): بُجيد، بالباء، وقُيِّد في (ش١) و(ش٢) بالوجهين، وبالنون قيّده الدارقطنيُّ في «المؤتلف والمختلف» ١/ ١٩٣ على أنه نجيد ابن الصحابي عمران بن حُصين الخزاعي، وبه كان يُكنى، أما ابن حجر فذكره في «الإصابة» ١/ ٢٦٧ بالباء ثم قال: زعم بعض المتأخرين أنه ابن عمران بن حصين وليس بشيءٍ، لأن الذي جدُّه حصين أوّله نون، وهو تابعيٌّ معروف، وأما صاحب الشِّعر فالظاهر أنه غيرُه!

(٢) المتراكب: الذي يركب بعضه بعضاً. والهَيدَب: المتداني من الأرض.

(٣) القواضب: القواطع.

(٤) ص١٧٥.

مَسِيرُ خالد بن الوليد بعدَ الفتح إلى بني جَذِيمة من كِنانة ومَسِيرُ عليٍّ رضوان الله عليه لتَلَافي خطأ خالد[1]

قال ابن إسحاق: فحدّثني حَكيمُ بن حَكيم بن عبّاد بن حُنَيفٍ، عن أبي جعفرٍ محمّد بن عليٍّ قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليدِ حين افتَتَحَ مكّةَ داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائلُ من العرب: سُلَيمُ بن منصورٍ ومُدلِجُ بن مُرَّة، فوَطِئوا بني جَذِيمة بن عامر بن عبد مَناة بن كِنانةَ، فلمّا رآه القومُ أَخذوا السلاحَ، فقال خالدٌ: ضَعُوا السلاحَ، فإنّ الناسَ قد أَسلَموا[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعضُ أصحابنا من أهلِ العلم من بني جَذِيمة قال: لمّا أمَرَنا خالدٌ أن نَضَعَ السلاحَ، قال رجلٌ منّا يقال له جَحدَمٌ: وَيلَكم يا بني جَذِيمة، إنّه خالدٌ، والله ما بعدَ وَضْعِ السلاح إلّا الإسارُ، وما بعدَ الإسارِ إلّا ضربُ الأعناق، والله لا أَضَعُ سلاحي أبداً، قال: فأَخَذَه رجالٌ من قومه فقالوا له: يا جَحدَمُ، أتريدُ أن تَسفِكَ دماءَنا؟! إنّ الناسَ قد أسلَموا ووُضِعَت الحربُ وأَمِنَ النّاس. فلم يزالوا به

---

(١) وتُعرَف هذه السريّة أيضاً بيوم الغُميصاء، وهو اسم موضع لبني جذيمة جنوب مكة على مسافة ليلة ناحية يَلَملَم، وكانت هذه السريّة في شوّال، وخرج فيها مع خالدٍ ثلاثُ مئة وخمسون من المهاجرين والأنصار وغيرهم، انظر «الطبقات» لابن سعد ٢/ ١٣٦، وعنده وعند شيخه الواقدي: أن سريّة خالد هذه كانت بعد بعثه إلى العُزّى بنخلةَ ليهدمَها، على خلاف ما ذكر ابنُ إسحاق من تقديم سريّة بني جذيمة على هدمه العُزَّى.

(٢) أصل الحديث في قصة بني جَذِيمة صحيح كما سيأتي لاحقاً في تعليقاتنا، وإسناد ابن إسحاق فيه ضعفٌ لإرساله، فأبو جعفر ـ وهو المعروف بالباقر ـ ثقةٌ إمامٌ من صغار التابعين، وحكيم الراوي عنه حسن الحديث.

حتّى نَزَعوا سلاحَه، ووَضَعَ القومُ السلاحَ لقول خالدٍ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني حَكِيم بن حَكيمٍ، عن أبي جعفرٍ محمّد بن عليٍّ قال: فلمّا وَضَعُوا السّلاحَ أمَرَ بهم خالدٌ عند ذلك فكُتِّفوا، ثمّ عَرَضَهم على السّيفِ فقتل مَن قتل منهم، فلمّا انتهى الخبرُ إلى رسول الله ﷺ رَفَعَ يدَيهِ إلى السماءِ ثمّ قال: «اللّهمَّ إنّي أبرَأُ إليك ممَّا صَنَعَ خالدُ بن الوليدِ»[1].

---

(١) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله كما سبق.

وأصحُّ شيءٍ روي في قصة بني جذيمة هذه، ما رواه عبدُ الله بن عمر ـ وكان حاضراً في تلك الغزاة في الجيش ـ قال: بعث النبيُّ ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحسِنوا أن يقولوا: أسلَمْنا، فجعلوا يقولون: صَبَأْنا صَبَأْنا، فجعل خالد يقتلُ منهم ويأسِرُ، ودفع إلى كل رجل منّا أسيرَه، حتى إذا كان يومٌ أمَرَ خالدٌ أن يقتل كلُّ رجل منّا أسيرَه، فقلت: والله لا أقتلُ أسيري، ولا يقتلُ رجل من أصحابي أسيرَه، حتّى قدمنا على النبي ﷺ فذَكَرناه، فرفع النبيُّ ﷺ يديه فقال: «اللهم إنّي أبرأُ إليك ممّا صنع خالدٌ» مرتين.

أخرجه أحمد (٦٣٨٢)، والبخاري (٤٣٣٩) و(٧١٨٩)، والنسائي في «المجتبى» (٥٤٠٥) وفي «الكبرى» (٥٩٢٢) و(٨٥٤٢)، وابن حبان (٤٧٤٩).

قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٦٠٣ في الكلام على هذا الحديث: قوله: «فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا» هذا من ابن عمر راوي الحديث يدلُّ على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقةً، ويؤيِّد فهمه: أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم: صَبَأَ، حتى اشتَهَرَت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذمّ.

وأما خالدٌ فحمل هذه اللفظة على ظاهرها، لأن قولهم: صَبَأْنا، أي: خرجنا من دينٍ إلى دينٍ، ولم يكتفِ خالد بذلك حتى يصرِّحوا بالإسلام.

وقال الخطّابي في «أعلام الحديث» ٣/ ١٧٦٥: يحتمل أن يكون خالدٌ إنما لم يكفَّ عن قتالهم بهذا القول، من قِبَل أنه ظنَّ أنهم عَدَلُوا عن اسم الإسلام إليه أَنَفةً من الاستسلام والانقياد، فلم يرَ ذلك القولَ منهم إقراراً بالدِّين. =

قال ابن هشام: حدّثني بعضُ أهلِ العلم: أنّه حُدِّثَ عن إبراهيم بن جعفرٍ المحموديِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ كأنّي لَقِمتُ لُقْمةً من حَيْسٍ[١] فالتَذَذتُ طَعْمَها، فاعتَرَضَ في حَلْقي منها شيءٌ حين ابتَلَعتُها، فأدخَلَ عليٌّ يدَه فنَزَعَه»، فقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ: يا رسولَ الله، هذه سَرِيّةٌ من سَرَاياك تَبعَثُها، فيأتيك منها بعضُ ما تُحِبّ، ويكون في بعضِها اعتراضٌ فتَبعَثُ عليّاً فيُسهِّلُه[٢].

قال ابن هشام: وحدّثني: أنه انفَلَتَ رجلٌ من القوم فأَتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه الخبرَ، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنكَرَ عليه أَحدٌ؟» فقال: نعم، قد أنكَرَ عليه رجلٌ أبيضُ رَبْعةٌ فنَهَمَه[٣] خالدٌ فسَكَتَ عنه، وأنكَرَ عليه رجلٌ آخرُ طويلٌ مُضطَرِبٌ[٤]، فراجَعَه فاشتَدَّت مُراجَعتُهما، فقال عمرُ بن الخَطّاب: أمّا الأوّلُ يا رسولَ الله، فابْنِي عبدُ الله، وأمّا الآخَرُ، فسالمٌ مولى أبي حُذَيفة[٥].

قال ابن إسحاق: فحدّثني حَكِيم بن حَكيمٍ، عن أبي جعفرٍ محمّد بن عليٍّ قال:

= وأما براءةُ النبي ﷺ من فعل خالدٍ، فقال الخطّابيُّ أيضاً: إنما نَقَمَ رسول الله ﷺ من خالد موضعَ العَجَلة وتَرْكَ التثبُّت في أمرهم إلى أن يتبيَّن المرادَ من قولهم: صَبأْنا.

(١) الحيس: تمر يُنزَع نواه ويُدقّ مع أَقِطٍ - وهو لبنٌ مستحجِر - ويُعجَنان بالسَّمن حتى يبقى كالثَّريد.

(٢) خبر ضعيف بمرّة، وإسناده مُظلِم، وإبراهيم المحمودي هذا لم نقف له على ذكرٍ في كتب تراجم الرجال.

(٣) الرَّبعة من الرجال: الذي بين الطويل والقصير. ونَهَمَه، أي: زَجَرَه.

(٤) مضطرب: يعني أنه ليس بمستوي الخَلْق.

(٥) وهذا خبر ضعيف أيضاً كسابقه.

ولم نقف عليه عند غير ابن هشام إلا عند أبي الفرج الأصفهاني في «الأغاني» ٧/ ٢٨٥ بإسناد واهٍ عن صالح بن كَيسان مرسلاً. ووصل فيه الخبر التالي في قصة عليٍّ وإرساله بدياتهم.

ثمّ دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ فقال: «يا عليُّ، اخرُجْ إلى هؤلاءِ القومِ فانظُرْ في أَمرِهم واجعَلْ أمرَ الجاهليَّةِ تحتَ قَدَمَيكَ». فخرج عليٌّ حتّى جاءهم ومعه مالٌ قد بَعَثَ به رسولُ الله ﷺ فوَدَى لهم الدّماءَ وما أُصيبَ من الأموال، حتّى إنّه لَيَدِي لهم مِيلَغةَ الكلب[1]، حتّى إذا لم يَبْقَ شيءٌ من دمٍ ولا مالٍ إلّا وَدَاه، بَقِيَت معه بقيّةٌ من المال، فقال لهم عليٌّ رضوانُ الله عليه حين فَرَغَ منهم: هل بَقِيَ لكم دمٌ أو مالٌ لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإنّي أُعطِيكم هذه البقيّةَ من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ ممّا لا يَعلَمُ ولا تَعلَمون، ففعل، ثمّ رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبرَ، فقال: «أصَبْتَ وأحسَنْتَ»، ثمّ قامَ رسولُ الله ﷺ فاستَقبَلَ القِبلةَ قائماً شاهراً يديه، حتّى إنّه لَيُرَى ما تحت مَنكِبَيه، يقول: «اللّهمَّ إنّي أَبرَأُ إليك ممَّا صَنَعَ خالدُ بن الوليدِ» ثلاثَ مرّاتٍ[2].

قال ابن إسحاق: وقد قال بعضُ مَن يَعذِرُ خالداً: إنّه قال: ما قاتلتُ حتّى أمَرَني بذلك عبدُ الله بن حُذَافةَ السَّهْميُّ، وقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قد أمَرَك أن تُقاتِلَهم لامتناعِهم من الإسلام[3].

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المَدَنيّ: لمّا أتاهم خالدٌ قالوا: صَبَأْنا صَبَأْنا[4].

قال ابن إسحاق: وقد كان جَحدَمٌ قال لهم حين وَضَعوا السلاحَ ورأى ما يَصنَعُ

---

(١) المِيلغة: الإناء الذي يَلَغُ فيه الكلب، أي: يشرب منه.

(٢) إسناده ضعيف كما تقدم، غير أن الخبر في دعاء النبيِّ ﷺ بالبراءة من فعل خالدٍ ببني جذيمة صحيح تقدم آنفاً تخريجه من حديث ابن عمر.

(٣) لايصحُّ هذا، إذ لم يسنده ابن إسحاق ولم نقف عليه عند غيره.

(٤) قد جاء هذا في حديث ابن عمر المتقدم آنفاً، وهو حديث صحيح، فانظر تخريجه وشرحه هناك.

خالدٌ ببني جَذِيمةَ: يا بني جَذِيمة، ضاعَ الضَّربُ، قد كنتُ حَذَّرتُكم ما وَقَعتُم فيه.

وقد كان بين خالدٍ وبين عبدِ الرَّحمن بن عوفٍ - فيما بَلَغَني - كلامٌ في ذلك، فقال له عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ: عَمِلتَ بأمرِ الجاهليّة في الإسلام، فقال: إنّما ثَأَرتُ بأَبيك، فقال عبدُ الرَّحمن: كَذَبتَ، قد قتلتُ قاتلَ أَبي، ولكنّك ثَأَرتَ بعمِّك الفاكِهِ ابن المغيرة، حتّى كان بينهما شَرٌّ، فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «مَهْلاً يا خالدُ، دَعْ عنكَ أَصحابي، فواللهِ لو كانَ لكَ أُحُدٌ ذَهَباً ثمّ أنفَقْتَه في سَبيلِ الله، ما أدرَكْتَ غَدْوةَ رجلٍ من أَصحابي ولا رَوْحَتَه»[1].

وكان الفاكِهُ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ وعوفُ بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرةَ وعفّانُ بن أبي العاصِ بن أُميّة بن عبد شمسٍ، قد خَرَجوا تُجّاراً إلى اليمن، ومع عفّانَ ابنُه عثمانُ، ومع عوفٍ ابنُه عبدُ الرَّحمن، فلمّا أقبَلُوا

---

(١) روى هذا الخبر عن ابن إسحاق سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٨، فجعله من روايته عن عبد الله بن أبي سلمة، فإن كان سلمةُ حفظه - وهو يكثر خطؤه - فإنه مرسل، فعبد الله بن أبي سلمة - وهو الماجشون - من الطبقة الوسطى من التابعين، وهو ثقة.

وروى نحوه الواقديُّ موصولاً في «مغازيه» ٣/ ٨٨٠ - ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٦/ ٢٣٤ - عن عبد الله بن يزيد، عن إياس بن سلمة، عن أبيه سلمة بن الأكوع. وهذا إسناد تفرّد به الواقديُّ، وهو متكلَّم فيه، وشيخه عبد الله بن يزيد إن كان هو الهُذلي، فهو مختلف فيه كما في ترجمته من «الميزان» للذهبي.

وأما المرفوع منه، فهو صحيحٌ، وقد روي دون سياق قصة بني جذيمة، فقد أخرجه ابن حبان (٧٠٩١) من طريق الشَّعبي عن عبد الله بن أبي أَوفى قال: شكى عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ خالدَ بن الوليد إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد، لِمَ تؤذي رجلاً من أهل بدر؟! لو أنفقتَ مثلَ أُحدٍ ذهباً لم تدرك عمله» فقال: يا رسول الله، يَقَعُون فِيَّ فأردُّ عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُؤذُوا خالداً، فإنه سيفٌ من سيوفِ الله صبَّه الله على الكفّار». ورجاله ثقات.

حَمَلوا مالَ رجلٍ من بني جَذِيمة بن عامرٍ كان هَلَكَ باليمن إلى وَرَثَته، فادَّعاهُ رجلٌ منهم يقال له: خالدُ بن هشامٍ، ولَقِيَهم بأرض بني جَذِيمة قبلَ أن يَصِلُوا إلى أهلِ الميّت، فأبَوْا عليه، فقاتَلَهم بمَن معه من قومه على المال ليأخُذوه وقاتَلُوه، فقُتِلَ عوفُ بن عبد عوفٍ والفاكهُ بن المغيرة، ونَجَا عفّانُ بن أبي العاصِ وابنُه عثمانُ، وأصابوا مالَ الفاكِه بن المغيرةِ ومالَ عوفِ بن عبد عوفٍ فانطَلَقوا به، وقَتَلَ عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ خالدَ بن هشامٍ قاتلَ أبيه، فهَمَّت قُريشٌ بغَزْوِ بني جَذِيمة، فقالت بنو جَذِيمة: ما كان مُصابُ أصحابِكم عن مَلَإٍ منّا، إنّما عَدَا عليهم قومٌ بجَهالةٍ فأصابوهم ولم نَعلَمْ، فنحن نَعقِلُ لكم ما كان قِبَلَنا من دمٍ أو مالٍ، فقَبِلَت قريشٌ ذلك ووَضَعُوا الحربَ.

وقال قائلٌ من بني جَذِيمة، وبعضُهم يقول: امرأةٌ يقال لها سَلْمى:

ولولا مَقالُ القومِ للقومِ أَسلِموا ... لَلَاقَت سُلَيمٌ يومَ ذلك ناطِحا

لَماصَعَهم بُسرٌ وأصحابُ جَحدمٍ ... ومُرّةُ حتّى يَتْرُكوا البَرْكَ طائِحا[1]

فكائنٍ تَرَى يومَ الغُمَيصاءِ من فتًى ... أُصيبَ ولم يُجرَحْ وقد كان جارِحا

---

(١) المماصَعة والمِصَاع: المضاربة والمجالدة بالسيوف. والبَرْك: جماعة الإبل.

وطائحاً: هكذا هي في أكثر النسخ (ش١) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(ف) و(ق٢) و(م)، والمعنى: تركوا إبلَ أعدائهم هَلْكى، من طاحَ: إذا سقط وهلك.

وفي (ت) و(غ) و(ي): صائحا، من الصِّياح، والظاهر أنه كذلك عند أبي ذر الخشنيّ، حيث قال في «إملائه» ص٣٨٠: أي: تصيح في مباركها.

وفي حواشي (ش١) و(ش٢) و(ط) و(م): ضابحاً، مصحَّحاً عليها في (ط) و(م)، وهي كذلك في نسخة السهيليِّ التي شرح عليها في «الروض الأنف» ٧/ ١٥٩، حيث قال: من الضَّبح، وهو نَفَس الخيل والإبل إذا عَيِيَت، وفي التنزيل: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾.

أَلَظَّـت بخُطّـابِ الأَيـامَى وطُلِّقَـت غَداتَئِـذٍ مـنهنَّ مَـن كـان ناكِحـا[١]

قال ابن هشام: قولُه: بُسرٌ[٢]، وأَلَظَّت بخُطّابٍ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبّاسُ بن مِرْداسٍ، ويقال: بل الجَحّافُ بن حَكيمٍ السُّلَميّ:

دَعِـي عنـكِ تَقْـوالَ الضَّـلالِ كَفَـى بنـا لكَبشِ الـوَغَى في اليومِ والأمسِ ناطحا[٣]

فخالــدُ أَولَــى بالتّعــذُّرِ مــنكمُ غَداةَ عَـلَا نَهْجـاً من الأمرِ واضِحا[٤]

مُعانــاً بــأمرِ الله يُزجِــي إلــيكمُ سَــوانِحَ لا تَكبُــو لــه وبَوارِحــا[٥]

نَعَـوْا مالكـاً بالسَّـهلِ لمّـا هَبَطنَـهُ عَـوابسَ في كـابي الغُبـارِ كَوالِحـا[٦]

فـإنْ نَـكُ أثكَلْنـاكِ سَـلْمى فمالـكٌ تَــرَكتُم عليــه نائحــاتٍ ونائِحــا[٧]

---

(١) ألظَّت، أي: كثُرت ملازمة الخُطّاب لهم. والأيامى: جمع أيِّم، وهي التي لا زوج لها. تريد: أنه لو كان حصل قتال، لكَثُرت القتلى في أعدائهم وترمَّلت نساؤهم وأصبحن بلا أزواج، فيكثر الخُطّاب لهن بسبب ذلك.

(٢) في الموضعين في بعض النسخ: بِشر.

(٣) الكبش: الرجل السيّد. والوغى: الحرب.

(٤) النَّهج: الطريق البيِّن.

(٥) يُزجي، أي: يسوق. والسوانح: ما جاءك من الطير إذا أُثير من قِبَل اليمين، والبوارح: ما جاء منها من قِبَل اليسار، وهذا كان من مذهب العرب في التكهّن بالطير قبل الإسلام، وأراد العبّاس هنا أن خالداً ميمون الطالع بمعونة الله له، لا تنكسر رايته. ولا تكبو، أي: لا تسقط.

(٦) كابي الغبار: مُرتفِعه، يقال: كَبَا الغبارُ، إذا علا وارتفع. وكوالح: العوابس التي انقبضت شفاهُها فظهرت أسنانها، يَصِفُ الخيلَ.

(٧) أثكلناك، أي: أفقدناك.

وقال الجَحّافُ بن حَكيمٍ السُّلَميّ[1]:

شَـهِدنَ مـع النبـيِّ مُسـوَّماتٍ ... حُنَينـاً وهْـيَ دامِيـةُ الكِـلَامِ[2]

وغـزوةَ خالـدٍ شَـهِدَت وجَـرَّت ... سـنابِكَهنَّ بالبلـدِ التِّهـامي[3]

نُعـرِّضُ للطِّعـانِ إذا التَقَينـا ... وُجوهـاً لا تُعـرَّضُ للِّطـامِ[4]

ولسـتُ بخـالعٍ عنّـي ثيـابي ... إذا هَـرَّ الكُمـاةُ ولا أُرامـي[5]

---

(١) ونسبه أبو تمّام في «ديوان الحماسة» كما في «شرحه» للمرزوقي ١/ ١٠٤ إلى الحَريش بن هلال القُريعي، قال: ويروى للعباس بن مرداس. وانظر «أسد الغابة» لابن الأثير ١/ ٤٧٩.

(٢) مسوَّمات: يعني الخيل مسوَّمات، أي: مُرسَلات أو مُعلَمات بعلامة. ودامية، أي: تسيل دماً. والكِلام: الجِراح، جمع كَلْمٍ، وفي (ش١) و(ش٢) و(ق٢) مكانها: الحَوَامي، والحوامي: ميامن الحافر ومياسره، واحدها: حامِيَة.

(٣) في (ش١) و(ش٢) و(ق٢): الحرام. وكلاهما صحيح، فالمراد به مكة كما قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٨١، وتِهامةُ: ما انخفض من أرض الحجاز، منها مكةُ. والسنابك: مقدَّم أطراف حوافر الخيل.

قال المرزوقي: أشار بهذا إلى فتح مكة، وإنما نسبها إلى خالد، لأن النبي ﷺ استعمل خالداً يوم الفتح على الخيل فلقي قريشاً بالخَندَمة، فقاتلهم وهزمهم.

(٤) أي: نعرّض وجوهنا في ساحات الحرب للسيوف ونبذلها لها، ولو عُرِض علينا في السِّلم والسلامة بذلُ هذه الوجوه للِّطام، يعني لطمَها بالأكفّ، لأنِفْنا منه وامتنعنا.

(٥) هذا البيت والذي يليه من (ت) و(ص) و(ط) و(م)، وليسا في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ق٢) و(ي)، وعلى حاشية (م): هذان البيتان سقطا من نسخة السماع. قلنا: والظاهر أنهما ليسا في نسخ السهيليّ والخشنيّ، فإنهما لم يفسّرا شيئاً من غريبهما، إذ لا يفوتهما مثلاً أن يبيِّنا معنى العَلَوات، وقد جاء تفسيرها في حاشية (ط) بالغارات، وهي رواية «ديوان الحماسة».

والكُماة: الشُّجعان. والعَضْب الحُسام: السيف القاطع.

وقوله: لست بخالع ثيابي، يعني ثياب الحرب، وهي كناية عن السلاح. ولا أُرامي، أي: لا =

ولكنّـي يَجُـولُ المُهْـرُ تحتـي إلى العَلَواتِ بالعَضْبِ الحُسامِ

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة بن المغيرة بن الأَخنَس، عن الزُّهْرِيّ، عن ابن أبي حَدرَدٍ الأسلَميِّ[1] قال: كنت يومَئذٍ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتًى

= أَرميهم بالسهام عن بُعدٍ، بل أهجم عليهم بمُهري شاهراً لهم سيفي القاطع.

وقوله: إذا هرَّ، هكذا جاء في نسخة (ط) بالراء، وكذلك هو في رواية «الحماسة»، وهو من هَرِير الكلاب، وهو صوت دون النُّباح، قال الخليل في كتاب «العين» ٣/ ٣٥٠: وبه يُشبَّه نظرُ الكُماة بعضهم إلى بعض، يقال: هَرَّ الكماةُ.

وفي (ت) و(ص) و(م): إذا هزَّ، بالزاي، يعني: إذا هزّوا سلاحهم عند هجومهم.

(١) واسمه عبدُ الله.

وإسناد خبره هذا منقطع على ثقة رجاله، فإن الزهريَّ لا يصحُّ له سماع من ابن أبي حدردٍ فيما قاله ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب» ص٣٩٤، لكن وَصَلَه غيرُ البكّائي من أصحاب ابن إسحاق، فقد أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» ١/ ٤٠٦، والطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٨، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٠٨٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ١١٥، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٧/ ٣٣٩ من خمس طرق عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة، عن ابن شهاب الزهري، عن ابن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد. ولا يعرف لعبد الله بن أبي حدرد ولدٌ سوى ابنه القعقاع، وهذا قد اختُلف في صحبته، وأنكر ابن عساكر أن تكون للقعقاع صُحبة كما في «تعجيل المنفعة» لابن حجر ٢/ ١٣٨، وهو الصواب، فالإسناد على هذا حسنٌ إن شاء الله.

وأصل الخبر في قصة هذا الفتى العاشق صحيحٌ، يشهد له حديثُ ابن عباسٍ فيما أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٦١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢٠٣٧)، وفي «الأوسط» (١٦٩٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١١٧-١١٨: أن النبي ﷺ بَعَثَ سَرِيّةً فغَنِمُوا، وفيهم رجلٌ فقال لهم: إنّي لست منهم، عَشِقتُ امرأةً فلَحِقتُها، فدَعُوني أنظُرْ إليها نظرةً، ثمّ اصنعوا بي ما بَدَا لكم، قال: فإذا امرأة طويلة أَدْماءُ (يعني: فيها سُمْرة)، فقال لها: اسلِمي حُبَيش، قبل نَفَادِ العَيْش... ثمّ أنشد بيتَي الشِّعر الأوَّلين، قالت: نعم فَدَيتُك، قال: فقدَّموه فضربوا عُنقَه، فجاءت المرأةُ =

من بني جَذِيمة، وهو في سِنِّي، وقد جُمِعَت يداه إلى عُنُقِه برُمَّةٍ[1] ونِسوةٌ مُجتمِعاتٌ غيرَ بعيدٍ منه: يا فتى، فقلت: ما تشاءُ؟ قال: هل أنت آخِذٌ بهذه الرُّمّةِ فقائدي إلى هؤلاءِ النِّسوةِ حتّى أَقضيَ إليهنَّ حاجةً، ثمّ تَرُدّني بعدُ فتصنعوا بي ما بَدَا لكم؟! قال: قلت: والله لَيَسيرٌ ما طَلَبتَ، فأخذتُ برُمّتِه فقُدْتُه بها حتّى وَقَفَ عليهنَّ، فقال: اسلَمِي حُبَيْش، على نَفَدٍ من العَيْش[2]:

أَرَيتُكِ إذ طالَبتُكم فوَجَدتُكمْ ... بحَلْيةَ أو أَلفَيتُكم بالخَوانِقِ[3]

أَلم يَكُ أهلاً أن يُنوَّلَ عاشقٌ ... تَكلَّفَ إدلاجَ السُّرَى والوَدائقِ[4]

فلا ذنبَ لي قد قلتُ إذْ أهلُنا معاً ... أَثِيبي بوُدٍّ قبلَ إحدى الصَّفائقِ[5]

أَثِيبي بوُدٍّ قبلَ أن تَشحَطَ النَّوَى ... ويَنأَى الأميرُ بالحبيبِ المُفارِقِ[6]

= فوَقَفَت عليه، فشَهَقَت شهقةً أو شهقتين ثمّ ماتت، فلما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «أمَا كان فيكم رجلٌ رحيمٌ». وإسناده حسن.

(١) الرُّمّة: قطعة من الحبل بالية.

(٢) حُبيش: مرخَّم حُبيشة. وقوله: على نفدٍ من العيش، يريد على تمامه، من قولك: نَفِدَ الشيءُ، إذا تمَّ.

(٣) قوله: أريتُكِ، تسهيل من أرأَيتك، حتى يستقيم الوزن الشعري.

وحَلْية والخوانق: موضعان جنوب شرقي مكة، أما حليةُ فتبعد عنها قرابة ٢٧٠ كم، وأما الخوانق فذهب الأستاذ عاتق البِلاديّ رحمه الله في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٠٥ إلى أن القائل هنا جمعها لضرورة الشعر، وهي الخانق التي تبعد عن مكة قرابة ٥٥ كم، وكلاهما - أي: حلية والخانق - من ديار بني كِنانة الذين منهم بنو جَذيمة.

(٤) الإدلاج: السير بالليل. والودائق: جمع وَدِيقة، وهي شدة الحرّ في الظَّهيرة.

(٥) الصفائق: الحوادث والخُطوب، جمع: صَفِيقة أو صافقة.

(٦) تشحط: تبعُد. والنَّوى: البُعد. والأمير: صاحب الأمر.

فإنّي لا ضيَّعتُ سِرَّ أَمانةٍ ... ولا راقَ عَيني عنكِ بعدَكِ رائقُ[1]

سوى أنّ ما نالَ العَشِيرةَ شاغلٌ ... عن الوُدِّ إلّا أن يكونَ التّوامُقُ[2]

قال ابن هشام: وأكثرُ أهلِ العلم بالشِّعر يُنكِرُ البيتين الآخِرَين منها له.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة، عن الزُّهْريّ، عن ابن أبي حَدرَدٍ الأسلَميِّ [قال]: قالت: وأنتَ فحُيِّيتَ سبعاً وعَشْرا، وِتراً وثمانياً تَتْرَى[3]، قال: ثمّ انصَرَفتُ به فضربتُ عُنُقَه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبو فِراس بن أبي سُنبُلة الأسلَميّ، عن أشياخٍ منهم، عمَّن كان حَضَرَها منهم قالوا: فقامَتْ إليه حين ضُرِبَت عنقُه فأكَبَّتْ عليه، فما زالت تُقبِّلُه حتّى ماتت عندَه[4].

قال ابن إسحاق: وقال رجلٌ من بني جَذِيمة[5]:

جَزَى اللهُ عنّا مُدلِجاً حيثُ أصبَحَت ... جَزاءَةَ بُؤْسَى حيثُ سارَت وحَلَّتِ[6]

---

(١) ولا راقَ عيني، أي: ما أَعجَبها ولا سرَّها. وفي هذا البيت والذي بعده إقواء.

(٢) التوامق: الحب.

(٣) تترى، أي: متتابعةً.

(٤) إسناده ضعيف لجهالة أبي فراس وإبهام مَن فوقه من الرواة، وما سبق يغني عنه.

ورواه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١١٦، وابن عساكر في «تاريخه» ٢٧/ ٣٤٠ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به.

(٥) سمّاه الآمديّ في «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء» ص٢٠٢ والمَرزُباني في «معجم الشعراء» ص٢١٥: عمرَو بن كُلثوم الكِناني من بني عُميس بن جَذيمة، ووصفه المرزباني بأنه شاعرٌ جاهليٌّ، فإن صحّت نسبة هذا الشعر إليه فيكون واهماً بذلك، لذِكْره فيه دينَ آل محمدٍ ﷺ، فذلك يدلّ على أنه أدرك الإسلام، إلا أن المرزباني لم يذكر له سوى البيت الأول منه.

(٦) البُؤسى: الشدّة، خلاف النُّعمى.

أقـاموا علـى أَقضاضِـنا يَقسِـمونَها وقـد نَهِلَـت فينـا الرِّمـاحُ وعَلَّـتِ[1]
فـوالله لـولا ديـنُ آلِ محمّـدٍ لقـد هَرَبَـت مـنهم حُلـولٌ فشُـلَّتِ[2]
ومـا ضَـرَّهم أن لا يُعِينـوا كَتيبـةً كرِجْـلِ جَـرادٍ أُرسِـلَت فاشـمَعَلَّتِ[3]
فإمّـا يُنِيبـوا أو يَثُوبـوا لأمـرِهمْ فـلا نحـنُ نَجـزِيهمْ بمـا قـد أضَـلَّتِ[4]

فأجابه وهبٌ رجلٌ من بني ليثٍ، فقال:

دَعَوْنـا إلـى الإسلامِ والحـقِّ عـامراً فمـا ذَنبُنـا في عـامرٍ إذ تَوَلَّـتِ
ومـا ذَنبُنـا في عـامرٍ لا أبـا لهـمْ لـئِنْ سَـفِهَت أحلامُهـم ثـمّ ضَـلَّتِ[5]

وقال رجلٌ من بني جَذِيمة:

ليَهنِـئْ بنـي كعـبٍ مُقـدَّمُ خالـدٍ وأصـحابِه إذ صَبَّحَتْنـا الكتائـبُ[6]
فـلا تِـرَةٌ يَسعَى بهـا ابـنُ خُوَيلِـدٍ وقـد كنـتَ مَكفيّـاً لـوَ انّـكَ غائـبُ[7]

---

(١) الأقضاض، قال الخشني في «إملائه» ص٣٨٢: جمع قَضٍّ، وأراد هنا الأموال المُجتمِعة، يقال: جاء القومُ قَضُّهم بقَضِيضهم، إذا جاؤوا بأجمعهم.

ونَهِلَت: من النَّهَل، وهو الشُّرب الأوّل، وعلَّت: من العَلَل، وهو الشُّرب الثاني؛ يريد الضرب فيهم بالرماح مرةً بعد أخرى.

(٢) الحلول: القوم الحالُّون في المكان، أو البيوت المجتمعة، وفي نسخة (غ): الخيول، وهو واضح.

وشُلَّت، أي: طُرِدَت.

(٣) رِجْل جراد: الجماعة الكثيرة من الجراد. واشمعلَّت: تفرَّقت.

(٤) يُنِيبوا ويَثُوبوا: كلاهما بمعنًى، أي: يَرجِعوا.

(٥) سفهت: جَهِلَت. والأحلام: العقول.

(٦) بنو كعب: هم خُزاعة. ومُقدَّم هنا بمعنى: قُدوم.

(٧) التِّرة: العداوة وطلب الثأر.

فــلا قومُنــا يَنهَــونَ عنّــا غُــواتَهم ... ولا الدّاءُ من يومِ الغُمَيصاءِ ذاهبُ[1]

وقال غلامٌ من بني جَذِيمة، وهو يَسُوقُ بأمِّه وأُختين له، وهو هاربٌ بهنَّ من جيشِ خالد:

رَخِّــينَ أذيــالَ المُــروطِ واربَعَــنْ ... مَشْــيَ حَيِيّــاتٍ كــأنْ لــم يُفــزَعَنْ[2]

إن تُمنَــعِ اليــومَ نِســاءٌ تُمــنَعَنْ

وقال غِلمةٌ من بني جَذِيمة يقال لهم: بنو مُساحقٍ، يَرتَجِزون حين سمعوا بخالد، فقال أحدُهم:

قد عَلِمَت صفراءُ بيضاءُ الإطِلْ ... يَحُوزُهــا ذو ثَلّــةٍ وذو إبِــلْ[3]

لَأُغنِيَنّ اليــومَ مــا أغنَــى رَجُــلْ

وقال الآخرُ:

قد عَلِمَت صفراءُ تُلْهي العِرْسا ... لا تَمــلأُ الحَيــزُومَ منهــا نَهْســا[4]

---

(١) الغُواة: السفهاء.

(٢) في (ص) و(ط) و(غ) و(م): لم يُقرَعَنْ.

والمروط: جمع مِرْط، وهو كساء من خزٍّ أو غيره. وقوله: واربَعَن، يقال: رَبَعتُ عليه، إذا تَرفَّقتَ به.

(٣) الإطِل: الخاصرة، والصفراء والبيضاء صفة لها، وهذا من أوصاف المرأة الجميلة، إذا كان العشيُّ ضرب لونها إلى الصُّفرة، وبالغداة يضرب لونها إلى البياض. قاله الجاحظ في كتابه «البرصان والعرجان» ص٧٦.

ويحوزها، أي: يملكها ويسوقها. والثَّلّة: القطيع من الغنم.

(٤) العِرْس: زوج المرأة. والحيزوم: أسفل الصدر، وهو ما يشدّ عليه الحِزام. والنَّهس: أكل اللحم بمقدَّم الأسنان ونتفه، يريد أنها قليلة الأكل.

لَأضــرِبنَّ اليــومَ ضــرباً وَعْســا ضربَ المُحِلِّينَ مَخاضاً قُعْسا[1]

وقال الآخَرُ:

أقسَـمتُ مـا إنْ خـادِرٌ ذو لِبْـدَهْ شَـثْنُ البَنـانِ في غَـداةٍ بَـرْدَهْ[2]

جَهْـمُ المُحيّـا ذو سِـبالٍ وَرْدَهْ يُـرزِمُ بـينَ أَيْكـةٍ وجَحْـدَهْ[3]

ضـارٍ بتأكـالِ الرّجـالِ وَحْـدَهْ بأصـدَقَ الغَـداةَ منّـي نَجْـدَهْ[4]

مسيرُ خالد بن الوليد لهدم العُزَّى

ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى العُزَّى، وكانت بنَخْلة[5]، وكانت بيتاً يعظِّمُه هذا الحيُّ من قُريشٍ وكِنانةَ ومُضَرُ كلُّها، وكان سَدَنتُها وحُجّابُها بني شَيْبانَ من بني سُلَيم حلفاءَ بني هاشمٍ، فلمّا سمعَ صاحبُها السُّلَميّ بمَسيرِ خالدٍ إليها عَلَّقَ عليها سيفَه وأسنَدَ في الجبل[6] الذي هي فيه، وهو يقول:

يـا عُـزَّ شُـدِّي شَـدّةً لا شَوَى لهـا على خالدٍ أَلقِي القِناعَ وشَـمِّري[7]

(١) وَعْساً، أي: سريعاً. والمُحِلّون: الذين خرجوا من الحرم إلى الحِلّ. والمَخَاض هنا: الإبل الحوامل. والقُعْس: التي تتأخر وتأبى أن تمشي.

(٢) الخادر: الأسد الداخل في خِدْره، يعني: الأَجَمة، وهي غابة الأسد. واللِّبدة: الشَّعر الذي فوق كتفيه. وشَثْن البَنان: غليظ الأصابع. وغداةٌ بَرْدةٌ، أي: باردة.

(٣) جَهْم، أي: عابس. والمحيًّا: الوجه. والسِّبال: الشَّعر الذي حول فمه. ويُرزِم: يصوِّت. والأَيكة: الشجرة الكثيرة الأغصان. والجَحْدة: الشجرة القليلة الورق والأغصان.

(٤) ضارٍ، أي: متعوِّد. والتَّأكال: الأَكل. والنجدة: الشجاعة.

(٥) نخلة: اسم موضع، وقد تقدم التعريف بها وبالعزَّى ١/ ٩٢.

(٦) أسند في الجبل: صعد وارتفع فيه.

(٧) لا شوى لها، أي: أنها لا تبقي على شيء، والشوى في الأصل: اليدان والرِّجلان والرأس =

يا عُزَّ إن لـم تَقتُلي المَـرْءَ خالـداً فبُـوئِي بـإثـمٍ عاجـلٍ أو تَنَصَّـري[1]

فلمّا انتهى إليها خالدٌ هَدَمَها، ثمّ رجع إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابنُ شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ابـن مسعودٍ قـال: أقامَ رسولُ الله ﷺ بمكة بعدَ فتحِها خمسَ عَشْرةَ ليلةً يَقصُرُ الصّلاةَ[2].

= من الآدميين، وكل ما ليس مَقتَلاً، يقال: رماه فأَشْواه، إذا لم يُصِب المَقتَل.

(١) بوئي: ارجعي. وتنصَّري، أي: اطلبي النَّصر.

(٢) رجاله ثقات على شذوذٍ في متنه كما سيأتي بيانه، وقد اختُلف على ابن إسحاق في وصل هذا الحديث وإرساله، فتابع البكّائيَّ على روايته هكذا مرسلاً: يزيدُ بنُ هارون عند ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٣٣، وسلمةُ بنُ الفضل الأبرش عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٦٩، كلاهما عن ابن إسحاق به مرسلاً.

وخالفهم عبدُ الله بنُ إدريس عند ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٤٥٣، والطحاوي في «معاني الآثار» ١/ ٤١٧، والبيهقي في «السنن» ٣/ ١٥١، ومحمدُ بنُ سلمة عند أبي داود (١٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٦)، فوصلاه كلاهما عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس. وهو المحفوظ أنه موصول لا مرسل.

فقد تابعه على هذه الرواية الموصولة عن ابن عباسٍ عِراكُ بنُ مالك عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباسٍ، عند النسائي في «المجتبى» (١٤٥٣) و«الكبرى» (١٩٢٤).

إلا أن قوله فيه: خمس عشرة ليلةً، شاذٌّ كما قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» ٢/ ٤٦.

والمحفوظ عن ابن عباس فيه حديثُ عِكْرمة عنه أنه قال: أقام بمكّة تسعَ عشرةَ يَقصُر الصلاة. أخرجه أحمد (١٩٥٨)، والبخاري (١٠٨٠) و(٤٢٩٨) و(٤٢٩٩)، وابن ماجه (١٠٧٥)، والترمذي (٥٤٩) من طرق عن عاصم الأحول عن عكرمة.

ووقع في رواية عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٣٣٧) ـ وعنه عبد بن حميد في «مسنده» (٥٨٢) ـ عن ابن المبارك عن عاصم الأحول: أقام عشرين ليلة. والمحفوظ عن ابن المبارك ما في رواية =

قال ابن إسحاق: وكان فتحُ مكّة لعَشرِ لَيالٍ بَقِينَ من شهر رمضان[1] سنة ثمانٍ.

= عبدان المروزي ـ بلديُّه ـ عنه عند البخاري (٤٢٨٩) أنه قال: تسع عشرة.

وكذا رواه عبّادُ بن منصور عن عكرمة كما أشار إليه أبو داود معلّقاً بإثر الحديث (١٢٣٠)، ووصله البيهقي في «سننه» ٣/ ١٥٠.

ورواه حفص بن غِياث عن عاصم الأحول عند أبي داود (١٢٣٠)، وابن حبان (٢٧٥٠)، فقال فيه: سبع عشرة. وهي رواية شاذّة أيضاً، وقد حملها بعضُ أهل العلم على أن الراوي لم يعدَّ يومَي الدخول والخروج، ليجمع بين هذه الرواية ورواية تسع عشرة، واعتبره ابن حجر في «التلخيص» جمعاً متيناً.

وكذا رواه شريك النَّخَعي عن عبد الرَّحمن بن الأصبهاني عن عكرمة عند أحمد (٢٧٥٨)، وأبي داود (١٢٣٢)، فقال فيه: سبع عشرة. والإسناد فيه ضعف لسوء حفظ شريك النَّخعي.

قال البيهقي في «سننه» ٣/ ١٥١ بعد أن ذكر أوجه الخلاف في الحديث وساق رواياته: اختلَفَت هذه الروايات في تسعَ عشرةَ وسبعَ عشرةَ كما ترى، وأصحُّها عندي والله أعلم رواية من روى تسعَ عشرةَ، وهي الرواية التي أَودَعَها محمدُ بن إسماعيل البخاريُّ «الجامع الصحيح».

قلنا: ورُوي عن عمران بن حصين قال: أقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلّي إلا ركعتين. أخرجه أحمد (١٩٨٦٥) وأبو داود (١٢٢٩)، وإسناده ضعيف، لكنه قريب ممّا قاله ابن عباس كما سبق.

وانظر «التلخيص الحبير» ٢/ ٤٥-٤٦، و«فتح الباري» ٤/ ٢٤٢، كلاهما لابن حجر.

(١) تقدم تحرير القول في تاريخ الفتح ص٥١-٥٢.

يومُ حُنَين

في سنة ثمانٍ بعدَ الفتح[1]

قال ابن إسحاق: ولمّا سمعت هَوازِنُ برسول الله ﷺ وما فَتَحَ اللهُ عليه من مكّة[2] جَمَعَها مالكُ بن عَوفٍ النَّصْريُّ، فاجتَمَعَ إليه مع هوازِنَ ثَقيفٌ كلُّها[3]، واجتَمَعَت نَصْرٌ وجُشَمُ كلُّها، وسعدُ بن بكرٍ، وناسٌ من بني هِلالٍ وهم قليلٌ، ولم يَشهَدْها من قيسِ عَيْلانَ إلّا هؤلاءِ، وغابَ عنها فلم يَحضُرْها من هوازنَ كعبٌ وكِلابٌ، ولم يَشهَدْها منهم أحدٌ له اسمٌ، وفي بني جُشَمَ دُرَيدُ بن الصِّمّةِ شيخٌ كبيرٌ ليس فيه شيءٌ إلّا التَّيمُّنَ برأيِه ومعرفتِه بالحرب، وكان شيخاً مُجرِّباً، وفي ثَقيفٍ سيِّدانِ لهم: في[4] الأحلافِ قارِبُ بن الأسوَد بن مسعود بن مُعتِّب، وفي بني مالكٍ ذو الخِمَارِ

---

(١) في شهر شوّال على خلافٍ في أيِّ يوم منه، وذلك بناء على خلافهم في تاريخ يوم فتح مكة ومدّة مُكثه ﷺ فيها قبل الخروج للقاء هوازن بحُنين، والراجح في ذلك: أن خروجه إليهم كان في العاشر من شوال، بناء على الأشهر من الأقوال في تاريخ الفتح أنه كان في تسعة عشر من شهر رمضان، وعلى ما صحّ عن ابن عباس: أنه ﷺ مكث بمكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة، فيكون خروجه منها في العاشر من شوّال غالباً، وهو ما ذهب إليه ابن القيِّم في «زاد المعاد» ٣/ ٣٤٠، والله تعالى أعلم.

وانظر «فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٥٤٢، و«شرح المواهب اللدنّيّة» للزرقاني ٣/ ٤٩٨.

وحُنَينٌ: وادٍ يقع إلى الشرق من مكة على قرابة ٣٠ كم، ويعرف اليوم بوادي الشرائع.

(٢) في (ت) و(ص) و(ط) و(م): من فتح مكة.

(٣) وثقيف من أكبر بطون هوازن.

(٤) في (ش١) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(م) و(ي): وفي، بزيادة واو، وهو خطأ، والمثبت من (ت) و(غ) و(ف) و(ق٢) بإسقاطها، وهو الصواب، فإن الأحلاف وبني مالك هما قَبيلا =

سُبَيعُ بن الحارث بن مالكٍ أو أخوه[1] أحمرُ بن الحارث، وجِمَاعُ أمرِ النّاس إلى مالكِ بن عوفٍ النَّصْريّ.

فلمّا أَجمَعَ السَّيرَ إلى رسول الله ﷺ حَطَّ[2] مع الناس أموالَهم ونِساءَهم وأبناءَهم، فلمّا نَزَلَ بأَوطاسٍ[3] اجتمع إليه الناس، وفيهم دُرَيدُ بن الصّمّة في شِجَارٍ[4] له يُقادُ به، فلمّا نَزَلَ قال: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأَوطاسٍ، قال: نِعمَ مَجالُ الخيل، لا حَزْنٌ ضِرْس، ولا سهلٌ دَهْس[5]، ما لي أَسمعُ رُغَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبكاءَ الصغير، ويُعَارَ الشّاءِ[6]؟ قالوا: ساقَ مالكُ بن عوفٍ مع الناس أموالَهم ونساءَهم وأبناءَهم، قال: أين مالكٌ؟ قيل: هذا مالكٌ.

ودُعِيَ له فقال: يا مالكُ، إنّك قد أصبحتَ رئيسَ قومِك، وإنّ هذا يومٌ كائنٌ له ما بعدَه من الأيّام، ما لي أسمعُ رُغَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبكاءَ الصغير، ويُعارَ الشّاءِ؟ قال: سُقْتُ مع النّاس أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم، قال: ولِمَ؟ قال: أردتُ أن أجعَلَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهلَه ومالَه ليُقاتِلَ عنهم، قال: فأَنقَضَ به[7]، ثمّ قال: راعي

= ثقيفٍ. انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٤٦٨، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير ١/ ٣٣ و٣/ ١٥٣، و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي ص١٦٦.

(١) في نسخة (غ) وحدها: وأخوه، بالواو.

(٢) حطَّ، أي: أنزَلَ.

(٣) أوطاس: واد في ديار هوازن بين حنين والطائف.

(٤) الشِّجار: مَركَب فوق الجمل شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

(٥) الحَزْن: المرتفع الصعب من الأرض. والضِّرْس: التلّة الخشنة التي فيها حجارة محدَّدة. والدَّهْس: المكان السهل الليِّن ليس بتراب ولا رمل.

(٦) الرُّغاء: صوت الإبل. ويُعَار الشاء: صوتها.

(٧) أنقض به، يعني: زجره كما تُزجَر الدابّة، والإنقاض للدَّابة: أن تلصق لسانك بالحَنَك =

ضَأْنٍ[1] والله! وهل يردُّ المنهزمَ شيءٌ؟! إنّها إن كانت لك، لم يَنفَعْك إلّا رجلٌ بسيفِه ورُمحِه، وإن كانت عليك، فُضِحتَ في أهلِك ومالِك.

ثمّ قال: ما فَعَلَت كعبٌ وكِلابٌ؟ قالوا: لم يَشهَدْها منهم أحدٌ، قال: غابَ الحَدُّ والجِدُّ[2]، ولو كان يومَ عَلاءٍ ورِفْعةٍ لم تَغِبْ عنه كعبٌ ولا كِلابٌ، ولوَدِدتُ أنّكم فعلتُم ما فَعَلَت كعبٌ وكِلابٌ، فمَن شَهِدَها منكم؟ قالوا: عمرُو بن عامرٍ وعوفُ بن عامرٍ، قال: ذانِكَ الجَذَعانِ[3] من عامرٍ لا يَنفَعان ولا يَضُرّان، يا مالكُ إنّك لم تَصنَعْ بتقديم البَيْضةِ بيضةِ هوازِنَ[4] إلى نُحورِ الخيل شيئاً، ارفَعْهم إلى مُتَمنَّعِ بلادِهم وعُلْيا قومِهم، ثمّ الْقَ الصُّبّاءَ على مُتونِ الخيل[5]، فإن كانت لك لَحِقَ بك مَن وراءَك، وإن كانت عليك أَلْفاكَ ذلك[6] قد أحرَزْتَ أهلَك ومالَك، قال: والله لا أفعلُ ذلك، إنّك قد كَبِرتَ وكَبِرَ عقلُك[7]، والله لتُطيعُنَّني يا مَعشَرَ هوازِنَ، أو لأَتَّكِئَنَّ على هذا السَّيف حتّى يخرجَ من ظهري؛ وكَرِهَ أن يكون لدُرَيد بن الصِّمّة فيها ذِكرٌ أو رأيٌ، فقالوا: أطَعْناك، فقال دُرَيدُ بن الصِّمّة: هذا يومٌ لم أشهَدْه ولم يَفُتْني:

= الأعلى وتُصوِّت به.

(١) قوله: راعي ضأن، يعني يجهّله بذلك.

(٢) يريد بالحَدّ: الشجاعة والصلابة، وبالجِدّ: الاجتهاد والمثابرة.

(٣) الجَذَعان: يريد أنهما بمنزلة الجَذَع من الأنعام في سنّها، ويعني بقوله هذا أنهما ضعيفان في الحروب غير مجرِّبين لها.

(٤) بيضة هوازن: جماعتهم.

(٥) الصُّبّاء: جمع صابئ، وهم المسلمون عندهم، كانوا يسمونهم بهذا الاسم لأنهم صبؤوا من دينهم، أي: خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام. ومتون الخيل: ظهورها.

(٦) أي: وجدك أو صادفك.

(٧) يشير إلى إنه قد خَرِفَ.

يا لَيتَني فيها جَذَعْ أخُبُّ فيها وأضَعْ[1]

أقودُ وَطْفاءَ الزَّمَعْ كأنّها شاةٌ صَدَعْ[2]

قال ابن هشام: أنشدني غيرُ واحدٍ من أهلِ العلم بالشِّعر قولَه: يا لَيتَني فيها جَذَعْ.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال مالكٌ للناس: إذا رأيتُموهم فاكسِرُوا جُفونَ سيوفِكم ثمّ شُدُّوا شَدَّة رجلٍ واحدٍ.

قال: وحدّثني أُميّةُ بن عبدالله بن عمرو بن عثمانَ، أنّه حُدِّث: أنّ مالكَ بن عوفٍ بَعَثَ عُيوناً من رجاله، فأتَوه وقد تفرَّقَت أَوصالُهم، فقال: وَيلَكم ما شَأنُكم؟ قالوا: رأَينا رجالاً بِيضاً على خيلٍ بُلْقٍ[3]، والله ما تماسَكْنا أن أصابَنا ما تَرَى. فوالله ما رَدَّه ذلك عن وجهِه أنْ مضى على ما يريد[4].

قال ابن إسحاق: ولمّا سمعَ بهم نبيُّ الله ﷺ بَعَثَ إليهم عبدَ الله بن أبي حَدرَدٍ الأسلَميَّ وأمَرَه أن يدخُلَ في الناس فيُقِيمَ فيهم حتّى يعلمَ عِلمَهم ثمّ يأتيَه بخَبَرِهم. فانطَلَقَ ابنُ أبي حَدرَدٍ فدخل فيهم، فأقام فيهم حتّى سمعَ وعَلِمَ ما قد أَجمَعوا له من

(١) الجَذَع: الشاب الفتيّ، يريد: يا ليتني في هذه الحرب جذعٌ. والخَبَب والوَضْع: ضربان من السير السريع.

(٢) الوَطْفاء: الطويلة الشَّعر، والزَّمع: الشعر الذي يكون فوق الرسغ من الدابة، يريد فرساً صفتها هكذا، وهو محمود في وصف الخيل، كما قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٨٥. والشاة هنا: الوَعِل، وهي الشاة الجبلية. وصَدَع، أي: وعلٌ بين الوعلَينِ، ليس بالعظيم ولا بالصغير.

(٣) جمع أبلَق، وهو ما لونه أسود وأبيض.

(٤) إسناده ضعيف بمرّة لإعضاله وإبهام رواته.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٢ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وذكر الواقدي نحوه في «مغازيه» ٣/ ٨٩٢ من غير إسناد.

حربِ رسول الله ﷺ، وسمعَ من مالكٍ وأمرِ هوازِنَ ما هم عليه، ثمّ أقبَلَ حتّى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره الخبر[1].

(١) زاد هنا في نسخة (غ) وحدها مع الإشارة إلى أنها من نسخة غير أصله: فدعا رسولُ الله ﷺ عمر بن الخطّاب، فأخبره الخبر، فقال له عمرُ: كَذَبَ ابنُ أبي حدردٍ، فقال ابن أبي حدرد: إن كذّبتني فربّما كذّبتَ بالحقِّ يا عمر، فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقوله ابنُ أبي حدردٍ؟! فقال رسول الله ﷺ: «قد كنتَ ضالاًّ فهداك اللهُ يا عمر».

وقد وقعت هذه الزيادة في هذا الموضع غيرَ مسندةٍ أيضاً في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٣.

ورواها يونسُ بن بكيرٍ عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١١٩-١٢١ ـ ضمن الحديث عن قصة حُنين هذه ـ عن أبي عبد الله الحاكم وأبي بكر القاضي بإسنادهما عن يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرَّحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، وعمرُو بن شعيب والزهريُّ وعبدُ الله بن أبي بكر بن حَزْم وعبدُ الله بن المُكدَّم بن عبد الرَّحمن الثَّقفي، عن حديث حنينٍ حين سار إليهم رسول الله ﷺ وساروا إليه، فبعضهم يحدِّث ما لا يحدِّث به بعضٌ، وقد اجتمع حديثهم... ثم ساقه ووصل به قصة صفوان بن أمية التالية، ولم يبيِّن فيه هاتين القصتين من رواية أيِّهم، وهل هما موصولتان من حديث جابر بن عبد الله، أو هما مُرسَلتان من حديث غيره.

وقد أخرج الحاكم في «مستدركه» (٤٤١٧) رواية يونس بن بكير هذه وفيها قصتا ابن أبي حدرد وصفوان، إلا أنه لم يسق من هذه الوجوه سوى رواية جابرٍ المُسنَدة، وما رواه عنه البيهقي في «الدلائل» في رواية يونس أصحّ لمتابعة أبي بكر القاضي له فيها. ووقع عنده في «المستدرك» تسمية ابن أبي حدردٍ بعبد الرَّحمن، وهو خطأ، فإنه لا يُعرَف في الصحابة عبد الرَّحمن بن أبي حدرد، إنما هو عبد الله.

وروى قصةَ ابن أبي حدردٍ أيضاً أبو عوانة في «صحيحه» (٧١٩٦) من طريق إبراهيم بن بشار، عن سفيان بن عُيينة، عن الزهري، عن كثير بن العباس بن عبد المطلب، عن أبيه العباس ضمن حديثه عن غزوة حنين. وهذا من أوهام إبراهيم بن بشار، فإن لهذا الرجل غرائب ينفرد بها =

فلمّا أجمَعَ رسولُ الله ﷺ السَّيرَ إلى هوازِنَ ليَلقاهُم، ذُكِرَ له أنّ عند صفوانَ بن أُميّة أَدراعاً له وسلاحاً، فأرسَلَ إليه وهو يومَئذٍ مشركٌ[1]، فقال: «يا أَبا أُميَّةَ، أَعِرْنا سِلاحَك هذا نَلْقَ فيه عَدُوَّنا غداً» فقال صفوانُ: أغَصْباً يا محمّدُ؟ قال: «بل عارِيَّةٌ مَضمُونةٌ حتّى نُؤَدِّيَها إليكَ» قال: ليس بهذا بأسٌ، فأعطاه مئةَ دِرعٍ بما يَكفِيها من السلاح[2]، فزَعَموا أنّ رسول الله ﷺ سأله أن يَكفِيَهم حَمْلَها، ففعل.

= عن سفيان، وقد روى حديثَ غزوة حنينٍ غيرُ واحدٍ عن سفيان ثمّ عن الزهري بهذا الإسناد ـ فيما أخرجه أحمد (١٧٧٥) و(١٧٧٦) ومسلم (١٧٧٥) ـ فلم يذكر أحدٌ فيه قصةَ ابن أبي حدرد.

وذكرها الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٨٩٣ من غير إسناد.

(١) يعني وهو في المُدّة التي جعل له رسول الله ﷺ الخيارَ فيها كما تقدم ص٨٧.

(٢) حديث صفوان بن أُميّة هذا قد اضطُرب فيه اضطراباً كثيراً في إسناده ومتنه، وأشار إلى ضعفه من أجل ذلك البخاريُّ كما في «العلل» للترمذي (٣٣٢)، والطحاويُّ في «مشكل الآثار» ١١/ ٢٩٦، وابنُ عبد البر في «التمهيد» ١٢/ ٤١.

وأخرجه من حديث صفوان نفسه أحمد (١٥٣٠٢)، وأبو داود (٣٥٦٢) و(٣٥٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥٧٤٧) و(٥٧١٨)، والحاكم (٢٣٣١)، وانظر بيان طرقه في «مسند أحمد». ووقع فيه عند بعضهم قال: «بل عاريّة» ولم يقل فيها: مضمونة، وعند بعضهم: أنه استعار منه ثلاثين أو أربعين درعاً، ولم يذكر فيه بعضهم عددَ الأدراع.

ومن أوجه الخلاف في هذا الحديث ما رواه قتادةُ عند أحمد (١٧٩٥٠) وأبي داود (٣٥٦٦) والنسائي في «الكبرى» (٥٧٤٤) و(٥٧٤٥) وابن حبان (٤٧٢٠) عن عطاء بن أبي رباح، عن صفوان بن يعلى بن أمية التميمي، عن أبيه يعلى حليف قريشٍ: أن رسول الله ﷺ استعار منه ثلاثين درعاً وثلاثين بعيراً، وقال له: «عاريّة مؤدّاة». فسمّى المستعارَ منه هذه الأدراع يعلى بن أمية، وحديث قتادة هذا أصحُّ الأوجه في هذا الخبر، والله تعالى أعلم.

أما خبرُ صفوان بن أمية، فقد رواه أيضاً الزهري مرسلاً، فيما رواه عنه مالكٌ في «الموطأ» =

ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ معه ألفانِ من أهلِ مكّة مع عَشَرةِ آلافٍ من أصحابه الذين خرجوا معه ففَتَحَ اللهُ بهم مكّة، فكانوا اثني عَشَرَ ألفاً، واستَعمَلَ رسولُ الله ﷺ عَتّابَ بن أَسِيد بن أبي العِيصِ بن أُميّة بن عبد شمسٍ على مكّة أميراً على مَن تَخلَّفَ عنه من النّاس، ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ على وجهِه يريد لقاءَ هوازِنَ[1].

= ٢/ ٥٤٤، ومعمرٌ عند عبد الرزاق في «المصنف» (١٢٦٤٦)، وفيه: أن النبي ﷺ أرسل إلى صفوان بن أمية يستعيره أداةً وسلاحاً عنده، فقال صفوان: أطوعاً أم كرهاً؟ فقال: «بل طوعاً»، فأعاره الأداةَ والسّلاحَ الذي عنده. ومراسيل الزهري ضعيفة.

ووصله يونس بن بكير عن ابن إسحاق بحديث عبد الرحمن بن جابر عن أبيه كما سبق بيانه في خبر ابن أبي حدرد السابق، فانظر مقالنا فيه عنده.

ولمزيد فائدةٍ انظر كلام ابن القيِّم في ضمان العاريّة وأدائها والفرق بينهما في كتابه «زاد المعاد» ٣/ ٤٨١-٤٨٣.

(١) وفي الطريق إليهم تقدّم المسلمين رجلٌ بين أيديهم ينظر موضعَ هوازن كما روى سهلُ ابن الحنظلية: أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يومَ حنين، فأَطنَبُوا السيرَ (أي: بالغوا فيه) حتى كان عشيّةً، قال: فحَضَرتُ الصلاةَ عند رسول الله ﷺ، فجاء رجلٌ فارسٌ فقال: يا رسول الله، إني انطلقتُ بين أيديكم حتى طلعتُ جبلَ كذا وكذا، فإذا أنا بهوازنَ على بَكْرةِ آبائهم، بظُعُنِهم (أي: نسائهم) ونَعَمِهم وشائِهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال: «تلك غنيمةُ المسلمين غداً إن شاء الله». أخرجه أبو داود (٢٥٠١) بإسناد صحيح.

وفي المقابل، فإنّ هوازن قد أرسلت أيضاً عيناً لها يتجسّس على المسلمين، فقد روى سلمةُ ابن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله ﷺ هوازنَ، فبَيْنا نحن نتضحَّى (أي: نتغدّى وقت الضحى) مع رسول الله ﷺ، إذ جاء رجلٌ على جمل أحمر فأناخه، ثم انتزع طَلَقاً من حَقَبِه (أي: انتزع حبلاً من حَقْوه، وهو معقد الإزار من الرجل) فقيَّد به الجملَ، ثم تقدّم يتغدَّى مع القوم، وجعل ينظر وفينا ضَعْفةٌ ورِقّةٌ في الظَّهر (قلّة في الإبل) وبعضنا مشاةٌ، إذ خرج يشتدُّ فأَتى جملَه، فأطلق قيدَه ثم أناخه وقعد عليه، فأثاره فاشتدَّ به الجمل، فاتّبعه رجل على ناقةٍ وَرْقاءَ (أي: في لونها =

فقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ:

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومِهم ... وَسْطَ البيوتِ ولونُ الغُولِ ألوانُ[1]

يا لَهفَ أمِّ كِلابٍ إذ تُبيِّتُهمْ ... خيلُ ابن هَوْذَةَ لا تُنهَى وإنسانُ[2]

لا تَلفِظوها وشُدُّوا عَقْدَ ذِمّتِكمْ ... إنّ ابنَ عمِّكمُ سعدٌ ودُهْمانُ[3]

لَن تَرجِعوها وإن كانت مُجلَّلةً ... ما دامَ في النَّعَمِ المأخوذِ ألبانُ[4]

شَنعاءَ جُلِّلَ من سَوْآتِها حَضَنٌ ... وسالَ ذو شَوغَرٍ منها وسُلْوانُ[5]

= سواد كالغُبرة).

قال سلمةُ: وخرجتُ أشتدُّ فكنت عند وَرِك الناقة، ثم تقدّمت حتى كنت عند وَرِك الجمل، ثم تقدّمتُ حتى أخذتُ بخِطَام الجمل فأَنختُه، فلما وضع ركبتَه في الأرض، اخترطتُ سيفي فضربتُ رأس الرجل فنَدَرَ (أي: سقط) ثم جئتُ بالجمل أقودُه عليه رَحْلُه وسلاحُه، فاستقبَلَني رسول الله ﷺ والناس معه، فقال: «من قتل الرجلَ؟» قالوا: ابنُ الأكوع، قال: «له سَلَبُه أجمعُ».
أخرجه أحمد (١٦٥٢٣)، ومسلم (١٧٥٤)، وأبو داود (٢٦٥٤)، وابن حبان (٤٨٤٣).

(١) رِعل: قبيلة من سُلَيم. وأراد بالغُول هنا: الداهية المُهلكة.

(٢) إنسان: ذكر أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٨٥ أنه اسم قبيلٍ في هوازن، ونقل السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٠٢ عن البرقيّ أنهم من قيسٍ ثم من بني نصرٍ؛ يعني بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٣) لا تلفظوها، أي: لا تتركوها وتقطعوها، وكذلك وقع في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٦/ ٤١٦: لا تقطعوها. وسعد ودُهمان: من بكر بن هوازن.

(٤) مجلَّلة: مغطّاة. والنَّعَم: الأنعام من الإبل والبقر والشاء، وأكثر ما تقع على الإبل.

(٥) حَضَن: جبل شمال وادي تربة شرق الطائف، من أشهر جبال نجدٍ، وهو أول حدّها من جهة الحجاز، وذو شوغر وسلوان: واديان أو جبلان في تلك النواحي، وشوغر بالغَينِ هكذا وقع في نسخنا الخطية، وفي «معجم البلدان» ٣/ ٣٧٣ نصَّ ياقوت على أنه بالعين المهملة.

ليست بأَطيَبَ ممّا يَشتَوي حَذَفٌ ... إذ قال: كلُّ شِواءِ العَيرِ جُوفانُ[1]

وفي هوازنَ قومٌ غيرَ أنّ بِهمْ ... داءَ اليَمانِي فإن لم يَغدِروا خانُوا

فيهمْ أخٌ لو وَفَوْا أو بَرَّ عهدُهمُ ... ولو نَهَكْناهمُ بالطَّعنِ قد لانُوا[2]

أبلِغْ هوازِنَ أعلاها وأسفلَها ... منّي رسالةَ نُصحٍ فيه تِبْيانُ

أنّي أظُنُّ رسولَ الله صابِحَكمْ ... جَيشاً له في فضاءِ الأرضِ أركانُ

فيهم أخوكمْ سُلَيمٌ غيرَ تارِكِكمْ ... والمسلمونَ عِبادُ الله غسّانُ[3]

وفي عِضادَتِه اليُمنَى بنو أسَدٍ ... والأَجرَبانِ بنو عَبْسٍ وذُبيانُ[4]

تَكادُ تَرجُفُ منه الأرضُ رَهْبتَهُ ... وفي مُقدَّمِه أَوسٌ وعُثمانُ

قال ابن إسحاق: أوسٌ وعثمانُ قَبِيلا مُزَينةَ.

قال ابن هشام: من قوله: أبلِغْ هوازنَ أعلاها وأسفلَها، إلى آخرِها، في هذا اليوم[5] وما قبلَ ذلك في غيرِ هذا اليوم، وهما مفصولتانِ ولكنّ ابنَ إسحاق جَعَلَهما واحدةً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ، عن سِنان بن أبي سِنانٍ الدِّيلِيّ، عن أبي واقِدٍ اللَّيثيّ الحارثِ[6] بن مالكٍ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَينٍ

(١) حَذَفٌ هنا: اسم رجل. والعَيرُ: حمار الوحش. والجُوفَان: ذكر الحمار. يريد: كل ما شُوي من العَير فهو لا يُستساغ كجُوفانه.

(٢) نهكناهم، أي: أذللناهم وبالغنا في ضُرِّهم.

(٣) أراد بغسّانَ الأوسَ والخزرجَ.

(٤) سُمّيا بالأجربين تشبيهاً لهما بالأجرب الذي يفرُّ الناس منه، يعني لشجاعتهما.

(٥) يعني يوم حنين.

(٦) في (ش١): أنّ الحارث، بزيادة «أن»، ووقعت هذه الزيادة كذلك في طبعة السقا وصاحبيه =

ونحن حَدِيثُو عهدٍ بالجاهليّة، قال: فسِرْنا معه إلى حُنَينٍ.

قال: وكانت لكفّارِ قُريشٍ ومَن سِواهُم من العربِ شجرةٌ عظيمةٌ خضراءُ يقال لها: ذاتُ أَنْواطٍ[1]، يأتونَها كلَّ سنة فيُعلِّقون أسلحتَهم عليها، ويَذبَحُون عندَها، ويَعكُفُون عليها يوماً، قال: فرأَينا ونحن نَسِيرُ مع رسولِ الله ﷺ سِدْرةً[2] خضراءَ عظيمةً، قال: فتنادَيْنا من جَنَباتِ الطّريقِ: يا رسولَ الله، اجعَلْ لنا ذاتَ أَنواطٍ كما لهم ذاتُ أَنواطٍ!

قال رسولُ الله ﷺ: «اللهُ أكبَرُ، قُلتُم والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه كما قالَ قومُ موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، إنَّها السَّنَنُ، لتَركَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قَبلَكم»[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبد الرَّحمن بن جابرٍ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال: لمّا استَقبَلْنا واديَ حُنَينٍ، انحَدَرْنا في وادٍ من أوديةِ

= وهذا غلطٌ، فإن أبا واقدٍ هو صحابي الحديث وراويه، وقد اختُلف في اسمه، وأحد أوجه الخلاف فيه أنه الحارث بن مالك.

(١) وسُمِّيَت ذاتَ أنواطٍ لأنّ المشركين كانوا يَنُوطُون بها سلاحَهم، أي: يعلِّقونه بها، وأنواطٌ: جمع نَوْط، وهو مصدرٌ سمِّي به المَنُوط. قاله ابن الأثير في «النهاية» (نوط).

(٢) السِّدر: شجر عظيم دائم الخضرة ينمو في المناطق الحارّة، وله ثمر يسمَّى النَّبق.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢١٨٩٧) و(٢١٩٠٠) و(٢١٩٠٢)، والترمذي (٢١٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٢١)، وابن حبان (٦٧٠٢) من طرق عن الزهري، بهذا الإسناد. وقال الترمذيّ: حديث حسن صحيح.

والسَّنَن: السبيل والمنهاج، وتضمّ السين أيضاً، على أنه جمع سُنّة.

ومعنى قوله: «لتركبُنَّ»، أي: للتتّبِعُنّهم.

تِهامةَ أَجوَفَ حَطُوطٍ[1]، إنّما نَنحدِرُ فيه انحِداراً، قال: وفي عَمَايةِ الصُّبح[2]، وكان القومُ قد سَبَقُونا إلى الوادي فكَمَنُوا لنا في شِعَابِه وأحنائِه[3] ومَضايقِه، قد أجمَعُوا وتَهيَّؤوا وأعَدُّوا، فوالله ما راعَنا ونحن مُنحَطُّون إلّا الكتائبُ قد شَدُّوا علينا شَدّةَ رجلٍ واحدٍ، وانشَمَرَ الناسُ[4] راجِعينَ لا يَلْوي أحدٌ على أحدٍ.

وانحازَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ اليمينِ ثمّ قال: «أينَ أيُّها النّاسُ؟! هَلُمُّوا إليَّ، أنا رسولُ الله، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الله»، قال: فلا شيءَ، حَمَلَت الإبلُ بعضُها على بعضٍ فانطَلَقَ النّاسُ، إلّا أنّه قد بَقِيَ مع رسول الله ﷺ نَفَرٌ من المهاجرينَ والأنصارِ وأهلِ بيتِه.

وفيمَن ثَبَتَ معه من المهاجرينَ أبو بكرٍ وعمرُ، ومن أهلِ بيتِه عليُّ بن أبي طالبٍ والعبّاسُ وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ وابنُه والفضلُ بنُ عبّاسٍ ورَبِيعةُ بنُ الحارث وأُسامةُ بن زيدٍ وأَيمنُ ابنُ أمِّ أَيمنَ بنِ عُبيدٍ، قُتِلَ يومَئذٍ[5].

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سفيانَ بن الحارثِ جعفرٌ، واسم أبي سفيانَ المغيرةُ، وبعضُ الناس يَعُدُّ فيهم قُثَمَ بن العبّاسِ ولا يَعُدُّ ابنَ أبي سفيان[6].

---

(١) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز. وأجوفُ: مُتّسِع. وحَطُوط: منحدر.

(٢) في (ش١) و(ش٢) و(ي): وكان في عماية الصبح.

وعماية الصبح: ظلامه قبل أن يتبيّن.

(٣) الشِّعاب هنا: الطرق الخفيّة، وأحناؤه: جوانبه.

(٤) انشمر الناس، أي: انفضُّوا وانهزموا.

(٥) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٥٠٢٧) من طريق إبراهيم بن سعد الزهري، وابن حبان (٤٧٧٤) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٦) ولا يصحُّ هذا، فقثمُ إذ ذاك كان صغيراً لا يشهد مثلُه وقعةَ حنين.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبد الرَّحمن بن جابرٍ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال: ورجلٌ من هَوازِنَ على جَمَلٍ له أحمرَ بيده رايةٌ سوداءُ في رأس رُمحٍ له طويلٍ أمامَ هَوازِنَ وهوازِنُ خلفَه، إذا أدرَكَ طَعَنَ برُمحِه، وإذا فاتَه الناسُ رَفَعَ رُمحَه لمن وراءَه فاتَّبعوه[١].

قال ابن إسحاق: فلمّا انهزَمَ الناسُ، ورأى مَن كان مع رسول الله ﷺ من جُفَاةِ أهلِ مكّة الهزيمةَ، تكلَّمَ رجالٌ منهم بما في أنفُسِهم من الضِّغْن[٢]، فقال أبو سفيانَ ابن حَرْب: لا تَنتَهي هزيمتُهم دونَ البحر؛ وإنَّ الأزلامَ لمعه في كِنانَتِه[٣].

وصَرَخَ جَبَلَةُ[٤] بن الحَنبَلِ - قال ابن هشام: كَلَدةُ بن الحَنبَل - وهو مع أخيه صفوانَ بن أُميّة مشركٌ في المُدّة التي جَعَلَ له رسولُ الله ﷺ: ألا بَطَلَ السِّحرُ اليومَ! فقال له صفوانُ: اسكُتْ فَضَّ اللهُ فاكَ[٥]، فوالله لَأَن يَرُبَّني رجلٌ من قُريشٍ، أحبُّ

---

(١) إسناده صحيح كما سبق.

(٢) الضِّغن: الحقد والعداوة.

(٣) الضمير راجع إلى أبي سفيان، والأزلام: السِّهام التي كانوا يستقسمون بها، والكِنانة: هي الجُعبة التي توضع فيها السهام.

وهذا الخبر في قصة أبي سفيان وما يليه من قصة صفوان مع أخيه جبلة أو كلدة، رواه عن ابن إسحاق متصلاً بحديث عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابرٍ: سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٤، وعبدُ الله بن إدريس ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة عند الطحاوي في «مشكل الآثار» ٦/ ٤١٢ و٤١٣، وعبدُ الأعلى بن عبد الأعلى عند ابن حبان (٤٧٧٤)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢٨ . إلا أن عبد الأعلى لم يذكر قصة أبي سفيان.

(٤) في (ت) و(ص) و(ط) و(م): حنبلة، وعلى حاشية (م): جبلة، مصحَّح عليه. قلنا: والمشهور عند غير ابن إسحاق أنه كَلَدة، كما قال ابن هشام.

(٥) أي: كسر الله أسنانك.

إليّ من أن يَرُبَّني[1] رجلٌ من هَوازِنَ.

قال ابن هشام[2]: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يَهجُو كَلَدَةَ:

رأيتُ سَواداً من بَعيدٍ فرَاعَني ... أبو حَنبَلٍ يَنزُو على أمِّ حَنبَلِ[3]

كأنّ الذي يَنزُو به فوقَ بَطنِها ... ذِراعُ قَلُوصٍ من نِتاجِ ابن عِزْهِلِ[4]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ هذينِ البيتين، وذكرَ لنا أنّه هَجَا بهما صفوانَ بن أُميّة، وكان أخا كَلَدةَ لأمِّه.

قال ابن إسحاق: وقال شَيْبةُ بن عثمانَ بن أبي طلحةَ أخو بني عبد الدّار: قلت: اليومَ أُدرِكُ ثَأْري من محمّدٍ ـ وكان أبوه قُتِلَ يومَ أُحدٍ ـ اليومَ أقتُلُ محمّداً، قال: فأدَرْتُ برسولِ الله ﷺ لأقتُلَه، فأقبَلَ شيءٌ حتّى تَغشّى فُؤَادي، فلم أُطِقْ ذلك، وعَلِمتُ أنه ممنوعٌ منّي[5].

---

(١) يربُّني، أي: يكون ربّاً لي، أي: سيِّداً أو ملكاً عليَّ.

(٢) كلام ابن هشام هذا في هجاء حسان من نسختَي (ش١) و(غ)، ونسخة في حاشية (ش٢)، ومن حاشية (ف) مصحَّحاً عليه، وهو في نسخة أبي ذر الخشنيِّ أيضاً فقد شرح البيتين في «إملائه» ص٣٨٦.

وهذان البيتان في «ديوان حسان» ١/ ١٥٧.

(٣) السواد: الشَّخص. وراعني: أفزعني. وينزو: يَثِبُ.

(٤) القَلوص: الفتيّة من الإبل. وابن عِزهِل ـ ويقال: عَزهَلٌ أيضاً ـ كأنه بعيرٌ بعينه، وبعير عزهل: شديد.

(٥) هذا خبر لا يصحُّ إذ لم يسنده ابن إسحاق.

وقد رواه بنحوه مُسنَداً ابنُ المبارك، عن أبي بكر الهُذلي، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، بأطول ممّا هنا، وقال فيه: رُفِع لي شُواظ من نار بيني وبينه كأنه بَرْق، فخفتُ أن تَمحَشَني (أي: تحرقني)، فوضعت يدي على بصري ومشيت القَهقَرَى. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أهلِ مكّة: أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين فَصَلَ من مكّةَ إلى حُنَينٍ، ورأى كَثْرةَ مَن معه من جنود الله: «لن نُغلَبَ اليومَ من قِلَّةٍ»[1].

قال ابن إسحاق: وزَعَمَ بعضُ الناس: أنّ رجلاً من بني بكرٍ قالها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن كَثيرِ بن العبّاس، عن أبيه العبّاس بن عبد المُطَّلِب قال: إنّي لمعَ رسول الله ﷺ آخِذٌ بحَكَمةِ بغلتِه البيضاءِ قد شَجَرتُها بها[2]، قال: وكنتُ امرَأً جَسيماً شديدَ الصّوت، قال: ورسولُ الله ﷺ يقول حين رأَى ما رأَى من النّاسِ: «أينَ أيُّها النّاسُ؟!»، فلم أرَ النّاسَ يَلْوُون على شيءٍ، فقال:

= أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٨٩٧)، والبغوي في «معجم الصحابة» (١٢٢٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٧٠١)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٤٥، وابن عساكر في «تاريخه» ٢٣/ ٢٥٦-٢٥٧. وإسناده ضعيف جداً من أجل أبي بكر الهذلي، فإنه متروك الحديث واهٍ.

(١) ضعيف منكر ورواته مُبهَمون، ونسبة هذه المقولة إلى رسول الله ﷺ خطأ شنيع وقع فيه ابن إسحاق، وحاشا رسولَ الله ﷺ أن يقول ذلك.

وقد روى الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٨٩٠ بسند رجاله ثقات عن سعيد بن المسيّب مرسلاً: أن أبا بكر قال ذلك. لكن الواقديّ فيه مقال.

وروى البزار في «مسنده» (١٨٢٧-كشف الأستار) بإسنادٍ فيه ضعف عن أنس: أن قائل ذلك غلام من الأنصار، ولم يسمّه.

وروى الواحديُّ في «التفسير البسيط» ١٠/ ٣٤٦ معلَّقاً عن عطاء عن ابن عباس: أنه سمّى هذا الأنصاريَّ سلمة بن سلامة بن وقش.

وروى أبو عوانة في «صحيحه» (٦٧٥٤) بإسناد فيه لِينٌ عن العباس بن عبد المطلب: أن قائل ذلك رجل من أصحاب النبي ﷺ، ولم يبيِّن مَن هو. وكذلك رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٧٧٣ عن السُّدّي مرسلاً.

(٢) الحَكَمة: ما أحاط بحَنَكَي الدّابّة من اللِّجام. وشَجَرتُها بها، أي: فتحت فمَها ومنعتُها من أن تتقدم، من الشَّجْر: وهو مجتمع الفكَّين من مؤخَّر الفم.

«يا عبَّاسُ، اصرُخْ: يا مَعشَرَ الأَنصارِ، يا مَعشَرَ أصحابِ السَّمُرَةِ[1]».

قال: فأجابوا: لَبّيكَ لَبّيكَ، قال: فيذهبُ الرَّجلُ ليَثنِيَ بعيرَه فلا يَقدِرُ على ذلك، فيأخذُ دِرْعَه فيَقذِفُها في عُنُقِه ويأخذُ سيفَه وتُرْسَه ويَقتَحِمُ عن بعيرِه ويُخلِّي سبيلَه، فيَؤُمُّ الصّوتَ حتّى ينتهيَ إلى رسول الله ﷺ، حتّى إذا اجتمع إليه منهم مئةٌ استَقبَلُوا الناسَ فاقتتلوا، فكانت الدَّعوَى أوّلَ ما كانت: يا لَلأنصارِ، ثمّ خَلَصَت أخيراً: يا لَلخَزْرَجِ، وكانوا صُبُراً عند الحرب، فأشرَفَ رسولُ الله ﷺ في رَكَائبِهِ فنَظَرَ إلى مُجتلَدِ القومِ[2] وهم يَجتَلِدون فقال: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ»[3].

(١) أصحاب السمرة: يريد بهم أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانت الشجرة سَمُرةً، والسَّمُرُ نوع من الشجر كبير ضخم، ويوصف غالباً بالمظلّة الشائكة.

(٢) مجتلد القوم: مكان جِلادهم بالسيوف، وهو حيث تكون المعركة.

(٣) إسناده صحيح، غير أن قوله في مناداة العباس: يا معشر الأنصار، شاذٌّ في حديث العباس، إنما وقع هذا في حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه كما في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عنه عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢٩، ورجاله لا بأس بهم إن كان محفوظاً.

أما حديث العباس هذا، فأصحاب الزهري لم يذكروا فيه سوى مناداته بأصحاب السَّمرة، زاد سفيان بن عيينة عليهم أنه نادى أيضاً: يا أصحاب سورة البقرة.

أخرجه من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري: أحمد (١٧٧٦)، والحميدي في «مسنده» (٤٦٤)، ومسلم (١٧٧٥) (٧٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٧٧٣، غير أن مسلماً لم يسق لفظه من هذا الطريق، واختصره أحمد، وهو بتمامه عند الآخرين.

وأخرجه أحمد (١٧٧٥)، وابن حبان (٧٠٤٩) من طريق معمر، ومسلم (١٧٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٩٣) و(٨٥٩٩) من طريق يونس بن يزيد ومعمر، والحاكم (٥٥٠٥) من طريق يونس بن يزيد، كلاهما (يونس ومعمر) عن الزهري، به. ولم يذكرا فيه إلا المناداة بأصحاب =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبد الرَّحمن بن جابرٍ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال: بَيْنا ذلك الرّجلُ من هَوازِنَ صاحبُ الرّاية على جملِه يَصنَعُ ما يَصنَعُ، إذ هَوَى له[1] عليٌّ بن أبي طالبٍ رِضوانُ الله عليه ورجلٌ من الأنصار يريدانِه، قال: فيأتيه عليٌّ من خَلفِه فضَرَبَ عُرقُوبَي الجملِ فوَقَعَ على عَجُزِه[2]، ووَثَبَ الأنصاريُّ على الرَّجل فضربه ضربةً أطَنَّ قدمَه[3] بنصفِ ساقِه، فانجَعَفَ عن رَحْلِه[4].

قال: واجتَلَدَ الناسُ، فواللهِ ما رَجَعَت راجعةُ الناسِ من هزيمتهم حتّى وَجَدُوا الأُسارَى مُكتَّفِينَ عند رسول الله ﷺ.

قال: والتَفَتَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي سفيانَ بن الحارث بن عبد المُطَّلِب ـ وكان ممّن صَبَرَ يومَئذٍ مع رسول الله ﷺ، وكان حَسَنَ الإسلامِ حين أسلمَ ـ وهو آخذٌ بثَفَرِ

= السمرة.

والوَطِيس في أصل اللغة: التنُّور، وأراد هاهنا موضع القتال، وشبّه به الحرب لاستعارِ نارها وشدّة وَقْدها.

وقوله ﷺ: «الآن حمي الوطيس» هذه الكلمة لم تُسمَع إلا منه ﷺ، قاله أبو بكر بن دريد في «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٣٩، وتابعه عليه ابن سِيدَه في «المحكم» ٨/ ٥٩٧ والسهيليُّ في «الروض» ٧/ ١٩٩.

(١) يقال: هوى له وأهوى إليه: إذا مال إليه.

(٢) على عَجُزه، أي: على مؤخّره. والعُرقوب: هو الوَتَر الذي خلف الكعبين بين مَفصِل القدم والساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فُوَيق العَقِب. قاله ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٢٢١.

(٣) أطنَّ قدمه، أي: أطارَها وسُمع لضربته طنينٌ، أي: دويٌّ.

(٤) انجعف عن رحله، أي: سقط عنه إلى الأرض صريعاً.

بغلتِه[1]، فقال: «مَن هذا؟» قال: أنا ابنُ أمِّك يا رسولَ الله[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ التَفتَ فرأى أمَّ سُلَيمٍ ابنةَ مِلْحانَ[3] وكانت مع زوجِها أبي طَلْحة، وهي حازِمةٌ وَسَطَها ببُرْدٍ لها وإنّها لَحاملٌ بعبدالله بن أبي طلحة، ومعها جَمَلُ أبي طلحة وقد خَشِيَت أن يَعُزَّها[4] الجملُ، فأدنَتْ رأسَه منها فأدخَلَت يدَها في خِزامتِه[5] مع الخِطَام، فقال رسولُ الله ﷺ: «أأُمّ سُلَيمٍ؟» قلت: نَعَم بأبي أنتَ وأُمّي يا رسولَ الله، اقتُلْ هؤلاءِ الذين يَنهَزِمون عنك كما تَقتُلُ الذين يُقاتِلونَك، فإنّهم لذلك أهلٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أوْ يَكْفي اللهُ يا أمَّ سُلَيمٍ»، قال: ومعها خِنجَرٌ، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخِنجَرُ معكِ يا أمَّ

---

(١) الثَّفَر: هو الحزام الذي في مؤخَّر السَّرج الذي يشدّه على دُبر الدابة.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٦ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٢٣٢) من طريق محمد بن سلمة، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وزاد فيه الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٠٠ حيث رواه عن عبد الرحمن بن عبد العزيز الأنصاري عن عاصم بن عمر: أن أبا سفيان بن الحارث كان مقنَّعاً بالحديد يومئذٍ، فلا يُرَى منه شيء.

وأخرج قصة الرجل من هوازن صاحب الراية: أحمد (١٥٠٢٧) من طريق إبراهيم بن سعد، وابن حبان (٤٧٧٤) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢٧-١٢٨ من طريق يونس بن بكير، ثلاثتهم عن ابن إسحاق، به.

وقول أبي سفيان للنبي ﷺ: أنا ابن أمّك، إنّما هو ابن عمِّه، لكنه أراد أن يتقرّب إليه، لأن الأم التي هي الجَدّة قد تجمعهم في النسب. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٨٦-٣٨٧.

(٣) وهي أم أنس بن مالك، مشهورة بكُنيتها وفي اسمها خلاف كثير، وتزوجها بعد مالك والد أنسٍ أبو طلحة: وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرامٍ الأنصاري النَّجّاري.

(٤) أي: يغلبها.

(٥) الخِزامة: حَلْقة تُجعَل في أنف البعير، والخِطَام: الحبل الذي يُربَط بها يُقاد به البعير.

سُلَيمٍ؟ قالت: خِنجَرٌ أخذتُه، إنْ دَنَا منّي أَحدٌ من المشركين بَعَجتُه، قال: يقول أبو طلحة: ألا تَسمَعُ يا رسولَ الله ما تقول أمُّ سُلَيمٍ الرُّمَيصاءُ[1]!

قال ابن إسحاق: وقد كان رسولُ الله ﷺ حين وَجَّهَ إلى حُنَينٍ، قد ضَمَّ بني سُلَيمٍ إلى الضَّحّاك بن سفيانَ الكِلابيِّ، فكانوا إليه ومعه، ولمّا انهَزَمَ الناسُ قال مالكُ بن عَوفٍ يَرتجِزُ بفرسِه:

أقــدِمْ مُحَــاجُ إنّــه يــومٌ نُكُــرْ مِثْلـي علـى مِثلِـكَ يَحْمـي ويَكُـرّ[2]

إذا أُضِيـعَ الصّـفُّ يومـاً والـدُّبُرْ ثـمّ احزَأَلَّـتْ زُمَـرٌ بعـدَ زُمَـرْ[3]

كتائـبٌ يَكِــلُّ فــيهِنَّ البَصَــرْ قـد أطعُـنُ الطَّعنـةَ تَقْـذي بالسُّـبُرْ[4]

حـينَ يُـذَمُّ المسـتكينُ المُنجحِـرْ وأطعُــنُ الــنَّجلاءَ تَعْـوي وتَهِـرّ[5]

---

(١) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، وفي بقية النسخ: الرَّمصاء.

وهذا الخبر صحيح، وإسناده هذا ضعيف لإرساله، فإن عبد الله بن أبي بكر - وهو ابن حزم الأنصاري - من ثقات صغار التابعين وله رواية عن أنس بن مالك، ولعله قد سمعه منه، فإن هذا الحديث مشهور محفوظ عنه.

فقد أخرج نحوه أحمد (١٢٠٥٨) و(١٢٩٧٧) و(١٤٠٤٩)، ومسلم (١٨٠٩)، وأبو داود (٢٧١٨)، وابن حبان (٤٨٣٨) و(٧١٨٥) من طرق عن أنس بن مالك. وبعضهم يزيد فيه على بعض.

(٢) مُحَاج: اسم فرس مالك بن عوف. ويوم نُكُر، أي: شديد صعب. والكَرّ: الرجوع على العدوّ.

(٣) احزأَلَّت، أي: ارتفعت. وزُمَر: جماعات.

(٤) يكلُّ، أي: يتعب. وتَقذي بالسُّبُر، أي: ترمي الطّعنةُ بالفتائل التي تُجعَل فيها لعلاج الجرح، وذلك لشدّة طعني.

(٥) المستكين: الخاضع الذليل. والمنجحر، أي: الذي يدخل الجُحْر، لخوفه. والنَّجلاء: =

لهـا مـن الجَـوفِ رَشَـاشٌ مُنهمِـرْ تَفهَــقُ تــاراتٍ وحِينــاً تَنفجِــرْ[1]

وثَعلَــبُ العامــلِ فيهــا مُنكسِــرْ يــا زيـدُ يـا ابـنَ هَمهَـمٍ أيـنَ تَفِـرّ[2]

قد نَقِدَ[3] الضِّرسُ وقد طالَ العُمُرْ قد عَلِمَ البِيضُ الطّويلاتُ الخُمُرْ

أنّــي في أمثالِهــا غيــرُ غُمُــرْ إذ تُخرَجُ الحاصِنُ من تحتِ السُّتُرْ[4]

وقال مالكُ بن عَوفٍ أيضاً:

أقـدِمْ مُحَاجُ إنّها الأسـاوِرَهْ ولا تَغُرّنَّــكَ رِجــلٌ نــادِرَهْ[5]

قال ابن هشام: وهذانِ البيتانِ لغيرِ مالك بن عوفٍ في غيرِ هذا اليوم[6].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُالله بن أبي بكرٍ، أنه حُدِّثَ عن أبي قَتَادة الأنصاريّ.

وحدّثني مَن لا أتّهمُ من أصحابنا، عن نافع مولى بني غِفارٍ أبي محمّدٍ، عن أبي قَتَادة؛ قالا: قال أبو قَتَادة: رأيت يومَ حُنينٍ رجلين يقتتلانِ، مسلماً ومشركاً، قال:

= الضربة الواسعة القاطعة. وتعوي وتهر: تصدر صوتاً لشدّتها.

(١) رشاشٌ: يريد الدم، والمنهمر: المُنصَبّ. وتَفهَق، أي: تنفتح.

(٢) الثّعلب: ما دخل من عصا الرُّمح في السِّنان، والعامل: أعلى الرّمح.

(٣) هكذا في بعض النسخ مصحَّحاً عليه، ومعنى نَقِدَ الضرسُ: تكسَّر أو تآكل، وفي بعضها: نفذ، وفي أخرى: نفد. ومهما يكن من أمرٍ فهو يريد أنه محنَّك مجرَّب.

والبِيض: أراد النساء، ووصفهن بطويلات الخُمُر، جمع خِمار: وهو غطاء الرأس.

(٤) أمثالها: يريد أمثال هذه الوقائع والحروب. والغُمر: الذي لم يجرِّب الأمور. والحاصن: المرأة العفيفة، وفي بعض النسخ: الحاضن، بالضاد: وهي التي تحضن ولدها.

(٥) الأساورة: الفُرسان والرُّماة من الفُرس، واحده: إسوار، بكسر الهمزة وضمّها. ورِجل نادرة: يعني قد نَدَرَت، أي: انقطعت وبَعُدَت.

(٦) يعني أنهما قيلا في يوم القادسية لا في يوم حنين.

وإذا رجلٌ من المشركين يريد أن يُعِينَ صاحبَه المشركَ على المسلم، قال: فأتيته فضَرَبت يدَه فقَطَعتُها، واعتَنَقَني بيده الأُخرى، فوالله ما أرسَلَني حتّى وَجَدتُ ريحَ الدَّم - ويُروَى: ريحَ الموتِ، فيما قال ابن هشام - وكادَ يَقتُلُني، فلولا أنّ الدّمَ نَزَفَه[1] لَقتلني، فسَقَطَ فضربتُه فقتلتُه وأجهَضَني عنه القتالُ[2]، ومَرَّ به رجلٌ من أهلِ مكّة فسَلَبَه، فلمّا وَضَعَت الحربُ أوزارَها[3] وفَرَغْنا من القوم، قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قَتَلَ قَتيلاً فلَهُ سَلَبُه» فقلت: يا رسولَ الله، والله لقد قتلتُ قتيلاً ذا سَلَبٍ، فأجهَضَني عنه القتالُ، فما أَدري مَن استَلَبَه! فقال رجلٌ من أهلِ مكّة: صَدَقَ يا رسولَ الله[4]، فأَرضِه عنّي من سَلَبِه، فقال أبو بكرٍ الصِّدّيقُ: لا والله لا يُرضِيهِ منه، تَعمِدُ إلى أسَدٍ من أُسد الله يقاتلُ عن دينِ الله، تُقاسِمُه سَلَبَه، اردُدْ عليه سَلَبَ قتيلِه، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ، اردُدْ عليه سَلَبَه»، قال أبو قَتَادة: فأخذتُه منه فبِعتُه، فاشتَرَيتُ بثَمَنِه مَخرَفاً[5]، فإنّه لَأوّلُ مالٍ اعتَقَدتُه[6].

---

(١) نَزَفَه الدمُ، أي: سال منه حتى أضعفه فأشرف على الموت.

(٢) أجهضني عنه القتال، أي: اشتدّ عليَّ فشغلني عنه.

(٣) السَّلَب: هو ما يأخذه القاتل من القتيل في الحرب مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها. وأوزار الحرب: أثقالها وآلاتها، وقوله: وضعت الحرب أوزارها، هو كناية عن انقضائها.

(٤) زاد هنا في نسخة (غ) وحدها وأشار إليه على حاشيتي (ش١) و(ش٢): وسلبُ ذلك القتيل عندي.

(٥) المَخرَف: بستان من النَّخل، وسُمّي مَخرفاً لأنه يُختَرَف منه التّمر، أي: يُجنَى.

(٦) حديث صحيح، والواسطة المبهمة في الإسناد الأول في الغالب هو نافع أبو محمد نفسه، فإن حديث أبي قتادة هذا مشهور من روايته عنه، وأما في الإسناد الثاني فشيخ ابن إسحاق المبهم فيه هو يحيى بن سعيد الأنصاري، هكذا سمّاه إبراهيم بن سعد في روايته عنه عند أحمد في =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن أبي سَلَمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالكٍ قال: لقد استَلَبَ أبو طلحة يومَ حُنينٍ وحدَه عشرينَ رجلاً[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، أنّه حُدِّثَ عن جُبَير بن مُطعِمٍ

= «المسند» (٢٢٦٠٧).

إلا أن يحيى بن سعيد يرويه عن نافع بواسطة عمر بن كثير بن أفلح، هكذا رواه كبار أصحابه عنه كمالكٍ والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وهُشيم بن بشير فيما أخرجه أحمد (٢٢٥١٨) و(٢٢٥٢٧)، والبخاري (٢١٠٠) و(٣١٤٢) و(٤٣٢١) و(٧١٧٠)، ومسلم (١٧٥١)، وأبو داود (٢٧١٧)، وابن ماجه (٢٨٣٧)، والترمذي (١٥٦٢)، وابن حبان (٤٨٠٥) و(٤٨٣٧). وهو عند بعضهم مختصر.

قوله: لأوّلُ مال اعتقدتُه، أي: اتخذتُ منه عُقدةً، والمعنى: جمعتُه، والأصل فيه من العَقْد، لأن مَن مَلَكَ شيئاً عَقَدَ عليه. وعند غير ابن إسحاق: لأول مال تأثَّلتُه، ومعناه: تملّكتُه فجعلته أصلَ مالٍ، وأَثَلةُ كل شيء: أصلُه.

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وأبي سلمة، لكنه متابع، وأبو سلمة هذا: هو حماد بن سلمة البصري، وهو ممّن روى عن ابن إسحاق، إلا أن هذه الرواية هنا من باب رواية الشيخ عن تلميذه لكن بواسطة، والحديث مشهور بحمّاد عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة.

فقد أخرجه أحمد (١٢١٣١) و(١٢٢٣٦) و(١٢٩٧٧) و(١٣٩٧٥)، وأبو داود (٢٧١٨)، وابن حبان (٤٨٣٦) و(٤٨٣٨)، والحاكم (٢٦٢٣) و(٥٦٠٢) من طرق عن حماد بن سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس. وبعضهم يزيد فيه على بعض.

وأخرجه أحمد أيضاً (١٣٠٤١)، وابن حبان (٤٨٤١) من طريق أبي أيوب الإفريقي الأزرق، عن إسحاق بن أبي طلحة، به.

وأبو طلحة هذا: هو زيد بن سهل الأنصاري النَّجّاري، زوج أم سُليمٍ والدة أنس بن مالك.

قال: لقد رأيتُ قبلَ هزيمةِ القوم والناسُ يقتتلون، مِثلَ البِجَادِ[١] الأسوَدِ أقبَلَ من السماءِ حتّى سَقَطَ بيننا وبينَ القوم، فنَظَرتُ فإذا نَملٌ أسوَدُ مَبثُوثٌ[٢] قد مَلأ الوادي لم أشُكَّ أنّها الملائكةُ، ولم يكن إلّا هَزِيمةُ القوم[٣].

قال ابن إسحاق: ولمّا هَزَمَ اللهُ المشركين من أهلِ حُنينٍ وأمكَنَ رسولَ الله ﷺ منهم، قالت امرأةٌ من المسلمين:

قد غَلَبَتْ خيلُ الله خيلَ اللّاتِ ... واللهُ أحـــقُّ بالثَّبـــاتِ

قال ابن هشام: أنشدني بعضُ أهلِ العلم بالرّواية للشِّعر:

غَلَبْتِ خيـلَ الله خيـلَ الـلّاتِ ... وخيلُـــهُ أحـــقُّ بالثَّبـــاتِ

قال ابن إسحاق: فلمّا انهزَمَت هَوازِنُ استَحَرَّ القتلُ[٤] من ثَقيفٍ في بني مالك، فقُتِلَ منهم سبعون رجلاً تحت رايتِهم فيهم عثمانُ بن عبد الله بن رَبِيعة بن الحارث

---

(١) البجاد: هو الكِساء.

(٢) مبثوث: متفرق، يعني رآه ينزل من السماء.

(٣) إسناده ضعيف لانقطاعه بين إسحاق بن يسار وجبيرٍ.

ورواه سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٧، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٤٦، كلاهما عن ابن إسحاق عن أبيه عمّن حدَّثه عن جبير، كرواية البكّائي عن ابن إسحاق.

ورواه جريرُ بن حازم عند البيهقي أيضاً ٣/ ٦١ عن ابن إسحاق عن أبيه عن جبير بن مطعم، بالعنعنة. والعنعنة لا تعني بالضرورة اتصالَ السند كما هو معروف مقرَّر عند أهل الحديث.

وخالف حمادُ بن سلمة عند الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥٧١) و(٧٤٢٠)، فرواه عن ابن إسحاق عن أبيه قال: سمعت جبير بن مطعم. فصرّح بذكر السماع، وهذه رواية شاذّة، ولا يُعرَف لإسحاق بن يسار ـ وهو من صغار التابعين ـ سماعٌ من جبيرٍ.

(٤) أي: اشتدّ وكَثُر.

ابن حُبيِّبٍ[1]، وكانت رايتُهم مع ذي الخِمَار[2]، فلمّا قُتِلَ أخَذَها عثمانُ بن عبدالله، فقاتل بها حتّى قُتِل.

قال ابن إسحاق: وأخبرني عامرُ بن وهب بن الأسوَد قال: لمّا بَلَغَ رسولَ الله ﷺ قتلُه قال: «أَبعَدَه اللهُ، فإنَّه كان يُبغِضُ قُرَيشاً»[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَس[4]: أنه قُتِلَ

(١) بالتثقيل مصغَّراً، انظر «الإكمال» لابن ماكولا ٢/ ٢٩٨، و«توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي ٣/ ٣٧٢، و«تبصير المنتبه» لابن حجر ١/ ٤٠٨.

(٢) واسمه سُبيع بن الحارث بن مالك كما تقدم ص١٢٢-١٢٣.

(٣) إسناده ضعيف لجهالة عامر بن وهب وإرساله إياه.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٧ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن محمد بن إسحاق، به.

ورواه معمرٌ في «جامعه» (١٩٩٠٤)، وصالحُ بن كيسان عند العراقي في «محجة القُرَب إلى محبة العرب» (١٢٨)، كلاهما (معمر وصالح) عن الزهري: أن رجلاً من ثقيف... وذكره. وهو ضعيف لإرساله.

ووصله جبير بن أبي صالح عن الزهري عن سعد بن أبي وقاص، إلا أنه لم يسم الرجل ولا المكان، أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ١٧٣، وعنه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥٢٥). وهذا إسناد ضعيف لا يصح، لجهالة جبير بن أبي صالح وانقطاعه بين الزهري وسعد، فإن الزهري لم يسمع منه.

ورواه موصولاً أيضاً البزار في «مسنده» (١١٨٣) - ومن طريقه العراقي في «المحجة» (١٢٩) - بإسناد مسلسل بالمجاهيل عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٢٧ وقال: فيه من لم أعرفه.

(٤) يعقوب هذا ثقة لكنه من أتباع التابعين، فخبره هذا معضلٌ لم يسنده.

ورواه عنه بنحوه الواقديُّ في «المغازي» ٣/ ٩١١.

مع عثمانَ بن عبدِ الله غلامٌ له نصرانـيٌّ أغرَلُ[1]، قال: فبَيْنا رجلٌ من الأنصار يَسلُبُ قَتلَى ثقيفٍ، إذ كَشَفَ العبدَ يَسلُبُه فوَجَدَه أغرَلَ، قال: فصاحَ بأعلى صوته: يا مَعشَرَ العرب، يَعلَمُ اللهُ أنّ ثقيفاً غُرْلٌ، قال المغيرةُ بن شُعْبة: فأخذتُ بيده وخَشِيتُ أن تذهبَ عنّا في العرب، فقلت: لا تَقُلْ ذاكَ فِداكَ أَبي وأُمّي، إنّما هو غلامٌ لنا نصراني، قال: ثمّ جَعَلتُ أَكشِفُ له عن القتلى وأقولُ: ألا تَراهم مُختَنِينَ كما تَرَى.

قال ابن إسحاق: وكانت رايةُ الأحلافِ مع قاربِ بن الأسودِ، فلمّا انهَزَمَ الناسُ أسنَدَ رايتَه إلى شجرةٍ وهَرَبَ هو وبنو عمِّه وقومُه من الأحلاف، فلم يُقتَلْ من الأحلافِ غيرُ رجلين: رجلٍ من غِيَرةَ يقال له: وهبٌ، وآخرَ من بني كُنَّةَ[2] يقال له: الجُلَاحُ، فقال رسولُ الله ﷺ حين بَلَغَه قتلُ الجُلَاح: «قُتِلَ اليومَ سيِّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ إلَّا ما كان من ابنِ هُنَيدةَ»[3]؛ يعني بابن هُنَيدةَ الحارثَ بن أُوَيسٍ.

فقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ يذكرُ قاربَ بن الأسودِ وفِرارَه من بني أَبيه، وذا الخِمَارِ وحَبْسَه قومَه للموت:

ألَا مَـن مُبلِـغٌ غَـيْلانَ عنّـي ... وسـوفَ إخـالُ يأتيـهِ الخَبيـرُ

وعُـرْوةَ إنّمـا أُهـدي جَوابـاً ... وقـولاً غيـرَ قولِكمـا يَسـيرُ[4]

---

(١) الأغرل: هو الذي ليس بمُختتِن، والغُرْلة: هي الجلدة على رأس الذَّكر يقطعها الخاتن.

(٢) هكذا في نسختنا الخطية غير (غ): كُنّة، بالنون، وفي (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): كُبّة، بالباء، وكذلك وقع في «إملاء الخشني» ص٣٨٨ أنه: كبّة، بالباء، والصواب أنه بالنون، انظر «الاشتقاق» لابن دريد ص٢٨، و«أنساب الأشراف» للبلاذري ١٣/ ٣٤٣ وساق أبياتاً من الشعر يؤيد كونه بالنون.

(٣) ضعيف لا يصح لإعضاله، فإن ابن إسحاق لم يُسنده وكذا الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٠٧.

(٤) غيلانُ وعروةُ المذكوران سيأتي لاحقاً بيان ابن هشام لهما أنهما غيلان بن سلمة وعروة =

بـأنّ محمّـداً عبـدٌ رسـولٌ ... لـرَبٍّ[1] لا يَضِـلُّ ولا يَجُـورُ

وَجَـدْناه نبيّـاً مِثـلَ موسـى ... فكـلُّ فتًـى يُخـايِرُه مَخِيـرُ[2]

وبِـئسَ الأمـرُ أمـرُ بنـي قَسِـيٍّ ... بـوَجٍّ إذ تُقُسِّـمَت الأُمـورُ[3]

أضـاعوا أمـرَهمْ ولكـلِّ قـومٍ ... أميـرٌ والـدّوائرُ قـد تَـدُورُ

فجِئنـا أُسْـدَ غابـاتٍ إلـيهمْ ... جنـودُ الله ضـاحيةً تَسـيرُ[4]

نَـؤُمُّ الجَمْـعَ جمـعَ بنـي قَسِـيٍّ ... علـى حَنَـقٍ نَكـادُ لـه نَطيـرُ[5]

وأُقسِـمُ لـوْ هـمُ مَكَثـوا لَسِـرْنا ... إلـيهمْ بـالجنودِ ولـم يَغُـوروا[6]

فكُنّـا أُسْـدَ لِيّـةَ ثَـمَّ حتّـى ... أبَحْناهـا وأُسـلِمَتِ النُّصـورُ[7]

ويـومٌ كـان قبـلُ لـدى حُنَـينٍ ... فـأقلَعَ والـدّماءُ بـه تَمُـورُ[8]

مـن الأيّـام لـم نَسـمَع كيـومٍ ... ولـم يَسـمَع بـه قـومٌ ذُكـورُ

= ابن مسعود الثقفيّان.

(١) في بعض النسخ: لربّي. والجَوْر: الظُّلم.

(٢) يخايره: يقول له: أنا خير منك، ومَخِيرٌ: هو اسم مفعول، أي: مغلوب في الخير.

(٣) قَسِيّ: اسم ثقيف. ووج: هو وادي الطائف الرئيس، وهو يقسمها إلى شطرين من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

(٤) ضاحية، أي: بارزة لا تخفى.

(٥) نؤمّ، أي: نقصد. والحَنَق: الغضب.

(٦) لم يغوروا، أي: لم يذهبوا.

(٧) لِيّة: وادٍ من أكبر أودية الطائف، كثير المياه والزروع، يمرُّ في جنوبها على قرابة ١٥ كم متجهاً نحو الشرق.

والنصور: هم بنو نصر من هوازن، وهم رهط مالك بن عوف النصري.

(٨) تمور: تسيل.

قَتَلْنـا في الغُبـارِ بنـي حُطَـيطٍ　　علـى راياتِهـا والخيـلُ زُورُ[(١)]

ولم يَكُ ذو الخِمارِ رئيسَ قومٍ　　لهـم عَقـلٌ يُعاتِـبُ أو نَكيـرُ

أقـامَ بهـم علـى سَـنَنِ المَنايـا　　وقـد بانَـتْ لمُبصِـرِها الأُمـورُ[(٢)]

فأفلتَ مَن نَجَا منهمْ جَرِيضاً　　وقُتِّـلَ مـنهمُ بشـرٌ كثيـرُ[(٣)]

ولا يُغْني الأُمورَ أخو التَّوَاني　　ولا الغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ[(٤)]

أحـانَهمُ وحـانَ ومَلَّكـوهُ　　أُمـورَهمُ وأُفلِتَـت الصُّـقورُ[(٥)]

بنـو عَـوفٍ تَمِـيحُ بهـمْ جِيـادٌ　　أُهِينَ لها الفَصافِصُ والشَّعيرُ[(٦)]

فلـولا قـاربٌ وبنـو أبيـهِ　　تُقُسِّمتَ المـزارعُ والقُصـورُ

ولكـنَّ الرِّياسـةَ عُمِّموهـا　　علـى يُمْـنٍ أشـارَ بـه المُشِـيرُ[(٧)]

---

(١) بنو حطيط: من ثقيف، وهم بنو مالكٍ أحدُ قبيلَي ثقيفٍ، ومنهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة صاحب لواء المشركين يوم حنين، وقتل يومئذٍ كافراً كما سبق. وزُورٌ: مائلة.

(٢) سَنَن المنايا: طريقها. وبانت: وضحت وظهرت.

(٣) الجريض: الذي يبتلع ريقه بغصّة من الهمّ والحزن.

(٤) في (ت) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م): الصُّريْرة والحَصور.

والتواني: الفتور في العمل والتكاسل فيه. والغَلِق: الكثير الحِوَج، كأنه تنغلق عليه أموره. والصُّرَيِّرة: تصغير الصَّرورة، وهو والحَصُور بمعنى واحد، وهو في الأصل: الذي لا يأتي النساء، لكن الظاهر أن المراد بهما هنا العييّ الهَيُوب المُحجِم عن الشيء.

(٥) أحانهم وحان: أهلَكَهم وهلك. وأُفلِتت، أي: تُركت، وأراد بالصقور السادةَ الكبار المجرِّبين.

(٦) تميح: تمشي مشياً حسناً. والفصافص: جمع فِصفِصة، وهي البَقْلة التي تأكلها الدوابّ ويسمّى البرسيم.

(٧) عُمِّموها، أي: أُسندت إليهم وقُدِّموا لها.

أطـاعوا قاربـاً ولهـمْ جُـدودٌ ... وأحـلامٌ إلـى عِـزٍّ تَصـيرُ[1]

فإن يُهدَوا إلى الإسلام يُلفَوا ... أُنوفَ الناس ما سَمَرَ السَّميرُ[2]

وإن لـم يُسلِموا فهـمُ أَذانٌ ... بحـربِ الله لـيس لهـمْ نَصـيرُ

كما حَكَّت بني سعدٍ وجَرَّتْ ... بـرَهطِ بنـي غَزِيّـةَ عَنقَفيـرُ[3]

كـأنَّ بنـي معاويـةَ بـنِ بكـرٍ ... إلـى الإسـلام ضـائنةٌ تَخُـورُ[4]

فقلنـا: أسـلِموا إنّـا أَخُـوكم ... وقد بَرَأَت من التِّرَةِ[5] الصُّدورُ

كـأنّ القـومَ إذ جـاؤُوا إلينـا ... مـن البَغضـاءِ بعـد السِّلمِ عُـورُ[6]

قال ابن هشام: غَيْلانُ: غَيلانُ بن سَلَمة الثَّقفيّ، وعُرْوةُ: عُروةُ بن مسعودٍ الثَّقفيّ.

قال ابن إسحاق: ولمّا انهَزَمَ المشركون أَتَوُا الطّائفَ ومعهم مالكُ بن عوفٍ،

---

(١) الجُدود: الحُظوظ، واحدها: جَدٌّ. والأحلام: العقول.

(٢) أنوف الناس: أشرافهم والمقدَّمون فيهم. والسَّمير: جماعة السُّمّار وهم الذين يجتمعون للحديث بالليل.

(٣) وجرَّت: هكذا في (غ) و(ش١) و(ش٢)، أي: جَنَتْ، وفي بقية النسخ: وحرب، وما أثبتناه أوجهُ.

والعنقفير: الداهية من دواهي الزمن.

وبنو سعد وبنو غَزِيّة كلاهما من هوازن.

(٤) الضائنة: الضأن من الشاءِ. وتخور، أي: تصيح.

(٥) في (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): من الإِحَن، وهي الأحقاد، والتِّرَة: العداوة وطلب الثأر.

(٦) عُورٌ: الظاهر أنها جمع عارٍ، يريد أنهم بعدما يدخلون في السِّلم (وهو الإسلام) سيذهب ما بهم من البغضاء لنا.

وعَسكَرَ بعضُهم بأوطاسٍ، وتَوجَّهَ بعضُهم نحوَ نَخْلة[1]، ولم يكن فيمن تَوجَّهَ نحوَ نخلةَ إلّا بنو غِيَرةَ من ثقيفٍ، وتَبِعَت خيلُ رسول الله ﷺ مَن سَلَكَ في نخلةَ من الناس ولم تَتبَعْ مَن سَلَكَ الثَّنايا[2].

فأدرَكَ ربيعةُ بن رُفَيع بن أُهْبانَ بن ثَعْلبة بن ربيعة بن يَربُوع بن سَمّال[3] بن عَوْف بن امرئِ القيس، وكان يقال له: ابنُ الدُّغُنّة، وهي أمُّه، فغَلَبَت على اسمه ـ ويقال: ابنُ لَذْعة فيما قال ابن هشام ـ دُرَيدَ بنَ الصِّمّة، فأَخذَ بخِطام جملِه وهو يَظُنُّ أنّه امرأةٌ، وذلك أنّه في شِجَارٍ له[4]، فإذا برجلٍ فأناخَ به، فإذا شيخٌ كبيرٌ، وإذا هو دُرَيدُ بن الصِّمّة ولا يَعرِفُه الغلام، فقال دُريدٌ له: ماذا تريدُ بي؟ قال: أقتلُك، قال: ومَن أنت؟ قال: أنا ربيعةُ بن رُفَيع السُّلَميّ، ثمّ ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً، فقال: بئسَ ما سَلَّحَتك أمُّك، خُذْ سيفي هذا من مُؤَخَّر الرَّحْل في الشِّجار ثمّ اضرِبْ به، وارفَعْ عن العِظام واخفِضْ عن الدِّماغ، فإنّي كذلك كنت أضرِبُ الرّجالَ، ثمّ إذا أتيتَ أمَّك فأخبِرْها أنّك قتلتَ دُريدَ بنَ الصِّمّة، فرُبَّ ـ واللهِ ـ يومٍ قد مَنَعتُ فيه نساءَك.

---

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن بين حنين والطائف. وأما نخلة: فتقع شمال شرق مكة على قرابة ٤٥ كم.

(٢) جمع ثَنِيّة: وهي العقبة المسلوكة في الجبل.

(٣) هكذا هو بلامٍ في (ي) ونسخة في (غ) و(م)، وفي بقية النسخ: سِمَاك، بكاف، والراجح الأول، وهو بفتح السين وتشديد الميم كما قيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٢٤٢ وابن ماكولا في «الإكمال» ٤/ ٣٥٣، وذكره المِزّي في ترجمة مجاشع بن مسعود السُّلمي من «تهذيب الكمال» ٢٧/ ٢١٤ بالكاف ثم قال: وقيل: باللام.

(٤) الشِّجار: مَركَب فوق الجمل شِبْه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

فزَعَمَ بنو سُلَيمٍ: أنّ ربيعةَ قال: لمّا ضربتُه فوَقَعَ تكشَّفَ، فإذا عِجَانُه[1] وبطونُ فَخِذَيهِ مِثلُ القِرْطاس من ركوب الخيل أَعراءً[2]؛ فلمّا رجع ربيعةُ إلى أمِّه، أخبرها بقتلِه إيّاه، فقالت: أمَا والله لقد أعتَقَ أُمّهاتٍ لك ثلاثاً.

فقالت عَمْرةُ بنت دُريدٍ في قتل ربيعة دُريداً:

لَعَمـرُكَ مـا خَشِـيتُ علـى دُرَيـدٍ ... بـبَطنِ سُـمَيرةٍ جـيشَ العَنَـاقِ[3]

جَـزَى عنـه الإلٰـهُ بنـي سُـلَيمٍ ... وعَقَّـتهمْ بمـا فعلـوا عَقَـاقِ[4]

وأَسـقانا إذا قُـدْنا إلـيهمْ ... دِمـاءَ خيـارِهم عنـد التَّلاقـي

فـرُبَّ عظيمـةٍ دافعـتَ عـنهمْ ... وقـد بَلَغَـت نفوسُـهمُ التَّراقـي[5]

ورُبَّ كريمـةٍ أعتقـتَ مـنهمْ ... وأُخـرى قـد فَكَكـتَ مـن الوَثَـاقِ[6]

ورُبَّ مُنَـوِّهٍ بـكَ مـن سُـلَيمٍ ... أجَبـتَ وقـد دعـاكَ بـلا رِمَـاقِ[7]

فكـان جَزاؤُنـا مـنهمْ عُقوقـاً ... وهَمّـاً مـاعَ منـهُ مُـخُّ سـاقي[8]

---

(١) العِجَان: ما بين الخُصْية وحَلْقة الدُّبر.

(٢) القرطاس: الصحيفة يُكتب فيها. وأعراء: جمع عُرْي، وهو الفرس الذي لا سَرْج له.

(٣) سميرة: واد قرب نخلة قتل فيه دريد بن الصِّمّة. والعَنَاق: الخَيْبة، وهي تهجو جيش المسلمين وتصفه بذلك، والعَنَاق أيضاً: الداهية والأمر الشديد، فإن أرادت هذا، فهي بذلك تتمدّح بشجاعة والدها والتصبّر لمثل هذا الجيش.

(٤) عَقَاق: على وزن فَعَال، من العُقوق.

(٥) التراقي: جمع تَرقُوَة، وهي عظام الصدر.

(٦) الوثاق: ما يُشدّ به كالحبل وغيره، والمراد به: الأَسْر.

(٧) المنوِّه: الذي يناديك بأشهر أسمائك نداءً ظاهراً. والرّماق، بفتح الراء وكسرها: بقيّة الحياة.

(٨) ماع، أي: ذاب وسال، يعني من الهمّ والحزن.

عَفَتْ آثارُ خيلِك بعدَ أَيْنٍ فذِي[1] بَقَرٍ إلى فَيفِ النُّهَاقِ

وقالت عَمْرةُ بنت دُريدٍ أيضاً:

قالوا: قتلنا دُرَيداً قلتُ: قد صَدَقوا فظَلَّ دمعي على السِّربالِ يَنحدِرُ[2]

لولا الذي قَهَرَ الأقوامَ كلَّهمُ رأَتْ سُلَيمٌ وكعبٌ كيفَ تأتمِرُ

إذاً لَصبَّحَهم غِبّاً وظاهرةً حيثُ استَقَرَّتْ نَوَاهمْ جَحفَلٌ ذَفِرُ[3]

قال ابن هشام: ويقال: اسم الذي قتل دُريداً: عبدُ الله بن قُنَيع بن أُهْبانَ بن ثَعْلبة ابن ربيعة.

قال ابن إسحاق: وبعَثَ رسولُ الله ﷺ في آثار مَن تَوجَّهَ قِبَلَ أَوطاسٍ أبا عامرٍ الأشعريَّ، فأدرَكَ من الناس بعضَ من انهَزَمَ فناوَشُوه القتالَ[4] فرُمِيَ أبو عامرٍ بسهمٍ فقُتِلَ، فأَخذَ الرّايةَ أبو موسى الأشعريّ، وهو ابنُ عمِّه، فقاتلهم ففَتَحَ اللهُ عليه وهَزَمَهم الله. فيَزعُمون: أنّ سَلَمةَ بن دُريدٍ هو الذي رَمَى أبا عامرٍ الأشعريَّ بسهمٍ فأصاب رُكْبتَه فقتله، فقال:

---

(١) في (ش١) و(ش٢): بذي.

وعَفَت: دَرَسَت وتغيّرت. وأينٌ وذو بقرٍ ـ ويروى: ذو نفر ـ وفَيف النُّهاق، هذه كلها أسماء مواضع، والفَيْف: الأرض القَفْر.

(٢) السِّربال: كل ما يُلبَس.

(٣) أصل الغِبّ: أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ يوماً وتدعه يوماً، والظاهرةُ: أن ترِدَه كلَّ يوم، فضربته هاهنا مثلاً، تريد: لأكثرَ الغارةَ عليهم جحفلٌ، أي: جيش كثير. وذَفِرٌ: كريه الرائحة من سَهَك السلاح وصدأ الحديد. ونواهم، أي: بُعدهم، تريد: حيثما استقرّت ديارهم.

(٤) يقال: تناوش القومُ في القتال، إذا تناول بعضُهم بعضاً بالرماح أو بالسهام ولم يتدانوا كلَّ التداني.

إن تَسألوا عنّي فإنّي سَلَمَهْ   ابنُ سَمادِيرَ لِمَن توسَّمَهْ[1]

أضرِبُ بالسّيفِ رُؤوسَ المُسلِمَهْ

وسماديرُ أمُّه.

واستَحَرَّ القتلُ[2] من بني نَصرٍ في بني رِئابٍ، فزَعَموا أنّ عبدَ الله بن قيسٍ ـ وهو الذي يقال له: ابنُ العَوراءِ، وهو أحدُ بني وهب بن رِئابٍ ـ قال: يا رسولَ الله، هَلَكَت بنو رِئابٍ، فزَعَموا أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللّهمَّ اجبُرْ مُصيبتَهم»[3].

وخرج مالكُ بن عوفٍ عند الهزيمة فوَقَفَ في فوارسَ من قومه على ثَنيّةٍ[4] من الطّريق وقال لأصحابه: قِفُوا حتّى يمضيَ ضُعفاؤُكم وتَلحَقَ أُخراكم. فوَقَفَ هناك حتّى مضى مَن كان لَحِقَ بهم من مُنهَزِمة النّاس، فقال مالكُ بن عوفٍ في ذلك:

ولولا كَرّتانِ على مُحَاجٍ   لَضاقَ على العَضاريطِ الطَّريقُ[5]

ولولا كَرُّ دُهْمانَ بنِ نَصرٍ   لَدَى النَّخَلاتِ مُندفَعَ الشَّدِيقِ[6]

لَآبَت جعفرٌ وبنو هِلالٍ   خَزَايا مُحقِبينَ على شُقوقِ[7]

---

(١) لمن توسَّمه، أي: لمن استدلّ عليه ونظر فيه.

(٢) أي: اشتدّ وكَثُر.

(٣) خبر ضعيف لم يسنده ابن إسحاق، وكذا رواه الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩١٦، ولم يسنده أيضاً.

(٤) الثنية: موضع مرتفع بين جبلين، وهو ممرٌّ بينهما.

(٥) محاج: اسم فرسه. والعضاريط: جمع عُضْروط، وهم الأتباع. وفي البيت إقواءٌ.

(٦) الشديق: ذكر ياقوت في «معجم البلدان» أنه واد بأرض الطائف.

(٧) آبَتْ: رجعت. ومحقبين: مُردِفين لمن انهزم منهم على حُقُبهم، والحقيبة: ما يجعله الراكب وراءه. وعلى شقوق، أي: على مشقّة. وبنو جعفر وبنو هلال من بطون هوازن.

قال ابن هشام: هذه الأبياتُ لمالك بن عوفٍ في غير هذا اليوم، وممّا يَدُلُّك على ذلك قولُ دُريد بن الصِّمّة في صدر هذا الحديث: ما فعلت كعبٌ وكِلابٌ؟ فقالوا له: لم يَشهَدْها منهم أَحدٌ؛ وجعفرٌ ابنُ كلابٍ، وقال مالكُ بن عوفٍ في هذه الأبيات: لَآبَت جعفرٌ وبنو هِلالٍ.

قال ابن هشام: وبَلَغَني: أنّ خيلاً طَلَعَت ومالكٌ وأصحابُه على الثَّنِيّة، فقال لأصحابه: ماذا تَرَون؟ فقالوا: نرى قوماً واضِعِي رماحِهم بين آذان خيلِهم، طويلةً بَوادُّهم[1]، قال: هؤلاءِ بنو سُلَيم، ولا بأسَ عليكم منهم، فلمّا أقبَلُوا سَلَكوا بطنَ الوادي، ثمّ طَلَعَت خيلٌ أُخرى تَتبَعُها، فقال لأصحابه: ماذا تَرَون؟ قالوا: نرى قوماً عارِضِي رماحِهم، أَغفالاً[2] على خيلهم، قال: هؤلاءِ الأوسُ والخَزْرجُ، ولا بأسَ عليكم منهم. فلمّا انتَهَوا إلى أصلِ الثَّنِيّة سَلَكوا طريقَ بني سُلَيم، ثمّ طَلَعَ فارسٌ، فقال لأصحابه: ماذا تَرَون؟ قالوا: نرى فارساً طويلَ البادِّ، واضعاً رمحَه على عاتِقِه، عاصباً رأسَه بمُلَاءةٍ[3] حمراءَ، فقال: هذا الزُّبيرُ بن العوّام، وأحلِفُ باللّاتِ لَيُخالِطَنَّكم فاثبُتُوا له، فلمّا انتهى الزُّبيرُ إلى أصلِ الثَّنِيّة أبصَرَ القومَ فصَمَدَ لهم[4]، فلم يَزَلْ يُطاعنُهم حتّى أزاحَهم عنها[5].

قال ابن إسحاق: وقال سَلَمةُ بن دُريدٍ وهو يَسُوقُ بامرأته حتّى أعجَزَهم:

(١) البوادّ: جمع البادّ، وهو باطن الفخذ.

(٢) قوله: عارضي رماحِهم، أي: واضعيها بالعَرْض، وهو كناية عن عدم مبالاتهم بأعدائهم. وأغفالاً: جمع غُفْل، وهو الذي لا علامة له، يريد أنهم لم يُعلِموا أنفسهم بشيء يُعرَفون به.

(٣) العاتق: ما بين المَنكِب والعنق. والمُلاءة: المِلحَفة صغيرة كانت أو كبيرة.

(٤) صمد لهم، أي: قَصَدَهم.

(٥) أزاحهم عنها: أزالهم عنها ونحّاهم.

نَسَّيتِني ما كنتِ غيرَ مُصابةٍ ... ولقد عَرَفتِ غَداةَ نَعْفِ الأظرُبِ[1]
أنّي مَنَعتُكِ والرُّكوبُ مُحبَّبٌ ... ومَشَيتُ خَلفَكِ مثلَ مَشيِ الأنكَبِ[2]
إذ فَرَّ كلُّ مُهذَّبٍ ذي لِمّةٍ ... عن أُمِّهِ وخليلِهِ لم يَعقِبِ[3]

قال ابن هشام: وحدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العلم بالشِّعر وحديثِه: أنّ أبا عامرٍ الأشعريَّ لَقِيَ يومَ أوطاسٍ عشرةَ إخوةٍ من المشركين، فحَمَلَ عليه أحدُهم، فحَمَلَ عليه أبو عامرٍ وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللّهمَّ اشهَدْ عليه، فقتله أبو عامر، ثمّ حَمَلَ عليه آخرُ فحَمَلَ عليه أبو عامرٍ وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللّهمَّ اشهَدْ عليه، فقتله أبو عامر، ثمّ جَعَلوا يَحمِلُون عليه رجلاً رجلاً، ويَحمِلُ أبو عامرٍ وهو يقول ذلك، حتّى قتل تسعةً وبَقِيَ العاشرُ، فحَمَلَ على أبي عامرٍ، وحَمَلَ عليه أبو عامرٍ وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللّهمَّ اشهَدْ عليه، فقال الرّجلُ: اللّهمَّ لا تَشهَدْ عليّ، فكَفَّ عنه أبو عامرٍ فأفلَتَ، ثمّ أسلَمَ بعدُ فحَسُنَ إسلامُه، فكان رسولُ الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شَرِيدُ أَبي عامرٍ»[4].

ورَمَى أبا عامرٍ أخَوانِ: العلاءُ وأوفَى ابنا الحارث، من بني جُشَم بن معاوية،

---

(١) النَّعف: أسفل الجبل. والأظرُب: جمع ظَرِبٍ، وهو الجبل الصغير.

(٢) الأنكَب: المائل إلى جهة.

(٣) المهذَّب: الخالص من العيوب، والمهذَّب أيضاً: المُسرِع، من الإهذاب في السير، وهو السُّرعة. وذو لِمّة، أي: صاحب شعرٍ يجاوز شحمة أذنه. والخليل: الصاحب. ولم يعقب: لم يرجع.

(٤) خبر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته. ولم نقف عليه عند غير ابن هشام.

وروى نحو قصة هؤلاء العشرة دون المرفوع إلى النبي ﷺ: الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩١٥-٩١٦ عن سلمة بن الأكوع دون إسناد إليه، وجعل العاشر هو قاتل أبي عامر، ولم يذكر فيه أنهم إخوة. وهذا ضعيف أيضاً.

فأصاب أحدُهما قلبَه والآخرُ رُكبتَه، فقتلاه، ووَلِيَ الناسَ أبو موسى الأشعريُّ، فحَمَلَ عليهما فقتلهما[1].

فقال رجلٌ من بني جُشَم بن معاوية يَرثِيهما:

(١) قد روى خبر أبي عامر وأبي موسى الأشعريَّين هذا أبو موسى نفسه فيما أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨) ـ واللفظ له ـ قال: لمّا فرغ النبيُّ ﷺ من حنينٍ بَعَثَ أبا عامرٍ على جيش إلى أوطاس، فلقي دريدَ بن الصِّمّة، فقُتِل دريدٌ وهزم الله أصحابه.

قال أبو موسى: وبَعَثَني مع أبي عامر، فرُمِيَ أبو عامر في ركبته، رماه رجل من بني جُشَم بسهم، فأثبَتَه في ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عمِّ، مَن رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى فقال: إنّ ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني، قال أبو موسى: فقَصَدتُ له فاعتمدتُه فلحقته، فلمّا رآني ولّى عنّي ذاهباً، فاتبعته وجعلتُ أقول له: ألا تستحيي، ألستَ عربيّاً، ألا تَثبُت! فكَفَّ، فالتقيتُ أنا وهو فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربتُه بالسيف فقتلته.

ثم رجعتُ إلى أبي عامر فقلت: إن الله قد قتل صاحبك.

قال: فانزِعْ هذا السهم، فنزعتُه فنزَا منه الماءُ، فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرِئْه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفِرْ لي، قال: واستعملني أبو عامرٍ على الناس، ومَكَثَ يسيراً ثم إنه مات.

فلما رجعتُ إلى النبي ﷺ دخلت عليه، وهو في بيت (يعني خِباءً كالخيمة) على سرير مُرمَل (أي: منسوج من سَعَف النخيل) وعليه فراش، وقد أثّر رمالُ السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال: قل له: يستغفرْ لي، فدعا رسول الله ﷺ بماءٍ فتوضأ منه، ثم رفع يديه ثم قال: «اللهمّ اغفِرْ لعُبيدٍ أبي عامر» حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهمّ اجعله يوم القيامة فوقَ كثيرٍ من خلقك ـ أو من الناس ـ» فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفِرْ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ اغفِرْ لعبدِ الله بن قيسٍ ذنبَه، وأدخله يوم القيامة مُدخَلاً كريماً».

وفي رواية عند أحمد (١٩٥٦٧) بإسنادٍ ضعيفٍ: أن الذي قتل أبا عامر الأشعري هو ابنُ دريد ابن الصِّمّة. وسمّاه ابن إسحاق فيما تقدّم قريباً سلمة بن دريد، وهو من بني جُشم من هوازن.

إنَّ الرَّزِيّــةَ قتــلُ العَــلاءِ وأَوفَى جميعـاً ولـم يُسنَدا[1]

همـا القـاتلانِ أبـا عـامرٍ وقـد كـان ذا هَبّـةٍ أَربَـدا[2]

همـا تَرَكـاهُ لَـدَى مَعـرَكٍ كـأنّ على عِطْفِه مُجسَـدا[3]

فلـم تَـرَ في النـاسِ مِثلَيهمـا أقـلَّ عِثـاراً وأَرمَـى يـدا

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ أصحابنا: أنّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ يومَئذٍ بامرأةٍ قد قتلها خالدُ بن الوليد، والناسُ مُتقصِّفون[4] عليها، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: امرأةٌ قتلها خالدُ بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعضِ مَن معه: «أَدرِكْ خالداً فقُلْ له: إنَّ رسولَ الله يَنهاكَ أن تَقتُلَ وَلِيداً أو امرأةً أو عَسِيفاً»[5].

(١) لم يُسنَدا، أي: لم يُدفَنا.

(٢) وقد كان، أي: أبو عامر، ذا هبّة: يعني إذا ثار وهاج للقتال، أربداً، أي: أسداً، وذلك لشدّة بأسه.

(٣) المَعرَك: موضع الحرب. والعِطْف: جانب الإنسان من عند رأسه إلى وَرِكه. والمُجسَد: الثوب المصبوغ بالجِسَاد، وهو الزعفران، والمراد أن دمه صَبَغَ ثوبه بمثل لون الزعفران.

(٤) متقصِّفون أو مُنقصِفون، أي: مزدحمون.

(٥) حديث صحيح، وإسناد ابن إسحاق ضعيف لإعضاله وإبهام رواته، لكن روي من غير طريقه موصولاً.

فقد أخرجه بنحوه أحمد (١٥٩٩٢)، وأبو داود (٢٦٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٧١) و(٨٥٧٢)، وابن حبان (٤٧٨٩)، والحاكم (٢٥٩٧) من حديث رباح بن الربيع التميمي: أنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، وعلى مقدَّمته خالد بن الوليد، فمرّ رباحٌ وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة ممّا أصابت المقدَّمة، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجّبون من خلقها، حتى لَحِقَهم رسولُ الله ﷺ على راحلته، فانفرجوا عنها، فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال: «ما كانت هذه لتقاتل!» فقال لأحدهم: «الحَقْ خالداً فقل له: لا تقتلوا ذُرِّيّةً ولا عسيفاً».

وهو حديث صحيح. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعضُ بني سعد بن بكرٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَئذٍ: «إنْ قَدَرتُم على بِجَادٍ - رجلٍ من بني سعدِ بن بكرٍ - فلا يُفلِتَنَّكُم»، وكان قد أحدَثَ حَدَثاً[1]، فلمّا ظَفِرَ به المسلمون ساقُوه وأهلَه وساقُوا معه الشَّيماءَ بنتَ الحارث بن عبد العُزّى، أُختَ رسول الله ﷺ من الرَّضَاعة، فعَنُفُوا عليها في السِّياقِ، فقالت للمسلمين: تَعَلَّموا واللهِ إنّي لَأُختُ صاحبِكم من الرَّضَاعة، فلم يُصدِّقوها حتّى أتَوْا بها إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يزيدُ بن عُبيدٍ السَّعْديّ قال: فلمّا انتُهِيَ بها إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسولَ الله، إنّي أُختُك، قال: «وما عَلَامةُ ذلكِ؟» قالت: عَضّةٌ عَضَضتَنِيها في ظهري وأنا مُتورِّكَتُك[2]، قال: فعَرَفَ رسولُ الله ﷺ العلامةَ، فبَسَطَ لها رِداءَه فأجلَسَها عليه، وخَيَّرَها وقال: «إن أَحبَبتِ فعِنْدي مُحَبَّةً مُكْرَمةً، وإن أحبَبتِ أن أُمتِّعَكِ[3] وتَرجِعي إلى قَومِك، فَعَلتُ»، قالت: بل تُمتِّعُني وتَرُدُّني إلى

= وأخرجه مختصراً البخاري (٣٠١٤) و(٣٠١٥) ومسلم (١٧٤٤) من حديث عبد الله بن عمر قال: وُجِدَت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصِّبيان.

الوليد: الصبي الصغير. والعسيف: الأجير والعبد، هذا إذا لم يقاتلا.

(١) أي: أمراً شنيعاً منكراً.

وهذا الخبر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

ورواه كذلك عن ابن إسحاق سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٨٠.

وذكره الواقدي أيضاً في «مغازيه» ٣/ ٩١٣ بلا إسناد، وزاد فيه: وكان قد أتاه رجلٌ مسلمٌ، فأخذه بِجادٌ فقطَّعه عضواً عضواً ثم حرّقه بالنار، فكان قد عرف جُرمَه فهرب، فأخذته الخيل.

(٢) أي: حاملتُك على وَرِكي.

(٣) أي: أعطيك ما يكون به الإمتاع، أي: الانتفاع.

قومي. فمَتَّعَها رسولُ الله ﷺ ورَدَّها إلى قومها[1].

فزَعَمَت بنو سعدٍ: أنه أعطاها غلاماً له يقال له: مكحولٌ، وجاريةً، فزَوَّجَت أحدَهما الأُخرى، فلم يَزَلْ فيهم من نَسلِهما بقيّةٌ.

قال ابن هشام: وأنزَلَ الله في يومِ حُنَين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥-٢٦].

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ مَن استُشهِدَ يومَ حُنينٍ من المسلمين:

من قُريشٍ ثمّ من بني هاشمٍ: أيمنُ بن عُبيدٍ.

---

(١) إسناده ضعيف لإعضاله، يزيد بن عبيد السعدي أبو وَجْزة المدني الشاعر، من طبقة صغار التابعين، روى عنه جمعٌ ووثّقه ابن سعد وابن معين، وقال أبو حاتم الرازي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في «الثقات».

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٤٠٦)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٤٨١ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وذكره الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ٣/ ٩١٣-٩١٤ بلا إسنادٍ، وزاد فيه: أن النسوة كلّمنها في بِجادٍ، فرجعت إليه ﷺ فكلَّمته أن يَهَبَه لها ويعفوَ عنه، ففعل.

وأخرج البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٩٩-٢٠٠ بإسناد ضعيفٍ عن قتادة مرسلاً قال: لما كان يوم فتح هوازن جاءت جاريةٌ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا أختك، أنا شيماء بنت الحارث، فقال لها: «إن تكوني صادقة فإن بك مني أثراً لن يبلى»، قال: فكشفت عن عَضُدها ثم قالت: نعم يا رسول الله، حملتُك وأنت صغير فعضضتَني هذه العضة، فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه، ثم قال: «سَلِي تُعطَي، واشفَعِي تُشفَّعي».

وقد روي في أخبار ضعيفة في مجملها: أن أمّه من الرضاعة جاءته في حنين، أشار إليها ابن كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ١١١ و١١٢، وقد قال في أحدها: هذا حديث غريب، ولعلّه يريد أخته، وقد كانت تَحضُنه مع أمّها حليمة السعديّة.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى: يزيدُ بن زَمْعة بن الأسوَد بن المُطَّلِب بن أَسدٍ، جَمَحَ به فرسٌ له يقال له: الجَناحُ، فقُتِل.

ومن الأنصار: سُرَاقةُ بن الحارث بن عَدِيٍّ من بني العَجْلان.

ومن الأشعَرِيِّينَ: أبو عامرٍ الأشعريّ.

ثمّ جُمِعَت إلى رسول الله ﷺ سَبَايا حُنينٍ وأموالُها، وكان على المغانمِ مسعودُ ابن عمرٍو الغِفاريُّ، وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالسَّبايا والأموال إلى الجِعْرانة[1] فحُبِسَت بها.

وقال بُجَيرُ بن زهير بن أبي سُلْمى في يوم حُنَين:

لـولا الإلٰـهُ وعبـدُه وَلَّيـتمُ ... حين استَخفَّ الرُّعبُ كلَّ جبانِ[2]

بـالجِزْعِ يـومَ حَبَـا لنـا أقرانُنـا ... وسَـوابحٌ يَكْبُـون للأذقـانِ[3]

مـن بـينِ سـاعٍ ثوبُـه في كَفِّـهِ ... ومُقطَّـرٍ بسَـنابكٍ ولَبَـانِ[4]

واللهُ أكرَمَنـا وأظهَـرَ دينَنـا ... وأعَزَّنـا بعِبـادةِ الـرَّحمٰنِ

واللهُ أهلَكَهـم وفَـرَّقَ جَمعَهـمْ ... وأذَلَّهـم بعِبـادةِ الشّـيطانِ

(١) ويقال: الجِعِرّانة، روايتان مشهورتان. وهو موضع فيه ماء عَذْب يقع شمال شرقيّ مكة على قرابة ٢٠ كم.

(٢) من الجُبْن، وفي نسخة الخشنيّ التي شرح عليها في «إملائه» ص٣٩٢: كل جَنَان، بالنون، قال: والجَنَان: القلب.

(٣) الجِزع: ما انعطف من الوادي. وحَبَا، أي: اعتَرَض. والسوابح: الخيل كأنها تَسبَح في جريها، أي: تَعُوم. ويَكبُون، أي: يَسقُطن.

(٤) مقطَّر: مرميّ على قُطْره، وهو جنبُه. والسنابك: جمع سَنبَكٍ، وهو طرف مقدَّم الحافر. واللَّبَان: الصّدر.

قال ابن هشام: ويروي فيها بعضُ الرُّواة:

إذ قـامَ عَـمُّ نبـيِّكم ووَليُّـهُ   يَـدعُون: يـا لَكَتيبـةِ الإيمـانِ

أيـن الـذين هـمُ أجـابوا ربَّهـمْ   يـومَ العُـرَيضِ وبَيعـةِ الرِّضْـوانِ[1]

قال ابن إسحاق: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ في يوم حُنَين[2]:

إنّـي[3] والسّـوابحُ يـومَ جَمْـعٍ   ومـا يَتلُـو الرّسـولُ مـن الكتـابِ

لقـد أحببـتُ مـا لَقِيَـت ثَقيـفٌ   بجَنْبِ الشِّعبِ أَمسِ من العـذابِ

هـمُ رأسُ العـدوِّ مـنَ أهـلِ نَجـدٍ   فقـتلُهمُ ألَـذُّ مـنَ الشّـرابِ

هَزَمْنـا الجَمْـعَ جَمـعَ بني قَسِـيٍّ   وحَكَّـتْ بَرْكَهـا ببنـي رِئـابِ[4]

وصِـرْماً مـن هِـلالٍ غـادَرَتْهم   بأَوطـاسٍ تُعفَّـرُ بـالتّرابِ[5]

---

(١) العُرَيض: وادٍ شرق المدينة في طرف حرّة واقمٍ، وهو الآن حيٌّ معروف من أحياء شرقيّ المدينة المنوَّرة.

ويوم العُريض: كأنه يشير إلى ما سُمّي بغزوة السَّويق التي كانت بسبب قتل أبي سفيان وأصحابه لاثنين من المسلمين فيه كما تقدم ٣/ ٧.

(٢) انظر «ديوانه» جمع وتحقيق يحيى الجبوري ص٤٧.

(٣) في (ش١) و(غ): وإني، بواو، وبها يصح الوزن، وبإسقاطها كما في بقيّة النسخ يكون في البيت ما يسمَّى خَرْماً.

وقوله: والسوابح، أراد بها الخيل، وأراد بيوم جمعٍ: يوماً تجتمع فيه الفرسان بخيولهم، وجملة «والسوابح يوم جمع» جملة حاليّة، وما بعدها قسمٌ، وذهب أبو ذرّ الخشني في «إملائه» إلى أن المراد بجمعٍ المزدلفةَ المشعرَ الحرام، وهذا بعيدٌ، إذ لا تعلُّقَ للمزدلفة بموقعة حنين وما جرى فيها لثقيف وهوازن.

(٤) البَرْك: الصَّدْر، ويريد بحكّ الحرب بركَها: شدّة وطأتها.

(٥) الصِّرم: الجماعات المنقطعة. وتُعفَّر بالتراب، أي: تُلصَق وتُمرَّغ به.

وَلَوْ لاقَيْنَ جمعَ بني كِلابٍ ... لَقامَ نِساؤُهم والنَّقعُ كابي[1]

رَكَضْنا الخيلَ فيهمْ بينَ بُسٍّ ... إلى الأورادِ[2] تَنحِطُ بالنِّهابِ

بذِي لَجَبٍ رسولُ الله فيهمْ ... كَتيبتُه تَعَرَّضُ للضِّرابِ[3]

قال ابن هشام: قوله: تُعفَّرُ بالتّراب، عن غير ابن إسحاق.

فأجابه عطيّةُ بن عُفَيفٍ[4] النَّصْريّ ـ فيما حدَّثنا ابن هشامٍ ـ فقال:

أفاخِرةٌ رِفاعةُ في حُنَينٍ ... وعبّاسُ ابنُ راضِعةِ اللِّجابِ[5]

فإنّكَ والفَخارَ كذاتِ مِرْطٍ ... لرَبّتِها وتَرفُلُ في الإهابِ[6]

---

(١) النقع: الغبار. وكابي، أي: مرتفع لا يستقر.

(٢) هكذا في النسخ الخطية، بالدال، وهكذا ذكره في هذا البيت ابنُ سِيدَه في كتابه «المحكم» ٨/ ٤٢٨، وصاحبا «لسان العرب» و«تاج العروس»، وقد تحرّف على البكري الأندلسي في «معجم ما استعجم» ١/ ٢١١ فذكره باللام: الأورال، وتابعه على هذا التحريف عاتقٌ البِلاديّ رحمه الله في «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص٤٣ وغيره من كتبه مغترّاً بما وقع في طبعات «السيرة» محرَّفاً كطبعتي وستنفيلد الألمانية والطبعة التي حققها السقا وصاحباه، ومهما يكن من أمرٍ فإن هذا الموضع لا يُعرَف اليوم.

وبُسٌّ: حَرّة شمال الطائف على قرابة ٥٠ كم، قاله البلاديُّ. وتَنحِطُ: تُخرِج أنفاسها عالية. والنِّهاب: جمع نَهْب، وهو ما يُنتهَب ويُغنَم.

(٣) اللَّجَب: الصوت والجَلَبة، وأراد بذي اللَّجَب: الجيش الجرّار كثير الأصوات.

(٤) قُيّد في نسخنا الخطية بفتح العين وبضمّها مع تخفيف الياء، وبضمّ العين مع تشديد الياء، وقيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٧١٢ بالضم مخفَّفاً، وتبعه ابن ماكولا في «الإكمال» ٦/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٥) اللِّجاب: جمع لَجْبة، وهي النَّعجة القليلة اللبن. يصف عباساً باللؤم، فالعرب تصف اللئيم بالراضع.

(٦) الفَخَار: المفاخرة. والمِرط: كساء غير مَخِيط من خزّ أو صوف أو كتّان. وربّتها، أي: =

قال ابن إسحاق: قال عطيّةُ بن عُفَيفٍ هذينِ البيتينِ لمّا أكثرَ عبّاسٌ على هوازِنَ في يوم حُنينٍ، ورِفاعةُ من جُهَينة.

قال ابن إسحاق: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[1]:

يـا خـاتمَ النُّبَـآءِ إنّـكَ مُرسَـلٌ ... بالحقِّ، كلُّ هُدَى السّبيلِ هُداكا

إنَّ الإلٰـهَ بَنَـى عليـك مَحبّـةً ... في خَلقِـه ومحمّـداً سَـمّاكا

ثُـمّ الـذين وَفَـوْا بمـا عاهَـدتَهم ... جُنـدٌ بَعَثـتَ علـيهمِ الضَّـحّاكا

رجـلاً بـه ذَرَبُ السـلاحِ كأنّـه ... لمّـا تَكنَّفَـه العـدوُّ يَراكـا[2]

يَغشَى ذَوِي النّسبِ القريبِ وإنّما ... يَبغِـي رِضـا الـرَّحمنِ ثـمّ رِضـاكا

أُنبيـكَ أنّـي قـد رأيـتُ مَكَـرَّهُ ... تحـت العَجَاجـةِ يَـدمَغُ الإشـراكا[3]

طَـوْراً يُعـانِقُ باليـدَينِ وتـارةً ... يَفْـري الجمـاجمَ صـارماً بَتّاكـا[4]

يَغشَـى بـه هـامَ الكُمـاةِ ولـو تَـرَى ... منـه الـذي عايَنـتُ كـان شَـفَاكا[5]

= سيّدتها. وتَرفُل، أي: تمشي متبخترة. والإهاب: الجِلد.

يريد: أن الفعل والفخار في حنينٍ ليس إلى جهينة الذين سمّاهم برفاعة، وهم بطنٌ منهم، ولا لسُليم، وهم في هذا الفَخار كجارية تفتخر بثوب سيّدتها وهي تلبس الدُّون من الثياب.

(١) انظر «ديوانه» ص١٢٢.

(٢) ذرب السلاح: حِدّته ومَضاؤه، ومنه يقال: فلان ذَرِبُ اللسان، إذا كان حادَّ اللسان. وتكنَّفه العدوّ، أي: أحاطوا به.

(٣) العجاجة: الغبار المنتشر. ويدمغ: يقهر ويُذلّ؛ وهو من الضَّرب على الدماغ.

(٤) يعانق باليدين، أي: يقاتل ويصارع الأعداء بيديه. ويفري، أي: يقطع. والصارم: السيف الحادّ القاطع. والبتّاك: القاطع.

(٥) هذا البيت من (غ) ونسخة على حاشية (ش٢)، وكان في (ق٢) ثم رُمِّج. وقد جاء في (غ) بعد البيت التالي ومكانه هنا أليَق. =

وبنـو سُـلَيمٍ مُعنِقـون أمامَـهُ ضـرباً وطعنـاً في العـدوِّ دِراكـا[(١)]

يَمشُـون تحـت لوائِـه وكـأنّهم أُسـدُ العَـرينِ أرَدْنَ ثَـمَّ عِراكـا[(٢)]

مـا يَرتَجُـون مـن القريـبِ قَرابـةً إلّا لطاعـةِ ربِّهـم وهَوَاكـا

هـذي مَشاهِدُنا التـي كانـت لنـا معروفـةً ووَلِيُّنـا مَوْلاكـا

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[(٣)]:

إمّـا تَـرَيْ يـا أمَّ فَـرْوةَ خيلَنـا منهـا مُعطَّلـةٌ تُقـادُ وظُلَّـعُ[(٤)]

أَوهَـى مُقارَعـةُ الأعـادي دَمَّهـا فيهـا نوافِـذُ مـن جِـراحٍ تَنبَـعُ[(٥)]

فلَـرُبَّ قائلـةٍ كَفَاهـا وَقْعُنـا أَزْمَ الحُـروبِ فسِـربُها لا يُفـزَعُ[(٦)]

لا وفـدَ كالوفـدِ الأُلَـى عَقَـدوا لنـا سـبباً بحَبـلِ محمّـدٍ لا يُقطَـعُ

وفـدٌ أبـو قَطَـنٍ حُزَابـةُ مـنهمُ وأبـو الغُيـوثِ وواسـعٌ والمُقنَـعُ

والقائـدُ المئـةَ التـي وَفَّـى بهـا تِسـعَ المِئـينَ فـتَمَّ ألـفٌ أقـرَعُ[(٧)]

= والهام: الرؤوس، واحدها: هامَة. والكُمَاة: جمع كَمِيّ، وهو الشجاع.

(١) مُعنِقون: مسرعون، يقال: أعنق يُعنِق، إذا أسرع. ودِراك، أي: متتابع.

(٢) العرين: موضع الأسد. والعِراك: المدافعة في الحرب.

(٣) انظر «ديوانه» ص٩٨.

(٤) معطَّلة، أي: لا راكب عليها. وظُلَّع: جمع ظالع، وهي الدابة التي تميل في مشيها كأنها تعرج لثقل حملها.

(٥) أوهى: أضعف. ودمّها: يريد شحمها، والمدموم: الممتلئُ شحماً. ونوافذ من جراح، أي: جراح نافذة. وتنبع: تسيل بالدم.

(٦) أَزْم الحروب: شدّتها. وسِربها، أي: نَفْسها، وقيل: أهلها.

(٧) ألفٌ أقرع، أي: تامّ لا ينقص منه شيء.

جَمَعَت بنو عَوفٍ ورَهْطُ مُخاشِنٍ ... ستّاً وأحلَبَ من خُفافٍ أربعُ[1]

فهُناكَ إذ نُصِرَ النبيُّ بألفِنا ... عَقَدَ النبيُّ لنا لواءً يَلمَعُ

فُزْنا برايتِه وأورَثَ عَقْدُه ... مجدَ الحياةِ وسُودَداً لا يُنزَعُ[2]

وغَداةَ نحنُ مع النبيِّ جَناحُه ... ببِطاحِ مكّةَ والقَنَا يَتَهزَّعُ[3]

كانت إجابَتُنا لداعي ربِّنا ... بالحقِّ منّا حاسرٌ ومُقنَّعُ[4]

في كلِّ سابغةٍ تَخيَّرَ سَرْدَها ... داودُ إذ نَسَجَ الحديدَ وتُبَّعُ[5]

ولنا على بئرَي حُنينٍ موكبٌ ... دَمَغَ النّفاقَ وهَضْبةٌ ما تُقلَعُ[6]

نُصِرَ النبيُّ بنا وكنّا مَعشَراً ... في كلِّ نائبةٍ نَضُرُّ ونَنفَعُ

ذُدْنا غَداتَئِذٍ هوازنَ بالقَنا ... والخيلُ يَغمُرُها عَجاجٌ يَسطَعُ[7]

إذ خافَ حَدَّهمُ النبيُّ وأَسنَدوا ... جمعاً تَكادُ الشّمسُ منه تَخشَعُ[8]

---

(١) أحلَبَ، أي: اجتمع للنصر والإعانة. وبنو خُفاف: بطن من سُلَيم.

(٢) السُّودد: الشرف والسيادة.

(٣) البِطاح: الأراضي المنبسطة. والقنا: الرماح. ويتهزّع، معناه: يضطرب ويتحرك، وروي بالراء، ومعناه: يسرع إلى الطعن، من قولك: أهرعتُ، إذا أسرعت.

(٤) الحاسر: الذي لا درع عليه، والمقنَّع: الذي على رأسه مِغفَر.

(٥) السابغة: الدرع الكاملة، وسردُها: نَسْجها. وتُبَّع: ملك من ملوك اليمن.

(٦) دمغ النفاق: أصابه في دماغه. والهضبة: الرابية، يصف جيشه بالثبات والقوة فلا يزحزح عن مكانه.

(٧) ذُدْنا، أي: دفعنا. والعَجَاج: الغبار. ويسطع: يعلو ويتفرق.

(٨) حدّهم، أي: شدّتهم وقوّتهم، وقوله: خافَ، كأنه يريد تخوّف، يعني أن النبي ﷺ تخوَّف على أصحابه من كثرة هوازن يومئذٍ وشدّتهم. وأسندوا وتساندوا: إذا جاؤوا تحت رايات شتى ولم يكونوا تحت راية أمير واحد، وذلك لكثرتهم. وتخشع، أي: يَنقُص ضياؤها.

تُدعَى بنو جُشَمٍ وتُدعَى وَسْطَه   أَفناءُ نَصْرٍ والأَسِنّةُ شُرَّعُ[1]

حتّى إذا قال الرسولُ محمّدٌ   أَبَنِي سُلَيمٍ قد وَفَيتُمْ فارفَعُوا[2]

رُحْنا ولولا نحنُ أَجحَفَ بَأسُهمْ   بالمؤمنينَ وأَحرَزُوا ما جَمَّعوا[3]

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً في يوم حُنينٍ[4]:

عَفَا مِجدَلٌ من أهلِه فمُتالِعُ   فمِطْلى أَرِيكٍ قد خَلَا فالمَصانِعُ[5]

ديارٌ لنا يا جُمْلُ إذ جُلُّ عَيشِنا   رَخِيٌّ وصَرْفُ الدّارِ للحيِّ جامعُ[6]

حُبيِّبةٌ أَلْوَتْ بها غُرْبةُ النَّوَى   لبَيْنٍ فهَلْ ماضٍ من العيشِ راجعُ[7]

فإن تَبتَغي الكُفّارَ غيرَ مَلُومةٍ   فإنّي وزيرٌ للنبيِّ وتابعُ

دعانا إليهم خيرُ وفدٍ عَلِمتُهمْ   خُزَيمةُ والمَرّارُ منهمْ وواسِعُ

فجِئْنا بألفٍ من سُلَيمٍ عليهمُ   لَبُوسٌ لهم من نَسجِ داودَ رائعُ[8]

---

(١) الأفناء: جماعة مجتمعة من قبائل شتى. وشُرَّع: مائلة بارزة للطعن.

(٢) ارفعوا، أي: ارفعوا أيديكم عن القتل، ويروى: فاربَعُوا، ومعناه: كُفُّوا وتمهَّلوا.

(٣) أجحف: نقص وأضرَّ. وأحرزوا ما جمّعوا، أي: أخذوا ما جمعوه منهم من الغنائم.

(٤) انظر «ديوانه» ص١٠٧.

(٥) عفا، أي: دَرَس وتغيّر. ومجدل ومتالع وأريك: هذه مواضع في منطقة القصيم من نجد شرق المدينة المنوّرة، انظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص٢٧٩-٢٨٠. والمِطلى (يُقصَر ويُمَدّ): أرض سهلة ليّنة يستقر فيها الماء.

(٦) جُمْل: اسم امرأة. وجُلّ العيش: أكثره. وعيش رخيّ: ناعم. وصرف الدار: الخَطْب النازل بها.

(٧) أَلوَت بها: غيّرَتها. والنَّوى: البُعد. والبَيْن: الفِراق.

(٨) لبوس من نسج داود: يعني الدروع، وداود: المراد به النبيُّ داود عليه السلام. ورائع: مُعجِب.

نُبايِعُـــه بالأخشَــبَينِ وإنّمـــا   يــدُ الله بــين الأخشَــبَينِ نُبــايِعُ[1]

فجُسْـنا مـع المَهـديِّ مكّـةَ عَنْـوةً   بأسـيافِنا والنَّقـعُ كـابٍ وسـاطِعُ[2]

علانيَـةً والخيــلُ يَغشَـى مُتونَهـا   حَميمٌ وآنٍ مـن دمِ الجَـوفِ نـاقِعُ[3]

ويـومَ حُنَـينٍ حـين سـارَتْ هـوازنٌ   إلينـا وضـاقَت بـالنّفوسِ الأضـالِعُ

صَـبَرْنا مـعَ الضَّـحّاكِ لا يَسـتفِزُّنا   قِـراعُ الأعـادي مـنهمُ والوقـائعُ[4]

أمـــامَ رســـولِ الله يَخفِـــقُ فوقَنـــا   لـواءٌ كخُـذْروفِ السّـحابةِ لامـعُ[5]

عَشـيّةَ ضَـحّاكُ بـن سـفيانَ مُعتَصٍ   بسـيفِ رسـولِ الله والمـوتُ كـانعُ[6]

نَـذُودُ أخانـا عـن أخينـا ولـو نَـرَى   مَصَـــالاً لكُنّـــا الأقـــربِينَ نُتـــابعُ[7]

ولكـــنَّ ديـــنَ الله ديـــنُ محمّـــدٍ   رَضِـينا بـه فيـه الهُـدَى والشّـرائعُ

(١) الأخشبان: جبلا مكة.

(٢) جُسْنا: وَطِئنا. والمَهدي: يعني به النبيّ ﷺ. وعَنوة: قهراً. والنَّقع: هو الغبار. وكابي: مرتفع. وساطع: متفرّق.

(٣) متونها: ظُهورها. والحميم هنا: العرق الساخن. وآنٍ: حارّ. وناقع: طريٌّ أو كثير.

(٤) لا يستفزُّنا: لا يستخفّنا.

(٥) خُذروف السحابة: طرفها، وأراد به هنا سرعة تحرّك هذا اللواء واضطرابه.

(٦) معتصٍ: ضارب، يقال: اعتَصَوا بالسيوف، إذا ضاربوا بها. والموت كانعٌ، أي: قريبٌ دانٍ، يقال: كَنَعَ منه الموتُ، إذا دنا.

(٧) نَذُود: ندفع. وأخانا: يريد أنه من بني سُلَيم، وسُلَيم من قيس عَيلان، كما أن هوازن من قيسٍ أيضاً، فكلاهما (أي: سُليم وهوازن) ابن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس، فهم بالنسب بحكم الإخوة، ومعنى البيت: نقاتل إخوتنا هوازن ونذودهم عن إخوتنا من المسلمين. ولو نرى مَصالاً، أي: لو كان الأمر من أجل الاستطالة والسطوة على الناس وليس من أجل الدين، لكُنّا مع الأقربين هوازن.

أقـامَ بـه بعـدَ الضّـلالةِ أمرَنـا ... ولـيس لأمـرٍ حَمَّـهُ اللهُ دافـعُ[1]

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً في يوم حُنينٍ[2]:

تَقطَّـعَ بـاقي وَصْـلِ أمِّ مُؤمَّـلٍ ... بعاقبـةٍ واسـتَبدَلَت نِيّـةً خُلْفـا[3]

وقـد حَلَفَـت بـالله لا تَقطَـعُ القُـوَى ... فمـا صَـدَقَت فيـه ولا بَـرَّتِ الحَلْفـا[4]

خُفَافيّـةٌ بَطـنُ العَقيـقِ مَصِـيفُها ... وتحتـلُّ في البـادِينَ وَجْـرةَ فالعُرْفـا[5]

فـإن تَتبَـعِ الكفّـارَ أمُّ مُؤمَّـلٍ ... فقـد زَوَّدَت قلبـي علـى نَأيِهـا شَـغْفا[6]

وسـوفَ يُنبّيهـا الخبيـرُ بأنّنـا ... أَبَينـا ولـم نَطلُـبْ سـوى رَبِّنـا حِلْفـا[7]

---

(١) حمّه الله، أي: قدَّره الله.

(٢) انظر «ديوانه» ص١١٤.

(٣) النية: هي ما يُضمره الإنسان في نفسه ويقصده، والخُلْف: هو إخلاف الوعد، ذكر ذلك الخشنيُّ في «إملائه» ص٣٩٧.

وأما السهيليُّ فذهب في «الروض» ٧/ ٢٢٣ إلى أن النيةَ من النَّوى وهو البُعد، وأن خُلفاً يجوز أن يكون مفعولاً من أجله، أي: فَعَلَت ذلك من أجل الخُلف، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً للاستبدال، لأن استبدالها به خُلْفٌ منها لما وعدته به.

(٤) القوى: الأصل فيها قُوى الحبل، وهي الخَصْلات التي تُفتَل فيتشكّل منها الحبل، وأراد بها هنا: أسباب المودّة. والحَلف: اليمين.

(٥) خُفافية: نسبة إلى بني خُفَاف، وهم حيّ من سُلَيم.

والعقيق: المراد به عقيق عُشيرة، وهو وادٍ شمال الطائف كثير الآبار، وكان من ديار بني سُليم، قاله البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢١٤، وذكر أن وَجْرةَ صحراءُ على الضفة الشرقية لوادي العقيق هذا، وأن العُرف موضع شرق بلدة عشيرة من نواحي العقيق.

والبادُون: أهل البادية الرُّحَّل.

(٦) النّأي: البُعد. والشَّغف: أن يبلغ الحبُّ شَغَافَ القلب، وهو حِجابه.

(٧) الحِلف: المُحالَفة، وهي المعاهدة على التعاضد والاتفاق.

وأنّـا مـع الهـادي النبـيِّ محمّـدٍ وَفَيْنـا ولـم يَسـتَوفِها مَعشَـرٌ أَلْفـا[1]

بِفِتْيـانِ صِـدقٍ مـن سُـلَيمٍ أَعِـزّةٍ أطاعوا فما يَعصُون من أمرِه حَرْفا

خُفـافٌ وذَكـوانٌ وعَـوفٌ تَخـالُهم مَصـاعبَ زافَـتْ في طَرُوقَتِهـا كُلْفـا[2]

كأنّ النَّسيجَ الشُّهْبَ والبِيضَ مُلبَسٌ أُسـوداً تَلاقَـت في مَراصِـدِها غُضْـفا[3]

بنـا عَـزَّ ديـنُ الله غيـرَ تَنحُّـلٍ وزِدْنـا على الحيِّ الـذي معَـه ضِـعْفا[4]

بمكّـةَ إذ جِئنـا كـأنّ لواءَنـا عُقـابٌ أرادت بعـدَ تَحليقِهـا خَطْفـا[5]

على شُخَّصِ الأبصـارِ تَحسِـبُ بينَهـا إذا هـيَ جالَـتْ في مَراوِدِهـا عَزْفـا[6]

غَـداةَ وَطِئْنـا المشـركينَ ولـم نَجِـدْ لأمـرِ رسـولِ الله عَـدْلاً ولا صَـرْفا[7]

---

(١) أي: وَفَينا في العدد ألفاً ولم يستوف هذه العدّةَ غيرنا من القبائل.

(٢) خفاف وذكوان وعوف: هم بطون من بني سُليم. وتخالهم: تظنّهم. ومَصاعِب: جمع مُصعَب، وهو الفَحْل من الإبل. وزافت: مَشَت. والطَّروقة: النُّوق التي يطرقها الفحلُ، أي: يَنزُو عليها. والكُلْف: سُود الوجوه، الواحد: أكلَف.

(٣) النَّسيج: الدروع. والشُّهب: جمع شهباء، وهي التي يخالط بياضها حُمْرة. ومراصدها: حيث يَرصُد ويَرقُب بعضُها بعضاً. وغُضْف: مسترخية الآذان.

يصف قومه بني سليم وقد لبسوا دروع الحديد مع ما معهم من أداة السلاح بأنهم أسود تترقّب وتترصّد.

(٤) غير تنحُّل: غير كذب.

(٥) العُقاب: طير معروف من الجوارح.

(٦) شُخّص: جمع شاخص، وهو الذي يفتح عينه ولا يَطرِف. والمَراوِد: يجوز أن يكون جمع مِروَد، وهو الوَتِد، ويجوز أن يكون جمع مُرَاد، وهو حيث تَرُود الخيل، أي: تذهب وتجيء؛ قاله السهيليُّ. والعَزْف: الصوت والحركة.

(٧) أي: لا بدَّ من طاعة أمره ﷺ، فلا يُعدَل عنه، ولا يُصرَف إلى غير مراده فيُخالَف فيه.

بمُعتَـرَكٍ لا يَسـمَعُ القـومُ وَسْـطَه لنـا زَجْمـةً إلّا التّـذامُرَ والنَّقْفـا[1]

ببِيضٍ تُطِيـرُ الهـامَ عـن مُسـتَقَرِّها ونَقطِـفُ أعنـاقَ الكُمـاةِ بهـا قَطْفـا[2]

فكـائِنْ تَرَكْنـا مـن قَتيـلٍ مُلحَّـبٍ وأرمَلَـةٍ تـدعو علـى بَعلِهـا لَهْفـا[3]

رِضا الله نَنْوي لا رِضا الناسِ نَبتَغي ولله مـا يَبـدُو جميعـاً ومـا يَخفَـى

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[4]:

مـا بـالُ عَينِـكَ فيهـا عـائرٌ سَـهِرُ مِثلُ الحَماطةِ أغضَى فوقَها الشُّفُرُ[5]

عَـينٌ تأوَّبَهـا مـن شَـجْوِها أرَقٌ فالمـاءُ يَغمُرُهـا طَـوْراً ويَنحـدِرُ[6]

كأنّـه نَظْـمُ دُرٍّ عنـدَ ناظمـةٍ تَقطَّـعَ السِّـلْكُ منـه فهْـوَ مُنتثِـرُ[7]

---

(١) المُعتَرك: موضع الحرب. وزجمة، أي: صوت وكلمة. والتذامُر: أن يحرّض بعضهم بعضاً على القتال. والنَّقف هنا: كسر الرؤوس واستخراج ما فيها من الأدمغة.

(٢) البِيض، أي: السيوف. والهامُ: الرؤوس، الواحدة: هامَةٌ. ونقطف: نقطع. والكُماة: هم الشجعان.

(٣) ملحَّب، أي: مقطَّع اللحم. واللَّهف: الحزن والتحسّر.

(٤) انظر «ديوانه» ص٧٢.

(٥) العائر: كلّ ما أعلَّ العين من رمدٍ أو قذى يتنخّس في العين كأنه يُعورها. وسَهِرٌ: من السَّهَر، وهو امتناع النوم، وجعله سَهِراً، وإنما السَّهَرُ للرجل، لأنه لم يَفتُر عنه، فكأنه سَهِرَ ولم ينم. والحَماطة: من ورق الشجرِ ما فيه خشونة وحُروشة.

وأَغضى فوقها: أغمض جفنَه عليها. والشُّفُر، وحُرِّكت الفاء بالضم إتباعاً، وأصله بسكون الفاء: هو أصل مَنبِت الشَّعر في الجَفْن.

(٦) تأوَّبها، أي: جاءها مع الليل. والشَّجْو: الحزن. والأرَق: امتناع النوم. والماء: أراد به الدّمع. ويغمرها: يغطيها.

(٧) الدرّ: اللؤلؤ. والسِّلك: الخيط الذي ينظم فيه. ومنتثر: متفرق.

يــا بُعْــدَ مَنْــزِلِ مَــن تَرجُــو مَوَدّتَــه ومَــن أَتــى دونَــه الصَّــمّانُ فــالحَفَرُ[1]

دَعْ ما تَقَدَّمَ من عهد الشّباب فقدْ وَلَّى الشّبابُ وزارَ الشَّيبُ والزَّعَرُ[2]

واذكُــرْ بَــلاءَ سُــلَيمٍ في مواطنِهــا وفي سُــلَيمٍ لأهــلِ الفخــرِ مُفتخَــرُ

قــومٌ هــمُ نَصَــروا الــرَّحمنَ واتَّبَعــوا دينَ الرّسولِ وأمرُ الناسِ مُشتَجِرُ[3]

لا يَغرِسونَ فَسِيلَ النَّخلِ وَسْطَهمُ ولا تَخــاوَرُ في مَشْــتاهمُ البَقَــرُ[4]

إلّا ســـوابحَ كالعِقْبــانِ مُقرَبــةً في دارَةٍ حولَهــا الأخطــارُ والعَكَــرُ[5]

---

(١) الصّمّان: أرض واسعة شرق الجزيرة العربية، وتمتد من الربع الخالي جنوباً حتى حدود العراق شمالاً، وفيه عدد من القرى والبلدات.

والحفر: وادٍ في الطرف الشمالي من الصمّان، وفيه اليوم مدينة حفر الباطن التي تقع شمال مدينة الرياض على قرابة ٤٥٠ كم.

(٢) الزَّعَر: قلّة الشَّعر.

(٣) مشتجر: مختلِف، من الاشتجار: وهو الاختلاف وتداخل الحُجَج بعضها على بعض.

(٤) فَسِيل النخل: صغاره. وتَخاوَر، أي: تتخاور، فحذف إحدى التائين، من الخُوَار: وهو صوت البقر. ومَشتاهم، أي: مكان إقامتهم في الشتاء؛ يريد أنهم ليسوا أهل زرع وتربية نَعَمٍ، وإنما هم أهل حربٍ وانتقالٍ

(٥) السوابح هنا: الخيل التي كأنها تسبح في جَرْيها. والعِقبان: جمع عُقَاب، وهو طير جارح معروف.

ومُقرَبة، أي: قريبة من البيوت، لركوبها إذا حدث ما يدعو إلى النَّجدة ونحوها، وفي (ت) و(ص): مُقرَنة، أي: مقرونة مربوطة.

والدارَةُ: هكذا في (ص) و(ط) و(غ) و(ق٢) و(م)، ومعناها: الدارُ، وهي منازل القوم حيث يقيمون، ووقع في (ت) و(ش١) و(ش٢) و(ف) و(ي): حارّة، وعلى حاشية (ش٢): حَرَّة؛ يريد حَرّة بني سُليم، والحَرّة: أرض واسعة ذات حجارة سُود.

والأخطار: الجماعات من الإبل. والعَكَر: الإبل الكثيرة.

تُـدعَى خُفـافٌ وعَـوفٌ في جوانبِهـا   وحـيُّ ذَكـوانَ لا مِيـلٌ ولا ضُـجُرُ[1]

الضّـاربون جنـودَ الشِّـركِ ضـاحيةً   بـبطنِ مكّـةَ والأرواحُ تَبتـدِرُ[2]

حتَّـى رَفَعْنـا وقـتلاهمْ كـأنّهمُ   نخـلٌ بظـاهرةِ البَطحـاءِ مُنقعِـرُ[3]

ونحـنُ يـومَ حُنـينٍ كـان مَشـهَدُنا   للـدِّينِ عـزّاً وعنـدَ الله مُـدَّخَرُ

إذ نركـبُ المـوتَ مُخضَـرّاً بطائنُـهُ   والخيـلُ يَنجابُ عنها سـاطعٌ كَدِرُ[4]

تحتَ اللّـواءِ مـع الضَّـحّاكِ يَقدُمُنا   كمـا مَشَـى اللّيـثُ في غاباتِـه الخَدِرُ[5]

في مَأزِقٍ من مَجَرِّ الحـربِ كَلكَلُها   تكـادُ تأفِـلُ منـه الشّـمسُ والقمـرُ[6]

وقـد صَـبَرْنا بأوطـاسٍ أسِـنَّتَنا   لله نَنصُـرُ مَـن شِـئْنا ونَنتصِـرُ

---

(١) خفاف وعوف وذكوان: هم بطون من بني سُليم.

ومِيلٌ: جمع أمْيَل، وهو الذي لا سلاح معه. والضُّجُر: جمع ضَجُور، من الضَّجَر: وهو الضِّيق وسوء الاحتمال.

(٢) ضاحية: منكشفة بارزة. والأرواح، أي: الرِّياح. وتبتدر، أي: تتسارع وتخفق.

(٣) رفعنا، أي: رفعنا أيدينا عن القتل، ووقع في نسخة (غ) وحدها: دَفَعنا، بالدال، وكأنه بمعنى: دفعناهم إلى الخضوع وترك القتال. وظاهرة البطحاء: الظاهر من الأرض، ما غَلُظَ منها، والبطحاء: المنبسطة. ومُنقعِر: مُنقلِع من أصله.

(٤) قوله: مخضرّاً بطائنه، هذا تعبير مجازيّ يريد به سواد الموقف وشدّة الحال، والخُضْرة عند العرب السوادُ كما قال أهل اللغة، والبطائن: جمع بِطانة، وهي باطن الثوب، فشبَّه الموت بمركب تعلوه ثياب دواخلها سُودٌ. وينجاب: ينكشف. وساطع: غبار متفرّق. وكَدِر: متغيّر إلى السواد.

(٥) الخَدِر: الداخل في خِدْره، والخِدْر: البيت، والمراد به هنا غابة الأسد.

(٦) مأزق: مكان ضيِّق في الحرب. والكَلكَل: الصَّدر. وتأفل: تَغِيب. يريد: أنه من شدّة الموقف في الحرب يكاد يظلم كأنه لا شمس فيه ولا قمر.

حتّـى تـأوَّبَ أقـوامٌ مَنـازِلَهم ... لولا المَلِيكُ ولولا نحنُ ما صَدَروا[1]

فما تَرَى مَعشَراً قَلُّوا ولا كَثُروا ... إلّا قـدْ أصـبَحَ منّا فيهِمِ أثَـرُ

وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[2]:

يـا أيُّها الرَّجـلُ الـذي تَهـوِي بـهِ ... وَجْناءُ مُجمَـرَةُ المَناسِـمِ عِـرمِسُ[3]

إمّا أتَيـتَ علـى النبـيِّ فقـلْ لـهُ ... حقّاً عليـكَ إذا اطمَـأنَّ المجلِسُ

يا خيرَ مَن رَكِبَ المَطِيَّ ومَن مَشَى ... فـوقَ التّـرابِ إذا تُعَـدُّ الأنفُـسُ[4]

إنّا وَفَيْنا بالّذي عاهَدْتَنا ... والخيـلُ تُقـدَعُ بالكُماةِ وتُضرَسُ[5]

إذْ سـالَ مـن أفنـاءِ بُهْثَـةَ كلِّهـا ... جَمْـعٌ تَظَـلُّ بـه المَخارمُ تَـرجُسُ[6]

حتَّـى صَـبَحْنا أهـلَ مكّـةَ فَيلَقـاً ... شَـهباءَ يَقـدُمُها الهُمَـامُ الأشـوَسُ[7]

مِـن كـلِّ أغلَـبَ مـن سُلَيمٍ فوقَـهُ ... بَيضـاءُ مُحكَمَـةُ الـدِّخالِ وقَـونَسُ[8]

---

(١) تأوَّب: رجع. وصَدَروا: رجعوا أيضاً.

(٢) انظر «ديوانه» ص٨٧.

(٣) تهوي به: تُسرع. والوجناء: الناقة الضخمة فهي عظيمة الوَجْنتين. ومُجمَرة المناسم: مجتمعة منضمَّة المناسم، وذلك أقوى لها، والمناسم: جمع مَنسِم، وهو طرف خفِّ البعير. وعِرمِس، أي: شديدة، وأصل العِرمِس: الصخرة الصُّلبة، وتُشبّه بها الناقة الجَلْدة الشديدة.

(٤) المَطيّ: جمع مَطِيّة، وهي البعير لأنه يركب مَطَاهُ، أي: ظهره.

(٥) تُقدَع: تُكفّ. والكُماة: الشُّجعان. وتُضرَس، أي: تضرب أضراسها باللُّجُم فتُجرَح.

(٦) أفناء: جماعة مجتمعة من قبائل شتّى. وبُهثة: هم بنو سُليم. والمَخارم: الطرق في الجبال، واحدها: مَخرِم. وتَرجُس: تهتز وتتحرك.

(٧) الفيلق: الكتيبة العظيمة. وشهباء: لها بريق ولمعان من كثرة السلاح. والهُمام: السيّد. والأشوس: الذي ينظر نظر المتكبِّر، ووقع في بعض النسخ: الأشرس بالرّاء.

(٨) الأغلب: هو الشديد الغليظ. ومحكمة الدِّخال: يعني أن نسجَ الدّرع محكمٌ. والقَونَس: =

يُروِي القَناةَ إذا تجاسَرَ في الوَغَى ... وتَخالُه أَسَداً إذا ما يَعبِسُ [1]

يَغشَى الكَتيبةَ مُعلِماً وبكَفِّهِ ... عَضْبٌ يَقُدُّ به ولَدْنٌ مِدعَسُ [2]

وعلى حُنينٍ قد وَفَى من جَمْعِنا ... ألفٌ أُمِدَّ به الرسولُ عَرَندَسُ [3]

كانوا أمامَ المؤمنينَ دَرِيئةً ... والشّمسُ يومَئذٍ عليهم أشمُسُ [4]

نَمضي ويَحرُسُنا الإلٰهُ بحفظِهِ ... واللهُ ليس بضائعٍ مَن يَحرُسُ

ولقد حَبَسْنا بالمَناقبِ مَحبَساً ... رَضِيَ الإلٰهُ به فنِعمَ المَحبَسُ [5]

وغَداةَ أوطاسٍ شَدَدْنا شَدّةً ... كَفَتِ العدوَّ وقيلَ منها: يا احبِسوا [6]

تَدعُو هوازِنُ بالإخاوةِ بيننا ... ثَدْيٌ تَمُدُّ به هوازِنُ أيبَسُ [7]

= حديدة طويلة في أعلى الخُوذَة، وأراد هنا الخوذة نفسها.

(١) القناة: الرمح. والوغى: الحرب.

(٢) عَضْب: سيف قاطع. ولَدْن: ليِّن في الهزّة. ومِدعَس: طعّان.

(٣) وَفَى من جمعنا ألفٌ، أي: كَمُل منّا ألف مقاتل. والعرندس: الشديد القوّة.

(٤) دريئة، أي: مُدافعة. وقوله: والشّمس يومئذ عليهم أشمس، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٢٦-٢٢٧: يريد: لَمَعانُ الشمس في كلّ بيضة من بيضات الحديد والسيوف كأنها شمس، وهو معنى صحيح، وتشبيه مليح.

(٥) المناقب: ذكر ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ٢٠٣ أنه اسم جبل معترض من نواحي الطائف فيه ثلاثة مناقب، والمَنقَب: هي الطريق في الجبل كالعَقَبة.

(٦) يريد: أنه من شدّة بأسنا نحن بني سُليم ذلك اليوم على هوازن، تنادَوا: يا قوم احبسوا وارفعوا عنّا القتل.

(٧) يشير إلى أخوّة النسب بين بني سُلَيم وهوازن، فسُلَيمٌ وهوازنُ كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عَيْلان، فهم بحكم الإخوة، لكن بحكم اختلاف الدِّين فكأن الثدي الذي بينهما (وهو إشارة إلى النسب) جافٌّ منقطع.

حتّـى تَرَكْنـا جَمعَهـمْ وكأنّـه ... عَيْـرٌ تَعاقَبَـه السِّـباعُ مُفـرَّسُ [1]

قال ابن هشام: أنشدَني خَلَفٌ الأحمرُ قوله: وقيلَ منها يا احبِسوا.

قال ابن إسحاق: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً [2]:

نَصَـرْنا رسـولَ الله مـن غَضَـبٍ لـه ... بـألفِ كَمِـيٍّ لا تُعَـدُّ حواسِـرُهْ [3]

حَمَلْنـا لـه في عامـلِ الـرُّمحِ رايـةً ... يَذُودُ بها في حَوْمـةِ الموتِ ناصِـرُهْ [4]

ونحـنُ خَضَـبْناها دمـاً فهْـوَ لونُهـا ... غَـداةَ حُنـينٍ يـومَ صـفوانُ شـاجِرُهْ [5]

وكنّـا علـى الإسـلامِ مَيمَنـةً لـه ... وكـان لنـا عَقْـدُ اللِّـواءِ وشـاهِرُهْ

وكنّـا لـه دونَ الجنـودِ بِطانـةً ... يُشـاوِرُنا في أمـرِه ونُشـاوِرُهْ [6]

دعانـا فسَـمّانا الشِّـعارَ مُقـدَّماً ... وكنّـا لـه عَونـاً علـى مَـن يُنـاكِرُهْ [7]

جَـزَى اللهُ خيـراً مـن نبـيٍّ محمّـداً ... وأيَّـدَه بالنّصـرِ واللهُ ناصِـرُهْ

---

(١) العَيْر: حمار الوحش. ومفرَّس: مصاب مجروح افترسته السباعُ.

(٢) انظر «ديوانه» ص٨٣.

(٣) الكميّ: الشجاع. وحواسره، أي: جموعه الذين لا دروعَ عليهم، يقال: رجلٌ حاسرٌ، إذا لم يكن عليه درع.

(٤) عامل الرمح: أعلاه مما يلي السِّنان. ويذود بها، أي: يدفع ويطرد بها العدوّ. وحومة الموت: مُعظَمه.

(٥) خضبناها، أي: بلّلناها. وشاجره، أي: مخاصمه ومخالفه، وكأنه أراد صفوانَ بن أُميّة، فإنه حضر وقعة حنينٍ وهو على شِرْكه. قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٠٠: ويحتمل أن يكون شاجِرُه هنا أي: مخالطُه بالرمح، يقال: شَجَرتُه بالرمح، إذا طعنته به، وشَجَرَت الرماحُ: إذا دخل بعضها على بعض.

(٦) بطانة الرجل: خاصّته وأصحاب سرِّه.

(٧) الشِّعار: ما وليَ جسدَ الإنسان من الثياب، فاستعاره هنا لبطانته وخاصّته.

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: وكنّا على الإسلام، إلى آخرِها، بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر، ولم يَعرِف البيتَ الذي أوّلُه: حَمَلْنا له في عاملِ الرّمحِ رايةً، وأنشدني بعدَ قوله: وكان لنا عَقدُ اللّواءِ وشاهرُه: ونحنُ خَضَبْناه دماً فهو لونُه.

قال ابن إسحاق: وقال عبّاسُ بن مِرداسٍ أيضاً[1]:

مَــن مُبلِــغُ الأقــوامِ أنّ محمّــداً ... رســولُ الإلٰـهِ راشـدٌ[2] حيـثُ يَمَّمـا

دعــا رَبَّــه واستَنصَــرَ اللهَ وحــدَه ... فأصــبَحَ قــد وَفَّــى إليــه وأنعَمــا

سَــرَينا وواعَــدْنا قُدَيــداً محمّــداً ... يَــؤُمُّ بنــا أمــراً مــن الله مُحكَمــا[3]

تَمــارَوْا بنــا في الفجــرِ حتّــى تبيَّنـوا ... مــع الفجــرِ فِتيانــاً وغابــاً مُقوَّمــا[4]

علـى الخيـلِ مشـدوداً علينـا دُروعُنـا ... ورَجْــلاً كــدُفّاعِ الأَتِــيِّ عَرَمرَمــا[5]

فــإنَّ سَــرَاةَ الحــيِّ إن كنــتَ سـائلاً ... سُــلَيمٌ وفــيهمْ مــنهمُ مَــن تَسَــلَّما[6]

وجُنــدٌ مــن الأنصــارِ لا يَخذُلونَــهُ ... أَطـاعوا فمــا يَعصُــونَه مـا تَكلَّمـا

فـإن تَـكُ قـد أمَّـرتَ في القـومِ خالـداً ... وقَدّمتَــــه فإنّــــه قــــد تَقــــدَّما

---

(١) انظر «ديوانه» ص١٤١.

(٢) وفي بعض النسخ: رسولُ الإله راشداً، بالنصب على الحاليّة، وكلاهما صحيح.

(٣) قُديد: وادٍ شمال غرب مكة على بعد ١٣٠ كم تقريباً.

(٤) تمارَوا بنا: شكُّوا فينا. وأراد بالغاب هنا: الرِّماح؛ شبّه أنفسهم بالرماح المقوَّمة ليس فيها اعوجاج.

(٥) رَجْلاً: مُشاة. والأَتِيّ: السّيل يأتي من بلد إلى بلد. ودفّاعه: ما يندفع منه، شبَّه كثرةَ الرَّجْل به. وعَرَمرَم: الكثير الشديد.

(٦) سَراة الحيّ، أي: سَراة القوم، وهم أشرافهم وخِيارهم. وتَسلَّم: مَن انتسب إلى سُليم من حلفائهم، كما يقال: تَقيَّس الرجلُ، إذا اعتزى إلى قيس.

بجُنْـــدٍ هَـــدَاه الله أنـــتَ أَميــرُه ... تُصيبُ به في الحقِّ مَن كان أظلَما

حَلَفــتُ يمينـــاً بَـــرَّةً لمحمّـــدٍ ... فأكمَلتُها أَلفـاً مـن الخيـلِ مُلجَمـا

وقـــال نبـــيُّ المـــؤمنينَ: تَقـــدَّموا ... وحَـــبَّ إلينـــا أن نكـــونَ المُقـــدَّما[1]

وبِتْنـا بنِهْـيِ المُسـتديرِ ولـم يكـنْ ... بنـا الخـوفُ إلّا رَغْبـةً و تَحزُّمـا[2]

أطَعْنـاكَ حتّـى أسـلمَ النـاسُ كلُّهـمْ ... وحتّى صَبَحْنا الجَمْعَ أهـلَ يَلَملَما[3]

يَضِـلُّ الحِصـانُ الأبلَـقُ الـوَرْدُ وَسْـطَه ... ولا يَطمـئِنُّ الشّـيخُ حتّـى يُسـوِّما[4]

سَـمَوْنا لهـم وِرْدَ القَطَـا زَفَّـه ضُـحًى ... وكـلٌّ تَـراه عـن أخيـهِ قـدَ أحجَمـا[5]

لَـدُنْ غُـدْوةٍ حتّـى تَركنـا عَشـيّةً ... حُنينـاً وقـد سـالت دَوافِعُـه دمـا[6]

---

(١) حَبَّ: فعل ماض وأصله: حَبُبَ، بضمّ الباء، ثم أُسكنت وأُدغمت في الثانية.

(٢) النّهي، بفتح النون وكسرها: الغدير من الماء. والظاهر أن نهي المستدير هذا اسم موضع في الحجاز، إلا أننا لم نقف على من ذكره وبيّنه، والله تعالى أعلم.

(٣) يَلَملَم، أو أَلَملَم: وادٍ عظيم في الحجاز، يسيل من الجبال الواقعة جنوب غربي الطائف حتى يمرّ جنوب مكة على بعد ٨٠ كم تقريباً، وفيه ميقات الحاجّ القادم من جهة اليمن.

(٤) الأبلق: الذي فيه بياض مع سواد، والوَرْد: المُشرَب حُمْرة؛ يقول: مع أن اجتماع هذه الألوان في الحصان مما يزيده ظهوراً إلا أنه يغيب في كثرة جمعنا وزحمته. ويسوِّم: يُعلِم نفسَه أو حصانه بعلامة يُعرَف بها.

(٥) سَمَونا لهم: نهضنا لقتالهم. وِردَ القطا، أي: كوروده على الماء بكثرتها، والقطا طائر معروف لا يعيش إلا بجوار الماء. وزفّه الضحى: أسرع به الضحى وساقه سوقاً شديداً. وأحجم عن أخيه، أي: تأخر عنه وشُغِل بنفسه.

(٦) لَدُن بمنزلة: عندَ، ويجوز في غُدْوةَ النصب والجرّ، والجرُّ هو الوجه والقياس كما قال سيبويه في «الكتاب» ١/ ٢١٠، وانظر الكلام عليها بتفصيل في «الروض» للسهيليّ ٥/ ٤٦٤-٤٦٥.

ودوافعه، أي: مجاري السيول فيه.

إذا شِئتَ من كلِّ رأيتَ طِمِرَّةً ... وفارسَها يَهوِي ورُمحاً مُحطَّما[1]

وقد أحرَزَت منّا هوازِنُ سَرْبَها ... وحَبَّ إليها أن نَخِيبَ ونُحرَما[2]

قال ابن إسحاق: وقال ضَمضَمُ بن الحارث بن جُشَم بن عبد بن حَبِيب بن مالك ابن عَوْف بن يَقَظة بن عُصَيّةَ السُّلَميُّ في يوم حُنينٍ، وكانت ثَقيفٌ أصابت كِنانةَ بن الحَكَم بن خالد بن الشَّرِيد، فقَتَلَ به مِحجَناً وابنَ عمٍّ له وهما من ثقيفٍ:

نحنُ جَلَبْنا الخيلَ من غيرِ مَجلَبٍ ... إلى جُرَشٍ من أهلِ زَيّانَ والفَمِ[3]

نُقتِّلُ أشبالَ الأُسودِ ونَبتَغي ... طَواغِيَ كانت قبلَنا لم تُهدَّمِ[4]

فإن تَفخَروا بابنِ الشَّريدِ فإنّني ... تركتُ بوَجٍّ مَأتَماً بعدَ مَأتَمِ[5]

أبَأتُهما بابنِ الشَّريدِ وغَرَّه ... جِوارُكمُ وكان غيرَ مُذمَّمِ[6]

---

(١) طِمِرّة: فرس سريعة وثّابة. ومحطَّم: مكسَّر.

(٢) أحرزت، أي: جمعت وحفظت. والسَّرْب: الإبل وما رعى من المال.

(٣) جُرَش وزيّان والفم مواضع جنوب الجزيرة العربية نواحي أَبْها وخميس مشيط، انظر «معجم المعالم الجغرافية» للبلاديّ ص٨١ و١٤٩، وأشهرها جُرَش، وهي الآن آثار وأطلال على مقربة من مدينة أَبْها، وتبعد عنها جنوباً نحو ٣٠ كم. وسُمي بها قديماً مِخلافٌ (أي: إقليم) من مخاليف اليمن.

(٤) طواغي: جمع طاغية، وأراد بها هاهنا البيوت التي كانت العرب تتعبّد فيها في الجاهلية وتعظّمها سوى البيت الحرام.

(٥) وَجٌّ: هو وادي الطائف الرئيس، وهو يقسمها إلى شطرين من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

والمأتم: جماعة النساء يجتمعن في الخير والشر، وأراد به هنا اجتماعهنّ في الحزن.

(٦) أبأتُهما بابن الشريد: جعلتهما بَوَاءً، أي: سواءً به، أي: قتلتهما به. وغير مذمَّم، أي: لم يحفظوا ذمّة جِواره فعَدَوا عليه فقتلوه.

تُصيبُ رجالاً من ثقيفٍ رِماحُنا ... وأسيافُنا يَكلِمنَهم كلَّ مَكلَمِ[1]

وقال ضَمضَم بن الحارثِ أيضاً:

أبلِغْ لَدَيكَ ذَوِي الحَلائلِ آيةً ... لا تأمَنُنَّ الدَّهرَ ذاتَ خِمارِ[2]

بعدَ الّتي قالت لجارةِ بيتِها ... قد كنتُ لو لَبِثَ الغَزِيُّ بِدارِ[3]

لمّا رأَت رجلاً تَسفَّعَ لونَهُ ... وَغْرُ المَصيفةِ والعِظامِ عَوَاري[4]

مُشُطَ العِظامِ تراهُ آخرَ لَيلِه ... مُتَسربلاً في دِرعِه لغِوَارِ[5]

إذ لا أزالُ على رِحَالةِ نَهْدةٍ ... جَرْداءَ تُلحِقُ بالنِّجَادِ إزاري[6]

يوماً على أثَرِ النِّهابِ وتارةً ... كُتِبَت مُجاهِدةً مع الأنصارِ[7]

وزُهاءَ كلِّ خَميلةٍ أزهَقتُها ... مَهَلاً تَمهَّلُه وكلُّ خَبَارِ[8]

---

(١) يَكلِمنهم، أي: يَجرَحنهم.

(٢) الحلائل: جمع حَليلة، وهي الزوجة. وآية: علامة.

(٣) الغَزِيّ: جماعة القوم الذين يَغزُون.

(٤) تسفَّع لونه، أي: غيّره إلى السُّفعة، وهي سواد بحُمرة. والوَغْر: شدة الحرّ. والمَصِيفة: الأرض اشتدّ حرُّها.

(٥) مُشُط العظام، أي: قليل اللحم الذي على العظام. ومتسربِلاً، أي: لابساً، والسِّربال: كل ما يُلبَس. والغِوَار: الإغارة.

(٦) الرِّحالة هنا: السَّرج. ونَهْدة: غليظة، يعني فرساً. وجرداء: قصيرة الشَّعر. والنِّجاد: حمائل السيف.

(٧) النِّهاب: جمع نَهْب، وهو ما يُغنَم ويُنتهَب.

(٨) زُهاء، أي: قَدْر. وخميلة، أي: رَمْلة طيّبة ينبت فيها شجر، يريد أرضاً مزروعة ليّنة. وأزهقتها، بمعنى: دفعتها للتقدّم فيما فيه إتعابها وإتلافها. والمَهَل: التأنّي والتُّؤَدة. والخَبَار: أرض ليّنة التراب.

كَيْما أُغيِّرَ ما بها من حاجةٍ وتَوَدُّ أنّي لا أؤُوبُ فَجَارِ[1]

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة، قال: أُسِرَ زهيرُ بن العَجْوة الهُذَليُّ يومَ حُنينٍ فكُتِفَ، فرآه جميلُ بن مَعمَرٍ الجُمَحيّ فقال له: أنتَ الماشي لنا بالمَغايِظِ! فضربَ عُنُقَه، فقال أبو خِراشٍ الهُذَليّ يَرثيهِ[2]، وكان ابنَ عمِّه:

عَجَّفَ أضيافي جميلُ بن مَعمَرٍ بذي فَجَرٍ تأوي إليه الأراملُ[3]

طويلِ نِجَادِ السّيفِ ليس بجَيدَرٍ إذا اهتزَّ واسترَخَت عليه الحَمائلُ[4]

تَكادُ يداهُ تُسلِمانِ إزارَه من الجُودِ لمّا أذلَقَتْه الشَّمائلُ[5]

إلى بيتِه يأوي الضَّريكُ إذا شَتَا ومُستنبِحٌ بالِي الدَّرِيسَينِ عائلُ[6]

---

(١) لا أؤوب، أي: لا أرجع. وفَجَارِ: بمعنى فاجرة، وهو معدول عنه.

(٢) انظر «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ٣/ ١٢٢١، وكتاب «الاختيارَين» للأخفش الأصغر ص٦٨٠. ثم أسلم أبو خِراش وحَسُن إسلامه، وتوفي زمن عمر.

(٣) عجَّف أضيافي: هَزَلَهم وأجاعهم بقتله، وفي المصدرين المذكورين: فجَّع أضيافي؛ من الفَجيعة: وهي المصيبة. والفَجَر: الجُود والكرم.

(٤) النِّجاد: حمائل السيف، والحمائل: جمع حِمالة، وهي عِلاقة السيف، ويكنى بطولها واسترخائها عن طول القامة. والجَيدَر: القصير.

(٥) أذلقته: جَهَدَته وأمحَلَته. والشمائل: رياح الشَّمال الباردة، ومعها القَحْط؛ يصفه بالجُود مع الجَدْب وذلك حين تهيج ريح الشمال شتاءً، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٢٩: يريد أنه من سخائه يريد أن يتجرَّد من إزاره لسائله، فيُسلِمه إليه.

(٦) الضَّريك: الفقير السيِّئ الحال. وقوله: إذا شتا، أي: إذا أصابته مجاعة وقِلّة. والمُستنبِح: الذي يضلُّ بالليل فيَنبِح نِباحَ الكلاب لتسمعَه الكلابُ فتجاوبَه، فيعلمَ مواضعَ البيوت فيَقصِدَها. وبالي الدَّريسين، الدَّرِيس: الثوبُ الخَلَقُ البالي، وثنّاه لأنه أراد به الإزار والرِّداء، وهو أقلُّ ما يكون للرجل من اللباس. والعائل: الفقير.

تَــرَوَّحَ مَقــرُوراً وهَبَّــتْ عَشــيّةً ... لهــا حَــدَبٌ تَحتثُّــه فيُوائــلُ[1]

فمـا بـالُ أهـلِ الـدّارِ لـم يَتَصـدَّعوا ... وقـد بـانَ منهـا اللَّـوذَعيُّ الحُلاحِـلُ[2]

فأُقسِــمُ لــو لاقَيتَــه غيــرَ مُوثَــقٍ ... لَآبَـكَ بـالنَّعْفِ الضِّباعُ الجَيائـلُ[3]

وإنّــكَ لــو واجَهتَــه أو لَقِيتَــهُ ... فنازَلتَــه أو كنــتَ ممّــن يُنــازِلُ

لَظَـلَّ جميـلٌ أفحَشَ القـومِ صِرْعةً ... ولكـنَّ قِـرنَ الظَّهـرِ للمَـرءِ شاغِلُ[4]

فلــيس كعَهــدِ الــدّارِ يــا أمَّ ثابــتٍ ... ولكـن أحاطَتْ بالرِّقـابِ السّلاسِـلُ[5]

وعـادَ الفتـى كالشّـيخِ لـيس بفاعـلٍ ... سوى الحقِّ شيئاً واستَراحَ العَواذِلُ[6]

---

(١) تروَّح مقروراً، أي: اهتزّ وارتعش من الريح الباردة، والمقرور: الذي أصابه القَرُّ، وهو البَرْد.

والحَدَب: تراكبُ الريح في هبوبها كما يتراكب الماءُ في جريِه، وذلك إذا اشتدَّت، وذهب السهيليُّ إلى أن الخَدَبَ أشبه بمعنى البيت، لأنهم يقولون: ريح خَدْباء، كأنّ بها خَدَباً، وهو الهَوَجُ.

وتحتثّه: تسوقه سوقاً سريعاً، ويروى: تجتثه بالجيم، أي: تقتلعه من الأرض. ويوائل: يطلب مَوئِلاً، وهو الملجأ.

(٢) لم يتصدَّعوا: لم يتفرقوا. واللَّوذعي: الذكيّ البيِّن اللسان. والحُلاحِل: السيد الشجاع.

(٣) غير مُوثَق، أي: غير مأسور مربوط بالحبل. وآبَكَ، أي: رجع إليك. والنَّعف: أسفل الجبل. والجيائل: من أسماء الضِّباع، الواحد: جَيأَلٌ.

(٤) أفحش القوم صِرعة، أي: أشنعهم قِتلةً، والصِّرعة: هيئة الصَّرْع. وقِرْن الظَّهر: هو الذي يأتيه من وراء ظهره من حيث لا يراه.

(٥) أي: ليس الأمر كما عهدتِ، ولكن جاء الإسلام فأحاط برقابنا، فلا نستطيع أن نعمل شيئاً.

(٦) يقول: رجع الفتى عمّا كان عليه من فتوّة وفتكٍ وصار كأنه كهلٌ صاحب حكمة لا يصنع شيئاً إلا ما يوافق الحقَّ. والعواذل: اللَّوائم ـ جمع لائمٍ ـ من النساء.

وأصبَحَ إخوانُ الصَّفاءِ كأنّما ... أهالَ عليهم جانبَ التُّربِ هائلُ[1]
فلا تَحسَبي أنّي نَسِيتُ لَياليًا ... بمكّةَ إذ لم نَعْدُ عمّا نُحاوِلُ[2]
إذِ النّاسُ ناسٌ والبِلادُ بغِرّةٍ ... وإذ نحنُ لا تُثنَى علينا المَداخِلُ[3]

قال ابن إسحاق: وقال مالكُ بن عوفٍ وهو يعتذرُ يومَئذٍ من فِرَاره:

مَنَعَ الرُّقَادَ فما أُغمِّضُ ساعةً ... نَعَمٌ بأجزاعِ الطّريقِ مُخضرَمُ[4]
سائِلْ هوازنَ هل أضُرُّ عدوَّها ... وأُعِينُ غارِمَها إذا ما يَغرَمُ[5]
وكَتيبةٍ لَبَّستُها بكَتيبةٍ ... فِئتَينِ منها حاسِرٌ ومُلأَّمُ[6]
ومُقدَّمٍ تَعْيا النُّفوسُ لضِيقِه ... قَدَّمتُه وشُهودُ قومي أعلَمُ[7]
فوَرَدتُه[8] وتَركتُ إخوانًا له ... يَرِدُون غَمْرتَه وغَمْرتُه الدّمُ
فإذا انجَلَت غَمَراتُه أورَثْنَني ... مجدَ الحياةِ ومجدَ غُنْمٍ يُقسَمُ[9]

---

(١) وأصبح إخوان الصفاء، أي: من كانوا لنا أصفياء قبل الإسلام. وأهال: صبَّ.

(٢) لم نعدُ، أي: لم يمنعنا شيء ممّا نريده.

(٣) الغِرّة: الغفلة، ويروى ـ كما في بعض النسخ ـ: بعِزّة. ولا تثنى: لا تُعطَف.

(٤) النَّعم: الإبل، أو كل ماشية أكثرها الإبل. وأجزاع الطريق: جمع جِزْع، وهو ما انعطف منه. ومخضرم: صفة لنَعَمٍ، وهو الذي قُطِع طرفُ أُذنه، ليكون ذلك علامةً له.

(٥) الغارم: الذي تحمّل دَيناً ثقيلاً.

(٦) الكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. والحاسر: الذي لا درعَ عليه. والملأَّم: الذي لبس اللّأمة، وهي الدّرع.

(٧) مقدَّم: يعني موضعاً لا يتقدَّم فيه إلا الشجعان.

(٨) في (ش١) و(ش٢) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): فرددته. والغمرة: الشِّدّة، والشيء الكثير يَغمُر.

(٩) انجلت غمراته، أي: انكشفت الشدائد.

كَلَّفتُمـــوني ذَنْـــبَ آلِ محمّـــدٍ ... واللهُ أعلـــمُ مَـــن أعَـــقُّ وأظلَـــمُ

وخَــــذَلتُموني إذ أُقاتِــــلُ واحــــداً ... وخَــــذَلتُموني إذ تقاتِــــلُ خَــــثعَمُ

وإذا بَنَيتُ المجدَ يَهدِمُ بعضُكم ... لا يَســـتَوي بـــانٍ وآخَـــرُ يَهـــدِمُ

وأقَبَّ مِخْماصِ الشِّتاءِ مُسارعٍ ... في المجدِ يَنْمي للعُلَى مُتكرِّمُ[1]

أَكرَهــــتُ فيـــه أَلّــــةً يَزَنيّـــةً ... سَـحْماءَ يَقـدُمُها سِـنانٌ سَـلجَمُ[2]

وتَرَكــــتُ حَنَّتَـــه تَـــرُدُّ وَلِيَّـــه ... وتقـول: لـيس علـى فُلانـةَ مَقـدَمُ[3]

ونَصَبتُ نفسي للرِّماحِ مُدجَّجاً ... مِثـلَ الدَّرِيّـةِ تُسـتحَلُّ وتُشـرَمُ[4]

قال ابن إسحاق: وقال قائلٌ في هوازنَ أيضاً، يذكرُ مَسِيرَهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوفٍ بعدَ إسلامه:

أُذكُـرْ مَسِـيرَهمُ للنـاسِ إذ جَمَعـوا ... ومالـــكٌ فوقَـــه الرّايـــاتُ تَختَفِـــقُ

ومالـــكُ مالـــكٌ مـــا فوقَـــه أَحـــدٌ ... يـــومَ حُنَـــينٍ عليـــه التّـــاجُ يـــأتلِقُ[5]

حتَّى لَقُوا الباسَ حين الباسُ يَقدُمُهمْ ... علـيهم البَـيضُ والأبـدانُ والـدَّرَقُ[6]

---

(١) الأقبّ: الضامرُ الخصرِ. والمِخماص: الضامر البطن. وهو يصفُ نفسه.

(٢) الألّة: الحَرْبة. ويَزَنيّة: منسوبة إلى ذي يَزَن، وهو ملك من ملوك حِميَر. وسحماء: سوداء العصا. وسنان سَلجَم، أي: طويل.

(٣) حَنّته: يعني زوجته، سُمّيت بذلك لأنها تحنُّ إليه ويحنُّ إليها.

(٤) المدجَّج: الكامل السلاح. والدَّرِيّة ـ وفي بعض النسخ: الدَّرِيئة ـ: الحَلْقة التي تُنصَب فيُتعلَّم فيها الطعن. وتُستحلّ: من الحِلِّ، أي: تُستباح، ويروى: تُستخَل، بالخاء ـ كما في (ش١) و(ش٢) و(ط) ـ أي: تُطعَن، قال السهيليُّ: وهو أظهر في المعنى. وتُشرَم، أي: تُقطَع.

(٥) يأتلق: يلمع.

(٦) البأس: الشدة والشجاعة. والبَيض: جمع بيضةٍ، وهي الخُوذة على الرأس. والأبدان =

فضارَبوا الناسَ حتّى لم يَرَوا أحداً حولَ النبيِّ وحتّى جَنَّه الغَسَقُ[1]

ثُمّتَ نُزِّلَ جِبريلُ بنصرِهِم من السماءِ فمهزومٌ ومُعتنَقُ[2]

منّا ولو غيرُ جِبريلَ يُقاتِلُنا لَمَنَّعَتْنا إذاً أسيافُنا العُتُقُ[3]

وفاتَنا عمرُ الفاروقُ إذ هُزِموا بطَعنةٍ بَلَّ منها سَرْجَه العَلَقُ[4]

وقالت امرأةٌ من بني جُشَمَ تَرْثي أخوَينِ لها أُصيبا يومَ حُنينٍ:

أعَينَيَّ جُودَا على مالكٍ معاً والعلاءِ ولا تَجمُدا[5]

هما القاتلانِ أبا عامرٍ وقد كان ذا هَبّةٍ أَربَدا[6]

هما تَرَكاه لَدَى مُجسَدٍ يَنُوءُ نَزيفاً وما وُسِّدا[7]

وقال أبو ثَوابٍ زيدُ بن صُحَارٍ، أحدُ بني سعد بن بكر:

ألا هلَ أتاكَ أن غَلَبَت قُريشٌ هوازنَ والخُطوبُ لها شُروطُ[8]

= هنا: جمع بَدَنٍ، وهي الدرع. والدَّرَق: جمع دَرَقةٍ، وهي التّرس من جلدٍ.

(١) جنَّه: سَتَره. والغَسَق: الظُّلمة، يعني ظلمة الغبار.

(٢) مُعتنَق، أي: مأسور.

(٣) العُتُق: جمع عَتِيق، وهو النفيس من الأشياء.

(٤) العَلَق: الدم.

(٥) لا تجمدا، أي: لا تبخلا بالدموع.

(٦) أَربَد: أسد؛ تصف أبا عامر ـ وهو الأشعريُّ أمير سريّة أوطاس رضي الله عنه ـ بالشجاعة.

(٧) المُجسَد: الذي صُبغ بالجِسَاد، وهو الزعفران. ويَنُوء: ينهض متثاقلاً لإعيائه. والنزيف: الذي سال دمه حتى ضعف. وما وُسِّدا، أي: ما دُفِنا.

وقد تقدّمت هذه الأبيات ص١٥٦ بشيء من الاختلاف منسوبة إلى رجل من جُشَم لا امرأة.

(٨) الخطوب: جمع خَطْب، وهو الأمر الشديد.

وكنّـا يـا قـريشُ إذا غَضِـبْنا   يَجيءُ من الغِضابِ دمٌ عَبيطُ[1]

وكنّـا يـا قـريشُ إذا غَضِـبْنا   كـأنّ أُنوفَنـا فيهـا سَـعُوطُ[2]

فأصـبَحْنا تُسـوِّقُنا قـريشٌ   سِياقَ العِيرِ يَحدُوها النَّبيطُ[3]

فلا أنَاْ إن سُئِلتُ الخَسْفَ آبٍ   ولا أنَـاْ أن أَلِـينَ لهـم نَشـيطُ[4]

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثَوابٍ زيادُ بن ثَوابٍ.

وأنشدني خلفٌ الأحمرُ قولَه: يجيءُ من الغِضابِ دمٌ عَبيطٌ، وآخرَها بيتاً، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبدُ الله بن وهبٍ، رجلٌ من بني تَميمٍ ثمّ من بني أُسيِّدٍ، فقال:

بشَـرْطِ الله نضـربُ مَـن لَقِينـا   كأفضلِ ما رأيتَ من الشُّروطِ

---

(١) الدم العبيط: الطريّ.

(٢) السعوط: الدواء يوضع في الأنف فيهيجه، يريد: تحمى أنوفُنا.

(٣) النَّبيط: جيل من الناس كانوا ينزلون سوادَ العراق، ثم استُعمِل هذا في أخلاط الناس وعوامّهم.

(٤) الخسف: الذل، وآبٍ: اسم فاعل من أَبَى، وأَبَى الخسف: امتنع من الرِّضا بالذل.

تنبيه: زاد في آخر هذه الأبيات في (ش١) وحدها ـ وهو في طبعة السقا وصاحبيه ـ هذا البيت مع التأشير عليه بعلامة الحذف، وذكر على حاشيتها أنه يروى أيضاً بدل القُطوط: الخُطوط، ثم نبّه على أن هذا البيت في رواية ابن سعد (يعني في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق دون أصحابه):

سيُنقَلُ لحمُها في كلّ فجٍّ   وتُكتَبُ في مَسامعِها القُطوطُ

وهذا البيت مع التنبيهين عليه وقع في حاشية (ش٢)، فالظاهر أن ناسخ (ش١) إنما نقله عنه.

والقُطوط: جمع قِطٍّ، وهو الصَّكّ أو الكتاب.

وكنّـا يـا هـوازنُ حـين نُلقَـى نَبُـلُّ الهـامَ مـن عَلَـقٍ عَبـيطِ[1]

بجَمعِكـمُ وجَمـعِ بنـي قَسِـيٍّ نَحُكُّ البَرْكَ كـالوَرَقِ الخَبـيطِ[2]

أَصَـبْنا مـن سَـرَاتِكمُ ومِلْنـا بقتـلٍ في المُبـايِنِ والخَلـيطِ[3]

بـه المُلْتـاثُ مُفتَـرِشٌ يدَيـهِ يَمُجُّ الموتَ كـالبَكْرِ النَّحـيطِ[4]

فـإن تَـكُ قـيسُ عَـيْلانٍ غِضـاباً فـلا يَنفَـكُّ يُـرغِمُهم سَـعُوطي

وقال خَدِيجُ بن العَوجاءِ النَّصْريّ:

ولمّــا دَنَونــا مــن حُنَــينٍ ومائِـهِ رأينـا سَـواداً مُنكَـرَ اللّـونِ أخصَـفا[5]

بمَلمُومــةٍ شَــهْباءَ لــو قَــذَفوا بهــا شَمارِيخَ من عَرْوَى إذاً عـادَ صَفصَـفا[6]

---

(١) الهامُ: الرؤوس، واحدها: هامَةٌ. والعَلَق: الدم. والعَبيط: الطريّ.

(٢) بنو قَسيّ: هم ثقيفٌ أهل الطائف. والبَرْك: صدر البعير، وحكُّ البَرْك هنا كناية عن شدّة الحرب. والورق الخبيط: الذي يُضرَب بالعصا ليسقط فتأكله الماشية.

(٣) السَّراة: السادة والأشراف. والمباين: المفارق المنهزم. والخليط: الذي ما زال في أرض المعركة مخالطاً لأقرانه.

(٤) الملتاث هنا: اسم رجل، قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٢٤٤. ويمجّ الموت، أي: يبصقه، كناية عن شدّة مصابه. والبَكْر: الفتيُّ من الإبل. والنَّحيط: الذي يردِّد النفس في صدره حتى يُسمَع له دَوِيٌّ.

(٥) سواداً: يعني أشخاصاً على البُعد. والأخصَف: الذي فيه ألوان.

(٦) ملمومة، أي: كتيبة من الجُند مجتمعة. وشهباء: لها بريق ولمعان من كثرة السلاح. والشماريخ: أعالي الجبال، واحدها: شِمْراخ. والصَّفصَف: المستوي من الأرض.

وعَروى: قد اختلفت النسخ الخطية في تقييده على أوجه، منها: عزوى، بالزاي، مرةً بفتح العين وأخرى بضمّها، ومنها: غُزوى، بالغين في أوله، ومنها: عدوى، بالدال، ومنها: عَرْوى، كما أثبتنا، بفتح العين وسكون الراء، وهو الذي صوّبه الأستاذ عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم =

ولـو أنّ قَـوْمي طـاوَعَتْني سَـرَاتُهم إذاً مـا لَقِينـا العـارِضَ المُتَكشِّـفا[1]

إذاً مـا لَقِينـا جُنـدَ آلِ محمّـدٍ ثمـانينَ ألفـاً واسـتَمدُّوا بخِنـدِفا[2]

= الجغرافية» ص٢٠٧ وقال: هو جبل أسود بنَجْد، وعنده ماء يسمَّى باسمه، وقد أُحدِثَت هناك قرية، وهي تتبع إدارياً مدينة الدَّوادِمي وتبعد عنها قرابة ٧٠ كيلاً جنوباً.

(١) العارض: السحاب. والمتكشِّف: الظاهر، وفي نسخة على حاشية (ش١): المتكنّف، وهي كذلك عند أبي ذر الخُشنيّ في «إملائه» ص٤٠٦، وقد فسّره بقوله: هو الذي التفَّ بعضُه ببعض.

(٢) خِندِفُ: الظاهر أنه أراد خُزاعة، فخندفُ أمُّهم.

وقوله: ثمانين ألفاً، هذا مما لا يصحّ، فكلُّ من كان معه ﷺ في يوم حنينٍ اثنا عشر ألفاً كما تقدّم في أوائل الكلام على هذه الغزوة.



ذكرُ غزوة الطّائف

بعد حُنينٍ في سنة ثمانٍ

ولمّا قَدِمَ فَلُّ[1] ثَقيفٍ الطّائفَ، أغلَقُوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصَنَعوا الصَّنائعَ للقتال.

ولم يَشهَدْ حُنيناً ولا حِصارَ الطّائفِ عُرْوةُ بن مسعودٍ ولا غَيْلانُ بن سَلَمة[2]، كانا بجُرَش[3] يتعلَّمانِ صَنْعَةَ الدَّبّاباتِ والمَجانِيقِ والضُّبُور[4].

ثمّ سارَ رسولُ الله ﷺ إلى الطّائفِ حين فَرَغَ من حُنينٍ، فقال كعبُ بن مالكٍ حين أجمَعَ رسولُ الله ﷺ السَّيرَ إلى الطّائف[5]:

قَضَينا من تِهامةَ كلَّ رَيبٍ ... وخَيبَرَ ثمّ أجمَمْنا السُّيوفا[6]

---

(١) الفَلّ: الجماعة المنهزمون من الجيش.

(٢) وهما الثقفيّانِ من أهل الطائف، فإنهما لم يشهدا حُنيناً مع قومهما ثقيفٍ، وكانا إذ ذاك مشركَين.

(٣) تقدّم التعريف بجُرَش قريباً ص١٧٧.

(٤) قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٠٧: الدبّابات آلات تُصنَع من خشب وتُغشّى بجلود، ويدخل فيها الرّجال ويتّصلون بحائط الحصن فيَنقُبونه على أهله. اهـ

والمجانيق: جمع مَنجَنيق، وهي من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها.

والضُّبور: جمع ضَبْر، وهو شيء يشبه القُفّة يُصنع من خشب ويُغَشّى بالجلد كالدَّبّابة يحتمي به الرجال عند تقدمهم إلى الحصون، وبعض أهل اللغة يفسّره بالدبابة نفسها.

(٥) انظر «ديوان كعب» ص٦٦.

(٦) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز إلى ساحل البحر الأحمر، من أهمّ مدنه مكّة وجُدّة. والرَّيب: الشكّ. وأجمَمْنا: أرَحْنا.

نُخيِّرُهـا ولـو نَطَقَـت لقالـتْ قَـواطِعُهنَّ: دَوْسـاً أو ثَقيفـا[1]

فلسـتُ لحاضِـنٍ إن لـم تَرَوْهـا بسـاحةِ دارِكـمْ منّـا أُلوفـا[2]

ونَنتَـزِعُ العُـروشَ بـبَطنِ وَجٍّ وتُصبِحُ دُورُكـمْ منكم خُلُوفـا[3]

ويـأتيكمْ لنـا سَـرَعانُ خيـلٍ يُغـادِرُ خَلفَـه جَمْعـاً كَثيفـا[4]

إذا نَزَلـوا بسـاحَتِكم سـمعتُم لهـا ممّـا أنـاخَ بهـا رَجِيفـا[5]

بأيـدِيهم قَواضِـبُ مُرهَفـاتٌ يُـزِرْنَ المُصطَلِينَ بها الحُتُوفـا[6]

كأمثـالِ العَقـائقِ أخلَصَـتْها قُيـونُ الهندِ لـم تُضـرَبْ كَتِيفـا[7]

---

(١) قواطعهن: يعني حدَّ السيوف، يريد: لو نطقت سيوفنا لاختارت أن نحارب دوساً أو ثقيفاً.

(٢) الحاضن: المرأة التي تحضن ولدها، وفي نسختَي (ش١) و(ش٢): لحاصنٍ، بالصاد، وهي المرأة العفيفة الكريمة، وقيّده في (م) بالوجهين؛ يريد لست ابن هذه المرأة الحاضنة أو العفيفة إذا لم أحقِّق ما توعّدتكم به. وساحة الدار: وسطها أو فِناؤها.

(٣) العروش هنا: الأخشاب التي تُدعم بها كُروم العنب. ووَجٌّ: هو وادي الطائف. وخُلوفاً، أي: غائبين عنها تاركين لها. يقول متهدِّداً لهم: سنقتلع كرومكم ونقتّل رجالكم.

(٤) السَّرَعان: هم المتقدِّمون على غيرهم. والكثيف: الملتفّ بعضه فوق بعض، ويروى: كشيفاً، بالشين بدل الثاء، أي: مكشوفاً؛ كأنه يريد بذلك كثرةَ من يتركونهم قتلى بعضهم فوق بعض، أو هم مكشوفون في العراء لا يسترهم شيء.

(٥) رجيفاً: من رواه بالراء، فيعني به الصوت الشديد مع اضطراب، مأخوذ من الرَّجفة، ومن رواه: وجيفاً، بالواو، فمعناه: سريع يُسمَع صوت سرعته.

(٦) القواضب: السيوف القواطع، جمع قاضِبٍ. والمُرهَفات: القاطعة أيضاً. والمُصطَلُون: المباشرون لها الذين أصابتهم هذه السيوف. والحُتوف: جمع حَتْف، وهو الموت.

(٧) العقائق: جمع عَقِيقة، وهي شعاع البرق هنا، وقد أكثروا استعارتها للسيف حتى جعلوها من أسمائه كما قال الزمخشريُّ في «أساس البلاغة» ص٦٧٠. =

تَخـالُ جَدِيّـةَ الأبطـالِ فيهـا ... غَـداةَ الزَّحـفِ جادِيّـاً مَـدُوفا[1]

أجِـدَّهمُ ألـيسَ لهـمْ نَصـيحٌ ... مـن الأقـوامِ كـان بنـا عَرِيفـا[2]

يُخبِّـرُهم بأنّـا قـد جَمَعْنـا ... عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطُّروفا[3]

وأنّـا قـد أتينـاهمْ بزَحـفٍ ... يُحيطُ بسورِ حِصنِهم صُفوفا[4]

رئيسـهمُ النبـيُّ وكـان صُـلْباً ... نَقـيَّ القلـبِ مُصـطبِراً عَزُوفـا[5]

رَشِـيدَ الأمـرِ ذا حُكـمٍ وعِلـمٍ ... وحِلـمٍ لـم يكـن نَزِقـاً خَفيفـا[6]

نُطيـعُ نبيَّنـا ونُطيـعُ ربّـاً ... هـو الـرَّحمنُ كـان بنـا رَؤُوفـا

فـإن تُلْقُـوا إلينـا السِّـلمَ نَقبَـلْ ... ونَجعَلْكـم لنـا عَضُـداً ورِيفـا[7]

= والقُيون: جمع قَيْن، وهو الحدّاد. وكَتِيف: جمع كَتيفة، وهي صفيحة حديد صغيرة عريضة تستخدم في صنع الأبواب.

(١) تخال: تظنّ. الجديّة: الدم السائل على الجسد. والزَّحف: دنوّ المتحاربين بعضهم من بعض. والجاديّ: الزّعفران. ومَدُوف، أي: مخلوط بغيره؛ يريد الدمَ.

(٢) أجدَّهم: الهمزة للاستفهام، وجِدَّ بمعنى: حقّاً، وانظر تفصيل الكلام عليها في «خزانة الأدب» لعبد القادر البغدادي ٢/ ٧٩، وفيه استشهاده ببيت كعب هذا. وعريفاً هنا: عارفاً.

(٣) العِتاق: جمع عتيق، وهو النفيس من كل شيء. والنُّجب: جمع نَجِيب، وهو العتيق الكريم. والطُّروف: جمع طِرْف، وهو أيضاً الكريم من الخيل.

(٤) الزَّحف هنا: الجيش.

(٥) العزوف: المنصرف عن الشيء الزاهد فيه مع إعجابه به. ووقع في النسخ (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ق٢) و(ي): عَرُوفا، بالراء، وقيّده ناسخ (ط) بالوجهين، وهو عند أبي ذرٍّ الخشنيِّ بالراء أيضاً، وفسّره بالصابر، والعروف أيضاً: العارفُ التامُّ المعرفة.

(٦) النَّزِق: الكثير الطَّيش والخِفّة.

(٧) الرِّيف: المواضع المخصبة التي على المياه، يريد: نتّخذكم أعواناً على الحرب ونستمدّ من ريفكم العيش.

وإن تـأبَوْا نُجاهِـدْكم ونَصـبِرْ ولا يَـكُ أمرُنـا رَعِشـاً ضَـعيفا[1]

نُجالِـدُ مـا بَقِينـا أو تُنِيبـوا إلـى الإسـلامِ إذعانـاً مُضِـيفا[2]

نُجاهِـدُ مـا نُبـالِي مـا لَقِينـا أأهلَكْنـا الـتِّلادَ أمِ الطَّريفـا[3]

وكـم مـن مَعشَـرٍ ألَبُـوا علينـا صَـمِيمَ الجِـذْمِ منهم والحَلِيفـا[4]

أتَوْنـا لا يَـرَونَ لهـم كِفـاءً فجَـدَّعْنا المَسـامعَ والأُنوفـا[5]

بكـلِّ مُهنَّـدٍ لَـيْنٍ صَـقِيلٍ نسـوقُهمُ بهـا سَـوْقاً عَنيفـا[6]

لِأمـرِ اللهِ والإسـلامِ حتّـى يقـومَ الـدِّينُ مُعتـدِلاً حَنيفـا[7]

وتُنسَـى الـلّاتُ والعُـزَّى ووَدٌّ ونَسـلُبُها القلائـدَ والشُّـنُوفا[8]

فأمسَـوْا قـد أقَـرُّوا واطمـأنُّوا ومَـن لا يَمتنِـعْ يُقتَـلْ خُسـوفا[9]

فأجابه عبدُ يالِيلَ بن عمرو بن عُمَيرٍ، فقال:

---

(١) رعشاً: متقلِّباً غير ثابت.

(٢) نجالد: نحارب بالسيوف. والإذعان: الذل والخضوع. ومضيفاً، معناه: مُشفِق خائف، يقال: أضاف من الأمر، إذا أَشفق منه وخاف.

(٣) التِّلاد: المال القديم، والطَّريف: المال المُحدَث.

(٤) ألَبوا علينا: جَمَعوا علينا. والصميم: الخالص النسب في القوم. والجِذْم: الأصل.

(٥) كِفاءً، أي: مِثلاً ونظيراً. وجدَّعنا: قطَّعنا، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٠٨: وأكثر ما يستعمل في قطع الأنوف، ويقال في المَسامع: صَلَمْنا، فلمّا جمعهما أعمَلَ فيهما فعلاً واحداً.

(٦) المهنَّد: السيف. ولَيْن: مخفف من ليِّن، أي: هو ليّن يهتز ولا ينكسر. والعنيف: الذي ليس فيه رفق.

(٧) حنيفاً، أي: مائلاً بعيداً عن الشِّرك والضلال.

(٨) الشُّنوف: جمع شَنْفٍ، وهو القُرْط الذي يكون في أعلى الأُذن.

(٩) يُقتَل خسوفاً، أي: يُقتَل وهو ذليل. ويُروى كما في بعض نسخنا الخطية: يَقبَل خسوفا.

مَـــن كـــان يَبغِينـــا يريـــدُ قتالَنـــا ... فإنّـــا بـــدارٍ مَعلَـــمٍ لا نَرِيمُهـــا[1]

وَجَدْنا بها الآباءَ من قبلِ ما تَرَى ... وكانـت لنـا أطواؤُهـا وكُرومُهـا[2]

وقد جَرَّبَتنا قبلُ عمرُو بن عـامرٍ ... فأخبرَهـا ذو رأيِهـا وحَليمُهـا[3]

وقـد عَلِمَـت إن قالـتِ الحـقَّ أنّنـا ... إذا ما أبَتْ صُعْرُ الخُدودِ نُقِيمُها[4]

نُقوِّمُهـا حتّـى يَلِـينَ شَرِيسُـها ... ويَعـرِفَ للحـقِّ المُبِـينِ ظَلُومُهـا[5]

علينـا دِلَاصٌ مـن تُـراثِ مُحـرِّقٍ ... كلَـونِ السـماءِ زَيَّنَتهـا نُجومُهـا[6]

نُرفِّعُهـا عنّـا ببِـيضٍ صَـوارمٍ ... إذا جُـرِّدَت في غَمْـرةٍ لا نَشِـيمُها[7]

---

(١) مَعلَم، أي: مشهورة. ولا نَرِيمها: لا نَبرَح منها ولا نزول عنها.

(٢) الأطواء: جمع طَوِيٍّ، وهي البئر، جُمِعَت على غير قياس، ويروى: أطوادُها، بالدال كما ذكر الخشنيُّ، ويعني بها الجبال، واحدها: طَوْد. والكُروم: جمع كَرْم، وهو شجر العِنَب.

(٣) أراد بعمرو بن عامر: بني عمرو بن عامر بن صعصعة من هوازن، وكانت لهم الطائف قبل ثقيفٍ، وكانت بنو عمرو بن عامر قد أنزلت ثقيفاً في أرضهم ودفعوا إليهم الطائف ليعملوا فيها ويكون لهم النصف في الزرع والثمر، حتى كَثُرَت ثقيفٌ، فحصَّنوا الطائف وبنوا عليها حائطاً يُطِيف بها، فسُمّيت الطائف، فلمّا قَوُوا بكثرتهم وحصونهم، امتنعوا من بني عمرو بن عامر، فحاربهم هؤلاء، فلم يصلوا إليهم ولم يقدروا عليهم. قاله البكريُّ في «معجم ما استعجم» ١/ ٧٧-٧٨ وذكر هذا الشعر، إلا أنه نسبه للأجشّ بن مرداس الثقفي.

(٤) صُعر الخدود: هي المائلة إلى جهةٍ تكبراً وعُجْباً. ونقيمها، أي: نقيم تلك الخدود المتكبّرة ونردّها خائبة.

(٥) شريسها، أي: شديدها.

وقوله: ويعرف للحق، عند البكريّ في «معجمه»: ويَرجِع للحق، وهي أوضح معنًى.

(٦) الدِّلاص: الليِّن البرّاق، وهو يصف الدروع. ومحرِّق: هو عمرو ابن هندٍ الملكُ، قيل له ذلك لتحريقه بني تميم، ويقال: هو عمرو بن عامر، وهو أوّل من حرّق من العرب بالنار.

(٧) البِيض: السيوف. والصوارم: القواطع. وفي غَمرة، أي: في شدّة. ولا نَشِيمها، أي: =

قال ابن إسحاق: وقال شدّادُ بن عارضٍ الجُشَميُّ في مَسيرِ رسول الله ﷺ إلى الطّائف:

لا تَنصُروا اللّاتَ إنّ الله مُهلِكُها ... وكيفَ يُنصَرُ مَن هُوْ ليس يَنتَصِرُ

إنَّ التي حُرِّقَت بالسُّدِّ فاشتَعَلَت ... ولم تُقاتِلْ لَدَى أحجارِها هَدَرُ[1]

إنَّ الرسولَ متى يَنزِلْ بلادَكُمُ ... يَظعَنْ وليس بها من أهلِها بَشَرُ[2]

قال ابن إسحاق: فسَلَكَ رسولُ الله ﷺ على نَخْلَةَ اليَمانيَة، ثمّ على قَرْنٍ، ثمّ على المُلَيح، ثمّ على بَحْرةِ الرُّغَاءِ من لِيّةَ[3]، فابتَنَى بها مسجداً فصلَّى فيه.

فحدّثني عمرو بن شُعَيب: أنه أقادَ يومَئذٍ ببَحْرةِ الرُّغاءِ حين نَزَلها بدمٍ، وهو أوّلُ دمٍ أُقِيدَ به في الإسلام؛ رجلٌ من بني ليثٍ قتل رجلاً من هُذَيلٍ، فقتله به[4].

= لا نُغمِدها، يقال: شِمتُ السيفَ، إذا أغمدتَه، وشِمتُه إذا سللتَه، فهو من الأضداد.

(١) هَدَرٌ، أي: باطل لا يؤخذ بثأر.

(٢) يَظعَن: يرحل.

(٣) نخلة اليمانية: شرق مكة، وتبعد عنها قرابة ٧٥ كم، وعن الطائف قرابة ٦٠ كم.

وقَرْن: هو قرن المنازل، وهو ما يعرف اليوم باسم السيل الكبير، وهو على طريق الطائف من مكة المارّ بنخلة اليمانية، يبعد عن مكة ٨٠ كم، وعن الطائف ٥٣ كم.

ومُليح: وادٍ يصبّ في وادي قرن، شمال الطائف على قرابة ٣٠ كم.

وبَحْرة الرُّغاء بطرف لِيّة من الجنوب، ولِيّة: وادٍ من أودية الطائف كثير المياه والزرع يمرّ على قرابة ١٥ كم جنوب الطائف.

(٤) هذا خبر مرسل ضعيف، فعمرو بن شعيب من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٨٣ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

ورواه أبو عمرو الأوزاعي عن عمرو بن شعيب عند أبي داود (٤٥٢٢) بلفظ: قتل رسول الله ﷺ بالقَسامة رجلاً من بني نصر بن مالك ببَحْرة الرُّغاء على شطّ ليّة البَحْرة، فقال: القاتل =

وأمَرَ رسولُ الله ﷺ وهو بلِيّةَ بحِصْن مالك بن عوفٍ فهُدِمَ، ثمّ سَلَكَ في طريقٍ يقال لها: الضَّيقةُ، فلمّا تَوجَّهَ فيها رسولُ الله ﷺ سأَل عن اسمها فقال: «ما اسمُ هذِه الطَّريقِ؟» فقيل: الضَّيقةُ، فقال: «بل هي اليُسرَى»، ثمّ خرج منها على نَخْبٍ[1] حتّى نَزَلَ تحت سِدْرةٍ يقال لها: الصّادِرةُ، قريباً من مالِ رجلٍ من ثقيفٍ، فأرسَلَ إليه رسولُ الله ﷺ: إمّا أن تخرجَ وإمّا أن نُخرِبَ عليك حائطَك، فأَبى أن يخرجَ، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بإخرابه[2].

ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ قريباً من الطّائف، فضَرَبَ به عسكرَه فقُتِلَ به ناسٌ من أصحابه بالنَّبْل، وذلك أنّ العسكرَ اقترَبَ من حائطِ الطّائف، فكانت النَّبلُ تَنالُهم، ولم يَقدِرِ المسلمون على أن يَدخُلوا حائطَهم، أغلَقُوه دونَهم، فلمّا أُصيبَ أُولئك النَّفرُ من أصحابه بالنَّبل، وَضَعَ عسكرَه عند مسجدِه الذي بالطّائفِ اليومَ، فحاصَرَهم بِضْعاً وعشرين ليلةً.

قال ابن هشام: ويقال: سبعَ عشرةَ ليلةً[3].

= والمقتول منهم؛ يعني كلاهما من بني نصر بن مالك، وهم من هوازن.

وقال موسى بن عقبة في «مغازيه» كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ١٥٧ قال: وزعموا أن رسول الله ﷺ حين انصرف إلى الطائف أمَرَ بقصر مالك بن عوف فحُرق، وأقاد بها رجلاً من رجل قتله، ويقال: إنه أوّل قتيل أُقيد في الإسلام.

(١) نخب: وادٍ صغير يمرّ جنوب الطائف على قرابة ٥ كم.

(٢) الظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذا من تتمّة خبر عمرو بن شعيب، وقد ساق نحوه الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٢٤-٩٢٥ عن عبد الله بن يزيد الهُذلي عن سعيد بن عمرو الهُذلي، وسعيد هذا مجهول لا يُعرَف.

(٣) وروي نحو هذا عن أبي عبيدة بن الجرّاح عند البيهقي في «السنن» ٩/ ٨٤، لكن تفرّد به هشام بن سعد، وفيه لِينٌ. =

= وقال الواقدي ٣/ ٩٢٧: قد اختُلف علينا في حصاره، فقال قائل: ثمانية عشر يوماً، وقال قائل: تسعة عشر يوماً، وقال قائل: خمسة عشر يوماً.

واختار ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٤٥ بأن الحصار كان ثمانية عشر يوماً، وإلى نحو هذا جنح ابن حزم في «جوامع السيرة» ص٢٤٣ حيث صحّح أنه كان بِضعَ عشرةَ ليلة.

وروى الأوزاعيُّ عن يحيى بن أبي كثير عند أبي داود في «المراسيل» (٣٣٦): أن النبي ﷺ حاصرهم شهراً.

ووقع في حديث السُّميط عن أنس بن مالك عند أحمد (١٢٦٠٨) ومسلم (١٠٥٩)(١٣٦): أن مدّة حصارهم كانت أربعين ليلة، وفيه أيضاً: أن تَعداد جيش المسلمين عند خروجه إلى حنين والطائف كان ستة آلاف، وهذان الحرفان استغربهما في هذا الحديث الحافظ ابنُ كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ٩١، قلنا: وعلّة هذه الغرابة هو السُّميط راوي الخبر عن أنس، فإن هذا الرجل مستور الحال، وإنما ساق له مسلم هذا الحديث في الشواهد وليس احتجاجاً به، كما هي عادةُ مسلمٍ في أمثاله من الرواة.

وروى ابن سعد ٢/ ١٤٦، وأبو داود في «المراسيل» (٣٣٥) من طريق سفيان الثوري، عن ثور ابن يزيد، عن مكحول مرسلاً: أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوماً. وهو ضعيف لإرساله. وروى منه قصة نصب المَنجَنيق فقط الترمذيُّ بإثر الحديث (٢٧٦٢) من طريق عمر بن هارون عن ثورٍ، لم يذكر فيه مكحولاً، وعمر بن هارون هذا فالجمهور على تضعيفه، وبعضهم ترك حديثه.

وقصة نصب المنجنيق على الطائف قد أنكرها يحيى بنُ أبي كثير فيما رواه عنه الأوزاعيُّ عند أبي داود في «المراسيل» (٣٣٦)، قال الأوزاعي: قلت له: أبلَغَك أنه رماهم بالمجانيق؟ فأنكر ذلك قال: ما يُعرَف هذا.

ورواها العُقيلي في «الضعفاء» (٧٥٠)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٨٣٨) مسندةً عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب، لكن في إسنادها إليه عبدُ الله بن خِراش، وهو متفق على ضعفه، واتهمه بعضهم بالكذب، فقد ذكر الرامهرمزي في «المحدّث الفاصل» ص٣١٦-٣١٧ أن عليَّ ابن المديني سمع من ابن خراش هذا الحديث، قال ابن المديني: فعلمتُ أنه كذّاب. =

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة، فَضَرَبَ لهما قُبّتَينِ ثمّ صلَّى بين القُبّتين، ثمّ أقامَ، فلمّا أسلَمَت ثقيفٌ بَنَى على مُصلَّى رسول الله ﷺ عمرُو بن أُميّة بن وهب بن مُعتِّب بن مالكٍ مسجداً، وكانت في ذلك المسجد ساريةٌ فيما يَزعُمون لا تَطلُعُ الشّمسُ عليها يوماً من الدَّهر إلّا سُمِعَ لها نَقيضٌ[1]، فحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً، وتَرامَوْا بالنَّبْل.

قال ابن هشام: ورَمَاهم رسولُ الله ﷺ بالمَنجَنيقِ، حدّثني مَن أَثِقُ به: أنّ رسولَ الله ﷺ أوّلُ مَن رَمَى في الإسلام بالمَنجَنيقِ، رَمَى أهلَ الطّائف[2].

قال ابن إسحاق: حتّى إذا كان يومُ الشَّدْخة[3] عند جدارِ الطّائف، دخل نَفَرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دَبّابةٍ ثمّ زَحَفوا بها إلى جدارِ الطّائفِ ليَخرِقُوه[4]، فأرسَلَت عليهم ثقيفٌ سِكَكَ[5] الحديدِ مُحْماةً بالنار، فخَرَجوا من تحتها، فرَمَتهم ثقيفٌ بالنَّبْلِ فقتلوا منهم رجالاً، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بقَطْعِ أعنابِ ثقيف، فوَقَعَ

= وذكرها هشام بن سعد في حديث أبي عبيدة بن الجرّاح عند البيهقي المذكور في بداية التعليق، لكن نقل البيهقي عن أبي قِلابة الرَّقَاشي راوي الخبر أنه قال: كان يُنكَر عليه هذا الحديث. قال البيهقي: فكأنه كان يُنكَر عليه وصلُ إسناده، ويحتمل أنه إنما أُنكر رميُهم يومئذٍ بالمجانيق.

وذكرها أيضاً الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٢٧ عن شيوخه: أن النبي ﷺ نصب عليهم المنجنيق، وزعم أن الذى أشار به سلمانُ الفارسيُّ. وهذا شيء تفرّد به الواقديُّ، وهو متكلَّم فيه.

وخلاصة القول: أن قصة رَمْي النبيِّ ﷺ الطائفَ بالمنجنيق لا تصحُّ ولا تَثبُت.

(١) النَّقيض: الصوت.

(٢) تقدم في التعليق السابق أنه لم يصحَّ شيءٌ في قصة رميهم بالمنجنيق.

(٣) سُمّي بذلك لما شُدِخَ فيه من الناس، والشَّدخ: كسرُ الشيء.

(٤) وفي بعض النسخ: ليحرِّقوه.

(٥) السِّكة: أداة يُحرَث بها الأرض.

الناسُ فيها يَقطَعُون.

وتَقدَّمَ أبو سفيانَ بن حَرْبٍ والمغيرةُ بن شُعْبَةَ إلى الطّائف، فنادَيا ثقيفاً: أن آمِنُونا حتّى نُكلِّمَكم، فآمَنُوهما، فدَعَوَا نساءً من نساءِ قُريشٍ وبني كِنانةَ ليَخرُجنَ إليهما، وهما يخافانِ عليهِنَّ السِّباءَ، فأَبَينَ، منهنَّ آمنةُ بنتُ أبي سفيانَ كانت عند عُرْوة بن مسعود، له منها داودُ بن عُرْوة.

قال ابن هشام: ويقال: إنّ أمَّ داودَ ميمونةُ بنتُ أبي سفيان، كانت عند أبي مُرَّة ابن عُرْوة بن مسعودٍ فوَلَدَت له داودَ بن أبي مُرَّة.

قال ابن إسحاق: والفِرَاسيّةُ بنتُ سُوَيد بن عمرو بن ثَعْلبة، لها عبدُ الرَّحمن بن قاربٍ، والفُقَيميّةُ أُمَيمةُ بنتُ النّاسِئِ أُميّةَ بن قَلَعٍ، فلمّا أَبَينَ عليهما، قال لهما ابنُ الأسوَد بن مسعود: يا أبا سفيانَ ويا مغيرةُ، ألا أدُلُّكما على خيرٍ ممّا جئتُما له، إنّ مالَ بني الأسوَد بن مسعودٍ حيثُ قد عَلِمتُما ـ وكان رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ الطّائف نازلاً بوادٍ يقال له: العَقِيقُ[1] ـ إنّه ليس بالطّائفِ مالٌ أبعدُ رِشاءً ولا أشدُّ مَؤُونةً[2] ولا أبعدُ عِمارةً من مال بني الأسوَد، وإنّ محمّداً إن قَطَعَه لم يُعمَرْ أبداً، فكَلِّماه فليأخُذْه لنفسه أو ليدَعْه لله والرَّحِم، فإنّ بيننا وبينه من القَرَابة ما لا يُجهَلُ[3]. فزَعَموا أنّ

(١) وهو وادٍ شمال الطائف، وقد دخل اليوم في عمرانها.

وكان نزول رسول الله ﷺ هذا الوادي عند انسحابه عن الطائف، أما عُظْم حصاره لها فكان من جهة الشرق والجنوب، وانظر «معجم المعالم الجغرافية» لعاتق البِلاديّ ص٢١٣-٢١٤.

(٢) الرِّشاء: الحبل الذي يُربط به الدّلو، يريد أن ماءها بعيد القعر. والمَؤونة: القُوت، يريد أن جلب القُوت منها شديد ثقيل لبُعدها.

(٣) يذكر بعض أهل النسب أن الجدّة الخامسة للنبي ﷺ أو مَن دونها من جهة أمّه آمنة كانت من ثقيف، انظر «الطبقات» لابن سعد ١/ ٤١، و«المعارف» لابن قتيبة ص١٣١، و«الروض =

رسول الله ﷺ تَرَكَه لهم.

وقد بَلَغَني: أنّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي بكرٍ الصِّدِّيق وهو محاصرٌ ثقيفاً: «يا أبا بكرٍ، إنِّي رأيتُ أنِّي أُهدِيَتْ لي قَعْبةٌ[1] مَملُوءَةٌ زُبْداً، فنَقَرَها دِيكٌ فهَرَاقَ[2] ما فيها» فقال أبو بكرٍ: ما أظُنُّ أن تُدرِكَ منهم يومَك هذا ما تريدُ، فقال رسول الله ﷺ: «وأَنا لا أُرَى ذلكَ»[3].

ثمّ إنّ خُوَيلةَ بنتَ حَكِيم بن أُميّة بن حارثة بن الأَوقَصِ السُّلَميّة، وهي امرأةُ عثمانَ بن مظعونٍ، قالت: يا رسولَ الله، أَعطِني إن فَتَحَ اللهُ عليك الطّائفَ حُلِيَّ بادِيَةَ بنتِ غَيْلانَ بن سَلَمة، أو حُلِيَّ الفارعةِ بنتِ عَقيلٍ، وكانتا من أَحلَى نساءِ ثقيفٍ[4].

فذُكِرَ لي: أنّ رسولَ الله ﷺ قال لها: «وإن كانَ لم يُؤذَنْ لي في ثَقيفٍ يا خُوَيلةُ؟!» فخرجت خُوَيلةُ فذَكَرَت ذلك لعمرَ بن الخَطّاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حديثٌ حدَّثَتنيهِ خُوَيلةُ زَعَمَت أنّك قُلتَه؟ قال: «قد قُلْتُه» قال: أوَما أُذِنَ فيهم يا رسولَ الله؟ قال: «لا» قال: أفلا أُؤذِّنُ بالرَّحيل؟ قال: «بَلَى» قال: فأذَّنَ عمرُ بالرَّحيل[5].

= الأنف» للسهيلي ١/ ٤٤٠.

(١) القَعْبة: القَدَح.

(٢) أي: أراقَ وأسالَ.

(٣) ضعيف لإعضاله، فهو من بلاغات ابن إسحاق التي لم تتصل بإسناد.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٨٤-٨٥، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٦٩ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وذكره الواقديُّ أيضاً في «مغازيه» ٣/ ٩٣٦ بلا إسناد.

(٤) أي: من أكثر نساء ثقيف حليّاً.

(٥) روى نحو هذا ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٥٠٨ عن عبد الوهاب الثقفي، عن عبد الله =

فلمّا استَقلَّ الناسُ[1] نادى سعيدُ بن عُبيد بن أَسِيد بن أبي عمرو بن عِلَاجٍ: ألا إنّ الحيَّ مُقيمٌ، قال: يقول عُيَينةُ بن حِصْن: أجَلْ والله، مَجَدةً كِراماً؛ فقال له رجلٌ من المسلمين: قاتَلَك اللهُ يا عُيَينةُ، أتمدَحُ المشركين بالامتِناع من رسول الله ﷺ وقد جئتَ تَنصُرُ رسولَ الله ﷺ؟! فقال: إنّي والله ما جئتُ لأُقاتلَ ثقيفاً معكم، ولكنّي أردتُ أن يَفتَحَ محمّدٌ الطّائفَ فأُصيبَ من ثقيفٍ جاريةً أتَّطِئُها، لعلَّها تَلِدُ لي رجلاً، فإنَّ ثقيفاً قومٌ مَناكِيرُ[2].

ونَزَلَ على رسول الله ﷺ في إقامتِه ممّن كان مُحاصَراً بالطّائف عَبيدٌ فأسلموا، فأعتَقَهم رسولُ الله ﷺ.

= ابن عثمان بن خُثَيم، عن أبي الزُّبير المكّي مرسلاً: أن خولة جاءت النبيّ ﷺ فقالت: إني نبِّئت أن بنت خُزاعة ذات حليّ، فنفِّلني حليَّها إن فتح الله عليك الطائفَ غداً، قال: «إن لم يكن أُذِنَ لنا في قتالهم؟!» فقال رجل ـ نُراه عمر ـ: يا رسول الله، ما مُقامُك على قوم لم يُؤذَن لك في قتالهم! قال: فأذّن في الناس بالرحيل. ورجاله لا بأس بهم إلا أنه مرسلٌ.

وبمعناه رواه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٦٨ من طريق عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود يتيم عروة، عن عروة بن الزبير مرسلاً أيضاً. وذكر فيه: أن خولة ـ أو خويلة ـ بنت حكيم كانت مع زوجها في الجيش. وزوجها هذا المذكور هنا هو غير عثمان بن مظعون قطعاً، فعثمانُ كان قد مات بعد بدرٍ.

وأخرج أحمد (٤٥٨٨)، والبخاري (٤٣٢٥)، ومسلم (١٧٧٨) من حديث عبد الله بن عُمر ـ وعند مسلم: ابن عَمْرو، والصواب: ابن عُمر ـ قال: لمّا حاصر رسولُ الله ﷺ الطائف فلم يَنَلْ منهم شيئاً، قال: «إنّا قافلون إن شاءَ الله»، فثَقُلَ عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحُه! فقال: «اغدُوا على القتال»، فغَدَوْا فأصابهم جِراحٌ، فقال: «إنّا قافلون غداً إن شاء الله»، فأعجَبَهم، فضحك النبيُّ ﷺ.

(١) أي: مَضَوا وارتحلوا. وسعيدٌ المنادي من ثقيف.

(٢) مناكير، أي: ذوو دهاء وفِطْنة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ، عن عبدِ الله بن مُكدَّمٍ[1]، عن رجالٍ من ثَقيفٍ قالوا: لمّا أسلمَ أهلُ الطّائفِ تَكلَّمَ نَفَرٌ منهم في أُولئك العَبيدِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا، أُولئكَ عُتَقاءُ الله»، وكان ممّن تكلَّمَ فيهم الحارثُ بن كَلَدةَ[2].

---

(١) هكذا هي بالدّال في نسخنا الخطية غير (غ) و(ف) ففيهما: مكرم، بالراء، وقيّده بالوجه الأول ابنُ حجر في «تبصير المنتبه» ٤/ ١٣١٤ وذكر رواية ابن إسحاق له في «السيرة»، وذكر البخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ٢١١، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ١٨١، وابن حبان في «الثقات» ٧/ ٥٥: عبد الله بن مكرم، بالراء، وذكروا أنه روى عن عبد الله بن قارب الثقفي، فالظاهر أنه هو نفسه، ومهما يكن من أمرٍ فإن هذا الرجل مجهول لا يُعرَف.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق وجهالة عبد الله بن المكدم كما سبق.

وأخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٠٧١) من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه يونسُ بن بكير عند البيهقيّ في «السنن» ٩/ ٢٢٩ عن ابن إسحاق عن عبد الله بن المكدَّم الثقفي مرسلاً.

ويشهد له ما رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٦٨٢) عن معمر، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهديّ، عن أبي بَكْرة: أنه خرج إلى رسول الله ﷺ وهو محاصرٌ أهلَ الطائف بثلاثة وعشرين عبداً، فأعتقهم رسول الله ﷺ، فهم الذين يقال لهم: العُتَقاء. وإسناده صحيح.

وعلّقه البخاري (٤٣٢٧) من طريق معمر، عن عاصم، عن أبي عثمان: أن أبا بَكْرة نزل إلى النبي ﷺ ثالثَ ثلاثةٍ وعشرين من الطائف. ووصله (٤٣٢٦) من طريق شعبة عن عاصم عن أبي عثمان: أن أبا بكرة كان تسوَّر حصنَ الطائف في أُناسٍ فجاء إلى النبي ﷺ.

ويشهد له أيضاً حديثُ ابن عباس عند أحمد (١٩٥٩)، قال: أعتق رسول الله ﷺ يوم الطائف مَن خرج إليه من عَبيدِ المشركين. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد.

وحديثُ الشَّعبي عن رجل من ثقيف عند أحمد أيضاً (١٧٥٣٠) قال: سألنا رسول الله ﷺ ثلاثاً فلم يرخِّص لنا... وسألناه أن يردَّ إلينا أبا بكرةَ، فأَبى، وقال: «هو طليقُ الله وطليقُ =

قال ابن هشامٍ: وقد سَمّى ابنُ إسحاق مَن نَزَلَ من أُولئك العَبيد[١].

قال ابن إسحاق: وقد كانت ثقيفٌ أصابَت أهلاً لمروانَ بن قيسٍ الدَّوْسيِّ، وكان قد أسلَمَ وظاهَرَ رسولَ الله ﷺ على ثقيفٍ، فزَعَمَت ثقيفٌ ـ وهو الذي تَزعُم به ثقيفٌ أنّها من قيسٍ ـ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال لمروانَ بن قيسٍ: «خُذْ يا مَرْوانُ بأَهلِكَ أوَّلَ رجلٍ من قَيسٍ تَلْقاهُ»، فلَقِيَ أُبيَّ بن مالكٍ القُشَيريَّ، فأخذَه حتّى يُؤدُّوا إليه أهلَه، فقامَ في ذلك الضَّحّاكُ بن سفيانَ الكِلَابيّ، فكلَّم ثقيفاً حتّى أَرسَلُوا أهلَ مروان، وأطلَقَ لهم أُبيَّ بن مالكٍ، فقال الضَّحّاكُ بن سفيانَ في شيءٍ كان بينَه وبينَ أُبيِّ بن مالك:

أتَنسى بَلَائي يا أُبيَّ بن مالكٍ ... غَداةَ الرّسولُ مُعرِضٌ عنك أَشوَسُ[٢]

يقودُك مروانُ بن قيسٍ بحَبلِه ... ذليلاً كما قِيدَ الذَّلُولُ المُخيَّسُ[٣]

فعادَت عليكَ من ثقيفٍ عِصابةٌ ... متى يأتِهمْ مُستقبِسُ الشّرِّ يُقبِسوا[٤]

فكانوا همُ المَولَى فعادَت حُلومُهم ... عليك وقد كادَت بك النّفسُ تيأَسُ[٥]

= رسوله»، وكان أبو بكرة خرج إلى النبي ﷺ حين حاصر الطائفَ فأسلمَ. ورجاله ثقات.

والحارث بن كَلَدة المذكور: هو الثقفيّ المتطبِّب، وكان أبو بكرةَ مملوكاً له.

(١) وذكر الواقديُّ في «المغازي» ٣/ ٩٣١-٩٣٢: أنهم كانوا بضعةَ عشرَ رجلاً وسمّاهم، وهذا خلاف ما ذكر أبو عثمان النهدي كما سبق: أنهم كانوا ثلاثة وعشرين.

وأشهرُ هؤلاء العبيد هو أبو بَكْرة نُفَيعٌ، وقد كان تدلَّى يوم الطائف من الحصن ببَكْرةٍ، وأتى إلى النبي ﷺ فأسلم، وكُني يومئذٍ بأَبي بكرة.

(٢) البلاء هنا: النّعمة. والأشوَس: الذي يُعرِض بنَظَره إلى جهة أخرى.

(٣) الذَّلُول: السَّهل من الدوابّ التي قد رُوِّضَت، والمخيَّس: المذلَّل.

(٤) مُستقبِس الشر: طالبه.

(٥) الحُلوم: العُقول.

قال ابن هشام: يُقبِسوا، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ مَن استُشهِدَ من المسلمين مع رسول الله ﷺ يومَ الطّائف:

من قُريشٍ، ثمّ من بني أُميّة بن عبد شمسٍ: سعيدُ بن سعيد بن العاصِ بن أُميّة، وعُرْفُطةُ بن جَنَابٍ حَليفٌ لهم من الأَسْدِ[1] بن الغَوْث.

قال ابن هشام: ويقال: ابنُ حُبَابٍ.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرَّة: عبدُ الله بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق، رُمِيَ بسهمٍ فمات منه بالمدينة بعدَ وفاةِ رسول الله ﷺ.

ومن بني مخزومٍ: عبدُ الله بن أبي أُميّة بن المغيرة، من رَمْيةٍ رُمِيَها يومَئذٍ.

ومن بني عَدِيّ بن كعبٍ: عبدُ الله بن عامر بن ربيعة، حليفٌ لهم.

ومن بني سَهْم بن عمرٍو: السّائبُ بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ، وأخوه عبدُ الله ابن الحارث.

ومن بني سعد بن ليثٍ: جُلَيحةُ بن عبد الله.

واستُشهِدَ من الأنصار: من بني سَلِمةَ: ثابتُ بن الجِذْع.

ومن بني مازن بن النَّجّارِ: الحارثُ بن سَهْل بن أبي صَعصَعة.

ومن بني ساعدةَ: المُنذِرُ بن عبد الله.

ومن الأَوسِ: رُقَيمُ بن ثابت بن ثَعْلبة بن زيد بن لَوْذانَ بن معاوية.

فجميعُ مَن استُشهِدَ بالطّائفِ من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عَشَرَ رجلاً، سبعةٌ من قُريش، وأربعةٌ من الأنصار، ورجلٌ من بني ليثٍ.

---

(١) وهي لغة في الأَزْد.

فلمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ عن الطّائفِ بعدَ القتالِ والحصارِ، قال بُجَيرُ بن زهير ابن أبي سُلْمَى يذكرُ حُنيناً والطّائفَ:

كانت عُلَالَـةُ[1] يـومَ بَطـنِ حُنيـنٍ ... وغَـداةَ أَوطـاسٍ ويـومَ الأبـرَقِ

جَمَعَـت بـإغواءٍ هـوازنُ جَمْعَهـا ... فتبَـدَّدوا كالطّـائرِ المُتَمـزِّقِ[2]

لـم يَمنَعـوا منّـا مَقامـاً واحـداً ... إلّا جِـدارَهُمُ وبَطـنَ الخنـدقِ

ولقـد تَعرَّضْـنا لكَيْمـا يَخرُجـوا ... فاستَحصَنُوا[3] منّا ببـابٍ مُغلَقِ

تَرتَـدُّ حَسْـرانا إلـى رَجْراجـةٍ ... شَـهْباءَ تَلمَـعُ بالمَنايـا فَيلَـقِ[4]

مَلمُومـةٍ خضـراءَ لـو قَـذَفوا بهـا ... حَضَـناً لَظَـلَّ كأنّـه لـم يُخلَـقِ[5]

---

(١) هكذا قُيِّدت في نسخنا الخطية بالضمِّ على أن كان تامّة، والعُلالة: جريٌ بعد جريٍ، أو قتالٌ بعد قتالٍ، وهي من العَلَل: وهو الشُّرب بعد الشّرب، وأراد به هنا معنى التَّكرار، وحذف التنوين من عُلالةٍ للضرورة الشعرية. وانظر «الروض الأنف» ٧/ ٢٧٧.

وأوطاس: وادٍ في ديار هوازن بين حنين والطائف. والأبرق: موضع، وأصله الجبل الذي فيه ألوان من الحجارة والرّمل.

(٢) بإغواءٍ: هو الغَيّ الذي هو خلاف الرّشد.

(٣) في (ش٢) و(ص) و(ط) و(ف) و(م): فتحصنوا.

(٤) حَسْرى: جمع حَسِير، و«نا» ضمير الجمع المتكلِّم، والحسير: هو المُعيي والكَليل، ويجوز أن يكون: جمع حاسر، وهو الذي لا درع عليه. والرَّجراجة: الكتيبة الضخمة، التي يموج بعضها في بعض، وهي من الرَّجرَجة، التي هي شدّة الحركة والاضطراب. والفيلق: الجيش الكثير الشديد.

(٥) ملمومة: مُجتمِعة. وخضراء، أي: سوداء لما يَعلُوها من الحديد، والعرب تجعل الأسود أخضر فتقول: ليل أخضر. وحَضَن: جبل شمال وادي تربة شرق الطائف، من أشهر جبال نجدٍ، وهو أول حدّها من جهة الحجاز.

مَشْيَ الضِّرَاءِ على الهَرَاسِ كأنّنا فُـدُرٌ تَفـرَّقُ في القِيـادِ وتَلتَقـي[1]

في كـلِّ سـابغةٍ إذا ما استُحصِنَت كـالنِّهي هَبَّتْ ريحُـه المُتَرَقـرِقِ[2]

جُـدُلٌ تَمَـسُّ فُضـولُهنَّ نِعالَنـا مـن نَسـجِ داودٍ وآلِ مُحـرِّقِ[3]

أمرُ أموال هوازنَ وسَبَاياها وعطايا المؤلَّفة قلوبُهم منها

وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ حين انصَرَفَ عن الطّائفِ على دَحْنا حتّى نَزَلَ الجِعْرانةَ[4] فيمن معه من الناس، ومعه من هوازنَ سَبْيٌ كثيرٌ، وقد قال له رجلٌ من أصحابه يومَ ظَعَنَ[5] عن ثقيفٍ: يا رسولَ الله، ادعُ عليهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللّهمَّ اهْدِ ثَقيفاً وأْتِ بهم»[6].

---

(١) الضِّرَاء: الكلاب الضارية، أو الأسود الضارية، أي: المتعوِّدة على الصيد. والهَرَاس: نبات له شوك، والضِّراء إذا مشت في الهَرَاس ابتغت لأيديها موضعاً ثم تضع أرجلها في موضع أيديها، شبَّه الخيلَ بها، قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٧٧.

والفُدُر: الوُعُول المسنّة، واحدها: فادرٌ، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤١٠: ومن رواه بالقاف ـ كما في نسخ (غ) و(ف) و(م) ـ فيعني خيلاً تجعل أرجلها في موضع أيديها إذا مشت.

(٢) السابغة: الدرع الكاملة. والنِّهي: الغدير من الماء. والمترقرق: المتحرّك.

(٣) جُدُل: جمع جَدْلاء، وهي الدرع الجيّدة النَّسج. وداود: المراد به داود النبيّ عليه السلام. وآل محرِّق: يعني آل عمرو ابن هندٍ ملك الحيرة.

(٤) الجِعْرانة: موضع فيه ماء عَذْب يقع شمال شرقيّ مكة على قرابة ٢٠ كم، وإلى الجنوب منها باتجاه الطائف تقع دَحْنا: وهي أرضٌ فلاةٌ عذبة طيّبة الهواء شمال الطائف على بعد ٢٤ كم تقريباً، وانظر «معجم معالم الحجاز» للبِلاديّ ص٦١١.

(٥) أي: رحل.

(٦) حديث قويّ. =

ثمّ أَتاه وفدُ هوازنَ بالجِعْرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سَبْيِ هوازنَ ستّةُ آلافٍ من الذَّرَاريِّ والنّساءِ[1]، ومن الإبلِ والشّاءِ ما لا يُدرَى ما عِدَّتُه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرُو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله بن عمرٍو: أنّ وفدَ هوازِنَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ وقد أسلَموا، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّا أصلٌ وعَشِيرةٌ[2]، وقد أصابَنا من البَلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، فامنُنْ علينا مَنَّ الله عليك.

قال: وقامَ رجلٌ من هوازِنَ ثمّ أحدِ بني سعد بن بكرٍ يقال له: زهيرٌ، يُكنَى أبا صُرَدٍ، فقال: يا رسولَ الله، إنّما في الحَظائرِ[3] عمّاتُك وخالاتُك وحَواضنُك[4] اللّاتي كُنَّ يَكفُلنَك، ولو أنّا مَلَحْنا للحارثِ بن أبي شَمِرٍ أو للنُّعمانِ بن المُنذِر[5]، ثمّ نَزَلَ

= فقد أخرج أحمد (١٤٧٠٢)، والترمذي (٣٩٤٢) ـ واللفظ له ـ من حديث عبد الله بن عثمان ابن خُثيم، عن أبي الزُّبير ـ وقرن به عند أحمد عبد الرحمن بن سابط ـ عن جابرٍ قال: قالوا: يا رسول الله، أحرَقَتنا نِبالُ ثقيف، فادعُ الله عليهم، قال: «اللهمَّ اهدِ ثقيفاً». وإسناده قوي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) روى هذا في عدد سبي هوازن ابنُ شهاب الزهري عن سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير فيما رواه ابن زنجويه في «الأموال» (٤٨٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٥١٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٩٣.

(٢) أي: قبيلة عظيمة من قبائل العرب.

(٣) الحظائر: جمع حَظِيرة، وهي الموضع الذي يُحاط عليه بشيء كالخشب أو القصب أو نحوهما.

(٤) حواضنك: يعني اللاتي أرضعنَ النبي ﷺ، وقد كانت حاضنتُه حليمة من بني سعد بن بكر من هوازن.

(٥) مَلَحْنا، أي: أرضعنا، والملح ـ بكسر الميم وفتحها ـ: الرَّضاع. والحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك الشام من العرب، والنعمان بن المنذر ملك العراق من العرب.

منّا بمِثْلِ الذي نزلتَ به، رَجَوْنا عَطْفَه وعائدتَه علينا[1]، وأنت خيرُ المكفولِينَ.

قال ابن هشام: ويُروَى: ولو أنّا مالَحْنا[2] الحارثَ بن أبي شَمِرٍ أو النُّعمانَ بن المُنذِر.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرو بن شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه عبدِ الله بن عمرٍو قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «أبناؤُكم ونِساؤُكم أحَبُّ إليكُم أمْ أموالُكُم؟» فقالوا: يا رسولَ الله، خَيَّرتَنا بين أموالِنا وأحسابِنا، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا، فهو أَحَبُّ إلينا، فقال لهم: «أمَّا ما كانَ لي ولبَنِي عبدِ المُطَّلِبِ، فهو لَكُم، وإذا ما أَنا صَلَّيتُ الظُّهرَ بالنّاسِ، فقُومُوا فقولوا: إنَّا نَستَشفِعُ برسولِ الله إلى المسلمينَ، وبالمسلمينَ إلى رسولِ الله في أبنائِنا ونِسائنا، فسأُعطِيكُم عندَ ذلكَ وأَسأَلُ لكم».

فلمّا صَلَّى رسولُ الله ﷺ بالناسِ الظُّهرَ قامُوا فتكلَّموا بالّذي أمَرَهم به، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا ما كانَ لي ولبَنِي عبدِ المُطَّلِبِ، فهو لَكُم»، فقال المهاجرونَ: وما كان لنا فهو لرسولِ الله، وقالت الأنصارُ: وما كان لنا فهو لرسولِ الله.

فقال الأقرَعُ بن حابسٍ: أمّا أنا وبنو تَمِيمٍ فلا.

وقال عُيَينةُ بن حِصْنٍ: أمّا أنا وبنو فَزَارةَ فلا.

وقال عبّاسُ بن مِرْداسٍ: أمّا أنا وبنو سُلَيمٍ فلا، فقالت بنو سُلَيم: بَلَى، ما كان لنا فهو لرسولِ الله، قال: يقول عبّاسٌ لبني سُلَيمٍ: وَهَّنتُموني[3].

فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا مَن تَمَسَّكَ منكم بحَقِّه من هذا السَّبْيِ، فله بكلِّ إنسانٍ

---

(١) عائدته، أي: فضله.

(٢) من المُمالَحة، ويجوز أن تكون المُراضَعة والمُواكَلة.

(٣) وهّنتموني، أي: أضعفتموني.

ستُّ فَرَائضَ[1] من أوَّلِ سَبْيٍ أُصِيبُه، فرُدُّوا إلى النّاسِ أبناءَهم ونِساءَهم»[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو وَجْزَةَ يزيدُ بن عُبيدٍ السَّعديّ: أنّ رسولَ الله ﷺ أعطَى عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه جاريةً يقال لها: رَيْطةُ بنتُ هلال بن حَيّانَ ابن عُمَيرة بن هلال بن ناصرة بن قُصَيّة[3] بن نَصْر بن سعد بن بكرٍ، وأعطى عثمانَ ابن عفّانَ جاريةً يقال لها: زينبُ بنتُ حَيّانَ بن عمرو بن حَيّان، وأعطى عمرَ بن الخَطّاب جاريةً، فوَهَبَها لعبد الله بن عمرَ ابنِه[4].

قال ابن إسحاق: فحدّثني نافعٌ مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمرَ قال: بَعَثتُ بها إلى أخوالي من بني جُمَحَ ليُصلِحوا لي منها ويُهيِّئوها حتّى أطوفَ بالبيتِ ثمّ آتيَهم، وأنا أريدُ أن أُصيبَها إذا رَجَعتُ إليها، قال: فخرجتُ من المسجد حين فَرَغتُ، فإذا النّاسُ يَشتَدُّونَ فقلت: ما شأنُكم؟ قالوا: رَدَّ علينا رسولُ الله ﷺ نساءَنا

---

(١) جمع فريضة: وهي المُسِنّة من الإبل.

(٢) إسناده حسن من أجل عمرو بن شعيب.

وأخرجه أحمد (٦٧٢٩) و(٧٠٣٧)، وأبو داود (٢٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦٤٨٢) و«المجتبى» (٣٦٨٨) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد له حديث عروة بن الزبير عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة بمعناه فيما أخرجه البخاري (٤٣١٨)، وأبو داود (٢٦٩٣).

(٣) هكذا في النسخ الخطية، وعلى حاشية (ش٢): فصية، بالفاء، وقد تقدم الكلام عليه ١/ ١٧٦، وتقدم هناك عند ابن إسحاق في هذا النسب: ملّان بن ناصرة، فذكر ابن هشام أنه يقال فيه: هلال بن ناصرة.

(٤) هذا الخبر إمّا مرسل أو معضل، فأبو وجزة من صغار التابعين، أو هو من أتباع التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٨٧، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٩٦ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وأبناءَنا، فقلت: تِلكُم صاحبتُكم في بني جُمَحَ، فاذهبوا فخُذوها، فذهبوا إليها فأَخذوها[1].

قال ابن إسحاق: وأمّا عُيَينةُ بن حِصْن، فأَخذ عجوزاً من عجائزِ هوازِنَ، وقال حين أَخذَها: أَرى عجوزاً إنّي لَأحسَبُ لها في الحيِّ نَسَباً، وعسى أن يَعظُمَ فِداؤُها. فلمّا رَدَّ رسولُ الله ﷺ السَّبايا بستٍّ فرائضَ، أَبَى أن يَرُدَّها، فقال له زهيرٌ أبو صُرَدٍ: خُذْها عنك، فوالله ما فُوها ببارِد، ولا ثَدْيُها بناهِد، ولا بَطنُها بوالِد، ولا زوجُها بواجِد، ولا دَرُّها بماكِد[2]. فرَدَّها بستٍّ فرائضَ حين قال له زهيرٌ ما قال، فزَعَموا أنّ عُيَينة لَقِيَ الأقرَعَ بن حابسٍ فشَكَا إليه ذلك، فقال: إنّك والله ما أخذتَها بَيضاءَ

(١) الحديث بهذا السياق الذي فيه أن عمر وهب الجاريةَ لابنه عبد الله وأن عبد الله أراد أن يصيبها، فهذا حديث شاذٌّ، فقد خالف ابنَ إسحاق فيه من هو أوثق منه وأعلم بحديث نافع، وهو أيوبُ السَّختِياني، فلم يذكر شيئاً من ذلك كما سيأتي.

أما حديث ابن إسحاق، فأخرجه أحمد (٥٣٧٤) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأما حديث أيوب عن نافع، فقد أخرجه البخاري (٣١٤٤) ومسلم (١٦٥٦)(٢٨) - واللفظ له - قال: وكان رسول الله ﷺ قد أعطاه - يعني عمرَ - جاريةً من الخُمس، فلما أَعتق رسولُ الله ﷺ سبايا الناس سمع عمرُ بن الخطّاب أصواتهم يقولون: أعتَقَنا رسولُ الله ﷺ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أعتَقَ رسول الله ﷺ سبايا الناس، فقال عمر: يا عبدَ الله، اذهب إلى تلك الجارية فخلِّ سبيلَها.

وعند البخاري أنهما كانتا جاريتين، فذهب ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٥٦١ إلى الجمع بين هاتين الروايتين بناء على ما في خبر ابن إسحاق فقال: يُجمَع بينهما بأنّ عمر أعطى إحدى جاريتيه لولده عبد الله، والله أعلم.

(٢) بواجد، أي: بحزين؛ يريد أن زوجها لا يحزن عليها، لأنها عجوز. والدَّرّ: اللَّبن. والماكد: الغزير.

غَرِيرة، ولا نَصَفاً وَثِيرة[1].

وقال رسولُ الله ﷺ لوَفْدِ هوازنَ، وسألَهم عن مالك بن عوفٍ: «ما فَعَلَ؟» فقالوا: هو بالطّائفِ مع ثَقيفٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَخبِروا مالكاً أنَّه إنْ أَتاني مُسلِماً، رَدَدتُ عليه أهلَه ومالَه، وأَعطَيتُه مئةً من الإبلِ»؛ فأُتي مالكٌ بذلك، فخرج إليه من الطّائف[2].

وقد كان مالكٌ خافَ ثقيفاً على نفسه أن يَعلَموا أنّ رسولَ الله ﷺ قال له ما قال، فيَحبِسوه، فأمَرَ براحلتِه فهُيِّئَت له، وأمَرَ بفرسٍ له فأُتي به إلى الطّائف، فخرج ليلاً فجَلَسَ على فرسه، فرَكَضَه حتّى أَتى راحلتَه حيثُ أمَرَ بها أن تُحبَسَ فرَكِبَها، فلَحِقَ برسول الله ﷺ، فأدرَكَه بالجِعْرانةِ أو بمكّةَ، فرَدَّ عليه أهلَه ومالَه، وأعطاه مئةً من الإبل، وأسلَمَ فحَسُنَ إسلامُه، فقال مالكُ بن عوفٍ حين أسلمَ:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمِثلِهِ ... في النّاسِ كلِّهم بمِثلِ محمّدِ
أَوفَى وأَعطى للجَزيلِ إذا اجتُدِي ... ومتى تَشَأْ يُخبِرْكَ عمّا في غدِ
وإذا الكَتيبةُ عَرَّدَت أنيابُها ... بالسَّمهَريِّ وضربِ كلِّ مُهنَّدِ[3]

(١) الغَرِيرة: الصغيرة الغافلة. والنَّصَف: المتوسطة السنِّ من النساء. والوَثِيرة من النساء: السَّمينة الليِّنة.

(٢) لم يسنده ابن إسحاق ولم نقف عليه عند غيره مسنَداً.

ورواه كذلك عن ابن إسحاق إبراهيمُ بن سعد عند ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٤٠٩)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٠٢٣)، ومحمدُ بن سلمة عند الطبراني ١٩/ (٦٧٣). وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ١٩٨.

(٣) عرَّدَت أنيابُها: قويت واشتدّت. والسمهري: الرمح، منسوب إلى قرية سَمهَر من أرض الحبشة كما في «معجم البلدان» لياقوت ٥/ ٢٥٥. والمهنَّد: السيف مصنوع من حديد الهند.

فكأنّـه ليـثٌ علـى أشـبالِه   وَسْطَ الهَبَاءَةِ[1] خـادِرٌ في مَرصَـدِ

فاستَعمَلَه رسولُ الله ﷺ على مَن أسلَمَ من قومه وتلك القبائلِ ثُمَالةَ وسَلِمةَ[2] وفَهْمٍ، فكان يقاتلُ بهم ثَقيفاً، لا يخرجُ لهم سَرْحٌ إلّا أغارَ عليه، حتّى ضَيَّقَ عليهم، فقال أبو مِحجَن بن حَبيبِ بن عمرو بن عُمَيرٍ الثَّقَفيّ:

هابَتِ الأعـداءُ جانبَنـا   ثـمّ تَغزُونـا بنـو سَـلِمَهْ

وأَتانـا مالـكٌ بهـمِ   ناقضـاً للعهـدِ والحُرُمَـهْ

وأَتونـا في مَنازِلنـا   ولقـد كنّـا أُولِـي نَقِمَـهْ

---

(١) في «معجم الشعراء» للمرزباني ص٣٦١، و«الجليس الصالح» للمعافى بن زكريا ص٧٢٦: وسط الأباءة، وفسّرها المعافى بأنها الغَيْضة أو القطعة من القَصَب؛ يعني كالغابة، قلنا: وهذا أوجَهُ من ذكر الهباءة التي هي الغبرة تثور في الجوّ، فالأسد في الغالب إنما يوجد في أماكن الغابة.
والخادر: الأسد في عَرِينه، وهو حينئذ أشدّ ممّا يكون بأساً لخوفه على أشباله، يصفه بالقوّة.
والمَرصَد: المكان الذي يُرقَب ويُرصَد منه، يصفه باليَقَظة.
تنبيه: زاد بعد هذا الشعر في نسخة (غ) وحدها، وأشار ناسخها إلى أنه ثبت ببعض النسخ عنده دون بعضٍ: قال ابن هشام: جَدَوتُ: سألتُ، وجدوت: أعطيت الجَدَا، من العطاء مقصور، والجَدَاء من الغَناء ممدود، قال:

جَدَوتُ أُناساً مُكثِرينَ فما جَدَوا   ألَا اللهَ فاجدُوه إذا كنـتَ جاديا

وقال:

أغـرُّ كلونِ البـدرِ فـي كـل مُشهَـرٍ   من الناس نُعمَى يجتديها وإصبعُ

قلنا: المُشهَر: المُشتهِر، والإصبعُ هنا: الأثر الحسن.

(٢) هكذا قُيِّدَت في أكثر نسخنا الخطية بكسر اللام، وهي كذلك عند السهيليّ كما ذكر في «الروض» ٧/ ٢٨٥ قال: هكذا تقيّد في النسخة بكسر اللام، والمعروف في قبائل قيس: سَلَمة، بالفتح، إلا أن يكونوا من الأَزد، فإن ثُمالةَ المذكورين معهم حيٌّ من الأَزد، وفَهْم من دَوْس، وهم من الأَزد أيضاً.

قال ابن إسحاق: ولمّا فَرَغَ رسول الله ﷺ من رَدِّ سَبَايا حُنينٍ إلى أهلِها، رَكِبَ واتَّبَعَه الناسُ يقولون: يا رسولَ الله، اقسِمْ علينا فَيْئَنا من الإبل والغَنَم! حتّى ألجَؤُوه إلى شجرةٍ فاختَطَفَت عنه رِداءَه فقال: «أدُّوا عليَّ رِدَائي أيُّها النّاسُ، فواللهِ أَنْ لو كان لكم بعَدَدِ شَجَرِ تِهامةَ نَعماً، لَقَسَمتُه عليكم، ثمّ ما أَلفَيتُموني بَخيلاً ولا جَبَاناً ولا كَذَّاباً»، ثمّ قامَ إلى جنبِ بعيرٍ فأخَذَ وَبَرَةً من سَنامِه فجعلها بين إصبَعَيهِ ثمّ رَفَعَها، ثمّ قال: «أيُّها النّاسُ، واللهِ ما لي من فَيْئِكم ولا هذِه الوَبَرةُ إلّا الخُمُسُ، والخُمُسُ مَردُودٌ عليكم، فأَدُّوا الخِيَاطَ والمِخيَطَ[1]، فإنَّ الغُلُولَ يكونُ على أَهلِه عاراً وناراً وشَنَاراً[2] يومَ القيامةِ».

قال: فجاءَ رجلٌ من الأنصارِ بكُبَّةٍ من خُيوطِ شَعَرٍ فقال: يا رسولَ الله، أَخذتُ هذه الكُبَّةَ أعمَلُ بها بَرْذَعةَ بعيرٍ لي دَبِرٍ[3]، فقال: «أمَّا نَصِيبي منها فلَكَ» قال: أمَا إذ بَلَغَت هذا، فلا حاجةَ لي بها، ثمّ طَرَحَها من يدِه[4].

قال ابن هشام: وذكَرَ زيدُ بن أسلَمَ عن أبيه: أنّ عَقِيلَ بن أبي طالبٍ دخل يومَ حُنينٍ على امرأته فاطمةَ بنتِ شَيْبة بن ربيعة وسيفُه مُلتَطِخٌ دماً، فقالت: إنّي قد عَرَفتُ أنّك قد قاتلتَ، فماذا أَصبتَ من غنائمِ المشركينَ؟ فقال: دُونَكِ هذه الإبرةَ

(١) الخِيَاط: الخيط، والمِخيَط: الإبرة.

(٢) الغلول: الخيانة. والشَّنَار: أقبح العار.

(٣) البرذعة، بالذال والدال: كساءٌ يلقى تحت الرَّحل على ظهر البعير. ودَبِرٌ: من الدَّبَر، وهو الجرح الذي يكون في ظهر البعير.

(٤) هذا الخبر موصول بخبر ردّ سبايا هوازن المتقدم قريباً عند المصنف من روايته عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جدّه عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو إسناد حسن.

وأخرجه أحمد (٦٧٢٩)، وأبو داود (٢٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦٤٨٢) و«المجتبى» (٣٦٨٨) من طريق حماد بن سلمة، عن ابن إسحاق، بالإسناد المذكور.

تَخِيطينَ بها ثيابَك، فدَفَعَها إليها، فسمعَ مُنادِيَ رسول الله ﷺ يقول: مَن أخذَ شيئاً فليَرُدَّه حتّى الخِياطَ والمِخيَطَ، فرجع عَقِيلٌ فقال: ما أَرى إبرَتَك إلّا قد ذَهَبَت، فأَخذَها، فألقاها في الغنائم[1].

قال ابن إسحاق: وأَعطى رسولُ الله ﷺ المؤلَّفةَ قلوبُهم، وكانوا أشرافاً من أشرافِ النّاس، يَتألَّفُهم ويَتألَّفُ بهم قومَهم، فأَعطى أبا سفيانَ بن حَرْبٍ مئةَ بعير، وأَعطى ابنَه معاويةَ مئةَ بعير، وأَعطى حَكِيمَ بن حِزَامٍ مئةَ بعير، وأَعطى الحارثَ بن الحارثِ ابن كَلَدةَ أخا بني عبد الدّارِ مئةَ بعير.

قال ابن هشام: نُصَيرُ بن الحارثِ بن كَلَدة، ويجوزُ أن يكون اسمُه الحارثَ أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأَعطى الحارثَ بن هشامٍ مئةَ بعير، وأَعطى سُهَيلَ بن عمرٍو مئةَ بعير، وأَعطى حُوَيطِبَ بن عبد العُزَّى بن أبي قيسٍ مئةَ بعير، وأَعطى العلاءَ بن جاريةَ الثَّقَفيَّ حَلِيفَ بني زُهْرة مئةَ بعير، وأَعطى عُيَينةَ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدرٍ مئةَ بعير، وأَعطى الأقرَعَ بن حابسٍ التَّميميَّ مئةَ بعير، وأَعطى مالكَ بن عوفٍ النَّصْريَّ مئةَ بعير، وأَعطى صفوانَ بن أُميّةَ مئةَ بعير، فهؤلاءِ أصحابُ المِئِينَ.

وأَعطى دونَ المئةِ رجالاً من قُرَيش، منهم مَخرَمةُ بن نَوفَلٍ الزُّهْريّ، وعُمَيرُ بن وهبٍ الجُمَحيّ، وهشامُ بن عمرٍو أخو بني عامر بن لُؤَيّ، لا أَحفَظُ ما أعطاهم وقد عَرَفتُ أنّها دونَ المئةِ، وأَعطى سعيدَ بن يَربُوعِ بن عَنكَثةَ بن عامر بن مخزومٍ خمسينَ من الإبل، وأَعطى السَّهْميَّ خمسينَ من الإبل.

---

(١) ضعيف لإرساله، والمحفوظ فيه أنه من مرسل زيد بن أسلمَ لا من مرسل أبيه، هكذا رواه عن زيدٍ اثنانِ: معمرٌ عند أبي إسحاق الفزاري في «السير» (٤٧٠)، وابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٤٠، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٩٤٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤١/ ١٦، وهشامُ ابن سعدٍ عند ابن عساكر ٤١/ ١٧.

قال ابن هشام: واسمه عَدِيُّ بن قيسٍ.

قال ابن إسحاق: وأَعطى عبّاسَ بن مِرْداسٍ أباعرَ فسَخِطَها، فعاتَبَ فيها رسولَ الله ﷺ، فقال عبّاسُ بن مِرداسٍ يعاتبُ رسولَ الله ﷺ:

كانــــت نِهابـــاً تَلافَيتُهـــا بكَرِّي على المُهرِ في الأجـرَعِ[1]

وإيقــاظيَ القــومَ أن يَرقُــدوا إذا هَجَــعَ النّــاسُ لــم أَهجَــعِ[2]

فأصــبَحَ نَهْبــي ونَهــبُ العُبيــ ــدِ بــين عُيَينــةَ والأقــرَعِ[3]

وقـد كنـتُ في الحـربِ ذا تُـدرَأٍ فلــم أُعــطَ شــيئاً ولــم أُمنَــعِ[4]

إلَّا أفائـــــلَ أُعطِيتُهـــــا عَدِيـــدَ قوائمِهـــا الأربـــعِ[5]

ومــا كــان حِصــنٌ ولا حــابسٌ يَفُوقــانِ شَــيخِيَ في المَجمَــعِ[6]

ومـا كنـتُ دونَ امـرِئٍ منهمـا ومَـن تَضَـعِ اليـومَ لا يُرفَـعِ

قال ابن هشام: أنشدني يونسُ النَّحْويّ:

---

(١) كانت: يعني الإبل والماشية. والنِّهاب: جمع نَهْب، وهو ما يُنهَب ويُغنَم. والأجرع: المكان الواسع وفيه حُزونة.

(٢) هَجَعَ الناسُ، أي: رقدوا وناموا.

(٣) العُبيد: اسم فرس عبّاس بن مِرداس.

(٤) ذا تُدرَأ، أي: ذا هجومٍ واقتحامٍ. كما في «غريب الحديث» للخطّابي ٢/ ١٦.

(٥) الأفائل: الصِّغار من الإبل، الواحد: أَفِيلٌ. وعديد قوائمها: يريد بعدد قوائمها، وهو بذلك يستقلُّ عددها.

(٦) شيخي: يعني أباه مِرداساً، ومن قال: شَيخَيّ، فيعني أباه وجدَّه.

قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٤١٣: ورواه الكوفيون: يَفُوقان مِرداسَ، ويستشهدون به على ترك صرف ما ينصرف لضرورة الشِّعر، وقد ذكر ابنُ هشام أن يونس أنشده هكذا، ويونسُ ـ وهو ابن حبيب النحوي ـ من البصريِّين!

فمـا كـان حِصـنٌ ولا حـابسٌ يَفُوقـانِ مِـرداسَ في المَجمَـعِ

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اذهَبُوا به فاقطَعُوا عنِّي لِسانَه»، فأعطَوْه حتّى رضيَ، فكان ذلك قَطْعَ لسانِه الذي أمَرَ به رسولُ الله ﷺ[1].

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهلِ العلم: أنّ عبّاسَ بن مِرْداسٍ أَتى رسولَ الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أنتَ القائلُ: فأصبحَ نَهْبي ونَهْبُ العُبيدِ بينَ الأقرَعِ وعُيَينةِ؟» فقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ: بين عُيَينةَ والأقرَعِ، فقال رسول الله ﷺ: «هما واحدٌ»، فقال أبو بكر: أشهَدُ أنّك كما قال الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩][2].

---

(١) هذا الخبر مع قصة إعطاء النبي ﷺ ما أعطى هؤلاء الرَّهط، قد ذكر يونسُ بن بكير في روايته عن ابن إسحاق عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٨٢-١٨٣ أنه رواه عن عبد الله بن أبي بكر ابن حَزْم وغيره مرسلاً.

وخبر عباس بن مرداسٍ فقط رواه أيضاً موسى بن عقبة في «مغازيه» عن ابن شهاب الزهري مرسلاً فيما أخرجه الخطَّابي في «غريب الحديث» ٢/ ١٦.

ووقع في مرسل عروة بن الزبير عند ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ١٦١: أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً أن يقطع لسانه عنه بإعطائه حُلّةً. وهذا خبرٌ غريبٌ.

وأصل الخبر أخرجه مسلم (١٠٦٠) وابن حبان (٤٨٢٧) مسنَداً من حديث رافع بن خَدِيج قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوانَ بن أمية وعُيينةَ بن حصن والأقرعَ بن حابس، كلَّ إنسان منهم مئةً من الإبل، وأعطى عبّاسَ بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس... وذكر بعض أبيات شعره، ثم قال: فأتمَّ له رسول الله ﷺ مئةً. زاد في روايةٍ عند مسلم: وأعطى علقمةَ بن عُلَاثة (وهو من هوازن) مئةً.

(٢) خبر ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

وقد روى نحوه ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ١٦١ عن محمد بن عمر الواقدي عن عبد الرحمن ابن أبي الزِّناد مرسلاً. وهو ضعيف أيضاً لإرساله، والواقديُّ متكلَّم فيه.

قال ابن هشام: وحدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العلم في إسنادٍ له عن ابن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عُبيدِ الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن ابن عبّاسٍ قال: بايعَ رسولَ الله ﷺ من قُريشٍ وغيرِهم وأعطاه يومَ الجِعْرانةِ من غنائمِ حُنينٍ[1]:

من بني أُميّة بن عبد شمسٍ: أبو سفيانَ بن حَرْب بن أُميّة، وطُلَيقُ بن سفيانَ بن أُميّة، وخالدُ بن أُسَيد بن أبي العِيصِ بن أُميّة.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: شَيْبةُ بن عثمانَ بن أبي طلحة بن عبد العُزَّى بن عثمانَ بن عبد الدّار، وأبو السَّنابلِ بن بَعكَك بن الحارث بن عُمَيلة بن السَّبّاق بن عبد الدّار، وعِكْرمةُ بن عامر بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار.

ومن بني مخزومِ بن يَقَظةَ: زهيرُ بن أبي أُميّة بن المغيرة، والحارثُ بن هشام ابن المغيرة، وخالدُ بن هشام بن المغيرة، وهشامُ بن الوليد بن المغيرة، وسفيانُ بن عبد الأسَد بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، والسّائبُ بن أبي السّائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ.

ومن بني عَدِيٍّ بن كعبٍ: مُطِيعُ بن الأسوَد بن حارثة بن نَضْلة، وأبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانمٍ.

ومن بني جُمَحَ بن عمرٍو: صفوانُ بن أُميّة بن خَلَف، وأُحَيحةُ بن أُميّة بن خَلَف، وعُمَيرُ بن وَهْب بن خَلَف.

ومن بني سَهْم بن عمرٍو: عَدِيُّ بن قيس بن حُذَافة.

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: حُوَيطِبُ بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدٍّ، وهشامُ

---

(١) رجاله ثقات، ولولا الواسطة المبهمة بين ابن هشام والزهريِّ لاتصل الإسناد وصحَّ، ومع ذلك فقد قال ابن عبد البر في ترجمة السائب بن أبي السائب من «الاستيعاب» ص٣١١ وقد ساق بعضاً منه في قضية إسلام السائب: هذا أَولى ما عُوِّل عليه في هذا الباب.

ابن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبيِّبٍ.

ومن أفناءِ القبائل[1]:

من بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة: نَوفَلُ بن معاوية بن عُرْوة بن صَخْر بن رَزْنِ ابن يَعمَرَ بن نُفَاثة بن عَدِيّ بن الدِّيل.

ومن بني قيسٍ ثمّ من بني عامر بن صَعصَعة ثمّ من بني كِلَاب بن ربيعة بن عامر ابن صَعصَعة: عَلقَمةُ بن عُلَاثة بن عَوْف بن الأحوَص بن جعفر بن كِلابٍ، ولَبِيدُ بن رَبِيعة بن مالك بن جعفر بن كِلابٍ.

ومن بني عامر بن رَبِيعة: خالدُ بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صَعصَعة، وحَرمَلةُ بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرٍو.

ومن بني نَصْر بن معاوية: مالكُ بن عَوْف بن سعيد بن يَربُوع.

ومن بني سُلَيم بن منصورٍ: عبّاسُ بن مِرْداس بن أبي عامر، أخو بني الحارثِ ابن بُهْثة بن سُلَيمٍ.

ومن بني غَطَفان، ثمّ من بني فَزارة: عُيَينةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدرٍ.

ومن بني تَميمٍ، ثمّ من بني حَنظَلة: الأقرَعُ بن حابس بن عِقَالٍ، من بني مُجاشِعِ ابن دارِمٍ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارثِ التَّيْميُّ: أنّ قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه[2]: يا رسولَ الله، أعطَيت عُيَينةَ بن حِصْنٍ والأقرَعَ بن حابسٍ مئةً مئةً، وتَرَكتَ جُعَيلَ بن سُرَاقةَ الضَّمْريَّ[3]! فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَا

(١) أفناء القبائل: جماعة مجتمعة من قبائل شتَّى.

(٢) سمّاه الواقديُّ في روايته سعدَ بن أبي وقّاص.

(٣) ثم الغِفَاريّ، قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٢٩٠: نسب ابنُ إسحاق جُعيلاً إلى ضَمْرة، =

والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، لَجُعَيلُ بن سُرَاقةَ خيرٌ من طِلَاعِ الأرضِ[1] كلُّهم مِثلُ عُيَينةَ بنِ حِصْنٍ والأقرَعِ بنِ حابسٍ، ولكنِّي تألَّفتُهما ليُسلِما، ووَكَلْتُ جُعَيلَ بنَ سُرَاقةَ إلى إسلامِه»[2].

= وهو معدودٌ في غِفار، لأن غِفاراً هم بنو مُلَيل بن ضمرة من بني ليث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة.

(١) طِلاع الأرض: ما يَملؤُها حتى يَطلُعَ عنها ويسيل.

(٢) ضعيف لإرساله، فمحمد بن إبراهيم التيمي من صغار التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٩١، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ١/ ٤٥٦-٤٥٧، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٣٥٣ و«معرفة الصحابة» (١٦٨٥)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٨٣ من طرق عن ابن إسحاق، به.

وذكره الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٤٨ - وعنه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٣١ - بلا إسناد.

وفي معنى هذا الحديث دون تسمية الرجال المذكورين، حديثُ سعد بن أبي وقّاص عند البخاري (٢٧) و(١٤٧٨) ومسلم (١٥٠)، قال: أعطى رسول الله ﷺ رَهْطاً وأنا جالسٌ، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبُهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلانٍ، فوالله إنّي لأُراه مؤمناً! فقال: «أو مسلماً»، فسكتُّ قليلاً، ثم غَلَبَني ما أعلمُ منه فعُدْتُ لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلانٍ، فوالله إنّي لأراه مؤمنا! فقال: «أو مسلماً»، ثم غَلَبَني ما أعلمُ منه فعُدْتُ لمقالتي، وعاد رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «يا سعدُ، إنّي لأُعطي الرجلَ وغيرُه أحبُّ إليَّ منه، خشيةَ أن يَكُبَّه اللهُ في النار»

وحديثُ عمرو بن تَغلِبَ عند البخاري (٩٢٣) و(٣١٤٥) و(٧٥٣٥): أن رسول الله ﷺ أُتي بمالٍ أو سَبيٍ فقَسَمَه، فأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين تَرَكَ عَتَبُوا، فحمد اللهَ ثم أثنى عليه، ثم قال: «أمّا بعد، فوالله إني لأُعطي الرجلَ وأَدعُ الرجلَ، والذي أَدعُ أحبُّ إليَّ من الذي أُعطي، ولكن أُعطي أقواماً لما أَرى في قلوبهم من الجَزَع والهَلَع، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرُو بن تَغلِبَ»، فوالله ما أُحِبُّ أنّ لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو عُبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسرٍ، عن مِقسَمٍ أبي القاسم مولى عبدِ الله بن الحارث بن نَوفَلٍ قال: خرجتُ أنا وتَلِيدُ بن كِلابٍ اللَّيثيُّ حتّى أَتينا عبدَ الله بن عمرٍو بن العاصِ وهو يَطُوفُ بالبيتِ مُعلِّقاً نَعْلَه بيده، فقلنا له: هل حَضَرتَ رسولَ الله ﷺ حين كَلَّمَه التَّميميُّ يومَ حُنينٍ؟ قال: نعم، جاءَ رجلٌ من بني تَميمٍ يقال له: ذو الخُوَيصِرة، فوَقَفَ عليه وهو يُعطِي الناسَ فقال: يا محمّدُ، قد رأيتُ ما صَنَعتَ في هذا اليومِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أجَلْ، فكيفَ رأَيتَ؟» قال: لم أرَكَ عَدَلتَ! قال: فغَضِبَ النبيُّ ﷺ ثمّ قال: «وَيحَكَ، إذا لم يَكُن العَدْلُ عندي، فعندَ مَن يكونُ؟!» فقال عمرُ بن الخَطّاب: يا رسولَ الله، ألا نَقتلُه[1]؟ فقال: «لا، دَعُوه، فإنَّه سيكونُ له شِيعةٌ يَتعمَّقُونَ في الدِّينِ[2] حتَّى يَخرُجوا منه كما يَخرُجُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ، يُنظَرُ في النَّصْلِ[3] فلا يُوجَدُ شيءٌ، ثمَّ في القِدْحِ[4] فلا يُوجَدُ شيءٌ، ثمَّ في الفُوقِ[5] فلا يُوجَدُ شيءٌ، سَبَقَ الفَرْثَ[6] والدَّمَ»[7].

---

(١) في (غ): ألا أقتله.

(٢) أي: يتتبّعون أقصاه.

(٣) الرَّميّة: الشيء الذي يُرمَى، والمراد هنا الفَريسة التي تُصاد بالسهم. والنَّصل: حديد السّهم.

(٤) القِدْح: السَّهم.

(٥) الفُوق: طَرَف السَّهم الذي يباشر الوَتَر.

(٦) الفَرْث: ما يوجد في الكَرِش من الطعام.

(٧) حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد جيّد.

وأخرجه أحمد (٧٠٣٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخُدري عند البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

وآخر من حديث جابر عند مسلم (١٠٦٣)، وهو عند البخاري (٣١٣٨) مختصر جداً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن عليّ بن الحُسينِ أبو جعفرٍ بمثلِ حديث أبي عُبيدة، وسمّاه ذا الخُوَيصِرة[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيح عن أَبيه، بمثلِ ذلك.

قال ابن هشام: ولمّا أَعطى رسولُ الله ﷺ ما أَعطى في قُرَيشٍ وقبائلِ العرب، ولم يُعطِ الأنصارَ شيئاً، قال حسّانُ بن ثابتٍ يُعاتِبُه في ذلك:

زارَ الهُمومُ[2] فماءُ العَينِ مُنحدِرُ ... سَحّاً إذا حَفَّلَتْه عَبْرةٌ دَرِرُ

وَجْداً بشَمّاءَ إذ شَمّاءُ بَهكَنَةٌ ... هَيْفاءُ لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَرُ[3]

دَعْ عنكَ شَمّاءَ إذْ كانت مَودَّتُها ... نَزْراً وشَرُّ وِصالِ الواصِلِ النَّزَرُ[4]

وأْتِ الرّسولَ فقل: يا خيرَ مُؤتَمَنٍ ... للمؤمنينَ إذا ما عُدِّدَ البَشَرُ

عَلَامَ تُدعَى سُلَيمٌ وهْيَ نازِحةٌ ... قُدّامَ قومٍ هُمُ آوَوْا وهمْ نَصَروا[5]

---

(١) وكذلك جاء مسمًّى في حديث أبي سعيد الخدري في «الصحيحين».

(٢) هكذا في كافة نسخنا الخطية، وفي «ديوان حسان» ١/ ٢٦٥: زادت همومٌ، ويروى: زارت همومي.

والسَّح: الصَّبّ. وحَفَّلَته: جَمَّعَته، ومنه: المَحفِل، وهو مُجتمَع الناس. وعَبْرة: دمعة. ودَرِر: دارّةٌ سائلةٌ.

(٣) الوَجْد: المحبّة. وشمّاء: امرأة، وفي «الديوان»: شعثاء، في المواضع كلها. والبهكنة: الغضّة الشباب، وقال ابن الأعرابي: هي الجارية الخفيفة الطيّبة الرائحة المليحة الحُلْوة. وهيفاء: ضامرة الخَصْر. والذَّنَن: القذر وما يسيل من الأنف، ويروى: دَنَن، بالدال، ومعناه: قِصَر العنق وتطامنها، وهو عيبٌ، وفي نسخة على حاشية (غ): دَنَسٌ، وهي رواية «الديوان». والخَوَر: الضَّعف.

(٤) النَّزر: القليل.

(٥) نازحة، أي: بعيدة.

سَمّاهمُ الله أنصاراً بنَصرِهمِ ... دينَ الهُدَى وعَوَانُ الحربِ تَستعِرُ[1]

وسارَعُوا في سبيلِ الله واعتَرَفوا ... للنّائباتِ وما خامُوا وما ضَجِروا[2]

والناسُ أَلْبٌ علينا فيكَ ليس لنا ... إلّا السّيوفَ وأطرافَ القَنَا وَزَرُ[3]

نُجالِدُ الناسَ لا نُبقِي على أَحدٍ ... ولا نُضيِّعُ ما تُوحَى به السُّوَرُ[4]

ولا تَهِرُّ جُناةُ الحربِ نادِيَنا ... ونحنُ حينَ تَلَظَّى نارُها سُعُرُ[5]

كما رَدَدْنا ببَدرٍ دونَ ما طَلَبوا ... أهلَ النّفاقِ ففينا يُنزَلُ الظَّفَرُ

ونحنُ جُندُكَ يومَ النَّعْفِ من أُحدٍ ... إذ حَزَّبَت بَطَراً أحزابَها مُضَرُ[6]

فما وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَروا ... منّا عِثاراً وكلُّ الناسِ قد عَثَروا[7]

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن محمود بن لَبِيد، عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ قال: لمّا أَعطى رسولُ الله ﷺ ما أَعطى من تلك العَطَايا في قُريشٍ وفي قبائلِ العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ، وَجَدَ[8] هذا الحيُّ من الأنصارِ في

---

(١) الحرب العَوَان: هي التي قُوتل فيها مرةً بعد مرةٍ.

وتستعرُ، أي: تلتهب وتشتعل.

(٢) اعترفوا، أي: صبروا. والنائبات: ما ينزل بالإنسان من المُهمّات والحوادث. وما خامُوا، أي: ما جَبُنوا. وما ضَجِروا، أي: ما أصابهم حرجٌ ولا ضِيقٌ.

(٣) ألْبٌ، أي: مجتمعون. والوَزَر: المَلجأ.

(٤) نجالد الناس: نقاتلهم.

(٥) لا تهرّ: لا تكره. وجناة الحرب: الذين يخوضون غِمارها. ونادينا: مجلسنا. وتَلَظّى، أي: تشتعل. وسُعُر: نُوقِد الحرب ونشعلها.

(٦) النَّعف: أسفل الجبل. وحزَّبت: جمَّعت.

(٧) ما وَنِينا: ما ضَعُفنا وفتَرنا. وما خِمْنا: ما جبنّا.

(٨) الوَجْد هنا: الحزن والعَتَب.

أنفُسِهم حتّى كَثُرَت منهم القالَةُ[1]، حتّى قال قائلُهم: لَقِيَ واللهِ رسولُ الله قومَه! فدخل عليه سعدُ بن عُبَادة فقال: يا رسولَ الله، إنّ هذا الحيَّ من الأنصار قد وَجَدُوا عليك في أنفُسِهم لمَا صَنَعتَ في هذا الفَيْءِ الذي أَصبتَ، قَسَمتَ في قومِك وأعطيتَ عطايا عِظاماً في قبائلِ العرب، ولم يَكُ في هذا الحيِّ من الأنصار منها شيءٌ، قال: «فأينَ أنتَ من ذلكَ يا سعدُ؟» قال: يا رسولَ الله، ما أنا إلّا من قومي، قال: «فاجمَعْ لي قَومَكَ في هذِه الحَظِيرةِ[2]»، قال: فخرج سعدٌ فجَمَعَ الأنصارَ في تلك الحَظِيرة.

قال: فجاءَ رجالٌ من المهاجرين فتَرَكَهم فدَخَلوا، وجاءَ آخرون فرَدَّهم، فلمّا اجتَمَعوا له أتاه سعدٌ فقال: قد اجتَمَعَ لك هذا الحيُّ من الأنصار، فأتاهم رسولُ الله ﷺ فحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه ثمّ قال: «يا مَعشَرَ الأنصارِ، ما قالَةٌ بَلَغَتْني عنكم وجِدَةٌ[3] وَجَدتُموها في أنفُسِكم؟! ألمْ آتِكُم ضُلّالاً فهَدَاكُم اللهُ، وعالَةً[4] فأَغناكم الله، وأعداءً فألَّفَ اللهُ بين قُلوبِكم؟!»، قالوا: بلِ اللهُ ورسولُه أَمَنُّ[5] وأفضَلُ.

ثمّ قال: «ألا تُجِيبُوني يا مَعشَرَ الأنصارِ؟» قالوا: بماذا نُجِيبُك يا رسولَ الله، للهِ ولرسولِه المَنُّ والفضلُ، قال ﷺ: «أمَا واللهِ لو شِئتُم لَقلتُم فلَصَدَقتُم ولَصُدِّقتُم:

(١) القالة: الكلام والقول في الخير والشر، وقيل: القال والقالة في الشر خاصّة.

(٢) الحظيرة: موضع يُحاط عليه بشيء كالخشب أو القصب أو نحوهما، والمراد بها هنا الخيمة كما وقع في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٣٣١) ومسلم (١٠٥٩): أنه جمعهم في قُبّة من أَدَمٍ؛ أي: من جلود.

(٣) أي: عَتَبٌ.

(٤) عالة: جمع عائلٍ، وهو الفقير.

(٥) أمنُّ: من المِنّة، وهي النعمة.

أتيتَنا مُكَذَّباً فصَدَّقْناك، ومَخذُولاً فنَصَرْناك، وطَرِيداً فآوَيْناك، وعائلاً فآسَيْناك[1].

أوَجَدتُم يا مَعشَرَ الأنصارِ في أنفُسِكم في لُعَاعَةٍ[2] من الدّنيا تألَّفتُ بها قوماً ليُسلِموا، ووَكَلتُكم إلى إسلامِكم، ألا تَرضَوْنَ يا مَعشَرَ الأنصارِ أن يَذهَبَ النّاسُ بالشّاةِ والبعيرِ وتَرجِعُوا برسولِ الله إلى رِحَالِكم؟ فوالّذي نفسُ محمّدٍ بيدِه، لولا الهِجرةُ لكنتُ امرَأً من الأنصارِ، ولو سَلَكَ النّاسُ شِعْباً[3] وسَلَكَت الأنصارُ شِعْباً، لَسَلَكتُ شِعبَ الأنصارِ، اللّهمَّ ارحَمِ الأنصارَ وأبناءَ الأنصارِ وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ».

قال: فبَكَى القومُ حتّى أَخضَلُوا لِحاهُم[4]، وقالوا: رَضِينا برسولِ الله قَسْماً وحَظّاً. ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ وتفرَّقوا[5].

---

(١) المخذول: المتروك. وآسيناك، أي: أعطيناك حتى جعلناك كأَحدِنا.

(٢) اللُّعاعة: نبت ناعم في أول ما يبدو، شبّه به زهرة الدنيا ونعيمها.

(٣) الشِّعب: الطريق بين جبلين.

(٤) أخضلوا لحاهم، أي: بلُّوها بالدموع.

(٥) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١١٧٣٠) من طريق إبراهيم بن سعد، بهذا الإسناد.

وأخرجه مختصراً أحمد (١١٥٤٧) من طريق أبي صالح السَّمّان، و(١١٨٤٢) من طريق عطية العوفي، كلاهما عن أبي سعيد الخدري.

ويشهد له بنحوه حديث عبد الله بن زيد الأنصاري عند البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

وحديث أنس بن مالك عند البخاري (٤٣٣١)، ومسلم (١٠٥٩).

عمرةُ رسول الله ﷺ من الجِعرانة
واستخلافُه عَتّابَ بن أَسِيدٍ على مكّة
وحجُّ عتّابٍ بالمسلمين سنة ثمانٍ

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ من الجِعْرانةِ مُعتمِراً، وأمَرَ ببقايا الفَيْءِ فحُبِسَ بمَجَنّةَ بناحية مَرِّ الظَّهْران[1]، فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من عُمْرته انصَرَفَ راجعاً إلى المدينة، واستَخلَفَ عَتّابَ بن أَسِيدٍ على مكّة[2]، وخَلَّفَ معه معاذَ بن جبلٍ يُفقِّهُ الناسَ في الدِّين ويعلِّمُهم القرآنَ، واتُّبِعَ رسولُ الله ﷺ ببقايا الفَيْء.

قال ابن هشام: وبَلَغَني عن زيد بن أسلمَ أنّه قال: لمّا استَعمَلَ النبيُّ ﷺ عتّابَ ابن أَسيدٍ على مكّةَ، رَزَقَه كلَّ يومٍ دِرهَماً، فقامَ فخَطَبَ النّاسَ فقال: أيّها الناسُ، أجاعَ اللهُ كَبِدَ مَن جاعَ على دِرهَمٍ، فقد رَزَقَني رسولُ الله ﷺ دِرهماً كلَّ يومٍ، فليست بي حاجةٌ إلى أَحد[3].

---

(١) الجِعرانة: تقع شمال شرقيّ مكة على قرابة ٢٠ كم. ومَجَنّة: غير معروفة الآن، لكنها على وجه العموم تقع في محافظة الجموم شمال مكة على طريق المدينة القديم، ومرُّ الظَّهران: وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ في شمال مكة على قرابة ٢٢ كم متجهاً غرباً، ويسمَّى اليوم وادي فاطمة.

(٢) وعتّاب قرشيٌّ أُمويٌّ، وكان عمره لمّا استعمله رسول الله ﷺ نيِّفاً وعشرين سنة. انظر «أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ٤٥٢.

(٣) إسناده ضعيف لانقطاعه بين ابن هشام وزيد بن أسلم، ولإرساله، فزيد هذا من التابعين، ولم يدرك عتّاباً. ولم نقف على هذا الخبر عند غير ابن هشام.

ويخالفه ما رواه عمرو بن أبي عقربٍ قال: سمعتُ عتّابَ بن أَسيدٍ وهو مُسنِدٌ ظهرَه إلى بيت الله يقول: والله ما أصبتُ في عملي هذا ممّا ولّاني رسولُ الله ﷺ ألا ثوبين معقَّدين (والمعقَّد =

قال ابن إسحاق: وكانت عمرةُ رسول الله ﷺ في ذي القَعْدة، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ في بقيّة ذي القَعْدة أو في أوّل ذي الحِجّة.

قال ابن هشام: وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ لستٍّ ليالٍ بَقِينَ من ذي القَعْدة فيما قال أبو عمرو المَدَني.

قال ابن إسحاق: وحَجَّ الناسُ تلك السّنةَ على ما كانت العربُ تَحُجُّ عليه، وحَجَّ بالمسلمين تلك السّنةَ عتّابُ بن أَسِيدٍ، وهي سنة ثمانٍ[1].

وأقامَ أهلُ الطّائفِ على شِرْكِهم وامتناعِهم في طائفِهم ما بين ذي القَعْدةِ إذ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ، إلى شهر رمضان من سنة تسعٍ.

أمرُ كعب بن زهيرٍ بعدَ الانصراف عن الطّائف

ولمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من مُنصَرَفِه عن الطّائفِ، كَتَبَ بُجَيرُ بن زهير بن أبي سُلْمَى إلى أخيه كعب بن زهيرٍ يخبره: أنّ رسولَ الله ﷺ قَتَلَ رجالاً بمكّة ممّن كان يَهجُوه ويُؤذِيه، وأنّ مَن بَقِيَ من شُعراءِ قُريشٍ، ابنَ الزِّبَعرَى وهُبَيرةَ بن أبي وهبٍ، قد هَرَبوا في كلِّ وجهٍ، فإن كانت لك في نفسِك حاجةٌ، فطِرْ إلى رسول الله ﷺ، فإنّه لا يَقتُلُ أحداً جاءَه تائباً، وإن أنتَ لم تفعلْ، فانجُ إلى نَجَائك[2] من الأرض؛ وكان كعبُ بن زهيرٍ قد قال:

= نوع من الثياب) كسوتُهما مولاي كَيْسان. أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٧/ ٥٤، والحاكم (٦٦٦٨)، وحسّن إسناده ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٤٣٠. فهذا واضح في أنه لم يأخذ على عمله شيئاً معلوماً في زمن النبي ﷺ، والله تعالى أعلم.

(١) ووقع الحج في تلك السنة في ذي القَعدة وليس في ذي الحِجّة، من أجل النسيئة التي كانت تفعلها العرب في الشهور على ما بيّنه الأزرقيُّ في «أخبار مكة» ١/ ١٨٣-١٨٥.

(٢) إلى نجائك، أي: إلى مكان يبعدك من الهلاك.

ألا أَبلِغــا عنّــي بُجَيــراً رِســالةً ... فهل لكَ فيما قلتُ وَيحَكَ هـل لكـا

فبَـيِّنْ لنـا إن كنـتَ لسـتَ بفاعـلٍ ... علـى أيِّ شـيءٍ غيـرِ ذلـك دَلَّكـا[1]

علـى خُلُـقٍ لـم أُلْـفِ يومـاً أبـاً لـه ... عليـه ومـا تُلفِـي عليـه أبـاً لكـا[2]

فـإن أنـتَ لـم تفعـلْ فلسـتُ بآسِـفٍ ... ولا قائـلٍ إمّـا عَثَـرْتَ: لَعـاً لكـا[3]

سَـقَاكَ بهـا المـأمونُ كأسـاً رَوِيّـةً ... فأنْهَلَـكَ المـأمونُ منهـا وعَلَّكـا[4]

قال ابن هشام: ويُروَى: المأمورُ. وقولُه: فبَيِّن لنا، عن غير ابن إسحاق.

وأنشَدَني بعضُ أهل العلم بالشِّعرِ وحديثِه[5]:

مَـن مُبلِـغٌ عنّـي بُجَيـراً رسـالةً ... فهلْ لكَ فيما قلتُ بالخَيفِ هلْ لكـا[6]

شـربتَ مـع المـأمونِ كأسـاً رَوِيّـةً ... فأنْهَلَـكَ المـأمونُ منهـا وعَلَّكـا

---

(١) فبيِّن لنا، أي: اذكر لنا مرادَكَ من ترك دينك واتباع دينه.

(٢) لم أُلفِ، أي: لم أَجِد.

(٣) لست بآسف، أي: لست بنادمٍ. ولَعاً لك: كلمة تقال للعاثر، وهي دعاء له بالإقالة من عَثْرته، ومعناها: قم وانتعش.

(٤) رَوِيّة، أي: مُروِيَة. والنَّهَل: الشرب الأول، والعَلَل: الشرب الثاني. والمأمون: يعني به النبي ﷺ، كانت قريش تسمّيه به وبالأمين قبل النبوّة.

(٥) انظر «شرح ديوان كعب» صنعة أبي سعيد السُّكّري ص٣، فإنه سيأتي بأبيات كعبٍ من رواية ابن إسحاق على هذا النحو الآتي.

(٦) الخيف: أسفل الجبل، والمراد به أَبرق العَزّاف حيث اتفق كعبٌ وأخوه بجيرٌ على أن يخرج أحدهما إلى النبيّ ﷺ فيسمع ما يقول، كما ورد في خبر الحجّاج بن ذي الرُّقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير كما عند الحاكم في «مستدركه» (٦٦٢٠). والأبرق: هو عبارة عن جبل من الرمل والصخور، ويقع أبرق العَزّاف هذا شرق مدينة الحناكيّة التي تقع شرق المدينة المنوَّرة على قرابة ١١٠ كم.

وخالَفتَ أسبابَ الهُدَى واتّبَعتَهُ ... على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غيرِك دَلَّكا[1]

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمّا ولا أباً ... عليه ولم تُدرِكْ عليه أخاً لكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسِفٍ ... ولا قائلاً إمّا عَثَرتَ: لَعاً لكا

قال: وبعَثَ بها إلى بُجَيرٍ، فلمّا أتت بُجيراً كَرِهَ أن يَكتُمَها رسولَ الله ﷺ، فأنشَدَه إيّاها، فقال رسولُ الله ﷺ لمّا سمعَ (سقاكَ بها المأمونُ): «صَدَقَ وإنَّه لكَذُوبٌ، أنا المأمُونُ»، ولمّا سمعَ: (على خُلُقٍ لم تُلفِ أُمّاً ولا أباً عليه) قال: «أجَلْ، لم يُلْفِ عليه أباهُ ولا أُمَّه».

ثمّ قال بُجيرٌ لكعبٍ:

مَن مُبلِغٌ كعباً فهلْ لكَ في الّتي ... تَلُومُ عليها باطلاً وهْيَ أحزَمُ

إلى الله لا العُزَّى ولا اللّاتِ وحدَه ... فتَنجُو إذا كان النَّجَاءُ وتَسلَمُ

لَدَى يومٍ لا يَنجُو وليس بمُفلِتٍ ... من الناسِ إلّا طاهرُ القلبِ مُسلِمُ

فدِينُ زهيرٍ وهْوَ لا شيءَ دينُه ... ودينُ أبي سُلمَى عليَّ مُحرَّمُ

قال ابن إسحاق: وإنّما يقول كعبٌ: المأمونُ ـ ويقال: المأمورُ، في قول ابن هشام ـ لقول قُريشٍ الذي كانت تقولُه لرسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فلمّا بَلَغَ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرضُ وأشفَقَ على نفسه، وأَرجَفَ به مَن كان في حاضرِه[2] من عدوِّه فقالوا: هو مقتولٌ، فلمّا لم يَجِدْ من شيءٍ بُدّاً، قال قصيدتَه التي يَمدَحُ فيها رسولَ الله ﷺ وذَكَرَ فيها خوفَه وإرجافَ الوُشَاةِ به من عدوِّه.

---

(١) وَيْبَ غيرِك: هو بمعنى: وَيْحَ غيرِك. قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٤١٥.

(٢) أرجف به: خوّفه وخاض في أمره بما يسوؤه ويُفزِعه. وحاضرُه: حيّه الذين هو فيهم.

ثمّ خرج حتّى قَدِمَ المدينةَ، فنَزَلَ على رجلٍ كانت بينَه وبينَه معرفةٌ من جُهَينة، كما ذُكِرَ لي، فغَدَا به إلى رسول الله ﷺ حين صَلَّى الصُّبحَ، فصلَّى مع رسول الله ﷺ ثمّ أشارَ له إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا رسولُ الله، فقُمْ إليه فاستأمِنْه.

فذُكِرَ لي: أنه قامَ إلى رسول الله ﷺ حتّى جَلَسَ إليه فوَضَعَ يدَه في يدِه، وكان رسولُ الله ﷺ لا يَعرِفُه، فقال: يا رسولَ الله، إنّ كعبَ بن زهيرٍ قد جاءَ ليَستأمِنَ منك تائباً مُسلِماً، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتُك به؟ قال رسول الله ﷺ: «نَعَم»، قال: أنا يا رسولَ الله كعبُ بن زهيرٍ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة[1]: أنه وَثَبَ عليه رجلٌ من

---

(١) الأنصاريُّ، من صغار التابعين، روى عن بعض الصحابة وأبناء الصحابة، وهو ثقة عالم عارف بالمغازي والسِّيَر.

وأخرج خبرَ كعبٍ وإسلامه وقصيدته (بانت سعاد) الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٤٠٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٢٤٨) من طريق محمد بن سلمة، والحاكم (٦٦٢٣) من طريق محمد ين سلمة ويونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق. ولم يسوقوا قصيدة كعب بتمامها.

وروى نحوَ هذا الخبر إبراهيم بن المنذر الحِزامي، عن الحجّاج بن ذي الرُّقيبة بن عبد الرحمن ابن كعب بن زهير بن أبي سُلمى المُزَني، عن أبيه، عن جدِّه قال: خرج كعبٌ وبجيرٌ... أخرجه الحاكم (٦٦٢٠) وغيره، والحِزاميُّ صدوق ثقة، لكن شيخه الحجّاج ومَن فوقه مجهولون، ومع ذلك فقد صحّحه الحاكم.

وقصيدة بانت سعادُ هذه رواها أيضاً يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيّب مرسلة عند محمد بن سلّام الجُمحي في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٩٩-١٠٣، وكذا رواها مرسلة عليُّ بن زيد بن جُدعان وموسى بن عقبة صاحب «المغازي» كما في «مستدرك الحاكم» (٦٦٢١) و(٦٦٢٢). فتعدُّد أوجُه الرواية فيها مما يقوّي أصل ورود هذا الخبر وإنشاد كعب بن زهير هذه القصيدة بين يدي النبيِّ ﷺ، والله تعالى أعلم.

الأنصار فقال: يا رسولَ الله، دَعْني وعدوَّ الله أَضرِبْ عُنُقَه، فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ عنكَ، فإنَّه قد جاءَ تائِباً نازِعاً[1]»، قال: فغَضِبَ كعبٌ على هذا الحيِّ من الأنصار، لِمَا صَنَعَ به صاحبُهم، وذلك أنّه لم يَتكلَّم فيه رجلٌ من المهاجرين إلّا بخيرٍ، فقال في قصيدتِه التي قال حين قَدِمَ على رسول الله ﷺ[2]:

بانَتْ سُعَادُ فقَلْبي اليومَ مَتبُولُ ... مُتَيَّمٌ عندها لم يُجْزَ مَكبولُ[3]

وما سعادُ غَداةَ البَينِ إذْ بَرَزَت ... إلّا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكحولُ[4]

---

(١) زاد في (ق٢): عمّا كان عليه؛ ثم ضرب عليها.

(٢) انظر «شرح ديوان كعب» لأبي سعيد السكّري ص٦، وقد أفردها الإمام النحوي جمال الدين ابن هشام الأنصاري بالشرح والبيان، ونقلنا في حواشينا عليها هنا كثيراً من هذا الشرح.

(٣) بانت: ذهبت وفارَقَت، والبَيْن: الفراق. وسعادُ: عَلَمٌ مرتَجَل يريد به امرأةً يهواها حقيقةً أو ادّعاءً، قاله ابن هشام الأنصاري في «شرح قصيدة بانت سعاد» ص٩٠. ومتبول: أسقمه الحبُّ وأعياه. ومتيَّم: ذليل مُستعبَد، ويروى: متيَّم إثرَها.

ولم يُجزَ: من الجزاء، ويروى: لم يُفدَ، أي: لم يُخلَّص من الأسر، ويروى: لم يُخزَ، من الخِزي. ومكبول: مقيَّد.

يريد الشاعر أن محبوبته فارقته، فصار قلبه في غاية الضَّنى والسّقم والذل والأسر، لا يجد من قيدِه فكاكاً، ولا يستطيع من سجنه خلاصاً.

(٤) الأغنّ: أراد به هنا الظَّبي الذي في صوته غُنّة، والغُنّة: صوت لذيذ يخرج من الأنف. وغضيض الطَّرْف: فاترُه، والطَّرْف: العَين. ومكحول: من الكَحَل، وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال، شبّه محبوبته وقتَ الفراق بالظبي الموصوف بغُنّة الصوت وغضّ الطرف والكحل، وهي من صفات الجمال.

تنبيه: وقع في نسخة (غ) هنا: وبعد هذا البيت في غير هذا التأليف مما لم يروه ابن إسحاق:

هَيفاءُ مُقبِلةً عَجزاءُ مُدبِرةً ... لا يُشتَكى قِصَرٌ منها ولا طولُ

وجاء هذا البيت أيضاً في نسختَي (ش١) و(ق٢) ثم ضرب عليه في (ق٢) وعلّم عليه بعلامة =

تَجلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتَسَمَت ... كأنّــه مُنهَــلٌ بــالرّاحِ مَعلــولُ[1]

شُـجَّت بـذي شَـبَمٍ مـن مـاءِ مَحنِيَـةٍ ... صـافٍ بـأبطَحَ أضحَى وهْـوَ مَشـمولُ[2]

تَنفـي الرّيـاحُ القَـذَى عنـه وأفرَطَـه ... مـن صَـوْبِ غاديَـةٍ بِـيضٌ يَعالِيـلُ[3]

= الحذف، ولم يرد في بقية نسخنا الخطية، كما أنه ليس في رواية حفيد كعب بن زهير الحجاج ابن ذي الرُّقيبة عند الحاكم في «المستدرك» (٦٦٢٠) وغيره.

ولم يُروَ هذا البيت في «ديوان كعب» بشرح أبي سعيد السكّري، لكن ذكره في قصيدته هذه أبو زيد القرشي في «جمهرة أشعار العرب» ص٦٣٢.

وهيفاء: ضامرة البطن والخصر. وعجزاء: كبيرة العَجِيزة، وهي الرِّدْف.

(١) تجلو: تكشف. والعوارض: جمع عارض، وهي الأسنان كلها، أو الضواحك خاصّة. والظَّلْم: بريق الأسنان ورقّتها. ومُنهَل: مُسقًى، من النَّهَل: وهو الشرب الأول. والرّاح: من أسماء الخمر. ومعلول: من العَلَل، وهو الشرب الثاني.

يريد أن سعاد إذا ابتسمت كشفت عن أسنان ذات ماء وبريق، أو ذات بياض ورقّة، وكأنّ ثَغْرَها الطيّب رائحته قد سُقي الراح مرةً بعد مرةٍ.

(٢) شُجّت: يعني الخمرَ، مُزِجت حتى انكسرت شدّتها. وبذي شَبَمٍ، أي: بماء شديد البرد. والمَحنِيَة: ما انحنى وانعطف من الوادي فيه رمل وحصى صِغار، وماؤه أصفى وأرقّ. والأبطح: المسيل الواسع الذي فيه دِقاق الحصى.

وأضحى: دخل في وقت الضحى قبل أن يشتد حرُّ الشمس. والمشمول: الذي ضربته ريح الشمال حتى بَرَدَ، وهي عندهم باردة إذا هبّت.

(٣) القَذَى: ما يقع في الماء من تبنٍ أو عودٍ أو غيره، وكذلك ما يقع في العين أيضاً. وأفرطه: سَبَقَ إليه ومَلأه. والصَّوب: المطر. والغادية: السحابة تُمطِر غدوةً، أي: أول النهار، وفي رواية «الديوان»: سارية، وهي السحابة تأتي ليلاً.

والبِيض: السحاب، واليعاليل: التي تجيء مرةً بعد أخرى، وذهب ابن هشام الأنصاري إلى أن المراد بها: الجبال الشديدة البياض، وأن المعنى: وملأ هذا الأبطحَ من ماء سحابة آتية بالليل من ماء جبال شديدة البياض.

وَيــلُ اْمِّهــا خُلّــةً لــو أنَّهــا صَــدَقَت ... بوَعــدِها ولَــوَ اْنّ النّصــحَ مَقبــولُ[(١)]

لكنَّهــا خُلّــةٌ قــد سِــيطَ مــن دمِهــا ... فَجْــعٌ ووَلْــعٌ وإخــلافٌ وتَبــديلُ[(٢)]

فمــا تقــومُ علــى حــالٍ تكــونُ بهــا ... كمــا تَلَــوَّنُ في أثوابِهــا الغُــولُ[(٣)]

كانــت مواعيــدُ عُرقُــوبٍ لهــا مَــثَلاً ... ومــا مواعيــدُه إلّا الأباطيــلُ[(٤)]

---

(١) الخُلّة: الصَّدِيقة والصاحبة، يريد أنها صديقة كريمة، ولو أنها صدقت في الوعد وقبلت النصح، لكانت على أتمّ الخِلال، وأكمل الأحوال. ويروى أول البيت أيضاً: أَكرِمْ بها خُلةً، ويروى: يا ويحَها خُلةً.

(٢) سِيطَ، أي: خُلِط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة في البيت. والفَجْع: الإصابة بالمكروه كالهجران ونحوه. والوَلْع والوَلَعان: الكَذِب. والإخلاف: خُلْف الوعد؛ يريد أن هذه المرأة قد خُلط بدمها الإفجاع بالمكروه، والكذب في الخبر والإخلاف في الوعد، وتبديل خليلٍ بآخر، وصار ذلك طبعاً لها.

(٣) فما تقوم، أي: فما تدوم، وكذلك هي في (ش١): فما تدومُ على حال، وكذلك هي رواية «الديوان».

والغولُ: كل شيء اغتال الإنسان فأهلكه، والمراد هنا الواحدة من إناث الشياطين، سُمِّيَت بذلك لأنها ـ فيما يزعمون ـ تغتالهم، أو لأنها تتلوّن كلَّ وقت، وللعرب أمورٌ تزعمها لا حقيقة لها كما قال ابن هشام الأنصاري.

(٤) كانت: صارت. وعُرقُوب: رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد، فضرب به المثل في الخُلْف، وقصّته في إخلاف الوعد مشهورة حين وَعَدَ أخاه بثمار نخلة له وعداً من بعد وعدٍ، ثم جذَّها ليلاً ولم يعطه شيئاً. والأباطيل: جمع باطلٍ، على غير قياس.

تنبيه: وقع في نسخة (غ) هنا: وبعد هذا البيت في غير هذا التأليف ما لم يروه ابن إسحاق:

وما تَمَسَّكُ بالوَصلِ الذي زَعَمَت ... إلّا كما يُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

وجاء هذا البيت أيضاً في (ش١) و(ق٢) ثم ضرب عليه في (ق٢)، وذكره في حاشية (ش٢) وأشار إلى أنه ثبت في بعض الروايات، وهو كذلك في رواية «الديوان». =

أرجو وآمُلُ أن يَعجَلْنَ في أَمَدٍ ... وما لهنَّ إخالُ الدَّهرَ تعجيلُ[1]

فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ ... إنَّ الأمانِيَّ والأحلامَ تضليلُ[2]

أمسَتْ سعادُ بأرضٍ لا يُبلِّغُها ... إلّا العِتاقُ النَّجيباتُ المَراسيلُ[3]

ولا يُبلِّغُها إلّا عُذافِرةٌ ... فيها على الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ[4]

من كلِّ نَضّاخةِ الذِّفرَى إذا عَرِقَت ... عُرضَتُها طامِسُ الأعلامِ مجهولُ[5]

تَرْمي النِّجادَ بعَينَيْ مُفرَدٍ لَهَقٍ ... إذا تَوَقّدَت الحُزّانُ والمِيلُ[6]

= قوله: تَمسَّكُ، يروى بفتح التاء، على أنه مضارع حذفت إحدى تاءيه، أو بضم التاء وكسر السين المشدّدة مضارع: مَسَّكَ؛ يشبّه تمسّكَها بالعهد بإمساك الغرابيل للماء، مبالغةً في النقض والنّكث وعدم الوفاء بالعهد، لأن الماء بمجرد وضعه في الغِربال يسقط منه.

(١) هذا البيت في نسخة (ش١) على هذا النحو، وهو كذلك عند ابن هشام الأنصاري:

أرجو وآمُلُ أن تَدنُو مودّتُها ... وما إخالُ لَدَينا منكِ تنويلُ

والتنويل: العطاء، والمراد به هنا: الوَصْل. وإخال: أظنّ.

(٢) ما منَّت، أي: ما جعلتك تتمنّاه.

(٣) العِتاق: الكِرام من الإبل والخيل وغيرهما، الواحد: عَتِيق. والنَّجيبات: جمع نَجِيبة، وهي القويّة الخفيفة، ويروى: النَّجِيّات، أي: السريعات. والمراسيل: جمع مِرسالٍ، وهي السريعة.

(٤) العُذافرة: الناقة الصُّلبة العظيمة. والأَين: الإعياء والتعب. والإرقال والتبغيل: ضربان من السَّير السريع.

(٥) النَّضّاخة، بالخاء والحاء: الكثيرة رَشْح العرق. والذِّفرى: النُّقرة التي خلف أُذن الناقة، وهي أول ما يعرق منها. وعُرْضتها: هِمّتها. وطامس الأعلام: الدارس المتغيِّر من العلامات التي تكون في الطريق ليُهتدَى بها. يصف هذه الناقة بأنها عارفة للطريق الدارس الأعلام، وذلك لكثرة أسفارها وسلوكها المَفازات.

(٦) النِّجاد هنا: جمع نَجْد، وهو ما ارتفع من الأرض، وفي «الديوان»: ترمي الغُيوبَ، يعني =

ضَخمٌ مُقلَّدُها فَعْمٌ مُقيَّدُها   في خَلْقِها عن بَناتِ الفَحْلِ تفضيلُ[1]

= آثار الطريق التي غابت معالمُها عن العيون. والمُفرَد: الثور الوحشيّ الذي أُفرد عن أُنثاه، لأنه حينئذٍ يكثر تحديقه ويقوى نشاطه وخِفّته. واللَّهق، بفتح الهاء وكسرها: الأبيض. والحُزّان ـ بالنون، ويُكسَر أوله أيضاً ـ: جمع حَزِيز، بزايَينِ: وهو المكان الغليظ الصُّلب. والمِيل: جمع مَيلاء، وهي العُقدة الضخمة من الرَّمل.

(١) المقلَّد: موضع القِلادة في العنق. فَعْم: ممتلئ، ويروى: عَبْل، أي: ضخم. والمقيَّد: موضع القيد، يعني غليظة القوائم. وبنات الفحل، أي: الإناث من الإبل، والفَحْل: البعير الذّكر.

تنبيه: وقع هنا في طبعة السقا وصاحبيه بيتانِ ليسا في شيء من نسخنا الخطية، ولا هما في «ديوان كعب» الذي شرح عليه أبو سعيد السُّكّري، وهما:

غَلْباءُ وَجْناءُ عُلكومٌ مُذكَّرةٌ   في دَفِّها سَعَةٌ قُدّامُها مِيلُ

وجلدُها من أَطُومٍ ما يُؤيِّسُه   طِلحٌ بضاحيَةِ المَتنَينِ مَهزولُ

وقد ذُكرا في بعض نسخ «الجمهرة» لأبي زيد القرشي، وذكرهما أيضاً ابن هشام الأنصاري في شرحه لهذه القصيدة.

وقوله: غَلْباء: غليظة الرقبة. ووَجْناء: عظيمة الوجنتين، أي: طرفي الوجه. وعُلكوم، أي: شديدة. ومذكَّرة، أي: عظيمة الخِلقة تشبه الذَّكر من الأباعر.

وفي دَفِّها سَعَة، أي: هي واسعة الجنبين، والدَّفّ: الجنب. وقدّامها ميل: كناية عن طول عنقها، أو سَعَة خطوها.

والأَطُوم، بفتح الهمزة: سلحفاة بحرية غليظة الجلد. وما يؤيِّسه، أي: لا يذلّله ولا يؤثّر فيه. والطِّلح: هو القُرَاد، وهو حشرة معروفة تلزق بالدابّة تتغذّى على دمها. والضاحية من كل شيء: ناحيته البارزة للشمس. والمَتْنان: ما يكتنف صُلبَها عن يمين وشمال من عصب ولحم. ومهزول: صفة لطِلْح، أي: قُراد مهزول من الجوع.

يريد أن جلد هذه الناقة في غاية النعومة والمَلاسة، فلا يؤثر فيه القرادُ فيما برز للشمس من ناحيتَي صُلبها عن يمين وشمال، فهو ـ أي: القُراد ـ مهزول من الجوع.

حَـرْفٌ أخوهـا أبوهـا مـن مُهجَّنَـةٍ ... وعمُّهـا خالُهـا قَـوْداءُ شِـمْليلُ[1]

يَمشـي القُـرَادُ عليها ثـمّ يُزلِقُـه ... منهـا لَبَـانٌ وأقـرابٌ زَهَاليـلُ[2]

عَيْرانـةٌ قُذِفَت بـالنَّحْضِ عن عُرُضٍ ... مِرفَقُهـا عـن بَنـاتِ الـزَّورِ مفتـولُ[3]

قَنْـواءُ في حُرّتَيهـا للبَصـيرِ بهـا ... عِتـقٌ مُبِـينٌ وفي الخَـدَّينِ تسـهيلُ[4]

كأنّمـا فـاتَ عَينَيهـا ومَـذْبَحَها ... مـن خَطْمِها ومـن اللَّحْيَـينِ بِرطيـلُ[5]

---

(١) حرفٌ، أي: شديدة، والحرف في الأصل: القطعة الخارجة من الجبل، أي: أنها مثله في القوة والصلابة. وقوله: أخوها أبوها... إلخ، يريد أنها مُداخِلة النسب في الكَرَم، لم يدخل في نسبها غير أقاربها. والمهجَّنة: الكريمة الأبوين من الإبل. والقَوْداء: الطويلة الظَّهر والعنق. والشِّمليل: الخفيفة السريعة.

(٢) القُراد: حشرة معروفة تلزق بالدابّة كما سبق. ويُزلِقه: من الإزلاق، أي: يُسقِطه، ومنها، أي: عنها. واللَّبَان: الصدر، وقيل: وسطه. والأَقراب: الخواصر، واحدها: قُرْب. والزهاليل: المُلْس، جمع زُهْلول؛ يريد أن هذه الناقة لملاستها لا يثبت القرادُ عليها.

(٣) العَيرانة: الناقة تُشبِه العَيْرَ في شدّته ونشاطه، والعَيْر هنا: حمار الوحش. والنَّحْض: اللحم. والعُرُض، بضمتين وبإسكان الثانية: الجانب والناحية، أي: رُميَت باللحم من جوانبها، يعني أنها سَمِنَت. والمرفق: يريد المرفقين، والزَّور: الصدر، وقيل: وسطه، وبنات الزَّور: ما حوله وما يتصل به من الأضلاع؛ يريد أن مرفقها جافٍ متباعد عن صدرها، غير ضاغط عليه.

(٤) قنواء: في أنفها كالحَدَب، وقد عدَّه هنا من صفات المدح، مع أن المنقول عن العرب أن القنا عيبٌ في الإبل والخيل، وروي: وَجْناء، ورجّحها بعضهم كما في شرح ابن هشام الأنصاري ص٢٥١.

والحُرّتان: الأُذنان. والعِتق: الكَرَم، وعِتق الأذنين أن تكونا محدَّدتي الطَّرَف. والمُبين: الظاهر. وتسهيل: سهولة ولِينٌ.

(٥) فاتَ، أي: تقدَّم، ووقع هذا الحرف عند أبي ذر الخُشنيّ: كأنما قابُ، وعليه شرح في «إملائه» ص٤١٨ فقال: قابُ: قَدْر، تقول: بيني وبينه قابُ قوسٍ، أي: قَدْر قوسٍ. =

تُمِرُّ مِثلَ عَسِيبِ النَّخلِ ذا خُصَلٍ ... في غارِزٍ لم تَخَوَّنْهُ الأَحاليلُ [1]
تَهْوي على يَسَراتٍ وهْيَ لاهيةٌ ... ذَوابلٍ وَقعُهنَّ الأرضَ تَحليلُ [2]
سُمْرُ العُجَاياتِ يَتْرُكنَ الحَصَى زِيَماً ... لم يَقِهِنَّ رؤوسَ الأُكْمِ تنعيلُ [3]
يوماً يَظَلُّ به الحِرباءُ مُرتبِئاً ... كأنّ ضاحِيَه في النّارِ مملولُ [4]

= والخطم: الأنف وما حوله. واللَّحيان: العظمان اللذان تَنبُت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره. والبِرطيل: حجر مستطيل؛ يصفها بكِبَر الرأس وعِظَمه.

(١) تُمِرُّ، أي: تمدّ وتحرّك. ومِثلَ: صفة لمحذوفٍ، أي: ذَنَباً مثلَ. وعسيب النخل: جريده الذي لم ينبت عليه الخُوص، فإن نَبَت عليه سُمّي سَعَفاً. والخُصَل: اللفائف من الشَّعر. وفي غارِزٍ، أي: على ضَرْع قليل اللّبن. ولم تَخوَّنه: لم تنقصه ولم تُضعفه. والأحاليل: جمع إِحليل، وهو الثّقب الذي يخرج منه اللّبن؛ يريد أن هذه الناقة لا تُحلَب، وذلك أقوى لها على السير، ونفى الضَّعف عن الناقة بنفيه عن ضَرْعها.

(٢) تَهوي، أي: تُسرِع، ويروى: تَخدِي، وهو بمعناه، ويروى: تَخذِي، بالذال المعجمة، أي: تسترخي، وهو ضربٌ من السير. واليَسَرات: القوائم الخِفاف، فإذا كانت كذلك لم تكن رَهلة ولا مسترخية وذلك أسرع لرفع قوائمها وبسطها. وهي لاهية، أي: أنها تسرع من غير اكتراث، كأن ذلك سجيّة لها، ويروى: وهي لاحقةٌ، أي: لاحقة بالنوق غير متأخرة عنهنَّ، وفسّر ابن هشام اللاحقةَ بالضامرة، فجعلها صفة ليسراتٍ. والذوابل: جمع ذابل، وهو الرمح الصُّلب اليابس، شبّه قوائمها بها في الصلابة والشدة. ووقعهنَّ الأرض، أي: ضربهنَّ الأرض، ويروى: مسُّهنَّ الأرضَ. وتحليل، أي: قليل غير مبالغ فيه؛ يشير إلى سرعة رفعها قوائمها.

(٣) العُجايات: جمع عُجَاية، وهي عصب قوائم الإبل والخيل، يشبِّه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السُّمر لقوته وصلابته. وزِيَماً: متفرقاً. والأُكم: هي الأراضي المرتفعة كالجِبال الصغار. والتنعيل: شدّ النعل على ظُفر الدابة ليقيها الحجارة؛ أي: أنها لا تَحفَى في سيرها فتفتقر إلى النّعل، وذلك لصلابة أخفافهنَّ.

(٤) الحِرباء: دُوَيبّة معروفة يستقبل الشمس ويدور معها حيث دارت طلباً للدّفء. ومُرتبِئاً، =

وقـال للقـومِ حـادِيهِم وقـد جَعَلَـت   بُقْعُ الجنادبِ يَركُضنَ الحَصَى قِيلُوا[1]

كـأنّ أَوْبَ ذِراعَيهـا وقـد عَرِقَـت   وقـد تَلَفَّـعَ بالقُـورِ العَسـاقيلُ[2]

أَوْبُ يَـدَيْ فاقـدٍ شَـمطاءَ مُعوِلَـةٌ   قامَـت فجاوَبَهـا نُكْـدٌ مَثاكيـلُ[3]

= أي: مرتفعاً قائماً، ويروى: مُصطخِماً، وهو بمعناه، ويروى: مُصطخِداً، أي: مصطلياً بحرّ الشمس. وضاحيه: ما بَرَزَ منه للشمس. ومملول: موضوع في المَلّة، وهي الرَّماد الحارّ؛ والمعنى: أن الآكام تلفَّعت بالسراب في يومٍ يظلُّ فيه الحِرباء محترقاً بالشمس، كأن ما برز منه للشمس مملولٌ كما يُعمَل الخبز بالمَلّة.

(١) الحادي: السائق للإبل. والبُقع: التي فيها ألوان، ويروى: وُرْق الجنادب، والوُرْق: جمع أَورَق أو وَرْقاء، وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وقيل: الوُرقة: لون يشبه لون الرماد. والجنادب: جمع جُندُب ـ بضم الدال وتفتح ـ ضربٌ من الجراد، وقيل: الجراد الصغير. ويركضن الحصى، أي: يقفزن عليه فيندفع بعضه إلى بعض. وقيلوا: أمرٌ من القائلة، وهي الاستراحة في وقت شدّة الحر؛ أي: انزلوا واستريحوا.

(٢) الأَوْب: سرعة التقلّب والرجوع. وعرقت: يعني لشدة الحر. وتلفَّع: اشتَمَل والتَحَف. والقُور: جمع قارَةٍ، وهو الجبل الصغير. والعساقيل: السَّراب؛ يصف سرعة ذراعي ناقته في وقت الهاجرة وانتشار السراب فوق صغار الجبال.

(٣) الفاقد: هي التي فقدت ولدها. والشمطاء: التي خالطها الشيب. ومُعوِلة: رافعة صوتها بالبكاء. والنُّكد: جمع نَكْداء، وهي التي لا يعيش لها ولد. والمثاكيل: جمع مِثْكال، وهي الكثيرة الثُّكل، أي: التي مات لها أولاد كثيرة.

وهو في هذا البيت والبيت السابق يشبّه سرعة حركة يدي هذه الناقة بسرعة حركة يدي المرأة في اللَّطم على وجهها لشدّة حزنها على ولدها، ومعها نسوة مثاكيل مثلها، فيشتدّ فعلها ويقوى ترجيع يديها عند النِّياحة، لرؤية حزن غيرها وشدة لطمهنّ.

والشطر الأول من هذا البيت وقع في مطبوعة السقا وصاحبيه، وهو كذلك في رواية «الديوان»:

شَدَّ النّهارِ ذِراعا عَيطَلٍ نَصَفٍ =

نَوّاحةٌ رِخوةُ الضَّبعَينِ ليس لها ... لمّا نَعَى بِكرَها النّاعُونَ معقولُ[1]

تَفْرِي اللَّبَانَ بكَفَّيها ومِدرَعُها ... مُشقَّقٌ عن تَراقِيها رَعَابيلُ[2]

تمشي الغُوَاةُ بجَنبَيها وقولُهمُ: ... إنّك يا ابنَ أبي سُلمَى لَمقتولُ[3]

وقال كلُّ صديقٍ كنتُ آمُلُه: ... لا أُلهِيَنَّكَ إنّي عنكَ مشغولُ[4]

فقلتُ: خَلُّوا طريقي لا أَبا لكمُ ... فكلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمنُ مفعولُ[5]

كلُّ ابنِ أُنثَى وإن طالَتْ سلامَتُه ... يوماً على آلةٍ حَدْباءَ محمولُ[6]

نُبِّئتُ أنّ رسولَ الله أَوعَدَني ... والعَفوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ

مَهلاً هَدَاكَ الذي أعطاكَ نافِلةَ الـ ... ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ[7]

= ومعنى شد النهار: وقت ارتفاعه، وهو مبالغة في شدة الحر. والعَيطَل: الطويلة. والنَّصَف: المتوسطة في السِّنّ، وذلك حين استكمال قوتها وبلوغ أشُدّها.

(١) رخوة الضَّبعين، أي: مسترخية العَضُدَين، والبِكر: أول الأولاد. والناعون: المُخبِرون بالموت. والمعقول هنا: العقل، وهو أحد المصادر التي جاءت على وزن مفعول؛ يعني أن هذه المرأة لم يبق لها عقل، فهي لا تحس بالإعياء والتعب، وكذلك هذه الناقة لا تحس بإعياء ولا تعب في سيرها.

(٢) تَفْري، أي: تشقّ الثياب عن اللَّبَان، وهو الصَّدر. والمِدرَع: القميص. والتَّراقي: جمع تَرقُوَة، وهي عظام الصدر التي تقع عليها القِلادة. ورعابيل: قطع متفرِّقة، وهو جمع رُعبُولة.

(٣) الغُواة: المُفسِدون، جمع غاوٍ. وجنبيها، أي: حوالَيها. ومقتول، أي: متوعَّد بالقتل.

(٤) آمله: أؤمِّل خيره أو معونته. وأُلهينّك: أشغلنّك؛ والمعنى: لا أشغلك عمّا أنت فيه من الخوف والفزع، فأنا مشغول عنك بأمور نفسي.

(٥) خلُّوا سبيلي: اتركوه، والسبيل: الطريق.

(٦) الآلة الحدباء: النَّعش الذي يحمل عليه الميت، والحدباء هنا: المرتفعة.

(٧) سمّى القرآنَ نافلةً، لأنه عطيّة زائدة على النبوّة.

لا تأخُذَنّي بأقوالِ الوُشَاةِ ولَمْ ... أُذنِبْ ولو كَثُرَت فِيَّ الأقاويلُ [1]

لقد أقومُ مَقاماً لو يقومُ بهِ ... يَرَى ويَسمَعُ ما قد أَسمَعُ الفِيلُ [2]

لَظَلَّ تُرعَدُ من وَجْدٍ بَوادِرُه ... إن لم يكن من رسولِ الله تَنويلُ [3]

حتَّى وَضَعتُ يَميني ما أُنازِعُها ... في كفِّ ذي نَقِماتٍ قولُه القِيلُ [4]

فلَهْوَ أخوَفُ عندي إذ أُكلِّمُه ... وقيلَ: إنّكَ منسوبٌ ومسؤولُ [5]

من ضَيغَمٍ بضَرَاءِ الأرضِ مَخدَرُه ... في بَطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَه غِيلُ [6]

---

(١) الوُشاة: الساعُون به الذين ينقلون أقواله وذمَّه للمسلمين.

(٢) لقد أقوم: معناه: والله لقد أقوم مقاماً، فهو جواب قسم محذوف، وذكر الفيلَ من دون الحيوانات لضخامته، فتوهَّم أنه أبصرُ وأسمعُ من غيره.

(٣) تُرعَد: تضطرب. والوَجْد: الفزع. والبوادر: اللحم الذي بين العنق والكتف. والتنويل: أراد به هنا الأمان والعفو.

(٤) ما أنازعه، أي: أنا راضٍ بحكمه، غير منازع ولا مخالف. والنَّقِمات: جمع نَقِمة ونِقْمة، والمراد به النبي ﷺ، لأنه كان ينتقم من الكفار، شديد السطوة والإغلاظ فيهم. وقولُه القِيلُ، أي: قوله القول المعتدُّ به لكونه نافذاً ماضياً.

(٥) أخوف: أشدُّ إخافة وإرهاباً. ومنسوب، أي: إلى أمور صدرت منه، كقوله لأخيه بجير: أسقاك بها المأمون... إلخ كما سبق. ومسؤول، أي: عمّا نُقِل عنه.

(٦) الضَّيغَم: الأسد. وضَرَاء الأرض: ما سَتَرَك وأخفاك من شجر. والمَخدَر: غابة الأسد التي يقيم فيها.

وعَثَّر: مدينة تاريخية اندثرت معالمها ولم يبق منها سوى الأطلال، تقع مدينة عثّر على ساحل البحر الأحمر في منطقة جازان جنوب الجزيرة العربية، وتبعد حوالي ٤٠ كم إلى الشمال الغربي من مدينة جازان.

والغِيل: الشجر الكثير الملتفّ. وغِيل دونه غِيل، أي: أَجَمة تَقرَبُها أَجَمة أخرى، فتكون أُسدها أشدَّ توحشاً، وأقوى ضراوة، يريد أن رسول الله ﷺ أهيَبُ من هذه الأُسد.

يَغـدُو فـيَلحَمُ ضِـرغامَينِ عَيشُـهما لحـمٌ مـن النـاسِ معفـورٌ خَرَاديـلُ[1]
إذا يُســاوِرُ قِرْنــاً لا يَحِــلُّ لــه أن يَتْــرُكَ القِــرنَ إلّا وهْــوَ مفلــولُ[2]
منــه تَظَــلُّ حَمِيــرُ الجَــوِّ نــافرةً ولا تُمشّــي بِوادِيــهِ الأَراجيــلُ[3]
ولا يَــزالُ بِوادِيــهِ أخــو ثِقــةٍ مُضــرَّجُ البَــزِّ والدِّرسَــينِ مــأكولُ[4]
إنَّ الرَّســولَ لنُــورٌ يُستَضــاءُ بــهِ مُهنَّــدٌ مــن ســيوفِ الله مســلولُ[5]
في عُصبةٍ مـن قُـرَيشٍ قـال قـائلُهمْ بــبَطنِ مكّــةَ لمّــا أسـلَمُوا: زُولُـوا[6]
زالُــوا فمــا زالَ أنكــاسٌ ولا كُشُـفٌ عنــدَ اللّقــاءِ ولا مِيــلٌ مَعازيــلُ[7]

(١) يغدو: يخرج في أول النهار يتطلب صيداً لشِبلَيه. ويَلحَمُ ـ ويقال: يُلحِمُ، أيضاً ـ: يُطعمهما اللحم. والضِّرغام: الأَسد. ومعفور: مُلقًى في العَفْر، وهو التراب. وخراديل: قِطَعٌ صِغار.

(٢) يساور: يواثب. والقِرْن: النظير في القوّة والشجاعة. والمفلول: المكسور المهزوم.

(٣) الجوّ: ما اتّسع من الأرض وسَهُل. ونافرة: بعيدة، وفي «الديوان»: ضامِزَة، أي: ساكتة. وتُمشِّي: مبالغة تَمْشي، ويروى: تَمَشَّى، وهي على حذف إحدى التاءين من تَتَمشَّى. والأَراجيل: الرَّجّالة من الناس، وهو جمع أَرجال، وأرجال: جمع رَجْل، ورَجْل: اسم جمع لراجلٍ؛ يصف هذا الأسد بالقوة، حتى خافته الدّوابُّ والناسُ.

(٤) أخو ثقة: الشجاع الواثق بشجاعته. ومضرج: مخضّب مُلطَّخ بالدماء، وفي «الديوان»: مطرَّح، أي: مطروح. والبَزُّ: المراد به هنا السلاح. والدِّرسَين: مثنَّى دِرْس، وهو الثَّوب البالي، وفي «الديوان»: الدِّرسان، على الجمع. ومأكول، أي: هو طعام لذلك الأسد.

(٥) يُستضاء به، أي: يُهتَدى به إلى الحق. والمهنَّد: السيف. والمسلول: المُخرَج من غِمْده.

(٦) العُصبة: الجماعة. وزُولوا، أي: تحولوا وانتقلوا، يريد: من مكّة إلى المدينة، ويعني به الهجرة.

(٧) الأنكاس: جمع نِكْس، وهو الرجل الضعيف. والكُشُف: الذين ينهزمون ولا يثبتون. والمِيل: جمع أَمْيَل، وهو الذي لا يحسن الركوب ولا يثبت على السّرج. والمَعازيل: جمع مِعزال، وهو الذي لا سلاح معه.

يَمشُون مشيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهم ... ضَـــربٌ إذا عَـــرَّدَ السُّـــودُ التَّنابيـــلُ [1]

شُـــمُّ العَـــرَانِينِ أبطـــالٌ لَبوسُـــهمُ ... مِـن نَسْـجِ داودَ في الهَيْجـا سَـرَابيلُ [2]

بِـيضٌ سَـوابغُ قـد شُـكَّت لهـا حَلَـقٌ ... كأنّهـــا حَلَـــقُ القَفْعـــاءِ مجـــدولُ [3]

ليســوا مَفــارِيحَ إن نالــتْ رِمــاحُهمُ ... قومــاً وليســوا مَجازِيعــاً إذا نِيلُــوا [4]

لا يَقَـــعُ الطَّعـــنُ إلّا في نُحـــورِهمِ ... ليسَ لهم عن حِيَاضِ الموتِ تَهليـلُ [5]

---

(١) الزُّهر: البِيض، يعني أنهم ساداتٌ لا عبيد، وعربٌ لا أعراب. ويَصِفُهم حين شبّههم بالجِمال بامتداد القامة، وعِظَم الخَلْق، والرفق في المشي، وذلك دليل على الوَقَار والسُّودَد. ويعصمهم: يمنعهم. وعرَّد: فرَّ وأعرض عن قِرْنه وهرب عنه. والتنابيل: جمع تِنبال، وهو القصير.

(٢) شمٌّ: جمع أَشمّ، وهو الذي في قصبة أنفه علوٌّ مع استواء أعلاه. والعرانين: جمع عِرنِين، وهو الأنف. واللَّبوس: ما يُلبَس، والمراد هنا الدِّرع. ونسج داود، أي: منسوجه، وهو الدرع، وداود المراد به داود النبيّ عليه السلام. والهيجا: الحرب. والسرابيل: جمع سِربال، وهو القميص أو الدرع، ووصفها بأنها من نسج داود دليلٌ على مناعتها وحسن صنعتها.

(٣) بِيض: مجلوّة صافية، لأن الحديد إذا استُعمل اعتُني به فلا يصدأ. والسوابغ: الطِّوال الوافية. وشُكَّت: أُدخل بعضها في بعض، ويروى: سُكَّت، أي: ضُيِّقت. والقفعاء: ضرب من الحسك، وهو نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض، تُشبَّه به حَلَقُ الدروع. ومجدول: مُحكَم الصنعة.

(٤) مفاريح.. ومجازيع، أي: إذا ظَفِروا بعدوِّهم لم يظهر عليهم الفرح، وإذا ظهر عليهم العدوُّ لم يحصل لهم الفزع، يصفهم بالشجاعة وشدّة الصبر وقلّة المبالاة بالخطوب. ونالوا: أصابوا.

(٥) وقوع الطعن في نحورهم: دليل على أنهم لا ينهزمون فيقع الطعنُ في ظهورهم، بل يُقدِمون على أعدائهم فيقع الطعنُ في نحورهم. وحِياض الموت: موارده، ويريد بها ساحات القتال. وتهليل: تأخير، يقول: لا يتأخرون عن حياض الموت إذا تأخر غيرُهم عنها وتراجع.

قال ابن هشام: قال كعبٌ هذه القصيدةَ بعدَ قُدومِه على رسول الله ﷺ المدينة[1].

وبيتُه: حَرْفٌ أخوها أبوها، وبيتُه: يَمشي القُرادُ، وبيتُه: عَيْرانةٌ قُذِفت، وبيتُه:

---

(١) روى محمد بن سلّام الجمحي في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٠٣ عن محمد بن سليمان، وابن قانع في «معجم الصحابة» ٢/ ٣٨١ من طريق الزبير بن بكّار، عن بعض أهل المدينة، كلاهما (محمد بن سليمان والمدني المجهول) عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيّب: أن النبيَّ ﷺ لمّا أنشده كعبٌ هذه القصيدة كساه بُردةً اشتراها معاويةُ من آل كعب بن زهيرٍ بمال كثير. زاد ابن سلّام: فهي البردة التي تلبسها الخلفاءُ في العيدين، زعم ذلك أبانُ (يعني ابن عثمان البَجَلي)، وزاد الزبير بن بكّار: فهي البردة التي تلبسها الخلفاءُ في الأعياد. قلنا: وهذا الإسناد على إرساله فيه إبهام شيخ الزبير بن بكار، وجهالة محمد بن سليمان شيخ ابن سلّام، فإنه لا يُعرَف، فهذا الخبر عن يحيى بن سعيدٍ ضعيف.

وقد روى ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٩٣ عن محمد بن هلال الجُمَحيِّ مولاهم: أنه رأى على الخليفة هشام بن عبد الملك بُرْدَ النبي ﷺ، كما ذكر ابن المبارك في «الزهد» (٧٦٦): أنه كان عند الخلفاء ثوبٌ للنبي ﷺ يَلبَسُونه يوم الفطر والأضحى؛ لكن لم يبيِّنا كيف وصل هذا البُرْد إلى هؤلاء الخلفاء. وزاد ابن المبارك: أن هذا الثوب كان قد قَدُمَ وبَلِيَ، فطَوَوه بثوبٍ آخر.

وقال العلّامة ابن كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ١٣٧ في شأن هذه البُردة المذكورة في خبر كعب ابن زهير: هذا من الأمور المشهورة جدّاً، ولكن لم أرَ ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أَرتضيه، فالله أعلم.

قلنا: ومهما يكن من أمرٍ، فإن هذه البُردة فُقِدَت منذ زمن طويل ولم يُعرَف لها أثرٌ، إما عند زوال دولة بني أُميّة، وإما عند وقعة التتار في بغداد، فانظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص٢٠-٢١، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي ٣/ ٣٠٢. وقيل: هما بُردتان لا بردة واحدة، وانظر تفصيل ذلك في كتاب «الآثار النبوية» لأحمد تيمور باشا ص١٧-٢١.

والبُردة: الشملة المخطَّطة، وقيل: كساء أسود مربَّع فيه صِغَر تَلبَسُه الأعراب. قاله ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» ١/ ١١٦؛ يعني تضعه على أكتافها.

تُمِرُّ مِثلَ عَسيبِ النّخلِ، وبيتُه: تَفْري اللَّبَان، وبيتُه: إذا يُساوِرُ قِرناً، وبيتُه: ولا يَزالُ بِوادِيهِ؛ عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عاصمُ بن عمر بن قَتَادة: فلمّا قال كعبٌ: إذا عَرَّدَ السُّودُ التّنابيلُ، وإنّما يريدنا مَعشَرَ الأنصارِ، لِمَا كان صاحبُنا صَنَعَ به ما صَنَعَ، وخَصَّ المهاجرين من قُريشٍ من أصحاب رسول الله ﷺ بمِدْحتِه، غَضِبَت عليه الأنصارُ، فقال بعد أن أسلَمَ يَمدَحُ الأنصارَ ويذكرُ بَلاءَهم مع رسول الله ﷺ، ومَوضِعَهم من اليَمَن[1]:

مَن سَرَّه كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... في مِقنَبٍ من صالحي الأنصارِ[2]

وَرِثُوا المَكارِمَ كابراً عن كابرٍ ... إنَّ الخِيارَ هُمُ بنو الأخيارِ

المُكرِهينَ[3] السَّمْهرِيَّ بأذرُعٍ ... كسَوالفِ الهِنديِّ غيرِ قِصارِ

والناظِرينَ بأعيُنٍ مُحمَرَّةٍ ... كالجَمرِ غيرِ كَليلةِ الأبصارِ[4]

والبائعينَ نُفوسَهم لنبيِّهِمْ ... للموتِ يومَ تَعانُقٍ وكِرَارِ

---

(١) انظر «شرح ديوان كعب» للسكّري ص٢٥.

(٢) المِقنَب: جماعة الخيل والفرسان.

(٣) في (ش٢) و(ق٢) و(ي): المُكرِمين، أي: يُكرمون الرماح بحملهم إياها بأذرع قويّة، والمثبت من بقية النسخ وهي رواية «الديوان»، والمعنى: حاملوها على المكروه من الطعن والقتال.

والسمهريّ: هو الرمح.

وسوالف الهنديّ: يريد حواشي السيوف، كما في «إملاء» الخشنيّ ص٤٢١، وفي «الديوان»: كصواقل الهنديّ.

(٤) أي: أعينهم محمرّة كالجمر للغيظ وشهوة لقاء العدوّ.

والكَليلة: الضعيفة النظر.

والذائـدِينَ النـاسَ عـن أديـانِهم	بالمَشـــرَفِيِّ وبالقَنــا الخَطّـــارِ[1]
يَتطهَّـــرون يَرَونَـــه نُسُـــكاً لهـــمْ	بـدِماءِ مَـن عَلِقُـوا مـن الكفّـارِ
دَرِبُـوا كمـا دَرِبَـت بـبَطنِ خَفِيّـةٍ	غُلْبُ الرِّقابِ من الأُسودِ ضَوَاري[2]
وإذا حَلَلْــتَ لِيَمنَعُــوكَ إلــيهمِ	أصـبَحتَ عنـد مَعاقِـلِ الأغفـارِ[3]
ضَـــرَبوا عليّـاً يـومَ بـدرٍ ضـربةً	دانَـــتْ لوَقعَتِهـــا جميـــعُ نِـــزارِ[4]
لـــو يَعلَـــمُ الأقـــوامُ عِلمـــيَ كلَّـــه	فـــيهم لَصَـــدَّقَني الّـــذينَ أُمـــاري[5]
قـــومٌ إذا خَـــوَتِ النّجـــومُ فـــإنّهم	للطّـــارِقينَ النّـــازِلينَ مَقَـــارِي[6]

(١) هذا البيت من نسخة (غ) وحدها، وهو ثابت في «الديوان» أيضاً.

والمَشرَفي: السيف منسوب إلى مَشارِف الشام (أي: أريافه) يعني هو مصنوع فيها. والقَنا: الرِّماح، جمع قَنَاة. والخطّار: المُهتزّ.

(٢) دَرِبوا: تعوَّدوا. وبطن خَفيّة: موضع تكثر فيه الأُسود. وغُلْب الرقاب: غلاظ الأعناق. وضَوَاري: متعوِّدات الصيد والافتراس.

(٣) المَعاقل: جمع مَعقِل، وهو الموضع الممتنِع كالحِصن. والأغفار: جمع غُفْر، وهو ولد الوَعْل تيس الجبل، ويضرب المثل بامتناع أولاد الوعول في أعالي الجبال.

(٤) أراد بعليٍّ عليَّ بن مسعود بن مازن الغسّاني، وهو أخو عبد مَناة بن كِنانة لأمّه، فحَضَنَ عليٌّ بني عبد مناة بعد موته، فنُسِبوا إليه، ومن بني عبد مناة بن كنانة بنو بكرٍ أحلاف قريش.

وفي «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي ص٣٧: صالوا علينا يوم بدر صولةً، لا ذكر لعليٍّ فيه.

(٥) أُماري، أي: أُجادل.

(٦) خَوَت النجوم، أي: غربت ولم يكن مطر في تلك الأوقات. والطارقون: الذين يأتون باللّيل. والمَقَاري: جمع مِقرًى، وهو الإناء الذي يصنع فيه الطعام للأضياف؛ يريد أنهم إذا انحبس المطر وعمّ القحطُ، يكونون أصحاب قِصاعٍ لقَرْي الأضياف الذين يطرقونهم وينزلون بهم، وأحمدُ ما يكون من الإطعام ما كان في وقت القحط.

فِي الغُـرِّ مِـن غسّـانَ في جُرثُومـةٍ أَعيَـتْ مَحافِرُهـا علـى المِنقـارِ[1]

قال ابن هشام: ويقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قال له حين أنشَدَه: بانَتْ سُعادُ فقَلْبي اليومَ مَتبُولُ: «لولا ذَكَرتَ الأنصارَ بخيرٍ، فإنَّ الأنصارَ لذلكَ أَهلٌ»[2]، فقال كعبٌ هذه الأبياتَ، وهي في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: وذُكِرَ لي عن عليِّ بن زيد بن جُدْعانَ أنّه قال: أنشَدَ كعبُ بن زهيرٍ رسولَ الله ﷺ في المسجد: بانَتْ سعادُ فقَلْبي اليومَ مَتبُولُ[3].

---

(١) هذا البيت من نسخة (غ) وحدها، وهو كذلك في «جمهرة أشعار العرب» ص٣٧، وهو في «الديوان» بلفظ:

للصُّلب من غسّان فوق جراثمٍ تَنبُو خوالدُهـا عن المِنقـارِ

وغسّان: قبائل يمانيَة من الأزد، ويُنسَب إليه الأوسُ والخزرجُ. والجراثم هنا: الأماكن المرتفعة، ضربه مثلاً للعزِّ والشرف. وتَنبُو، أي: تتجافى وتتباعد. وخوالدها: جبالها. وأراد بالمِنقار هنا: المِعوَل أو الفأس؛ يريد أن المعاول لا تؤثّر فيها. وهذا مثلٌ ضربه لعزِّهم، يقول: من أرادهم بشرٍّ امتنعوا عليه.

والغُرّ: جمع أغرّ، وهو الشريف في قومه.

(٢) لم يسنده ابن هشام ولم نقف عليه موصولاً في شيء من الكتب المسنَدة، فهو لذلك خبر ضعيف.

(٣) ورواه موصولاً الحاكم في «المستدرك» (٦٦٢١) بإسناده إلى ابن جُدعان، وفيه ضعف، وابن جدعان من صغار التابعين، فخبره مرسل.

غزوة تَبُوك

في رجبٍ سنة تسعٍ[1]

قال ابن إسحاق[2]: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحِجّةِ إلى رَجَبٍ، ثمّ أمَرَ الناسَ بالتَّهيُّؤِ لغَزوِ الرُّوم.

فذكرَ لنا الزُّهْريُّ ويزيدُ بن رُومانَ وعبدُالله بن أبي بكرٍ وعاصمُ بن عمر بن قَتَادة، وغيرُهم من علمائِنا، كلٌّ حَدَّثَ في غزوةِ تَبُوكَ ما بَلَغَه عنها، وبعضُ القوم يحدِّث ما لا يحدِّث بعضٌ: أنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ أصحابَه بالتَّهيُّؤِ لغَزوِ الرُّوم، وذلك في زمنِ عُسْرةٍ من النّاس وشِدّةٍ من الحَرِّ وجَدْبٍ من البلاد، وحين طابتِ الثِّمارُ والنّاسُ يُحِبُّون المُقامَ في ثِمَارِهم وظِلَالِهم، ويَكرَهون الشُّخُوصَ[3] على الحالِ من الزّمان الّذي هم عليه.

وكان رسول الله ﷺ قَلَّما يخرجُ في غزوةٍ إلّا كَنَّى عنها وأخبرَ أنّه يريد غيرَ الوجهِ الذي يَصمُدُ له[4]، إلّا ما كان من غزوة تَبُوك، فإنّه بَيَّنَها للنّاس لبُعْدِ الشُّقَّة[5]، وشِدّةِ الزَّمان، وكَثْرةِ العدوِّ الذي يَصمُدُ له، ليَتأهَّبَ النّاسُ لذلك أُهبَتَه، فأمَرَ النّاسَ

---

(١) تقع تبوك شمال غرب المدينة المنوَّرة على قرابة ٦٥٠ كم، وكانت تبوك إذ ذاك تُعَدُّ من أطراف الشام، وكانت من ديار قُضَاعة وتتبع لسلطة الرُّوم.

(٢) في نسخة (غ): وبالسند الأول المذكور حدّثنا أبو محمّد عبدُ الملك بن هشام قال: حدّثنا زيادُ بن عبد الله البكّائي، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال.

(٣) أي: الذهاب والخروج.

(٤) يَصمُد، أي: يَقصِد.

(٥) الشُّقّة: السفر البعيد.

بالجَهَازِ وأخبرهم أنّه يريد الرُّومَ[1].

---

(١) أخرج البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك في قصة توبته قال: لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوةً إلا وَرَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوةُ، غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ، واستقبل سفراً بعيداً ومَفازاً (أي: برِّيّةً كبيرةً) وعدوّاً كثيراً، فجَلَّى للمسلمين أمرَهم ليتأهَّبوا أُهبَةَ غزوِهم، فأخبرهم بوجهه الّذي يريد. واللفظ للبخاري.

وكان السببُ فيها ما ذكره الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٨٩-٩٩٠ وصاحبُه ابن سعد في «طبقاته» ٢/ ١٥٠: أنه بلغ رسولَ الله ﷺ من جهة الأنباط الذين يَقدَمُون بالدقيق والزيت من الشام: أن الروم قد جَمَعَت جموعاً كثيرةً بالشام ومعهم لَخْم وجُذَام وغيرهم من متنصِّرة العرب، وقدّموا مقدَّماتهم إلى البلقاء، ولم يكن ذلك، إنما ذلك شيءٌ قيل لهم فقالوه، فنَدَبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى الخروج، وأعلَمَهم المكانَ الذي يريد ليتأهَّبوا لذلك، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرُهم.

وقد أشار عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلى ذلك في حديث ابن عباسٍ عنه في قصة اعتزال النبيِّ ﷺ نساءَه وتخييرَه لهنّ، فقال ـ فيما أخرجه البخاري (٥١٩١) ومسلم (١٤٧٩) ـ: وكنا نتحدّث أن غسَّانَ تَنعَلُ الخيلَ لتغزوَنا. وغسّانُ من متنصِّرة العرب بالشام يتبعون لملك الروم، وكانت قصة الاعتزال والتخيير هذه في أول سنة تِسْع كما حقّقه ابن حجر في «الفتح» ١٥/ ٥٧٠، أي: قبل غزوة تبوك بأشهُر.

وأما عن عدد جيش المسلمين في هذه الغزوة، فقد ذكر يونسُ بن بكيرٍ عن ابن إسحاق كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٢١٩، وابنُ سعد ٢/ ١٥١: أنه اجتمع له ﷺ في هذه الغزوة ما يقرب من ثلاثين ألفاً من الناس، وأسند الواقديُّ ٣/ ٩٩٦ هذا العدد إلى زيد بن ثابت، لكن في إسناده جهالة بعض رواته، وروي نحوه عن معاذ بن جبل فيما رواه ابن عديٍّ في «الكامل» ٧/ ٢٧٠ بإسنادٍ واهٍ فيه أبو فروة يزيد بن سنان، وهو ضعيف جداً منكر الحديث.

قلنا: والذي يغلب على ظنّنا: أن هذا الرقم مبالَغٌ فيه، فإن الجيش الإسلامي في غزوة حنين والطائف كان قرابة الاثني عشر ألفاً مع من أسلم من قبائل قريش وأحلافها بمكة وما حولها، وبين هذه الغزوة وغزوة تبوك أشهرٌ، ولم يكن كثيرٌ من القبائل العربية إذ ذاك قد دخل في =

فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ وهو في جَهَازِه ذلك للجَدِّ بن قيسٍ أَحدِ بني سَلِمةَ[1]: «يا جَدُّ، هل لكَ العامَ في جِلَادِ بني الأصفَرِ؟»[2] فقال: يا رسولَ الله، أوَتأذَنُ لي ولا تَفتِنِّي! فوالله لقد عَرَفَ قومي أنّه ما من رجلٍ بأشدَّ عُجْباً بالنّساءِ منّي، وإنّي أَخشى إن رأيتُ نساءَ بني الأصفَرِ أن لا أَصبِرَ، فأعرَضَ عنه رسولُ الله ﷺ وقال: «قد أَذِنتُ لك»؛ ففي الجَدِّ بن قيسٍ نَزَلَت هذه الآيةُ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩][3]. أي:

= الإسلام، فمن أين يمكن أن يصل عددُ الجيش إلى الثلاثين ألفاً أو أكثر من ذلك في بعض الروايات في هذه المدّة القصيرة، والذي يترجّح عندنا أنّ عدده قد يكون في حدود الخمسةَ عشرَ ألفاً، أو أكثرَ من ذلك بقليل، ويمكن أن يستدلَّ على ذلك بقول كعب بن مالك في حديث توبته ـ كما في روايةٍ عند مسلم (٢٧٦٩)(٥٥) ـ وهو يتحدّث عن هذه الغزوة: وغزا رسولُ الله ﷺ بناسٍ كثيرٍ يزيدون على عشرة آلاف؛ والله تعالى أعلم.

قال ابن سعد ٢/ ١٥١: فأَمَرَ كلَّ بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتَّخذوا لواءً أو رايةً، ومضى لوجهه يسير بهم حتى قَدِمَ تبوكَ.

(١) وهو أحدُ المنافقين، وقد سلف عند المصنف ذكرُه فيهم ٢/ ١٨٨.

(٢) بنو الأصفر: يريد بهم الرُّوم. والجِلاد: المجالَدة والمضارَبة بالسيوف.

(٣) حديث قويٌّ إن شاء الله، فهو من رواية غير واحد من الثقاتِ مرسلاً كما تقدّم للمصنف، وهذه الروايات يشدُّ بعضها بعضاً فيتقوّى الخبر.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٤٩٢ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢١٣-٢١٤ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، عن شيوخه المذكورين في أول الخبر.

وخالف عبدُ الرحمن بن بشير الدمشقي عند ابن أبي حاتم في «التفسير» ٦/ ١٨٠٩ فرواه عن ابن إسحاق، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لجدِّ بن قيس، فذكره. هكذا وصله، وهذه رواية شاذّة، فإن عبد الرحمن =

إن كان إنّما خَشِيَ الفِتنةَ من نساءِ بني الأصفَرِ، وليس ذلك به، فما سَقَطَ فيه من الفتنةِ أكبرُ بتَخَلُّفِه عن رسولِ الله ﷺ، والرَّغْبةِ بنفسِه عن نفسِه، يقول: وإنَّ جهنَّمَ لَمِن ورائِه.

وقال قومٌ من المنافقين بعضُهم لبعضٍ: لا تَنفِرُوا في الحَرِّ، زَهَادةً في الجهاد، وشَكّاً في الحقِّ، وإرجافاً بالرَّسول ﷺ[1]، فأنزَلَ اللهُ تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة:٨١-٨٢].

قال ابن هشام: وحدّثني الثِّقةُ عمّن حدَّثه عن محمّد بن طَلْحة بن عبد الرَّحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبدالله بن حارثةَ عن أبيه عن جَدِّه قال: بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنّ ناساً من المنافقينَ يَجتمِعونَ في بيتِ سُوَيلِمٍ اليهوديِّ ـ وكان بيتُه عند جاسُومَ[2] ـ يُثبِّطون الناسَ عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، فبَعَثَ إليهم النبيُّ ﷺ طلحةَ بن

= ابن بشير ـ وإن وثّقه دُحَيمٌ الدمشقي كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣٤/ ٢٤٣ ـ قال فيه أبو حاتم الرازي كما في «الجرح والتعديل» ٥/ ٢١٥: منكر الحديث، يروي عن ابن إسحاق غيرَ حديثٍ منكرٍ.

قلنا: وللخبر شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني في «الكبير» (١٢٦٥٤) و«الأوسط» (٥٦٠٤)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (١٧٢٠). وإسناده ضعيف، لكنه يصلح للمتابعات والشواهد.

(١) الإرجاف به: الإكثار من الأخبار السيّئة واختلاق الأقوال الكاذبة في حقّه.

(٢) جاسوم: بئر ماء كانت لأبي الهيثم بن التيِّهان بالقرب من راتجٍ كما في «تاريخ المدينة» لابن شبّة ١/ ٦٩ و١٦٠، ويقال لها أيضاً: بئر جاسم، كما في «الطبقات» لابن سعد ١/ ٤٣٣ و٤٣٤، وراتج قريب من موضع حفر الخندق شمال المدينة النبويّة، وأما بئر جاسوم فلم تعد معروفةً اليوم.

عُبيدِ الله في نَفَرٍ من أصحابه، وأمَرَه أن يُحرِّقَ عليهم بيتَ سُوَيلِمٍ، ففعل طلحةُ، فاقتَحَمَ[1] الضَّحّاكُ بن خَلِيفةَ من ظَهْرِ البيت فانكَسَرَت رجلُه، واقتَحَمَ أصحابُه فأَفلَتُوا[2].

فقال الضّحّاكُ في ذلك:

كادَت وبيتِ الله نارُ محمّدٍ يَشِيطُ بها الضَّحّاكُ وابنُ أُبَيرِقِ[3]

وظَلْتُ وقد طَبَّقتُ كِبْسَ سُوَيلِمٍ أنُوءُ على رِجْلي كَسِيراً ومِرفَقِي[4]

سَلامٌ عليكم لا أعُودُ لمِثلِها أخافُ ومَن تَشمَلْ به النّارُ يُحرَقِ

---

(١) أي: رمى بنفسه وقفز.

(٢) إسناده ضعيف بمرّة، فيه بين ابن هشام وبين محمد بن طلحة واسطتان مبهمتان، ومحمد ابن طلحة بن عبد الرحمن التَّيمي محلُّه الصدق لكن لا يُحتَجُّ به كما قال أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعديل» ٧/ ٢٩٢، يعني إذا انفرد كما هو الحال هنا، وإسحاق بن إبراهيم وأبوه مجهولان.

وأخرج ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٤٥) عن يعقوب بن حُميد، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن محمد بن الحُصين، عن أبيه، عن محمود بن لَبِيد: أن عُوَيم بن ساعدة قال لأصحابه يوم بُعِثوا إلى المنافقين في بيت سُوَيلِم: أطيعوني وأحرقوهم بالنار كما أمَرَكم رسولُ الله ﷺ.

وإسناده ضعيف أيضاً، فيعقوب بن حميد ـ وهو ابن كاسب ـ ليس بذاك القوي، وله مناكير وغرائب كما قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٤٥١، ومحمد بن حصين ـ وهو عبد الرحمن الأشهلي ـ فيه جهالة، وكون هذا وما ذكره ابن هشام مخرجه واحد ـ وهو محمد بن طلحة ـ مما يُعلّه أيضاً بالاضطراب.

(٣) يشيط: يحترق. وابن أُبيرق: تقدم لابن إسحاق ٢/ ١٨٦ أن ذكر بُشَير بن أُبيرق في جملة المنافقين.

(٤) طبَّقتُ: عَلَوتُ. والكِبْس: البيت الصغير. وأنُوء، أي: أنهض متثاقلاً.

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ رسولَ الله ﷺ جَدَّ في سَفَرِه، وأمَرَ الناسَ بالجَهاز والانكِمَاش[1]، وحَضَّ أهلَ الغِنَى على النَّفقة والحُمْلان[2] في سبيل الله، فحَمَلَ رجالٌ من أهلِ الغِنى واحتَسَبُوا[3]، وأنفَقَ عثمانُ بن عفّانَ في ذلك نَفَقةً عظيمةً لم يُنفِقْ أحدٌ مِثلَها.

قال ابن هشام: حدّثني مَن أثِقُ به: أنّ عثمانَ بن عفّانَ أنفَقَ في جيشِ العُسْرةِ في غزوة تَبُوكَ ألفَ دينارٍ، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ ارْضَ عن عثمانَ، فإنِّي عنه راضٍ»[4].

---

(١) الانكماش: الإسراع والجِدُّ في الأمر.

(٢) الحُمْلان: مصدر حَمَلَ، أي: حثَّهم على حمل غيرهم على دوابَّ يهيِّئونها للسفر.

(٣) أي: أخرجوا ذلك حِسبةً، أي: يرجون أجرَ ما بذلوا عند الله تعالى.

(٤) إسناده ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

وقد روي نحوه ضمن خبر طويل بإسناد مرسل ضعيف عن سالم بن عبد الله بن عمر عند أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٨٤).

لكن ثبت في هذه القصة ما أخرجه أحمد (٢٠٦٣٠)، والترمذي (٣٧٠١)، والحاكم (٤٦٠٣) من حديث عبد الرحمن بن سَمُرة قال: جاء عثمانُ بن عفّان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه، حين جهَّز النبيُّ ﷺ جيشَ العُسْرة، قال: فصبَّها في حِجْر النبي ﷺ، فجعل النبيُّ ﷺ يُقلِّبها بيده ويقول: «ما ضَرَّ ابنَ عفّان ما عمل بعدَ اليوم» يردِّدها مِراراً. وإسناده حسن، وحسّنه الترمذيُّ وصحَّحه الحاكم.

وهذا أصحُّ مما رواه الترمذي (٣٧٠٠) من حديث فَرقَدٍ أبي طلحة عن عبد الرحمن بن خبّاب قال: شهدتُ النبيَّ ﷺ وهو يحثّ على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليَّ مئةُ بعير بأحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله، عليَّ مئتا بعير بأحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله، عليَّ ثلاثُ مئة بعير بأحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله، فأنا رأيت رسولَ الله =

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ رجالاً من المسلمين أتَوْا رسولَ الله ﷺ، وهم البَكّاؤُون، وهم سبعةُ نَفَرٍ من الأنصارِ وغيرِهم، من بني عمرو بن عَوفٍ: سالمُ بن عُمَيرٍ، وعُلْبَةُ ابن زيدٍ أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبدُ الرَّحمن بن كعبٍ أخو بني مازن بن النَّجّار، وعمرُو بن حُمَام بن الجَمُوحِ أخو بني سَلِمة، وعبدُ الله بن المُغفَّلِ المُزَنيّ، وبعضُ الناس يقول: بل هو عبدُ الله بن عمرٍو المُزَنيّ، وهَرَميٌّ بن عبدِ الله أخو بني واقِفٍ، وعِرْباضُ بن سارِيةَ الفَزَاريّ، فاستَحمَلوا[1] رسولَ الله ﷺ وكانوا أهلَ حاجةٍ، فقال: «لا أَجِدُ ما أَحمِلُكم عليه»، فتَوَلَّوا وأعيُنُهم تَفِيضُ من الدَّمع حَزَناً ألّا يَجِدُوا ما يُنفِقون.

قال ابن إسحاق: فبَلَغَني: أنّ ابنَ يامِينَ[2] بن عُمَير بن كعبٍ النَّضَريَّ لَقِيَ أبا

= ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمانَ ما عَمِلَ بعد هذه، ما على عثمان ما عَمِلَ بعد هذه». فقد قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. قلنا: وفرقدٌ أبو طلحة مجهول لم يرو عنه غير الوليد، وقال عليُّ بن المَديني: لا أعرفه.

الأحلاس: جمع حِلْس، وهو كساء يوضع فوق ظهر الدابة تحت الرَّحل. والأقتاب: جمع قَتَبٍ، وهو الرحل الصغير على قَدْر سنام الجمل.

(١) استحملوه: طلبوا منه ما يحملهم عليه.

(٢) كذا وقع في رواية ابن هشام عن البكّائي عن ابن إسحاق في هذا الموضع: ابن يامين، والذي في رواية سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٢، ورواية يونس بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢١٨، كلاهما عن ابن إسحاق: أنه يامين، وليس ابن يامين، وقد تقدم ٣/ ٢٢٥: أن يامين هذا أحدُ رجلين أسلما من يهود بني النَّضير، فهذا هو الصواب إن شاء الله أنه يامين وليس ابن يامين، وكذلك وقع على الصواب عند الواقديّ في «المغازي» ٣/ ٩٩٤، وزاد: أن العباس بن عبد المطّلب أيضاً حَمَل منهم رجلين، وعثمان حمل منهم ثلاثةً بعد الذي كان جهَّز من الجيش.

ليلى عبدَ الرَّحمن بن كعبٍ وعبدَ الله بن مُغفَّلٍ وهما يَبكِيان، فقال: ما يُبكِيكُما؟ قالا: جِئْنا رسولَ الله ﷺ ليَحمِلَنا، فلم نَجِدْ عنده ما يَحمِلُنا عليه، وليس عندنا ما نَتَقوَّى به على الخروج معه، فأعطاهما ناضِحاً له فارتَحَلَاه[1]، وزَوَّدَهما شيئاً من تمرٍ، فخَرَجا مع رسول الله ﷺ[2].

قال: وجاءَه المُعذِّرون[3] من الأعراب، فاعتَذَرُوا إليه فلم يَعذِرْهم الله، وقد ذُكِرَ لي أنّهم نَفَرٌ من بني غِفَار، ثمّ استَتَبَّ[4] برسول الله ﷺ سفرُه وأجمَعَ السَّيرَ.

وقد كان نَفَرٌ من المسلمين أبطَأَت بهم النِّيّةُ عن رسول الله ﷺ حتّى تَخَلَّفوا عنه عن غير شَكٍّ ولا ارتيابٍ، منهم كعبُ بن مالك بن أَبي كعبٍ أخو بني سَلِمة، ومُرَارةُ ابن الرَّبيعِ أخو بني عمرو بن عَوفٍ، وهِلالُ بن أُميّة أخو بني واقِفٍ، وأبو خَيثَمةَ أخو بني سالم بن عَوفٍ، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ لا يُتَّهَمون في إسلامهم.

فلمّا خرج رسولُ الله ﷺ ضَرَبَ عسكرَه على ثَنيّةِ الوَدَاع[5].

---

(١) الناضح: الجمل الذي يُستقَى عليه الماء. وارتحلاه، أي: جعلا عليه الرَّحْل، وهو ما يوضع على البعير من أداةٍ ليُركَب عليه.

(٢) ومن الذين استحملوه ﷺ في هذه الغزوة فلم يجد ما يحملهم عليه نفرٌ من الأشعريِّين كما وقع في حديث أبي موسى الأشعري عند البخاري (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩)، ثم ابتاع من سعدٍ ـ والغالب أنه سعد بن عُبادة ـ ستة أبعرة، فاستدعى أبا موسى وأعطاه إيّاها له ولأصحابه.

(٣) أي: المُعتذِرون.

(٤) أي: تتابع واستمرّ.

(٥) زاد يونسُ بن بكيرٍ عن ابن إسحاق كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٢١٩: ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس. قلنا: وقد تقدّم قريباً ص٢٤٤ التعليق على هذه القضيّة.

وكان خروجه ﷺ من المدينة يوم الخميس على ما في حديث كعب بن مالك عند البخاري (٢٩٥٠)، وقال: كان يحب أن يخرج يومَ الخميس. =

قال ابن هشام: واستَعمَلَ على المدينة محمّدَ بن مَسلَمة الأنصاريَّ[1].

وذكرَ عبدُ العزيز بن محمّدٍ الأَندَراوَرْديُّ[2]: أنّ رسولَ الله ﷺ استعمَلَ على المدينة مَخرَجَه إلى تبوكَ سِبَاعَ بن عُرفُطة.

قال ابن إسحاق: وضَرَبَ عبدُ الله بن أُبيٍّ معه على حِدَةٍ عسكرَه أسفلَ منه نحوَ ذُبَابٍ[3]، وكان فيما يَزعُمون ليس بأقلِّ العسكرَينِ، فلمّا سارَ رسولُ الله ﷺ تَخلَّفَ عنه عبدُ الله بن أُبيٍّ فيمَن تَخلَّفَ من المنافقين وأهلِ الرِّيَب.

وخَلَّفَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ على أهلِه وأمَرَه بالإقامة فيهم، فأَرجَفَ به المنافقون وقالوا: ما خَلَّفَه إلّا استثقالاً له وتَخفُّفاً منه، فلمّا قال ذلك المنافقون أخَذَ عليُّ بن أبي طالبٍ - رِضوانُ الله عليه - سِلاحَه ثمّ خرج حتّى أَتى رسولَ الله ﷺ وهو نازِلٌ بالجُرْفِ[4]، فقال: يا نبيَّ الله، زَعَمَ المنافقون أنّكَ إنّما خَلَّفتَني أنّك

= والثَّنيّة: الطريق في الجبل، وهذه الثنيّة من جبل سَلْع على طرفه الشرقي الشمالي، وفيها عُبِّد الطريق الذاهب إلى العيون (وهي الغابة) والشام، وهي اليوم في قلب عُمران المدينة.

(١) وهذا الذي رجّحه ابن سعد ٢/ ١٥١ فقال: هو أثبت عندنا ممّن قال: استخلف غيره.

وروى أيضاً ٤/ ١٩١ عن الشعبي: أنه ﷺ في هذه الغزوة استخلف ابنَ أمِّ مكتوم يؤمّ الناس في الصلاة.

(٢) زاد في (ش١) و(ش٢) و(غ): عن أبيه. وهذه زيادة لا تصحُّ، فإنه لا يُعرف والد عبدالعزيز في الرواة أبداً، ولم يترجم له أحدٌ من المعتنين بتراجم الرواة.

والأندراوَرْدي: هكذا وقع في نسخنا الخطية، ويقال أيضاً: الدَّراوَرْدي، وهو بها أشهرُ، وانظر «الأنساب» في رسم (الدَّراوَردي) للسمعاني ٥/ ٣٣٠-٣٣١.

(٣) ذباب: أكَمة صغيرة في المدينة بالقرب من جبل سَلْع بينهما ثنيّة الوداع، وقد كُسِيَ اليوم بالعُمْران.

(٤) الجرف: موضع غربيّ المدينة يُرى من جبل سَلْع.

استَثقَلْتني وتَخفَّفتَ منّي! فقال: «كَذَبُوا، ولكنّي خلَّفتُكَ لِمَا تَركتُ وَرَائي، فارجِعْ فاخلُفْني في أهلي وأهلِك، أفلا تَرْضَى يا عليُّ أن تكونَ منِّي بمَنزِلَةِ هارونَ من موسى؟! إلَّا أنَّه لا نبيَّ بَعْدي»، فرَجَعَ عليٌّ إلى المدينةِ، ومضى رسولُ الله ﷺ على سَفَرِه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّدُ بن طلحة بن يزيدَ بن رُكَانة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وَقّاصٍ، عن أبيه سعدٍ: أنّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول لعليٍّ هذه المَقالَةَ[1].

قال ابن إسحاق: ثمّ رجع عليٌّ إلى المدينة، ومضى رسولُ الله ﷺ على سَفَرِه.

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه الدَّورقي في «مسند سعد» (٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٣١)، والبزار في «مسنده» (١١٩٤)، والنسائي في «خصائص علي» (٥٣)، والشاشي في «مسنده» (١٣٤) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وفي بعضها تصريح محمد بن طلحة بسماعه من إبراهيم بن سعد.

وأخرج نحوه النسائي في «الكبرى» (٨٠٨٢) من طريق قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن سعد بن أبي وقاص.

وأخرج الحديث دون قصة إرجاف المنافقين بعليٍّ: أحمد (١٤٦٣) و(١٤٩٠) و(١٥٠٥) و(١٥٨٣) و(١٦٠٠) و(١٦٠٨)، والبخاري (٣٧٠٦) و(٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، وابن ماجه (١١٥)، والترمذي (٣٧٢٤) و(٣٧٣١)، والنسائي (٨٠٨٣) و(٨٠٨٥) و(٨٠٨٦) من طرق عن سعد بن أبي وقاص.

وفي الباب عن ابن عباس عند أحمد (٣٠٦١)، وعن أبي سعيد الخدري عنده (١١٢٧٢)، وعن جابر بن عبد الله عنده أيضاً (١٤٦٣٨)، وعن أسماء بنت عُميس عنده (٢٧٠٨١)، وانظر تمام تخريجها في هذه المواضع.

ثمّ إنّ أبا خَيْثمةَ رجع بعدَ أن سارَ رسولُ الله ﷺ أيّاماً إلى أهلِه في يومٍ حارٍّ، فوَجَدَ امرأتين له في عَرِيشَينِ لهما في حائطِه[1] قد رَشَّتْ كلٌّ واحدة منهما عريشَها، وبَرَّدَت له فيه ماءً وهيَّأت له فيه طعاماً، فلمّا دخل قامَ على باب العريشِ فنَظَرَ إلى امرأتَيهِ وما صَنَعَتا له، فقال: رسولُ الله ﷺ في الضِّحِّ[2] والرِّيحِ والحَرِّ وأبو خَيثَمة في ظِلٍّ بارد وطعامٍ مُهيَّأً وامرأةٍ حَسْناءَ، في ماله مُقِيمٌ، ما هذا بالنَّصَفِ، ثمّ قال: والله لا أدخُلُ عريشَ واحدةٍ منكما حتّى أَلحَقَ برسول الله ﷺ، فهَيِّئا لي زاداً، ففعلتا، ثمّ قَدَّمَ ناضِحَه فارتَحَلَه، ثمّ خرج في طَلَبِ رسول الله ﷺ حتّى أدركَه حين نَزَلَ تبوكَ.

وقد كان أدرَكَ أبا خَيثَمةَ عُمَيرُ بن وهبٍ الجُمَحيُّ في الطّريق يطلبُ رسولَ الله ﷺ فتَرافَقَا، حتّى إذا دَنَوَا من تبوك قال أبو خَيثَمة لعُمَير بن وهبٍ: إنّ لي ذَنْباً، فلا عليك أن تَخلَّفَ عنّي حتّى آتيَ رسولَ الله ﷺ، ففعل، حتّى إذا دَنا من رسول الله ﷺ وهو نازِلٌ بتبوكَ قال الناسُ: هذا راكبٌ على الطّريق مُقبِلٌ، فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خَيْثَمةَ»، فقالوا: يا رسولَ الله، هو واللهِ أبو خَيثَمة، فلمّا أناخَ أقبَلَ فسَلَّمَ على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أَولَى لكَ[3] يا أبا خَيْثَمةَ»، ثمّ أَخبرَ رسولَ الله ﷺ الخبرَ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخيرٍ[4].

---

(١) العريش: ظُلّة شبه الخيمة من خُوص وقصب. والحائط: البستان.

(٢) الضِّحّ: الشمس.

(٣) أَولى لك: كلمةٌ فيها معنى التوعُّد والتهدُّد، وهي اسم لدنوتَ أو قاربتَ، ومعناها فيما قال ثعلب: دَنَوتَ من الهَلَكة، وقال الأصمعي: قارَبَك ما تكره.

(٤) خبر أبي خيثمة هذا وصله الدورقيُّ في «مسند سعد» (٨٠) بخبر عليٍّ المتقدِّم الذي رواه من طريق عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَانة عن إبراهيم ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. فإن كان هذا محفوظاً فالإسناد صحيح، والله تعالى أعلم. =

قال ابن هشام: وقال أبو خَيثَمة في ذلك شِعراً، واسمه مالكُ بن قيسٍ[1]:

لمّـا رأيـتُ النـاسَ في الـدِّينِ نـافَقُوا ... أَتيـتُ الّتـي كانـت أعَـفَّ وأكرَمـا

وبايعــتُ بــاليُمنَى يَــدِي لمحمّــدٍ ... فلم أكتَسِبْ إثمـاً ولـم أغْشَ مَحرَما

تَرَكتُ خَضِيباً في العَريشِ وصِرْمةً ... صَـفَايا كِرامـاً بُسْـرُها قـد تَحَمَّمـا[2]

وكنـتُ إذا شَـكَّ المنـافقُ أسـمَحَت ... إلى الدِّينِ نفسي شَطْرَه حيثُ يَمَّما[3]

قال ابن إسحاق: وقد كان رسولُ الله ﷺ حين مَرَّ بالحِجْر[4] نَزَلها واستَقَى الناسُ من بئرِها، فلمّا راحُوا قال رسول الله ﷺ: «لا تَشرَبُوا من مائِها شيئاً، ولا تَتَوَضَّؤُوا منه للصَّلاةِ، وما كان من عَجِينٍ عَجَنتُموهُ فاعلِفُوه الإبلَ ولا تَأكُلوا منه شيئاً، ولا يَخرُجَنَّ أَحدٌ منكم اللَّيلةَ إلّا ومعه صاحبٌ له».

= أما البيهقيُّ فساقه في «الدلائل» ٥/ ٢٢٢-٢٢٣ من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حَزْم مرسلاً.

وقد وقع ذكرُ أبي خيثمة في حديث كعب بن مالك عند أحمد (٢٧١٧٥) ومسلم (٢٧٦٩)، ففيه: فبَيْنا هم كذلك، إذا هم برجل يزول به السَّرابُ، فقال النبي ﷺ: «كن أبا خيثمة»، فإذا هو أبو خيثمة.

(١) وقيل: عبد الله بن خيثمة، وهو أنصاريٌّ أحدُ بني سالم من الخَزرَج.

(٢) الخضيب: المرأة المخضوبة بالحِنّاء. والصِّرمة: جماعة النَّخل. وصفايا، أي: كثيرة الحمل، وأصله في الإبل، يقال: ناقةٌ صَفِيٌّ، إذا كانت غزيرة الدَّرِّ، وجمعها: صفايا. والبُسْر: التمر قبل أن يَطِيب. وتَحمَّما، أي: أخذ في الإرطاب فاسودَّ.

(٣) أسمَحَت: انقادت. وشطرَه، أي: نحوَه. ويمَّم: قَصَدَ وتوجَّه.

(٤) يقع الحِجْر (وهي مدائن صالح) شمال مدينة العُلا على بعد ٢٢ كم تقريباً، وتقع العُلا شمال غرب المدينة المنوّرة على بعد ٣٠٠ كم تقريباً، وتبوك شمال غرب الحِجْر على قرابة ٢٣٠ كم.

ففعل الناسُ ما أمَرَهم به رسولُ الله ﷺ، إلّا أنّ رجلَين من بني ساعدةَ خرج أحدُهما لحاجَتِه، وخرج الآخرُ في طَلَبِ بعيرٍ له، فأمّا الذي ذهبَ لحاجَتِه، فإنّه خُنِقَ على مَذْهَبِه[1]، وأمّا الذي ذهبَ في طَلَبِ بعيرِه، فاحتَمَلَته الرّيحُ حتّى طَرَحَته بجَبَلَي طَيِّئٍ[2]، فأُخبِرَ بذلك رسولُ الله ﷺ، فقال: «ألَمْ أنْهَكُم أن يَخرُجَ منكم أَحدٌ إلّا ومعه صاحبُه؟!»، ثمّ دعا رسولُ الله ﷺ للّذي أُصِيبَ على مَذهَبِه فشُفِيَ، وأمّا الآخَرُ الذي وَقَعَ بجَبَلَي طَيِّءٍ، فإنّ طَيّئاً أهدَتْه لرسول الله ﷺ حين قَدِمَ المدينة.

والحديثُ عن الرَّجلَينِ عن عبدِ الله بن أبي بكرٍ عن عبّاس بن سَهْل بن سعدٍ السّاعِديِّ[3].

---

(١) هو الموضع الذي يُتغوَّط فيه، وهو مَفعَل من الذَّهاب.

(٢) وهما سَلْمى وأَجَأ ويقال لهما: جبلا حائل، لأنهما يُشرِفان على مدينة حائل شمال نجد.

(٣) حديث صحيح إن شاء الله، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعباس بن سهل من التابعين، لكن ثبت من وجه آخر عنه كما سيأتي أنه سمع هذا الخبر من أبي حُميدٍ الساعدي، وكان مع النبي ﷺ في غزوة تبوك.

وقد أخرج هذا الخبر الدَّورقي في «مسند سعد» (٨٠) من طريق عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق، وجعله موصولاً بحديثه عن محمد بن طلحة بن رُكَانة عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه. وهذا غير محفوظ من حديث سعد.

وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٥٣) من طريق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري عن ابن إسحاق، وجعله من حديثه عن الزهري ويزيد بن رُومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائهم مرسلاً.

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٤٠ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم، عن العباس بن سهل مرسلاً، أو عن العباس عن أبيه سهل بن سعد =

وقد حدّثني عبدُالله بن أبي بكرٍ: أنّه قد سَمَّى له العبّاسُ الرّجلَينِ ولكنّه استَودَعَه إيّاهما، فأَبَى عبدُ الله أن يُسمِّيَهما لي.

قال ابن هشام: بَلَغَني عن الزُّهْريِّ أنّه قال: لمّا مَرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْرِ سَجَّى ثوبَه على وجهِه، واستَحَثَّ راحلتَه[1] ثمّ قال: «لا تَدخُلوا بُيوتَ الَّذينَ ظَلَمُوا إلّا وأنتم باكُونَ، خَوْفاً أن يُصِيبَكم مِثلُ ما أصابَهم»[2].

= الساعدي؛ الشك من البيهقي.

فهذا هو المحفوظ عن ابن إسحاق، أنه من حديثه عن عبد الله بن أبي بكر عن عباس بن سهل، وهكذا رواه عنه أيضاً سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٥.

وقد روى أصلَ هذا الخبر عمرُو بنُ يحيى المازنيُّ عن العباس بن سهل الساعدي عن أبي حميد الساعدي، لكن قصَّر فيه فلم يذكر قصة الرجل الذي خُنق على مذهبه؛ قال أبو حميد فيما حدّث عن غزوة تبوك: فلمّا أَتينا تبوكَ قال رسول الله ﷺ: «أمَا إنها ستهبُّ الليلةَ ريح شديدة، فلا يقومنَّ أحدٌ، ومن كان معه بعيرٌ فليَعقِلْه»، فعَقَلْناها، وهبَّت ريح شديدة، فقام رجلٌ فألقته بجبلي طيِّئ. أخرجه من هذا الطريق أحمد (٢٣٦٠٤)، والبخاري (١٤٨١)، ومسلم (٢٢٨١)(١١)، وابن حبان (٤٥٠٣) و(٦٥٠١).

ويشهد لأول خبر العباس بن سهل في النهي عن شرب ماء الحِجر، حديثُ ابن عمر عند البخاري (٣٣٧٨) و(٣٣٧٩) ومسلم (٢٩٨١): أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرضَ ثَمُود، الحِجرَ، فاستَقَوْا من بئرها واعتَجَنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُهرِيقوا ما استَقَوْا من بئرها، وأن يَعلِفُوا الإبلَ العجينَ، وأمرهم أن يَستَقُوا من البئر التي كانت تَرِدُها الناقةُ.

وحديثُ سَبْرة بن مَعبَد عند الحاكم (٤١١٢) قال: نزلنا الحِجرَ في غزوة تبوك، فقال النبي ﷺ: «من كان عمل من هذا الماءِ طعاماً فليُلقِه»، قال: فمنهم من عجن العجين، ومنهم من حاسَ الحيسَ، فألقَوه. وإسناده حسن.

(١) سجَّى ثوبه على وجهه، أي: غطّاه به. واستحثَّ راحلته، أي: استعجلها.

(٢) حديث صحيح. =

قال ابن إسحاق: فلمّا أصبحَ النّاسُ ولا ماءَ معهم، شَكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا رسولُ الله ﷺ، فأرسَلَ الله سحابةً فأمطَرَت حتّى ارتَوَى النّاسُ واحتَمَلوا حاجَتَهم من الماء.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن محمود بن لَبِيدٍ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهَل؛ قال: قلت لمحمودٍ: هل كان الناسُ يَعرِفون النِّفاقَ فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرّجلُ ليَعرِفُه من أخيه ومن أبيه ومن عمِّه، وفي عَشِيرتِه، ثمّ يَلبَسُ بعضُهم بعضاً[1] على ذلك.

ثمّ قال محمودٌ: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجلٍ من المنافقين معروفٌ نِفاقُه، كان يَسِيرُ مع رسول الله ﷺ حيثُ سارَ، فلمّا كان من أمر الماءِ بالحِجْرِ ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا، فأرسَلَ اللهُ السّحابةَ فأمطَرَت حتّى ارتَوَى

= فقد أسنده أحمد (٥٣٤٢)، والبخاري (٣٣٨٠) و(٤٤١٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٠٦) من طريق معمر، وأحمد (٥٧٠٥)، والبخاري (٣٣٨١)، ومسلم (٢٩٨٠) (٣٩)، وابن حبان (٦١٩٩) من طريق يونس بن يزيد الأَيلي، كلاهما عن الزهري، عن سالم بن عبد الله ابن عمر، عن أبيه.

فائدة: ممّا وَعَظَهم به النبيُّ ﷺ أيضاً في هذا الموضع ما رواه جابرُ بن عبد الله قال: لما مرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْر قال: «لا تسألوا الآياتِ، فقد سألها قومُ صالح، فكانت تَرِدُ من هذا الفجِّ (أي: الطريق الواسع)، وتَصدُر من هذا الفجِّ، فعَتَوْا عن أمرِ ربهم فعَقَرُوها، وكانت تشرب ماءَهم يوماً، ويشربون لبنَها يوماً، فعَقَروها، فأخذتهم صيحةٌ أهمَدَ اللهُ مَن تحت أَدِيم السماء منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حَرَمِ الله» قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «هو أبو رِغَال، فلمّا خرج من الحَرَمِ أصابه ما أصاب قومَه».

أخرجه أحمد (١٤١٦٠) والحاكم (٣٢٨٧) بإسناد قويّ.

(١) أي: يخالط بعضُهم بعضاً.

الناسُ، قالوا: أقبَلْنا عليه نقولُ: وَيحَك، هل بعدَ هذا شيءٌ؟! قال: سحابةٌ مارّةٌ[١].

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ رسولَ الله ﷺ سارَ حتّى إذا كان ببعضِ الطّريقِ ضَلَّتْ ناقتُه، فخرج أصحابُه في طَلَبِها، وعندَ رسول الله ﷺ رجلٌ من أصحابه يقال له: عُمَارةُ بن حَزْمٍ، وكان عَقَبيّاً بدريّاً، وهو عمُّ بني عمرو بن حَزْمٍ، وكان في رَحْلِه زيدُ بن لُصَيتٍ القَينُقاعيّ، وكان منافقاً.

قال ابن هشام: ويقال: ابنُ لُصَيبٍ، بالباء[٢].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن محمودِ بن لَبِيدٍ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهَلِ قالوا: فقال زيدُ بن اللُّصَيتِ وهو في رَحْلِ عُمَارةَ، وعُمَارةُ عند رسول الله ﷺ: أليس محمّدٌ يَزعُمُ أنّه نبيٌّ، ويُخبِرُكم عن خَبَرِ السماءِ وهو لا يدري أين ناقتُه؟! فقال رسولُ الله ﷺ وعُمَارةُ عنده: «إنَّ رجلاً قالَ: هذا محمَّدٌ يُخبِرُكم أنّه نبيٌّ، ويَزعُمُ أنّه يُخبِرُكم[٣] بأمرِ السَّماءِ، وهو لا يَدْري أينَ ناقَتُه! وإنّي واللهِ ما أَعلَمُ إلّا ما عَلَّمَني اللهُ، وقد دَلَّني اللهُ عليها، وهيَ في هذا الوادي، في شِعْبِ كذا وكذا، قد حَبَسَتْها شجرةٌ بزِمَامِها، فانطَلِقُوا حتَّى تأتُوني بها»، فذهبوا فجاؤُوا بها.

---

(١) إسناده صحيح، ومحمود بن لبيد وُلِد في حياة النبيّ ﷺ، وهو معدودٌ في طبقة صغار الصحابة.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٥-١٠٦ من طريق سلمة بن الفضل، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٣٢ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن عاصم بن عمر بن قتادة، به. إلا أن ابن بكير أسقط من إسناده محموداً وجعله من رواية عاصم عن رجال من قومه، وعاصم أنصاريٌّ من بني ظَفَر، والمحفوظ ذكر محمودٍ فيه.

(٢) انظر الكلام على تقييده فيما تقدم ٢/ ١٧٠.

(٣) قوله: «أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم» من (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف)، ولم يرد في بقية النسخ.

فرَجَعَ عُمَارةُ بن حَزْمٍ إلى رَحْلِه فقال: واللهِ لَعَجَبٌ من شيءٍ حدَّثَناه رسولُ الله ﷺ آنِفاً، عن مَقالةِ قائلٍ أخبَرَه الله عنه بكذا وكذا؛ للّذي قال زيدُ بن لُصَيتٍ، فقال رجلٌ ممّن كان في رَحْلِ عُمارةَ ولم يَحضُرْ رسولَ الله ﷺ: زيدٌ واللهِ قال هذه المَقالةَ قبلَ أن تأتيَ، فأقبَلَ عُمارةُ على زيدٍ يَجَأُ في عُنُقِه ويقول: آلَعِبادِ اللهِ[1]، إنّ في رَحْلي لَداهيةً وما أشعُرُ، اخرُجْ أيْ عدوَّ الله من رَحْلي فلا تَصحَبْني[2].

قال ابن إسحاق: فزَعَمَ بعضُ الناس: أنّ زيداً تابَ بعدَ ذلك، وقال بعضٌ: لم يَزَلْ مُتَّهَماً بشَرٍّ حتّى هَلَكَ.

ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ سائراً، فجَعَلَ يَتَخلَّفُ عنه الرّجلُ فيقولون: يا رسولَ الله، تَخلَّفَ فلانٌ، فيقول: «دَعُوه، فإن يَكُ فيه خيرٌ فسيُلحِقُه اللهُ بكم، وإن يَكُ على غيرِ ذلكَ فقد أَراحَكُم اللهُ منه»، حتّى قيل: يا رسولَ الله، قد تَخلَّفَ أبو ذَرٍّ وأبطَأَ به بعيرُه، فقال: «دَعُوه، فإن يَكُ فيه خيرٌ فسيُلحِقُه اللهُ بكم، وإن يَكُ غيرَ ذلكَ فقد أَراحَكُم اللهُ منه».

وتَلوَّمَ[3] أبو ذرٍّ على بعيرِه، فلمّا أبطَأَ عليه أخذَ مَتاعَه فحَمَلَه على ظَهرِه، ثمّ

---

(١) في (ش١) و(ش٢): يا لَعبادِ الله. وأشار على حاشية (ش٢) إلى ثلاث قراءات أخرى لهذه الكلمة في نسخ عنده، وهي: أيْ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله، آلَعبادِ الله، وهذه الأخيرة هي التي في سائر نسخنا الخطية، واللّامُ فيها لام الاستغاثة.

وقوله: يجأ في عنقه، أي: يدفعه ويضربه في عنقه.

(٢) إسناده صحيح. وهو قطعة من الخبر السابق وتخريجه معه.

وروى هذه القطعة أيضاً ابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ١٤٦-١٤٧ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به.

(٣) تلوَّم، أي: تمكَّث وتمهَّل.

خرج يَتبَعُ أثَرَ رسولِ الله ﷺ ماشياً، ونَزَلَ رسولُ الله ﷺ في بعض مَنازِلِه، فنَظَرَ ناظرٌ من المسلمين فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الرّجلَ يمشي على الطّريقِ وحدَه! فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا ذَرٍّ»، فلمّا تأمَّلَه القومُ قالوا: يا رسول الله، هو واللهِ أبو ذرٍّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أبا ذَرٍّ، يَمْشي وَحْدَه، ويموتُ وَحْدَه، ويُبعَثُ وَحْدَه»[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بُرَيدةُ بن سفيانَ الأسلَميّ، عن محمّد بن كعبٍ القُرَظيِّ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال: لمّا نَفَى عثمانُ أبا ذرٍّ إلى الرَّبَذةِ[2]، وأصابه بها قَدَرُه، لم يكن معه أحدٌ إلّا امرأتَه وغلامَه، فأَوصاهما أن اغسِلاني وكَفِّناني، ثمّ ضَعَاني على قارعةِ الطَّريقِ، فأوّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسول الله ﷺ،

---

(١) هذا الخبر في قصة أبي ذر ضعيف لا يصح، وقد رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عند الحاكم (٤٤٢١) والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٢١-٢٢٢ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ١٠١ موصولاً بالإسناد التالي عن بُرَيدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القُرَظي عن ابن مسعود، وفي آخر القصة التالية في وفاة أبي ذر ما يشير إلى ذلك حيث قال: ثمّ حدّثهم عبدُ الله ابن مسعود حديثَه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيرِه إلى تبوك.

قلنا: وعلّة هذا الإسناد هو بريدة، فهو متروك كما سيأتي بيانه لاحقاً في قصة وفاة أبي ذرٍّ.

(٢) الرَّبَذة: موضع شرقيّ المدينة المنوَّرة وتبعد عنها قرابة ١٧٠ كم.

وقصة النفي هذه من افتراءات بريدة بن سفيان الأسلمي، فهو كان يبغض عثمان رضي الله عنه ويتكلَّم فيه، كما قال أبو داود السِّجستاني، وقال البخاري: فيه نظرٌ، وضعّفه أبو حاتم الرازي، وقال الدارقطني: متروك. وانظر ترجمته في «تهذيب الكمال» للمِزِّي، و«إكماله» لمُغلطاي.

قلنا: والصواب أن أبا ذرٍّ هو استأذن عثمانَ بالخروج إلى الرَّبذة، أو أن عثمان خيَّره في ذلك، وانظر في تجلية هذه القضية «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢/ ٦٧-٧٢، والتعليق على كتابَي «صحيح ابن حبان» (٦٦٦٩) و«مستدرك الحاكم» (٥٥٥٦) - كلاهما طبعة الرسالة.

فأَعِينُونا على دَفْنِه.

فلمّا مات فَعَلا ذلك به، ثمّ وَضَعَاه على قارعةِ الطّريقِ، وأقبَلَ عبدُالله بن مسعودٍ في رَهْطٍ من أهلِ العراق عُمّارٍ، فلم يَرُعْهم إلّا بالجِنازةِ على ظَهرِ الطّريق قد كادَت الإبلُ تَطَؤُها، وقامَ إليهم الغلامُ فقال: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسول الله ﷺ، فأَعِينُونا على دَفْنِه. قال: فاستَهَلَّ[1] عبدُ الله يبكي ويقول: صَدَقَ رسولُ الله ﷺ، تمشي وحدَك، وتموتُ وحدَك، وتُبعَثُ وحدَك. ثمّ نَزَلَ هو وأصحابُه فوارَوْهُ، ثمّ حدَّثهم عبدُالله بن مسعودٍ حديثَه وما قال له رسولُ الله ﷺ في مَسيرِه إلى تبوكَ[2].

---

(١) أي: رفع صوته بالبكاء.

(٢) إسناده ضعيف جداً للمقال السابق في بريدة بن سفيان. ثم إنّه بين محمد بن كعب وبين ابن مسعود منقطع، فإن محمد بن كعب وُلِدَ في حدود سنة أربعين، بعد وفاة ابن مسعود بسنين.

والصحيح أن ابن مسعودٍ لم يشهد وفاةَ أبي ذرّ، فقد رُوِيَت وفاته رضي الله عنه بإسناد أحسن من هذا وأصحَّ عن أمّ ذرٍّ عند أحمد (٢١٣٧٣) و(٢١٤٦٧)، وابن حبان (٦٦٧٠)، والحاكم (٥٥٥٩)، من حديث إبراهيم بن مالك الأشتر النَّخعي عن أبيه مالكٍ، وكان ممن حضر دفنَه، ولم يذكر في خبره ابنَ مسعود.

وسياقه عندهم ـ واللفظ لابن حبان ـ عن أم ذرٍّ قالت: لمّا حَضَرَت أبا ذر الوفاةُ بكيتُ، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفَلَاةٍ من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفناً، قال: فلا تبكي وأَبشري، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم: «ليموتنَّ رجلٌ منكم بفَلَاةٍ من الأرض، يَشهَدُه عِصابةٌ من المؤمنين»، وليس من أولئك النَّفرِ أحدٌ إلا وقد هَلَكَ في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفَلَاةٍ، والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ، فأَبصري الطريق، قالت: وأنَّى وقد ذهب الحاجُّ وانقطعت الطرق، قال: اذهبي فتبصَّري.

قالت: فكنت أجيءُ إلى كَثِيبٍ فأتبصَّر، ثم أرجع إليه فأمرِّضه، فبينما أنا كذلك إذا أنا برجالٍ على رحالهم، كأنَّهم الرَّخَم (وهو طائر يشبه النّسر)، فأقبلوا حتى وقفوا عليَّ وقالوا: ما لك يا أَمَةَ الله؟ قلت لهم: امرُؤٌ من المسلمين يموت، تكفِّنونه؟ قالوا: من هو؟ فقلت: أبو ذرٍّ، قالوا: =

قال ابن إسحاق: وقد كان رَهْطٌ من المنافقين منهم وَدِيعةُ بن ثابتٍ أخو بني عمرِو بن عوفٍ، ومنهم رجلٌ من أشجَعَ حليفٌ لبني سَلِمةَ يقال له: مُخشِّنُ بن حُميِّرٍ ـ قال ابن هشام: ويقال: مَخْشيّ ـ يُشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو مُنطلِقٌ إلى تَبُوك، فقال بعضُهم لبعضٍ: أتحسبون جِلَادَ بني الأصفرِ كقتال العربِ بعضِهم بعضاً، والله لكَأنّا بكم غداً مُقرَّنينَ في الحِبال؛ إرجافاً[1] وترهيباً للمؤمنين، فقال مُخشِّنُ بن حُميِّر: والله لوَدِدتُ أنّي أُقاضَى على أن يُضرَبَ كلُّ رجلٍ منّا مئةَ جَلْدة وإنّا نَنفَلِتُ أن يَنزِلَ فينا قرآنٌ لمَقالَتِكم هذه.

وقال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَني ـ لعمّار بن ياسرٍ: «أدرِكِ القومَ، فإنّهم قد احتَرَقُوا[2] فسَلْهُم عمَّا قالوا، فإن أَنكَرُوا فقل: بَلَى، قلتُم كذا وكذا»، فانطَلَقَ إليهم عمّارٌ، فقال ذلك لهم، فأتَوْا رسولَ الله ﷺ يَعتذِرُون إليه، فقال وَدِيعةُ بن ثابتٍ،

= صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم.

قالت: ففَدَّوه بآبائهم وأمهاتهم، وأَسرعوا إليه فدخلوا عليه، فرحَّب بهم وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم: «ليموتنَّ منكم رجلٌ بفَلَاةٍ من الأرض، يشهدُه عِصابةٌ من المؤمنين»، وليس من أولئك النفرِ أحدٌ إلا هَلَكَ في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفَلاةٍ.

أنتم تسمعون: إنه لو كان عندي ثوبٌ يَسَعُني كفناً لي أو لامرأتي، لم أكفَّن إلا في ثوبٍ لي أو لها، أنتم تسمعون إني أُشهِدكم أن لا يُكفِّنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً؛ فليس أحدٌ من القوم إلا قارَفَ بعضَ ذلك إلا فتًى من الأنصار، فقال: يا عمّ، أنا أكفِّنك، لم أُصِبْ مما ذكرتَ شيئاً، أكفِّنك في ردائي هذا، وفي ثوبين في عَيْبتي من غَزْل أمي حاكَتْهما لي، فكفَّنه الأنصاريُّ في النفر الذين شهدوه، منهم حُجْر بن الأدبَر ومالكُ بن الأشتر، في نفرٍ كلّهم يَمانٍ.

(١) الإرجاف: الإكثار من الأخبار السيّئة واختلاق الأقوال الكاذبة.

(٢) احترقوا، أي: هلكوا، وذلك للذي كانوا يخوضون فيه.

ورسولُ الله ﷺ واقفٌ على ناقته، فجَعَلَ يقول وهو آخِذٌ بحَقَبِها[1]: يا رسولَ الله، إنّما كنَّا نَخُوضُ ونَلعَبُ! فأنزَلَ الله فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة:٦٥]، وقال مُخشِّنُ بن حُميِّر: يا رسولَ الله، قَعَدَ بي اسمي واسمُ أبي[2].

وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية مُخشِّنُ بن حُميِّرٍ، فتَسمَّى عبدَ الرَّحمن، وسأل اللهَ أن يَقتُلَه شهيداً لا يُعلَمُ بمكانِه، فقُتِلَ يومَ اليَمامةِ فلم يُوجَدْ له أثَرٌ[3].

---

(١) الحَقَب: حبل يُشَدّ على بطن البعير، سوى الحزام الذي يشد فيه الرَّحل.

(٢) يعني أنه رجلٌ خاملُ الذِّكر بينهم ليس له نسبٌ شريفٌ فيهم فيستمعون لكلامه.

(٣) وقد روى بعضاً من هذا الخبر الطبريُّ في «تفسيره» ١١/ ٥٤٦-٥٤٧ من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق بلاغاً أيضاً.

وأسنده عبدُ الله بن إدريس الأَودي عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٣١ عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهريُّ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جدّه كعب. فإن كان هذا محفوظاً لابن إسحاق، فهو إسناد صحيح.

وقد روى هشامُ بن سعد ـ عند الطبري وابن أبي حاتم أيضاً ـ في سبب نزول هذه الآية سياقاً آخر عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثلَ قُرّائنا هؤلاء أرغبَ بطوناً ولا أكذبَ ألسنةً ولا أجبنَ عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافقٌ، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ.

فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب: فأنا رأيتُه متعلِّقاً بحَقَبِ ناقةِ رسول الله ﷺ تَنكُبُه الحجارةُ وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنّا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

وهشام بن سعد حديثه عن زيد بن أسلم محتملٌ للتحسين، فيمكن الجمع بين الخبرين: أن هذا القائل قد قال هذين القولين جميعاً، أو أن أكثر من قائل تكلّم في ذلك المجلس، والله تعالى أعلم.

ولمّا انتَهى رسولُ الله ﷺ إلى تَبُوك، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبةَ صاحبُ أَيْلةَ[1]، فصالَحَ رسولَ الله ﷺ وأعطاه الجِزْيةَ، وأتاه أهلُ جَرْباءَ وأَذرُحَ[2]، فأعطَوْه الجِزيةَ، وكتب رسولُ الله ﷺ لهم كتاباً فهو عندهم[3].

فكتبَ ليُحنَّةَ بن رُؤْبةَ.

كتاب رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ليُحَنّة صاحب أَيلة بالمصالحة

«بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ، هذه أَمَنةٌ من اللهِ ومحمّدٍ النبيِّ رسولِ الله ليُحَنّةَ بن

(١) أَيلة: مدينة قديمة كانت قائمة على خليج العَقَبة جنوب الأردنّ، وهي اليوم أطلال تقع شمال غرب مدينة العقبة، والمسافة بينها وبين تبوك بالطريق المباشر قرابة ٢٠٠ كم.

(٢) أذرح: بلدة شمال غرب مدينة مَعَان جنوب الأردن وتبعد عنها قرابة ٢٠ كم، والجَرباء شمال أذرح على بضعة كيلومترات.

(٣) وعند مسلم (٢٢٨١)(١١) من حديث أبي حميد الساعديّ: وجاء رسولُ ابنِ العَلْماءِ (وهو يوحنا بن رؤبة نفسه) صاحبِ أَيْلة إلى رسول الله ﷺ بكتابٍ، وأهدى له بغلةً بيضاءَ، فكَتَبَ إليه رسولُ الله ﷺ، وأَهدى له بُرْداً. ونحوه عند أحمد (٢٣٦٠٤) والبخاري (١٤٨١)، ولم يذكر أبو حميدٍ في حديثه نصَّ كتاب رسول الله ﷺ لهم.

ونصُّ الكتاب كما ساقه ابن إسحاق ذكره أيضاً ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٥٠ بلا إسناد، وذكره أبو عبيد في «الأموال» (٥١٤) ـ ومن طريقه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٥٣٥٣) ـ بإسناده إلى عروة بن الزبير.

ثم قال الطحاويُّ: وَجَدْنا محمدَ بن عُزَيز بن عبد الله بن زياد بن عُقيل الأَيلي قد ذَكَرَ لنا: أن الكتاب الذي كان النبيُّ ﷺ كتبه ليُحَنّة بن رُؤبة ولأهل أَيلة، ممّا أخذوه كابراً عن كابرٍ، فأخذناه عن محمّد بن عُزيزٍ؛ ثمّ ساقه كما هو عند ابن إسحاق. وزاد هؤلاء اسمَ كاتب الكتاب، وهو جُهَيم ابن الصَّلت.

وجُهيمٌ هذا: هو ابن الصلت بن مَخرَمة بن المُطَّلِب بن عبد مَناف بن قُصَيٍّ، وكان أسلمَ عام خيبر.

رُؤْبةَ وأهلِ أَيْلة، سُفُنِهم وسَيَّارَتِهم[1] في البَرِّ والبحرِ، لهم ذِمّةُ اللهِ ومحمّدٍ النبيِّ، ومَن كان معهم من أهلِ الشّامِ وأهلِ اليمنِ وأهلِ البحرِ، فمَن أَحدَثَ منهم حَدَثاً، فإنّه لا يَحُولُ[2] مالُه دونَ نفسِه، وإنّه طَيِّبةٌ لمن أَخَذَه من الناسِ، وإنّه لا يَحِلُّ أن يُمنَعوا ماءً يَرِدُونَه، ولا طريقاً يَرِدُونَه[3] من بَرٍّ أو بحرٍ».

بعثُ رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى أُكَيدِر دُومَةَ

ثمّ إنّ رسولَ الله ﷺ دعا خالدَ بن الوليدِ فبَعَثَه إلى أُكَيدِرِ دُومَةَ[4]، وهو أُكَيدِرُ ابن عبدِ الملك، رجلٌ من كِنْدةَ كان ملكاً عليها، وكان نصرانيّاً، فقال رسولُ الله ﷺ لخالد: «إنَّك ستَجِدُه يَصِيدُ البَقَرَ[5]».

فخرج خالدٌ حتّى إذا كان من حِصْنِه بمَنظَرِ العَينِ، وفي ليلةٍ مُقمِرة صائفة، وهو على سَطْحٍ له ومعه امرأتُه، فباتَتِ البقرُ تَحُكُّ بقُرونِها بابَ القصر، فقالت له امرأتُه: هل رأيتَ مِثلَ هذا قَطُّ؟ قال: لا والله، قالت: فمَن يَترُكُ هذه؟! قال: لا أَحدَ.

فنَزَلَ فأمَرَ بفرسِه فأُسرِجَ له، ورَكِبَ معه نَفَرٌ من أهلِ بيتِه فيهم أخٌ له يقال له: حسّان، فرَكِبَ وخرجوا معه بمَطَارِدِهم[6]، فلمّا خرجوا تَلَقَّتهم خيلُ رسولِ الله ﷺ

---

(١) السَّيّارة: جماعة من الناس يسيرون قافلةً.

(٢) يحول، أي: يحجز ويمنع.

(٣) في (ش١) و(ش٢): يريدونه.

(٤) هي دُومَة الجَندَل ـ بضمّ الدال وقد تُفتَح ـ وهي بلدة في منطقة الجوف التي تتوسط شمال الجزيرة العربية، وتقع دومة الجندل شرق مدينة تبوك على قرابة ٣٦٠ كم.

(٥) أي: البقر الوحشيّ المعروف بالمَهَا.

(٦) المَطارد: جمع مِطرَدٍ، وهو رمح قصير يُطعَن به حُمْرُ وبقرُ الوَحْش.

فأخَذَته وقتلوا أَخاه، وقد كان عليه قَبَاءٌ من ديباجٍ مُخوَّصٍ بالذَّهب[1]، فاستَلَبَه خالدٌ فبَعَثَ به إلى رسول الله ﷺ قبلَ قُدومِه به عليه[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن أنس بن مالكٍ قال: رأيتُ قَبَاءَ أُكَيدِرَ حين قُدِمَ به على رسول الله ﷺ، فجَعَلَ المسلمون يَلمِسونَه بأيديهم ويَتَعجَّبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «أتَعجَبُونَ مِن هذا؟ فوالَّذي نفسي بيدِه لَمَنادِيلُ سعدِ بنِ مُعاذٍ في الجَنَّةِ أحسنُ مِن هذا»[3].

---

(١) القَبَاء: نوع من الثياب مشقوق من خلفه. والدِّيباج: ما نُسج من أحسن الحرير. ومخوَّص بالذهب، أي: منسوج به كخُوصِ النخل، وهو وَرَقُه.

(٢) خبر قويٌّ بمجموع طرقه.

وقد أسند هذا الخبر يونسُ بن بكيرٍ عند ابن مَندَه في «معرفة الصحابة» ص٢٩٣، والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٨٧، وفي «الدلائل» ٥/ ٢٥٠-٢٥١، وابن عساكر في «تاريخه» ٩/ ٢٠١-٢٠٢ عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رُومان وعبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أُكيدر، وذكراه مرسلاً. ويزيد وعبد الله ـ وهو الحَزْمي الأنصاري ـ ثقتان من صغار التابعين.

ورواه ابن منده أيضاً ص٢٩٤ ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٢٥١) ـ بإسناد مسلسل بالمجاهيل عن بُجَير بن بَجْرة قال: كنت في جيش خالد بن الوليد حين بعثه رسول الله ﷺ إلى الأكيدر، وذكر نحوه.

وكذلك ذكر القصةَ بنحو هذا عروةُ في المغازي كما في «الدلائل» للبيهقي ٥/ ٢٥٠ في رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير مرسلاً. وفيه: أن النبي ﷺ بعث خالداً في أربع مئة وعشرين فارساً.

وذكرها كذلك الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ١٠٢٥-١٠٢٦ بعدّة أسانيد له مرسلة فيها إسناد واحد موصول بذكر ابن عباس.

(٣) إسناده صحيح. =

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ خالداً قَدِمَ بأُكَيدِرَ على رسول الله ﷺ، فحَقَنَ له دمَه وصالَحَه على الجِزْية، ثمّ خَلَّى سَبيلَه فرجع إلى قريتِه.

فقال رجلٌ من طَيِّئ يقال له: بُجَيرُ بن بَجْرةَ، يذكرُ قولَ رسول الله ﷺ لخالدٍ: «إنَّك ستَجِدُه يَصِيدُ البقرَ»، وما صَنَعَت البقرُ تلك اللّيلةَ حتّى استَخرَجَته لتصديقِ قول رسول الله ﷺ:

تبـارَكَ سـائقُ البَقَـراتِ إنّـي ... رأيـتُ اللهَ يَهـدي كـلَّ هـادِ
فمَن يَكُ حائداً عن ذي تَبوكٍ ... فإنّـا قـد أُمِرْنـا بالجهـادِ

فأقامَ رسولُ الله ﷺ بتَبُوكَ بِضعَ عَشْرةَ ليلةً لم يُجاوِزْها[1]، ثمّ انصَرَفَ قافلاً إلى المدينة.

وكان في الطّريقِ ماءٌ يخرجُ من وَشَلٍ[2] ما يُروِي الرّاكبَ والرّاكبَينِ والثّلاثةَ،

= وأخرجه أحمد (١٣٤٩٢) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزُّهري، عن أبيه، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرج نحوه أحمد (١٢٠٩٣) و(١٢٢٢٣) و(١٣١٤٨)، والبخاري (٢٦١٥-٢٦١٦)، ومسلم (٢٤٦٩)، والترمذي (١٧٢٣)، والنسائي في «المجتبى» (٥٣٠٢) و«الكبرى» (٩٥٤١) و(٩٥٤٤)، وابن حبان (٧٠٣٧) و(٧٠٣٨) من طرق عن أنس. وفي بعض هذه الطرق أن أُكيدر هو من أهدى إلى النبيّ ﷺ جُبّةً من حرير.

وفي الباب عن البراء بن عازب عند البخاري (٣٢٤٩) و(٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨).

والمناديل: جمع مِنديل ومِندَل، وهو الذي يُتمسَّح به.

(١) قد صحَّ عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ أقام بتبوك عشرين ليلةً، أخرج ذلك أحمد (١٤١٣٩)، وأبو داود (١٢٣٥)، وابن حبان (٢٧٤٩).

(٢) الوَشَل: هو الماء القليل الذي يَتحلّبُ من جبل أو صخرة، يقطر منه قليلاً قليلاً، ولا يتّصل قَطْرُه.

بوادٍ يقال له: وادي المُشقَّق[1]، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن سَبَقَنا إلى ذلكَ الماءِ[2]، فلا يَستَقِيَنَّ منه شيئاً حتّى نَأتِيَه»، قال: فسَبَقَه إليه نَفَرٌ من المنافقين فاستَقَوْا ما فيه، فلمّا أتاه رسولُ الله ﷺ وَقَفَ عليه فلم يَرَ فيه شيئاً، فقال: «مَن سَبَقَنا إلى هذا الماءِ؟» فقيل له: يا رسولَ الله، فُلانٌ وفُلانٌ، فقال: «أوَلَمْ أنْهَهُم أن يَستَقُوا منه شيئاً حتّى آتِيَه؟!»، ثمّ لَعَنَهم رسولُ الله ﷺ ودَعَا عليهم.

ثمّ نَزَلَ فوَضَعَ يدَه تحت الوَشَلِ فجَعَلَ يَصُبُّ في يدِه ما شاءَ الله أن يَصُبَّ، ثمّ نَضَحَه به ومَسَحَه بيدِه ودَعَا رسولُ الله ﷺ بما شاءَ الله أن يَدعُوَ به، فانخَرَقَ من الماءِ - كما يقول مَن سَمِعَه - ما إنّ له حِسّاً كحِسِّ الصّواعقِ، فشَرِبَ النّاسُ واستَقَوْا حاجتَهم منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «لئِنْ بَقِيتُم - أو مَن بَقِيَ منكم - لتَسمَعُنَّ بهذا الوادي وهو أَخصَبُ ما بينَ يدَيهِ وما خَلْفَه»[3].

---

(١) وسمّاه الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ١٠٣٩: وادي الناقة. ولا يعرف الآن وادٍ بهذا الاسم ولا باسم المشقَّق.

(٢) في (ت) و(ط) و(م): ذلك الوادي.

(٣) أصل الخبر صحيح.

ولم يسنده أحد من أصحاب ابن إسحاق إلا ما وقع عند ابن أبي حاتم الرازي في كتاب «علل الحديث» (٢٧١٥) من روايته له عن أبي زُرْعة الرازي، عن عبد الجبار بن سعيد المُساحِقي، عن يحيى بن محمد بن هانئ، عن ابن إسحاق، عن محمد بن مسلم (وهو الزُّهري)، عن سعيد ابن المسيب، عن معاذ بن جبل. وهذا إسناد ضعيف لا يصح عن ابن إسحاق، فعبد الجبار بن سعيد له مناكير وما لا يُتابَع عليه كما قال العُقيلي في «الضعفاء» ٢/ ٥٨٦، ويحيى بن محمد بن هانئ ضعّفه أبو حاتم الرازي كما في «الجرح والتعديل» ٩/ ١٨٥.

وأصل هذا الخبر قد صحَّ عن معاذ بن جبلٍ عند أحمد (٢٢٠٧٠)، ومسلم (٢٢٨١)(١٠)، وابن حبان (١٥٩٥) من طريق مالك بن أنس، عن أبي الزبير المكي، عن أبي الطُّفيل عامر =

قال: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارثِ التَّيْميّ، أنّ عبدَ الله بن مسعودٍ كان يحدِّث قال: قمتُ من جَوفِ اللّيلِ وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، قال: فرأيتُ شُعْلةً من نارٍ في ناحيةِ العسكر، قال: فاتّبَعتُها أنظُرُ إليها، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وإذا عبدُ الله ذو البِجَادَينِ المُزَنيّ قد مات، وإذا هم قد حَفَروا له ورسولُ الله ﷺ في حُفْرتِه وأبو بكرٍ وعمرُ يُدَلِّيانِه إليه وهو يقول: «أَدنِيَا إليَّ أخاكُما» فدَلَّيَاهُ إليه فلمّا هَيَّأَه لشِقِّه قال: «اللّهمَّ إنِّي قد أَمسَيتُ راضياً عنه، فارْضَ عنه»، قال: يقول عبدُ الله بن مسعودٍ: يا ليتَني كنتُ صاحبَ الحُفْرة[1].

= ابن واثلة، عن معاذٍ: أن رسول الله ﷺ قال لهم في غزوة تبوك: «إنّكم ستأتون غداً إن شاء الله عينَ تبوك، وإنّكم لن تأتوها حتّى يُضحِيَ النهارُ، فمن جاءها منكم فلا يَمَسَّ من مائها شيئاً حتى آتي» فجئناها وقد سَبَقَنا إليها رجلان، والعينُ مثل الشِّراك تَبِضُّ (أي: تقطر وتسيل، والشِّراك: قطعة جلد دقيقة فوق النَّعل) بشيءٍ من ماءٍ، قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مَسَستُما من مائها شيئاً؟» قالا: نعم، فسبَّهما النبيُّ ﷺ (أي: لامَهُما وعاتَبَهما) وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثمّ غَرَفُوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيءٍ، وغَسَلَ رسولُ الله ﷺ فيه يديه ووجهَه ثمّ أعاده فيها، فجَرَتِ العينُ بماءٍ كثيرٍ حتى استَقَى الناسُ، ثم قال: «يُوشِك يا معاذُ إن طالت بك حياةٌ، أن ترى ما هاهنا قد مُلِئَ جِناناً».

قلنا: وموقع عين تبوك ـ وتسمَّى بعين السِّكِر الآن ـ معروف بمدينة تبوك بجانب قلعة قديمة هناك.

(١) حديث حسن بمجوع طرقه إن شاء الله تعالى، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين محمد بن إبراهيم وابن مسعود، فإنه لم يدركه.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧٧)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٦٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٢٢ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وزاد فيه ابن أبي الدنيا والبغوي قصة تسميته بذي البِجادَين.

وأخرجه البغوي أيضاً (٦٧١)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٢٢ و«معرفة الصحابة» (٤١٠٥) =

قال ابن هشام: وإنّما سُمّيَ ذا البِجادَينِ، لأنّه كان يُنازِعُ إلى الإسلام فيَمنَعُه قومُه من ذلك ويُضيِّقون عليه، حتّى تَرَكُوه في بِجَادٍ ليس عليه غيرُه - والبِجَادُ: الكِساءُ الغليظُ الجافي - فهَرَبَ منهم إلى رسول الله ﷺ، فلمّا كان قريباً منه شَقَّ بِجادَه باثنينِ فاتَّزَرَ بواحِدٍ واشتَمَلَ بالآخرِ[1]، ثمّ أَتى رسولَ الله ﷺ، فقيلَ له: ذو البِجادَين، لذلك.

والبِجادُ أيضاً: المِسْحُ[2]، قال ابن هشام: قال امرُؤُ القيس:

كأنّ أَبانـاً في أفـانِينِ[3] وَدْقِـهِ   كبيـرُ أُنـاسٍ في بِجَـادٍ مُزمَّـلِ

= من طريق إسحاق بن إبراهيم الفارسي شاذان، عن جدّه سعد بن الصلت، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود. وإسحاق وجدُّه صدوقان إلا أنهما صاحبا غرائب.

ورواه كذلك البزار في «مسنده» (١٧٠٦) عن الأعمشِ بإسناد ضعيف جداً.

وروى نحوه الشاشي في «مسنده» (٨٩٣) من طريق أبي جعفر الخطمي، عن محمد بن كعب القُرظي، عن ابن مسعود. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين محمد بن كعب وابن مسعود.

وروي نحوه من حديث عمرو بن عوف المزني عند البغوي في «معجم الصحابة» (٦٧٠) من طريق كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده. وكثير ضعيف جداً.

(١) أي: لفَّ به جسمه.

(٢) وهو ثوب من الشَّعر غليظ.

(٣) في (ق٢) وحاشية نسختَي (ش١) و(ط): عَرَانين، وكُتب في (ش٢) بالوجهين وصحّح عليهما.

وأبانٌ: جبل من جبال القَصِيم بنَجْد، وهما أبانان يقال لأحدهما: أبان الأحمر، وللآخر: أبان الأسود، يمرُّ بينهما وادي الرُّمَة. قاله البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٣.

وأفانين: ضُروب، وعرانينه: أوائله. والوَدْق: المطر. والمزمَّل: الملتفّ.

يقول: قد أَلبَس الودقُ جبل أبان وجلَّله، فكأنّه ممّا ألبسه المطرُ وغشّاه كبيرُ أُناس، لأن الكبير أبداً متلفِّف بثياب. انظر «شرح ديوان امرئ القيس» لأبي سعيد السكّري ص٢٩٠.

قال ابن إسحاق: وذكرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ، عن ابن أُكَيمةَ اللَّيْثيّ، عن ابن أخي أبي رُهْمٍ الغِفاريّ، أنه سمع أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بن الحُصَين ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الّذين بايعوا تحت الشَّجَرة ـ يقول: غَزَوتُ مع رسول الله ﷺ غزوةَ تَبُوك، فسِرْتُ ذاتَ ليلةٍ معه ونحنُ بالأخضَرِ[1] قريباً من رسول الله ﷺ، وأُلقِيَ علينا النُّعاسُ، فطَفِقتُ أستَيقِظُ وقد دَنَتْ راحلتي من راحلةِ رسول الله ﷺ، فيُفزِعُني دُنوُّها منه مَخافةَ أن أُصيبَ رِجلَه في الغَرْزِ، فطَفِقتُ أَحُوزُ[2] راحلتي عنه حتّى غَلَبَتني عَيْني في بعض الطَّريقِ ونحنُ في بعض اللّيل، فزاحَمَت راحلتي راحلةَ رسولِ الله ﷺ ورِجلُه في الغَرْزِ، فما استَيقَظتُ إلّا بقوله: «حَسِّ»[3]، فقلت: يا رسولَ الله، استَغفِرْ لي، فقال: «سِرْ».

فجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَسألُني عمَّن تَخَلَّفَ من بني غِفَارٍ، فأُخبِرُه عنه، فقال وهو يَسألُني: «ما فَعَلَ النَّفَرُ الحُمْرُ الطِّوالُ الثِّطَاطُ؟[4]»، فحَدَّثتُه بتَخَلُّفِهم، قال: «فما فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الجِعَادُ[5] القِصَارُ؟» قال: قلت: والله ما أعرِفُ هؤلاءِ منّا! قال:

(١) يعني به الوادي الأخضر، وهو وادٍ جنوب تبوك يطيف بها من الجنوب والشرق، ويصل طوله إلى ١٥٠ كم تقريباً، وطريق الغزوة كان ممرُّه من رأس الوادي الغربيّ.

(٢) الغَرْز في رَحْل البعير كالرِّكاب في سَرْج الفرس، وهو موضع القدم. وأَحُوز: أُبعِدُ.

(٣) حسِّ: كلمة تقولها العربُ عند وجود الألم، وليست حَسِّ باسمٍ ولا بفعلٍ، إنها لا موضع لها من الإعراب، وليست بمنزلة صَهْ ومَهْ ورُوَيدَ، لأن تلك أسماء سُمّي الفعل بها، وإنما حسِّ صوت كالأَنين الذي يُخرِجه المتألِّم نحو: آه. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٣٦٦-٣٦٧.

(٤) الثِّطاط: جمع ثَطٍّ، وهو صغير نبات شعر اللّحية، أو الذي لا لحية له.

وفي النسخ (ت) و(ص) و(ط) و(م) ونسخة على حاشية (غ): الشِّطاط، قال السهيليُّ: من المحدّثين من يرويه: الشطاط، وأحسبه تصحيفاً.

(٥) الجِعاد: جمع الجَعْد، وهم الذين في شَعرِهم تكسير.

«بَلَى، الَّذينَ لهم نَعَمٌ بشَبَكةِ شَدَخٍ[1]»، فتَذكَّرتُهم في بني غِفارٍ، فلم أذكُرْهم حتّى ذكرتُ أنّهم رَهْطٌ من أسلَمَ كانوا حُلَفاءَ فينا، فقلت: يا رسولَ الله، أُولئك رَهْطٌ من أسلَمَ حُلَفاءُ فينا، فقال رسول الله ﷺ: «ما مَنَعَ أَحدَ أُولئكَ حين تَخلَّفَ أن يَحمِلَ على بعيرٍ من إبِلِه امرَأً نَشِيطاً في سبيلِ الله، إنَّ أَعَزَّ أَهلي عليَّ أن يَتخلَّفَ عنِّي، المهاجرونَ من قُرَيشٍ والأنصارُ وغِفَارٌ وأسلَمُ»[2].

أمرُ مسجد الضِّرَار عند القُفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق: ثمّ أقبَلَ رسولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ بذي أَوَانٍ[3]، بلدٍ بينَه وبين المدينة ساعةٌ من نهارٍ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار قد كانوا أَتَوْه وهو يَتجهَّزُ إلى

---

(١) شَبَكةُ شَدَخ: اسم ماءٍ لأسلم من بني غِفار، والشّبكة: الأرض الكثيرة الآبار المتقاربتُها، وتكون مع ذلك قريبة القعور أيضاً. قاله أبو عبيد البكري في «معجم ما استعجم» ٣/ ٧٧٩.

وعند أحمد وابن حبان: بشبكة شرخ.

(٢) إسناده فيه لِينٌ لإبهام ابن أخي أبي رُهْم وجهالته، فقد انفرد بالرواية عنه الزهريُّ، وزيادة ابن أُكيمة ـ واسمه عُمارة ـ بينهما هنا خولف فيه ابنُ إسحاق، فرواه جماعة من أصحاب الزهري عن ابن أخي أبي رهم ولم يذكروا فيه ابنَ أُكيمة، وهو الصحيح، فيما قاله الدارقطنيُّ في «العلل» ٧/ ٣٦.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٤١٨) عن ابن عبد الرحيم البَرْقي، عن ابن هشام، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، به.

وأخرجه أحمد (١٩٠٧٤) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه أحمد (١٩٠٧٢)، وابن حبان (٧٢٥٧)، والحاكم (٦٦٦٢) من طريق معمر، وأحمد (١٩٠٧٣) من طريق صالح بن كَيسان، كلاهما عن الزهري قال: أخبرني ابن أخي أبي رهم، أنه سمع أبا رهم. وهو عند الحاكم مختصر.

(٣) لم يعد هذا المكان معروفاً، ولم يستطع أحدٌ من البلدانيِّين أن يبيِّن موضعه.

تَبُوك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد بَنَيْنا مسجداً لذي العِلّةِ والحاجةِ واللّيلةِ المَطِيرة واللّيلةِ الشّاتية، وإنّا نُحِبُّ أن تأتِيَنا فتُصلِّيَ لنا فيه، فقال: «إنِّي على جَنَاحِ سَفَرٍ وحالِ شُغْلٍ - أو كما قال ﷺ - ولو قد قَدِمْنا إن شاءَ اللهُ لَأتيناكُم فصَلَّيْنا لكم فيه».

فلمّا نَزَلَ بذي أَوَانٍ، أتاه خَبَرُ المسجد، فدعا رسولُ الله ﷺ مالكَ بن الدُّخْشُمِ أخا بني سالمِ بن عوفٍ، ومَعْنَ بن عَدِيٍّ - أو أخاه عاصمَ بن عَدِيٍّ - أخا بني العَجْلان، فقال: «انطَلِقَا إلى هذا المسجِدِ الظَّالمِ أَهلُه، فاهْدِمَاهُ وحَرِّقاهُ».

فخَرَجا سريعَينِ حتّى أَتَيا بني سالمِ بن عوفٍ، وهم رَهْطُ مالكِ بن الدُّخشُم، فقال مالكٌ لمَعنٍ: أَنظِرْني حتّى أخرُجَ إليك بنارٍ من أهلي، فدخل إلى أهلِه فأَخذَ سَعَفاً[1] من النَّخل فأشعَلَ فيه ناراً، ثمّ خَرَجا يَشتَدّانِ حتّى دَخَلاهُ وفيه أهلُه، فحَرَّقاه وهَدَماه، وتَفرَّقوا عنه، ونَزَلَ فيهم من القرآن ما نَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى آخِرِ القِصّة [التوبة: ١٠٧][2].

وكان الّذين بَنَوهُ اثني عَشَرَ رجلاً: خِذَامُ بن خالدٍ من بني عُبيد بن زيدٍ أحدُ بني عمرو بن عوفٍ، ومن داره أُخرِجَ مسجدُ الشِّقاق، وثَعلَبةُ بن حاطبٍ من بني أُميّة بن

---

(١) هو غصن النخل إذا يبس.

(٢) هذا خبر قوي، فقد أسنده سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ١١/ ٦٧٢-٦٧٣ عن ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم. وهؤلاء رواياتهم مرسلة إلا أنه بمجموعها يتقوّى الخبر.

ورواه الواقدي في «مغازيه» ٣/ ١٠٤٥-١٠٤٦ عن يزيد بن رومان وحده.

قلنا: ويشهد لإحراق مسجد الضِّرار حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، فقد روي عنه بإسناد جيّد أنه قال: رأيتُ الدخان من مسجد الضّرار حين انهار. أخرجه الحاكم (٨٩٧٨) وصحَّح إسناده. والظاهر أن جابراً لَحِقَ بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي فحضر إحراق هذا المسجد.

زيدٍ، ومُعتِّبُ بن قُشَيرٍ من بني ضُبَيعة بن زيدٍ، وأبو حَبِيبة بن الأزعَرِ من بني ضُبَيعة ابن زيدٍ، وعبّادُ بن حُنَيفٍ أخو سهلِ بن حُنَيفٍ من بني عمرو بن عوفٍ، وجاريةُ بن عامرٍ، وابناه مُجمِّعُ بن جاريةَ وزيدُ بن جاريةَ، ونَبتَلُ بن الحارثِ من بني ضُبَيعة، وبَحزَجٌ من بني ضُبَيعة، وبِجَادُ بن عثمانَ من بني ضُبَيعة، ووَدِيعةُ بن ثابتٍ، وهو من بني أُميّة بن زيدٍ رَهْطِ أبي لُبَابة بن عبد المُنذِر.

وكانت مساجدُ رسول الله ﷺ فيما بين المدينةِ إلى تَبُوكَ معلومةً مُسمّاةً[1]: مسجدٌ بتَبُوكَ، ومسجدٌ بثَنِيّةٌ مِدْرانَ[2]، ومسجدٌ بذاتِ الزِّرَاب، ومسجدٌ بالأخضر، ومسجدٌ بذاتِ الخِطْميّ[3]، ومسجدٌ بآلاءَ، ومسجدٌ بطَرَفِ البَتْراء[4] من ذَنَبِ كُواكِب، ومسجدٌ بالشِّقِّ شِقِّ تارا، ومسجدٌ بذي الجِيفة، ومسجدٌ بصَدْر حَوْضا، ومسجدٌ بالحِجْر، ومسجدٌ بالصَّعيد، ومسجدٌ بالوادي اليومَ، وادي القُرَى، ومسجدٌ بالرُّقْعة من الشِّقّةِ شِقّةِ بني عُذْرة، ومسجدٌ بذي المَرْوة، ومسجدٌ بالفَيْفاء، ومسجدٌ بذي خُشُبٍ.

---

(١) أشار إلى هذه المساجد وإلى أماكنها بتعريفات مختصرة الأستاذ عاتق البِلادي في كتابه «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٩٣-٢٩٤.

(٢) وتحرف في بعض النسخ إلى: مدرار، بالراء. وتعرف اليوم بالمِدراة، وتقع جنوب تبوك إلى الغرب على قرابة ١٤ كم.

(٣) ويسمّى هذا الموضع حالياً جبل الخِطام.

(٤) وكُتب في بعض النسخ: البترى، بألف مقصورة. وكُواكب ـ وتُفتح كافه أيضاً ـ اسم لجبل كما عند ياقوت في «معجم البلدان»، والبتراء يُطلَق على الجبل المنبتر (أي: المنفصل) من سلسلة جبال أكبر منه.

أمرُ الثّلاثة الذين خُلِّفوا وأمرُ المعذِّرين في غزوة تبوك

وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وقد كان تَخلَّفَ عنه رَهْطٌ من المنافقين، وتَخلَّفَ أُولئك الرَّهطُ الثّلاثةُ من المسلمين من غير شَكٍّ ولا نِفاقٍ: كعبُ بن مالكٍ، ومُرَارةُ ابن الرَّبيع، وهِلالُ بن أُميّةَ، فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «لا تُكَلِّمُنَّ أَحداً من هؤلاءِ الثَّلاثةِ»، وأَتاه مَن تَخلَّفَ عنه من المنافقين فجعلوا يَحلِفون له ويَعتَذِرون، فصَفَحَ عنهم رسولُ الله ﷺ، ولم يَعذِرْهم اللهُ ولا رسولُه، واعتَزَلَ المسلمون كلامَ أُولئك النَّفَرِ الثّلاثةِ.

قال ابن إسحاق: فذكرَ الزُّهْريُّ محمّدُ بن مُسلِم بن شِهابٍ، عن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ: أنّ أباه عبدَ الله - وكان قائدَ أَبيه حين أُصيبَ بَصَرُه - قال: سمعت أَبي كعبَ بن مالكٍ يحدِّث حديثَه حين تَخلَّفَ عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك وحديثَ صاحبَيهِ، قال: ما تَخلَّفتُ عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غَزاها قَطُّ، غيرَ أنّي كنتُ قد تَخلَّفتُ عنه في غزوة بدرٍ، وكانت غزوةً لم يُعاتِبِ اللهُ ولا رسولُه أَحداً تَخلَّفَ عنها، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ إنّما خرج يريد عِيرَ قُرَيشٍ، حتّى جَمَعَ الله بينه وبين عدوِّه على غيرِ مِيعادٍ، ولقد شَهِدتُ مع رسول الله ﷺ العَقَبةَ حين تَواثَقْنا على الإسلام، وما أُحِبُّ أنّ لي بها مَشهَدَ بدرٍ، وإن كانت غزوةُ بدرٍ هي أذكرُ في النّاسِ منها[1].

قال: كان من خَبَري حين تَخلَّفتُ عن رسول الله ﷺ في غزوةِ تَبُوكَ، أنّي لم أكنْ قَطُّ أقوى ولا أيسَرَ منّي حين تَخلَّفتُ عنه في تلك الغزوة، وواللهِ ما اجتَمَعَت

(١) أي: أشهر عند الناس بالفضيلة.

لي راحلتانِ قَطُّ حتّى اجتَمَعَتا في تلك الغزوة.

وكان رسولُ الله ﷺ قلَّما يريدُ غزوةً يَغزُوها إلّا وَرَّى بغيرها[١]، حتّى كانت تلك الغزوةُ، فغَزَاها رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شديدٍ واستَقبَلَ سَفَراً بعيداً، واستَقبَلَ غزوَ عدوٍّ كثيرٍ، فجَلَّى للنّاسِ أمرَهم ليَتأهَّبوا لذلك أُهْبَتَه، وأخبرهم خَبَرَه بوَجهِه الذي يريدُ، والمسلمون مَن تَبِعَ رسولَ الله ﷺ كثيرٌ لا يَجمَعُهم كتابٌ حافظٌ؛ يعني بذلك الدِّيوانَ، يقول: لا يَجمَعُهم ديوانٌ مكتوبٌ.

قال كعبٌ: فقَلَّ رجلٌ يريد أن يَتَغيَّبَ إلّا ظَنَّ أنّه سيَخفَى له ذلك ما لم يَنزِلْ فيه وَحْيٌ من الله، وغَزَا رسولُ الله ﷺ تلك الغزوةَ حين طابَتِ الثِّمارُ وأُحِبَّت الظِّلالُ، فالناسُ إليها صُعْرٌ[٢].

فتَجهَّزَ رسولُ الله ﷺ وتَجهَّزَ المسلمون معه، وجعلتُ أَغدُو لأَتجهَّزَ معهم، فأَرجِعُ ولم أَقضِ حاجةً، فأقولُ في نفسي: أنا قادرٌ على ذلك إذا أردتُ، فلم يَزَلْ ذلك يَتَمادَى بي حتّى شَمَّرَ بالناسِ الجِدُّ، فأصبَحَ رسولُ الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أَقضِ من جَهَازي شيئاً، فقلت: أتجهَّزُ بعدَه بيومٍ أو يومَينِ ثمّ أَلحَقُ بهم، فغَدَوتُ بعدَ أن فَصَلُوا لأتجهَّزَ فرَجَعتُ ولم أَقضِ شيئاً، ثمّ غَدَوتُ فرَجَعتُ ولم أَقضِ شيئاً.

فلم يَزَلْ ذلك يَتَمادَى بي حتّى أَسرَعُوا وتَفرَّطَ الغَزوُ[٣]، فهَمَمتُ أن أرتَحِلَ فأُدرِكَهم، ولَيتَني فعلتُ، فلم أفعلْ.

(١) أي: سَتَرها وكنّى عنها وأَوهَمَ أنه يريد غيرها.

(٢) صُعْر: جمع أصعَر، وهو المائل، أي: نفوسهم تميل إليها وتشتهيها.

(٣) تفرَّط الغزو، أي: فات وسبق.

وجعلتُ إذا خرجتُ في النّاسِ بعدَ خروجِ رسول الله ﷺ، فطُفْتُ فيهم، يُحزِنُني أنّي لا أَرى إلّا رجلاً مَغمُوصاً عليه[1] في النِّفاق، أو رجلاً ممّن عَذَرَ اللهُ من الضُّعفاءِ، ولم يَذكُرْني رسولُ الله ﷺ حتّى بَلَغَ تبوكَ، فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوكَ: «ما فَعَلَ كعبُ بن مالكٍ؟»، فقال رجلٌ من بني سَلِمةَ: يا رسولَ الله، حَبَسَه بُرْداهُ والنَّظَرُ في عِطفَيهِ[2]، فقال له معاذُ بن جَبَل: بِئسَ ما قلتَ، والله يا رسولَ الله ما عَلِمْنا منه إلّا خيراً، فسَكَتَ رسولُ الله ﷺ.

فلمّا بَلَغَني أنّ رسولَ الله ﷺ قد تَوَجَّهَ قافِلاً من تَبُوكَ، حَضَرَني بَثّي[3]، فجَعَلتُ أتذكَّرُ الكَذِبَ وأقولُ: بماذا أَخرُجُ من سَخْطةِ رسول الله ﷺ غداً؟ وأَستَعينُ على ذلك كلَّ ذي رأيٍ من أهلي، فلمّا قيلَ: إنّ رسولَ الله ﷺ قد أَظَلَّ[4] قادماً، زاحَ عنّي[5] الباطلُ، وعَرَفتُ أنّي لا أَنجُو منه إلّا بالصِّدقِ، فأَجمَعتُ أن أَصدُقَه[6].

وصَبَّحَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وكان إذا قَدِمَ من سَفَرٍ بَدَأَ بالمسجدِ فرَكَعَ فيه رَكْعتَينِ ثمّ جَلَسَ للنّاس.

فلمّا فَعَلَ ذلك، جاءَه المُخلَّفون، فجَعَلوا يَحلِفُون له ويَعتَذِرون، وكانوا بِضْعةً وثمانينَ رجلاً، فيَقبَلُ منهم رسولُ الله ﷺ عَلانِيَتَهم وأَيْمانَهم، ويَستَغفِرُ لهم ويَكِلُ سَرَائرَهم إلى الله، حتّى جئتُ فسَلَّمتُ عليه، فتَبسَّمَ تَبسُّمَ المُغضَبِ، ثمّ قال لي:

---

(١) أي: مطعوناً عليه.

(٢) تثنية عِطْف، أي: جانبه، كناية عن كونه مُعجَباً في نفسه ذا زَهْوٍ وتكبُّر.

(٣) البَثُّ: الحُزن.

(٤) أظلَّ: أشرف وقَرُب.

(٥) زاح عني: ذهب وزال.

(٦) أي: عَزَمتُ على أن أصدقه.

«تَعالَهْ»، فجئتُ أَمشي حتّى جَلَستُ بين يدَيهِ، فقال لي: «ما خَلَّفَك؟ ألم تَكُنْ ابتَعْتَ ظَهْرَك؟[1]» قال: قلت: يا رسول الله، واللهِ إنّي لو جَلَستُ عند غيرِك من أهلِ الدُّنيا، لرأَيتُ أنّي سأخرُجُ من سَخَطِه بعُذْرٍ، لقد أُعطِيتُ جَدَلاً، ولكن والله لقد عَلِمتُ لئِنْ حَدَّثتُك اليومَ حديثاً كَذِباً لتَرضَيَنَّ عنّي، ولَيُوشِكَنَّ اللهُ أن يُسخِطَك عليَّ، ولئِنْ حَدَّثتُك حديثاً صِدْقاً تَجِدُ عليَّ فيه، إنّي لَأرجو عُقْبايَ من الله فيه، ولا واللهِ ما كان لي عُذْرٌ، والله ما كنتُ قَطُّ أقوى ولا أيسَرَ منّي حين تَخلَّفتُ عنك، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا هذا فقد صَدَقتَ فيه، فقُمْ حتَّى يَقضِيَ اللهُ فيكَ».

فقُمْتُ، وثارَ معي رجالٌ من بني سَلِمةَ فاتَّبَعُوني فقالوا لي: والله ما عَلِمناكَ كنتَ أذنبتَ ذَنْباً قبلَ هذا، ولقد عَجَزتَ أن لا تكونَ اعتَذَرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتَذَرَ به إليه المُخلَّفون، قد كان كافيكَ ذَنْبَكَ استغفارُ رسولِ الله ﷺ لك.

فواللهِ ما زالُوا بي حتّى أردتُ أن أَرجِعَ إلى رسول الله ﷺ فأُكذِبَ نفسي، ثمّ قلت لهم: هل لَقِيَ هذا أَحدٌ غيري؟ قالوا: نَعَم، رجلانِ قالا مِثلَ مَقالتِك، وقيلَ لهما مِثلَ ما قيلَ لك، قال: قلت: مَن هما؟ قالوا: مُرَارةُ بن الرَّبيعِ العَمْريُّ من بني عمرو بن عوفٍ، وهِلالُ بن أبي أُميّةَ الواقِفيُّ، فذَكَرُوا لي رجلَينِ صالحَينِ فيهما أُسْوةٌ، فصَمَتُّ حين ذَكَرُوهما لي.

ونَهَى رسولُ الله ﷺ عن كلامِنا أيُّها الثّلاثةُ من بينِ مَن تَخَلَّفَ عنه، فاجتَنَبَنا النّاسُ وتَغَيَّروا لنا، حتّى تَنكَّرَت لي نَفْسي والأرضُ، فما هي بالأرضِ الّتي كنت أعرِفُ، فلَبِثْنا على ذلك خمسين ليلةً، فأمّا صاحبايَ فاستَكَانا[2] وقَعَدا في بُيوتِهما،

(١) الظَّهر هنا: الدابّة المهيَّأة للركوب.

(٢) أي: ذلّا وخَضَعا للأمر.

وأمّا أنا فكنتُ أشَبَّ القومِ وأجلَدَهم[1] فكنتُ أخرُجُ وأشهَدُ الصَّلواتِ مع المسلمين وأطوفُ بالأسواقِ ولا يُكلِّمُني أحدٌ، وآتِي رسولَ الله ﷺ فأُسلِّمُ عليه وهو في مَجلِسِه بعدَ الصّلاة، فأقولُ في نفسي: هل حَرَّكَ شَفتَيهِ بردِّ السّلامِ عليَّ أم لا؟ ثمّ أُصلِّي قريباً منه فأُسارِقُه النَّظَرَ، فإذا أقبلتُ على صلاتي نَظَرَ إليَّ، وإذا التَفتُّ نحوَه أعرَضَ عنّي.

حتّى إذا طالَ ذلك عليَّ من جَفْوةِ المسلمين، مَشَيتُ حتّى تَسَوَّرتُ[2] جِدارَ حائطِ أبي قَتَادةَ، وهو ابنُ عمِّي وأحبُّ النّاسِ إليَّ، فسَلَّمتُ عليه، فواللهِ ما رَدَّ عليَّ السّلامَ، فقلت: يا أبا قَتَادة، أَنشُدُك بالله[3]، هل تعلمُ أنّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَه؟ فسَكَتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُه، فسَكَتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُه، فسَكَتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُه، فقال: اللهُ ورسولُه أعلمُ، ففاضَتْ عَيْنايَ ووَثَبتُ فتَسَوَّرتُ الحائطَ.

ثمّ غَدَوتُ إلى السُّوقِ، فبَيْنا أنا أَمشي بالسُّوقِ إذا نَبَطيٌّ[4] يَسأَلُ عنّي من نَبَطِ الشّام، ممّن قَدِمَ بالطَّعام يَبيعُه بالمدينة، يقول: مَن يَدُلُّ على كعبِ بن مالكٍ؟ قال: فجَعَلَ الناسُ يُشِيرونَ له إليَّ حتّى جاءَني، فدَفَعَ إليَّ كتاباً من مَلِك غسّانَ، وكَتَبَ كتاباً[5] في سَرَقةٍ من حَريرٍ، فإذا فيه: أمّا بعدُ، فإنّه قد بَلَغَنا أنّ صاحبَك قد جَفَاكَ،

---

(١) أجلدهم، أي: أقواهم.

(٢) تسوَّرت، أي: عَلَوتُ. والحائط: الحديقة.

(٣) أي: أسألك بالله رافعاً نَشِيدي، وهو صوتي.

(٤) النَّبطي هنا: الفلّاح من أهل الشام، وكانوا يقدمون إلى هذه المدينة ونواحيها من البلدان للتجارة بالزيت والدقيق.

(٥) في (ت) ونسخة على حاشية (ش٢) و(م): وكنت كاتباً.

والسَّرَقة: قطعة منسوجة من الحرير.

ولم يَجعَلْك الله بدارِ هَوَانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالحَقْ نُواسِكَ[1].

قال: قلت حين قَرَأتُها: وهذا من البَلاءِ أيضاً، قد بَلَغَ بي ما وَقَعتُ فيه أن طَمِعَ فِيَّ رجلٌ من أهلِ الشِّرْك. قال: فعَمَدتُ بها إلى تَنُّورٍ فسَجَرتُه بها[2].

فأقَمْنا على ذلك، حتّى إذا مَضَت أربعون ليلةً من الخمسين، إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إنّ رسولَ الله ﷺ يأمُرُك أن تَعتَزِلَ امرأتَك، قال: قلت: أُطلِّقُها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتَزِلْها ولا تَقرَبْها، وأرسَلَ إلى صاحبيَّ بمِثْلِ ذلك، فقلت لامرأتي: الحَقِي بأهلِك فكوني عندَهم حتّى يَقضِيَ اللهُ في هذا الأمر ما هو قاضٍ.

قال: وجاءَت امرأةُ هلالِ بن أُميّةَ رسولَ الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، إنّ هلالَ بن أُميّةَ شيخٌ كبيرٌ ضائعٌ لا خادِمَ له، أفتكرَهُ أن أخدُمَه؟ قال: «لا، ولكنْ لا يَقرَبَنَّكِ» قالت: والله يا رسولَ الله ما به من حَرَكةٍ إليَّ، والله ما زالَ يبكي مُنذُ كان من أمرِه ما كان إلى يومِه هذا، ولقد تَخَوَّفتُ على بصرِه. قال: فقال لي بعضُ أهلي: لو استأذَنتَ رسولَ الله لامرأتِك، فقد أَذِنَ لامرأةِ هلالِ بن أُميّةَ أن تَخدُمَه، قال: فقلت: والله لا أستأذِنُه فيها، ما أدري ما يقول رسولُ الله ﷺ في ذلك إذا استأذَنتُه فيها، وأنا رجلٌ شابٌّ.

قال: فلَبِثْنا بعدَ ذلك عَشْرَ لَيالٍ، فكَمُلَ لنا خمسون ليلةً من حينَ نَهَى رسولُ الله ﷺ المسلمين عن كلامِنا، ثمّ صَلَّيتُ الصُّبحَ صُبحَ خمسين ليلةً على ظَهرِ بيتٍ من بُيوتِنا، على الحالِ التي ذَكَرَ اللهُ منّا، قد ضاقَتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَت وضاقَتْ

---

(١) مضيعة فيها لغتان: إحداهما: مَضْيَعة، والثانية: مَضِيعة، أي: موضعٌ وحالٌ يَضِيع فيه حقُّك.

والمُواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق.

(٢) التنُّور: بيت النار الذي يُخبَز فيه. وسجرتُه: أحرقته.

عليَّ نَفْسي، وقد كنتُ ابتَنَيتُ خَيْمةً في ظَهْرِ سَلْعٍ، فكنت أكونُ فيها، إذ سمعتُ صوتَ صارخٍ أَوفَى على ظَهرِ سَلْعٍ يقول بأعلى صوتِه: يا كعبَ بنَ مالكٍ، أبشِرْ، قال: فخَرَرتُ ساجداً، وعَرَفتُ أنْ قد جاءَ الفَرَجُ.

قال: وآذَنَ[1] رسولُ الله ﷺ النّاسَ بتَوْبةِ الله علينا حين صَلَّى الفجرَ، فذَهَبَ النّاسُ يُبشِّرونَنا، وذَهَبَ نحوَ صاحبَيَّ مُبشِّرون، ورَكَضَ رجلٌ إليَّ فرساً[2]، وسَعَى ساعٍ من أسلَمَ حتّى أَوفَى[3] على الجبل، فكان الصّوتُ أسرعَ من الفَرَس، فلمّا جاءَني الّذي سمعتُ صوتَه يُبشِّرُني، نَزَعتُ ثوبَيَّ فكَسَوتُهما إيّاه بِشَارةً، ووالله ما أَملِكُ يومَئذٍ غيرَهما، واستَعَرتُ ثوبَينِ فلَبِستُهما، ثمّ انطَلَقتُ أتيَمَّمُ[4] رسولَ الله ﷺ، وتَلقّاني النّاسُ يُبشِّرونَني بالتّوبة يقولون: ليَهنِكَ توبةُ الله عليك، حتّى دخلتُ المسجدَ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ حولَه النّاسُ، فقامَ إليَّ طلحةُ بن عُبيدِ الله، فحَيّاني وهَنّأَني، ووالله ما قامَ إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيرُه. قال: فكان كعبُ بن مالكٍ لا يَنْساها لطلحةَ.

قال كعبٌ: فلمّا سَلَّمتُ على رسول الله ﷺ قال لي، ووجهُه يَبرُقُ من السُّرور: «أَبشِرْ بخيرِ يومٍ مَرَّ عليك مُنذُ وَلَدَتكَ أُمُّك»، قال: قلت: أمِن عندِك يا رسولَ الله، أم من عندِ الله؟ قال: «بلْ مِن عندِ اللهِ»، قال: وكان رسولُ الله ﷺ إذا استَبشَرَ كأنَّ وجهَه قِطْعةُ قَمَرٍ، قال: وكنَّا نعرِفُ ذلك منه.

قال: فلمّا جَلَستُ بين يدَيهِ قلتُ: يا رسولَ الله، إنّ من تَوْبَتي إلى الله أن أَنخَلِعَ من

---

(١) أي: أَعلَمَ.

(٢) أي: استحثَّه، من الرَّكْض: وهو الضرب بالرِّجل على بطن الفرس لتسرع.

(٣) أي: أشرَفَ.

(٤) أي: أَقصِدُ.

مالي صَدَقةً إلى الله وإلى رسولِه، قال رسولُ الله ﷺ: «أَمسِكْ عليكَ بعضَ مالِكَ، فهو خيرٌ لكَ»، قال: قلت: إنّي مُمسِكٌ سَهْمي الذي بخَيبَرَ.

وقلت: يا رسولَ الله، إنّ الله قد نَجَّاني بالصِّدقِ، وإنَّ من تَوْبَتي إلى الله أن لا أُحدِّثَ إلّا صِدْقاً ما بَقِيتُ[1]؛ واللهِ ما أَعلمُ أحداً من النّاسِ أَبْلاهُ اللهُ[2] في صِدْقِ الحديثِ منذُ ذكرتُ لرسول الله ﷺ ذلك، أفضلَ ممّا أَبلاني، والله ما تَعمَّدتُ من كَذْبةٍ منذُ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإنّي لَأَرجُو أن يَحفَظَني اللهُ فيما بَقِي.

وأنزَلَ الله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ[3] قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٧-١١٩].

قال كعبٌ: فوالله ما أنعَمَ اللهُ عليَّ نِعمةً قَطُّ بعدَ أن هَدَاني للإسلامِ كانت أعظَمَ في نفسي، من صِدْقي رسولَ الله ﷺ يومَئذٍ، أن لا أكونَ كَذَبتُه[4] فأَهلِكَ كما هَلَكَ الّذين كَذَبُوه، فإنَّ الله تبارك وتعالى قال في الّذين كَذَبُوه حين أنزَلَ الوحيَ شَرَّ ما قال لأحدٍ،

---

(١) في (ش١) و(ش٢) و(ق٢): ما حَيِيتُ.

(٢) أي: أنعَمَ عليه، والبلاء والإبلاء يكون في الخير والشرّ، لكن إذا أُطلق كان للشرِّ غالباً، فإذا أُريدَ الخيرُ قُيِّد كما قُيِّد هنا فقال: أفضل ممّا أبلاني. قاله النوويُّ في «شرح مسلم».

(٣) هكذا في نسخنا كافةً بالتاء، وهي قراءة العشرة غير حمزة وحفص عن عاصم فقرآ: (يَزِيغُ) بالياء. انظر «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ٢/ ٢٨١.

(٤) لفظة «لا» زائدة، نحو قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:١٢]، أي: أن أكون حدّثتُه حديثَ كذبٍ فأَهلِك، وهو بدلٌ من قوله: من صِدْقي.

قال: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٩٥-٩٦].

قال: وكنَّا خُلِّفْنا أيُّها الثّلاثةُ عن أمرِ هؤلاءِ الّذين قَبِلَ منهم رسولُ الله ﷺ حين حَلَفُوا له فعَذَرَهم واستَغفَرَ لهم، وأَرجَأَ رسولُ الله ﷺ أمرَنا، حتّى قَضَى اللهُ فيه ما قَضَى، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾، وليس الذي ذَكَرَ اللهُ من تَخليفِنا لتَخَلُّفِنا عن الغزوةِ، ولكن لتَخْليفِه إيّانا وإرجائِه أمرَنا عمَّن حَلَفَ له واعتَذَرَ إليه فقَبِلَ منه[1].

(١) حديث كعب بن مالك هذا في قصة توبته حديث صحيح.

وأخرجه بطوله أحمد (١٥٧٨٩) و(٢٧١٧٥)، والبخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، وابن حبان (٣٣٧٠) من طرق عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن أبيه، عن جدّه كعب بن مالك.

أمرُ وفد ثقيفٍ وإسلامِها
في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ من تَبُوكَ في رمضان، وقَدِمَ عليه في ذلك الشّهر وفدُ ثَقيفٍ.

وكان من حديثهم: أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا انصَرَفَ عنهم، اتَّبَعَ أثَرَه عُرْوةُ بن مسعودٍ الثَّقَفيّ حتّى أدرَكَه قبلَ أن يَصِلَ إلى المدينة، فأسلَمَ، وسأله أن يَرجِعَ إلى قومِه بالإسلام، فقال له رسولُ الله ﷺ كما يَتحدَّثُ قومُه: «إنَّهم قاتِلُوك»، وعَرَفَ رسولُ الله ﷺ أنّ فيهم نَخْوةَ الامتِناعِ الذي كان منهم، فقال عُرْوةُ: يا رسولَ الله، أنا أَحَبُّ إليهم من أَبكارِهم.

قال ابن هشام: ويقال: من أبصارِهم.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم كذلك مُحَبَّباً مُطاعاً، فخرج يدعو قومَه إلى الإسلام رَجَاءَ أن لا يُخالِفُوه لمَنزِلتِه فيهم، فلمّا أشرَفَ لهم على عِلِّيّةٍ له[1]، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهَرَ لهم دينَه، رَمَوهُ بالنَّبْلِ من كلِّ وجهٍ، فأصابه سَهمٌ فقتله، فتَزعُم بنو مالكٍ أنّه قتله رجلٌ منهم يقال له: أَوسُ بن عوفٍ أخو بني سالمِ بن مالكٍ، وتَزعُم الأحلافُ أنّه قتله رجلٌ منهم من بني عَتّابِ بن مالكٍ يقال له: وهبُ بن جابرٍ، فقيلَ لعُرْوةَ: ما تَرَى في دمِك؟ قال: كَرَامةٌ أكرَمَني الله بها، وشهادةٌ ساقَها الله إليَّ، فليس فِيَّ إلّا ما في الشُّهداءِ الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ قبلَ أن يَرتَحِلَ عنكم، فادفِنُوني معهم، فدَفَنُوه معهم، فزَعَمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ قال فيه: «إنَّ مَثَلَه في قومِه لكمَثَلِ

(١) العِلِّيّة: الغُرفة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها.

صاحبِ ياسينَ في قومِه»[1].

ثمّ أقامت ثَقيفٌ بعدَ قتلِ عُرْوةَ أشهراً، ثمّ إنّهم ائتَمَروا بينهم ورَأَوا أنّه لا طاقةَ لهم بحربِ مَن حولَهم من العرب وقد بايَعُوا وأسلَمُوا.

حدّثني يعقوبُ بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَسِ: أنّ عمرَو بن أُميّةَ أخا بني عِلَاجٍ كان مُهاجِراً لعبدِ ياليِلَ بن عمرٍو[2]، الّذي بينهما سيِّءٌ، وكان عمرو بن أُميّة من أَدهَى العرب، فمَشَى إلى عبدِ ياليِلَ بن عمرٍو حتّى دخل دارَه ثمّ أرسَلَ إليه: إنّ

(١) حديث قصة عروة بن مسعود هذا حديث محتمل للتحسين إن شاء الله، فقد روي من غير وجهٍ مرسلاً يشدُّ بعضها بعضاً، ممّا يُوحي أن للخبر أصلاً.

فقد رواه عبد الله بن لَهِيعة عن أبي الأسود يتيم عُروة عن عروة بن الزبير مرسلاً فيما أخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٤٧١، والطبراني في «الكبير» ١٧/ (٣٧٤)، والحاكم (٦٧٢٤). وابن لهيعة وإن كان في حفظه سوء ضُعِّف من أجله، لكن قبل العلماء رواية العبادلة عنه، وقد رواه عنه منهم عبد الله بن وهب عند ابن شبّة.

وروى نحوه أيضاً موسى بن عقبة عن الزهري مرسلاً فيما أخرجه ابن شبة ٢/ ٤٦٩-٤٧٠، والطبراني ١٧/ (٣٧٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٤٨٦).

وهو عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٩٩-٣٠٠ عن موسى بن عقبة لم يذكر فيه الزهريَّ.

ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جُدعان فيما أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٥٩٨). وابن جُدعان فيه ضعف، لكن يصلح في المتابعات والشواهد.

ورواه إبراهيم الحِزامي عن ابن وهب عن الليث بن سعد معضلاً فيما أخرجه عمر بن شبة ٢/ ٤٧٠-٤٧١.

وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «تفسير ابن كثير» ٦/ ٥٧٢ ـ من طريق هشام بن عبيد الله الرازي، عن محمد بن جابر بن سيار، عن عبد الملك بن عمير مرسلاً. وهشام وشيخه محمد متكلَّم فيهما.

(٢) أي: هاجراً مخاصماً له.

عمرَو بن أُميّةَ يقول لك: اخرُجْ إليَّ، قال: فقال عبدُ ياليلَ للرّسول: وَيلَك، أعمرٌو أرسَلَك إليَّ؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفاً في دارِك، فقال: إنّ هذا لشيءٌ ما كنت أظُنُّه، لَعمرٌو كان أمنَعَ في نفسِه من ذلك[1]، فخرج إليه فلمّا رآه رَحَّبَ به، فقال له عمرٌو: إنّه قد نَزَلَ بنا أمرٌ ليست معه هِجرةٌ، إنّه قد كان من أمرِ هذا الرّجلِ ما قد رأيتَ، وقد أسلَمَت العربُ كلُّها، وليست لكم بحربِهم طاقةٌ، فانظُروا في أمرِكم.

فعند ذلك ائتَمَرَت ثَقيفٌ بينها، وقال بعضُهم لبعض: ألَا تَرَوْنَ أنّه لا يأمَنُ لكم سِرْبٌ[2]، ولا يخرج منكم أحدٌ إلّا اقتُطِعَ، فأْتمَرُوا بينهم، وأجمَعُوا أن يُرسِلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسَلُوا عُرْوةَ، فكَلَّموا عبدَ ياليلَ بن عمرو بن عُمَيرٍ، وكان سِنَّ عُرْوةَ بن مسعودٍ[3]، وعَرَضُوا ذلك عليه فأَبَى أن يَفعَلَ، وخَشِيَ أن يُصنَعَ به إذا رَجَعَ كما صُنِعَ بعُرْوة، فقال: لستُ فاعلاً حتّى تُرسِلوا معي رجالاً، فأجمَعُوا أن يَبعَثُوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثةً من بني مالكٍ، فيكونوا ستّةً، فبَعَثُوا مع عبدِ ياليلَ الحَكَمَ بن عمرو بن وهب بن مُعتِّبٍ، وشُرَحبيلَ بن غَيْلانَ بن سَلَمة بن مُعتِّبٍ، ومن بني مالكٍ عثمانَ بن أبي العاصِ بن بِشْر بن عبدِ دُهْمانَ أخا بني يَسارٍ، وأَوسَ ابن عوفٍ أخا بني سالمِ بن عوفٍ، ونُمَيرَ بن خَرَشةَ بن رَبِيعة أخا بني الحارثِ، فخرج بهم عبدُ ياليلَ وهو نابُ القومِ[4] وصاحبُ أمرِهم، ولم يخرج بهم إلّا خَشْيةً من مِثْلِ ما صُنِعَ بعُرْوةَ بن مسعود، لكيْ يَشغَلَ كلُّ رجلٍ منهم إذا رَجَعُوا إلى الطّائف

(١) في «مغازي الواقدي» ٣/ ٩٦٢: إن هذا لشيءٌ ما كنت أظنُّه بعمرو، وما هو إلا عن أمرٍ قد حدث وكان أمراً سُوءاً، ما لم يكن من ناحية محمد.

(٢) السِّرب: المال الراعي، وهو أيضاً الطريق، والنَّفْس.

(٣) أي: بمثل سنِّه وعمره.

(٤) نابُ القوم: سيّدهم، والمدافع عنهم.

رَهْطَه.

فلمّا دَنَوْا من المدينة ونَزَلوا قَنَاةَ[1]، أَلْفَوْا بها المغيرةَ بن شُعْبة يَرْعى في نَوْبتِهِ رِكَابَ أصحابِ رسول الله ﷺ، وكانت رِعْيتُها نُوَباً على أصحابه ﷺ، فلمّا رآهم تَرَكَ الرِّكَابَ عند الثَّقَفِيِّينَ وضَبَرَ[2] يَشتدُّ ليُبشِّرَ رسولَ الله ﷺ بقُدومِهم عليه، فلَقِيَه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ قبلَ أن يَدخُلَ على رسول الله ﷺ، فأخبره عن رَكْبِ ثقيفٍ أن قد قَدِمُوا يريدون البَيْعةَ والإسلامَ بأن يَشرِطَ لهم رسولُ الله ﷺ شُروطاً، ويَكتَتِبُوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومِهم وبلادِهم وأموالِهم، فقال أبو بكرٍ للمُغِيرة: أقسمتُ عليك بالله لا تَسبِقَنّي إلى رسول الله ﷺ حتّى أكونَ أنا أُحدِّثُه، ففعل المغيرةُ، فدخل أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ فأخبره بقُدومِهم عليه، ثمّ خرج المغيرةُ إلى أصحابه فرَوَّحَ[3] الظُّهرَ معهم، وعَلَّمَهم كيف يُحيُّون رسولَ الله ﷺ، فلم يفعلوا إلّا بتَحِيّة الجاهليّة.

ولمّا قَدِمُوا على رسول الله ﷺ ضَرَبَ عليهم قُبّةً في ناحيةِ مسجده كما يَزعُمون، فكان خالدُ بن سعيد بن العاصِ هو الّذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتّى اكتَتَبوا كتابَهم، وكان خالدٌ هو الّذي كَتَبَ كتابَهم بيدِه، وكانوا لا يَطعَمُون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتّى يأكُلَ منه خالدٌ حتّى أسلَموا وفَرَغُوا من كتابهم.

وقد كان فيما سأَلوا رسولَ الله ﷺ أن يَدَعَ لهم الطّاغيةَ، وهي اللّاتُ، لا يَهدِمُها ثلاثَ سنينَ، فأَبَى رسولُ الله ﷺ ذلك عليهم.

---

(١) وهو وادٍ يمرّ جنوب جبل أُحد باتجاه الغرب ويميل قليلاً إلى الشمال.

(٢) ضَبَرَ: وَثَبَ.

(٣) من الرَّواح: وهو الوقت من زوال الشمس إلى الليل، والمعنى هنا: أنه كان معهم وقت الظهر الذي هو بعد الزوال.

فما بَرِحُوا يسألونَه سنةً سنةً ويأبَى عليهم، حتّى سألوه شهراً واحداً بعدَ مَقدَمِهم، فأبَى عليهم أن يَدَعَها شيئاً مُسمًّى، وإنّما يريدون بذلك فيما يُظهِرون أن يَتسلَّموا بتَركِها من سُفَهائهم ونسائهم وذَرَاريِّهم، ويَكرَهون أن يُروِّعوا قومَهم بهَدْمِها حتّى يَدخُلَهم الإسلامُ، فأَبَى رسولُ الله ﷺ إلّا أن يَبعَثَ أبا سفيانَ بن حَرْبٍ والمغيرةَ ابن شُعْبةَ فيَهدِماها، وقد كانوا سألوه مع تَرْكِ الطّاغية أن يُعفِيَهم من الصّلاة، وأن لا يَكسِروا أَوثانَهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا كَسْرُ أَوثانِكم بأيدِيكم، فسَنُعفِيكُم منه، وأمّا الصّلاةُ، فإنَّه لا خيرَ في دِينٍ لا صلاةَ فيه»، فقالوا: يا محمّدُ، فسَنُؤتِيكَها وإن كانت دَنَاءةً[1].

فلمّا أسلَمُوا وكَتَبَ لهم رسولُ الله ﷺ كتابَهم، أمَّرَ عليهم عثمانَ بن أبي العاصِ وكان من أحدَثِهم سِنّاً، وذلك أنّه كان أحرَصَهم على التّفقُّه في الإسلام وتَعلُّمِ القرآن، فقال أبو بكرٍ لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، إنّي قد رأيتُ هذا الغلامَ منهم من أحرَصِهم على التّفقُّه في الإسلام وتَعلُّمِ القرآن.

---

(١) لم نقف على هذا الخبر مسنداً بهذا السِّياق.

وقد أخرج أحمد (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦) ـ واللفظ له ـ من حديث حميد الطويل، عن الحسن البصري، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو أحد الوفدِ: أنّ وفد ثقيفٍ لما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ أنزلهم المسجدَ، ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشتَرَطوا عليه أن لا يُحشَروا (أي: لا يُندَبوا للجهاد) ولا يُعشَروا (أي: لا يؤخذ منهم صدقات أموالهم) ولا يُجَبُّوا (أي: لا يُصلُّوا)، فقال رسول الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دينٍ ليس فيه ركوعٌ». ورجاله ثقات إلا أنه منقطع بين الحسن وعثمان بن أبي العاص، فإنه لم يسمع منه.

لكن يشهد له حديث جابرٍ عند أبي داود (٣٠٢٥) من حديث وهب بن منبِّه قال: سألتُ جابراً عن شرط ثقيف إذ بايَعَت، قال: اشتَرَطَت على النبي ﷺ: أن لا صدقةَ عليها ولا جهادَ، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: «سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أَسلموا». وإسناده صحيح.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عيسى بن عبد الله، عن[1] عَطيّةَ بن سفيانَ بن رَبيعة الثَّقَفيِّ، عن بعض وَفدِهم قال: كان بلالٌ يأتينا حين أسلَمْنا وصُمْنا مع رسول الله ﷺ ما بَقِيَ من رمضانَ بفِطْرِنا وسَحُورِنا من عندِ رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسَّحُورِ وإنّا لنقولُ: إنّا لنَرَى الفجرَ قد طَلَعَ، فيقول: قد تَرَكتُ رسولَ الله ﷺ يَتَسحَّرُ، لتأخيرِ السُّحورِ، ويأتينا بفِطْرِنا وإنّا لنقولُ: ما نَرَى الشّمسَ كلَّها ذَهَبَت بعدُ، فيقول: ما جئتُكم حتّى أَكلَ رسولُ الله ﷺ، ثمّ يَضَعُ يدَه في الجَفْنةِ فيَلتَقِمُ منها[2].

قال ابن هشام: بفَطُورِنا وسَحُورِنا.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن أبي هندٍ، عن مُطرِّفِ بن عبدالله بن الشِّخِّيرِ، عن عثمانَ بن أبي العاصِ قال: كان من آخرِ ما عَهِدَ إليّ رسولُ الله ﷺ حين بَعَثَني على ثَقيفٍ أن قال: «يا عثمانُ، تَجاوَزْ في الصَّلاةِ، واقدُرِ النّاسَ بأضعَفِهم، فإنَّ فيهم الكبيرَ والصَّغيرَ والضَّعيفَ وذا الحاجَةِ»[3].

---

(١) تحرف في طبعة السقا وصاحبيه إلى: بن.

(٢) إسناده حسن. عيسى بن عبد الله: هو عيسى بن عبد الله بن مالك الدار مولى عمر.

وأخرجه مختصراً ابن ماجه (١٧٦٠) من طريق أحمد بن خالد الوَهْبي، عن ابن إسحاق، عن عيسى بن عبد الله، عن عطية بن سفيان قال: حدَّثَنا وفدُنا الذين قدموا على رسول الله ﷺ بإسلام ثقيفٍ، قال: وقَدِموا عليه في رمضان، فضرب عليهم قُبّةً في المسجد، فلما أسلموا صاموا ما بقيَ عليهم من الشهر. وانظر تمام تخريجه والكلام عليه في «سنن ابن ماجه» طبعة الرسالة العالمية.

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٦٢٧٣)، وابن ماجه (٩٨٧) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرج نحوه مسلم (٤٦٨) (١٨٦) من طريق موسى بن طلحة، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أن النبي ﷺ قال له: «أُمَّ قومَكَ» قال: قلت: يا رسول الله، إني أجدُ في نفسي شيئاً، قال: «ادنُهْ». =

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغُوا من أمرِهم وتَوَجَّهوا إلى بلادِهم راجعين، بَعَثَ رسولُ الله ﷺ معهم أبا سفيانَ بن حربٍ والمغيرةَ بن شُعْبة، في هَدْمِ الطّاغية، فخَرَجا مع القوم، حتّى إذا قَدِموا الطّائفَ أرادَ المغيرةُ بن شُعْبة أن يُقدِّمَ أبا سفيانَ، فأَبَى ذلك أبو سفيانَ عليه وقال: ادخُلْ أنت على قومك، وأقامَ أبو سفيانَ بمالِه بذي الهَدْم[1]، فلمّا دخل المغيرةُ بن شُعْبة عَلَاها يَضرِبُها بالمِعوَلِ، وقام قومُه دونَه؛ بنو مُعتِّبٍ، خَشْيةَ أن يُرمَى أو يُصابَ كما أُصيبَ عُرْوةُ، وخرج نساءُ ثَقيفٍ حُسَّراً[2] يَبكِينَ عليها ويَقُلْنَ:

لَتُبكَـــيَنَّ دُفّـــاعْ أســلَمَها الرُّضّــاعْ[3]
لم يُحسِنوا المِصَاعْ[4]

قال ابن هشام: لتُبكَيَنَّ، عن غير ابن إسحاق.

= فجلَّسني بين يديه ثم وضع كفَّه في صدري بين ثديَّ، ثم قال: «تحوَّلْ» فوضعها في ظهري بين كتفيَّ، ثم قال: «أُمَّ قومَك، فمن أمَّ قوماً فليُخفِّف، فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلَّى أحدُكم وحده فليصلِّ كيف شاء».

(١) في (ش١) و(ش٢) و(ف) و(ي): الهَرْم، بالراء، وهو كذلك عند البكريّ في «معجم ما استعجم» ٤/ ١٣٥٢ نقلاً عن ابن إسحاق، وذكره كذلك بالراء الحازميُّ في «الأماكن» ص٩١٩ نقلاً عن الواقديّ في «مغازيه» ٣/ ٩٧١.

قال عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٣٢٨: ولا يعرف اليوم بالطائف مكانٌ بأحد الاسمين.

(٢) حسراً: مكشوفات الرؤوس.

(٣) سمَّينها دُفّاع، لأنها كانت تدفع عنهم وتنفع وتضرّ على زعمهم. أسلَمَها الرُّضّاع، أي: تركوها ولم يحاموا عنها، والرُّضّاع هنا: اللِّئام.

(٤) المِصاع: المضاربة بالسيوف.

قال ابن إسحاق: ويقول أبو سفيانَ والمغيرةُ يَضرِبُها بالفأسِ: واهاً لكِ إهلاكَكِ[1]! فلمّا هَدَمَها المغيرةُ وأخذَ مالَها وحُلِيَّها، أرسَلَ إلى أبي سفيان وحُلِيُّها مجموعٌ وما لها من الذَّهب والجَزْع[2].

وقد كان أبو مُلَيح بن عُرْوةَ وقاربُ بن الأَسود قَدِما على رسول الله ﷺ قبلَ وفدِ ثقيفٍ، حين قُتِل عُرْوةُ، يريدانِ فِراقَ ثقيفٍ، وأن لا يُجامِعاهم على شيءٍ أبداً، فأسلَما، فقال لهما رسول الله ﷺ: «تَوَلَّيَا مَن شِئتُما» فقالا: نَتَولَّى اللهَ ورسولَه، فقال رسول الله ﷺ: «وخالَكُما أبا سفيانَ بن حَرْبٍ» فقالا: وخالَنا أبا سفيانَ[3].

فلمّا أسلمَ أهلُ الطّائفِ ووَجَّهَ رسولُ الله ﷺ أبا سفيانَ والمغيرةَ إلى هدمِ الطّاغية، سأل رسولَ الله ﷺ أبو مُلَيح بن عُرْوة أن يَقضِيَ عن أبيه عُرْوةَ دَيناً كان عليه من مال الطّاغية، فقال له رسول الله ﷺ: «نَعَم»، فقال له قاربُ بن الأسودِ: وعن الأسودِ يا رسولَ الله فاقْضِه، وعُرْوةُ والأسودُ أخوانِ لأبٍ وأمٍّ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأسوَدَ ماتَ مُشرِكاً»، فقال قاربٌ لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، لكنْ تَصِلُ مُسلِماً ذا قَرابةٍ - يعني نفسَه - إنّما الدَّينُ عليَّ، وإنّما أنا الذي أُطلَبُ به، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ أبا سفيانَ

---

(١) واهاً لك: كلمة تقال في معنى التأسف والتحزن، أي: أتأسّف على إهلاكك. وقد رُسِمت في نسخنا الخطية هكذا: واهاً لك أهلاً لك، ولا معنى لها، والظاهر أنه خطأ تتابع عليه النُّسّاخ، والصواب في قراءته ما أثبتناه، وهكذا نقلها ابن كثير في «البداية والنهاية» ٧/ ٢١٤، ووقع في نسخة (غ) وحدها: واهاً لك واهاً لك، بتكرارها.

قلنا: وما ذكره ابن إسحاق من تأسّف أبي سفيان على هدم اللّات، لم يأثُرْه بإسناد، ولم نقف عليه عند غيره من أصحاب المغازي والسِّيَر، وهو غريب مُنكَر، ولا حُجّة فيه، والله تعالى أعلم.

(٢) الجَزْع: الخرز اليماني، وهو من الأحجار الكريمة.

(٣) لم يسنده ابن إسحاق، ولا الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٦٢، فهو معضَلٌ ضعيف.

أن يَقضِيَ دينَ عُرْوةَ والأسودِ من مال الطّاغية، فلمّا جَمَعَ المغيرةُ مالَها قال لأبي سفيانَ: إنّ رسولَ الله ﷺ قد أمَرَكَ أن تَقضِيَ عن عُرْوةَ والأسودِ دَينَهما، فقَضَى عنهما[1].

وكان كتابُ رسول الله ﷺ الذي كَتَبَ لهم:

«بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ: من محمّدٍ النبيِّ رسولِ الله إلى المؤمنينَ: إنّ عِضَاهَ وَجٍّ[2] وصَيْدَه لا يُعضَدُ، مَن وُجِدَ يَفعَلُ من ذلكَ شيئاً فإنّه يُجلَدُ وتُنزَعُ ثِيابُه، فإن تَعَدَّى ذلك فإنّه يُؤخَذُ فيَبلُغُ به النبيَّ محمّداً. وإنَّ هذا أمرُ النبيِّ محمّدٍ رسولِ الله ﷺ».

وكَتَبَ خالدُ بن سعيدٍ بأمرِ الرَّسول محمّدِ بن عبدِ الله، فلا يَتَعَدَّه أَحدٌ فيَظلِمَ نفسَه فيما أمَرَ به محمّدٌ رسولُ الله ﷺ[3].

---

(١) هو كسابقه لم يسنده ابن إسحاق، ولا الواقدي في «مغازيه» ٣/ ٩٧١.

(٢) العِضَاه: كل شجر عظيم له شوكٌ، الواحدة: عِضَةٌ، وقيل: عِضاهةٌ. ووجٌّ: هو وادي الطائف الرئيس، وهو يقسمها إلى شطرين من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

(٣) الخبر في هذا الكتاب ضعيف، ولم يسنده ابنُ إسحاق ولا الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٧٢.

وأسنده أبو عبيدٍ القاسم بن سلّام في «الأموال» (٥٢١) عن عثمان بن صالح السَّهمي، عن عبد الله بن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عُروة بن الزُّبير مرسلاً. وهذا إسناد ضعيف ليس بحُجّة لسوء حفظ ابن لهيعة واختلاطه.

ففي هذا الخبر أن رسول الله ﷺ حرّم لثقيف وجّاً بعد إسلامهم، وقد روي ما يخالف هذا:

فقد أخرج أحمد (١٤١٦) وأبو داود (٢٠٣٢) من طريق محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفي، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، عن الزبير قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيّةَ حتى إذا كنا عند السِّدرة وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن الأسود حَذْوَها، فاستقبل نَخْباً ببصره، ووقف حتى اتّقَفَ الناسُ كلهم، ثم قال: «إنّ صيد وجٍّ وعِضاهَه حرمٌ محرَّمٌ لله»، وذلك قبل نزوله الطائف =

= وحصاره لثقيف.

ففي هذا الحديث أن تحريمه وجّاً كان قبل حصاره للطائف، ولكن هذا إسناده ضعيف أيضاً، فمحمد بن عبد الله بن إنسان سُئل عنه أبو حاتم الرازي فقال: ليس بالقوي، وفي حديثه نظر، وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ١٤٠ وذكر له هذا الحديث، وقال: لم يُتابَع عليه، وذكر أباه ٥/ ٤٥ وأشار إلى هذا الحديث وقال: لم يصحَّ حديثه.

فالحاصل أنه لم يصحَّ خبرٌ في تحريم شيءٍ من الطائف كتحريم مكة أو المدينة.

قال ابن قُدامة المقدسيّ في «المغني» ٥/ ١٩٤: صيد وجٍّ وشجره مباحٌ، وهو وادٍ بالطائف، وقال أصحاب الشافعي: هو محرَّم، لأن النبي ﷺ قال: «صيد وجٍّ وعضاهها محرّم»، رواه أحمد في «المسند»، ولنا: أن الأصل الإباحة، والحديث ضعيف ضعّفه أحمد، ذكره أبو بكر الخلّال في كتاب «العلل».

وقال ابن القيّم في «زاد المعاد» ٣/ ٥٠٨ في هذه المسألة: اختلف الفقهاء في ذلك، والجمهور قالوا: ليس في البقاع حرمٌ إلا مكة والمدينة، وأبو حنيفة رحمه الله خالفهم في حرم المدينة.

حَجُّ أبي بكرٍ بالناس سنة تسعٍ
واختصاصُ النبيِّ ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ رضوان الله عليه
بتأدية أول براءةَ عنه، وذكرُ براءةَ والقَصَصِ في تفسيرها

قال ابن إسحاق: ثمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بقيّةَ شهر رمضان وشوّالاً وذا القَعْدة، ثمّ بَعَثَ أبا بكرٍ أميراً على الحَجِّ من سنة تسعٍ ليُقيمَ للمسلمين حَجَّهم، والنّاسُ من أهلِ الشِّرك على مَنازِلِهم من حَجِّهم، فخرج أبو بكرٍ ومَن معه من المسلمين.

ونزلت بَراءةُ في نَقْضِ ما بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ المشركين من العهدِ الذي كانوا عليه فيما بينَه وبينَهم: أن لا يُصَدَّ عن البيت أحدٌ جاءَه ولا يُخَافَ أحدٌ في الشَّهر الحرام، وكان ذلك عهداً عامّاً بينَه وبينَ الناس من أهلِ الشِّرك، وكانت بين ذلك عُهودٌ بين رسول الله ﷺ وبين قبائلَ من العربِ خصائصَ إلى آجالٍ مُسمّاةٍ، فنزلت فيه وفيمن تَخلَّفَ من المنافقين عنه في تَبُوكَ وفي قول مَن قال منهم، فكَشَفَ اللهُ فيها سرائرَ أقوامٍ كانوا يَستَخفُون بغير ما يُظهِرون، منهم مَن سُمِّي لنا، ومنهم مَن لم يُسمَّ لنا، فقال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ أي: لأهلِ العهدِ العامِّ من أهل الشّرك ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾ أي: بعدَ هذه الحَجّة ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: العهدَ الخاصَّ إلى الأجلِ المُسمَّى ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ يعني الأربعةَ التي ضَرَبَ لهم أجلاً ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ

وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: مِن هؤلاءِ الذين أمَرْتُك بقتلِهم ﴿اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (٦)﴾.

ثمّ قال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الّذين كانوا هم وأنتم على العهدِ العامِّ أن لا يُخِيفُوكم ولا يُخِيفُوهم في الحُرْمةِ ولا في الشّهرِ الحرامِ ﴿عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهي قبائلُ بني بكرٍ الذين كانوا دَخلوا في عَقْدِ قُريشٍ وعهدِهم يومَ الحُدَيبيَة، إلى المُدّة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قُريشٍ، فلم يكن نَقَضَها إلّا هذا الحيُّ من قُريشٍ وبنو الدِّيلِ من بني بكرٍ الذين كانوا دَخلوا في عَقْدِ قُريشٍ وعهدِهم، فأُمِرَ بإتمامِ العهدِ لمن لم يكن نَقَضَ من بني بكرٍ إلى مُدّتِه ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾.

ثمّ قال: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: المشركون[1] الذين لا عهدَ لهم إلى مُدّةٍ من أهلِ الشّركِ العامِّ ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾.

قال ابن هشام: الإلُّ: الحِلْف، قال أوسُ بن حَجَرٍ أحدُ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَميمٍ[2]:

لـولا بنـو مالـكٍ والإلُّ مَرقَبـةٌ ... ومالـكٌ فـيهمِ الآلاءُ والشَّـرَفُ[3]

---

(١) هكذا في نسخة (غ) مرفوعاً على أنه بيان لضمير الفاعل في: يَظهَروا، وفي سائر النسخ: المشركين، بالنصب، وهو خطأ.

(٢) انظر «ديوان أوس» ص٧٥.

(٣) الآلاء: النِّعَم.

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

وجمعُه: آلَالٌ، قال الشّاعر[1]:

فـلا إلٌّ مـن الآلالِ بيني وبينكمُ فـلا تـألُنَّ جُهْـدا[2]

والذِّمّةُ: العهدُ، قال الأجدَعُ بن مالكٍ الهَمْداني، وهو أبو مسروقِ بنِ الأَجدَعِ الفقيهِ:

وكـان علينـا ذِمّـةٌ أن تُجـاوِزوا من الأرضِ معروفاً إلينا ومُنكَـرا

وهذا البيتُ في ثلاثة أبياتٍ له، وجمعُها: ذِمَمٌ.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي: قد اعتَدَوْا عليكم ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

قال ابن إسحاق: وحدّثني حَكِيم بن حَكِيم بن عبّاد بن حُنَيفٍ، عن أبي جعفرٍ محمّدِ بن عليٍّ رضوان الله عليه أنه قال: لمّا نَزَلَت براءةُ على رسول الله ﷺ، وقد كان بَعَثَ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ ليُقيمَ للناس الحَجَّ، قيلَ له: يا رسولَ الله، لو بَعَثْتَ بها إلى أبي بكرٍ! فقال: «لا يُؤَدّي عنّي إلّا رجلٌ من أهلِ بَيْتي»، ثمّ دعا عليَّ بن أبي طالبٍ فقال له: «اخرُجْ بهذه القِصَّةِ من صَدْرِ بَراءةَ، وأذِّنْ في النّاسِ يومَ النَّحْرِ إذا اجتَمَعُوا بمِنًى: أنَّه لا يَدخُلُ الجَنّةَ كافرٌ، ولا يَحُجُّ بعدَ العامِ مُشرِكٌ، ولا يَطُوفُ بالبيتِ عُرْيانٌ، ومَن كانَ له عندَ رسولِ الله ﷺ عَهدٌ فهو له إلى مُدَّتِه»، فخرج عليُّ بن أبي طالبٍ رِضوانُ

(١) لم نتبيَّن هذا القائل ولم نقف على هذا البيت ولا بيت الأجدع الآتي عند غير ابن هشام.

(٢) فلا تألُنَّ جهداً، أي: لا تقصِّروا، يقال: ما أَلَوتُ، أي: ما قصَّرتُ.

الله عليه على ناقةِ رسول الله ﷺ العَضْباءِ حتّى أَدرَكَ أبا بكرٍ بالطّريق، فلمّا رآه أبو بكرٍ الصِّدّيقُ قال: أأميرٌ أم مأمورٌ؟ فقال: بل مأمورٌ، ثمّ مَضَيَا[1].

فأقامَ أبو بكرٍ للنّاسِ الحَجَّ والعربُ إذ ذاكَ في تلك السَّنةِ على مَنازِلِهم من الحَجِّ التي كانوا عليها في الجاهليّة، حتّى إذا كان يومُ النَّحر، قامَ عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه فأذَّنَ في الناس بالّذي أمَرَه به رسولُ الله ﷺ فقال: أيُّها الناسُ، إنّه لا يَدخُلُ الجَنّةَ كافرٌ، ولا يَحُجُّ بعدَ العامِ مشركٌ، ولا يَطُوفُ بالبيتِ عُرْيانٌ، ومَن كان له عندَ رسولِ الله ﷺ عهدٌ فهو له إلى مُدَّتِه.

وأجَّلَ الناسَ أربعةَ أشهرٍ من يوم أَذَّنَ فيهم، ليَرجِعَ كلُّ قومٍ إلى مَأمَنِهم أو بلادِهم ثمّ لا عهدَ لمشركٍ ولا ذِمّةَ، إلّا أحدٌ كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ إلى مُدّةٍ فهو له إلى مُدّته، فلم يَحُجَّ بعدَ ذلك العام مشركٌ، ولم يَطُفْ بالبيت عُرْيانٌ.

ثمّ قَدِمَا على رسول الله ﷺ.

---

(١) حديث صحيح لغيره، وإسناده هنا مرسل، فأبو جعفر هذا هو المعروف بالباقر، وهو من صغار التابعين.

وقد روي نحو هذا الحديث أو معناه عن غير واحد من الصحابة:

فروي من حديث علي بن أبي طالب نفسه عند أحمد (٥٩٤) و(١٢٩٧)، والترمذي (٨٧١) و(٣٠٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٤٠٧) و(١١١٥٠)، والحاكم (٤٤٢٤) و(٧٥٤١).

ومن حديث أبي هريرة عند أحمد (٧٩٧٧)، والبخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (٢٩٥٨) وفي «الكبرى» (٣٩٣٥) و(٣٩٣٦)، وابن حبان (٣٨٢٠)، والحاكم (٣٣١٤) و(٧٥٤٢).

ومن حديث ابن عباس عند الترمذي (٣٠٩١)، والحاكم (٤٤٢٣).

ومن حديث جابر عند ابن حبان (٦٦٤٥).

وأسانيد هذه الأحاديث ما بين صحيح وحسن.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من بَراءةَ فيمن كان من أهلِ الشّركِ من أهلِ العهدِ العامِّ وأهلِ المُدّة إلى الأجَلِ المُسمَّى.

قال ابن إسحاق: ثمّ أمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ بجهادِ أهل الشِّرك ممّن نَقَض من أهلِ العهدِ الخاصِّ، ومَن كان من أهلِ العهدِ العامِّ بعدَ الأربعةِ الأشهُرِ التي ضَرَبَ لهم أجلاً، إلّا أن يَعدُوَ فيها عادٍ منهم فيُقتَلَ بعَدَائِه، فقال: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ ﴾ أي: من بعدِ ذلك ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قال ابن هشام: وَلِيجة: دَخِيلٌ[1]، وجمعُها: ولائجُ، وهو من وَلَجَ يَلِجُ، أي: دَخَلَ يَدخُلُ، وفي كتاب الله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ﴾ [الأعراف:٤٠] أي: يدخُلُ، يقول: لم يَتَّخِذوا دَخِيلاً من دونِه يُسِرُّون إليه غيرَ ما يُظهِرون نحوَ ما يَصنَعُ المنافقون؛ يُظهِرون الإيمانَ للّذين آمنوا، وإذا خَلَوا إلى شياطينهم قالوا: إنّا معكم.

قال الشّاعر:

واعلمْ بأنّك قد جُعِلتَ وَلِيجةً ساقُوا إليك الحَتْفَ غيرَ مَشُوبِ[2]

---

(١) في بعض النسخ: دخيلاً.

(٢) الحتف: الهلاك. وغير مَشُوب، أي: غير مخلوط.

وهذا البيت لم نقف عليه عند غير ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ثمّ ذَكَرَ قولَ قُريشٍ: إنّا أهلُ الحَرَم، وسُقاةُ الحاجِّ، وعُمّارُ هذا البيت، فلا أحدَ أفضلُ منّا، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: إنّ عِمارتَكم ليست على ذلك، وإنّما يَعمُرُ مساجدَ الله، أي: مَن عَمَرَها بحَقِّها ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: فأُولئك عُمّارُها ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾، وعَسَى من الله حَقٌّ.

ثمّ قال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٩].

ثمّ القصّةَ عن عدوِّهم، حتّى انتهَى إلى ذِكْر حُنَينٍ وما كان فيه، وتَولِّيهم عن عدوِّهم وما أنزَلَ الله من نصرِه بعدَ تخاذُلِهم.

ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وذلك أنّ الناسَ قالوا: لتَنقطِعنَّ عنّا الأسواقُ فلتَهلِكَنَّ التّجارةُ وليَذهبَنَّ ما كنّا نصيب فيها من المَرافق، فقال الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: من وجهٍ غيرِ ذلك ﴿إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: ففي هذا عِوَضٌ ممّا تخوَّفتُم من قَطْعِ الأسواق، فعَوَّضَهم الله بما قَطَعَ عنهم بأمر الشِّرك ما أعطاهم من أعناقِ أهلِ الكتاب من الجِزْية[1].

---

(١) ذهب بعض أهل التفسير من المتأخرين إلى أن الآية (٢٩) التي أولها: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ لا تتفرّع على التي قبلها، وأن الكلام انتقالٌ من غرض نَبْذ العهد مع المشركين وأحوال المعاملة بينهم وبين المسلمين، إلى غرض =

ثمّ ذَكَرَ أهلَ الكتابَينِ بما فيهم من الشّرِّ والفِرْيةِ عليه حتّى انتَهى إلى قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾.

ثمّ ذَكَرَ النَّسِيءَ وما كانت العربُ أحدَثَت فيه، والنّسيءُ ما كان يُحَلُّ ممّا حَرَّمَ اللهُ من الشّهور، ويُحرَّمُ ممّا أحَلَّ اللهُ منها[1]، فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تَجعَلوا حرامَها حلالاً، ولا حلالَها حراماً، أي: كما فَعَلَ أهلُ الشِّرك، فـ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ الذي كانوا يَصنَعون ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

ثمّ ذَكَرَ تَبُوكَ وما كان فيها من تَثاقُلِ المسلمين عنها، وما أعظَمُوا من غزو الرُّوم حين دعاهم رسولُ الله ﷺ إلى جهادِهم، ونِفاقِ مَن نافَقَ من المنافقين حين دُعُوا إلى ما دُعُوا إليه من الجهاد، ثمّ ما نَعَى[2] عليهم من أحداثِهم في الإسلام، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾،

= المعاملة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى. انظر تفسير «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن عاشور ١٠/ ١٦٢.

(١) والنُّسْأة: التأخير، والنَّسيء المذكور: هو تأخير بعض الشهور الحُرُم الأربعة وإحلال بعض الشهور الأخرى مكانها.

(٢) نعى عليهم، أي: عابَهم وعَتَبَ عليهم.

ثمّ القِصّةَ إلى قوله: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة:٣٨-٤٠].

ثمّ قال لنبيِّه ﷺ يذكرُ أهلَ النِّفاق: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: إنّهم يستطيعون ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧].

قال ابن هشام: أَوضَعُوا خِلالَكم: سارُوا بين أضعافِكم، والإيضاعُ: ضربٌ من السَّيرِ أسرعُ من المشي، قال الأجدَعُ بن مالكٍ الهَمْداني:

يَصطادُكَ الوَحَدَ المُدِلَّ بشَأْوِهِ بشَريجٍ بين الشَّدِّ والإيضاعِ[1]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له[2].

قال ابن إسحاق: فكان الذين استأذَنُوه من ذَوِي الشَّرَفِ ـ فيما بَلَغني ـ منهم عبدُ الله بن أُبيِّ ابنِ سَلُولَ والجَدُّ بن قيسٍ، وكانوا أشرافاً في قومهم، فثَبَّطَهم اللهُ[3]

(١) يصطادك، أي: يصطاد بك، يريد فرساً ممدوحاً. والوَحَدُ: الفَرْد من البقر الوحشيّ خاصّة. والمُدِلّ هنا: الواثق. وشأْوُه: سَبْقه. والشَّريج: الخَليط، يخلط بين شدِّه وإيضاعه. والشدُّ هنا: الجَرْي.

(٢) انظر القصيدة بتمامها في كتاب «الاختيارين» للأخفش الأصغر ص٤٦٦، وهذا البيت هو العاشر فيها.

(٣) أي: عوَّقهم وشَغَلهم عن الخروج.

لعِلمِه بهم أن يخرجوا معه فيُفسِدوا عليه جُندَه، وكان في جُندِه قومٌ أهلُ مَحَبّةٍ لهم وطاعةٍ فيما يَدعُونَهم إليه، لشَرَفِهم فيهم، فقال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤٧ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قَبلِ أن يَستأذِنوك ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: ليُخذِّلوا عنك أصحابَك ويَرُدُّوا عليك أمرَك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ۝٤٨ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾، وكان الّذي قال ذلك ـ فيما سُمّيَ لنا ـ الجَدُّ بن قيسٍ أخو بني سَلِمةَ، حين دعاه رسولُ الله ﷺ إلى جهادِ الرُّوم.

ثمّ كانت القِصّةُ إلى قوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ أي: إنّما نِيّتُهم ورِضاهم وسَخَطُهم لدُنياهم.

ثمّ بَيَّنَ الصَّدَقاتِ لمن هي وسَمَّى أهلَها، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾.

ثمّ ذَكَرَ غِشَّهم وأَذاهم النبيَّ ﷺ، فقال: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١﴾، فكان الّذي يقول تلك المَقالةَ ـ فيما بَلَغَني ـ نَبتَلُ بن الحارثِ أخو بني عمرو بن عوفٍ، وفيه نَزَلَت هذه الآيةُ، وذلك أنّه كان يقول: إنّما محمّدٌ أُذُنٌ، مَن حدَّثه شيئاً صَدَّقَه، يقول الله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: يَسمَعُ الخيرَ ويُصدِّقُ به.

ثمّ قال: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ ثمّ قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِن يُعْفَ عَن طَائِفَةٍ مِنكُمْ تُعَذَّبْ طَائِفَةٌ﴾[1] [التوبة:٦٦]، وكان الّذي قال هذه المَقالةَ وَدِيعةُ بن ثابتٍ أخو بني أُميّة بن زيدٍ من بني عمرو بن عَوفٍ، وكان الّذي عُفِيَ عنه ـ فيما بَلَغني ـ مُخشِّنُ بن حُميِّرٍ الأشجَعيُّ حليفُ بني سَلِمة، وذلك أنه أنكَرَ منهم بعضَ ما سَمِع.

ثمّ القِصّةَ من صِفَتِهم حتّى انتهى إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ وكان الّذي قال تلك المَقالةَ الجُلَاسُ بن سُوَيد بن صامتٍ، فرَفَعَها عليه رجلٌ كان في حِجْرِه يقال له: عُمَيرُ بن سعدٍ، فأنكَرَها وحَلَفَ بالله ما قالها، فلمّا نَزَلَ فيهم القرآنُ تابَ ونَزَعَ وحَسُنَت توبتُه[2] فيما بَلَغني.

ثمّ قال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾، وكان الّذي عاهَدَ اللهَ منهم ثَعلَبةُ بن حاطبٍ ومُعتِّبُ بن قُشَيرٍ، وهما من بني عمرو بن عَوفٍ[3].

ثمّ قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ[4] ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ

(١) هكذا رُسِمت هذه الآية في نسخنا الخطية، وهي قراءة العشرة غير عاصمٍ فقرأ: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾. انظر «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ٢/ ٢٨٠.

(٢) في (غ): وحسنت حاله.

(٣) انظر تعليقنا المتقدم على قصة ثعلبة بن حاطب في منع الصدقة ٢/ ١٨١.

(٤) اللَّمز: العيب، وأصله: الإشارة بالعين ونحوها.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ[1] فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾، وكان المُطَّوِّعون[2] في الصَّدَقاتِ عبدَ الرَّحمن بن عَوفٍ وعاصمَ بن عَدِيٍّ أخا بني العَجْلان، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ رَغَّبَ في الصَّدَقة وحَضَّ عليها، فقام عبدُ الرَّحمن ابن عوفٍ فتَصدَّقَ بأربعة آلافِ دِرهَمٍ، وقام عاصمُ بن عَديٍّ فتَصدَّقَ بمئةِ وَسْقٍ[3] من تمرٍ، فلَمَزُوهما وقالوا: ما هذا إلّا الرِّياءُ[4]، وكان الذي تَصدَّقَ بجُهدِه أبو عَقِيلٍ أخو بني أُنَيفٍ، أَتى بصاعٍ من تمرٍ فأفرَغَها في الصَّدقة، فتَضاحَكُوا به وقالوا: إنّ الله لَغَنيٌّ عن صاعِ أبي عَقِيلٍ[5].

ثمّ ذَكَرَ قولَ بعضِهم لبعضٍ حين أمَرَ رسولُ الله ﷺ بالجهاد، وأمَرَ بالسَّيرِ إلى

---

(١) أي: بقدر طاقتهم ووُسْعهم.

(٢) زِيدَ هنا على حواشي (ط) و(ف) و(ق٢): من المؤمنين.

(٣) الوَسْق يعادل ستين صاعاً، وهو ما يزن ١٣٠ كغم تقريباً.

(٤) في (ش١) و(ش٢): إلا رياء.

(٥) أخرج البخاري (٤٦٦٨) ومسلم (١٠١٨) من حديث أبي مسعود الأنصاري قال: لمّا أُمرنا بالصدقة كنا نُحامِل (أي: نحمل على ظهورنا بالأُجرة لنكتسبَ ما نتصدّق به) فجاء أبو عَقِيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثرَ منه، فقال المنافقون: إن الله لغنيٌّ عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياءً، فنزلت ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية.

ووقع في حديث كعب بن مالك في قصة توبته عند مسلم (٢٧٦٩): أن رسول الله ﷺ وهو بتبوك رأى رجلاً مبيِّضاً يزول به السَّرابُ فقال: «كن أبا خَيثَمة»، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدَّق بصاع التمر حين لَمَزَه المنافقون.

ووقع في أخبارٍ أخرى تسميةُ غيرهما ممن تصدق بهذا القدر أو نحوه، ممّا يدلُّ على تعدُّد من تصدَّق بهذا ولَمْز المنافقين لهم، وانظر بيان ذلك في «الفتح» لابن حجر ١٣/ ٣٥٢-٣٥٤.

تَبُوك، على شِدَّة الحَرِّ وجَدْبِ البلاد، فقال: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝٨١ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٨٥].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريُّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن ابن عبّاسٍ قال: سمعتُ عمرَ بن الخَطّاب يقول: لمّا تُوفّيَ عبدُ الله بن أُبيٍّ دُعِيَ رسولُ الله ﷺ للصّلاة عليه، فقامَ إليه، فلمّا وَقَفَ عليه يريد الصّلاةَ، تَحوَّلتُ حتّى قُمْتُ في صَدْرِه فقلت: يا رسولَ الله، أتُصلِّي على عدوِّ الله عبدِ الله بن أُبيٍّ القائلِ كذا يومَ كذا، والقائلِ كذا يومَ كذا؟! أُعدِّدُ أيّامَه، ورسولُ الله ﷺ يَتبسَّمُ، حتّى إذا أكثرتُ قال: «يا عمرُ، أَخِّرْ عنِّي، إنِّي قد خُيِّرتُ فاختَرتُ، قد قِيلَ لي: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]، فلو أَعلَمُ أنّي إنْ زِدتُ على السَّبعِينَ غُفِرَ له لَزِدتُ»، قال: ثمّ صَلّى عليه رسولُ الله ﷺ ومَشَى معه حتّى قامَ على قبرِه حتّى فُرِغَ منه.

قال: فعَجِبتُ لي وجُرأَتي[1] على رسول الله ﷺ، واللهُ ورسولُه أعلمُ، فوالله ما كان إلّا يسيراً حتّى نَزَلَت هاتانِ الآيتانِ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤]، فما صَلّى رسولُ الله ﷺ بعدَه على منافقٍ حتّى قَبَضَه الله[2].

---

(١) في (غ): ولجرأتي، وفي بعض النسخ: من جرأتي.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٩٥)، والترمذي (٣٠٩٧)، وابن حبان (٣١٧٦) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه البخاري (١٣٦٦) و(٤٦٧١)، والنسائي في «المجتبى» (١٩٦٦) وفي «الكبرى» =

قال ابن إسحاق: ثمّ قال: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة:٨٦]، وكان ابنُ أُبيٍّ من أُولئك، فنَعَى اللهُ[1] ذلك عليه وذكَره منه، ثمّ قال: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إلى آخِر القِصّة [التوبة:٨٨-٩٠]. وكان المُعذِّرون ـ فيما بَلَغني ـ نَفَراً من بني غِفارٍ، منهم خُفَافُ بن إيماءَ بن رَحَضةَ.

ثمّ كانت القِصّةُ لأهلِ العُذْر حتّى انتهى إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ وهم البكّاؤون.

ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾، والخوالفُ: النّساء.

ثمّ ذكرَ حَلِفَهم للمسلمين واعتِذارَهم فقال: ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

ثمّ ذَكَرَ الأعرابَ ومَن نافَقَ منهم وتَربُّصَهم برسولِ الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ أي: من صَدَقةٍ أو نَفَقةٍ في سبيل الله ﴿مَغۡرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾.

= (٢١٠٤) من طريق عُقيل بن خالد، عن الزهري، به.

وفي الباب نحوه من حديث نافع عن ابن عمر فيما أخرجه أحمد (٤٦٨٠)، والبخاري (١٢٦٩) و(٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠).

(١) أي: عابَه.

ثمّ ذَكَرَ الأعرابَ أهلَ الإخلاصِ والإيمانِ منهم، فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾.

ثمّ ذَكَرَ السّابِقِينَ الأوَّلينَ من المهاجرين والأنصار، وفَضْلَهم وما وَعَدَهم الله من حُسْنِ ثوابِه إيّاهم، ثمّ أَلحَقَ بهم التّابعين لهم بإحسانٍ، فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

ثمّ قال: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ أي: لَجُّوا فيه[1] وأبَوْا غيرَه ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾، والعذابُ الّذي أوعَدَهم اللهُ مرَّتين ـ فيما بلغني ـ غَمُّهم بما هم فيه من أمرِ الإسلام وما يَدخُلُ عليهم من غَيْظِ ذلك على غير حِسْبةٍ، ثمّ عذابُهم في القبور إذا صاروا إليها، ثمّ العذابُ العظيمُ الّذي يُرَدُّون إليه، عذابُ النّار والخُلْدُ فيه. ثمّ قال: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

ثمّ قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ إلى آخر القِصّة.

ثمّ قال: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾، وهم الثّلاثةُ الّذين خُلِّفوا وأَرجَأَ رسولُ الله ﷺ أمرَهم حتّى أَتَتْ من الله توبتُهم.

ثمّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ إلى آخر القِصّة.

ثمّ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].

ثمّ كان قِصّةُ الخَبَرِ عن تَبُوكَ وما كان فيها إلى آخر السُّورة.

---

(١) أي: تمادَوْا واستمرُّوا فيه.

وكانت بَراءةُ تُسمَّى في زمانِ النبيّ ﷺ وبعدَه المُبَعثِرةَ، لِمَا كَشَفَت من سرائرِ النّاس.

وكانت تَبُوكُ آخرَ غزوةٍ غَزَاها رسولُ الله ﷺ.

شعرُ حسّان الذي عدَّد فيه المغازي

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يُعدِّدُ أيّامَ الأنصار مع رسول الله ﷺ ويذكرُ مَواطِنَهم معه في أيّام غَزْوِه[1]:

قال ابن هشام: وتُروَى لابنِه عبدِ الرَّحمن بن حسّانَ:

أَلَستُ خيرَ مَعَدٍّ كلِّها نَفَراً ... ومَعشَراً إن هُمُ عُمُّوا وإن حُصِلُوا[2]

قومٌ هُمُ شَهِدوا بدراً بأجمَعِهمْ ... معَ الرّسولِ فما أَلَّوْا وما خَذَلُوا[3]

وبايَعُوهُ فلم يَنكُثْ به أَحدٌ ... منهمْ ولم يَكُ في إيمانِهم دَخَلُ[4]

ويومَ صَبَّحَهمْ في الشِّعبِ من أُحُدٍ ... ضربٌ رَصِينٌ كحَرِّ النارِ مُشتعِلُ[5]

ويومَ ذي قَرَدٍ يومَ استَثارَ بهمْ ... على الجِيَادِ فما خامُوا ولا نَكَلُوا[6]

---

(١) انظر «ديوان حسان» ١/ ٥٠٢.

(٢) إن هم عُمُّوا وإن حُصِلوا، أي: جُمِعوا كلُّهم، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٢٨: وأراد: حُصِّلوا، بالتشديد، فخفَّف، ومن قال: عَمُّوا وإن حَصَلوا، بالفتح، فقد نسب الفعلَ إليهم، يريد: وإن عَمُّوا أنفسَهم وحصَّلوها.

قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ٣٨٠: حسّان ليس من مَعَدٍّ، ولكن أراد: ألستُ خيرَ الناس، فأقام مَعدّاً لكثرتها مقامَ الناس.

(٣) ما أَلَّوا، أي: ما قصَّروا وما أبطؤوا، وفي بعض النسخ: ما آلَوْا، بالمدّ، وهو بمعنى الأول، والتشديد للمبالغة.

وما خَذَلوا، أي: ما تركوا.

(٤) يَنكُث: ينقض. والدَّخَل: الفساد.

(٥) رَصِين، أي: ثابت مُحكَم.

(٦) خامُوا، أي: رجعوا، ونَكَلوا أيضاً: رجعوا، ولا يكونان إلا رجوعَ هيبةٍ وفزع.

وذا العُشَيرةِ جاسُوها بخيلِهِمِ ... مَعَ الرّسولِ عليها البَيضُ والأَسَلُ[1]

ويومَ وَدّانَ أَجْلَوْا أهلَه رَقَصاً ... بالخيلِ حتّى نَهانا الحَزْنُ والجَبَلُ[2]

وليلةً طَلَبوا فيها عدوَّهمُ ... للهِ واللهُ يَجزِيهمْ بما عَمِلوا

وغزوةً يومَ نَجدٍ ثَمَّ كان لهمْ ... مع الرّسولِ بها الأسلابُ والنَّفَلُ

وليلةً بحُنَينٍ جالَدُوا معَهُ ... فيها يَعُلُّهمُ بالحربِ إذ نَهِلُوا[3]

وغزوةَ القاعِ فَرَّقْنا العدوَّ بهِ ... كما تَفَرَّقَ دون المَشرَبِ الرَّسَلُ[4]

ويومَ بُويِعَ كانوا أهلَ بَيعتِهِ ... على الجِلَادِ فآسَوْه وما عَدَلُوا[5]

وغزوةَ الفتحِ كانوا في سَرِيَّتِهِ ... مُرابِطينَ فما طاشُوا وما عَجِلُوا

ويومَ خَيبَرَ كانوا في كَتيبتِهِ ... يَمشُونَ كلُّهمُ مُستَبسِلٌ بَطَلُ[6]

بالبِيضِ تَرعَشُ في الأيمانِ عاريةً ... تَعوَجُّ في الضّربِ أحياناً وتَعتَدِلُ[7]

ويومَ سارَ رسولُ اللهِ مُحتسِباً ... إلى تبوكَ وهمْ راياتُه الأُوَلُ

---

(١) جاسُوها: وَطِئوها، ويروى: داسوها. والبَيض: جمع بَيضةٍ، وهي الخُوذة فوق الرأس، والأَسَل: الرماح.

(٢) الرَّقَص: ضرب من المشي، وهو الخَبَب، نوع من المشي السريع. والحَزْن: ما ارتفع من الأرض.

ومعنى نهانا: أوقَفَنا.

(٣) يعلُّهم، أي: يكرِّرها عليهم، من العَلَل: وهو الشرب الثاني. والنَّهَل: الشرب الأول.

(٤) الرَّسَل: الإبل.

(٥) الجِلاد: المضاربة بالسيوف. والمواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق. وما عَدَلوا، أي: ما تركوه وما انصرفوا عنه.

(٦) مستبسِل: موطِّن نفسه على الموت.

(٧) البِيض: هي السيوف.

وساسةُ الحربِ إنْ حربٌ بَدَتْ لهمُ ... حتَّى بَدَا لهمُ الإقبالُ والقَفَلُ [1]

أُولئكَ القومُ أنصارُ النبيِّ وهمْ ... قومي أَصيرُ إليهمْ حينَ أتّصِلُ [2]

ماتوا كِراماً ولم تُنكَثْ عُهودُهمُ ... وقتلُهمْ في سبيلِ الله إذ قُتِلوا

قال ابن هشام: عَجُزُ آخرِها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

وقال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[3]:

كُنّا ملوكَ النّاسِ قبلَ محمّدٍ ... فلمّا أَتى الإسلامُ كان لنا الفضلُ

وأكرَمَنا الله الّذي ليس غيرَهُ ... إلٰهٌ بأيّامٍ مَضَت ما لها شَكْلُ [4]

بنصرِ الإلٰهِ والرّسولِ ودينِهِ ... وألبَسَناهُ اسماً مضى ما له مِثلُ [5]

أُولئكَ قَوْمي خيرُ قومٍ بأَسرِهمِ ... فما عُدَّ من خيرٍ فقَوْمي له أهلُ

يَرُبُّون بالمعروفِ معروفَ مَن مضى ... وليس عليهم دونَ معروفِهمْ قُفْلُ [6]

إذا اختُبِطوا لم يُفحِشوا في نَدِيِّهمْ ... وليس على سُوّالِهم عندهمْ بُخلُ [7]

وإن حارَبوا أو سالَموا لم يُشبَّهوا ... فحربُهمْ حَتْفٌ وسِلمُهمْ سَهلُ [8]

---

(١) القَفَل: الرجوع.

(٢) حين أتّصل، أي: حين أنتسب.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٣١٧.

(٤) الشّكل، بفتح الشين وكسرها، وقُيّدت في نسخنا الخطية هكذا وهكذا: المِثْل.

(٥) يريد أنه سمّاهم الأنصار.

(٦) يربُّون، أي: يصلحون ويُنمُّون بمعروفهم معروفَ أسلافهم.

(٧) اختُبطوا، أي: قُصدوا في مجلسهم، والمُختبِط: الطالب للمعروف، ويروى: اختَطَبوا، من الخُطبة. ونديُّهم: مجلسهم.

(٨) لم يُشبَّهوا، أي: لم يشبههم أحدٌ. والحَتْف: الهلاك.

وجــارُهم مُــوفٍ بعَلْيــاءَ بَيتُــهُ لـه مـا ثَـوَى فينـا الكَرَامـةُ والبَـذْلُ[1]

وحــامِلُهم مُــوفٍ بكــلِّ حَمَالــةٍ تَحَمَّــلَ لا غُــرْمٌ عليهــا ولا خَــذْلُ[2]

وقــائلُهم بــالحقِّ إن قــال قائــلٌ وحِلمُهــمُ عَــوْدٌ وحُكمُهــمُ عَــدْلُ[3]

ومنّــا أَمــينُ[4] المســلمينَ حياتَــه ومَــن غَسَّــلَته مــن جَنابَتِــه الرُّسْــلُ

قال ابن هشام: قولُه: وألبَسَناهُ اسماً، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً[5]:

قَــوْمي أُولئــك إن تَســألي كِـرامٌ إذا الضّـيفُ يومــاً أَلَــمّ[6]

عِظــامُ القُــدورِ لأَيســارِهمْ يَكُبُّــون فيهــا المُسِــنَّ السَّــنِمْ[7]

يُواسُــونَ جــارَهمُ في الغِنَــى ويَحمُــون مَــولاهمُ إن ظُلِــمْ

(١) مُوفٍ هنا: مُشرِف في مكان عَليٍّ عندهم، والعلياء: هو الموضع المرتفع.

وثَوَى: أقام. والبَذْل: العطاء والجود عليه بالخير.

(٢) مُوفٍ هنا: مؤدٍّ غير متخلِّف عن أداء ما تحمّله، والحَمَالة: ما يتحمّله الإنسان من غُرم في دِيَة أو غيرها.

(٣) عَوْد: قديم متكرِّر.

(٤) في نسخة على حاشية (م): أمير، بالراء. ويعني بأمين المسلمين: سعد بن معاذ، وبمن غسّلته الرُّسل: حنظلة بن أبي عامر، الذي غسّلته الملائكة حين استُشهِد يوم أُحد، والرُّسل هنا: الملائكة.

(٥) انظر «ديوانه» ١/ ٥٧.

(٦) ألَمَّ: نزل.

(٧) الأيسار: الذين يجتمعون على الجَزُور في المَيسِر، أي: القِمار، واحده: يَسَرٌ. والمُسِنّ: البعير الكبير.

والسَّنِم: العظيم السَّنام.

فكـــانوا ملوكـــاً بأرضـــيهِمِ　　يُبـادُونَ[1] غُضْبـاً بـأمرٍ غُشُـمْ

ملوكـاً على النـاسِ لـم يُملَكـوا　　مـن الـدّهرِ يومـاً كحِـلِّ القَسَـمْ[2]

فـــأنْبَوْا بعـــادٍ وأشـــياعِها　　ثمـــودَ وبعـــضِ بَقايـــا إرَمْ[3]

بيَثْـرِبَ قـد شَـيَّدوا في النَّخيـل　　حُصـوناً ودُجِّـنَ فيهـا الـنَّعَمْ[4]

نَواضِـحَ قـد عَلَّمَتهـا اليهـو　　دُ: عَـلَّ إليـكَ وقـولاً هَلُـمّ[5]

وفيما اشتَهَوا من عَصيرِ القِطا　　فِ والعَيشِ رَخْواً على غيرِ هَمّ[6]

فسِـــرْنا إلـــيهمْ بأثقالِنـــا　　علـى كـلِّ فَحـلٍ هِجَـانٍ قَطِـمْ[7]

جَنَبْنـا بِهِـــنَّ جِيـادَ الخيـو　　لِ قـدْ جَلَّلوهـا جِـلالَ الأَدَمْ[8]

---

(١) هكذا في (ش٢) و(ق٢) بالباء، وهي رواية الديوان، ومعناها: يُظهِرون ويُكاشِفون، وهذا دليل على عزّتهم، أنهم إذا غضبوا على أحد يكاشفونه بذلك ويُظهرون له غضبهم ولا يتحاشونه، وفي بقية النسخ: يُنادُون، بالنون من النداء. وغُشُم: من الغَشْم، وهو الظلم.

(٢) يريد بحِلّ القسم فترةً قصيرةً.

(٣) فأنبَوا بعادٍ، أي: دفعوهم وأخرجوهم عن يثرب، وقد أشار إلى ذلك أبو القاسم الوزير المغربيّ في كتابه «أدب الخواصّ» ص٩٧: أن قوماً من عادٍ أقاموا بيثرب بُرهة من الدهر حتى جاءهم قوم من الأزد، فنفَوْا العاديِّين عنها واتخذوها داراً. ثم ذكر شعر حسان هذا دون أن يسمِّيَه باسمه.

(٤) دُجّن فيها النَّعم، أي: اتُّخذت في البيوت، والدّاجن: كل ما أَلِفَ الناسَ كالنَّعَم: وهي الإبل والبقر والغنم، وكالحمام والدجاج ونحو ذلك.

(٥) النواضح: الإبل التي يُستَقى عليها الماء. وعلَّ: من قولهم: عَلْ عَلْ، وهو زجرٌ تُزجَر به الإبل. وهلمَّ: أقبِلْ.

(٦) القِطاف: اسم لما يُقطَف من العنب وغيره، والمراد بعصيره الخمر.

(٧) الهِجان: الأبيض، وهو من أكرام ألوان الإبل. والقَطِم: هائج يشتهي الضِّراب.

(٨) جَنَبْنا: قدناها بجنب الإبل دون أن تُركَب. وجلَّلوها: غطَّوها. والأَدم: الجلد.

فلمّـا أنـاخُوا بجَنبَـيْ صِـرَارٍ وشَـدُّوا السُّـروجَ بلَـيِّ الحُـزُمْ[1]

فمـا راعَهـمْ غيـرُ مَعْـجِ الخُيـو لِ والزَّحفُ من خَلفِهـمْ قد دَهِـمْ[2]

فطـارُوا سِـراعاً وقـد أُفزِعـوا وجِئنـا إلـيهمْ كأُسْـدِ الأُجُـمْ[3]

علـى كـلِّ سَـلْهبةٍ في الصِّـيَا نِ لا يَشـتَكِينَ نُحـولَ السَّـأَمْ[4]

وكـلِّ كُمَيـتٍ مُطَـارُ الفـؤادِ أَمينِ الفُصـوصِ كمِثـلِ الـزُّلَمْ[5]

عليهـا فـوارسُ قـد عُـوِّدوا قِـراعَ الكُمـاةِ وضـربَ الـبُهَمْ[6]

ملـوكٌ إذا غَشَّـمُوا في الـبِلا دِ لا يَنكُلـون ولكـنْ قُـدُمْ[7]

فأُبْنـا بسـاداتِهمْ والنِّسـا وأولادِهـمْ فـيهمِ تُقتَسَـمْ[8]

---

(١) صِرَار: موضع فيه بئر شرق المدينة في حَرّة واقم، يبعد عن المسجد النبوي قرابة ٦ كم. واللَّيّ: الفَتْل، والحُزُم: جمع حِزام.

(٢) راعهم: أفزعهم. ومَعْج الخيول: يعني سرعتها. وقد دَهِم، أي: جاء على غفلة من غير استعداد.

(٣) الأُجُم: جمع أَجَمة، وهي الغابة التي يكون فيها الأُسود.

(٤) السَّلهبة: الفرس الطويلة. وفي الصِّيان، أي: فيما تُصان به وتُحفَظ به ممّا يوضع على ظهورها من الجِلال والأكسية. والسّأَم: المَلَل.

(٥) الكُميت: لون بين السواد والحُمرة. ومُطار الفؤاد: ذكيّ الفؤاد. والفُصوص: مفاصل العظام، وأمين الفصوص: قويّها. والزُّلَم: القَدَح، والجمع: الأزلام، وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها.

(٦) الكُماة: الشجعان، جمع كَمِيّ. والبُهَم: جمع بُهْمة، وهو الفارس الشجاع.

(٧) غشَّموا: اشتدّ ظلمهم، يريد بذلك عزَّتَهم ومَنَعَتَهم. ولا يَنكُلون: لا يرجعون. ولكن قُدُم، أي: يتقدمون إلى الأمام لشدّتهم وشجاعتهم.

والشطر الأول في «الديوان»: ليوثٌ إذا غضبوا في الحروب.

(٨) أُبْنا: رجعنا.

وَرِثْنــا مَســاكِنَهم بعــدَهمْ وكُنّــا ملوكــاً بهــا لــم نَــرِمْ[١]

فلمّــا أَتانــا الرســولُ الرَّشــ ـيـدُ بـالحقِّ والنُّورِ بعدَ الظُّلَمْ

قلنـا: صَـدَقتَ رسـولَ المَليـك هَلُــمَّ إلينــا وفينــا أَقِــمْ

فنَشــهَدَ أنّــكَ عبــدُ الإلــ ـهِ أُرسِلتَ نـوراً بـدينٍ قِـيَمْ[٢]

فإنّــا وأولادَنــا جُنّــةٌ نَقِيــكَ وفي مالِنــا فــاحتَكِمْ

فــنحنُ أُولئــك إن كــذَّبوك فنــادِ نِــداءً ولا تَحتشِــمْ[٣]

ونــادِ بمــا كنــتَ أخفَيتَــهُ نِــداءً جِهــاراً ولا تكتَــتِمْ

فســارَ الغُــوَاةُ بأســيافِهمْ إليــه يَظُنّــونَ أن يُختَــرَمْ[٤]

فقُمْنــا إلــيهم بأســيافِنا نُجالِــدُ عنــه بُغــاةَ الأُمَــمْ

بكــلِّ صَــقيلٍ لــه مَيْعــةٌ رَقيقِ الـذُّبابِ عَضُـوضٍ خَـذِمْ[٥]

إذا مــا يُصــادِفُ صُــمَّ العِظــا مِ لـم يَنْـبُ عنهـا ولـم يَنـثَلِمْ[٦]

فــذلكَ مــا وَرَّثَتْنــا القُــرو مُ مَجـداً تَلِيـداً وعِـزّاً أَشَـمّ[٧]

إذا مَــرَّ نَسْــلٌ كَفَــى نَســلُه وغــادَرَ نَســلاً إذا مــا انفَصَــمْ[٨]

---

(١) لم نَرِم، أي: لم نتحول.

(٢) بدين قِيَم، أي: مستقيم لا اعوجاجَ فيه.

(٣) فنحن أولئك، أي: الذين نصدّقك وننصرك. ولا تحتشم، أي: لا تنقبض.

(٤) الغُواة: السفهاء الضالُّون، وهم كفار قريش. ويُختَرم: يَهلِك ويُستأصَل.

(٥) له مَيعة، أي: السيف، له صقال يشبه الماء في صفائه. وذُبابه: حدُّ طرفه. وخَذِم: قاطع.

(٦) لم يَنبُ، أي: لم يرتفع ولم يرجع بل يقطع. ولم ينثلم، أي: لم ينكسر من حدّه شيء.

(٧) القُروم: السادة، واحده: قَرْمٌ. والتليد: القديم. والأشمّ: المرتفع.

(٨) كفى نسلُه، أي: قام نسلُه من بعده بما يجب خير قيام. وانفصم: انقطع وانقرض ومات.

فمــا إنْ مــنَ النــاسِ إلّا لنــا ... عليــه وإن خــاسَ فضــلُ الــنِّعَمْ[1]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ الأنصاريّ بيتَه:

فكــانوا ملوكــاً بأرضــيهِمِ ... يُبــادُون غُضْــباً بــأمرٍ غُشُــمْ

وأنشدني أيضاً:

بيَثْـرِبَ قـد شَـيَّدوا في النّخيـل ... حُصـوناً ودُجِّـنَ فيهـا الـنَّعَمْ

وبيتُه: وكلِّ كُمَيتٍ مُطارِ الفُؤادِ، عنه.

(١) خاس، أي: غدر.

ذكرُ سنة تسع وتسميتها سنةَ الوُفود
ونزول سورة الفتح[1]

قال ابن إسحاق: لمّا افتَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكّةَ، وفَرَغَ من تَبُوكَ، وأسلَمَت ثَقيفٌ وبايَعَت، ضَرَبَت إليه وُفودُ العربِ من كلِّ وجهٍ.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ ذلك في سنة تسعٍ، وأنّها كانت تُسمَّى سنة الوُفود.

قال ابن إسحاق: وإنّما كانت العربُ تَرَبَّصُ بالإسلام أمرَ هذا الحيِّ من قُرَيشٍ وأمرَ رسول الله ﷺ، وذلك أنّ قُريشاً كانوا إمامَ النّاسِ وهاديَهم، وأهلَ البيتِ والحَرَم، وصَريحَ ولدِ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وقادةَ العربِ لا يُنكِرون ذلك، وكانت قُريشٌ هي التي نَصَبَت لحربِ رسول الله ﷺ وخِلافِه، فلمّا افتُتِحَت مكّةُ ودانَتْ له قُريشٌ ودَوَّخَها[2] الإسلام، عَرَفَت العربُ أنّه لا طاقةَ لهم بحربِ رسول الله ﷺ ولا عداوتِه، فدخلوا في دين الله ـ كما قال الله ـ أفواجاً يَضرِبون إليه من كلِّ وجهٍ، يقول الله لنبيِّه ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ أي: فاحمَدِ اللهَ على ما ظَهَرَ[3] من دينك، واستَغفِرِ اللهَ إنّه كان توّاباً.

---

(١) في نسخة (غ): وِفادة العرب على رسول الله ﷺ سنة تسع، وبالسند المتقدم أولاً حدثنا عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائي عن محمد بن إسحاق المطَّلِبي قال.

(٢) دوَّخها، أي: وَطِئَها وذلَّلها.

(٣) في (غ): أظهر، وصحّح عليها، وعلى حاشيتها: ظهر، كبقية النسخ.

قدوم وفد بني تميمٍ ونزولُ سورة الحُجُرات

فقَدِمَت على رسول الله ﷺ وفودُ العرب، فقَدِمَ عليه عُطارِدُ بن حاجبِ بن زُرَارَةَ ابن عُدُسٍ التَّمِيميّ، في أشرافٍ من بني تَميمٍ، منهم الأقرَعُ بن حابسٍ التَّميميّ، والزِّبْرِقانُ بن بدرٍ التَّميميّ أحدُ بني سعدٍ، وعمرُو بن الأَهتَم، والحَبْحابُ[1].

قال ابن هشام: الحُتَاتُ، وهو الّذي آخَى رسولُ الله ﷺ بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، وكان رسولُ الله ﷺ قد آخَى بين نَفَرٍ من أصحابه من المهاجرين؛ بين أبي بكرٍ وعمر، وبين عثمانَ بن عَفّانَ وعبدِ الرَّحمن بن عوفٍ، وبين طلحةَ بن عُبيدالله والزُّبيرِ بن العَوّام، وبين أبي ذرٍّ الغِفاريِّ والمِقْدادِ بن عمرو البَهْراني، وبين معاويةَ ابن أبي سفيانَ والحُتَاتِ بن يزيدَ المُجَاشعيِّ، فمات الحُتَاتُ عند معاوية في خِلافَتِه فأخذَ معاويةُ ما تَرَكَ وِراثةً بهذه الأُخوَّة[2]، فقال الفَرَزدقُ لمعاوية:

---

(١) زاد في (ش١) و(ش٢) و(ف): بن يزيد.

(٢) ذكرُ المؤاخاة بين معاوية والحُتات فيها نظرٌ، ولم تُذكَر إلا في هذا الموضع، والمؤاخاة لم تستمرَّ إلى وقت الفتح الذي أسلم فيه معاويةُ، ثم إن التوارث بهذه الأخوّة كان قد نُسِخ كما ثبت ذلك عن ابن عباس فيما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٢٩٢) و(٤٥٨٠).

وقد ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص١٩٣ أن للحُتاتِ هذا عدّةَ بنينَ سمّاهم، فكيف يستجيز معاويةُ أن يَحُوزَ ميراثَه دون أبنائه، ولهذا استشكله الحافظ ابنُ حجر في كتاب «الإصابة» ٢/ ٢٩.

والصواب في هذه القصة إن شاء الله: أن الحُتَات نزل على معاوية بدمشق في أيام خلافته، فأمر له بجائزة، فمرض الحُتات بدمشق ومات قبل أن يقبض جائزته، فرجع فيها معاوية وأمر بردِّها إلى بيت المال، فلما علم الفرزدقُ بذلك قال القصيدة التي ذكر ابنُ هشام منها بيتَين.

وانظر الخبر بذلك في «شرح نقائض جرير والفرزدق» ٣/ ٧٦٠-٧٦١، و«الأغاني» ٢١/ ٣٦٧-٣٦٨، و«جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري ١/ ٢٠٨. =

أبـوكَ وعَمّـي يـا معـاوِيَ أَورَثـا ... تُراثـاً فيَحتـازُ التُّـراثَ أقاربُـهْ

فمـا بـالُ ميـراثِ الحُتـاتِ أكلتَـه ... وميراثُ حَـرْبٍ جامـدٌ لـك ذائبُـهْ

وهذان البيتان في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: وفي وفدِ بني تميمٍ نُعَيمُ بن يزيدَ وقيسُ بن الحارث وقيسُ بن عاصمٍ أخو بني سعدٍ، في وفدٍ عظيمٍ من بني تميم.

قال ابن هشام: وعُطارِدُ بن حاجبٍ أحدُ بني دارمِ بن مالك بن حَنظَلة بن مالك ابن زيدِ مَناةَ بن تميم، والأقرَعُ بن حابسٍ أحدُ بني دارمِ بن مالك، والحُتَاتُ بن يزيدَ أحدُ بني دارمِ بن مالك، والزِّبرِقانُ بن بدرٍ أحدُ بني بَهدَلةَ بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيدِ مَناةَ بن تميم، وعمرُو بن الأهتَمِ أحدُ بني مِنقَر بن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيدِ مَناةَ بن تميم، وقيسُ بن عاصمٍ أحدُ بني مِنقَر بن عُبيدٍ.

قال ابن إسحاق: ومعهم عُيَينةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ الفَزَاريّ، وقد كان الأقرَعُ بن حابسٍ وعُيَينةُ بن حِصْنٍ شَهِدا مع رسول الله ﷺ فتحَ مكّة وحُنيناً والطّائف، فلمّا قَدِمَ وفدُ بني تميمٍ كانا معهم، فلمّا دخل وفدُ بني تميمٍ المسجدَ نادَوْا رسولَ الله ﷺ من وراءِ حُجُراتِه: أن اخرُجْ إلينا يا محمّدُ، فآذَى ذلك رسولَ الله ﷺ من صِيَاحِهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمّدُ، جئناك نُفاخِرُك، فأذَنْ لشاعِرِنا

= ومن المُشكِل أيضاً في كلام ابن هشام هذا ذكرُ المؤاخاة بين طلحة والزبير، وهذه إنما كانت في مكة، وقد ذكر ابن عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي والسير» ص٩٢: أن النبي ﷺ آخى في مكةَ بين الزبير وعبد الله بن مسعود، وآخى بين طلحة وسعيد بن زيد العدويّ، وأما المقداد فآخى بينه وبين عبد الله بن رَوَاحة بالمدينة، وأما أبو ذرٍّ فقدِمَ إليها بعد غزوة الخندق، وانظر ما تقدم ٢/ ١٥٩ في قصة المؤاخاة.

وخَطيبِنا، قال: «قد أَذِنتُ لخَطِيبِكم فليَقُلْ».

فقامَ عُطارِدُ بن حاجبٍ فقال: الحمدُ لله الّذي له علينا الفضلُ[1] وهو أهلُه، الّذي جَعَلَنا ملوكاً، ووَهَبَ لنا أموالاً عِظَاماً، نفعلُ فيها المعروفَ، وجَعَلَنا أعزَّ أهلِ المَشرِق وأكثرَه عَدَداً، وأيسَرَه عُدّةً، فمَن مِثلُنا في النّاس؟ أَلَسنا برُؤوسِ النّاسِ وأُولي فَضلِهم؟! فمَن فاخَرَنا فليُعدِّدْ مِثلَ ما عَدَّدْنا، وإنّا لو نَشاءُ لَأكثَرْنا الكلامَ، ولكنّا نَحْيا[2] من الإكثار فيما أَعطانا، وإنّا نُعرَفُ بذلك، أقولُ هذا لأن تأتُوا بمِثْلِ قولنا، وأمرٍ أفضلَ من أمرِنا. ثمّ جَلَسَ.

فقال رسولُ الله ﷺ لثابتِ بن قيس بن الشَّمّاس أخي بني الحارث بن الخَزْرج: «قُمْ فأَجِبِ الرَّجلَ في خُطبَتِه».

فقامَ ثابتٌ فقال: الحمدُ لله الّذي السّماواتُ والأرضُ خَلْقُه، قَضَى فيهنَّ أمرَه ووَسِعَ كُرْسيَّه عِلمُه، ولم يَكُ شيءٌ قَطُّ إلّا من فضلِه، ثمّ كان من قُدْرتِه أن جَعَلَنا ملوكاً، واصطَفَى من خيرِ خَلْقِه رسولاً، أكرَمَه نَسَباً، وأصدَقَه حديثاً، وأفضَلَه حَسَباً، فأنزَلَ عليه كتابَه، وأْتَمَنَه على خَلْقِه، فكان خِيَرةَ اللهِ من العالَمِين، ثمّ دعا النّاسَ إلى الإيمانِ به، فآمَنَ برسولِ الله المهاجرون من قومِه وذَوِي رَحِمِه، أكرَمُ النّاسِ أحساباً، وأحسنُ النّاسِ وُجوهاً، وخيرُ النّاسِ فِعالاً، ثمّ كان أوّلَ الخلقِ إجابةً واستَجابَ لله حين دَعَاه رسولُ الله نحنُ، فنحنُ أنصارُ الله ووُزَراءُ رسولِه نُقاتِلُ النّاسَ حتّى يُؤمنوا بالله، فمَن آمَن بالله ورسولِه مَنَعَ مالَه ودمَه، ومَن كَفَرَ جاهَدْناه في الله أَبداً، وكان قتلُه علينا يَسِيراً، أقولُ هذا[3] وأَستغفِرُ اللهَ لي وللمؤمنينَ والمؤمناتِ،

---

(١) زاد في (ش١) و(ش٢): والمَنّ.

(٢) من الحَيَاء، أي: نستحيي، وكذلك جاءت في «مغازي الواقدي» ٣/ ٩٧٦.

(٣) في (ص) و(ط) و(م): أقول قولي هذا.

والسلام عليكم.

فقامَ الزِّبرِقانُ بن بدرٍ فقال:

نحـنُ الكِـرامُ فـلا حـيٌّ يُعادِلُنـا ... منّـا الملـوكُ وفينـا تُنصَـبُ البِيَـعُ[1]

وكـم قَسَـرْنا مـن الأحيـاءِ كلِّهـمِ ... عنـد النِّهـابِ وفضـلُ العِـزِّ يُتَّبَـعُ[2]

ونحـنُ يُطعِـمُ عنـد القَحْـطِ مُطعِمُنا ... مـن الشِّـواءِ إذا لـم يُـؤنَسِ القَـزَعُ[3]

بمـا تَـرَى النـاسَ تأتِينـا سَـرَاتُهمُ ... مـن كـلِّ أرضٍ هُوِيّـاً ثـمّ نَصطَنِعُ[4]

فنَنحَـرُ الكُـومَ عَبْطـاً في أَرُومَتِنـا ... للنـازِلينَ إذا مـا أُنزِلـوا شَـبِعوا[5]

فـلا تَرانـا إلـى حـيٍّ نُفـاخِرُهمْ ... إلّا استَقادُوا فكانوا الـرّأسَ يُقتَطَـعُ[6]

فمَـن يُفاخِرُنـا في ذاكَ نَعرِفُـهُ ... فيَرجِـعُ القـومُ والأخبـارُ تُستَمعُ

إنّـا أَبَينـا ولـم يـأبَى لنـا أحـدٌ ... إنّـا كـذلكَ عنـد الفَخْـرِ نَرتفِـعُ[7]

قال ابن هشام: ويُروَى: منّا الملوكُ وفينا تُقسَمُ الرِّبَعُ[8]، ويُروَى: من كلِّ أرضٍ

(١) البِيَع: مواضع الصلوات والعبادات، واحدها: بِيعَة.

(٢) قَسَرْنا، أي: قَهرنا وغلَبنا. والنِّهاب: جمع نَهْبٍ، وهو غنيمة مال العدوّ.

(٣) يُؤنَس، أي: يُعلَم ويُعهَد. والقَزَع: جمع قَزَعة، وهو سحاب رقيق يكون في الخريف. يريد إذا لم تمطرهم السماء فأَجدَبت أرضهم.

(٤) سَراتهم، أي: أشرافهم وخِيارهم، وسَرَاة كل شيء: أعلاه. وهُوِيّاً: سريعاً. ونصطنع، أي: نصنع لهم ما يليقُ من الضيافة.

(٥) الكُوم: جمع كَوْماء، وهي العظيمة السَّنام من الإبل. وعبطاً، أي: نحراً من غير داءٍ ولا علّة. والأَرُومة: الأصل؛ أي: أن هذا كرم متأصِّل فينا.

(٦) استقادوا: من الانقياد، وهو الخضوع.

(٧) إنا أَبَينا: من الإباء، وهو أشدّ الامتناع.

(٨) وفينا تقسم الربع، أي: أننا رؤساء وسادة، وذلك لأن الرئيس كان يأخذ رُبع الغنيمة =

هَوانا ثَمَّ مُتَّبَعُ[1].

رواه لي بعضُ بني تميمٍ، وأكثرُ أهلِ العلم بالشِّعر يُنكِرُها للزِّبرِقان[2].

قال ابن إسحاق: وكان حسّانُ غائباً، فبَعَثَ إليه رسولُ الله ﷺ، قال حسّان: جاءَني رسولُه فأخبرني أنه إنّما دعاني لأُجيبَ شاعرَ بني تميمٍ، فخرجتُ إلى رسول الله ﷺ وأنا أقولُ[3]:

مَنَعْنا رسولَ الله إذ حَلَّ وَسْطَنا ... على أَنفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ

مَنَعناهُ لمّا حَلَّ بين بُيوتِنا ... بأسيافِنا من كلِّ باغٍ وظالمِ

ببيتٍ حَرِيدٍ عِزُّه وثَراؤُهُ ... بجابيَةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجمِ[4]

هل المجدُ إلّا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ[5]

قال: فلمّا انتهَيتُ إلى رسول الله ﷺ وقامَ شاعرُ القوم فقال ما قال، عَرَضتُ في

= في الجاهلية.

(١) هوانا، أي: ما نهواه ونريده.

(٢) وذكر السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٣٣ عن البرقيّ - وهو راوي السيرة عن ابن هشام - أن الشعر لقيس بن عاصم المِنقَري، وهو من بني تميم.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ١٠٩، وهي قصيدة في أربعة عشر بيتاً، وسيعيد المصنف سردَ أكثرها لاحقاً.

(٤) البيت الحريد: المنفرد الذي لا يختلط بغيره لقوّته ومَنَعته، يريد بيتَ شرفهم من غسّان. والجَولان: هي الهضبة الواقعة جنوب غربيّ دمشق، والجابية المضافة إليها: هي المعروفة اليوم بتلّ الجابية، وتقع شمال غرب نَوَى، وهذه من ديار الغساسنة في بلاد الشام.

يريد حسان: أن النبي ﷺ نزل وسط حيٍّ من الأنصار ذوي عزٍّ ومَنَعة، وجاههم قديم، متصل بجاه الغساسنة ملوك الشام، وهم هناك وسط الأعاجم من الروم وغيرهم.

(٥) السُّودد العَود: المجد القديم الذي يتكرّر على مدار الزمان.

قوله وقلتُ على نحو ما قال.

قال: فلمّا فَرَغَ الزِّبرِقانُ قال رسولُ الله ﷺ لحسّانَ بن ثابتٍ: «قُمْ يا حَسّانُ فأَجِبِ الرّجلَ فيما قالَ»، فقام حسّانُ فقال[1]:

إنَّ الذَّوائبَ من فِهْرٍ وإخوَتِهمْ ... قد بَيَّنوا سُنَّةً للنّاسِ تُتَّبَعُ[2]

يَرضَى بهم كلُّ مَن كانت سَريرتُه ... تَقوَى الإلهِ وكلَّ الخيرِ يَصطنِعُ

قومٌ إذا حارَبوا ضَرُّوا عدوَّهمُ ... أو حاوَلوا النَّفعَ في أشياعِهمْ نَفَعوا[3]

سَجِيّةٌ تلك منهم غيرُ مُحدَثةٍ ... إنَّ الخلائقَ فاعلَمْ شَرُّها البِدَعُ[4]

إن كان في الناسِ سَبّاقون بعدَهمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبقِهمْ تَبَعُ

لا يَرقَعُ الناسَ ما أَوهَتَ أكُفُّهمُ ... عند الدِّفاعِ ولا يُوهُون ما رَقَعُوا[5]

إنْ سابَقُوا الناسَ يوماً فازَ سَبْقُهمُ ... أو وازَنُوا أهلَ مَجدٍ بالنَّدَى مَتَعُوا[6]

أعِفّةٌ ذُكِرَت في الوحيِ عِفّتُهمْ ... لا يَطبَعُون[7] ولا يُردِيهم طَمَعُ

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ١٠٢، وهو من رواية محمد بن حبيب البغدادي، وقد ساق فيه خبر وفد تميمٍ هذا وما دار بينهم وبين المسلمين من سِجالٍ في الخطب والشِّعر، عن شيخه هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) الذوائب: السادة، وأصله من ذوائب المرأة، وهي جدائلها التي تعلو الرأس.

(٣) الأشياع: جمع شِيعة، وهي الأنصار والأتباع.

(٤) السَّجيّة: الطبيعة من غير تكلُّف. والخلائق: جمع خَليقة، وهي الطَّبيعة هنا. والبِدَع: المراد بها هنا مستحدَثات الأخلاق، لا ما هو كالغرائز فيها.

(٥) أوهت: أضعَفَت أو هَدَمت. يقول: إنهم أعزة، والكلام تمثيل.

(٦) النَّدى: الجود والكرم. ومَتَعوا: ارتفعوا وزادوا، يقال: مَتَعَ النهارُ، إذا ارتفعت الشمسُ.

(٧) في (ت) و(ف) و(ي) ونسخة على حاشية (م): لا يطمعون، بالميم. ومعنى «لا يطبعون»: لا يتدنَّسون بشَين أو عيب، والطَّبَع - محرَّكاً -: الشَّين والعيب. ويُرديهم: يُهلِكهم.

لا يَبخَلُـون علـى جـارٍ بفَضـلِهِمِ ... ولا يَمَسُّـهم مـن مَطمَـعٍ طَبَـعُ
إذا نَصَـبْنا لحـيٍّ لـم نَـدِبَّ لهـمْ ... كمـا يَـدِبُّ إلـى الوَحْشـيّةِ الـذَّرَعُ[1]
نَسْـمُو إذا الحـربُ نالَتْنـا مَخالبُهـا ... إذا الزَّعـانفُ مـن أظفارِهـا خَشَـعوا[2]
لا يَفخَـرونَ إذا نـالوا عـدوَّهمُ ... وإن أُصـيبوا فـلا خُـورٌ ولا هُلُـعُ[3]
كـأنَّهم في الـوَغَى والمـوتُ مُكتَنِـعٌ ... أُسْـدٌ بحَلْيـةَ في أرسـاغِها فَـدَعُ[4]
خُـذْ مـنهمُ مـا أَتـى عَفـواً إذا غَضِـبوا ... ولا يكـنْ هَمُّـكَ الأمـرَ الـذي مَنَعـوا[5]
فـإنَّ في حَـربِهم فـاترُك عَـداوَتَهمْ ... شَـرّاً يُخـاضُ عليـه السّـمُّ والسَّـلَعُ[6]
أكـرِمْ بقـومٍ رسـولُ الله شِـيعَتُهمْ ... إذا تَفاوَتَـتِ الأهـواءُ والشِّـيَعُ

---

(١) إذا نصبنا: يريد أظهَرْنا لهم العداوة ولم نُسِرَّها لهم. ولم ندبَّ، أي: لم نمشِ على مهلٍ. والوحشيّة: أراد الصيد الوحشيّ كالحمار الوحشي والبقرة الوحشية ونحوهما.

وأما الذَّرَع: فهي الناقة التي يستتر بها رامي الصيد، وذلك أن يمشي بجنبها مستتراً بها فيرميَ الصيد إذا أمكنه، والجمع: ذُرُعٌ.

والذَّرَع أيضاً: ولد البقرة الوحشية، لكن ليس هو المراد هنا وإن زعم ذلك أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٤٣٣، وما فسّرناه به أليَقُ وألصقُ بمعنى البيت من هذا.

(٢) نسمو: ننهض. والزعانف: أطراف الناس وأتباعهم. وخشعوا: تذلَّلوا.

(٣) خُورٌ: ضعفاء، الواحد: خائر. وهُلُع: خائفون جازعون، الواحد: هَلُوع.

(٤) مكتنع، أي: دانٍ قريبٌ.

وحَلْية: وادٍ كثير المياه والزروع والأهل، ويسمَّى أيضاً: وادي العرج، وهو يمرّ على قرابة ٣٠ كم جنوب مدينة الليث الواقعة على البحر الأحمر جنوب مكة، وهذه المدينة تبعد عن مكة قرابة ١٦٠ كم.

والأرساغ: جمع رُسغ، وهو موضع مربط القَيْد. وفَدَعٌ: اعوجاج إلى ناحية.

(٥) عفواً: يريد من غير مشقّة.

(٦) السَّلَع: نبات مسموم أو مرّ.

أَهدى لهم مِدْحَتي قلبٌ يُؤازِرُه ... فيما أَحبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ[١]
فإنّهم أفضلُ الأحياءِ كلِّهمِ ... إن جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعوا[٢]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد:

يَرضَى بها كلُّ مَن كانت سَريرتُهُ ... تَقوَى الإلٰهِ وبالأمرِ الّذي شَرَعوا

وقال ابن هشام: حدّثني بعضُ أهلِ العلم بالشِّعر من بني تميم: أنّ الزِّبرِقانَ بن بدرٍ لمّا قَدِمَ على رسول الله ﷺ في وفد بني تميمٍ قامَ فقال:

أَتيناكَ كَيْما يعلمَ النّاسُ فَضْلَنا ... إذا احتَفَلوا[٣] عند احتِضارِ المواسِمِ
بأنّا فُروعُ النّاسِ في كلِّ موطنٍ ... وأن ليس في أرضِ الحِجازِ كدارِمِ[٤]
وأنّا نَذُودُ المُعلِمينَ إذا انتَخَوْا ... ونَضرِبُ رأسَ الأَصْيَدِ المُتَفاقِمِ[٥]
وأنّ لنا المِرباعَ في كلِّ غارةٍ ... تُغيرُ بنجدٍ أو بأرضِ الأعاجِمِ[٦]

---

(١) حائك: من الحِياكة، وهي الخياطة، والكلام على التشبيه. وصَنَعٌ، أي: صانع حاذق، يُحسِن القول ويُجيده.

(٢) الجِدُّ: ضد الهَزْل. وشَمَعوا، أي: هَزَلوا، وأصل الشَّمع: الطَّرب واللَّهو.

(٣) هكذا في أكثر النسخ، ومعنى احتفلوا: اجتمعوا، وفي (ص) و(غ): اختلفوا، وفي (ط) و(م): احتلفوا، من الحِلْف، وفي (ش١) و(ش٢): اختَبَطوا، وكأنه تحريف، وأصحّها الأول، وهو الذي يناسب المواسم: وهو جمع مَوسِم، وهو الموضع الذي يجتمع فيه الناس مرة في السنة، كاجتماعهم في الحج واجتماعهم بعُكَاظ وذي المَجَاز وأشباهها.

(٤) فروع الناس: أسيادهم وأشرافهم، والفَرْع: أعلى كل شيءٍ. ودارم: بطنٌ من تميم.

(٥) المُعلِمون: الذين يُعلِمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرَفون بها. وانتخَوا: من النَّخوة، وهي التكبُّر والإعجاب. والأَصيَد: المتكبّر الذي لا يلوي عنقه يميناً ولا شمالاً. والمتفاقِم: المتعاظِم، من تَفاقَم الأمر: إذا عَظُم.

(٦) المِرباع: أخذ الرُّبع من الغنيمة، يريد أنهم رؤساء الناس. وأراد بأرض الأعاجم العراق =

فقام حسّانُ بن ثابتٍ فأجابه فقال[١]:

هل المجدُ إلّا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ
نَصَرْنا وآوَينا النبيَّ محمّداً ... على أنفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغمِ
بحَيٍّ حَرِيدٍ أصلُه وثَراؤُهُ ... بجابيَةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجمِ
نَصَرْناه لمّا حَلَّ وَسْطَ ديارِنا ... بأسيافِنا من كلِّ باغٍ وظالمِ
جَعَلْنا بَنِينَا دونَه وبَناتِنا ... وطِبْنا له نفساً بفَيءِ المغانمِ[٢]
ونحنُ ضَرَبنا الناسَ حتّى تَتابَعوا ... على دينِه بالمُرهَفاتِ الصّوارمِ[٣]
ونحنُ وَلَدْنا من قُريشٍ عظيمَها ... وَلَدْنا نبيَّ الخيرِ من آلِ هاشمِ[٤]
بني دارمٍ لا تَفخَروا إنّ فخرَكمْ ... يعودُ وَبالاً عند ذِكْرِ المَكارمِ[٥]
هُبِلتُم، علينا تَفخَرون وأنتمُ ... لنا خَوَلٌ ما بين ظِئرٍ وخادمِ[٦]

= ونواحيه.

(١) الأبيات الأربعة الأولى تقدمت قريباً قبل صفحات. وانظر «ديوان حسان» ١/ ١٠٩.

(٢) يريد: طيب نفوسهم يوم حُنينٍ حين أَعطى رسول الله ﷺ المؤلَّفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً. «الروض الأنف» ٧/ ٤٣٦.

(٣) المُرهَفات الصوارم: السيوف القواطع.

(٤) يشير بهذا البيت إلى أن أم عبد المطّلب جد النبي ﷺ - واسمها سلمى بنت عمرو - كانت من بني النَّجّار من الخزرج.

(٥) الوبال: الثِّقَل والمكروه.

(٦) هُبِلتم: هكذا قُيِّدَت بالضم في نسخنا الخطية غير (ي) فبفتح الهاء، وقُيدت في (ش١) بالوجهين، والضمّ هو القياس كما قال ثعلبٌ، لأنه إنما يُدعَى عليه بأن تَهبَله أمُّه، أي: تفقده، وأما شيخه ابنُ الأعرابي فنفى أن يقال فيه بالضم إنما بالفتح. وانظر «تاج العروس» للزَّبيدي ٣١/ ١٠٧. =

فـإن كنـتمُ جئـتُمْ لحَقْـنِ دِمـائكمْ وأمـوالِكمْ أن تُقسَـموا في المَقاسـمِ
فـلا تجعَلـوا لله نِـدّاً وأَسـلِموا ولا تَلبَسـوا زِيّـاً كـزِيِّ الأعـاجمِ[1]

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ حسّانُ بن ثابتٍ من قوله، قال الأقرَعُ بن حابسٍ: وأَبي إنّ هذا الرَّجلَ لَمُؤَتَّى له[2]، لَخطيبُه أخطَبُ من خطيبِنا، ولَشاعرُه أشعَرُ من شاعرِنا، ولأصواتُهم أعلى[3] من أصواتِنا. فلمّا فَرَغَ القومُ أَسلموا، وجَوَّزَهم[4] رسولُ الله ﷺ فأحسنَ جوائزَهم.

وكان عمرُو بن الأهتَمِ قد خَلَّفَه القوم في ظَهْرِهم[5]، وكان أصغرَهم سِنّاً، فقال قيسُ بن عاصمٍ، وكان يُبغِضُ عمرَو بن الأهتَمِ: يا رسولَ الله، إنّه قد كان رجلٌ منّا في رِحَالِنا، وهو غلامٌ حَدَثٌ. وأَزرَى به[6]، فأعطاه رسولُ الله ﷺ مِثلَ ما أَعطى القومَ، فقال عمرُو بن الأهتَمِ حين بَلَغَه أن قيساً قال ذلك يَهجُوه:

ظَلِلـتَ مُفتَـرِشَ الهَلْبـاءِ تَشـتُمُني عند الرّسولِ فلم تَصدُقْ ولـم تُصِـبِ[7]

= والخَوَل: حَشَم الرجل وأتباعه.

والظِّئر: التي ترضع ولدَ غيرها، وقد تأخذ على ذلك أجراً.

(١) النِّدّ: المِثْل والشبيه.

وأما زيّ الأعاجم، فلعلّه إنما أراد به الإشراك وعبادة الأصنام، أو أنه أراد به التفاخر والتكبّر والعُجب.

(٢) لمؤتّى له، أي: لمُوفَّق مهيّأ له.

(٣) هكذا في نسخنا كافة، وفي طبعة السقا وصاحبيه: أحلى.

(٤) أي: أعطاهم جوائز، وهي المِنَح والهدايا.

(٥) في ظهرهم، أي: في إبلهم.

(٦) أي: حقَّر من شأنه.

(٧) الهَلْباء: يريد بها دُبُره، والهَلباء: شعر الذَّنَب، فاستعاره هنا للإنسان.

سُـدْناكمُ سُـودَداً رَهْـواً وسُـودَدُكمْ ... بـادٍ نَواجِـذُه مُقْـعٍ علـى الـذَّنَبِ[1]

قال ابن هشام: بقيَ بيتٌ واحدٌ تركناه لأنّه أقذَعَ فيه[2].

قال ابن إسحاق: وفيهم نزَلَ من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

قصّةُ عامرِ بن الطُّفيل وأربَدَ بن قيس في الوِفادة عن بني عامر

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ بني عامرٍ فيهم عامرُ بن الطُّفَيلِ وأَربَدُ بن قيس بن جَزْءِ بن خالد بن جعفرٍ وجَبّارُ بن سَلْمى بن مالك بن جعفرٍ، وكان هؤلاءِ الثّلاثةُ رُؤَساءَ القوم وشياطينَهم.

فقَدِمَ عامرُ بن الطُّفَيل عدوُّ الله[3] على رسول الله ﷺ وهو يريد الغَدْرَ به، وقد قال له قومُه: يا عامرُ، إنّ الناسَ قد أسلَمُوا فأسلِمْ، قال: والله لقد كنتُ آلَيتُ أن لا[4] أَنتهيَ حتّى تَتبَعَ العربُ عَقِبي، أفأَنا أَتبَعُ عَقِبَ هذا الفتى من قُريشٍ؟! ثمّ قال لأربدَ: إذا قَدِمْنا على الرّجلِ، فإنّي سأَشغَلُ عنك وجهَه، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسّيف.

---

(١) السُّودد - ويُهمَز -: المجد والسيادة. والرَّهو: المتّسع. والنّواجذ: الأسنان. ومُقعٍ على الذَّنَب: يقال: أَقعى الكلبُ والذئبُ، إذا جلس على أَلْيَتَيهِ وضمَّ ساقيه ومدَّ ذنبه خلفه. والكلام على الاستعارة والتمثيل.

(٢) أي: أفحَشَ في المقال، والقَذَع: الكلام الفاحش.

(٣) وعامرٌ عدوُّ الله هذا هو صاحب بئر مَعُونة الذي عَدَا على السبعين من أصحاب رسول الله ﷺ سنة أربعٍ فقتلهم مع قبائل من بني سُلَيم من عُصيّة ورِعْل وذَكْوان.

(٤) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، وفي بقية النسخ: آليت لا، بإسقاط أن، وكلاهما صحيح. ومعنى آليتُ: أقسمتُ وحلفتُ.

فلمّا قَدِموا على رسول الله ﷺ، قال عامرُ بن الطُّفَيل: يا محمّدُ، خالِنِي[1]، قال: «لا والله، حتّى تُؤمِنَ بالله وحدَه» قال: يا محمّدُ، خالِنِي، وجَعَلَ يكلِّمُه ويَنتظِرُ من أربَدَ ما كان أمَرَه به، فجَعَلَ أربَدُ لا يُحِيرُ شيئاً[2].

قال: فلمّا رأى عامرٌ ما يَصنَعُ أربدُ قال: يا محمّدُ، خالِنِي، قال: «لا والله، حتّى تُؤمِنَ بالله وحدَه لا شَرِيكَ له»، فلمّا أَبَى عليه رسولُ الله ﷺ، قال: أمَا والله لَأملأنَّها عليك خيلاً ورجالاً، فلمّا وَلَّى قال رسولُ الله ﷺ: «اللّهمَّ اكْفِني عامرَ بنَ الطُّفَيل».

فلمّا خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامرٌ لأربدَ: وَيلَك يا أربدُ، أين ما كنتُ أمَرْتُك به؟ والله ما كان على ظَهرِ الأرض رجلٌ هو أخوَفَ عندي على نفسي منك، وايْمُ الله لا أَخافُك بعدَ اليومِ أبداً، قال: لا أبا لك، لا تَعجَلْ عليَّ، والله ما هَمَمتُ بالّذي أمَرْتَني به من أمرِه إلّا دَخَلتَ بيني وبين الرَّجلِ حتّى ما أَرى غيرَك، أفأضرِبُك بالسّيف؟!

وخرجوا راجعينَ إلى بلادِهم.حتّى إذا كانوا ببعض الطّريقِ بَعَثَ الله على عامر ابن الطُّفَيل الطّاعونَ في عُنُقِه، فقَتَلَه الله في بيتِ امرأةٍ من بني سَلُولَ، فجَعَلَ يقول: يا بني عامرٍ، أغُدّةً كغُدّةِ البَكْرِ في بيتِ امرأة من بني سَلُولَ![3]

---

(١) خالِني، بتخفيف اللام: من الخَلْوة، أي: انفرد لي خالياً حتى أتحدّث معك. وخالَّني، بالتشديد: اتخذني خليلاً وصاحباً، من المخالّة، وهي الصداقة. وقد قُيّد هذا الحرف في النسخ هكذا وهكذا.

(٢) أي: لا يأتي بشيء.

(٣) الغدّة: داء يصيب البعير فيموت منه، وهو شبيه بالذُّبحة التي تصيب الإنسان، وهي قرحة تخرج في الحلق فينسدُّ معها وينقطع النفَس فتقتُل. والبَكْر: الفتيُّ من الإبل.

وقوله: أغدّةً، يجوز فيه النصبُ على المصدر، أي: أأُغَدُّ غدّةً مثلَ غدّة البعير، ويجوز فيه =

قال ابن هشام: ويقال: أغُدّةً كغُدّةِ الإبل، وموتاً في بيت سَلُوليّة!

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج أصحابُه حين وارَوْه حتى قَدِموا أرضَ بني عامرٍ شاتِينَ[1]، فلمّا قَدِموا أتاهم قومُهم فقالوا: ما وراءَك يا أَربَدُ؟ قال: لا شيءَ، والله لقد

= الرفع بتقدير: أأصابتني غدّةٌ، أو أغدّةٌ بي. انظر «الكتاب» لسيبويه ١/ ٣٣٨، وكتاب «مجمع الأمثال» للميداني ٢/ ٥٧، و«فتح الباري» لابن حجر ١٢/ ٢٢٨.

وأما بنو سلول: هم بنو مُرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن معاوية بن هوازن، وهم إخوة بني عامر، فمرّةُ وعامرٌ كلاهما ابن صعصعة، لكن بنو مرّة عُرفوا بأمهم سلول، إلا أن الشرف والعدد كان في بني عامرٍ، فلذلك أَنِفَ عامر بن الطفيل أن يموت في بيت السَّلولية، وتأسَّف أن لم يمت مقتولاً كما يتأسف الشُّجعان.

وخبر عامر بن الطفيل وأَربد وما أرادا من الفَتْك برسول الله ﷺ، لم يسنده ابن إسحاق في رواية البكّائي هنا ولا في رواية يونس بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣١٨-٣١٩، ورواه سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٤٤ عنه عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً.

وقد أشار إلى قصة عامر بن الطفيل هذه باختصارٍ أنس بن مالك عند البخاري (٤٠٩١) قال: كان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خيَّر (أي: خيَّر رسولَ الله ﷺ) بين ثلاث خصال، فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المَدَر، أو أكونُ خليفتَك، أو أغزُوك بأهل غَطَفان بألفٍ وألفٍ، فطُعِنَ عامرٌ في بيت أمّ فلان، فقال: غُدّةٌ كغُدّة البَكْر، في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بفرسي، فمات على ظهر فرسه.

وبأطول من هذا روي عن سلمة بن الأكوع عند البخاري في «التاريخ الكبير» ٨/ ٣٢٦-٣٢٧، والحاكم في «المستدرك» (٧١٥٩)، وإسناده ضعيف.

وروي أيضاً مطوَّلاً من حديث زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباسٍ، عند الطبراني في معجميه «الكبير» (١٠٧٦٠) و«الأوسط» (٩١٢٧)، وفي سياقه بعض الاختلاف، وذكر في آخره تفسير ابن عباس للمعقِّبات الذي سيذكره ابن هشام لاحقاً، لكن إسناده إلى زيد بن أسلم ضعيف جداً.

(١) أي: وقت الشتاء.

دعانا إلى عِبَادةِ شيءٍ لوَدِدتُ أنّه عندي الآنَ فأَرمِيَه بالنَّبْلِ حتّى أقتلَه. فخرج بعدَ مَقَالتِه بيومٍ أو يومَينِ معه جملٌ له يَبِيعُه[1]، فأرسَلَ الله عليه وعلى جملِه صاعقةً فأحرَقَتهما. وكان أَربدُ بن قيسٍ أخا لَبِيد بن ربيعةَ لأُمّه.

قال ابن هشام: وذكرَ زيدُ بن أسلَمَ، عن عطاءِ بن يَسارٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: وأنزَلَ الله في عامرٍ وأَربدَ: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد:٨-١١]، قال: المُعقِّباتُ: هي من أمرِ الله يَحفَظُون محمّداً. ثمّ ذكرَ أَربدَ وما قَتَلَه الله به فقال: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣][2].

قال ابن إسحاق: فقال لَبِيدٌ يبكي أَربدَ[3]:

مـا إن تُعـدِّي المَنُـونُ مـن أحـدِ ... لا والـــدٍ مُشـــفِقٍ ولا ولـــدِ[4]

أخشَى على أربَدَ الحُتوفَ ولا ... أرهَـبُ نَـوْءَ السِّـماكِ والأَسَـدِ[5]

فعَـينِ هَـلَّا بَكَيـتِ أَربـدَ إذْ ... قُمْنـا وقـامَ النّسـاءُ في كَبَـدِ[6]

---

(١) في (ش١) و(ش٢) و(ق٢) و(ي): يتبعه.

(٢) إسناده إلى زيد بن أسلم ضعيف جداً، وقد روي بلفظه في آخر ما أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس كما في التعليق السابق.

(٣) انظر «ديوان لبيد» ص١٥٨.

(٤) تعدِّي: تترك. وروي: تعرِّي، وروي: تعزِّي. والمَنُون: حوادث الدهر. يقول: لا تدعه حوادث الدهر عارياً من المصائب.

(٥) الحُتوف: الآجال. يقول: كنت أخشى عليه كل سبب من أسباب المَنيّة، ولم أكن أخشى عليه صاعقةً، وهي ما أشار إليه بنَوء السِّماك والأسد، وهما بُرجان من أبراج النجوم.

(٦) الكَبَد: الجَهْد والمشقة.

إن يَشغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهمُ ... أو يَقصِدوا في الحُكومِ يَقتصِدِ[1]

حُلْوٌ أَريبٌ وفي حَلاوَتِه ... مُرٌّ لَطيفُ الأحشاءِ والكَبِدِ[2]

وعَينِ هَلَّا بَكَيتِ أَربدَ إذْ ... أَلْوَت رياحُ الشّتاءِ بالعَضَدِ[3]

وأصبَحَت لاقِحاً مُصرَّمةً ... حتّى تَجَلَّت غَوابرُ المُدَدِ[4]

أشجَعُ من ليثِ غابةٍ لَحِمٍ ... ذو نَهْمةٍ في العُلا ومُنتقَدِ[5]

لا تَبلُغُ العَينُ كلَّ نَهْمتِها ... ليلةَ تُمْسى الجيادُ كالقِدَدِ[6]

الباعثُ النَّوحَ في مآتمِهِ ... مِثلَ الظِّباءِ الأبكارِ بالجَرَدِ[7]

---

(١) الشَّغْب: الجَور والمَيل عن الطريق. والقَصْد: العدل. والحُكوم: بمعنى الحكومة، أي: القضاء عند التحكيم.

(٢) الأريب: العاقل. ولطيف الأحشاء والكبد، معناه: حَسَن الخُلُق. يقول: هو ليِّن في موضع اللِّين، صعب في موضع الصعوبة.

(٣) ألوَت: ذَهَبَت. والعَضَد: الشجر اليابس ذهبت الريح بأوراقه؛ يريد عند الجَدْب وذبول الأشجار.

(٤) اللاقح: الناقة الحامل، والكلام هنا على التشبيه. والمصرَّمة: التي لا لبن فيها. وتجلَّت: انكشفت وذهبت. والغوابر: البواقي.

(٥) اللَّحِم: الكثير أكل اللحم. وذو نَهْمة، أي: طَمُوح إلى بلوغ الغايات، ويروى: ذو نُهْية، أي: ذو عَقْل. والعُلَا: جمع عُلْيا، يريد أنه طموح في طلب الصفات والأخلاق الكريمة العالية. ومُنتقَد: معطوف على نَهمةٍ، ونظنّ أنه أراد به الشِّدّة والغِلظة، من قولهم: انتَقَد الولدُ، أي: شبَّ وغَلُظَ، انظر «تاج العروس» للزَّبيدي ٩/ ٢٣٣.

وهذا البيت ليس في رواية «الديوان»، ولم نقف عليه عند غير ابن إسحاق.

(٦) القِدَد: جمع قِدّة، وهي الحزام يقطع من الجلد، يشبّه الخيل بهذه الأحزمة في النُّحول والضعف.

(٧) الباعث النوح، أي: يقتل الرجال فيُناح عليهم. والمآتم: جماعات النساء يجتمعن في =

فَجَّعَني البَرْقُ والصّواعقُ بالْفـ ـارسِ يومَ الكَريهةِ النَّجُدِ[1]

والحاربِ الجابرِ الحَرِيبَ إذا جاءَ نَكِيباً وإن يَعُدْ يَعُدِ[2]

يَعفُو على الجَهدِ والسُّؤالِ كما يُنبتُ غَيثُ الرّبيعِ ذو الرَّصَدِ[3]

كُلُّ بني حُرّةٍ مصيرُهمُ قُلٌّ وإن أكثرَتْ من العَدَدِ[4]

إن يُغبَطوا يَهبِطوا وإن أَمِرُوا يوماً فهمْ للهلاكِ والنَّفَدِ[5]

قال ابن هشام: بيتُه: والحاربِ الجابرِ الحَرِيبَ، عن أبي عُبيدة، وبيتُه: يَعفُو على الجَهْد، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لَبيدٌ أيضاً يبكي أَربدَ[6]:

ألا ذهبَ المُحافِظُ والمُحَامي ومانعُ ضَيْمِها يومَ الخِصامِ[7]

وأيقَنتُ التّفرُّقَ يومَ قالوا تُقُسِّمَ مالُ أربدَ بالسِّهامِ

تَطِيرُ عدائدُ الأشراكِ شَفْعاً ووِتراً والزَّعامةُ للغلامِ[8]

= المناحات. والجَرَد: الأرض التي لا نبات فيها.

(١) النَّجُد: الشجاع ذو النَّجدة.

(٢) الحارب: السالب الأموال. والجابر: الذي يَجبُر من قد سُلب ماله. والحريب: المسلوب. والنكيب: المنكوب المصاب.

(٣) يعفو عن الجَهد: يَكثُر عطاؤه ويزيد عند الجَهْد والمشقّة. والرَّصَد: الكلأُ القليل.

(٤) القُلُّ: القليل. يقول: مصيرهم إلى القِلّة.

(٥) إن يُغبَطوا، أي: إن تُستحسَن أحوالهم. ويَهبِطوا، أي: تغيِّر أحوالَهم حوادثُ الدهر. وأَمِروا: كَثُروا. والنَّفَد: انقطاع الشيء وذهابه.

(٦) انظر «ديوانه» ص٢٠١.

(٧) الضَّيم: الذلّ.

(٨) العدائد: الأنصباء. والأشراك: الشركاء. والزعامة: الرياسة، وقيل: سلاحه.

فــوَدِّعْ بالســلامِ أبــا حَرِيــزٍ وقَــلَّ وداعُ أربــدَ بالســلامِ
وكنــتَ إمامَنــا ولنــا نِظامــاً وكـان الجَـزْعُ يُحفَـظُ بالنِّظـامِ[١]
وأَربــدُ فــارسُ الهَيْجــا إذا مــا تَقعَّــرَتِ المَشــاجِرُ بالفِئــامِ[٢]
إذا بَكَــرَ النّســاءُ مُردَّفــاتٍ حَواسِـرَ لا يُجِئنَ على الخِـدَامِ[٣]
فــواءَلَ يــومَ ذلــك مَــن أتــاهُ كمـا وَأَلَ المُحِـلُّ إلـى الحـرامِ[٤]
ويَحمَــدُ قِــدرَ أربــدَ مَــن عَـرَاهـا إذا مــا ذُمَّ أربــابُ اللِّحــامِ[٥]
وجارَتُــه إذا حَلَّــتْ لَدَيــهِ لهــا نَفَــلٌ وحَــظٌّ مــن سَــنامِ[٦]
فــإن تَقعُــدْ فمُكرَمــةٌ حَصَــانٌ وإن تَظعَــنْ فمُحسِــنةُ الكَــلامِ[٧]
وهـل حُـدِّثتَ عـن أخَوَينِ داما علــى الأيّــامِ إلّا ابنَــيْ شِــمَامِ[٨]

---

(١) النِّظام: الخيط الذي يُنظَم عليه اللؤلؤ وغيره. والجزع: الخرز اليماني، وهو من الأحجار الكريمة.

(٢) تقعَّرت، أي: سقطت من أصلها. والمشاجر: ضرب من الهوادج. والفِئام: ما يُبسَط في الهودج ويوطأ به.

(٣) إذا بَكَر، أي: بكَّرنَ مُصبِحات. ومردَّفات، أي: محمولات، ويعني به الأَسْرَ. وحواسر: كاشفات عن وجوههن، ويروى: جوائر، أي: صائحات، من جأَر: إذا رفع صوته بالصِّياح. ولا يُجِئن، أي: لا يغطِّين. والخِدام: جمع خَدَمة، وهو خلخال تضعه المرأة في ساقها.

(٤) واءَل، أي: منع من لجأ إليه.

(٥) عَرَاها: أتاها يطلب خيرها. وأرباب: أصحاب. واللِّحام: جمع لَحْم.

(٦) النَّفَل: العطيّة. والسَّنام: أعلى ظهر البعير.

(٧) حَصَان: عفيفة لم يُتعرَّض لها. وتَظعَن: تَرحَل.

(٨) ابنا شَمَام: قمّتان بارزتان لجبل واحد اسمه شَمَامِ بالبناء على الكسر، ويسمّى اليوم باسم شمالات، وهو في عالية نجد، غرب مدينة الرياض على قرابة ٢٠٠ كم.

وإلّا الفَرقَدَينِ وآلَ نَعشٍ ... خَوالِدَ ما تُحدَّثُ بانْهِدامِ[1]

قال ابن هشام: وهي في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال لَبيدٌ أيضاً[2]:

انعَ الكريمَ للكريمِ أَربَدا ... انعَ الرّئيسَ واللّطيفَ كَبِدا[3]

يُحْذي ويُعطي مالَه ليُحمَدا ... أُدْماً يُشَبَّهنَ صِوَاراً أُبَّدا[4]

السّابلَ الفضلِ إذا ما عُدِّدا ... ويَملأُ الجَفْنةَ مَلْأً مَدَدا[5]

رِفْهاً إذا يأتي ضَريكٌ وَرَدَا ... مِثلُ الّذي في الغِيلِ يَقرُو جُمُدا[6]

يَزدادُ قُرباً منهمُ أن يُوعَدا ... أَورَثْتَنا تُراثَ غيرِ أَنكَدا[7]

غِناً[8] ومالاً طارِفاً ووَلَدا ... شَرْخاً صُقوراً يافعاً وأَمرَدا

---

(١) الفَرقَدان وآل نعش: من النجوم. وخوالد: ثوابت.

(٢) في (غ): وقال لبيد يبكي أربد أيضاً. وانظر «ديوانه» ص١٦٤.

(٣) انع: أعلِم بموته. ووصفه بلطف الكبد لأن غلظ الكبد يعني القسوة وانعدام الرحمة.

(٤) يُحذي: يُعطي، ويروى: يُجْدي، وهو بمعناه. والأُدْم: الإبل البيض. والصِّوَار، بضم الصاد وكسرها: القطيع من بقر الوحش. وأُبَّداً: جمع أَبِدٍ، وهو المستوحش النافر.

(٥) أي: إذا عُدِّد الفضل فإن فضله يكون سابلاً، أي: سابغاً وافياً. ومَدداً، أي: مكثراً.

(٦) رِفهاً، أي: يفعل ذلك دائماً كلَّ يوم. والضَّريك: الفقير. والغِيل: أَجَمة الأسد، وهي غابته، ويريد بالذي في الغِيل: الأسد. ويَقرُو: يتتبّع. والجُمُد: المكان المرتفع الغليظ، وقد يكون أراد به اسم جبلٍ بعَيْنه في نجدٍ.

(٧) يوعد: يهدَّد. والتراث: الميراث. وغير أنكد، أي: تراث رجل غير عَسِر.

(٨) في (ص) و(ط) و(ق٢) و(م): غِبّاً، وهي كذلك في «الديوان»، لكن اعتبرها محقِّق «الديوان» إحسان عباس مصحَّفة عن غِناً كما وقع في بقية نسخنا الخطية. والطارف: المال المُستحدَث. وشَرْخاً: شباباً. وصقوراً، أي: كالصقور. واليافع: الذي قارب الحُلُم. والأمرد: =

وقال لَبيدٌ أيضاً[1]:

لَـــن تُفنِيـــا خَيـــراتِ أَر بَــدَ فابكِيــا حتّــى تَعُــودا[2]
قــولا: هــو البَطَــلُ المُحــا مــي حــين يُكسَــونَ الحَديــدا[3]
ويَصُـــدُّ عنّـــا الظّالِمـــ ــينَ إذا لَقِينــا القــومَ صِــيدا[4]
فاعتاقَـــه رَيْـــبُ[5] البَريَّـــ ــــةِ إذ رأَى أن لا خُلـــودا
فثَــوَى ولــم يُوجَــعْ ولــم يُوصَــبْ وكــان هــو الفَقِيــدا[6]

وقال لَبيدٌ أيضاً[7]:

يُـذكّرُني بأَربَـدَ كـلُّ خَصـمٍ أَلَـدَّ تَخـالُ خُطّتَـه ضِـرَارا[8]
إذا اقتَصَـدوا فمُقتصِـدٌ كـريمٌ وإن جـارُوا سَـواءَ الحـقِّ جـارا[9]

= الذي لم تنبت لحيته.

(١) انظر «ديوانه» ص١٦٣.

(٢) لن تفنيا: لعله لا يخاطب إلا نفسه وإن ثنّى الكلام. وقوله: حتى تعودا، أي: حتى تكونا عَودَينِ، أي: هَرِمَينِ، العَوْد: الجمل الكبير؛ قاله الأخفش الأصغر في «الاختيارين» ص٢٦٨.

(٣) يريد بالحديد: الدروع، والذين يُكسَون الحديد هم المحاربون الأبطال.

(٤) الصِّيد: جمع أَصيَد، وهو المائل بعنقه كِبْراً.

(٥) هكذا في (ش٢) و(ص) و(ط) و(م) و(ي): ريب، وهي رواية «الديوان»، والرَّيب: حادث الدهر، وفي (ت) و(ش١) و(غ) و(ف) و(ق٢): ربّ.

واعتاقه: منعه من بلوغ أمله، ويروى: فاعتافه، بالفاء، أي: قَصَدَه.

(٦) ثوى: أقام. ولم يوصب، أي: لم يصبه وَصَبٌ، وهو الألم.

(٧) انظر «ديوانه» ص١٦٦.

(٨) ألدّ: شديد الخصومة. والضِّرار: المضارّة.

(٩) اقتصدوا، أي: عدلوا. وجارُوا، أي: مالوا عن الحق وظَلَموا؛ يمدحه بأنه يعطي كلَّ حالٍ =

ويَهْـدي القـومَ مُطّلِعـاً إذا مـا دليـلُ القـومِ بالمَوْمـاةِ حـارا[1]

قال ابن هشام: آخرُها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لَبيدٌ أيضاً[2]:

أصبَحتُ أَمشي بعدَ سَلْمى بنِ مالكٍ وبعـدَ أبـي قـيسٍ وعُـرْوةَ كالأجَـبّ[3]

إذا مـا رأى ظِـلَّ الغُـرابِ أضَـجَّه حِذاراً على باقي السَّناسِنِ والعَصَبْ[4]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في أبياتٍ له.

قدومُ ضِمَام بن ثَعْلبة وافداً عن بني سعد بن بكرٍ

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ بنو سعدِ بن بكرٍ إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم يقال له: ضِمَامُ بن ثَعْلبة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّدُ بن الوليد بن نُوَيفِع، عن كُرَيبٍ مولى عبدِ الله ابن عبّاسٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: بَعَثَت بنو سعدِ بن بكرٍ ضِمامَ بن ثَعْلبةَ وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقَدِمَ عليه وأناخَ بعيرَه على باب المسجد ثمّ عَقَلَه[5] ثمّ دخل المسجدَ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في أصحابِه، وكان ضِمامٌ رجلاً جَلْداً أشعَرَ ذا غَدِيرتَين[6]،

= ما يستحقّه، فهو عادلٌ إذا عَدَلوا، جائرٌ إذا جاروا، وهو مذهبٌ عربيٌّ جاهليٌّ في المدح.

(١) المَوماة: الأرض الفلاة الواسعة. وهو هنا يصف أخاه أَربَد بالبصر بالأمور.

(٢) انظر «ديوانه» ص١.

(٣) الأجبّ: البعير المقطوع السنام. وهؤلاء المذكورون من بني عمّه وقومه.

(٤) أضجَّه: من الضجيج، أي: رغا وصاح إذا دنا منه الغرابُ يريد أن يسقط عليه. والسناسن: عظام الظَّهر، وهي فَقَاره.

(٥) أي: شدّه بالعِقال، وهو الحبل.

(٦) الجَلْد: الشديد. والأشعر: الكثير الشَّعر. والغديرة: الضفيرة من الشَّعر.

فأقبَلَ حتّى وَقفَ على رسول الله ﷺ في أصحابِه فقال: أيُّكم ابنُ عبدِ المُطَّلِب؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِب» قال: أمحمّدٌ؟ قال: «نَعَم» قال: يا ابنَ عبد المُطَّلِب، إنّي سائلُك ومُغلِّظٌ عليك في المسألة، فلا تَجِدَنَّ في نفسِك، قال: «لا أَجِدُ في نَفْسي، فسَلْ عمَّا بَدَا لك».

قال: أنشُدُك اللهَ إلٰهَك وإلٰهَ مَن كان قبلَك وإلٰهَ مَن هو كائنٌ بعدَك، آللهُ بَعَثَك إلينا رسولاً؟ قال: «اللّهمَّ نعَم» قال: فأنشُدُك اللهَ إلٰهَك وإلٰهَ مَن كان قبلَك وإلٰهَ مَن هو كائنٌ بعدَك، آللهُ أمَرَك أن تأمُرَنا أن نَعبُدَه وحدَه لا نُشرِكُ به شيئاً، وأن نَخلَعَ هذه الأندادَ التي كان آباؤُنا يَعبُدون معه؟ قال: «اللّهمَّ نَعَم» قال: فأنشُدُك اللهَ إلٰهَك وإلٰهَ مَن كان قبلَك وإلٰهَ مَن هو كائنٌ بعدَك، آللهُ أمَرَك أن نُصلِّيَ هذه الصّلواتِ الخمسَ؟ قال: «اللّهمَّ نَعَم».

قال: ثمّ جَعَلَ يذكرُ فرائضَ الإسلامِ فريضةً فريضةً، الزّكاةَ والصّيامَ والحجَّ وشرائعَ الإسلامِ كلَّها، يَنشُدُه عند كلِّ فريضة منها كما يَنشُدُه في التي قبلَها، حتّى إذا فَرَغَ قال: فإنّي أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنّ محمّداً رسولُ الله، وسأُؤَدِّي هذه الفرائضَ وأجتَنِبُ ما نَهيتَني عنه، ثمّ لا أزيدُ ولا أنقُصُ. ثمّ انصَرَفَ إلى بعيرِه راجعاً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صَدَقَ ذو العَقِيصَتَينِ[1] دَخَلَ الجنَّةَ».

قال: فأَتى بعيرَه فأطلَقَ عِقالَه ثمّ خرج حتّى قَدِمَ على قومه فاجتَمَعوا إليه، فكان أوّلَ ما تَكلَّمَ به أن قال: بِئسَتِ اللّاتُ والعُزّى، قالوا: مَهْ يا ضِمامُ، اتّقِ البَرَصَ، اتّقِ الجُذامَ، اتّقِ الجنونَ، قال: وَيلَكم، إنّهما واللهِ لا يَضُرّانِ ولا يَنفَعانِ، إنّ اللهَ قد بَعَثَ رسولاً وأنزَلَ عليه كتاباً استَنقَذَكم به ممّا كنتم فيه، وإنّي أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله

(١) العقيصتان: الضَّفيرتان من الشَّعر.

وحدَه لا شريكَ له، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، وقد جئتُكم من عندِه بما أمَرَكم به وما نَهاكُم عنه، قال: فوالله ما أَمسى من ذلك اليومِ وفي حاضرِه[1] رجلٌ ولا امرأةٌ إلّا مُسلِماً.

قال: يقول عبدُ الله بن عبّاسٍ: فما سَمِعْنا بوافِدِ قومٍ كان أفضلَ من ضِمَام بن ثَعْلبة[2].

قدومُ الجارود في وفد عبد القَيس

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ الجارودُ بن عمرو بن حَنَشٍ أخو عبد القيس ـ قال ابن هشام: الجارودُ بن بِشْر بن المُعلَّى ـ في وفدِ عبد القيس، وكان نصرانيّاً.

قال ابن إسحاق: حدّثني مَن لا أتّهمُ عن الحسنِ قال: لمّا انتَهَى إلى رسول الله ﷺ كَلَّمَه، فعَرَضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ودعاه إليه ورَغَّبَه فيه، فقال: يا محمّدُ، إنّي قد كنت على دينٍ، وإنّي تاركٌ دِيني لدينِك، أفتَضمَنُ لي دِيني؟ قال:

---

(١) الحاضر: الحيُّ.

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد حسن إن شاء الله، محمد بن الوليد بن نُوَيفع روى عنه اثنان: ابنُ إسحاق وأبو مَعشَر نَجِيح بن عبد الله السِّنْدي المدني، غير أنَّ هذا الثاني سماه محمد بن نُويفع، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الدارقطني: يُعتبَر به، وقد تابعه سلمةُ بن كُهيل في رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عند أبي داود (٤٨٧)، غير أنه لم يسق لفظه بتمامه.

وأخرج الحديث أيضاً أحمد (٢٢٥٤) و(٢٣٨٠) و(٢٣٨١) من طريق إبراهيم بن سعد، والحاكم (٤٤٢٨) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وروى قصة وفود ضمامٍ أيضاً أنسُ بن مالك فيما أخرجه أحمد (١٢٧١٩)، والبخاري (٦٣)، ومسلم (١٢).

فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم أنا ضامنٌ أنْ قَدْ هَدَاكَ اللهُ إلى ما هو خَيرٌ منه»، قال: فأسلَمَ وأسلَمَ أصحابُه.

ثمّ سأَل رسولَ الله ﷺ الحُمْلانَ[1]، فقال: «واللهِ ما عِندي ما أَحمِلُكم عليه» قال: يا رسولَ الله، فإنَّ بيننا وبين بلادِنا ضَوَالَّ من ضَوَالِّ الناس، أفنَتَبلَّغُ عليها إلى بلادِنا؟ قال: «لا، إيّاكَ وإيّاها، فإنَّما تلك حَرَقُ النّارِ»[2].

فخرج من عندِه الجارودُ راجعاً إلى قومه، وكان حَسَنَ الإسلام صَليباً على دينه حتّى هَلَكَ، وقد أدرَكَ الرِّدّةَ، فلمّا رجع قومُه مَن كان أسلَمَ منهم إلى دينهم الأوّلِ مع الغَرُور[3] بن المُنذِر بن النُّعمان بن المُنذِر، قامَ الجارودُ فتَشهَّدَ شهادةَ الحقِّ ودعا إلى الإسلام، فقال: أيّها الناسُ، إنّي أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأنّ محمّداً عبدُه

---

(١) الحُملان: ما يركبون عليه من دوابّ.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله، والواسطة المبهمة بين ابن إسحاق وبين الحسن البصري قد بيَّنها سلمةُ بن الفضل في روايته عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٣٦، وهو الحسن ابن دينار، والحسن هذا قد ضعّفوه.

والشطر الثاني من الحديث عن الضوالّ (وهي الإبل الضالّة الصالحة للرّكوب) روي موصولاً عن الجارود العبديِّ نفسه، فقد أخرجه بنحوه أحمد (٢٠٧٥٤-٢٠٧٥٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥٧٦٠-٥٧٦٥)، وابن حبان (٤٨٨٧) من طريق ابن الشِّخّير، عن أبي مسلم الجَذْمي، عن الجارود. وإسناده حسن.

وقوله: «حَرَقُ النار» بفتح الراء: لهبُها، وقد تُسكَّن، أي: إن هذه الضالّة إذا أخذها إنسان ليتملّكها أدَّته إلى النار. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(٣) زعم السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٤٢: أنه هو المنذر نفسه، وليس ابنه، وأنه سُمّي بذلك لأنه غرَّ قومَه في تلك الردّة، أو غرُّوه واستعانوا به على حربهم، فقُتل هنالك، وزعم وَثِيمةُ بن موسى (صاحب كتاب «أخبار الرِّدّة») أنه أسلم بعد ارتداده، والله أعلم.

ورسولُه، وأُكفِّرُ مَن لم يَشهَدْ.

قال ابن هشام: ويُروَى: وأَكفِي مَن لم يَشهَد.

قال ابن إسحاق: وقد كان رسولُ الله ﷺ بَعَثَ العَلاءَ بن الحَضرَميِّ قبلَ فتحِ مكّة إلى المُنذِر بن ساوَى العَبْديِّ، فأسلمَ فحَسُنَ إسلامُه، ثمّ هَلَكَ بعدَ رسول الله ﷺ قبلَ رِدّة أهلِ البحرَينِ والعلاءُ عنده أميراً لرسول الله ﷺ على البحرَين.

قدوم بني حَنِيفة ومعهم مُسيلِمةُ الكذّاب

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ بني حَنِيفة فيهم مُسيلِمةُ بن حَبيبٍ الكذّابُ.

قال ابن هشام: مُسَيلِمةُ بن ثُمَامة، ويكنى أبا ثُمَامة.

قال ابن إسحاق: فكان مَنزِلُهم في دار بنتِ الحارث، امرأةٍ من الأنصار ثمّ من بني النَّجّار، فحدَّثني بعضُ عُلَمائنا من أهل المدينة: أنّ بني حَنِيفة أتَتْ به[1] رسولَ الله ﷺ تَستُرُه بالثِّياب، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في أصحابه معه عَسِيبٌ[2] من سَعَفِ النَّخلِ في رأسه خُوصاتٌ، فلمّا انتَهى إلى رسول الله ﷺ وهم يَستُرونَه بالثِّياب، كَلَّمَه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «لو سَأَلتَني هذا العَسِيبَ ما أَعطَيتُكَه»[3].

---

(١) أي: بمسيلمة الكذاب.

(٢) العَسيب: جريدة النخل.

(٣) أصل الخبر صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٣٧، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٣٠ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق.

وقد روى ابنُ عبّاس خبر مسيلمة الكذاب بنحو هذا السياق، فقد أخرج البخاري (٣٦٢٠) و(٤٣٧٣) ومسلم (٢٢٧٣) عنه قال: قَدِمَ مسيلمةُ الكذاب على عهد رسول الله ﷺ، فجعل يقول: إن جعل لي محمدٌ الأمرَ من بعده تبعتُه، وقَدِمَها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه =

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني شيخٌ من بني حَنِيفة من أهلِ اليَمَامة: أنّ حديثَه كان على غير هذا، زَعَمَ: أنّ وفدَ بني حَنِيفة أتَوْا رسولَ الله ﷺ وخَلَّفوا مُسيلِمةَ في رِحَالِهم، فلمّا أسلَموا ذَكَرُوا مكانَه فقالوا: يا رسولَ الله، إنّا قد خَلَّفْنا صاحباً لنا في رِحالِنا وفي ركائبِنا يَحفَظُها لنا، قال: فأَمَرَ له رسولُ الله ﷺ بمِثْلِ ما أَمَرَ به للقوم، وقال: «أَمَا إِنَّه ليسَ بشَرِّكُم مَكاناً»؛ أي: لحِفْظِه ضَيْعةَ أصحابِه؛ ذلك الذي يريد رسولُ الله ﷺ.

قال: ثمّ انصَرَفوا عن رسول الله ﷺ وجاؤوه بما أعطاه، فلمّا انتَهَوا إلى اليَمَامة ارتَدَّ عدوُّ الله وتَنبّأَ وتَكذَّبَ لهم، وقال: إنّي قد أُشرِكتُ في الأمر معه. وقال لوَفْدِه الّذين كانوا معه: أَلم يَقُل لكم حين ذَكَرتُموني له: «أمَا إنّه ليس بشَرِّكُم مَكاناً»؛ ما ذاكَ إلّا لِما كان يَعلَمُ أنّي قد أُشرِكتُ في الأمر معه[1].

ثمّ جَعَلَ يَسجَعُ لهم السَّجَعاتِ ويقول لهم فيما يقول مُضَاهاةً[2] للقرآن: لقد

= رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شمّاس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعةُ جَريدٍ، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: «لو سألتَني هذه القطعةَ ما أَعطيتُكَها، ولن تَعدُوَ أمرَ الله فيك، ولئن أدبرتَ ليَعقِرنَّك اللهُ (أي: ليقتلنّك وليهلكنّك)، وإني لأُراك الذي أُرِيتُ فيه ما أُرِيتُ، وهذا ثابتٌ يجيبك عنّي»، ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألتُ عن قول رسول الله ﷺ: «إنك أُرَى الذي أُرِيتُ فيه ما أُرِيت»، فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنا أنا نائمٌ رأيت في يديّ سِوارَينِ من ذهبٍ، فأهمَّني شأنُهما، فأُوحيَ إليّ في المنام: أن انفُخهما، فنفختهما فطارا، فأوَّلتُهما كذّابَينِ يخرجانِ بعدي». فكان أحدهما العَنْسيّ صاحب صنعاء، والآخر مُسيلِمة صاحب اليمامة.

وسيأتي حديث أبي سعيد بنحو حديث أبي هريرة في هذه الرؤيا عند المصنف ص٣٧٦.

(١) ذكر نحو هذا الخبر ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٧٣ بإسنادين مرسلين ضعيفين.

(٢) مضاهاة: مشابهة.

أنعَمَ الله على الحُبلَى، أخرَجَ منها نَسَمةً تَسعَى، من بين صِفاقٍ وحَشَا[1].

وأحَلَّ لهم الخمرَ والزِّنى ووَضَعَ عنهم الصّلاةَ، وهو مع ذلك يَشهَدُ لرسول الله ﷺ بأنّه نبيٌّ، فأصفَقَت معه حَنِيفةُ على ذلك[2]، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قدومُ زيد الخيل في وفد طَيّئٍ

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ طَيّئٍ فيهم زيدُ الخيلِ، وهو سيِّدُهم، فلمّا انتَهَوا إليه كَلَّموه وعَرَضَ عليهم رسولُ الله ﷺ الإسلامَ فأسلَموا، فحَسُنَ إسلامُهم.

وقال رسولُ الله ﷺ ـ كما حدّثني مَن لا أتّهم من رجال طَيّئ ـ: «ما ذُكِرَ لي رجلٌ من العربِ بفَضْلٍ ثمّ جاءَني، إلّا رأَيتُه دونَ ما يقالُ فيه إلّا زيدَ الخيلِ، فإنّه لم يُبلَغْ كلُّ ما كانَ فيه»، ثمّ سمّاه رسولُ الله ﷺ زيدَ الخير، وقَطَعَ له فَيْداً[3] وأرَضِينَ معه، وكَتَبَ له بذلك[4].

فخرج من عندِ رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ يَنجُ زيدٌ من حُمَّى المدينةِ فإنّهُ»[5] ـ قال: قد سمّاها رسولُ الله ﷺ باسمٍ غيرِ الحُمّى وغيرِ

---

(١) الصِّفاق: ما رقَّ من البطن. والحشا: ما انضمّت عليه الضُّلوع.

(٢) أصفقوا معه على ذلك، أي: أجمعوا عليه.

(٣) يقع فيد في جهة الشمال الشرقي من المدينة المنوّرة، جنوب شرق مدينة حائل على بعد ٩٠ كم منها تقريباً.

(٤) روى ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٧٧ نحو هذا الخبر من وجهين ضعيفين مرسلين، فلعلهما مع رواية ابن إسحاق عن رجال من طيّئ يشدُّ بعضها بعضاً فيقوى أصل الخبر.

(٥) ذكر الصالحيُّ في «سبل الهدى والرشاد» ٦/ ٣٥٨ عن بعض الشرّاح قال: إنّ جواب «إنْ ينجُ» محذوف والتقدير: فإنه لا يُعاب.

أمِّ مِلدَمٍ، فلم يُثبِتْه[1] ـ فلمّا انتَهى من بلد نَجدٍ إلى ماءٍ من مياهه يقال له: فَرْدة[2]، أصابته الحُمّى بها فمات، ولمّا أحَسَّ زيدُ بالموتِ قال:

أمُرتَحِلٌ قَومِي المَشارِقَ غُدْوةً ... وأُترَكُ في بيتٍ بفَرْدةَ مُنجِدِ[3]

ألا رُبَّ يومٍ لو مَرِضتُ لَعادَني ... عوائدُ مَن لم يُبْرَ منهنَّ يَجهَدِ[4]

فلمّا مات عَمَدَت امرأتُه إلى ما كان معها من كُتبِه التي قَطَعَ له رسولُ الله ﷺ، فحرَّقَتها بالنار.

أمرُ عَدِيّ بن حاتمٍ

وأمّا عَدِيُّ بن حاتمٍ فكان يقول فيما بَلَغَني: ما رجلٌ من العربِ كان أشدَّ كراهيَةً لرسول الله ﷺ حين سَمِعَ به منّي، أمّا أنا فكنت امرَأً شريفاً وكنت نصرانيّاً، وكنت أَسِيرُ في قومي بالمِرْباع[5]، فكنتُ في نفسي على دينٍ وكنت ملكاً في قومي، لِمَا كان يُصنَعُ بي، فلمّا سمعتُ برسول الله ﷺ كَرِهتُه، فقلت لغلامٍ كان لي عربيٍّ، وكان

(١) قال السهيلي في «الروض» ٧/ ٤٤٧: الاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحمّى هو أمّ كُلْبة، ذُكر لي أن أبا عبيدة ذكره في «مقاتل الفرسان»، ولم أره.

(٢) ذكر عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٣٦ أنه في الجنوب الغربي من فَيْد ماء يُسمّى فَرْدة، قال: فلعلّه هو.

(٣) بيت مُنجِد، أي: بيت بنجدٍ.

(٤) لم يُبـرَ، أي: لم يَهزِل ويضعف.

فائدة: وقع على حاشية نسخة (ط) هنا ما نصه:

حدثني عبد الرحمن قال: أنشدني سعيد بن عُفير:

فليتَ اللواتي عُدْنني لم يَعُدنني ... وليتَ اللواتي غِبنَ عنّي شُهَّدِ

قلنا: وهذا البيت ذكره أيضاً لزيدٍ السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٥٠.

(٥) أَسير بالمرباع، أي: آخذ الرُّبع من الغنائم، لأني سيّدهم.

راعياً لإبلي: لا أبا لك، أَعدِدْ لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً[1] سِماناً، فاحتَبِسْها قريباً منّي، فإذا سمعتَ بجيشٍ لمحمّدٍ قد وَطِئَ هذه البلادَ، فآذِنّي، ففعل.

ثمّ إنّه أتاني ذاتَ غَدَاةٍ فقال: يا عَديُّ، ما كنتَ صانعاً إذا غَشِيَتك خيلُ محمّدٍ فاصنَعْه الآنَ، فإنّي قد رأيتُ راياتٍ فسألتُ عنها، فقالوا: هذه جيوشُ محمّدٍ، قال: فقلت: فقَرِّبْ إليَّ أجمالي، فقَرَّبَها، فاحتَمَلتُ بأهلي ووَلَدي، ثمّ قلت: ألحَقُ بأهلِ ديني من النَّصارى بالشّام، فسَلَكتُ الجُوْشيّة[2] ـ ويقال: الحُوشيّةُ، فيما قال ابن هشامٍ ـ وخَلَّفتُ بنتاً لحاتمٍ في الحاضر[3]؛ فلمّا قَدِمتُ الشّامَ أقمتُ بها.

وتُخالِفُني خيلٌ لرسول الله ﷺ فتُصِيبُ ابنةَ حاتمٍ فيمَن أصابَت، فقُدِمَ بها على رسول الله ﷺ في سَبَايا من طَيّئٍ، وقد بَلَغَ رسولَ الله ﷺ هَرَبي إلى الشّام، قال: فجُعِلَت بنتُ حاتمٍ في حَظِيرةٍ[4] بباب المسجد كانت السَّبايا يُحبَسنَ فيها، فمَرَّ بها رسولُ الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأةً جَزْلةً[5] فقالت: يا رسولَ الله، هَلَكَ الوالدُ وغابَ الوافدُ[6]، فامنُنْ عليَّ مَنَّ الله عليك، قال: «ومَن وافِدُكِ؟» قالت: عَديُّ بن حاتمٍ، قال: «الفارُّ من اللهِ ورسولِه؟!» قالت: ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ وتَرَكَني، حتّى

(١) ذُلُل: جمع ذَلُول، وهو الجمل السهل الذي قد رُيِّض.

(٢) ذكر حمد الجاسر في تعليقه على كتاب «الأماكن» ص٢٧٦ للحازمي: أن الجوشية طريق كانت تُسلَك من شمال نجد إلى الشام، كانت تمرُّ بجبل جَوْش الذي يُعرَف الآن هو والعَلَم وما حولهما من الجبال باسم الطُّبيق شمال الجزيرة العربية.

(٣) الحاضر: الحيّ.

(٤) الحظيرة: موضع يُحاط عليه بشيء كالخشب أو القصب أو نحوهما، والمراد بها هنا الخيمة.

(٥) الجَزْلة: العظيمة الوافية، أو ذات كلامٍ جَزْلٍ، أي: قويّ.

(٦) الوافد: الزائر.

إذا كان من الغَدِ مَرَّ بي، فقلتُ له مِثلَ ذلك، وقال لي مِثلَ ما قال بالأمس، قالت: حتّى إذا كان بعدَ الغَدِ مَرَّ بي وقد يَئِستُ منه، فأشارَ إليَّ رجلٌ من خَلفِه: أنْ قُومي فكَلِّميهِ، قالت: فقُمتُ إليه فقلت: يا رسولَ الله، هَلَكَ الوالدُ وغابَ الوافِدُ، فامنُنْ عليَّ مَنَّ الله عليك، فقال ﷺ: «قد فَعَلتُ، فلا تَعجَلي بخروجٍ حتّى تَجِدي من قومِك مَن يكونُ لكِ ثِقةً حتّى يُبلِّغَكِ إلى بلادِك، ثمّ آذِنيني». فسألتُ عن الرّجلِ الذي أشارَ إليَّ أن كَلِّميهِ فقيلَ: عليُّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه.

وأقَمتُ حتّى قَدِمَ رَكْبٌ من بَلِيٍّ أو قُضاعة، قالت: وإنّما أُريدُ أن آتي أَخي بالشّام. قالت: فجئتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، قد قَدِمَ رَهْطٌ من قومي لي فيهم ثِقةٌ وبَلاغٌ، قالت: فكَساني رسولُ الله ﷺ وحَمَلَني، وأعطاني نَفَقةً، فخرجتُ معهم حتّى قَدِمتُ الشّامَ.

قال عَديٌّ: فوالله إنّي لَقاعدٌ في أهلي، إذ نَظَرتُ إلى ظَعِينةٍ تَصَوَّبُ إليَّ[1] تَؤمُّنا، قال: فقلت: ابنةُ حاتمٍ! قال: فإذا هيَ هيَ، فلمّا وَقَفَت عليَّ انسَحَلَت[2] تقول: القاطعُ الظّالمُ، احتَمَلتَ بأهلِك ووَلَدِك، وتَرَكتَ بقيّةَ والدِك عَورَتَك! قال: قلت: أيْ أُخَيّةُ، لا تقولي إلّا خيراً، فوالله ما لي من عُذرٍ، لقد صَنَعتُ ما ذكرتِ. قال: ثمّ نَزَلَت فأقامَت عندي، فقلت لها، وكانت امرأةً حازِمةً: ماذا تَرَينَ في أمرِ هذا الرَّجلِ؟ قالت: أَرَى والله أن تَلحَقَ به سريعاً، فإن يكن الرَّجلُ نبيّاً، فللسّابقِ إليه فضلُه، وإن يكن مَلِكاً، فلن تَذِلَّ في عِزِّ اليَمَن[3]، وأنتَ أنتَ، قال: قلت: والله إنّ هذا لَلرّأيُ.

---

(١) الظعينة: المرأة في هودجها. وتَصوّب إليَّ، أي: تقصدني.

(٢) انسحلت، أي: أخَذَت في اللوم.

(٣) تريد بعزِّ اليمن عزَّ الأوس والخزرج عند النبي ﷺ، فهما من اليمن، كما أن طيِّئاً قوم عديٍّ أصلهم من اليمن.

قال: فخرجتُ حتّى أَقدَمَ على رسول الله ﷺ المدينةَ، فدَخَلتُ عليه وهو في مسجده، فسَلَّمتُ عليه فقال: «مَن الرَّجُلُ؟» فقلت: عَدِيُّ بن حاتمٍ؛ فقامَ رسولُ الله ﷺ فانطَلَقَ بي إلى بيتِه، فوالله إنّه لَعامِدٌ بي إليه إذ لَقِيَته امرأةٌ ضعيفةٌ كبيرةٌ فاستوقفته، فوَقَفَ لها طويلاً تُكلِّمُه في حاجَتِها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بمَلِكٍ، قال: ثمّ مضى بي رسولُ الله ﷺ حتّى إذا دخل بي بيتَه تَناوَلَ وِسادةً من أَدَمٍ مَحشُوَّةٍ ليفاً، فقَذَفَها إليّ فقال: «اجلِسْ على هذِه»، قال: قلت: بل أنتَ فاجلِسْ عليها، قال: «بل أنتَ»، فجَلَستُ عليها، وجَلَسَ رسولُ الله ﷺ بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمرِ مَلِكٍ.

ثمّ قال: «إيهٍ يا عَدِيَّ بنَ حاتمٍ، ألم تَكُ رَكُوسياً[(١)]؟» قال: قلت: بَلَى، قال: «أولَمْ تَكُنْ تَسِيرُ في قومِك بالمِرْباعِ؟» قال: قلت: بَلَى، قال: «فإنَّ ذلك لم يكنْ يَحِلُّ لك في دينِك» قال: قلت: أجَلْ والله، قال: وعَرَفتُ أنه نبيٌّ مُرسَلٌ يَعلَمُ ما يُجهَلُ.

ثمّ قال: «لَعَلَّك يا عَدِيُّ إنّما يَمنَعُك من دُخولٍ في هذا الدِّينِ ما تَرَى من حاجَتِهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ المالُ أن يَفِيضَ فيهم حتّى لا يوجَدَ مَن يأخُذُه، ولَعَلَّك إنّما يَمنَعُك من دُخولٍ فيه ما تَرَى من كَثْرةِ عَدوِّهم وقِلّةِ عَدَدِهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ أن تَسمَعَ بالمرأةِ تَخرُجُ من القادِسيَّةِ[(٢)] على بعيرِها حتّى تَزُورَ هذا البيتَ لا تَخافُ،

---

(١) الرَّكوسية: قوم لهم دينٌ بين دين النصارى والصابئين، قاله أبو عبيدٍ في «غريب الحديث» ٣/ ٨٧ عن ابن سيرين.

وقوله: «إيهٍ يا عدي» هذه كلمة يراد بها الاستزادة، وهي مبنيّة على الكسر، فإذا وصلتَ نوّنتَ فقلت: إيهٍ حدِّثنا. قاله ابن الأثير في «النهاية» ١/ ٨٧.

(٢) كذا وقع في هذا السِّياق ذكرُ القادسية، والذي ثبت عن عديّ بن حاتم من وجه آخر كما عند أحمد وغيره ذكر الحِيرة وليس القادسية، وهما قريبتان كلتاهما جنوب الكوفة، والحيرة =

ولَعَلَّك إنّما يَمنَعُك من دُخولٍ فيه أنّك تَرَى أنّ المُلْكَ والسُّلطانَ في غيرِهم، وايْمُ اللهِ لَيُوشِكَنَّ أنْ تَسمَعَ بالقُصورِ البِيضِ من أرضِ بابِلَ قد فُتِحَت عليهم»، قال: فأسلَمتُ.

فكان عَديٌّ يقول: قد مَضَتِ اثنَتانِ وبَقِيَت الثّالثةُ، وواللهِ لتكونَنَّ، قد رأيتُ القُصورَ البِيضَ من أرضِ بابِلَ قد فُتِحَت، وقد رأيتُ المرأةَ تَخرُجُ من القادِسيّةِ على بعيرِها لا تَخافُ حتّى تَحُجَّ هذا البيتَ، وايْمُ اللهِ لتكونَنَّ الثّالثةُ، لَيَفِيضَنَّ المالُ حتّى لا يوجَدَ مَن يأخُذُه[1].

قدومُ فَرْوة بن مُسَيكٍ المُراديّ

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ فَرْوةُ بن مُسَيكٍ المُراديُّ على رسول الله ﷺ مُفارقاً لملوك كِنْدةَ ومُباعداً لهم إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان قُبَيلَ الإسلام بين مُرادٍ وهَمْدانَ وَقْعةٌ أصابت فيها هَمْدانُ من مُرادٍ ما

= بين القادسية والكوفة تبعد عن كل منهما قرابة ٢٠ كم.

(١) خبر عديٍّ بهذا الطول ضعيف الإسناد لإبهام رواته فيما بينه وبين ابن إسحاق، وقد رواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١١٢-١١٥ عن ابن إسحاق عن شيبان بن سعد الطائي فيما بلغه عن عديٍّ، وشيبان هذا لا يُعرَف.

وأخرج نحوه مطولاً ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ٢١٤-٢١٧ بإسناد ضعيف جداً عن أبي عمير الطائي قال: كان من خبر عدي بن حاتم وإسلامه أنه كان يقول... وذكره.

وخبر قدوم عديٍّ على النبي ﷺ وإسلامه والبِشارات الثلاث ودون قصة أسر أخته، رواه عن عديٍّ أبو عُبيدة بن حُذيفة فيما أخرجه أحمد (١٨٢٦٠) و(١٩٣٧٨) و(١٩٣٨٤)، وابن حبان (٦٦٧٩)، والحاكم (٨٧٩٥)، ورجاله إلى أبي عبيدة ثقات مشهورون، وأبو عبيدة روى عنه جمع وذكره ابن حبان في «ثقاته»، فحديثه حديث حسنٌ.

وأخرج بعضاً منه البخاري (٣٥٩٥) من طريق مُحِلّ بن خليفة الطائي، عن عدي بن حاتم.

أرادوا، حتّى أثخَنُوهم[1] في يومٍ كان يقال له: يومُ الرَّدْم، فكان الذي قادَ هَمْدانَ إلى مُرادٍ الأجدَعُ بن مالكٍ في ذلك اليوم.

قال ابن هشام: الذي قادَ هَمْدانَ في ذلك اليومِ مالكُ بن حَرِيمٍ[2] الهَمْداني.

قال ابن إسحاق: وفي ذلك اليوم يقول فَرْوةُ بن مُسَيك:

مَرَرنَ على لِفَاتَ وهُنَّ خُوصٌ ... يُنازِعنَ الأعِنّةَ يَنتَحِينا[3]

فإن نَغلِبْ فغَلَّابونَ قِدْماً ... وإن نُغلَبْ فغيرُ مُغلَّبِينا

وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ ... مَنايانا وطُعْمةُ آخَرِينا[4]

كَذاكَ الدّهرُ دَولتُه سِجالٌ ... تَكُرُّ صُروفُه حِيناً فحِينا[5]

---

(١) أثخنوهم: أكثروا القتل فيهم والجِراحات.

ومراد وهَمْدان: قبيلان يمانيان عظيمان، وبلادهما مناطق شمال اليمن، وتمتدّ بلاد مراد شمالاً إلى أطراف نجدٍ الغربية الجنوبية.

(٢) قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٤١: يروى هنا بفتح الحاء المهملة، ويروى أيضاً: خُرَيم، بضم الخاء المعجمة، وحَرِيم بفتح الحاء المهملة هو الصواب.

(٣) مررنَ: يريد الخيل. ولفات، بكسر اللام وفتحها كما عند الخشنيّ: اسم موضع، وقيّده ياقوت في «معجم البلدان» بضمّ اللام. وخُوص: غائرات العيون. ويَنتحِين: يعترضن ويعتمدن.

(٤) هذا البيت من شواهد سيبويه في «الكتاب» ٣/ ١٥٣ على زيادة «إنْ» بعد «ما» وكفّها عن العمل.

ومعنى: ما طبُّنا: ليس من شأننا وعادتنا، يقول: لم يكن سبب قتلنا الجُبن، وإنما كان ما جرى به القدرُ من حضور المنايا وانتقال الحال عنّا إلى آخرين، فإن كانت همدانُ ظَهَرَت علينا في يوم الرَّدم فغلبتنا، فنحن غير مغلَّبين، والمغلَّب: الذي يُغلَب مراراً، أي: لم نُغلَب إلا مرة واحدة.

(٥) دولته سِجَال، أي: تكون تارة للإنسان، وتارة عليه، وهو من المساجَلَة على البئر، يستقي هذا مرة، وذاك مرة، والسَّجْل: الدَّلو.

فبَيْنا ما تُسَرُّ به وتَرضَى ... ولو لُبِسَت غَضَارتُه سِنِينا[1]

إذ انقَلَبَت به كَرّاتُ دَهرٍ ... فألفَيتَ الأُلَى غُبِطوا طَحِينا[2]

فمَن يُغبَطْ بريبِ الدّهرِ منهم ... يَجِدْ رَيبَ الزّمانِ له خَؤُونا[3]

فلو خَلَدَ الملوكُ إذاً خَلَدْنا ... ولو بقيَ الكِرامُ إذاً بَقِينا

فأَفنَى ذلكم سَرَواتِ قومي ... كما أَفنَى القُرونَ الأوّلينا[4]

قال ابن هشام: أوّلُ بيتٍ منها، وقولُه: فإن نَغلِبْ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ولمّا تَوجَّهَ فروةُ بن مُسَيكٍ إلى رسول الله ﷺ مُفارِقاً لملوك كِنْدَةَ قال:

لمّا رأيتُ ملوكَ كِندةَ أعرَضَت ... كالرِّجلِ خانَ الرِّجلَ عِرقَ نَسَائِها[5]

قَرّبتُ راحلتي أؤمُّ محمّداً ... أَرجو فواضِلَها وحُسنَ ثَرائِها

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة: أرجو فواضِلَه وحُسنَ ثَنائِها.

قال ابن إسحاق: فلمّا انتَهى إلى رسول الله ﷺ، قال له رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني: «يا فَرْوةُ، هل ساءَك ما أصابَ قومَك يومَ الرَّدْمِ؟» قال: يا رسولَ الله، مَن ذا يُصِيبُ قومَه مِثلُ ما أصابَ قومي يومَ الرَّدْمِ لا يَسُوؤُه ذلك! فقال رسول الله ﷺ له: «أمَا إنّ ذلك لم يَزِدْ قومَك في الإسلامِ إلّا خيراً»[6].

(١) غضارة الشيء: طراوته ونعمته.

(٢) الأُلى: الذين. وغُبطوا، أي: استُحسنت حالهم.

(٣) ريب الدهر والزمان: حوادثه.

(٤) سروات القوم: أشرافهم ورؤوسهم.

(٥) النَّسا: عِرقٌ مُستبطِنٌ في الفخذ، وهو مقصور، ومُدَّ هنا للضرورة الشعرية.

(٦) خبر ضعيف من بلاغات ابن إسحاق ولم يسنده. =

واستَعمَلَه النبيُّ ﷺ على مُرادٍ وزُبَيدٍ ومَذحِجٍ كلِّها، وبَعَثَ معه خالدَ بن سعيد ابن العاصِ على الصَّدَقة، فكان معه في بلادِهِ حتّى تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ.

قدومُ عمرو بن مَعْدي كَرِبَ في أناسٍ من بني زُبيدٍ

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ عمرُو بن مَعدِي كَرِبَ في أُناسٍ من بني زُبَيدٍ، فأسلمَ، وكان عمرٌو قد قال لقيس بن مَكشُوحٍ المُراديِّ حين انتَهى إليهم أمرُ رسول الله ﷺ: يا قيسُ، إنّك سيِّدُ قومِك، وقد ذُكِرَ لنا أنّ رجلاً من قُريشٍ يقال له: محمّدٌ، قد خرج بالحِجَاز يقال: إنّه نبيٌّ، فانطَلِقْ بنا إليه حتّى نعلمَ عِلمَه، فإن كان نبيّاً كما يقول، فإنّه لن يَخفَى عليك، إذا لَقِيناه اتّبَعناه، وإن كان غيرَ ذلك عَلِمْنا عِلمَه. فأَبَى عليه قيسٌ ذلك وسَفَّهَ رأيَه، فرَكِبَ عمرُو بن مَعدِي كَرِبَ حتّى قَدِمَ على رسول الله ﷺ فأسلمَ وصَدَّقَه وآمَنَ به.

فلمّا بَلَغَ ذلك قيسَ بن مَكشُوحٍ أَوعَدَ عَمراً وتَحطَّمَ عليه[1]، وقال: خالَفَني وتَرَكَ رأيي، فقال عمرو بن مَعدِي كَرِبَ في ذلك[2]:

أمَرتُــكَ يــومَ ذي صَــنعا ءَ أمــــراً باديـــاً رَشَـــدُهْ[3]

= وقد ذكر نحوه ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٦٩٧ عن هشام بن محمد الكلبيّ، عن أبي كبران المرادي، عن يحيى بن هانئ بن عروة المرادي مرسلاً. وهشامٌ ابن الكلبي ليس بثقة.

(١) تحطَّم عليه، أي: اشتدَّ عليه.

(٢) انظر «شعر عمرو» جمع مطاع الطرابيشي ص٨٧.

(٣) صنعاء: هي المدينة اليمانية المعروفة، وذو كالصِّلة عندهم في لغتهم، يريد: يوم صنعاء، قال الأزهري في «تهذيب اللغة» ١٥/ ٣٦: يقال: أتينا ذا يمنٍ، أي: أتينا اليمن، وسمعتُ غيرَ واحد من العرب يقول: كنّا بموضع كذا وكذا مع ذي عمرٍو، أي: كنا مع عمرٍو، وذو كالصِّلة عندهم.

أمَرتُــكَ باتّقــاءِ اللّـــ ـــهِ والمعـــروفِ تَتّعِــدُهْ[1]

خَرَجتَ مـن المُنَـى مِثـلَ الـ ـحُميِّـــرِ غَـــرَّه وَتِـــدُهْ[2]

تَمنّـــاني علـــى فَـــرَسٍ عليـــه جالســـاً أَسَـــدُهْ

علـــيَّ مُفَاضـــةٌ كالنِّهْـــ ـــيِ أخلَـصَ مـاءَه جَـدَدُهْ[3]

تَـرُدُّ الـرّمحَ مُنثَنـيَ السِّـ ـنـانِ عَـوائراً قِصَـــدُهْ[4]

فلـــو لاقَيتَنـــي لَلَقِيـــ ـــتَ ليثـــاً فوقَــه لِبَــدُهْ[5]

تُلاقــي شَـنبَثاً شَـثْنَ الـ ـبَـراثِنِ ناشـزاً كَتَـــدُهْ[6]

يُســامِي القِــرْنَ إنْ قِــرنٌ تَيَمَّمَـــهُ فيَعتَضِـــدُهْ[7]

فيأخُـــذُهُ فيَرفَعُـــهُ فيَخفِضُـــهُ فيَقتصِـــدُهْ[8]

فيَدمَغُـــهُ فيَحطِمُـــهُ فيَخضِـــمُهُ فيَـــزدَرِدُهْ[9]

---

(١) تتّعده، أي: تلتزمه.

(٢) هذا من المثل: عَيْرٌ عارَه وَتِدُه، ومعنى عارَه: أهلكه، وغرَّه بمعناه، وأصل المثل: أن رجلاً أشفق على حماره فربطه إلى وَتِدٍ، فهجم عليه السَّبُع فلم يمكنه الفِرار، فأهلكه ما احترس له به. انظر «مجمع الأمثال» للميداني ٢/ ١٣.

(٣) المُفاضة: الدرع الواسعة. والنِّهي: الغدير من الماء. والجَدَد: الأرض الصُّلبة.

(٤) عوائر: متطايرة. والقِصَد: جمع قِصْدة، وهي ما تَكسَّر من الرمح.

(٥) اللِّبَد: جمع لِبْدة، وهي ما على كتفي الأسد ورأسه من الشَّعر.

(٦) الشَّنبَث: الذي يتعلق بقِرْنه ولا يزايله. والشَّثن: الغليظ الأصابع. والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان. وناشز: مرتفع. والكَتَد: ما بين الكتفين.

(٧) يعتضده: يأخذه تحت عضده ليصرعه.

(٨) يقتصده، أي: يقتله.

(٩) يدمغه، أي: يصيب دماغه. ويحطمه: يكسره. ويخضمه: يأكله. ويزدرده: يبتلعه.

ظَلُـومُ الشِّـرْكِ فيمـا أَحْـ ـــرَزَتْ أنيابُـــهُ ويـــدُهْ[1]

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة:

أمَرتُـكَ يـومَ ذي صَـنعا ءَ أمـــراً بَيّنـــاً رَشَـــدُهْ

أمَرتُــكَ باتّقــاءِ اللّٰــ ـــهِ تأتيـــهِ وتَتّعِـــدُهْ

فكنـتَ كـذِي الحُميِّـرِ غَـرَّ هُ ممّـــا بـــه وَتِـــدُهْ

ولم يَعرِفْ سائرَها.

قال ابن إسحاق: فأقامَ عمرُو بن مَعدِي كَرِبَ في قومه من بني زُبَيدٍ وعليهم فَرْوةُ بن مُسَيكٍ، فلمّا تُوفّي رسولُ الله ﷺ ارتَدَّ عمرُو بن مَعدِي كَرِبَ، وقال حين ارتَدَّ[2]:

وَجَـدْنا مُلْـكَ فـروةَ شـرَّ مُلْـكٍ حِمـاراً سـافَ مَنخِـرُه بثَفْـرِ[3]

وكنـتَ إذا رأيـتَ أبـا عُمَيـرٍ تَرَى الحُوَلاءَ من خُبْثٍ وغَدْرِ[4]

قال ابن هشام: قولُه: بثَفْر، عن أبي عُبيدة.

قدومُ الأشعثِ بن قيسٍ في وفد كِنْدة

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ الأشعَثُ بن قيسٍ في وفد كِنْدةَ، فحدّثني الزُّهْريُّ ابنُ شِهابٍ: أنّه قَدِمَ على رسول الله ﷺ في ثمانينَ راكباً من كِندةَ، فدخلوا

---

(١) ظلوم الشِّرك، أي: لا يشرك معه أحداً في صيده.

(٢) انظر «شعر عمرو» ص١٢٣.

(٣) ساف: شمَّ. والثَّفْر في البهائم بمنزلة الرَّحِم من الإنسان.

(٤) أبو عمير: هو فروة بن مسيك. والحُوَلاء، بضم الحاء وكسرها: الجلدة التي يخرج فيها ولد الناقة.

على رسول الله ﷺ مسجدَه وقد رَجَّلُوا جُمَمَهم[١] وتَكَحَّلوا، وعليهم جُبَبُ الحِبَرةِ قد كَفَّفُوها بالحرير[٢]، فلمّا دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألمْ تُسلِمُوا؟» قالوا: بَلَى، قال: «فما بالُ هذا الحَريرِ في أَعناقِكُم؟!»، قال: فشَقُّوه منها فألقَوهُ.

ثمّ قال له الأشعثُ بن قيسٍ: يا رسولَ الله، نحنُ بنو آكلِ المُرَارِ[٣]، وأنت ابنُ آكلِ المُرَار، قال: فتَبسَّمَ رسولُ الله ﷺ وقال: «ناسِبُوا بهذا النَّسبِ العبّاسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ وربيعةَ بنَ الحارثِ»؛ وكان العبّاسُ وربيعةُ رجلين تاجرَينِ، فكانا إذا شاعا[٤] في بعض العرب فسُئِلا ممَّن هما، قالا: نحنُ بنو آكلِ المُرَار، يَتَعزَّزانِ بذلك، وذلك أنّ كِنْدَةَ كانوا ملوكاً، ثمّ قال لهم: «لا، بل نحنُ بنو النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ، لا نَقْفُو أُمَّنا[٥]، ولا نَنتَفي من أَبِينا»، فقال الأشعثُ بن قيسٍ: هل فَرَغتُم يا مَعشَرَ كِندةَ؟ واللهِ لا أسمَعُ رجلاً يقولها إلّا ضَرَبتُه ثمانينَ[٦].

---

(١) رجَّلوا: سرّحوا ومشّطوا. والجُمَم: جمع جُمّة، وهي مجتمع شعر الناصية الذي يصل إلى المنكبين.

(٢) الجُبَب: جمع جُبّة، نوع من الملابس، والحِبَرة وصفٌ لها، وهي من أنواع ثياب اليمن. وكفّفوها بالحرير، أي: نسجوا على أذيالها وأكمامها وجيوبها حواشيَ من الحرير.

(٣) المُرار: نبت إذا أكلته الإبل تقبّضت مَشافرُها (أي: شفاهها) لمرارته.

(٤) إذا شاعا، أي: وذهبا وبَعُدا.

(٥) لا نَقفُو أمَّنا، أي: لا نتبع أمَّنا في النسب، وإنما يتبع المرءُ نسبَ أبيه لا نسبَ أمّه، وذلك أن في بعض جَدّات النبي ﷺ من هي من كِندةَ كما قيل، على خلافٍ فيمن هي، انظر «الروض الأنف» للسهيليِّ ٧/ ٤٥٣.

(٦) إسناده بهذا السياق ضعيف لإرسال الزهريِّ إياه.

وأخرجه كذلك الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٣٨-١٣٩، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٧٠-٣٧١ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، عن الزهري، به. =

قال ابن هشام: الأشعثُ من ولدِ آكلِ المُرار من قِبَلِ النِّساء، وآكلُ المُرارِ الحارثُ بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مُرتِّع بن معاوية بن كِنْديٍّ، ويقال: كِنْدةُ، وإنّما سُمّي آكلَ المُرار لأنّ عمرَو بن الهَبُولةِ الغسّاني أغارَ عليهم وكان الحارثُ غائباً، فغَنِمَ وسَبَى، وكان فيمن سَبَى أمُّ أُناسٍ بنتُ عَوْف بن مُحلِّمٍ الشَّيباني امرأةُ الحارثِ بن عمرو، فقالت لعمرٍو في مَسِيرِه: لكأنّي برجلٍ أَدلمَ[1] أسوَدَ، كأنّ مَشافِرَه مشافرُ بعيرٍ آكلِ مُرَارٍ قد أخذَ برَقَبتِك؛ تعني الحارثَ، فسُمّي آكلَ المُرار، والمُرَارُ شجرٌ، ثمّ تَبِعَه الحارثُ في بني بكر بن وائلٍ ولَحِقَه فقتله، واستَنقَذَ امرأتَه وما كان أصاب.

فقال الحارثُ بن حِلِّزَة اليَشكُريّ لعمرو بن المنذِر، وهو عمرُو ابن هندٍ اللَّخميّ:

= ورواه معمر بن راشد في «جامعه» (١٩٩٥٢) عن الزهري مرسلاً أيضاً. وذكر فيه: أنهم قالوا للنبي ﷺ: أنتم بني عبد مَنافٍ منّا، أنتم بنو آكل المُرَار؛ حيّ من كِندةَ كان بينهم وبين بني عبد منافٍ خُلْطة في الجاهلية. قلنا: ولعلّ هذا من جهة المصاهَرة كما تقدم في التعليق السابق.

والشطر الثاني من الخبر روي نحوه من وجه آخر عن الأشعث بن قيس، فقد أخرجه أحمد (٢١٨٣٩) و(٢١٨٤٥)، وابن ماجه (٢٦١٢) من طرق عن حماد بن سلمة، عن عَقِيل بن طلحة، عن مسلم بن هَيصَم، عن الأشعث بن قيس قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفدٍ من كِندةَ لا يرون أني أفضلُهم، فقلت: يا رسول الله، إنا نزعمُ أنكم منّا، قال: «نحن بنو النَّضر بن كِنانة، لا نَقفُو أمَّنا، ولا ننتفي من أَبينا». قال: فكان الأشعث يقول: لا أُوتَى برجلٍ نَفَى قريشاً من النَّضر بن كِنانةَ إلا جلدته الحدَّ.

وهذا إسنادٌ حسنٌ، مسلم بن هيصم روى عنه جمع، وأخرج له مسلم، وذكره ابن حبان في «الثقات»، ولم يجرحه أحدٌ، فمثله يكون حسنَ الحديث إن شاء الله، وباقي رجاله ثقات.

(١) الأدلم: المسترخي الشفتين.

وأقْــدْناكَ رَبَّ غسّـــانَ بالمُنـــــذِرِ كَرْهـــاً إذ لا تُكــالُ الــدّماءُ[1]

لأنّ الحارثَ الأعرجَ الغسّاني قتل المُنذِرَ أباه، وهذا البيتُ في قصيدةٍ له. وهذا الحديثُ أطوَلُ ممّا ذكرتُ، وإنّما مَنَعني من استقصائه ما ذكرتُ من القَطْع[2].

ويقال: بل آكلُ المُرَار حُجْرُ بن عمرو بن معاوية، وهو صاحبُ هذا الحديث، وإنّما سُمّي آكلَ المُرَار، لأنّه أكل هو وأصحابُه في تلك الغزوة شجراً يقال له: المُرَار.

قدومُ صُرَد بن عبد الله الأزديّ

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ صُرَدُ بن عبدِ الله الأزديُّ، فأسلمَ وحَسُنَ إسلامُه في وفدٍ من الأَزْد، فأمَّرَه رسولُ الله ﷺ على مَن أسلمَ من قومه، وأمَرَه أن يُجاهِدَ بمن أسلمَ مَن كان يَلِيهِ من أهلِ الشِّرك من قبائل اليمن.

فخرج صُرَدُ بن عبدِ الله يسيرُ بأمرِ رسول الله ﷺ حتّى نَزَلَ بجُرَش[3]، وهي يومئذٍ مدينةٌ مُغلَقةٌ[4]، وبها قبائلُ من قبائلِ اليمن، وقد ضَوَتْ إليهم[5] خَثعَمُ، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بمَسِيرِ المسلمين إليهم، فحاصَرُوهم فيها قريباً من

(١) هذا البيت من معلّقته، انظر «ديوانه» جمع إميل يعقوب ص٣٥.
يقول: قتلنا لك مَلِكَ غسّان قَوَداً بالمنذر أبيك، وقوله: كَرهاً، يشير إلى شدّة القتال في ساحة الحرب، وقوله: إذ لا تُكال الدماء، يعني: لا تُحسَب، كناية عن كثرة القتلى في تلك الحرب.

(٢) أي: مخافة أن يقطع الكلام في أحداث السيرة.

(٣) جُرش الآن آثار وأطلال على مقربة من مدينة أَبْها جنوب الجزيرة العربية، وتبعد عنها جنوباً نحو ٣٠ كم، وسُمي بها قديماً مِخلافٌ (أي: إقليم) من مخاليف اليمن.

(٤) الظاهر أنه أراد أنها محاطة بسورٍ.

(٥) ضوت إليهم، أي: لجأت إليهم.

شهرٍ وامتَنَعوا فيها منه، ثمّ إنّه رجع عنهم قافلاً، حتّى إذا كان إلى جبلٍ لهم يقال له: شَكَرٌ، ظَنَّ أهلُ جُرَش أنه إنّما وَلَّى عنهم مُنهزِماً، فخرجوا في طَلَبِه، حتّى إذا أدرَكُوه عَطَفَ عليهم فقتلهم قتلاً شديداً.

وقد كان أهلُ جُرَش بَعَثُوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يَرتادانِ ويَنظُرانِ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عَشِيّةً بعدَ العصرِ إذ قال رسولُ الله ﷺ: «بأيِّ بلادِ الله شَكَرٌ؟» فقامَ الجُرَشيّانِ فقالا: يا رسولَ الله، ببلادِنا جبلٌ يقال له: كَشَرٌ، وكذلك يُسمّيه أهلُ جُرَش، فقال: «إنّه ليس بكَشَرٍ، ولكنَّه شَكَرٌ»، قالا: فما شأنُه يا رسولَ الله؟ قال: «إنَّ بُدْنَ اللهِ لتُنحَرُ عندَه الآنَ»، قال: فجَلَسَ الرّجُلانِ إلى أبي بكرٍ أو إلى عثمانَ، فقال لهما: وَيحَكما، إنّ رسولَ الله ﷺ الآن لَيَنعَى لكما قومَكما[1]، فقُومَا إلى رسول الله ﷺ فاسأَلاه أن يدعوَ اللهَ أن يَرفَعَ عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: «اللّٰهمَّ ارفَعْ عنهم»، فخَرَجا من عند رسول الله ﷺ راجعَينِ إلى قومِهما، فوَجَدا قومَهما أُصِيبوا يومَ أصابَهم صُرَدُ بن عبدِ الله في اليومِ الّذي قال فيه رسولُ الله ﷺ ما قال، وفي السّاعة التي ذَكَرَ فيها ما ذَكَر.

فخرج وفدُ جُرَشَ حتّى قَدِموا على رسول الله ﷺ فأسلَموا، وحَمَى لهم حِمًى حولَ قريتِهم على أعلامٍ معلومةٍ للفَرَسِ والرّاحلةِ وللمُثِيرةِ بَقَرةِ الحَرْثِ فمَن رَعَاه من الناس فمالُه سُحْتٌ[2].

---

(١) أي: يخبركما بقتلهم.

(٢) وروى هذا الخبر عن ابن إسحاق أيضاً غير مسنَدٍ إبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٨٧٥)، ويونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٧٢، فهو مُعضَل ضعيف.

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٣٠ عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن =

فقال في تلك الغزوة رجلٌ من الأزدِ، وكانت خَثعَمُ تُصِيبُ من الأزد في الجاهليّة وكانوا يَعدُون[1] في الشَّهر الحرام:

يا غزوةً ما غَزَونا غيرَ خائبةٍ   فيها البِغالُ وفيها الخيلُ والحُمُرُ
حتّى أَتينا حُمَيراً في مَصانعِها   وجَمْعَ خَثعَمَ قد شاعَت لها النُّذُرُ[2]
إذا وَضَعتُ غَلِيلاً كنتُ أحمِلُه   فما أُبالي أَدانُوا بعدُ أم كَفَروا[3]

قدومُ رسول ملوك حِميَر بكتابهم

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حِميَر مَقدَمَه من تَبُوك، ورسولُهم إليه بإسلامهم: الحارثُ بن عبدِ كُلَالٍ ونُعَيمُ بن عبدِ كُلَالٍ والنُّعمانُ قَيْلُ[4] ذي رُعَينٍ ومَعافِرَ وهَمْدانَ، وبَعَثَ إليه زُرْعةُ ذو يَزَنٍ مالكَ بنَ مُرَّة الرَّهَاويَّ بإسلامِهم ومُفارَقتِهم الشِّركَ وأهلَه.

= أبي بكر بن حزم الأنصاري مرسلاً، فهو ضعيف لإرساله.

وقد رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٩١ عن شيخه محمد بن عمر الواقديّ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير الكعبي، عن منير بن عبد الله الأزدي قال: قدم صرد بن عبد الله... وذكره. وشيخ الواقدي وشيخه لا يعرفان، والواقدي متكلَّم فيه.

(١) يعدون، أي: يعتدون.

(٢) حُمَير: أراد تصغير حِميَر وصرفها في ضرورة الشِّعر وإن كان اسم قبيلة، فصغَّرها فقال: حُميِّراً، ثم خفَّف بأن حذف إحدى الياءين فقال: حُمَيْراً، قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٤٤- ٤٤٥، ويُروى: خُمير، بالخاء، وعدَّه الخشنيُّ تصحيفاً. والمصانع: مواضع تصنع لحبس الماء بالحجارة. وشاعت: ذاعت وانتشرت، ويروى: ساغت، أي: سَهُلَت. والنُّذر: جمع نذير.

(٣) الغَليل: حرارة في الجوف وأصلها حرارة العطش، هكذا فسَّره الخشنيُّ! ودانوا، أي: خضعوا للدِّين.

(٤) القَيْل: الملك من ملوك حِميَر باليمن.

فكتب إليهم رسولُ الله ﷺ[1]:

«بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم، من محمّدٍ رسولِ الله النبيِّ إلى الحارثِ بن عبد كُلالٍ، وإلى نُعَيمِ بن عبد كُلالٍ، وإلى النُّعمانِ قَيْلِ ذي رُعَينٍ ومَعافِرَ وهَمْدانَ، أمّا بعدَ ذٰلكم، فإنّي أَحمَدُ إليكم اللهَ الّذي لا إلهَ إلّا هو.

أمّا بعدُ، فإنّه قد وَقَعَ بنا رسولُكم مُنقَلَبَنا من أرضِ الرُّومِ فلَقِيَنا بالمدينةِ، فبَلَّغَ ما أَرسَلتُم به وخَبَّرَ ما قِبَلَكم وأنبأَنا بإسلامِكم وقتلِكم المشركينَ، وأنّ اللهَ قد هَدَاكم بهُدَاه إن أصلَحتُم وأطَعتُم اللهَ ورسولَه وأقَمتُم الصّلاةَ وآتَيتُم الزّكاةَ وأعطَيتُم من المَغانمِ خُمُسَ الله وسَهْمَ النبيِّ وصَفِيَّه[2]، وما كُتِبَ على المؤمنينَ من الصَّدَقةِ

(١) هذا الكتاب لم يسنده ابن إسحاق فيما رواه عنه زياد البكّائي كما عند ابن هشام هنا وعند يحيى بن آدم في «الخراج» (٣٨٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (٧٩)، ولا إبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٠٩٠)، ولا يونسُ بن بكير عند البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٤٠٧-٤٠٨.

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٢٠-١٢١ عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر بن حزم الأنصاري مرسلاً.

ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» أيضاً (٣٠٩٠) بإسناد مسلسل بالمجاهيل عن زرعة ذي يزن.

ويشهد لأصل الخبر في كتابة النبي ﷺ إلى أهل اليمن بذلك حديثُ موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: كتب النبيُّ ﷺ إلى أهل اليمن إلى الحارث بن عبد كُلال ومن معه من أهل اليمن من معافر وهمدان: أنّ على المؤمنين من صدقة أموالهم عشورَ ما سقت العينُ، وسقت السماء العُشر، وعلى ما يسقى بالغَرْب نصف العُشر.

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٤٥، والدارقطني في «السنن» (٢٠٣٦)، وإسناده صحيح.

(٢) الصَّفِي: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تُقسَم المغانم.

من العَقَارِ[1] عُشرَ ما سَقَتِ العَينُ وسَقَتِ السماءُ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ[2] نصفُ العُشرِ، وأنّ في الإبلِ الأربعينَ ابنةَ لَبُونٍ وفي ثلاثينَ من الإبلِ ابنُ لَبُونٍ ذكرٌ[3]، وفي كلِّ خمسٍ من الإبلِ شاةٌ، وفي كلِّ عَشرٍ من الإبلِ شاتانِ، وفي كلِّ أربعينَ من البقرِ بقرةٌ، وفي كلِّ ثلاثينَ من البقرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعةٌ[4]، وفي كلِّ أربعينَ من الغنمِ سائمةً[5] وحدَها شاةٌ، وأنَّها فريضةُ الله التي فَرَضَ على المؤمنينَ في الصَّدَقةِ، فمَن زادَ خيراً فهو خيرٌ له، ومَن أَدَّى ذلك وأشهَدَ على إسلامِه، وظاهَرَ المؤمنينَ[6] على المشركينَ فإنّه من المؤمنينَ، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذِمّةُ الله وذِمّةُ رسوله، وإنّه مَن أسلَمَ من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ فإنّه من المؤمنينَ، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومَن كان على يهوديّتِه أو نصرانيّتِه فإنّه لا يُرَدُّ عنها وعليه الجِزْيةُ، على كلِّ حالِمٍ ذكرٍ أو أُنثى، حُرٍّ أو عبدٍ، دينارٌ وافٍ من قيمةِ المَعافِرِ أو عِوَضُه ثياباً[7]، فمَن أَدَّى

---

(١) العَقَار هنا: الأرض المزروعة.

(٢) الغَرْب: الدَّلو العظيمة.

(٣) ابن اللبون وابنة اللبون من الإبل: ما أَتى عليه سنتان ودخل في الثالثة فصارت أمُّه لَبُوناً، أي: ذات لبن؛ لأنها تكون قد حملت حملاً آخر ووضعته.

وقوله: «ابن لبون ذكر» وقد علم أن ابن اللبون لا يكون إلا ذكراً، وإنما ذكره تأكيداً. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(٤) التَّبيع: ولد البقرة في أوّل سنة. والجَذَع: الشابّ الفتيّ.

(٥) السائمة: الراعية.

(٦) أي: عاوَنَهم وقوّاهم.

(٧) كذا وقع في هذه الرواية: دينارٌ وافٍ من قيمة المعافر أو عِوَضُه ثياباً، والعبارة فيها تشويش، والصواب كما صحَّ من حديث معاذ بن جبل فيما أخرجه أحمد (٢٢٠١٣) و(٢٢٠٣٧) وأبو داود (١٥٧٦) والترمذي (٦٢٣) وغيرهم: أن النبي ﷺ لمّا وجَّهه إلى اليمن أمره أن يأخذ =

ذلك إلى رسولِ الله فإنّ له ذِمّةَ اللهِ وذِمّةَ رسولِه، ومَن مَنَعَه فإنّه عدوٌّ لله ولرسولِه.

أمّا بعدُ، فإنَّ رسولَ الله محمّداً النبيَّ أرسَلَ إلى زُرْعةَ ذي يَزَنٍ أنْ إذا أتاكم رُسُلي فأُوصِيكم بهم خيراً: معاذُ بن جَبَلٍ، وعبدُ الله بن زيدٍ، ومالكُ بن عُبَادةَ، وعُقْبةُ بن نَمِرٍ، ومالكُ بن مُرَّةَ، وأصحابُهم، وأنِ اجمَعُوا ما عندكم من الصَّدَقةِ والجِزْيةِ من مَخَاليفِكم[1] وأَبلِغُوها رُسُلي، وإنّ أميرَهم معاذُ بن جَبَلٍ، فلا يَنقَلِبَنَّ إلّا راضياً.

أمّا بعدُ، فإنَّ محمّداً يَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله وأنّه عبدُه ورسولُه، ثمّ إنَّ مالكَ بن مُرَّة الرَّهَاويَّ قد حدَّثني أنّك أسلَمْتَ من أوَّلِ حِميَر، وقَتَلتَ المشركينَ، فأبشِرْ بخيرٍ وآمُرُك بحِمْيَر خيراً، ولا تَخُونوا ولا تَخَاذَلوا، فإنَّ رسولَ الله هو مَوْلى غَنيِّكم وفَقيرِكم، وإنّ الصَّدَقةَ لا تَحِلُّ لمحمّدٍ ولا لأهلِ بيتِه، إنّما هي زَكاةٌ يُزَكّى بها على فُقَراءِ المسلمينَ وابنِ السَّبيلِ، وإنّ مالكاً قد بَلَّغَ الخَبَرَ، وحَفِظَ الغَيبَ، وآمُرُكم به خيراً، وإنّي قد أرسَلتُ إليكم من صالِحِي أَهلي وأُولي دِينِهم وأُولي عِلمِهم، وآمُرُكم بهم خيراً، فإنّه مَنظُورٌ إليهم، والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه».

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ أنه حُدِّثَ: أنّ رسولَ الله ﷺ حين بَعَثَ معاذاً أَوصاه وعَهِدَ إليه ثمّ قال: «يَسِّرْ ولا تُعسِّرْ، وبَشِّرْ ولا تُنفِّرْ، وإنّك ستَقدَمُ على قومٍ من أهلِ الكتابِ يَسألُونَك ما مِفتاحُ الجنّةِ، فقل: شهادةُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شَريكَ له».

= من كل حالمٍ ـ يعني محتلِماً ـ ديناراً أو عَدْلَه من المَعافر.

والمعافر: ثياب من ثياب اليمن.

(١) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(ط) و(غ) و(ق٢)، وهو الصواب، وتحرّف في (ت) و(ص) و(ف) و(م) و(ي) إلى: مُخالِفيكم، من المخالَفة، وأما المَخالِيف: فهو جمع مِخلاف، وهو الكُورة أو الإقليم.

قال: فخرج معاذٌ حتّى إذا قَدِمَ اليمنَ قامَ بما أمَرَه به رسولُ الله ﷺ، فأتته امرأةٌ من أهلِ اليمن فقالت: يا صاحبَ رسولِ الله، ما حقُّ زوجِ المرأةِ عليها؟ قال: وَيحَكِ، إنّ المرأةَ لا تَقدِرُ على أن تُؤدِّيَ حقَّ زوجِها، فاجهَدِي نفسَكِ في أَداءِ حقِّه ما استطَعتِ، قالت: والله لئن كنتَ صاحبَ رسولِ الله، إنّك لتَعلَمُ ما حقُّ الزَّوج[1]، قال: وَيحَكِ، لو رَجَعتِ إليه فوَجَدتِه تَنثَعِبُ مَنخِراهُ[2] قَيحاً ودماً، فمَصَصتِ ذلك حتّى تُذهِبيهِ، ما أدَّيتِ حقَّه[3].

---

(١) زاد في (ش١) و(غ): على المرأة.

(٢) تنثعب منخراه، أي: تسيل.

(٣) إسناده ضعيف لإرساله، فعبد الله بن أبي بكر ـ وهو ابن حزم الأنصاري ـ من صغار التابعين.

لكن أوله روي في معناه ما يُغني عنه، فقد أخرج البخاري (٣٠٣٨) ومسلم (١٧٣٣) من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، فقال: «يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوَعا ولا تختلفا».

وأخرج أحمد (٢٠٧١)، والبخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس: أن النبيَّ ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهلَ كتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تُؤخَذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائمَ أموالهم، واتّقِ دعوةَ المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حِجابٌ».

وأما الشطر الثاني في حقّ الزوج، فيشهد لمعناه حديثُ أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل بابنة له إلى النبي ﷺ فقال: هذه ابنتي أبَتْ أن تتزوّج، فقال: «أَطِيعي أباك» فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج حتى تخبرني ما حقُّ الزوج على زوجته، فقال: «حقُّ الزوج على زوجته لو كانت به قَرْحةٌ فلَحَسَتْها، ما أدَّتْ حقَّه» فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبداً، فقال: «لا =

إسلام فَرْوة بن عمرو الجُذَاميّ

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ فروةُ بن عمرو بن النّافرةِ الجُذَاميُّ ثمّ النُّفَاثيُّ إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأَهدى له بغلةً بيضاءَ[1]، وكان فروةُ عاملاً للرُّومِ على مَن يَلِيهم من العرب، وكان مَنزِلُه مَعَانَ[2] وما حولَها من أرض الشّام.

فلمّا بَلَغَ الرُّومَ ذلك من إسلامه طَلَبوه حتّى أَخذوه فحَبَسُوه عندهم، فقال في مَحبِسِه ذلك:

طَرَقَت سُلَيمى مَوهِناً أصحابي ... والرُّومُ بين البابِ والقِرْوانِ[3]

= تُنكِحوهن إلا بإذْنهنّ». أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٣٦٥)، وابن حبان (٤١٦٤)، والحاكم (٢٨٠٢)، وجوّد إسنادَه الحافظ المنذريُّ في «الترغيب والترهيب».

(١) وكان إسلام فروة هذا قبل فتح مكة، فقد ذكر العباس بن عبد المطَّلِب في حديثه عن قصة حُنين فيما أخرجه أحمد (١٧٧٥) ومسلم (١٧٧٥) وغيرهما: أن النبي ﷺ كان يومَها على بغلته التي أهداها له فروةُ الجُذاميُّ.

وقد أسند قصةَ فروة بسياق ابن إسحاق هنا أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٦٥٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٧١، من طريق محمد بن إسماعيل بن جعفر الجعفري، عن عبد الله بن سلمة الرَّبَعي، عن ابن شهاب الزُّهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس. لكن الجعفري والرَّبعي كلاهما قيل فيه: منكر الحديث، كما في «لسان الميزان» لابن حجر ٤/ ٤٨٩ و٦/ ٥٦٨.

(٢) هي مدينة جنوب الأردن، تبعد عن مدينة عمّان قرابة ٢٠٠ كم.

(٣) المَوهِن ـ بفتح الميم وكسر الهاء كما نصَّ على ذلك الفارابيّ في «معجم ديوان الأدب» ٣/ ٢٢٦، والحِميَريّ في «شمس العلوم» ١١/ ٧٣٠٧، وانفرد الزَّبيديّ في «تاج العروس» فقيّدها بضمّ الميم ـ: نحوٌ من نصف الليل.

والقِرْوان: ذكر السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٥١-٤٥٢ أنه يجوز أن يكون جمع قَرْوٍ، وأصحُّ =

صَــدَّ الخَيــالُ وســاءَه مــا قــد رأَى ... وهَمَمــتُ أن أُغفِــيْ وقــد أبكــاني[1]

لا تَكحُلِــنَّ العَــينَ بعــدي إثمِــداً ... ســـلمى ولا تَـــدنِنَّ للإتيـــانِ[2]

ولقــد عَلِمــتَ أبــا كُبَيشــةَ أنّنــي ... وَسْــطَ الأعِــزّةِ لا يُحَــصُّ لســاني[3]

فلــئِنْ هَلَكــتُ لتَفقِــدُنَّ أخــاكمُ ... ولــئِنْ بَقِيــتُ لتَعــرِفُنَّ مكــاني

ولقد جَمَعتُ أجَلَّ ما جَمَعَ الفتى ... مــن جَــودةٍ وشــجاعةٍ وبَيــانِ

فلمّا أجمَعَت الرُّومُ لصَلْبِه على ماءٍ لهم يقال له: عِفْرا[4] بفِلَسطِينَ، قال:

ألا هــل أَتــى ســلمى بــأنّ حَلِيلَهــا ... على ماءِ عِفْرا فوقَ إحدى الرَّواحِلِ[5]

علـى ناقـةٍ لـم يَضـرِبِ الفَحْـلُ أُمَّهـا ... مُشـــذَّبةٍ أطرافُهـــا بالمَناجِـــلِ[6]

فزَعَمَ الزُّهْريُّ ابنُ شِهابٍ: أنّهم لمّا قَدّمُوه ليَقتُلوه قال:

بَلِّــغْ سَــرَاةَ المســلمينَ بــأنّني ... سِــلْمٌ لرَبّــي أعظُمــي ومَقَــامي[7]

= ما قيل في القَرْو أنه حُوَيض من خشب تسقى فيه الدواب، وتَلِغُ فيه الكلاب.

(١) صدَّ الخيالُ، أي: أعرضَ. وأُغفي: أنام نوماً خفيفاً.

(٢) الإثمد: نوع من الكُحل.

(٣) لا يُحَص: لا يقطع.

(٤) هكذا هو مقيَّد في نسخنا الخطية بكسر العين مقصوراً، وكذا قيَّده ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ١٣١ ولم ينقل فيه إلا ما ذكره ابن إسحاق هنا.

(٥) الحليل: الزوج.

والرَّواحل في الأصل: الإبل التي يُرحَل عليها، لكن أراد هنا بإحدى الرواحل: الخشبة التي صَلَبوه عليها، وشبّهها بالراحلة التي هي الناقة، والمعنى أنه محمول على راحلة لم تولد من ناقة، وهي الخشبة التي صُلب عليها.

(٦) المشذَّبة: التي أزيلت أغصانها. والمناجل: جمع مِنجَل، وهي آلة حادّة يُقطَع بها الزرع.

(٧) سَرَاة المسلمين، أي: أشرافهم. وسِلم، أي: مسالمٌ مسلمٌ.

ثمّ ضربوا عُنُقَه وصَلَبوه على ذلك الماءِ[1].

إسلام بني الحارث بن كعبٍ
على يدَي خالد بن الوليد لمّا سار إليهم

قال ابن إسحاق[2]: ثمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليدِ في شهر ربيعِ الآخرِ أو جُمادَى الأولى سنةَ عشرٍ[3] إلى بني الحارثِ بن كعبٍ بنَجْرانَ، وأمَرَه أن يَدعُوَهم إلى الإسلام قبلَ أن يُقاتِلَهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبَلْ منهم وإن لم يفعلوا فقاتِلْهم.

فخرج خالدٌ حتّى قَدِمَ عليهم، فبَعَثَ الرُّكبانَ يَضرِبون في كلِّ وجهٍ ويَدعُون إلى الإسلام ويقولون: أيّها النّاسُ، أَسلِموا تَسلَموا، فأسلَمَ النّاسُ ودخلوا فيما دُعُوا إليه، فأقامَ فيهم خالدٌ يُعلِّمُهم الإسلامَ وكتابَ الله وسنّةَ نبيِّه ﷺ، وبذلك كان أمَرَه

---

(١) وذكر ابن عساكر في «تاريخه» ٤٨/ ٢٧٠: أن استشهاده كان في أيام النبيّ ﷺ.

(٢) هكذا لم يسنده ابن إسحاق في رواية زياد البكّائي عنه هنا، وكذا يونسُ بن بكير عنه عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٤١١-٤١٢ وابن عساكر في «تاريخه» ٦٥/ ٢٩٧-٢٩٨.

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٢٦-١٢٨ عن ابن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي بكر بن حزم الأنصاري مرسلاً. فهذا الإسناد - إن كان محفوظاً - ضعيف لإرساله.

(٣) وروى ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٩٢ عن شيخه محمد بن عمر الواقدي بإسناده إلى عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي مرسلاً قصةَ سرية خالد إلى بني الحارث وقدوم وفدهم معه إلى رسول الله ﷺ مختصرةً، وفيه: أن تعداد سرية خالد كان أربع مئة، وأنها كانت في شهر ربيع الأول.

وأما نجران، فهي مدينة جنوب الجزيرة العربية على حدود اليمن تقع جنوب شرق مدينة أَبْها على بعد ٢٠٠ كم تقريباً، وتقع في الشمال من صنعاء على بعد ٢٥٠ كم تقريباً. ومن أهمّ آثار هذه المدينة الأُخدود المذكور في سورة البروج.

رسولُ الله ﷺ إن هم أَسلَموا ولم يُقاتِلوا.

ثمّ كَتَبَ خالدُ بن الوليد إلى رسول الله ﷺ:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، لمحمدٍ النبيِّ رسولِ الله من خالدِ بن الوليد، السلامُ عليك يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاتُه، فإنّي أَحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إلهَ إلّا هو، أمّا بعدُ يا رسولَ الله صلَّى الله عليك، فإنّك بَعَثتَني إلى بني الحارثِ بن كعبٍ وأمَرتَني إذا أتيتُهم ألّا أُقاتِلَهم ثلاثةَ أيّامٍ وأن أدعُوَهم إلى الإسلام، فإن أسلَموا قَبِلتُ منهم[1] وعلَّمتُهم مَعالمَ الإسلام وكتابَ الله وسُنّةَ نبيِّه، وإن لم يُسلِموا قاتَلتُهم.

وإنّي قَدِمتُ عليهم فدَعَوتُهم إلى الإسلامِ ثلاثةَ أيّامٍ كما أمَرَني رسولُ الله، وبَعَثتُ فيهم رُكْباناً: يا بني الحارثِ أَسلِموا تَسلَموا، فأسلَموا ولم يُقاتِلوا، وأنا مُقيمٌ بين أظهُرِهم آمُرُهم بما أمَرَهم الله به، وأَنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، وأُعلِّمُهم مَعالمَ الإسلام وسُنّةَ النبيِّ ﷺ حتّى يَكتُبَ إليَّ رسولُ الله، والسلامُ عليك يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاتُه.

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، من محمّدٍ النبيِّ رسولِ الله إلى خالد بن الوليد، سلامٌ عليك، فإنّي أَحمَدُ إليك اللهَ الّذي لا إلهَ إلّا هو، أمّا بعدُ، فإنَّ كتابَك جاءَني مع رُسُلِك[2] تُخبِرُ أنّ بني الحارثِ بن كعبٍ قد أسلَمُوا قبلَ أن تُقاتِلَهم، وأجابوا إلى ما دَعَوتَهم إليه من الإسلام، وشَهِدوا أن لا إلهَ إلّا اللهُ وأنّ محمّداً عبدُ الله ورسولُه، وأنْ قد هَدَاهم الله بهُدَاه، فبَشِّرْهم وأَنذِرهُم، وأَقبِلْ وليُقبِلْ معك وَفْدُهم، والسلامُ

---

(١) في نسخة على حاشية (ش٢): فإن أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم.

(٢) في (غ): رسولك.

عليك ورحمةُ الله وبركاتُه».

فأقبَلَ خالدٌ إلى رسول الله ﷺ وأقبَلَ معه وفدُ بني الحارثِ بن كعبٍ، منهم قيسُ بن الحُصَين ذي الغُصّة[1] ويزيدُ بن عبد المَدَان ويزيدُ بن المُحجَّل وعبدُ الله ابن قُرادٍ الزِّياديّ[2] وشدّادُ بن عبد الله القَنَانيّ وعمرُو بن عبد الله الضِّبَابيّ.

فلمّا قَدِموا على رسول الله ﷺ فرآهم قال: «مَن هؤُلاءِ القومُ الّذينَ كأنَّهم رجالُ الهِنْدِ؟» قيلَ: يا رسولَ الله، هؤلاءِ بنو الحارثِ بن كعبٍ، فلمّا وَقَفُوا على رسول الله ﷺ سَلَّموا عليه وقالوا: نَشهَدُ أنّك لرسولُ الله، وأنَّه لا إلهَ إلّا الله، قال رسولُ الله ﷺ: «وأنا أَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله وأنّي رسولُ الله»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «أنتم الّذينَ إذا زُجِرُوا استَقدَمُوا؟»[3]، فسَكَتوا، فلم يُراجِعْه منهم أحدٌ، ثمّ أعادَها الثّانيةَ فلم يُراجِعْه منهم أحدٌ، ثمّ أعادَها الثّالثةَ فلم يُراجِعْه منهم أحدٌ، ثمّ أعادَها الرّابعةَ فقال يزيدُ بن عبد المَدَانِ: نَعَم يا رسولَ الله، نحن الّذين إذا زُجِروا استَقدَموا، قالها أربعَ مِرَارٍ، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ خالداً لم يَكتُبْ إليَّ أنّكم أسلَمتُم ولم تُقاتِلوا، لَألقَيتُ رُؤُوسَكم تحتَ أقدامِكُم» فقال يزيدُ بن عبد المَدَانِ: أمَا والله ما

(١) ذكر الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٤٦: أنه وقع في الرواية هنا ذو الغصة وذي الغصة، بالرفع والخفض، والصواب: ذي الغصة، بالخفض، لأنه نعتٌ للحُصين لا لقيس.

وإنما قيل له: ذو الغُصّة، لغصّة كانت في حَلْقه لا يكاد يَبِينُ منها. قاله السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٥٣.

(٢) في بعض النسخ: الزَّبادي، بباء وزاي مفتوحة، والصواب: الزِّيادي، بياء وزاي مكسورة كما قال الخشنيُّ.

(٣) استقدموا، أي: تقدَّموا، وكأن المعنى هنا: إذا نُهوا عن شيء لا يَنتهُون، بل يُقدِمون عليه لجسارتهم.

حَمِدْناك ولا حَمِدْنا خالداً، قال: «فمَن حَمِدتُم؟» قالوا: حَمِدْنا الله الذي هَدَانا بك يا رسولَ الله، قال: «صَدَقتُم».

ثمّ قال رسولُ الله ﷺ: «بمَ كنتُم تَغلِبونَ مَن قاتَلَكم في الجاهليَّةِ؟» قالوا: لم نكن نَغلِبُ أحداً، قال: «بَلَى، قد كنتُم تَغلِبونَ مَن قاتَلَكم» قالوا: كنّا نَغلِبُ مَن قاتَلَنا يا رسولَ الله أنّا كنّا نَجتَمِعُ ولا نَتَفرّقُ، ولا نَبدَأُ أحداً بظُلمٍ، قال: «صَدَقتُم».

وأمَّرَ رسولُ الله ﷺ على بني الحارثِ بن كعبٍ قيسَ بن الحُصَين.

فرجع وفدُ بني الحارثِ إلى قومِهم في بقيّةٍ من شوّالٍ أو في صدرِ ذي القَعْدة، فلم يَمكُثوا بعدَ أن رجعوا إلى قومِهم إلّا أربعةَ أشهُرٍ حتّى تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ.

وقد كان رسولُ الله ﷺ بَعَثَ إليهم بعدَ أن وَلّى وفدُهم عمرَو بن حَزْمٍ، ليُفقّهَهم في الدّين ويُعلّمَهم السُّنّةَ ومَعالمَ الإسلام، ويأخُذَ منهم صَدَقاتِهم، وكتب له كتاباً عَهِدَ إليه فيه عَهْدَه، وأمَرَه فيه بأمرِه[1]:

---

(١) أسنده يونس بن بكير عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٥/ ٤٧٧-٤٧٩ عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزمٍ حين بعثه إلى اليمن يفقّه أهلها ويعلّمهم السنّة ويأخذ صدقاتِهم، فكتب له كتاباً... فذكره. وعبد الله وأبوه ثقتان، إلا أن أبا بكر بن محمد من صغار التابعين، وروايته عن جدّه عمرو بن حزم مرسلة، إلا أن روايته لهذا الحديث في حكم الموصول، فالكتاب الذي يشير إليه أبو بكر موجود عندهم، وهذه الوِجادة من طرق التحمل الدالّة على الاتصال في عُرف علماء الحديث.

وقد قال الأستاذ الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على كتاب «الخراج» ليحيى بن آدم (٣٨١): كتاب عمرو بن حزم هذا من أجلِّ الكتب في العُقول والدِّيات والصدقات، وهو مشهور شهرةً تُغْنيه عن الإسناد كما قال الشافعي، وقد اجتهد الحاكم أبو عبد الله في «المستدرك» في تصحيح إسناده وذكره مطوّلاً (١٤٦١-١٤٦٢ طبعة دار الرسالة)، وله روايات وألفاظ كثيرة =

«بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم: هذا بَيانٌ من اللهِ ورسولِه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، عهدٌ من محمّدٍ النبيِّ رسولِ الله لعمرِو بن حَزْمٍ حين بَعَثَه إلى اليمن، أمَرَه بتقوى الله في أمرِه كلِّه، فإنَّ الله مع الّذينَ اتّقَوا والّذين هم مُحسِنون، وأمَرَه أن يأخُذَ بالحقِّ كما أمَرَه الله، وأن يُبشِّرَ الناسَ بالخير ويأمُرَهم به، ويُعلِّمَ الناسَ القرآنَ ويُفقِّهَهم فيه.

ويَنهَى الناسَ فلا يَمَسُّ القرآنَ إنسانٌ إلّا وهو طاهرٌ، ويُخبِرَ الناسَ بالّذي لهم والّذي عليهم، ويَلِينَ للناسِ في الحقِّ ويَشتَدَّ عليهم في الظُّلم، فإنَّ الله كَرِهَ الظُّلمَ ونَهَى عنه فقال: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]، ويُبشِّرَ الناسَ بالجنّةِ وبعَمَلِها، ويُنذِرَ الناسَ النارَ وعَمَلَها.

ويَستألِفَ الناسَ حتّى يَفقَهُوا في الدِّين، ويُعلِّمَ الناسَ مَعالمَ الحجِّ وسُنّتَه وفَرِيضتَه وما أمَرَ الله به، والحجُّ الأكبر الحجُّ الأكبر، والحجُّ الأصغرُ هو العُمْرة.

ويَنهَى الناسَ أن يُصلّيَ أحدٌ في ثوبٍ واحدٍ صغيرٍ إلّا أن يكون ثوباً يَثْني طَرَفَيه على عاتِقَيه، ويَنهَى الناسَ أن يَحتَبيَ أحدٌ في ثوبٍ واحدٍ يُفْضي بفَرْجِه[1] إلى السماء،

= وشواهد تقوِّيه. اهـ

ورواه سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٢٨-١٢٩ عن ابن إسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر مرسلاً.

وأخرجه ابن عساكر ٤٥/ ٤٧٩-٤٨١ من طريق عَتيق بن يعقوب، عن عبد الملك بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الحَزْمي، عن أبيه، عن جدّه، عن عمرو بن حزم، وذكر الكتاب بطوله. فإن كان إسناد ابن عساكر هذا محفوظاً، فهو إسناد متصلٌ حسنٌ لا بأس برجاله.

وانظر «صحيح ابن حبان» (٦٥٥٩) و«المستدرك» (١٤٦١-١٤٦٢) والتعليق عليهما.

(١) أي: يكشفه من غير ساتر. =

ويَنهَى فلا يَعقِصَ[1] أحدٌ شعرَ رأسِه في قَفَاه.

ويَنهَى إذا كان بين الناسِ هَيْجٌ[2] عن الدُّعاءِ إلى القبائلِ والعشائرِ، وليكن دَعْواهم إلى الله وحدَه لا شريكَ له، فمَن لم يَدْعُ إلى الله ودعا إلى القبائلِ والعشائرِ، فليُقطَفُوا بالسّيفِ[3] حتّى تكونَ دَعْواهم إلى الله وحدَه لا شريكَ له.

ويأمُرَ الناسَ بإسباغِ الوُضوءِ وُجوهَهم وأيديَهم إلى المَرافقِ، وأرجُلَهم إلى الكعبَينِ، ويَمسَحُون برؤوسِهم كما أمَرَهم الله، وأمَرَ بالصّلاة لوقتِها، وإتمامِ الرُّكوعِ والخُشوعِ[4]، يُغلِّسُ بالصّبحِ، ويُهجِّرُ بالهاجِرة[5] حين تَمِيلُ الشّمسُ، وصلاةُ العصرِ والشّمسُ في الأرضِ مُدبِرةٌ، والمغربُ حين يُقبِلُ الليلُ لا يُؤخَّرُ حتّى تَبدُوَ النّجومُ في السماء، والعِشاءُ أوّلُ الليل، وأَمَرَ بالسَّعْي إلى الجُمُعة إذا نُودِيَ لها، والغُسلِ عند الرَّوَاحِ إليها.

وآمرُه أن يأخُذَ من المغانمِ خُمسَ الله، وما كَتَبَ على المؤمنين في الصَّدَقة من

= والاحتباء: هو أن يضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشدّه عليهما، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب.

وإنما نهى عنه لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد، ربما تحرَّك أو زال الثوب فتبدو عورتُه. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(١) في (ش١) و(غ) و(ف): وينهى أن لا يعقص.

والعَقْص: ليُّ الشَّعر وإدخال أطرافه في أصوله.

(٢) أراد بالهَيْج هنا: الفتنة بين الناس التي تؤدّي إلى الحرب بينهم.

(٣) أي: يُخدَشوا به ترهيباً لهم، يقال: قَطَفَ فلاناً، إذا خَدَشَه بشيء.

(٤) في طبعة السقا وصاحبيه: الركوع والسجود والخشوع.

(٥) الغَلَس: ظُلمة آخر الليل إذا اختلطت بضَوْء الصباح. والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ، وأراد بها هنا صلاة الظهر.

العَقَارِ[1] عُشرَ ما سَقَتِ العَينُ وسَقَتِ السماءُ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ[2] نصفُ العُشر، وفي كلِّ عَشرٍ من الإبلِ شاتانِ، وفي كلِّ عشرينَ أربعُ شِياهٍ، وفي كلِّ أربعينَ من البقرِ بقرةٌ، وفي كلِّ ثلاثينَ من البقرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعةٌ[3]، وفي كلِّ أربعينَ من الغنمِ سائمةً وحدَها[4] شاةٌ، فإنّها فريضةُ الله التي افتَرَضَ على المؤمنينَ في الصَّدَقة، فمَن زادَ خيراً فهو خيرٌ له.

وإنّه مَن أسلَمَ من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ إسلاماً خالصاً من نفسه ودانَ بدينِ الإسلام فإنّه من المؤمنين، له مِثلُ ما لهم وعليه مِثلُ ما عليهم، ومَن كان على نصرانيّتِه أو يهوديّتِه فإنّه لا يُرَدُّ عنها، وعلى كلِّ حالمٍ ذكرٍ أو أُنثَى، حُرٍّ أو عبدٍ، دينارٌ وافٍ أو عَرْضُه[5] ثياباً، فمَن أدّى ذلك فإنَّ له ذِمّةَ الله وذِمّةَ رسولِه، ومَن مَنَعَ ذلك فإنّه عدوٌّ للهِ ولرسولِه وللمؤمنينَ جميعاً، صلواتُ الله على محمّدٍ والسلامُ عليه ورحمةُ الله وبركاتُه».

قدومُ رِفاعةَ بن زيدٍ الجُذاميّ

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ في هُدْنة الحُدَيبيَة قبلَ خَيبَر، رِفاعةُ بن زيدٍ الجُذَاميُّ

---

(١) العَقَار هنا: الأرض المزروعة.

(٢) الغَرْب: الدَّلو العظيمة.

(٣) التَّبيع: ولد البقرة في أوّل سنة.

والجَذَع: الشابّ الفتيّ من كل شيء.

(٤) السائمة: الراعية.

(٥) هكذا في نسخنا الخطية غير (ي) وحدها ففيها: عِوَضه، وهو واضح، وأما قوله: أو عَرْضُه ثياباً، فمن العَرْض: وهو المَتاع، تقول: عَرَضتُ له من حقّه ثوباً، إذا أعطيتَه ثوباً مكان حقِّه، كما في «الصحاح» للجوهري ٣/ ١٠٨٣.

ثمّ الضُّبَيبيّ، فأَهدى لرسول الله ﷺ غلاماً[1]، وأسلَمَ فحَسُنَ إسلامُه، وكتب له رسولُ الله ﷺ كتاباً إلى قومه، وفي كتابه:

«بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا كتابٌ من محمّدٍ رسولِ الله لرِفاعةَ بن زيدٍ، إنّي بَعَثتُه إلى قومِه عامّةً ومَن دَخَلَ فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسولِه، فمَن أقبَلَ منهم[2] ففي حِزْبِ الله وحِزْبِ رسولِه، ومَن أدبَرَ فلَه أَمانُ شهرَينِ».

فلمّا قَدِمَ رِفاعةُ على قومِه أجابوا وأسلَموا، ثمّ ساروا إلى الحَرّةِ حَرّةِ الرَّجْلاء[3] فنَزَلوها.

وفدُ هَمْدان

قال ابن هشام: وقَدِمَ وفدُ هَمْدانَ على رسول الله ﷺ فيما حدَّثني من أَثقُ به عن عمرو بن عبد الله بن أُذَينةَ العَبْديّ، عن أبي إسحاق السَّبِيعيّ قال: قَدِمَ وفدُ هَمْدانَ على رسول الله ﷺ منهم مالكُ بن نَمَطٍ أبو ثَوْرٍ[4]، وهو ذو المِشْعار، ومالكُ بن أَيفَعَ

(١) وهذا الغلام هو الذي غلَّ شملةً من فَيْء خيبر كما تقدم في قصة مغانم خيبر ٣/ ٤٥٦.

(٢) لفظ «منهم» من (ش١) و(ش٢) و(غ)، وليس في بقية النسخ.

(٣) الحَرّة: أرض ذات حجارة سُود، وحرّة الرجلاء هذه قريبة من حرّة ليلى، ولعلها كانت جزءاً منها كما قال البِلادي في «معجم المعالم الجغرافية» ص٩٧، وحرّة ليلى تُعرَف اليوم بحرّة خيبر، وتقع في الجهة الشرقية من خيبر، وشمال شرق المدينة، وبين هذه الحرّة وبين المدينة مسيرُ ثلاث ليال كما سيرد في غزوة زيد بن حارثة إلى جُذام ص٤٠٨.

(٤) في النسخ الخطية: وأبو ثور، بواو العطف، والصواب إسقاطها، فإن مالكاً المذكور كنيته أبو ثور وهو هو ذو المشعار، وقد نبّه أصحاب النسخ (ش٢) و(ط) و(ق٢) في حواشيها على ذلك، ومن قبلهم السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٤٥٤ فقال: وقع في النسخة وفي أكثر النسخ: وأبو ثور، بالواو، كأنه غيره، والصواب سقوط الواو، لأنه هو هو، وقد يُخرَّج إثبات الواو على إضمار هو، كأنه قال: وهو أبو ثور ذو المشعار، وقد ذكره ابن قُتيبة فقال في «غريب الحديث» ١/ ٥٤٨: =

وضِمامُ بن مالكٍ السَّلْماني وعَمِيرةُ بن مالكٍ الخارِفي، فلَقُوا رسولَ الله ﷺ مَرجِعَه من تَبُوكَ وعليهم مُقطَّعاتُ الحِبَراتِ والعمائمُ العَدَنيّةُ[1]، برِحالِ المَيْس على المَهْريّة والأَرحَبيّة[2]، ومالكُ بن نَمَطٍ ورجلٌ آخرُ يَرتَجِزانِ بالقوم، يقول أحدُهما:

هَمْـدانُ خيـرُ سُـوقةٍ وأَقيـالْ ... لـيس لهـا في العـالَمينَ أَمثـالْ[3]

مَحَلُّها الهَضْبُ ومنها الأبطالْ ... لهـا إطابـاتٌ بهـا وآكـالْ[4]

ويقول الآخرُ:

إليـكَ جـاوَزنَ سَـوادَ الرِّيـفِ ... في هَبَواتِ الصّيفِ والخريفِ[5]

= مالك ذو المشعار، وذكره أبو عمر (يعني ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٦٠) فقال: هو ذو المشعار يكنى أبا ثور.

(١) الحِبَرات: برود يمنيّة مخطَّطة، والمقطَّعات: القِصَار من الثياب، هذا في تفسير أبي عبيدٍ، وخطّأه ابن قُتيبة في هذا التأويل وقال: إنما المقطَّعات الثياب المَخِيطة كالقُمُص ونحوها، سُمّيت بذلك لأنها تُقطَّع وتفصَّل ثم تُخاط، واستظهر السهيليُّ قول ابن قتيبة هذا. والعمائم العَدَنية: نسبة إلى عَدَن، مدينة معروفة في جنوب اليمن.

(٢) المَيْس: هو خشب تصنع منه الرِّحال التي تكون على ظهور الإبل. والمَهْريّة: الإبل النجيبة، تُنسَب إلى مَهْرة، قبيلة باليمن. والأرحبيّة: إبل كريمة تُنسب إلى أَرحَب، قبيلة من هَمْدان.

(٣) السُّوقة: العامّة من الناس. والأقيال: جمع قَيْل، وهو الملك أو السيد الشريف.

(٤) الهَضْب: ما ارتفع من الأرض، الواحدة: هَضْبة، يشير إلى محلّ سُكناهم أنها أماكن مرتفعة وجبال. والإطابات: هي الأموال الطيّبة. والآكال: ما يأخذه الملك من رعيّته وظيفةً له عليهم.

(٥) السَّواد هنا: القرى الكثيرة الشجر والنخل. والرِّيف: هي الأرض التي تقرب من الأنهار والمياه الغزيرة. والهَبَوات: جمع هَبْوة، وهي الغَبَرة.

مُخطَّمــاتٍ بحِبــالِ اللِّيــفِ[1]

فقام مالكُ بن نَمَطٍ بين يديهِ ثمّ قال: يا رسولَ الله، نَصِيّةٌ[2] من هَمْدانَ من كلِّ حاضرٍ وبادٍ أتَوْكَ على قُلُصٍ نَوَاجٍ[3]، مُتّصِلةٌ بحَبائلِ الإسلام، لا تأخذُهم في الله لومةُ لائمٍ، من مِخْلافِ خارفٍ ويامٍ وشاكرٍ[4]، أهلِ السُّودِ والقُودِ[5]، أجابوا دعوةَ الرّسول وفارَقُوا إلَاهاتِ الأنصاب[6]، عهدُهم لا يُنقَضُ ما أقامت لَعلَع[7]، وما جَرَى اليَعفُورُ بصُلَّع[8].

فكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً فيه:

(١) مخطَّمات: جعل لها خُطُم، وهي الحبال التي تشدّ في رؤوس الإبل على آنافها. واللِّيف: لِيف النَّخل تُصنَع منه الحبال.

(٢) النَّصِيّة: مَن يُنتَصى من القوم، أي: يُختار من نَواصِيهم، وهم الرؤوس والأشراف.

(٣) القُلُص: الإبل الفتيّة، الواحد: قَلُوص. ونواج: جمع ناجية، وهي السريعة.

(٤) المخلاف: الإقليم من البُلدان، وخارف ويام وشاكر: قبائل من اليمن.

(٥) السُّود: الإبل، والقُود: جمع أَقوَدَ: وهو الطويل الظهر والعنق من الخيل والإبل، وأيضاً جمع قَؤُودٍ: وهو المنقاد من الخيل والإبل. انظر «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» لابن مالك ٢/ ٥٣٥-٥٣٦.

(٦) إلاهات: جمع إلاهة، والأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها.

(٧) هو جبلٌ، وأنّثه لأنه جعله اسماً للبُقعة التي حول الجبل. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(٨) هكذا في (ط) و(غ) و(ق٢)، وفي بقية النسخ: بضلع، بالضاد المعجمة، ومعناه فيما قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٤٧: بقوّة، من قولك: رجل ضَلِيع، أي: قوي، إلا أنه قال: الرواية الأولى هي المشهورة؛ يعني بالصاد المهملة، وهذا هو الصواب، لكنه ذَهَلَ فظنّه اسم موضع، والصحيح أن الصُّلَّع هي الأرض المَلْساء التي لا نبات فيها، وبذلك فسّرها السهليُّ في «الروض الأنف» ٧/ ٤٥٦.

واليعفور: ولدُ البقرة الوحشيّة.

«بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا كتابٌ من محمّدٍ رسولِ الله لمِخْلافِ خارفٍ وأهلِ جَنَابِ الهَضْبِ وحِقَافِ الرَّملِ[1] مع وافِدِها ذي المِشعارِ مالكِ[2] بن نَمَطٍ ومَن أسلَمَ من قومِهِ، على أنّ لهم فِراعَها ووِهاطَها[3]، ما أقاموا الصّلاةَ وآتَوُا الزّكاةَ، يأكلون عِلافَها ويَرعَونَ عافِيَها[4]، لهم بذلك عهدُ الله وذِمَامُ رسولِه، وشاهدُهم المهاجرون والأنصار».

فقال في ذلك مالكُ بن نَمَط:

ذكرتُ رسولَ الله في فَحْمةِ الدُّجَى ونحنُ بأعلى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ[5]

وهنَّ بنا خُوصٌ طلائحُ تَغتَلي بِرُكْبانِها في لاحبٍ مُتَمدِّدِ[6]

---

(١) جَناب الهضب: جانبُها، والهَضْب: جمع الهَضَبة، يشير إلى مساكنهم. والحِقاف: جمع حِقْف، وهو الرمل المستدير.

(٢) هكذا في (ش٢)، وفي (ش١) و(غ): ومالك، وفي بقية النسخ: لمالك، وكل ذلك خطأ، والصواب ما أثبتناه من (ش٢)، وهو كذلك في «غريب الحديث» لابن قتيبة ١/ ٥٤٨.

(٣) الفِراع: أعالي الأرض. والوِهاط: المنخفض من الأرض.

(٤) عِلافها: جمع عَلَف، وهو ما تأكله الماشية. وعافيها: نباتها الكثير، يقال: عفا النبت وغيره، إذا كَثُر.

(٥) الفَحْمة: السواد. والدجى: جمع دُجْية، وهي الظُّلمة.

وأما رَحرَحان وصَلدَد، فالظاهر أنهما مكانان على طريق أهل اليمن إلى المدينة، لكن لم يعودا معروفين بهذين الاسمين، وما ذهب إليه البِلادي في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٣٨ و١٣٩ من أنهما جبلان شرقيّ المدينة، وأن رحرحان على قرابة ١٢٠ كِيلاً منها، فيغلب على ظنّنا أنه مجانبٌ للصواب، وذلك لبعدهما عن طريق أهل اليمن إلى المدينة، والله تعالى أعلم.

(٦) خُوص: غائرة العيون، الواحدة: خَوْصاء. وطلائحُ: مُعيِيةٌ. وتغتلي: تشتدّ في سيرها. واللاحب: الطريق البيِّن.

على كلِّ فَتْلاءِ الذِّراعَينِ جَسْرةٍ　　تَمُرُّ بنا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيدَدِ[1]

حَلَفتُ بربِّ الرّاقِصاتِ إلى منًى　　صَوادِرَ بالرُّكبانِ من هَضْبِ قَرْدَدِ[2]

بأنّ رسولَ الله فينا مُصدَّقٌ

رسولٌ أتى من عند ذي العَرشِ مُهتَدي

فما حَمَلَت من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها　　أشدَّ على أعدائه من محمّدِ

وأعطَى إذا ما طالبُ العُرفِ جاءَه　　وأَمضَى بحَدِّ المَشرَفيِّ المهَنَّدِ[3]

ذكرُ الكذّابَينِ مُسيلِمة الحَنَفيّ والأسود العَنْسيّ

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلَّم في عهدِ رسول الله ﷺ الكذّابانِ: مُسَيلِمةُ بن حَبيبٍ باليمامةِ في بني حَنيفة، والأسودُ بن كعبٍ العَنْسيُّ بصنعاءَ.

حدّثني يزيدُ بن عبدِ الله بن قُسَيطٍ، عن عطاءِ بن يَسارٍ أو أخيه سليمانَ بن يَسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ وهو يَخطُبُ الناسَ على مِنبَرِه وهو يقول: «أيُّها النّاسُ، إنّي قد رأَيتُ ليلةَ القَدْرِ ثمَّ أُنسِيتُها، ورأَيتُ في ذِراعَيَّ سِوارَينِ من ذهبٍ، فكَرِهتُهما، فنَفَختُهما فطارَا، فأَوَّلْتُهما هذَينِ الكذّابَينِ: صاحبَ اليمنِ، وصاحبَ اليَمَامةِ»[4].

---

(١) الجَسْرة: الناقة القوية على السير. والهِجَفّ: الذّكر الضخم من النَّعام، والخَفَيدَد: بمعنى الهجف.

(٢) الراقصات: الإبل ترقص في سيرها، أي: تتحرّك. وصوادر: رواجع. والقَردَد: ما ارتفع من الأرض.

(٣) العُرف: المعروف. والمشرفي المهنَّد: هو السيف.

(٤) إسناده صحيح. والشك في الإسناد بين عطاء أو أخيه سليمان لا يضرّه، لأنه انتقال من ثقة إلى ثقة. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن أبي هُريرةَ أنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لا تقومُ السّاعةُ حتّى يخرجَ ثلاثونَ دَجّالاً، كلُّهم يَدَّعي النُّبُوّةَ»[1].

خروجُ الأُمراءِ والعُمّال على الصَّدَقات

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ قد بَعَثَ أُمراءَه وعُمّالَه على الصَّدقاتِ إلى كلِّ ما أوطَأَ الإسلامُ من البلدان، فبَعَثَ المُهاجرَ بن أبي أُميّة بن المغيرةِ إلى صنعاءَ، فخرج عليه العَنْسيُّ وهو بها، وبَعَثَ زيادَ بن لَبِيدٍ أخا بني بَيَاضةَ الأنصاريَّ إلى حَضْرَمَوتَ وعلى صَدَقاتها، وبَعَثَ عَديَّ بن حاتمٍ على طَيِّئٍ وصَدَقاتها، وعلى بني أَسَدٍ، وبَعَثَ مالكَ بن نُوَيرةَ - قال ابن هشام: اليَربُوعيّ - على صَدَقاتِ بني حَنظَلة، وفَرّقَ صدقةَ بني سعدٍ على رجلين منهم، فبَعَثَ الزِّبْرِقانَ بن بدرٍ على ناحيةٍ منها،

= وأخرجه أحمد في «المسند» (١١٨١٦) من طريق إبراهيم بن سعد الزهري، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ويشهد له بنحوه في قصة الكذّابَينِ حديثُ ابن عباس عن أبي هريرة عند البخاري (٣٦٢١) و(٤٣٧٤) و(٤٣٧٥)، ومسلم (٢٢٧٤).

وفي قصة ليلة القدر انظر حديث أبي سعيد عند أحمد في «المسند» (١١٠٣٤) ومكرَّراته، وانظر تخريجها هناك.

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وأبي هريرة، لكن روي نحوه من غير وجهٍ عن أبي هريرة.

فقد رواه عنه الأعرجُ عند أحمد (٧٢٢٨)، والبخاري (٧١٢١)، ومسلم (٢٩٢٣)(٨٤)، وهمّامُ بن منبِّه عند أحمد (٨١٣٧)، والبخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٢٩٢٣)(٨٤)، والترمذي (٢٢١٨)، وخِلاسُ بن عمرو عند أحمد (٩٥٤٨)، وعبدُ الرحمن بن يعقوب مولى الحُرَقة عند أحمد (٩٨٩٧)، وأبي داود (٤٣٣٣)، وابن حبان (٦٦٥١). ورواية خِلاسٍ عن أبي هريرة عند أحمد منقطعة، فإن خلاساً لم يسمع منه.

وقيسَ بن عاصمٍ على ناحيةٍ، وكان قد بَعَثَ العلاءَ بن الحَضرميِّ على البَحرَينِ، وبَعَثَ عليَّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه إلى أهلِ نَجْرانَ، ليجمعَ صَدَقتَهم ويَقدَمَ عليه بجِزْيتِهم.

كتابُ مُسيلِمة إلى رسول الله ﷺ والجوابُ عنه

وقد كان مُسَيلِمةُ بن حَبيبٍ قد كَتَبَ إلى رسول الله ﷺ: من مُسَيلِمةَ رسولِ الله، إلى محمّدٍ رسول الله، سلامٌ عليك، أمّا بعدُ، فإنّي قد أُشرِكتُ في الأمرِ معك، وإنّ لنا نصفَ الأرض ولقُرَيشٍ نصفَ الأرض، ولكنَّ قُرَيشاً قومٌ يَعتَدُون.

فقَدِمَ عليه رسولانِ له بهذا الكتاب[1].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني شيخٌ من أشجَعَ، عن سَلَمةَ بن نُعَيم بن مسعودٍ الأشجَعيّ، عن أبيه نُعيمٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لهما حين قرأَ كتابَه: «فما تقولانِ أنتُما؟» قالا: نقولُ كما قال، فقال: «أمَا واللهِ لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقتَلُ، لَضَرَبتُ أعناقَكما».

ثمّ كتبَ إلى مُسَيلِمة: «بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم، من محمّدٍ رسولِ الله إلى مُسَيلِمةَ الكَذّابِ: السّلامُ على مَن اتَّبَعَ الهُدَى، أمّا بعدُ، فإنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَن يشاءُ من عِبَادِه، والعاقِبةُ للمُتَّقِينَ»[2].

---

(١) وهذان الرسولان هما ابن النوّاحة وابن أُثال كما وقع في حديث ابن مسعود في هذه القصة عند أحمد (٣٧٠٨) والحاكم (٤٤٢٦). ثم إن ابن النوّاحة هذا قتله عبدُ الله بن مسعود على الرِّدّة فيما بعدُ في الكوفة في عهد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنهما.

(٢) إسناده صحيح، وشيخُ ابنِ إسحاق الأشجعيُّ: هو سعد بن طارق أبو مالك الأشجعي، كما وقع مسمًّى عند غير البكّائي.

فقد أخرجه أحمد (١٥٩٨٩)، وأبو داود (٢٧٦١)، والحاكم (٢٦٦٤) من طريق سلمة بن =

وذلك في آخرِ سنةِ عشرٍ.

= الفضل، والحاكم (٤٤٢٥) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، عن سعد بن طارق الأشجعي، عن سلمة بن نعيم، به. إلا أنهم اختصروه فلم يذكروا فيه نصَّ كتاب النبي ﷺ إلى مسيلمة.

لكن رواه بتمامه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٤٦ من حديث سلمة بن الفضل الأبرش، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٧١) من حديث يونس بن بكير.

وكذا هو بتمامه عند ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٠٩) من حديث جرير بن حازم عن ابن إسحاق.

حَجّةُ الوَدَاع

قال ابن إسحاق: فلمّا دخل على رسول الله ﷺ ذو القَعْدةِ تَجهَّزَ للحجِّ وأمَرَ الناسَ بالجَهَازِ له.

قال: فحدّثني عبدُ الرَّحمن بن القاسم، عن أبيه القاسمِ بن محمّدٍ، عن عائشةَ زوجِ النبيّ ﷺ قالت: خرج رسولُ الله ﷺ إلى الحجِّ لخمسِ لَيالٍ بَقِينَ من ذي القَعْدة[1].

قال ابن هشام: واستَعمَل على المدينة أبا دُجَانة السّاعديَّ، ويقال: سِبَاعَ بن عُرفُطَة الغِفَاريّ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُ الرَّحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشةَ قالت[2]: لا يذكرُ ولا يذكرُ الناسُ إلّا الحجَّ، حتّى إذا كان بسَرِفَ[3] وقد ساقَ رسولُ الله ﷺ معه الهَدْيَ[4] وأشرافٌ من أشرافِ الناس، أمَرَ الناسَ أن يَحِلُّوا بعُمْرةٍ إلّا مَن ساقَ الهَدْيَ.

قالت: وحِضتُ ذلك اليومَ، فدخل عليَّ وأنا أَبكي، فقال: «ما لكِ يا عائشةُ، لَعَلَّكِ نُفستِ؟» قالت: قلت: نَعَم، ووالله لوَدِدتُ أنّي لم أخرُجْ معكم عامِي هذا في

---

(١) إسناده صحيح.

وانظر تخريجه فيما سيأتي عند تتمّة الحديث.

(٢) هذا من تتمة الخبر السابق.

(٣) موضع شمال غرب مكة على قرابة ١٦ كم من الحرم، يُعرَف اليوم بالنوّارية، وهو أحد أحياء مكة.

(٤) الهَدْي: ما يُهدَى إلى البيت الحرام من الأنعام لتُنحَر.

هذا السَّفَر، فقال: «لا تَقُولِنَّ ذلكِ، فإنّكِ تَقضِينَ كلَّ ما[1] يَقْضي الحاجُّ إلّا أنَّكِ لا تَطُوفِينَ بالبيتِ».

قالت: ودخل رسولُ الله ﷺ مكّةَ، فحَلَّ كلُّ مَن كان لا هَدْيَ معه وحَلَّ نِساؤُه بعُمْرة، فلمّا كان يومُ النَّحرِ أُتِيتُ بلحمِ بقرٍ كثيرٍ فطُرِحَ في بيتي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذَبَحَ رسولُ الله ﷺ عن نسائِه البقرَ.

حتّى إذا كانت ليلةُ الحَصْبةِ[2] بَعَثَ بي رسولُ الله ﷺ مع أخي عبد الرَّحمن بن أبي بكرٍ فأعمَرَني من التَّنعيم[3]، مكانَ عُمْرتي التي فاتَتْني[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافعٌ مولى عبدِ الله بن عمرَ، عن عبدِ الله بن عمرَ، عن

---

(١) هكذا في (ص) و(غ) و(ق٢): كل ما، وهو الموافق لما في رواية أحمد في «المسند»، وفي بقية النسخ: كما.

(٢) وهي ليلة النَّفْر، الليلة التي يبيتون فيها بالمحصَّب بعد النَّفْر من مِنى آخر أيام الرمي، والمحصَّب: اسم موضع بين مِنى ومكّة.

(٣) ويُسمَّى اليوم: العُمْرة، أو عُمْرة التنعيم؛ لأن الناس يُحرِمون بالعمرة منه، يقع في الجزء الغربيّ من مكّة المكرّمة على مسافة ٧ كم من المسجد الحرام.

(٤) إسناده صحيح. والقاسم الراوي عن عائشة: هو ابن أخيها محمد بن أبي بكر.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٤٥) من طريق إبراهيم بن سعد الزُّهري، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه مطوَّلاً ومقطَّعاً أحمد (٢٤٠٧٧) و(٢٤١٠٩) و(٢٤١١٢) و(٢٥٨٣٨) و(٢٦٣٤٤)، والبخاري (٣٠٥) و(١٦٥٠) و(٥٥٤٨) و(٥٥٥٩)، ومسلم (١٢١١)(١١٩) و(١٢٠-١٢٢)، وأبو داود (١٧٧٧) و(١٧٨٢)، وابن ماجه (٢٩٦٣) و(٢٩٦٤)، والترمذي (٨٢٠)، والنسائي في «المجتبى» (٢٩٠) و(٣٤٨) و(٢٧١٥) و(٢٧٤١) و(٢٩٩٠)، وابن حبان (٣٨٣٤) و(٣٨٣٥) و(٣٩٣٤) و(٣٩٣٥) و(٤٠٠٥) من طرق عن عبد الرحمن بن القاسم، به.

وحديث عائشة هذا قد روي عنها مقطَّعاً في هذه المصادر وغيرها من عدّة أوجهٍ صحيحة.

حَفْصةَ ابنة عمرَ قالت: لمّا أمَرَ رسولُ الله ﷺ نساءَه أن يَحلِلنَ بعُمرةٍ قلنا: فما يَمنَعُك يا رسولَ الله أن تَحِلَّ معنا؟ فقال: «إنِّي أَهدَيتُ ولَبَّدتُ[1]، فلا أَحِلُّ حتّى أنحَرَ هَدْيي»[2].

موافاةُ عليٍّ رضوان الله عليه في قُفُوله من اليمن رسولَ الله ﷺ في الحجّ

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيحٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ كان بَعَث عليّاً رضي الله عنه إلى نَجْرانَ، فلَقِيَه بمكّة وقد أحرَمَ، فدخل على فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ، فوَجَدَها قد حَلَّتْ وتَهيَّأَت، فقال: ما لكِ يا ابنةَ رسول الله؟ قالت: أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن نَحِلَّ بعُمرةٍ فحَلَلْنا.

قال: ثمّ أَتى رسولَ الله ﷺ، فلمّا فَرَغَ من الخَبَرِ عن سَفَرِه قال له رسولُ الله ﷺ: «انطَلِقْ فطُفْ بالبيتِ، وحِلَّ كما حَلَّ أَصحابُك» قال: يا رسولَ الله، إنّي أهلَلتُ كما أهلَلتَ، فقال: «ارجِعْ فاحْلِلْ كما حَلَّ أَصحابُك» قال: يا رسولَ الله، إنّي قلتُ حين أحرَمتُ: اللّهمَّ إنّي أُهِلُّ بما أَهَلَّ به نبيُّك وعبدُك ورسولُك محمّدٌ، قال: «فهَلْ مَعَك من هَدْيٍ؟» قال: لا، فأَشرَكَه رسولُ الله ﷺ في هَدْيِه وثَبَتَ على إحرامِه مع

(١) يقال: لبَّد الرجلُ شعرَه، بمعنى: جعل فيه شيئاً نحو الصّمغ ليجتمع شعرُه، لئلّا يتشعَّث في الإحرام أو يقعَ فيه القمل.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٤٣٧) من طريق إبراهيم بن سعد الزُّهري، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٦٤٢٤) و(٢٦٤٣٢) و(٢٦٤٣٥) و(٢٦٤٣٦)، والبخاري (١٥٦٦) و(١٦٩٧) و(٤٣٩٨)، ومسلم (١٢٢٩)، وأبو داود (١٨٠٦)، وابن ماجه (٣٠٤٦)، والنسائي في «المجتبى» (٢٦٨٢) و(٢٧٨١) وفي «الكبرى» (٣٦٤٨) و(٣٧٤٧)، وابن حبان (٣٩٢٥) من طرق عن نافع، به.

رسول الله ﷺ حتّى فَرَغا من الحجِّ، ونَحَرَ رسولُ الله ﷺ الهَدْيَ عنهما[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي عَمْرة، عن يزيدَ بن طَلْحة بن يزيد بن رُكَانةَ قال: لمّا أقبَلَ عليٌّ رضي الله عنه من اليمنِ ليَلقَى رسولَ الله ﷺ بمكّة، تَعجَّلَ إلى رسول الله ﷺ، واستَخلَفَ على جُندِه الّذين معه رجلاً من أصحابه، فعَمَدَ ذلك الرّجلُ فكَسَا كلَّ رجلٍ من القوم حُلّةً من البَزِّ الذي كان مع عليٍّ، فلمّا دَنَا جيشُه خرج ليَلقَاهم، فإذا عليهم الحُلَلُ، قال: وَيلَك، ما هذا؟ قال: كَسَوتُ القومَ ليَتَجمَّلُوا به إذا قَدِموا في النّاس، قال: وَيلَك، انزِعْ قبلَ أن تَنتهِيَ به إلى رسول الله ﷺ، قال: فانتَزَعَ الحُلَلَ من النّاس فرَدَّها في البَزِّ، قال: وأظهَرَ الجيشُ شَكْواه لِمَا صَنَعَ بهم[2].

---

(١) أصل الحديث صحيح من حديث جابر كما سيأتي، وهذا إسناد ضعيف لإعضاله، فابن أبي نجيح ـ وهو ثقة ـ من أتباع التابعين.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٤٨-١٤٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وقد روي معنى هذا الخبر عن محمد بن عليٍّ الباقر عن جابر بن عبد الله في حديثه الطويل عن حجّة الوداع، قال: قَدِمَ عليٌّ من اليمن ببُدْن النبي ﷺ، فوجد فاطمةَ ممَّن حلَّ، ولبست ثياباً صَبيغاً واكتَحَلَت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إنّ أَبي أمرني بهذا، فذهب مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذَكَرَت عنه، فأخبره أنه أنكر ذلك عليها، فقال: «صدقت صدقت، ماذا قلتَ حين فَرَضتَ الحجَّ؟» قال: قلت: اللهمَّ إني أُهِلُّ بما أهلَّ به رسولك، قال: «فإنّ معي الهديَ فلا تَحِلَّ». أخرجه أحمد (١٤٤٤٠)، ومسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، وابن حبان (٣٩٤٣). وفي هذا الخبر: أن رسول الله ﷺ نحر من البُدن (وكانت مئة) ثلاثاً وستّين بيده، ثم أعطى عليّاً فنحر ما غَبَر منها (أي: ما بقي) وأَشرَكَه في هديه.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة يحيى بن أبي عمرة شيخ ابن إسحاق، ولإرساله، فإن يزيد بن طلحة من صغار التابعين أو من أتباع التابعين. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدُالله بن عبد الرَّحمن بن مَعمَر بن حَزْمٍ، عن سليمانَ ابن محمّد بن كعب بن عُجْرةَ، عن عمّتِه زينبَ بنتِ كعبٍ - وكانت عند أبي سعيدٍ الخُدْريّ - عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: اشتكَى الناسُ عليّاً[1] رضوان الله عليه، فقامَ رسولُ الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعتُه يقول: «أيُّها الناسُ، لا تَشْكُوا عليّاً، فواللهِ إنَّه لَأخشَنُ في ذاتِ الله[2] - أو في سَبيلِ الله - من أَن يُشكَى»[3].

قال ابن إسحاق: ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ على حَجِّه، فأَرَى الناسَ مَناسِكَهم وأعلَمَهم سُنَنَ حَجِّهم، وخَطَبَ الناسَ خُطْبَتَه التي بَيَّنَ فيها ما بَيَّنَ، فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه ثمّ قال: «أيُّها النّاسُ، اسمَعُوا قَوْلي، فإنِّي لا أَدري لَعَلِّي لا أَلقاكُم بعدَ عامِي هذا بهذا المَوقِفِ أَبداً، أيُّها النّاسُ، إنَّ دِماءَكم وأَموالَكم عليكم حَرامٌ إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم، كحُرْمةِ يَومِكم هذا، وكحُرْمةِ شَهرِكم هذا.

وإنَّكم سَتَلقَونَ رَبَّكم فيَسأَلُكم عن أعمالِكم وقد بَلَّغتُ، فمَن كانت عندَه أَمانةٌ فليُؤَدِّها إلى مَن ائتَمَنَه عليها.

وإنَّ كلَّ رِباً موضوعٌ ولكنْ لكم رُؤُوسُ أَموالِكم، لا تَظلِمُون ولا تُظلَمُون، قَضَى اللهُ أنه لا رِبا، وإنَّ رِبا عبَّاسِ بن عبدِ المُطَّلِبِ موضوعٌ كلُّه.

= وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٤٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد.

(١) أي: اشتكَوا شدّته في المعاملة.

(٢) أي: أن فيه خشونةً في الله، لا يُراعي فيه أحداً، وهذا لا يوجب الشِّكايةَ منه.

(٣) إسناده جيّد.

وأخرجه أحمد (١١٨١٧) - ومن طريقه الحاكم (٤٧٠٥) - من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وإنَّ كلَّ دمٍ كان في الجاهليَّةِ موضوعٌ، وإنَّ أوَّلَ دِمائِكم أَضَعُ دمُ ابنِ رَبيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِب، وكان مُستَرضَعاً في بني ليثٍ فقَتَلَته هُذَيلٌ، فهو أوَّلُ ما أَبدَأُ به من دماءِ الجاهليَّةِ.

أمَّا بَعدُ، أيُّها النّاسُ، فإنَّ الشَّيطانَ قد يَئِسَ من أَن يُعبَدَ بأرضِكم هذه أَبداً، ولكنَّه إنْ يُطَعْ فيما سِوَى ذلك فقد رَضِيَ به ممَّا تَحقِرُون من أَعمالِكم، فاحذَرُوه على دِينِكُم.

أيُّها النّاسُ، إنَّ النَّسِيءَ[1] زيادةٌ في الكُفرِ يُضَلُّ به الَّذينَ كَفَروا، يُحِلُّونَه عاماً ويُحرِّمُونَه عاماً، ليُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ، فيُحِلُّوا ما حَرَّمَ الله ويُحرِّمُوا ما أَحَلَّ الله، وإنَّ الزَّمانَ قد استَدَارَ كهَيْئَتِه يومَ خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ[2]، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عندَ الله اثنا عَشَرَ شَهراً، منها أَربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثةٌ مُتَوالِيةٌ ورَجَبُ مُضَرَ[3] الَّذي بين جُمَادَى وشَعْبانَ.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ، فإنَّ لكم على نِسائِكم حَقّاً، ولهنَّ عليكم حَقّاً: لكم عليهِنَّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أَحداً تَكرَهُونَه[4]، وعليهِنَّ أن لا يأتِينَ بفاحشةٍ

(١) المراد بالنَّسيء: ما كانت العرب تفعله من تأخير بعض الشهور الحُرُم الأربعة وإحلال بعض أشهر الحِلِّ مكانها.

(٢) يعني أنه صادَفَ في هذه السنة التي حجَّ فيها النبيُّ ﷺ رجوعُ الأشهر الحُرُم إلى مواضعها الصحيحة كما خُلِقَت من غير تأخير أو تقديم مما أحدثته العرب.

(٣) أما الثلاثة المتوالية فهي: ذو القَعْدة وذو الحِجّة ومحرَّم.

وأما رجبُ مضرَ، فقال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٥١١: إنما قال ذلك، لأن ربيعة كانت تُحرِم في رمضان وتسمّيه رَجَباً، من رَجِبتُ الرجلَ ورجَّبتُه: إذا عظَّمتَه.. فبيَّن عليه السلام أنه رجبُ مُضَرَ لا رجبُ ربيعة، وأنه الذي بين جُمادى وشعبان.

(٤) قال النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٨٤: المختار أن معناه: أن لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في =

مُبيِّنةٍ[1]، فإن فَعَلنَ فإنَّ اللهَ قد أَذِنَ لكم أن تَهجُروهُنَّ في المَضاجِعِ وتَضرِبوهُنَّ ضرباً غيرَ مُبَرِّحٍ[2]، فإنِ انتَهَينَ فلَهنَّ رِزقُهنَّ وكِسوَتُهنَّ بالمعروفِ، واستَوصُوا بالنِّساءِ[3]، فإنّهنَّ عندَكم عَوانٍ[4] لا يَملِكنَ لأنفُسهِنَّ شيئاً، وإنَّكم إنَّما أخذتُموهُنَّ بأَمانةِ الله واستَحلَلتُم فُروجَهُنَّ بكَلِماتِ الله[5]، فاعقِلُوا أيُّها النّاسُ قَوْلي، فإنِّي قد بَلَّغتُ.

وقد تَرَكتُ فيكم ما إنِ اعتَصَمتُم به فلَنْ تَضِلُّوا أبداً، أَمْراً بَيِّناً، كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّه[6].

= دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً أو امرأةً أو أحداً من محارم الزّوجة، فالنهي يتناول جميعَ ذلك، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء: أنها لا يحلُّ لها أن تأذنَ لرجل أو امرأة، لا مَحرَمٍ ولا غيرِه، في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنَّت أن الزوج لا يكرهه، لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه أو ممّن أذن له في الإذن في ذلك، أو عُرِفَ رضاه باطّراد العُرْف بذلك ونحوه.. والله أعلم.

(١) أي: بسوء خُلُق ظاهر أو نُشُوز أو إعراض عن الزوج.

(٢) غير مبرِّح، أي: غير شديد ولا شاقٍّ ولا يترك أثراً.

(٣) زاد في (ش١) و(ش٢) و(غ): خيراً.

(٤) عَوَان: جمع عانيَةٍ، وهي الأسيرة.

(٥) صحَّح النووي في «شرح مسلم»: أن المراد: بإباحة الله، وأن الكلمات هي قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

(٦) هذه الفِقرة لم تُروَ من طريق صحيح، فهي في حديث ابن عباس من رواية إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه كما سيأتي تخريجه لاحقاً، وإسماعيل وأبوه فيهما ضعف وإنما يعتبر بهما في المتابعات والشواهد، وإسماعيل صاحب أفراد ومناكير ـ كما قال الذهبي في «السير» ١٠/ ٣٩٣ ـ ومع ذلك فقد ذهب إلى تصحيح خبره هذا ابنُ حزم الأندلسيُّ في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» ٦/ ٨١-٨٢. =

أيُّها النّاسُ، اسمَعُوا قَوْلي واعقِلُوه، تَعلَّمُنَّ[1] أنَّ كلَّ مُسلِمٍ أخٌ لمُسلمٍ[2]، وأنَّ المسلمينَ إخوةٌ، فلا يَحِلُّ لامرِئٍ من أخيهِ إلّا ما أَعطاهُ عن طِيبِ نَفْسٍ، فلا تَظلِمُنَّ أَنفُسَكم، اللَّهمَّ هل بَلَّغتُ؟».

فذُكِرَ لي أنّ النّاسَ قالوا: اللَّهمَّ نَعَم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهمَّ اشهَدْ»[3].

= والذي صحَّ في هذا الحرف ـ كما في حديث جابر بن عبد الله في حديثه الطويل عن حجّة الوداع الذي أخرجه مسلم (١٢١٨) ـ: أن النبيَّ ﷺ قال في هذه الخطبة: «وقد تركتُ فيكم ما لن تَضلُّوا بعده إن اعتصمتم به، كتابَ الله، وأنتم تُسأَلون عنّي فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهدُ أنك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ، فقال بإصبعه السَّبّابة يرفعها إلى السماء ويشير إلى الناس: «اللهمَّ اشهد، اللهمَّ اشهد» ثلاث مرّات.

وقد روى مالك في «الموطأ» ٢/ ٨٩٩ أنه بلغه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما: كتابَ الله وسنّةَ نبيه». وهذا لا يصحُّ لإعضاله، فالظاهر أن إسماعيل بن أبي أُويس أخذ هذا الحرف عن مالك ـ وهو أحد الرواة عنه، وهو خاله أيضاً ـ فأدخله في حديثه في خطبة حجّة الوداع، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر في «إتحاف المهرة» (١٦٠٢٤): وأسنده ابن عبد البر من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه، مثله سواء، فالظاهر أنَّ مالكاً أخذه عنه. قلنا: هو عند ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٤/ ٣٣١، وكثير بن عبد الله واهٍ صاحب مناكير، وأبوه مجهول تفرّد كثير بالرواية عنه.

وروي عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «إني قد تركتُ فيكم شيئين لن تَضِلُّوا بعدهما: كتابَ الله وسنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ». أخرجه الحاكم (٣٢٣)، وإسناده ضعيف جداً فيه راوٍ متروك الحديث.

(١) أي: اعلموا.

(٢) في (ش١) و(غ): للمسلم.

(٣) هذه الخطبة في الجملة صحيحة قد رويت في غير ما حديثٍ كما سيأتي. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: كان الرّجلُ الّذي يَصرُخُ في الناسِ بقول رسول الله ﷺ وهو بعَرَفةَ، ربيعةُ بن أُميّة بن خَلَفٍ، قال: يقول له رسولُ الله ﷺ: «قُلْ: يا أيُّها النّاسُ، إنَّ رسولَ الله يقولُ: هَلْ تَدرُونَ أيُّ شَهرٍ هذا؟» فيقول لهم، فيقولون: الشّهرُ الحرام، فيقول: «قُلْ لهم: إنَّ اللهَ قد حَرَّمَ عليكم دِماءَكم وأَموالَكم إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم، كحُرْمةِ شَهرِكُم هذا» ثمّ

= وقد رواها الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٥٠ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح مرسلاً.

وهي بتمامها من حديث ابن عباس، وقد أخرجه مطوَّلاً ومختصراً ببعض فِقَره: المروزيُّ في «السنة» (٦٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٧٧٠)، وابن المنذر في «الأوسط» (٧٥٠٩) و(٨١٩٣) و(٩٦٧٥)، والآجري في «الشريعة» (١٧٠٥)، والحاكم (٣٢٢) ـ وعنه البيهقي في «السنن» ٦/ ٩٦ و١٠/ ١١٤ و«الدلائل» ٥/ ٤٤٩ و«الاعتقاد» ص٢٢٨ ـ والخطيب في «المتفق والمفترق» (٨٠٨) من طريق إسماعيل بن أبي أُويس، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي عبد الله البصري وثور ابن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد، إسماعيل بن أبي أُويس وأبوه ـ وهو عبد الله بن عبد الله بن أُويس ـ حديثهما حسن في المتابعات والشواهد، وهذا منها، فلحديثهما هذا شواهد إلّا في قوله: «وسنة نبيه»، وقد تقدم التعليق عليه قريباً.

ولحديث ابن عباس في هذه الخطبة طريق أخرى عند الآجري (١٧٠٤)، إلا أنه طريق واهٍ لا يصلح.

وسيأتي بعضها ـ وهو أولها في ذكر حُرمة الدماء والأموال ـ مروياً عن ابن عباس من وجه صحيح كما سيأتي في الكلام على الحديث التالي.

ويشهد لهذه الخطبة الطويلة في الجملة حديث جابر بن عبد الله عند مسلم (١٢١٨).

وحديث أبي حُرّة الرَّقَاشي عن عمّه عند أحمد (٢٠٦٩٥)، وانظر الإشارة إلى تتمة شواهده مقطَّعاً هناك.

يقول: «قُلْ: يا أيُّها النّاسُ، إنَّ رسولَ الله يقول: هَلْ تَدرُونَ أيُّ بلدٍ هذا؟» قال: فيَصرُخُ به، قال: فيقولون: البلدُ الحرامُ، قال: فيقول: «قُلْ لهم: إنَّ الله قد حَرَّمَ عليكم دِماءَكم وأَموالَكم إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم، كحُرْمةِ بَلَدِكم هذا» قال: ثمّ يقول: «قُلْ: يا أيُّها النّاسُ، إنَّ رسولَ الله يقول: هَلْ تَدرُونَ أيُّ يومٍ هذا؟» قال: فيقولُه لهم، فيقولون: يومُ الحجِّ الأكبَرِ، قال: فيقول: «قُلْ لهم: إنَّ الله قد حَرَّمَ عليكم دِماءَكم وأَموالَكم إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم، كحُرْمةِ يَومِكم هذا»[1].

قال ابن إسحاق: حدّثني ليثُ بن أبي سُلَيم، عن شَهْر بن حَوشَبٍ الأشعَريّ، عن عمرِو بن خارجةَ قال: بَعَثَني عَتّابُ بن أَسِيدٍ إلى رسول الله ﷺ في حاجةٍ

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإرساله على ثقة رجاله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٥١-١٥٢ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦٠٣)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٢/ ٥٧ من طريق يونس بن بكير، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٧٦٤) من طريق إبراهيم بن سعد، ثلاثتهم عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه جرير بن حازم عند ابن خزيمة (٢٩٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٣٩٩)، والحاكم (١٧٦٠م) عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: لما وقف رسول الله ﷺ بعرفة أمر ربيعة بن أمية، فذكر مثله. فإن كان جريرٌ حفظه، فيكون لابن إسحاق فيه إسنادان، أحدهما مرسل، والآخر موصول.

وقد صحَّ هذا عن ابن عباس ـ لكن دون ذكر ربيعة بن أميّة فيه ـ فقد أخرجه أحمد (٢٠٣٦) والبخاري (١٧٣٩) من طريق عكرمة عنه.

وربيعة بن أميّة المذكور أسلم يوم الفتح، لكن لم يستحكم الإيمان في قلبه، وعرض له الشّقاءُ بعد ذلك فارتدَّ ومات على الكفر، وذلك أنه شرب الخمر زمن عمر بن الخطّاب فغرَّبه إلى خيبر، فغضب ولحق بالرُّوم فتنصَّر. انظر «الإصابة» لابن حجر ٢/ ٥٢٠-٥٢١، وكذا كتابه «تعجيل المنفعة» ١/ ٥٢٥-٥٢٦.

ورسولُ الله ﷺ واقفٌ بعَرَفةَ فبلَّغتُه، ثمّ وَقَفتُ تحتَ ناقةِ رسول الله ﷺ وإنّ لُغَامَها[1] لَيَقعُ على رأسي، فسمعتُه وهو يقول: «أيُّها النّاسُ، إنَّ الله قد أدَّى إلى كلِّ ذي حَقٍّ حَقَّه، وإنَّه لا تَجُوزُ وَصِيّةٌ لوارثٍ، والوَلَدُ للفِرَاشِ وللعاهِرِ الحَجَرُ[2]، ومَن ادَّعَى إلى غيرِ أَبيهِ أو تَوَلَّى غيرَ مَوالِيهِ، فعليه لَعْنَةُ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعينَ، لا يَقبَلُ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً[3]»[4].

---

(١) اللُّغام: الرغوة التي تخرج على فم البعير.

(٢) العاهر: الزاني، ومعنى: له الحَجَر، أي: له الخَيبةُ والحِرمانُ ولا حقَّ له في الولد.

(٣) الصَّرف: التوبة، والعَدْل: الفِدية.

(٤) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم من قِبَل سوء حفظه، ونحوه شهر بن حوشب، لكن يُعتبَر بحديثهما في المتابعات والشواهد فيتحسّن بها، وهذا منها، إلا أن المحفوظ في هذا الحديث أنه من رواية شهرٍ عن عبد الرحمن بن غَنْم عن عمرو بن خارجة، فهكذا رواه قتادةُ بن دِعامة السدوسي ـ وهو ثقة حافظ ـ عن شهرٍ عند أحمد (١٧٦٦٤-١٧٦٦٦) و(١٧٦٦٩-١٧٦٧١)، وابن ماجه (٢٧١٢)، والترمذي (٢١٢١)، والنسائي مختصراً ببعضه في «المجتبى» (٣٦٤١) و(٣٦٤٢) وفي «الكبرى» (٦٤٣٥) و(٦٤٣٦).

وأما حديث ليث بن أبي سليم، فقد أخرجه أحمد (١٧٦٦٣) من طريق سفيان الثوري عنه. وانظر تمام تخريجه هناك.

ويشهد للحديث بطوله حديث أبي أمامة عند أحمد (٢٢٢٩٤)، والترمذي (٢١٢٠)، وإسناده حسن.

ويشهد لقوله: «لا تجوز وصية لوارث» حديث أبي أمامة عند أبي داود (٢٨٧٠) و(٣٥٦٥)، وابن الجارود في «المنتقى» (٩٤٩)، وإسناد ابن الجارود صحيح.

ويشهد لقوله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» حديث عائشة عند البخاري (٢٢١٨)، ومسلم (١٤٥٧).

وحديث أبي هريرة عند البخاري (٦٨١٨)، ومسلم (١٤٥٨). =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نَجِيح: أنّ رسولَ الله ﷺ حين وَقَفَ بعَرَفةَ قال: «هذا المَوقِفُ» للجبلِ الّذي هو عليه «وكلُّ عَرَفةَ مَوقِفٌ»، وقال حين وَقَفَ على قُزَحَ[1] صَبِيحةَ المُزدَلِفةِ: «هذا المَوقِفُ، وكلُّ المُزدَلِفةِ مَوقِفٌ»، ثمّ لمّا نَحَرَ بالمَنحَر بمِنى قال: «هذا المَنحَرُ، وكلُّ مِنًى مَنحَرٌ»[2].

فقَضَى رسولُ الله ﷺ الحجَّ، وقد أَراهم مَناسِكَهم وأعلَمَهم ما فَرَضَ اللهُ عليهم من حَجِّهم من المَوقِفِ ورَمْي الجِمَار وطَوَافِ البيت، وما أُحِلَّ لهم من حَجِّهم وما حُرِّمَ عليهم، فكانت حَجّةَ البَلَاغ وحَجّةَ الوداع، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ لم يَحُجَّ بعدَها.

= ويشهد لقوله: «من ادّعى إلى غير أبيه، أو تولّى غير مواليه...» حديث علي بن أبي طالب عند مسلم (١٣٧٠)، وهو عند البخاري (٣١٧٢) مختصراً.

(١) قُزَح: جبل صغير بجوار المَشعَر الحرام بالمزدلفة، وقد بُني فوقه قصر في زماننا هذا.

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٥٢ من طريق سلمة بن الفضل، وأبو جعفر الوراق في «مغازيه» - كما في «جامع الآثار» لابن ناصر الدين الدمشقي ٦/ ١٦٠ - عن إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

ووصله جرير بن حازم عند ابن خزيمة (٢٩٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٣٩٩)، والحاكم (١٧٦٠م)، فرواه عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس. فإن كان جريرٌ حفظه فالإسناد صحيح.

ويشهد له حديث جابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٤٩٨)، ومسلم (١٢١٨)(١٤٩) وغيرهما.

وحديث علي بن أبي طالب عند أحمد (٥٦٢)، وأبي داود (١٩٣٥)، والترمذي (٨٨٥)، وإسناده حسن، وذكر فيه موقف النبي ﷺ بقُزَح. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

بعثُ أسامةَ بن زيدٍ إلى أرض فِلَسطين

قال ابن إسحاق: ثمّ قَفَلَ(١) رسولُ الله ﷺ، فأقامَ بالمدينة بقيّةَ ذي الحِجّة والمُحرَّمَ وصَفَراً، وضَرَبَ على الناس بَعْثاً إلى الشّام وأمَّرَ عليهم أُسامةَ بن زيد بن حارثة مولاه، وأمَرَه أن يُوطِئَ الخيلَ تُخومَ البَلْقاءِ والدّارُوم(٢) من أرض فِلَسطِينَ، فتَجهَّزَ الناسُ وأَوعَبَ(٣) مع أُسامةَ بن زيدٍ المهاجرون الأوَّلون.

خروجُ رُسُل رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام: وقد كان رسولُ الله ﷺ بَعَثَ إلى الملوكِ رُسُلاً من أصحابه، وكَتَبَ معهم إليهم يَدعُوهم إلى الإسلام.

قال ابن هشام(٤): حدّثني مَن أَثِقُ به عن أبي بكرٍ الهُذَليِّ قال: بَلَغَني أنّ رسولَ الله ﷺ خرج على أصحابه ذاتَ يومٍ بعدَ عُمرتِه التي صُدَّ عنها يومَ الحُدَيبيَةِ فقال: «أيُّها النّاسُ، إنَّ الله قد بَعَثَني رحمةً وكافّةً، فلا تَختَلِفوا عليَّ كما اختَلَفَ الحَوَاريُّون على عيسى ابنِ مريمَ» فقال أصحابُه: وكيف اختلفَ الحَواريُّون يا رسولَ الله؟ قال: «دَعَاهم إلى الّذي دَعَوتُكم إليه، فأمّا مَن بَعَثَه مَبعَثاً قريباً، فرَضِيَ وسَلَّمَ، وأمّا مَن بَعَثَه مَبعَثاً بعيداً، فكَرِهَ وجهَه وتَثاقَلَ، فشَكَا ذلك عيسى إلى الله، فأصبَحَ المُتَثاقِلون وكلُّ واحدٍ

(١) أي: عاد ورجع.

(٢) البلقاء: إقليم في وسط الأردنّ، من أشهر مدنه عمّان والسلط ومادبا. وتخومها: حدودها وأطرافها.

والداروم: هي مدينة دير البلح اليوم في قطاع غزة بفلسطين.

(٣) أَوعب المهاجرون، أي: خرجوا بأجمعهم لم يبق منهم أحدٌ.

(٤) قوله: قال ابن هشام، من نسخة (غ) وحدها.

منهم يَتكلَّمُ بلُغَةِ الأُمّةِ التي بُعِثَ إليها»[1].

فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ رُسُلاً من أصحابه، وكتبَ معهم كُتُباً إلى الملوك يَدعُوهم فيها إلى الإسلام، فبَعَثَ دِحْيةَ بن خَلِيفة الكَلْبيَّ إلى قَيصَرَ ملكِ الرُّوم، وبَعَثَ عبدَالله بن حُذَافة السَّهْميَّ إلى كِسْرى ملكِ فارسَ، وبَعَثَ عمرَو بن أُميّة الضَّمْريَّ إلى النَّجاشيّ ملكِ الحَبَشة، وبَعَثَ حاطبَ بن أبي بَلتَعة إلى المُقوقِس ملكِ الإسكندريّة، وبَعَثَ عمرَو بن العاصِ السَّهْميَّ إلى جَيفَرٍ وعِيَاذٍ[2] ابنَي الجُلَندَى الأزديَّينِ ملكَي عُمَانَ، وبَعَثَ سَلِيطَ بن عمرٍو أحدَ بني عامر بن لُؤيٍّ إلى ثُمَامةَ بن أُثالٍ وهَوْذةَ بن عليٍّ الحَنَفيَّين ملكَي اليَمامة، وبَعَثَ العلاءَ بن الحَضرَميِّ إلى المُنذِر بن ساوَى العَبْديِّ ملكِ البحرَين، وبَعَثَ شُجَاعَ بن وهبٍ الأسديَّ إلى الحارثِ بن أبي شَمِرٍ الغسّانيِّ ملكِ تُخومِ الشّام[3].

قال ابن هشام: بَعَثَ شُجاعَ بن وهبٍ إلى جَبَلة بن الأيهَمِ الغسّانيّ، وبَعَثَ المهاجرَ بن أبي أُميّة المخزوميَّ إلى الحارثِ بن عبدِ كُلَالٍ الحِمْيَريِّ ملكِ اليمن.

قال ابن هشام: أنا نَسبتُ[4] سَلِيطاً وثُمَامة وهَوْذة والمنذر.

---

(١) إسناده ضعيف جداً، فأبو بكر الهذلي متروك الحديث، وقد أعضله، ثم إن الواسطة بينه وبين ابن هشام مبهمة، فهذه ثلاث علل توهّيه.

وانظر رواية ابن إسحاق التالية بإسناد آخر غير هذا.

(٢) هكذا هو في أكثر نسخنا الخطية، بياء وذال، وهكذا ضبطه ابن فتحون في «ذيل الاستيعاب» كما قال ابن حجر في «الإصابة» ٥/ ١٦٧، وفي بعض نسخنا: عِيَاد، بدال مهملة، وفي نسخة (ت) وحدها: عباد، بالباء والدال، وهكذا ذكره ابن حجر في موضع آخر من «الإصابة» ٥/ ٨٠، وفي موضع ثالث ٥/ ١١١: عبد!

(٣) يعني: أطراف الشام، والتخوم: جمع تَخْمٍ، وهو الحدّ الفاصل بين أرض وأرض.

(٤) يعني: ولم ينسبهم أبو بكر الهذلي.

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيدُ بن أبي حَبيبٍ المِصريّ: أنّه وَجَدَ كتاباً فيه ذِكرُ مَن بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى البُلدان وملوكِ العرب والعَجَم، وما قال لأصحابه حين بَعَثَهم؛ قال: فبَعَثتُ به إلى محمّد بن شِهَاب الزُّهْريّ فعَرَفَه، وفيه: أنّ رسولَ الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: «إنَّ الله بَعَثَني رَحْمةً وكافّةً، فأَدُّوا عنِّي يَرحَمُكم الله، ولا تَختَلِفوا عليّ كما اختَلَفَ الحَوَاريُّونَ على عيسى ابنِ مريمَ» قالوا: وكيفَ يا رسولَ الله كان اختلافُهم؟ قال: «دَعَاهم لمِثْلِ ما دَعَوتُكم له، فأمّا مَن قَرَّبَ به[1] فأَحَبَّ وسَلَّمَ، وأمّا مَن بَعَّدَ به[2] فكَرِهَ وأَبَى، فشَكَا ذلك عيسى منهم إلى الله عزَّ وجلَّ، فأَصبَحوا وكلُّ رجلٍ منهم يَتكلَّمُ بلُغةِ القومِ الّذين وُجِّهَ إليهم»[3].

---

(١) أي: أرسله إلى مكان قريب.

(٢) أي: أرسله إلى مكان بعيد.

(٣) ضعيف لم يُذكَر فيه هنا إسنادٌ، وقد روي عن الزهري من غير هذا الوجه واختُلف عليه فيه.

فقد أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر والمغرب» ص٦٥-٦٦ عن أسد بن موسى، عن عبد الله بن وهب، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: حدثنى عبد الرحمن بن عبدٍ القارِيّ مرسلاً: أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وتشهد، ثم قال... وذكر نحوه.

وعبد الرحمن القارِيّ تابعي كبير يقال: له رؤية، وأسد بن موسى وإن كان ثقة، حدّث بأحاديث منكرة كما قال ابن يونس في «تاريخ مصر».

وخولف أسدٌ في متنه، فقد رواه أحمد بن صالح المِصري ـ وهو أحفظ منه ـ عن ابن وهب بهذا الإسناد، فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٨٧، ولم يذكر في متنه قصة عيسى عليه السلام مع حوارِيِّيه وشكواه إلى الله منهم، والغالب على الظن أنها مُدرَجة في الخبر، والله أعلم.

وأخرجه بهذه القصّة أيضاً الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/ (١٢) ـ وعنه أبو نعيم في «معرفة =

قال ابن إسحاق: وكان مَن بَعَثَ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام من الحَوارِيِّين والأتباعِ الّذين كانوا بعدَهم في الأرض[1] بُطْرُسَ الحَوَارِيَّ ومعه بُولِسُ - وكان بولسُ من الأتباع ولم يكن من الحَوارِيِّين - إلى رُومِيّة، وأَنْدَرايُسَ ومَنْتا[2] إلى الأرض

= الصحابة» (٣٧٧٤) - من طريق محمد بن إسماعيل بن عيّاش، عن أبيه، حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المِسوَر بن مَخرَمة قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقال... فذكره.

وهذا إسناد ضعيف لضعف محمد بن إسماعيل، وأبوه حسن الحديث عن أهل بلده الشاميِّين وحديثه عن الحجازيِّين منكر ضعيف، وهذا منها، فابن إسحاق مدني.

(١) هذا الكلام من ابن إسحاق غريب مُنكَر، معناه أن عيسى عليه السلام أُرسل إلى الناس كافّة، وهذا ما ينفيه إنجيلُ متّى نفسه.

ففي الفِقرتين (٥-٦) من الإصحاح العاشر منه: هؤلاء الاثنا عشر أَرسلهم يسوعُ وأوصاهم قائلاً: إلى طريقِ أُممٍ لا تَمضُوا، وإلى مدينةٍ للسامريِّين لا تَدخُلوا، بل اذهبوا بالحَرِيِّ إلى خِراف بيت إسرائيل الضالّة.

وفي قصة المرأة الكنعانية التي طلبت من يسوع أن يشفي لها ابنتها المجنونة - بإذن الله - فقال لها كما في الفقرة (٢٤) من الإصحاح الخامس عشر: لم أُرسَل إلَّا إلى خِراف بيت إسرائيل الضالّة.

أمّا عندنا نحن المسلمين، فإن الله عزّ وجلّ قال في شأن عيسى عليه السلام في سورة آل عمران الآية (٤٩): ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، فخصَّه ببني إسرائيل.

وقال في سورة الصف الآية (٦): ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم﴾.

وأخرج البخاري (٤٣٨) ومسلم (٥٢١) وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «كان النبيُّ يُبعَث إلى قومه خاصّةً، وبُعِثتُ إلى الناس كافّةً».

فالإرسال إلى الناس كافّةً هو من خصائص نبيِّنا محمدٍ صلّى الله عليه وعلى أنبياء الله ورسله أجمعين، فالظاهرُ أن انبعاث هؤلاءِ الحواريِّين والأتباع في الأرض كان من قِبَل أنفسهم لا بأمرٍ من نبيّ الله عيسى عليه السلام، والله تعالى أعلم.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية، وهو عند أهل الكتاب: متّيا، أو متّى.

التي يأكلُ أهلُها الناسَ، وتُوماسَ إلى أرض بابل من أرض المَشرِق، وقِيبلِيسَ[١] إلى أرض قَرْطاجَنّة، وهي إفريقيّةُ، ويُحَنَّسُ إلى أَفسُوس، قريةِ الفِتْية أصحاب الكهف، ويعقوبُسَ إلى أوراشَلِمَ وهي إيلِياءُ، قريةُ بيتِ المَقدِس، وبَرْثَلما[٢] إلى الأعرابيّةِ، وهي أرضُ الحِجَاز، وسِيمُنَ[٣] إلى أرض البَربَر، ويَهُوذا، ولم يكن من الحَواريّين جُعِلَ مكان يُوذِس[٤].

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، وهو عند أهل الكتاب: فِيلُبُّس.

(٢) هكذا في (ش١) و(ش٢)، وهو الصواب الموافق لما في إنجيل متّى، ففيه: بَرثُولماوس، وتحرف على النُّسّاخ في بقية النسخ إلى: ابن ثلما، وفي بعضها: ابن ثلماء، مهموزاً.

(٣) وهو مغيَّر عن: سِمْعان.

(٤) في (ت) و(ص): يودس، بدال، وعند أهل الكتاب: تدّاوس.

ذكرُ جُمْلة الغَزَوات

قال ابن إسحاق[1]: وكان جميعُ ما غَزَا رسولُ الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوةً: غزوة[2] وَدّان، وهي غزوة الأَبواء، ثمّ غزوة بُوَاط من ناحية رَضْوَى، ثمّ غزوة العُشَيرة من بَطْن يَنبُعَ، ثمّ غزوة بدرٍ الأُولى يَطلُبُ كُرْزَ بن جابرٍ[3]، ثمّ غزوة بدرٍ التي قَتَلَ اللهُ فيها صَنادِيدَ قُريش، ثمّ غزوة بني سُلَيمٍ حتّى بَلَغَ الكُدْرَ، ثمّ غزوة السَّوِيق يَطلُبُ أبا سفيان بن حَرْب، ثمّ غزوة غَطَفان وهي غزوة ذي أَمَرٍ، ثمّ غزوة بَحْرانَ[4]، مَعدِنٍ بالحجاز، ثمّ غزوة أُحدٍ، ثمّ غزوة حَمْراءِ الأَسَد، ثمّ غزوة بني النَّضير، ثمّ غزوة ذاتِ الرِّقَاع من نَخلٍ، ثمّ غزوة بدرٍ الآخِرة، ثمّ غزوة دُومَة الجَندَل، ثمّ غزوة الخندق، ثمّ غزوة بني قُرَيظة، ثمّ غزوة بني لِحْيانَ من هُذَيل، ثمّ غزوة ذي قَرَدٍ، ثمّ غزوة بني المُصطَلِق من خُزَاعة، ثمّ غزوة الحُدَيبيَةِ لا يريد قتالاً فصَدَّه المشركون، ثمّ غزوة خَيبَر، ثمّ عُمْرةُ القَضاءِ، ثمّ غزوة الفَتْح، ثمّ غزوة حُنَين، ثمّ غزوة الطّائف، ثمّ غزوة تَبُوكَ.

قاتَلَ منها في تسعِ غَزَواتٍ: بدرٍ وأُحدٍ والخندقِ وقُرَيظةَ والمُصطَلِقِ وخَيبَرَ والفتحِ وحُنَينٍ والطّائف.

---

(١) في نسخة (غ): وبالسند المذكور أولاً حدثنا أبو محمّد عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكّائي عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال.

(٢) في بعض النسخ: منها غزوة، بزيادة «منها» ولا داعي لها، فقد عدَّ هنا السبع والعشرين غزوةً كلها. وكذلك قال في عدد غزوات النبيّ ﷺ الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٧.

(٣) وهي غزوة سَفَوان كما تقدم ٢/ ٢٨٩.

(٤) وهي غزوة الفُرُع.

ذكرُ جُمْلة السَّرايا والبُعُوث

وكانت بُعوثُه ﷺ وسَرَاياه ثمانياً وثلاثين، من بين بَعثٍ وسَرِيّة: غزوةُ عُبَيدة ابن الحارثِ أسفلَ من ثَنيّةِ ذي المَرَةِ[1]، ثمّ غزوةُ حمزة بن عبد المُطَّلِب ساحلَ البحر من ناحية العِيصِ، وبعضُ الناس يُقدِّم غزوةَ حمزة قبلَ غزوةِ عُبيدة، وغزوةُ سعد بن أبي وَقّاصٍ الخَرّارَ، وغزوةُ عبدِ الله بن جَحْشٍ نَخْلةَ، وغزوةُ زيد بن حارثةَ الفَرْدَةَ[2]، وغزوةُ محمّد بن مَسلَمةَ كعبَ بن الأشرَف، وغزوةُ مَرثَد بن أبي مَرثَدٍ الغَنَويِّ الرَّجِيعَ، وغزوةُ المُنذِر بن عمرٍو بئرَ مَعُونةَ، وغزوةُ أبي عُبيدة بن الجَرّاح ذا القَصَّة من طريقِ العراق[3]، وغزوةُ عمرَ بنِ الخَطّاب تُرَبةَ من أرض بني عامر[4]، وغزوةُ عليٍّ بن أبي طالبٍ اليمنَ، وغزوةُ غالب بن عبد الله الكَلْبيِّ ـ كلبِ

---

(١) في (ت) و(ص) و(ط): ذي المروة، وهو تحريف، وقد تقدم التعريف بذي المَرَة في سرية عُبيدة بن الحارث ٢/ ٢٧٧.

(٢) اختلفت النسخ في تقييد هذا الموضع، ففي بعضها بالفاء وفي بعضها بالقاف، وكذلك في تقييد الراء بين فتحها وسكونها، وقد تقدم الكلام عليه في سرية زيدٍ ٣/ ١٤.

(٣) هذه السريّة لم يتقدّم لها ذكر في هذا الكتاب، وكانت في ربيع الآخر من سنة ستٍّ كما في «المغازي» للواقدي ٢/ ٥٥٢ و«الطبقات» لابن سعد ٢/ ٨٢، وكانت إلى قوم من غَطَفان أرادوا الإغارة على إبل المدينة التي كانت ترعى في موضع على سبعة أميال من المدينة، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلاً حين صلَّوا صلاة المغرب، فباتوا ليلتهم يمشون حتى وصلوا إلى ذي القَصّة مع عَمَاية الصبح، فأغار عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأخذ رجلاً منهم، ووجد نَعَماً من نَعَمهم فاستاقه، وشيئاً من متاع، فقدم به المدينة، وغابوا في هذه السريّة ليلتين.

وذو القَصّة: موضع يقع شرق المدينة على قرابة ٢٤ ميلاً، وانظر «الأماكن» للحازمي ص٧٧٩ بتحقيق حمد الجاسر.

(٤) من هوازن، وهذه السريّة لم يتقدّم لها ذكرٌ، وكانت بعد خيبر في شعبان من سنة سبعٍ =

ليثٍ[1] ـ الكَدِيدَ، فأصابَ بني المُلوَّح.

خبرُ غزوة غالب بن عبد الله اللَّيثيّ بني المُلوَّح

وكان من حديثها: أنّ يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَس حدّثني عن مُسلِم ابن عبدالله بن خُبَيبٍ الجُهَنيّ[2]، عن جُندُبِ بن مَكِيثٍ الجُهَنيّ قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ غالبَ بن عبدِ الله الكَلْبيَّ ـ كلبَ بن عَوف بن ليثٍ ـ في سَرِيّةٍ كنت فيها، وأمَرَه أن يَشُنَّ الغارةَ على بني المُلوَّح وهم بالكَدِيد، فخرجنا حتّى إذا كنّا بقُدَيدٍ[3] لَقِينا الحارثَ بن مالكٍ، وهو ابنُ البَرْصاءِ اللَّيثيّ، فأخَذْناه، فقال: إنّي جئت أُريدُ الإسلامَ، ما خرجتُ إلّا إلى رسول الله ﷺ، فقلنا له: إنْ تَكُ مُسلِماً، فلن يَضِيرَك[4] رِباطُ

= كما في «المغازي» للواقدي ٢/ ٧٢٢ و«الطبقات» لابن سعد ٢/ ١١٠، بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً، فخرج وخرج معه دليل من بني هلال من هوازن، فكان يسير الليلَ ويَكمُن النهارَ، فأتى الخبرُ هوازن فهربوا، وجاء عمر بن الخطاب محالَّهم فلم يلقَ منهم أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة.

وتُربة: وادٍ عظيم يتصل بالطرف الجنوبي الغربي من صحراء نجد، وبه بلدة عامرة بهذا الاسم تقع شرق الطائف على قرابة ١٦٠ كم، وتبعد عن المدينة المنوَّرة قرابة ٤٥٠ كم.

(١) يعني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة، من مُضَر، للتفريق بين قبيلة كلبٍ هذه وبين كلبٍ من قُضاعة التي منها زيد بن حارثة رضي الله عنه.

والكَديد: يعرف اليوم باسم الحَمْض، لكثرة نبات العصلاء فيه، وهو شمال غرب مكة على قرابة ٩٠ كم.

(٢) وقع هنا زيادة في طبعة السقا وصاحبيه: عن المنذر، وهي زيادة مُقحَمة غير صحيحة وليست في شيء من النسخ الخطية.

(٣) وادٍ شمال غرب مكة على قرابة ١٣٠ كم، ويبعد هذا الوادي عن المدينة قرابة ٢٣٠ كم.

(٤) أي: لن يضرَّك، وهي كذلك في بعض النسخ بلا ياءٍ.

ليلة، وإن تَكُ على غيرِ ذلك، كنّا قد استوثَقْنا منك؛ فشَدَدْناه رِباطاً، ثمّ خَلَّفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسوَدَ وقلنا له: إن عازَّك[1] فاحتَزَّ رأسَه.

قال: ثمّ سِرْنا حتّى أَتينا الكَدِيدَ عند غروب الشّمس، فكُنّا[2] في ناحية الوادي، وبَعَثَني أصحابي رَبيئةً لهم[3]، فخرجتُ حتّى آتيَ تلًّا مُشرِفاً على الحاضرِ فأَسنَدتُ فيه[4]، فعَلَوتُ على رأسه فنَظَرتُ إلى الحاضرِ، فوالله إنّي لَمُنبَطِحٌ على التّلِّ إذ خرج رجلٌ منهم من خِبَائه[5] فقال لامرأته: إنّي لأَرَى على التّلِّ سواداً ما رأيتُه في أوّلِ يومي، فانظُرِي إلى أَوعِيَتِك هل تَفقِدينَ منها شيئاً، لا تكون الكلابُ جَرَّت بعضَها، قال: فنَظَرَت فقالت: لا والله ما أَفقِدُ شيئاً، قال: فناوِليني قَوْسي وسهمَينِ، فناوَلَته، قال: فأرسَلَ سهماً، فوالله ما أَخطَأَ جَنْبي، فأَنزِعُه فأَضَعُه وثَبَتُّ مكاني، قال: ثمّ أرسَلَ الآخرَ فوَضَعَه في مَنكِبي، فأَنزِعُه فأَضَعُه وثَبَتُّ مكاني، فقال لامرأته: لو كان رَبيئةً لقومٍ لقد تَحرَّكَ، لقد خالَطَه سهمايَ، لا أبا لكِ، إذا أصبَحتِ فابتَغِيهما فخُذِيهما، لا يَمضُغُهما عليَّ الكلابُ، قال: ثمّ دخل.

قال: وأمهَلْناهم، حتّى إذا اطمأَنُّوا وناموا وكان في وَجْه السَّحَر، شَنَنَّا عليهم الغارةَ[6]، قال: فقتَلْنا واستَقْنا النَّعَمَ.

---

(١) عازَّك، أي: تقوَّى عليك وغالبَك ليهرب.

(٢) في (ش١) ونسخة على حاشية (ش٢): فكَمَنَّا.

(٣) الرَّبيئة: طَلِيعة القوم وعَيْنهم الذي يكشف لهم الخبر.

(٤) الحاضر: الحيُّ أو القومُ النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه. وأسندت، أي: صعدتُ.

(٥) الخِباء: الخيمة، وهي من بيوت الأعراب.

(٦) شننّا عليهم الغارةَ، أي: فرَّقنا عليهم الخيلَ المغيرة من جميع جهاتهم.

وخرج صَرِيخُ القوم فجاءَنا دَهْمٌ[1] لا قِبَلَ لنا به، ومَضَينا بالنَّعَمِ، ومَرَرْنا بابن البَرْصاءِ وصاحبِه فاحتَمَلْناهما مَعَنا، قال: وأدركَنا القومُ حتّى قَرُبوا منّا، فما بيننا وبينهم إلّا وادي قُدَيدٍ، فأرسَلَ الله الواديَ بالسَّيلِ من حيثُ شاءَ تبارك وتعالى، من غير سحابةٍ نَراها ولا مَطَرٍ، فجاءَ بشيءٍ ليس لأحدٍ به قوّةٌ ولا يَقدِرُ على أن يُجاوِزَه، فوَقَفُوا يَنظُرون إلينا وإنّا لنَسُوقُ نَعَمَهم، ما يستطيعُ منهم رجلٌ أن يُجِيزَ إلينا، ونحنُ نَحْدُوها[2] سِراعاً، حتّى فُتْناهم فلم يَقدِرُوا على طَلَبِنا. قال: فقَدِمْنا بها على رسول الله ﷺ[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني رجلٌ من أسلَمَ، عن رجلٍ منهم: أنّ شِعارَ[4] أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلةَ: أَمِتْ أَمِتْ، فقال راجزٌ من المسلمين[5] وهو يَحدُوها:

أَبَى أبو القاسمِ أن تَعَزَّبي ... في خَضِلٍ نَباتُه مُغلَولِبِ[6]

---

(١) صريخ القوم، أي: مستغيثهم. والدَّهم: العدد الكثير.

(٢) نحدوها، أي: نسوقها.

(٣) إسناده محتملٌ للتحسين إن شاء الله، وقد حسَّنه الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ٥/ ٣١٦ في ترجمة غالب بن عبد الله الليثي، ومسلمُ بن عبد الله بن خُبيب ـ وإن لم يرو عنه غير يعقوب ابن عتبة ـ هو أحدُ ولد عبد الله بن خُبيب الصحابي، ولا يُعرف فيه جَرْحة.

وأخرجه أحمد (١٥٨٤٤) من طريق إبراهيم بن سعد، وأبو داود (٢٦٧٨)، والحاكم (٢٦٠٣) من طريق عبد الوارث بن سعيد، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ورواية عبد الوارث مختصرة.

(٤) الشعار: العلامة التي كان يعرف بها بعضهم بعضاً في ساحة الحرب.

(٥) وذكره الواقدي في حديث جندبٍ وسمّى الراجزَ فيه أميرَ السريّة غالباً.

(٦) تَعزَّبي، أي: تتعزَّبي، يقال: تعزَّبت الإبل، إذا غابت في المرعى ولم ترجع. والخَضِل: =

صُفْرٍ أَعاليهِ كلَونِ المُذهَبِ

قال ابن هشام: ويُروى: كلَونِ الذَّهَبِ.

تَمَّ خبرُ الغَزَاة وعُدتُ إلى ذكر تفصيل السَّرايا والبُعوث

قال ابن إسحاق: وغزوةُ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه بني عبد الله بن سعدٍ من أهل فَدَكَ[1]، وغزوةُ أبي العَوْجاءِ[2] السُّلَميِّ أرضَ بني سُلَيم، أُصيبَ بها هو وأصحابُه جميعاً، وغزوةُ عُكّاشة بن مِحصَن الغَمْرةَ[3]، وغزوةُ أبي سَلَمة بن عبد الأَسَد قَطَناً، ماءً من مياه بني أسَدٍ من ناحية نَجدٍ[4]، قُتِلَ بها مسعودُ بن عُرْوة،

= النبات الناعم الرَّطب. والمغلولِب: الكثير الكثيف الذي يَغلِب على الماشية حين ترعاه.

(١) لم يتقدّم ذكر هذه السريّة، وذكر الواقدي في «المغازي» ٢/ ٥٦٢، ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٨٦: أنها كانت في شعبان سنة ستٍّ قبل خيبر، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدُّوا يهودَ خيبر، فبعث إليهم عليَّ بن أبي طالب في مئة رجل، فسار الليلَ وكَمَنَ النهارَ حتى أغار عليهم، فهربوا منه، فغَنِمَ من أنعامهم شيئاً كثيراً.

(٢) وعند الواقدي ٢/ ٧٤١ وابن سعد ٢/ ١١٥: ابن أبي العوجاء، وذكرا أن سريّته كانت في ذي الحِجّة سنة سبع، لمّا رجع رسول الله ﷺ من عُمرة القضاء، فبعثه في خمسين رجلاً، وذكرا أنه كان جريحاً مع القتلى، ثمّ تحامل حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ بالمدينة.

(٣) ذكر الواقدي ٢/ ٥٥٠ وابن سعد ٢/ ٨١: أنها كانت في شهر ربيع الأول سنة ستّ، بعثه النبي ﷺ في أربعين رجلاً. وذكر خليفةُ بن خيّاط في «تاريخه» ص٨٥: أنها كانت في سنة سبع بعد خيبر.

وغمرةُ كما في «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٢٢٨: هي محطة من محطات الحاجّ العراقي قديماً على الضفة الشرقية لوادي العَقيق حين يمرّ بين عُشيرة والمسلح شمال شرقي مكة على ستّ مراحل، وهذا عَقيق عُشيرة.

(٤) ذكر الواقدي ١/ ٣٤١ وابن سعد ٢/ ٤٦: أنها كانت في المحرَّم سنة أربع، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن طُليحة وسلمة ابني خُوَيلد الأسديّ قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم =

وغزوةُ محمّد بن مَسلَمة أخي بني حارثةَ القُرَطاءَ من هَوازِنَ[1]، وغزوةُ بَشِير بن سعدٍ بني مُرَّة بفَدَكَ[2]، وغزوةُ بَشير بن سعدٍ ناحيةَ خَيبَر[3]، وغزوةُ زيد بن حارثةَ الجَمُومَ من أرض بني سُلَيمٍ[4]، وغزوةُ زيدِ بن حارثةَ جُذَامَ من أرض خُشَينٍ.

= إلى حرب رسول الله ﷺ، فدعا ﷺ أبا سلمة وعقد له لواءً وبعث معه مئة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فانتهى إلى أدنى قَطَن، وهو الذي كان عليه جمعُهم، فأغار على مراعيهم، فخافوا وتفرّقوا.

ورجعت السرية إلى المدينة بعد بضع عشرة ليلةً.

وقَطَنٌ: جبل ما زال معروفاً بهذا الاسم، يمرّ به الطريق من المدينة المنوَّرة إلى القصيم شرقاً، على قرابة ٣٣٠ كم من المدينة.

(١) ذكر الواقدي ٢/ ٥٣٤ وابن سعد ٢/ ٧٤: أنها كانت في العَشر الثاني من محرَّم سنة خمسٍ، بعثه النبي ﷺ في ثلاثين رجلاً، فغابوا تسعة عشر يوماً.

وفدك: شرق خيبر على قرابة ١٢٥ كم.

(٢) ذكر الواقدي ٢/ ٧٢٣ وابن سعد ٢/ ١١٢: أنها كانت في شعبان سنة سبعٍ، بعثه النبي ﷺ في ثلاثين رجلاً، فأُصيب أصحاب بشيرٍ وولّى بعضهم، وجُرِحَ هو فظنّوا أنه مات فتركوه، فرجع إلى النبي ﷺ بالمدينة.

(٣) ذكر الواقدي ١/ ٦ و٢/ ٧٢٧ وابن سعد ٢/ ١١٣: أنها كانت في شوال سنة سبعٍ، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أنّ جمعاً من غَطَفان بالجِنَاب قد واعدهم عيينةُ بن حصن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ بشيرَ بن سعدٍ فعقد له لواءً وبعث معه ثلاث مئة رجل، فلما دَنَوا من القوم أصابوا لهم نَعَماً كثيراً وتفرّق الرِّعاءُ فحذَّروا الجمع، فتفرقوا ولحقوا بعَلْياء بلادهم.

والجِنَاب: أرض واسعة تقع شمال خيبر وتمتد إلى تَيماء، يعرف جلُّها اليوم باسم الجهراء، كما في «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٨٦.

(٤) ذكر الواقدي ١/ ٥ وابن سعد ٢/ ٨٣: أنها كانت في ربيع الآخر سنة ستٍّ.

والجَمُوم: ماء لا زال معروفاً على السفوح الشرقية لحَرّة كشب شرق مكة على خمس ليال، =

قال ابن هشام: من أرض حِسْمَى[1].

غزوة زيد بن حارثة إلى جُذَام

قال ابن إسحاق: وكان من حديثِها كما حدّثني مَن لا أتّهمُ عن رجالٍ من جُذَامَ كانوا عُلَماءَ بها[2]: أنّ رِفاعةَ بن زيدٍ الجُذَاميَّ لمّا قَدِمَ على قومِهِ من عندِ رسول الله

= انظر «معجم المعالم الجغرافية» ص٨٠ و٢٤٨.

(١) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ي)، وهو كذلك في أصل السّماع كما في حاشية (م)، وفي حاشية (ش٢): قال ابن الوزير: كذا روى الشافعيُّ عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق قال: هي أرض حِسْمى، والله أعلم.

قلنا: ثمّ عَدَا بعضُ النسّاخ فأقحم نقلَ ابن الوزير ـ صاحب الأصل المنسوخ عنه ـ عن الشافعي في أصل كتاب «سيرة ابن هشام» وتتابع على ذلك بعضُ النساخ، فوقع في النسخ عندنا (ت) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م): قال ابن هشام عن نفسه والشافعيُّ عن عمرو بن حَبيبٍ عن ابن إسحاق: من أرض حِسْمَى.

ووقع في هذا النقل عن الشافعي خطأٌ في اسم ابن حبيبٍ، فالذي ينقل عنه الشافعي اسمه عُمر لا عَمرو، وهو عُمر بن حبيب بن محمد العدوي القاضي البصري المتوفَّى سنة ٢٠٧هـ، وله ترجمة في «التهذيب» وفروعه.

وأما حِسْمى: فهي صحراء فيها هِضاب وجبال وأودية تمتد من جنوب غرب وغرب تبوك إلى وادي رمّ جنوب الأردن، وهذه كانت من ديار جُذام.

وذكر الواقدي ٢/ ٥٥٥ وابن سعد ٢/ ٨٤: أن سَريّة زيدٍ إلى جُذام كانت في جمادى الآخرة سنة ستٍّ، وكان معه خمس مئة رجل، أما خليفة بن خيّاط فذكر في «تاريخه» ص٨٥ نقلاً عن ابن إسحاق: أنها كانت في سنة سبعٍ بعد خيبر، وهذا هو الراجح إن شاء الله، وانظر للإفادة كتاب «غزوة مؤتة» لبريك أبو مايلة ص٨٠-٨٢.

(٢) وقد روى خبر هذه الغَزَاة يحيى بن سعيد الأُموي في «مغازيه» عن ابن إسحاق فبيَّن فيه رجاله، فقد أخرج الطبراني في «الكبير» ٢٠/ (٨٠١) بعضاً منه من طريقه عن ابن إسحاق، عن =

ﷺ بكتابه يَدعُوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يَلبَثْ أن قَدِمَ دِحْيةُ بن خَلِيفةَ الكَلْبيُّ من عند قَيصَرَ صاحبِ الرُّوم حين بَعَثَه رسولُ الله ﷺ إليه، ومعه تِجارةٌ له، حتّى إذا كانوا بوادٍ من أوديتِهم يقال له: شَنَارٌ، أغارَ على دِحْية بن خليفة الهُنَيدُ بن عُوصٍ وابنُه عُوصُ بن الهُنَيدِ الضُّلَعيّان ـ والضُّلَيع: بطنٌ من جُذَام ـ فأصابا كلَّ شيءٍ كان معه.

فبَلَغَ ذلك قوماً من الضُّبَيبِ رَهْطِ رِفاعةَ بن زيدٍ ممّن كان أسلمَ وأجابَ، فنَفَرُوا إلى الهُنَيدِ وابنِه، فيهم من بني الضُّبَيبِ النُّعمانُ بن أبي جِعَالٍ، حتّى لَقُوهم فاقتتلوا، وانتَمَى يومَئذٍ قُرّةُ بن أشقَرَ الضَّفاريُّ ثمّ الضُّلَعيُّ فقال: أنا ابنُ لُبنَى، ورَمَى النُّعمانَ بن أبي جِعالٍ بسهمٍ فأصاب رُكْبتَه، فقال حين أصابه: خُذْها وأنا ابنُ لُبنَى، وكانت له أمٌّ تُدعَى لُبنَى، وقد كان حسّانُ بن مَلّةَ الضُّبَيبيُّ قد صَحِبَ دِحيةَ بن خليفةَ قبلَ ذلك فعلَّمَه أمَّ الكتاب.

قال ابن هشام: ويقال: قُرّةُ بن أسقَرَ الضَّفاريّ وحيّانُ بن مَلّة.

قال ابن إسحاق: حدّثني مَن لا أتّهم عن رجال من جُذام قالوا: فاستَنقَذُوا ما كان في يد الهُنَيدِ وابنِه فرَدُّوه على دِحيةَ، فخرج دِحيةُ حتّى قَدِمَ على رسول الله ﷺ فأخبره خبرَه واستَسقاهُ دمَ الهُنَيدِ وابنِه، فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ إليهم زيدَ بن حارثةَ،

= حميد بن رُومان، عن بَعْجة بن زيد، عن عمير بن مَعبَد الجُذامي، عن أبيه قال: وفد رفاعة بن زيد... فذكر خبر وفادة رفاعة وخبر دِحْية الكَلْبي وسريّة زيد بن حارثة. وقد سقط من مطبوع الطبراني بعض هذه الأسماء وتصحّف بعضها، والتصويب من «أسد الغابة» ٤/ ٤٤١، و«الإصابة» ٦/ ١٧٢.

وبعجةُ ومن فوقه مجاهيل، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ٣١٠ بعد أن عزاه إلى الطبراني: فيه جماعة لم أعرفهم.

وذلك الذي هاجَ غزوةَ زيدٍ جُذَامَ، وبَعَثَ معه جيشاً، وقد وَجَّهَت[1] غَطَفانُ من جُذامَ ووائلٌ ومَن كان من سَلَامانَ وسعدِ بن هُذَيمٍ[2] حين جاءَهم رِفاعةُ بن زيدٍ بكتاب رسول الله ﷺ حتّى نَزَلوا الحَرّةَ حرّةَ الرَّجلاء[3]، ورِفاعةُ بن زيدٍ بكُرَاعِ رَبَّةَ لم يَعلَمْ، ومعه ناسٌ من بني الضُّبَيب وسائرُ بني الضُّبَيب بوادي مَدَان من ناحية الحَرّة، ممّا يَسِيلُ مشرِّقاً، وأقبَلَ جيشُ زيد بن حارثة من ناحية الأَولاج، فأغارَ بالماقِصِ من قِبَلِ الحَرّة، فجمعوا ما وَجَدُوا من مالٍ أو ناسٍ وقتلوا الهُنَيدَ وابنَه ورجلين من بني الأحنَفِ[4].

قال ابن هشام: من بني الأجنَف.

قال ابن إسحاق في حديثه: ورجلاً من بني خَصِيب.

فلمّا سَمِعَت بذلك بنو الضُّبَيب والجيشُ بفَيفاءِ[5] مَدَان، رَكِبَ نَفَرٌ منهم، وكان فيمن رَكِبَ معهم حسّانُ بن مَلّة على فرسٍ لسُوَيد بن زيدٍ يقال لها: العَجَاجةُ، وأُنَيفُ ابن مَلّة على فرسٍ لمَلّة يقال لها: رِغالٌ، وأبو زيد بن عمرو على فرسٍ يقال لها: شَمِرٌ، فانطَلَقوا حتّى إذا دَنَوْا من الجيشِ قال أبو زيدٍ وحسّانُ لأُنَيفِ بن مَلّة: كُفَّ عنّا وانصَرِفْ، فإنّا نخشى لسانَك، فوَقَفَ عنهما، فلم يَبعُدا منه حتّى جَعَلَت فرسُه

(١) أي: توجَّهت.

(٢) غطفانُ ووائلٌ هنا بطنان من جذام، وأما سلامان وسعد بن هُذيم فمن قُضاعة.

(٣) وقد تقدم ذكر هذا الكتاب وقدوم رفاعة على النبي ﷺ ص٣٧٢، وتقدم هناك التعريف بحرّة الرجلاء.

أما كُراع ربّة، فسيأتي أنه من حرّة ليلى، وتقدم التعريف بها عند الموضع المتقدم.

(٤) في (ش٢) و(ف) و(ق٢) و(ي): الأخيف.

(٥) الفيفاء: الأرض القَفْر كالصحراء.

تَبحَثُ بيدَيها وتَوَثَّبُ، فقال: لَأنا أضَنُّ بالرَّجلَينِ[1] منكِ بالفَرَسَينِ، فأَرخَى لها حتّى أدرَكَهما، فقالا له: أمّا إذ فعلتَ ما فعلتَ فكُفَّ عنّا لسانَك ولا تَشأَمْنا اليومَ، فتواصَوْا أن لا يَتكلَّمَ منهم إلّا حسّانُ بن مَلّة.

وكانت بينهم كلمةٌ في الجاهليّة قد عَرَفَها بعضُهم من بعضٍ؛ إذا أرادَ أحدُهم أن يَضرِبَ بسيفه قال: بُوري أو ثُوري.

فلمّا بَرَزوا على الجيش أقبَلَ القومُ يَبتَدِرُونهم، فقال لهم حسّانُ: إنّا قومٌ مُسلِمون، وكان أوّلَ مَن لَقِيَهم رجلٌ على فرسٍ أدهَمَ[2]، فأقبَلَ يَسُوقُهم، فقال أُنَيفٌ: بُوري، فقال حسّانُ: مَهلاً، فلمّا وَقَفُوا على زيد بن حارثة قال حسّانُ: إنّا قومٌ مُسلِمون، فقال له زيدٌ: فاقرَأْ أمَّ الكتاب، فقرأَها حسّانُ، فقال زيدُ بن حارثة: نادُوا في الجيش: إنّ الله قد حَرَّمَ علينا ثُغْرَةَ القوم[3] التي جاؤوا منها إلّا مَن خَتَرَ[4].

وإذا أختُ حسّانَ بن مَلّة ـ وهي امرأةُ أبي وَبْر بن عَديّ بن أُميّة بن الضُّبَيب ـ في الأُسارى، فقال له زيدٌ: خُذْها، وأخَذَت بحَقْوَيهِ[5]، فقالت أمُّ الفِزْر الضُّلَعيّة: أتنطَلِقون ببناتِكم وتَذَرُون أُمّهاتِكم؟! فقال أحدُ بني الخَصِيب: إنّها بنو الضُّبَيبِ وسِحرُ أَلسنتِهم سائرَ اليوم، فسمعها بعضُ الجيش فأخبَرَ بها زيدَ بن حارثةَ، فأمَرَ بأُختِ حسّانَ ففُكَّت يداها من حَقْوَيهِ وقال لها: اجلسي مع بناتِ عَمِّك حتّى يَحكُمَ الله فيكُنَّ حُكمَه، فرَجَعوا، ونَهَى الجيشَ أن يَهبِطُوا إلى واديهم الّذي جاؤوا منه.

---

(١) أي: لأنا أحرص عليهما وعلى صُحبتهما.

(٢) الأدهم: الأسود.

(٣) ثغرة القوم: ناحيتهم التي يحمُونها.

(٤) أي: نقض العهد.

(٥) أي: بخَصْرَيه.

فأمسَوْا في أهلِيهِم، واستَعتَمُوا ذَوْداً[1] لسُوَيد بن زيدٍ، فلمّا شربوا عَتَمَتَهم رَكِبوا إلى رِفاعةَ بن زيدٍ، وكان ممّن رَكِبَ إلى رِفاعةَ بن زيدٍ تلك الليلةَ أبو زيد بن عمرو وأبو شَمّاس بن عمرو وسُوَيد بن زيدٍ وبَعْجةُ بن زيدٍ وبَرذَعُ بن زيدٍ وثَعلبةُ بن زيدٍ ومُخرِّبةُ[2] بن عَديّ وأُنَيفُ بن مَلّة وحسّانُ بن مَلّة، حتّى صَبَّحوا رفاعةَ بن زيدٍ بكُرَاع رَبّةَ بظَهْر الحَرَّة، على بئرٍ هنالك من حَرَّة ليلى، فقال له حسّانُ بن مَلّة: إنّك لجالسٌ تَحلُبُ المِعزَى ونساءُ جُذامَ أُسارى قد غَرَّها كتابُك الذي جئتَ به! فدعا رفاعةُ بن زيدٍ بجملٍ له فجَعَلَ يَشُدُّ عليه رَحْلَه وهو يقول:

هلْ أنـتَ حيٌّ أو تُنـادِي حـيّا

ثمّ غَدَا ـ وهم معه ـ بأُميّة بن ضَفَارةَ أخي الخَصِيبيّ المقتول، مُبكِّرِينَ من ظَهْر الحَرَّة، فساروا إلى جوفِ المدينـة ثلاثَ ليالٍ، فلمّـا دخلـوا المدينـةَ وانتهَـوا إلى المسجد، نَظَرَ إليهم رجلٌ من الناس فقال: لا تُنِيخُوا إبِلَكم فتُقَطَّعَ أيدِيهنَّ، فنَزَلوا عنهنَّ وهُنَّ قِيامٌ، فلمّا دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم، ألَاحَ[3] إليهم بيده: أن تعالَوْا من وراءِ الناس، فلمّا استَفتَحَ رِفاعةُ بن زيدٍ المَنطِقَ قامَ رجلٌ من الناس فقال: يا رسولَ الله، إنّ هؤلاءِ قومٌ سَحَرةٌ، فرَدَّدَها[4] مرَّتَينِ، فقال رفاعةُ بن زيدٍ: رَحِمَ الله

---

(١) الذَّود: ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل، واستَعتَمُوها، أي: انتظروها إلى عَتَمة الليل حتى أفاقت واجتمع لبنُها فحَلَبوها.

(٢) هكذا جاء مقيَّداً في النسخ الخطية بتشديد الراء، وقيَّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٤/ ٢١٥١: مَخْرَبة، وتابعه على ذلك ابن ماكولا في «الإكمال» ٧/ ١٦٣، وابن حجر في «تبصير المنتبه» ٤/ ١٢٦٦، والفيروزابادي في «القاموس» (خرب).

(٣) ألاحَ: أشار.

(٤) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، وفي بقية النسخ: فردّها. =

مَن لم يُحْذِنا[1] في يومِه هذا إلّا خيراً.

ثمّ دَفَعَ رِفاعةُ بن زيدٍ كتابَه إلى رسول الله ﷺ الّذي كان كَتَبَه له، فقال: دُونَك يا رسولَ الله قديماً كتابُه حديثاً غَدْرُه، فقال رسول الله ﷺ: «اقرَأْهُ يا غلامُ وأَعلِنْ»، فلمّا قرأَ كتابَه استَخبَرَه فأخبَرُوهم الخبرَ، فقال رسول الله ﷺ: «كيفَ أصنَعُ بالقَتلَى؟» ثلاثَ مرّاتٍ، فقال رِفاعةُ: أنتَ يا رسولَ الله أعلمُ، لا نُحرِّمُ عليك حلالاً، ولا نُحِلُّ لك حراماً، فقال أبو زيد بن عمرٍو: أَطلِقْ لنا يا رسولَ الله مَن كان حيّاً، ومَن قُتِلَ فهو تحتَ قَدَمي هذه، فقال له رسول الله ﷺ: «صَدَقَ أبو زيدٍ، اركَبْ معهم يا عليُّ»، فقال له عليٌّ رضي الله عنه: إنّ زيداً لن يُطِيعَني يا رسولَ الله، قال: «فخُذْ سَيْفي هذا»، فأعطاه سيفَه، فقال عليٌّ: ليس لي يا رسولَ الله راحلةٌ أركَبُها، فحَمَلوه على بعيرٍ لثَعْلبةَ بن عمرٍو يقال له: مِكْحالٌ، فخَرَجوا، فإذا رسولٌ لزيدِ بن حارثةَ على ناقةٍ من إبل أبي وَبْرٍ يقال لها: الشَّمر، فأنزَلُوه عنها، فقال: يا عليُّ، ما شَأْني؟ فقال: مالُهم عَرَفوه فأَخذوه، ثمّ ساروا فلَقُوا الجيشَ بفَيْفاءِ الفَحْلتَينِ، فأَخذوا ما في أيديهم حتّى كانوا يَنزِعون لُبَيدَ[2] المرأةِ من تحتِ الرَّحْلِ.

فقال أبو جِعَالٍ حين فَرَغُوا من شأنهم:

وعاذِلَةٍ ولم تَعذُلْ بطِبٍّ ... ولولا نحنُ حُشَّ بها السَّعيرُ[3]

تُدافِعُ في الأُسارَى بابنَتَيها ... ولا يُرجَى لها عِتقٌ يَسيرُ

= وأراد بقوله: قوم سَحَرة، أي: عندهم فصاحةُ لسانٍ وبيانٍ يسحرون بها من يسمعهم.

(١) لم يحذنا، أي: لم يُعطِنا من لسانه.

(٢) هكذا قُيِّد في النسخ، وهوتصغير لِبْد: وهو بساط من صوف. أو هو اللَّبِيد بفتح أوله، يعني الجُوَالِق: وهو كيس من صوف أو شعر.

(٣) لم تَعذُل: لم تَلُم. بطِبٍّ، أي: برِفْق. وحُشَّ، أي: أُوقِدَ. والسعير: تلهُّب النار.

ولـو وُكِلَـت إلـى عُـوصٍ وأَوسٍ لَحـارَ بهـا عـن العِتـقِ الأُمـورُ[1]

ولــو شَـهِدَت رَكائبَنـا بمِصـرٍ تُحـاذِرُ أن يُعَـلَّ بهـا المَسِـيرُ[2]

وَرَدْنـا مـاءَ يَثـرِبَ عـن حِفَـاظٍ لرِبْـعٍ إنّـه قَـرَبٌ ضَـرِيرُ[3]

بكـلِّ مُجـرَّبٍ كالسِّـيدِ نَهْـدٍ علـى أَقتـادِ ناجيـةٍ صَـبورِ[4]

فِدًى لأبي سُلَيمَى كلُّ جِبْسٍ[5] بيَثـرِبَ إذ تَناطَحَـت النُّحـورُ

غـداةَ تَـرى المُجـرَّبَ مُستَكيناً خِـلافَ القـومِ هامَتُـه تَـدُورُ[6]

قال ابن هشام: قولُه: ولا يُرجَى لها عِتقٌ يَسيرُ، وقولُه: عن العِتقِ الأُمورُ، عن غير ابن إسحاق.

تمَّت الغَزاةُ وعُدْنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبُعوث

قال ابن إسحاق: وغزوةُ زيدِ بن حارثةَ أيضاً الطَّرْفَ من ناحية نَخْلٍ من طريقِ

---

(١) حارَ: رَجَع.

(٢) المِصر: أيّ بلدٍ كان. ويُعَل: يُكرَّر.

(٣) الحِفاظ، أي: الغضب.

والرِّبع: أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ لليوم الرابع بعد حبسها عنه ثلاثاً. والقَرَب: السَّير في طلب الماء. والضَّرير هنا: المضارّة.

(٤) السِّيد: الذئب. والنَّهد: الغليظ. والأقتاد: أدوات الرَّحْل. والناجية: السريعة. وصبور: صابرة، وفي بعض النسخ: ضَبُور، أي: شديدة الخَلْق. والبيت فيه إقواءٌ.

(٥) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ)، والجِبْس: الجبان العَيِيُّ عن الحُجّة، وفي بقية النسخ: الجيش، ونُراه تصحيفاً.

وأبو سُليمى: الظاهر أنها كُنية رفاعة بن زيد. والنُّحور: الصدور، وأراد بتناطُحها: ما جرى في المجلس من المحاورات والمقاولات.

(٦) مستكيناً، أي: خاضعاً. وخلاف القوم، أي: خَلْفهم. والهامَة: الرأس.

العراق[1].

غزوة زيد بن حارثة بني فَزَارة ومُصابُ أمِّ قِرْفة

وغزوةُ زيدِ بن حارثةَ أيضاً واديَ القُرَى[2]، لَقِيَ به بني فَزَارة فأُصيبَ بها ناسٌ من أصحابه وارتُثَّ زيدٌ من بين القتلى[3]، وفيها أُصيبَ وَرْدُ بن عمرو بن مَدَاشٍ، وكان أحدَ بني سعدِ بن هُذَيل، أصابه أحدُ بني بدرٍ.

قال ابن هشام: سعدُ بن هُذَيمٍ[4].

قال ابن إسحاق: فلمّا قَدِمَ زيدُ بن حارثةَ آلَى[5] أن لا يَمَسَّ رأسَه غُسلٌ من جنابةٍ

---

(١) ذكر الواقديُّ ٢/ ٥٥٥ وابن سعد ٢/ ٨٤: أنها كانت في جُمادى الآخرة سنة ستٍّ، في خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة من غَطَفان، وغاب فيها أربع ليالٍ، وذكر خليفة في «تاريخه» ص٨٥: أنها كانت في سنة سبع.

والطَّرف: تُعرف الآن بالصّويدرة، شرقيّ المدينة المنوّرة على قرابة ٧٠ كم.

وأما نخل - أو النُّخيل -: فشمال شرق الصويدرة على قرابة ٥٠ كم.

(٢) سبق التعريف بهذا الوادي ٣/ ٤٥٥.

(٣) وعند الواقديّ ٢/ ٥٦٤ وابن سعد ٢/ ٨٦: أن هذه لم تكن غزوةً، بل إن زيد بن حارثة كان خارجاً في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان دون وادي القُرى لقيَه ناسٌ من فَزَارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم تعافى زيدٌ وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم.

وقوله: ارتُثَّ من بين القتلى، أي: رُفع وبه جراح.

(٤) الصواب أن يقال فيه كما في كتب الأنساب: سعد هُذيم، على الإضافة، فإنما هو سعد بن زيد بن ليث بن سُوَد بن أسلُمَ بن الحاف بن قُضاعة، وإنما نُسِبَ إلى هُذيم، لأن هذيماً حَضَنَه، وهو عبد حبشيٌّ، كما في «الروض» للسهيلي ٧/ ٥٢٧.

(٥) أي: حَلَف.

حتّى يَغزُوَ بني فَزَارة، فلمّا استبَلَّ[1] من جِرَاحِه بَعَثَه رسولُ الله ﷺ إلى بني فَزَارةَ في جيشٍ[2] فقتلهم بوادي القُرَى وأصاب فيهم، وقتل قيسُ بن المُسحَّر اليَعمَريُّ مَسعَدةَ بن حَكَمة بن مالك بن حُذَيفة بن بدرٍ، وأُسِرَت أمُّ قِرْفةَ فاطمةُ بنت ربيعة ابن بدرٍ، كانت عند مالك بن حُذَيفة بن بدرٍ عجوزاً كبيرةً، وبنتٌ لها، وعبدُ الله بن مَسعَدة، فأمَرَ زيدُ بن حارثةَ قيسَ بن المُسحَّرِ أن يقتلَ أمَّ قِرْفةَ، فقتلها قتلاً عنيفاً[3]،

---

(١) أي: برأ منها وتعافى.

(٢) وذلك في رمضان سنة ستٍّ، قاله الواقدي في «المغازي» ٥/ ١٨٦ وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٨٦، وأما خليفة فذكر في «تاريخه» ص٧٧: أنها كانت في سنة خمس.

تنبيه: اتّفق أهل المغازي والسِّيَر على أن هذه السريّة إلى بني فزارة كانت بقيادة زيد بن حارثة، وأما ما رواه عكرمة بن عمّار عند أحمد (١٦٥٠٢) ومسلم (١٧٥٥) وغيرهما عن إياس بن سلمة ابن الأكوع عن أبيه: أنه غزا مع أبي بكر فزارةَ، فجعل القيادة فيها لأبي بكر، فهذا ممّا اضطَرَب فيه عكرمةُ واختُلف عليه فيه، فمرّةً يقول في حديثه هكذا، ومرّةً يقول: غزا معه هوازنَ، وهذا هو الصواب إن شاء الله تعالى في حديثه، وبذلك تتفق الرواية عند أهل الحديث مع ما هو مشهور معروف عند أهل المغازي والسير، وعكرمةُ بن عمّار - وإن كان بالجملة لا بأس به - يغلطُ ويَهِمُ كما قال بعض أئمّة الجرح والتعديل فيه، بل أشار البيهقي في «سننه» ٨/ ٣٠٣ إلى أنه اختلط في آخر عمره وساء حفظه فروى ما لم يُتابَع عليه.

ومما وَهِمَ فيه أيضاً ما ذكره بعضُ الرواة عنه من ذكرِ قصة أَسر ابنة أم قِرْفة - ولم يسمِّها - في غزوة أبي بكر، ولم يذكرها البعضُ الآخر.

(٣) الظاهر أنها أحدثت ما تستحقُّ عليه القتل، ويشير إلى ذلك ما وقع في رواية إبرهيم بن يحيى بن محمد بن عبّاد الشَّجري، عن أبيه، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عائشة قالت: بلغ رسولَ الله ﷺ أنّ امرأةً من بني فَزَارة يقال لها: أمّ قرفة، قد جهَّزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها، قالت: اقدَمُوا المدينة فاقتلوا محمداً، فقال النبي ﷺ: «اللهم أثكِلها بولدها» ثم ذكرت بعثَه ﷺ زيدَ بن حارثة إليهم وقتلَه لها ولولدها. أخرجه العقيلي في «الضعفاء» =

ثمّ قَدِموا على رسول الله ﷺ بابنةِ أمِّ قِرْفةَ وبابن مَسعَدة.

وكانت بنتُ أمّ قِرْفةَ لسَلَمة بن عمرو بن الأكوَع، كان هو الذي أصابَها، وكانت في بيتِ شَرَفٍ من قومها؛ كانت العربُ تقول: لو كنتَ أعَزَّ من أمِّ قِرفةَ ما زِدتَ، فسألها رسولُ الله ﷺ سَلَمةَ فوَهَبَها له، فأهداها لخالِه حَزْنِ بن أبي وهبٍ[1] فوَلَدَت

= (٢٠٠٣)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٦٢)، وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم وأبيه ونكارة حديثهما، لكن بالرَّغم من ضعف إسناد هذه الرواية ففيها ما يوضح سبب قتل أم قِرفة، وأنها كانت تحرِّض على قتل رسول الله ﷺ ، ولعلَّها أيضاً كانت تسبُّ رسولَ الله ﷺ كما ذكر الدُّولابي فيما نقله عنه ابن سيّد الناس في «عيون الأثر» ٢/ ١٥١.

(١) هذه الخؤولة من جهة جدّة النبي ﷺ فاطمةَ أمِّ أبيه، فهي بنت عمرو بن عائذ من بني مخزوم، وهي أخت أبي وهب والد حَزْن، كما في «الروض» ٧/ ٥٢٩.

وكونُ النبي ﷺ أهدى بنتَ أم قرفة الفَزارية لخاله حزن ـ وكان إذ ذاك مشركاً مقيماً بمكة ـ فولدت له ولداً اسمه عبد الرحمن، فهذا ما قاله ابن إسحاق هنا والضحّاكُ بن عثمان الحِزامي فيما نقله عنه الزبير بن بكّار في «النسب» كما في «الإصابة» لابن حجر ٤/ ٢٩٦، وأمّا مصعب الزُّبيري فلم يذكر في «نسب قريش» ص٣٤٥ لحزنٍ من الولد مَن اسمه عبد الرحمن سوى الذي أمُّه أم الحارث العامرية، وهذا استُشهِد يوم اليمامة.

وأما الواقديُّ فذكر في «المغازي» ٢/ ٥٦٥: أنها ولدت له امرأةً ليس له منها ولد غيرها.

وهذا كله يخالف ما وقع في حديث عكرمة بن عمّار ـ المذكور سابقاً وهو عند أحمد ومسلم ـ عن إياس بن سلمة عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أخذها فبعَثَ بها إلى أهل مكة، ففَدَى بها ناساً من المسلمين كانوا أُسِروا بمكة. قال السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٥٢٨: وهذه الرواية أصحّ وأحسن من رواية ابن إسحاق.

قلنا: لكن يمكن التوفيق بين الروايتين بأن يكون حَزْن بن أبي وهب المخزومي ـ وكان شرسَ الأخلاق صعباً كاسمه ـ هو صاحب اليد الطُّولى في حبس ومنع بعض مستضعفي المسلمين بمكة من الخروج إلى رسول الله ﷺ في المدينة، فأراد النبي ﷺ أن يتألّف قلبَه بهذه الهديّة =

له عبدَ الرّحمن بن حَزْن.

فقال قيسُ بن المُسحَّر في قتل مَسعَدة:

سَعَيتُ بوَرْدٍ مِثلَ سَعي ابن أُمّهِ ... وإنّي بوَردٍ في الحياةِ لَثائرُ[1]

كَرَرتُ عليه المُهرَ لمّا رأيتُهُ ... على بَطَلٍ من آلِ بدرٍ مُغاوِرِ[2]

فرَكَّبتُ فيه قَعضَبيّاً كأنّهُ ... شِهابٌ بمَعْراةٍ يُذكّى لناظِرِ[3]

غزوة عبد الله بن رَوَاحة لقتل اليُسَير بن رِزَام

وغزوةُ عبد الله بن رَوَاحة خَيبَرَ مرّتَينِ، إحداهما التي أصابَ فيها اليُسيرَ بن رِزَامٍ.

قال ابن هشام: اليُسَير بن رازِمٍ[4].

وكان من حديث اليُسَيرِ بن رِزَامٍ[5]: أنّه كان بخيبرَ يَجمَعُ غَطَفانَ لغزوِ

= ليرفع يدَه عن هؤلاء المستضعفين، وبذلك تتّفق الروايات ولا تتضادُّ، والله تعالى أعلم.

وحَزْن بن أبي وهب ـ وهو جدُّ سعيد بن المسيّب ـ أسلم يوم الفتح وقُتل شهيداً باليمامة في خلافة أبي بكر الصدّيق.

(١) ثائر، أي: آخذٌ بثأره، وورد: هو ابن عمرو بن مَدَاش المذكور في أول هذه الغزوة، وفي هذا البيت إقواءٌ لمخالفة حركته لحركة البيتين التاليين.

(٢) المُغاور: الكثير الإغارة.

(٣) قعضبيّاً، أي: سِناناً (وهو نَصْل الرمح) منسوباً إلى قَعضَب، رجل كان يصنع الأسنّة. والمَعْراة: الموضع الذي لا يستره شيء. ويُذكّى: يُوقد.

(٤) قول ابن هشام هذا ليس في (ش٢) و(ف) و(ي)، لكن أشار إليه في حاشية (ش٢) على أنه في نسخة.

(٥) وقد جاء خبر هذه الغزوة في مغازي عروة بن الزبير من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود يتيم عروة عنه فيما أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٤٤)، والبيهقي في «الدلائل» أيضاً =

رسول الله ﷺ، فبَعَثَ إليه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن رَوَاحةَ في نَفَرٍ من أصحابه، منهم عبدُ الله بن أُنَيسٍ حليفُ بني سَلِمةَ، فلمّا قَدِمُوا عليه كَلَّموه وقَرَّبوا له، وقالوا له: إنّك إن قَدِمتَ على رسول الله ﷺ، استَعمَلَك وأكرَمَك، فلم يَزالُوا به حتّى خرج معهم في نَفَرٍ من يهودَ.

فحَمَلَه عبدُ الله بن أُنَيسٍ على بعيرِه، حتّى إذا كان بالقَرقَرةِ من خَيبَر[1] على ستّة أميالٍ نَدِمَ اليُسَيرُ بن رِزَامٍ على مَسيرِه إلى رسول الله ﷺ، ففَطَنَ له عبدُ الله ابن أُنَيسٍ وهو يريد السّيفَ، فاقتَحَمَ به[2] ثمّ ضَرَبَه بالسّيف فقَطَعَ رِجلَه، وضَرَبَه اليُسَيرُ بمِخرَشٍ في يده من شَوحَطٍ فأمَّه[3]، ومالَ كلُّ رجلٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ إلى صاحبِه من يهودَ فقتله، إلّا رجلاً واحداً أَفلَتَ على رِجلَيه. فلمّا قَدِمَ عبدُ الله ابن أُنَيسٍ على رسول الله ﷺ تَفَلَ على شَجَّتِهِ فلم تَقِحْ[4] ولم تُؤذِه.

وغزوةُ عبدِ الله بن عَتِيكٍ خيبرَ، فأصابَ بها أبا رافعِ بن أبي الحُقَيق.

غزوة عبد الله بن أُنيسٍ لقتل خالد بن سفيان بن نُبَيح الهُذَليّ

وغزوةُ عبدِ الله بن أُنَيسٍ خالدَ بن سفيانَ بن نُبَيحٍ[5]، بَعَثَه رسولُ الله ﷺ إليه

= ٤/ ٢٩٣-٢٩٤، وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزُّهري كما عند البيهقي.

(١) في جنوبها، ويسمّى اليوم قاع قعقران، ويُستغنى عن قاع فيلفظونه: قعقران. كما في «معجم المعالم الجغرافية» للبِلاديّ ص٢٥٣.

(٢) أي: ألقاه عن البعير وهو معه.

(٣) المِخرَش: عصا معوجّة الرأس يُضرَب بها. والشوحط: نوع من شجر الجبال تتَّخذ منه القِسِيّ. فأَمَّه، أي: جَرَحَه في رأسه حتى بلغ جُرْحُه أمَّ الرأس، وهي الجلدة التي تجمع الدماغ.

(٤) تَفَل: بصق بصاقاً خفيفاً. ولم تقح، أي: لم يتولّد فيها قيح.

(٥) وكانت في المحرَّم سنةَ ثلاث من الهجرة.

وهو بنَخْلةَ أو بعُرَنةَ[1] يَجمَعُ لرسول الله ﷺ الناسَ ليَغزُوَه فقتله.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير قال: قال عبدُ الله بن أُنَيس: دعاني رسولُ الله ﷺ فقال: «إنّه قد بَلَغَني أنّ ابنَ سفيانَ بن نُبَيحٍ الهُذَليَّ يَجمَعُ لي الناسَ ليَغزُوَني، وهو بنَخْلةَ أو بعُرَنةَ، فأْتِه فاقتُلْه» قلت: يا رسولَ الله، انعَتْه لي حتّى أعرِفَه، فقال: «إنَّك إذا رأَيتَه أَذكَرَك الشَّيطانَ، وآيةُ ما بينَك وبينَه أنَّك إذا رأيتَه وَجَدتَ له قُشَعرِيرةً»[2].

قال: فخرجتُ مُتَوشِّحاً سيفي حتّى دُفِعتُ إليه وهو في ظُعُنٍ يَرتادُ لهنّ منزلاً[3]، وحيثُ كان وقتُ العصر، فلمّا رأيتُه وَجَدتُ ما قال لي رسولُ الله ﷺ من القُشَعرِيرة، فأقبَلتُ نحوَه وخَشِيتُ أن تكونَ بيني وبينه مُجاوَلةٌ[4] تَشغَلُني عن الصّلاة، فصلَّيتُ وأنا أَمشي نحوه أُومِئُ برأسي، فلمّا انتَهَيتُ إليه قال: مَن الرّجلُ؟ قلت: رجلٌ من العربِ سَمِعَ بك وبجَمْعِك لهذا الرّجلِ فجاءَك لذلك، قال: أجَلْ، إنّا في ذلك، قال: فمَشَيتُ معه شيئاً، حتّى إذا أمكَنَني حَمَلتُ عليه بالسّيفِ فقتلته، ثمّ خرجتُ وتَركتُ ظَعَائنَه مُنكَبّاتٍ عليه، فلمّا قَدِمتُ على رسول الله ﷺ فرآني قال: «أفلَحَ الوَجْهُ» قلت: قد قتلتُه يا رسولَ الله، قال: «صَدَقتَ».

---

(١) عُرَنة: أحد أودية مكة وأشهرها، يمرّ جنوب مكة على حدود الحرم، وهو الحد الفاصل بين مَشعَر عرفة ومكة، ويسير مشرِّقاً حتى وادي حنين المعروف اليوم بوادي الشرائع.

وأما نَخْلة: فهي هنا نخلة اليمانيَة، وتقع شرق مكة على قرابة ٧٥ كم، من مساكن هُذيل.

(٢) القشعريرة: الرِّعدة.

(٣) الظُّعُن: هنَّ النساء في الهودج، جمع ظَعِينة. ويرتاد لهن منزلاً، أي: يطلب لهنَّ موضعاً يُنزلهنَّ فيه.

(٤) أي: حركة بيني وبينه.

ثمّ قامَ بي فأدخَلَني بيتَه فأعطاني عَصاً، فقال: «أَمسِكْ هذه العَصَا عندَكَ يا عبدَالله ابنَ أُنيسٍ»، قال: فخرجتُ بها على النّاس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أَعطانِيها رسولُ الله ﷺ وأمَرَني أن أُمسِكَها عندي، قالوا: أفلا تَرجِعُ إلى رسول الله ﷺ فتَسأَلَه لِمَ ذلك، قال: فرَجَعتُ إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، لِمَ أعطَيتَني هذه العصا؟ قال: «آيةٌ بيني وبينَك يومَ القيامةِ، إنَّ أَقَلَّ النّاسِ المُتَخَصِّرونَ[1] يومَئِذٍ». قال: فقَرَنَها عبدُ الله بن أُنَيسٍ بسيفِه، فلم تَزَلْ معه حتّى مات، ثمّ أَمَرَ بها فضُمَّت في كَفَنِه ثمّ دُفِنا جميعاً[2].

قال ابن هشام: وقال عبدُ الله بن أُنَيسٍ في ذلك:

---

(١) المتخصِّرون، أي: المتَّكئون على المَخاصِر، وهي العِصيُّ، واحدتها: مِخصَرة.

(٢) حديث حسن، والإسناد هنا منقطع، محمد بن جعفر بن الزبير لم يسمعه من عبد الله بن أنيس، بينهما فيه ابنُ عبد الله بن أُنيس كما وقع في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عند أحمد (١٦٠٤٧) وابن خزيمة (٩٨٣) وابن حبان (٧١٦٠)، ورواية عبد الله بن إدريس عنه عند أحمد أيضاً (١٦٠٤٨)، ورواية عبد الوارث بن سعيد عنه كذلك عند أبي داود (١٢٤٩) وابن خزيمة (٩٨٢)، وحسَّن هذا الإسنادَ الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» ٣/ ٧٤٤.

وابن عبد الله بن أنيس سمّاه محمد بن سلمة الحرّاني في روايته عن ابن إسحاق عند البيهقي في «السنن» ٣/ ٢٥٦ و«الدلائل» ٤/ ٤٢: عبد الله بن عبد الله بن أنيس.

وعبد الله بن عبد الله بن أنيس هذا ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ١٢٥، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ٩٠، وابن حبان في «الثقات» ٥/ ٣٧.

وأخرجه بنحوه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٧٢٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٤٩١٨) من طرق عن عبد العزيز الدراوردي، عن يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن محمد بن كعب القُرظي قال: قال عبد الله بن أنيس... وذكره. وهذا إسناد جيد إن كان محمد بن كعب سمعه من ابن أُنيس، فإن أحداً لم يذكر له سماعاً منه.

تركتُ ابنَ ثَورٍ كالحُوَارِ وحولَهُ   نوائحُ تَفْري كلَّ جَيبٍ مُقدَّدِ[1]

تَناوَلتُه والظُّعْنُ خَلْفي وخلفَهُ   بأبيَضَ من ماءِ الحديدِ مُهنَّدِ[2]

عَجُومٍ لِهامِ الدّارِعينَ كأنّهُ   شِهابُ غَضًى من مُلهَبٍ مُتوقِّدِ[3]

أقولُ له والسّيفُ يَعجُمُ رأسَهُ   أنا ابنُ أُنَيسٍ فارساً غيرَ قُعدُدِ[4]

أنا ابنُ الذي لم يُنزِلِ الدَّهرَ قِدْرَهُ   رَحيبُ فِناءِ الدّارِ غيرُ مُزنَّدِ[5]

وقلتُ له خُذْها بضربةِ ماجِدٍ   حَنيفٍ على دينِ النبيِّ محمّدِ[6]

وكنتُ إذا هَمَّ النبيُّ بكافرٍ   سَبَقتُ إليه باللّسانِ وباليدِ

تمّت الغَزاةُ وعُدنا إلى البُعوث

قال ابن إسحاق: وغزوةُ زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالبٍ وعبد الله بن رَوَاحة مُؤْتةَ من أرض الشّام، فأُصيبوا بها.

وغزوةُ كعبِ بن عُمَيرٍ الغِفاريِّ ذاتَ أطلاحٍ من أرض الشّام، أُصِيبَ بها هو وأصحابُه جميعاً[7].

---

(١) الحُوَار: ولد الناقة إذا كان صغيراً. وتَفري: تقطع. وجَيْب، أي: جيب الثوب، وهو أعلاه من جهة النَّحر. ومقدَّد، أي: مشقوق، وقدَّ الثوبَ: شقَّه.

(٢) الأبيض: السيف. ومهنَّد، أي: مصنوع من حديد الهند.

(٣) عجوم: عَضُوض، يقال: عَجَمَه، إذا عضَّه. والهامُ: الرؤوس. والدّارع: لابس الدرع. والشِّهاب: القطعة من النار. والغضى: شجر يشتدّ التهاب النار فيها.

(٤) القُعدُد: اللئيم.

(٥) رحيب: متّسِع. والمزنَّد: البخيل الممسِك.

(٦) الماجد: الشريف. والحنيف: الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام.

(٧) وكانوا خمسة عشر رجلاً، وكانت في ربيع الأول سنة ثمانٍ كما ذكر الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٥٢ وابن سعد في «طبقاته» ٢/ ١١٩.

وغزوةُ عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ بني العَنبَر من بني تَميمٍ.

غزوة عُيَينة بن حِصْن بني العَنبَر من بني تميم

وكان من حديثهم: أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَه إليهم، فأغارَ عليهم فأصابَ منهم أُناساً، وسَبَى منهم أُناساً.

فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة: أنّ عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، إنّ عليَّ رَقَبةً من ولد إسماعيل، قال: «هذا سَبْيُ بني العَنبَرِ يَقدَمُ الآنَ، فنُعطِيكِ منهم إنساناً فتُعتِقِينَه»[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا قُدِمَ بسَبْيِهم على رسول الله ﷺ، رَكِبَ فيهم وفدٌ من بني تَميمٍ حتّى قَدِموا على رسول الله ﷺ منهم ربيعةُ بن رُفَيع وسَبْرةُ بن عمرٍو والقعقاعُ ابن مَعبَدٍ ووَرْدانُ بن مُحرِزٍ وقيسُ بن عاصمٍ ومالكُ بن عمرٍو والأقرَعُ بن حابسٍ وفِراسُ بن حابسٍ، فكَلَّموا رسولَ الله ﷺ فيهم، فأعتَقَ بعضاً وأفدَى بعضاً، وكان ممّن قُتِلَ يومئذٍ من بني العَنبَرِ عبدُ الله وأَخَوانِ له بنو وهبٍ وشدّادُ بن فِراسٍ

(١) إسناده ضعيف لإرساله، فعاصم بن عمر من صغار التابعين.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثاني من «تاريخه» (٣٠٠)، والطبري في «تاريخه» ٣/ ١٥٧، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٥٢٤) من طرق عن ابن إسحاق، به.

ويشهد لمعناه حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٥٤٣) ومسلم (٢٥٢٥)، قال: لا أزال أحبُّ بني تميم من ثلاثٍ سمعتهن من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم أشدُّ أمّتي على الدجال»، قال: وجاءت صدقاتُهم فقال النبي ﷺ: «هذه صدقاتُ قومنا»، قال: وكانت سبيَّةٌ منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ: «أَعتِقيها فإنها من ولد إسماعيل».

وفي رواية صحيحة من حديث أبي هريرة هذا عند أبي يعلى (٦١٠٨): وكانت على عائشة نسمة من بني إسماعيل... فلما قدم سبيُ بَلْعَنبَر قال: «ابتاعي، فإنهم ولدُ إسماعيل».

وحَنظَلَةُ بن دارمٍ، وكان ممّن سُبِيَ من نسائهم يومئذٍ أسماءُ بنتُ مالكٍ وكاسُ بنتُ أَرِيٍّ ونَجْوةُ بنتُ نَهدٍ وجُمَيعةُ بنتُ قيسٍ وعَمْرةُ بنتُ مَطَرٍ.

فقالت في ذلك اليومِ سَلمَى بنتُ عَتّاب:

لَعَمْري لقد لاقَتْ عَديُّ بن جُندُبٍ ... من الشَّرِّ مَهواةً شديداً كَؤودُها[1]

تَكنَّفَها الأعداءُ من كلِّ جانبٍ ... وغُيِّبَ عنها عِزُّها وجُدُودُها[2]

قال ابن هشام: وقال الفَرَزدقُ في ذلك[3]:

وعندَ رسولِ الله قامَ ابنُ حابسٍ ... بخُطّةِ سَوّارٍ إلى المجدِ حازمِ[4]

له أطلَقَ الأَسرى التي في حِبالِهِ ... مُغلَّلةً أعناقُها في الشَّكائمِ[5]

كَفَى أُمّهاتِ الخائفينَ[6] عليهمُ ... غَلاءَ المُفادِي أو سِهامَ المَقاسِمِ

وهذه الأبياتُ في قصيدةٍ له. وعَديُّ بن جُندُبٍ من بني العَنبَر، والعنبَرُ ابنُ عمرو بن تَمِيم.

---

(١) المَهواة: موضع منخفض بين جبلين.

والكَؤود: العَقَبة الصعبة.

(٢) تكنَّفها الأعداء، أي: أحاطوا بها. والجُدود: جمع جَدٍّ، وهو السَّعد والبخت.

(٣) انظر «ديوانه» ص٦٢٢.

(٤) ابن حابس: هو الأقرع. والخُطة: الخَصْلة. والسوّار: البطل الذي يرتقي الصِّعاب ويَثِبُ لخصومه.

(٥) مغلَّلة، أي: مقيَّدة بالأغلال. والشكائم: حلقات الحديد.

(٦) هكذا في نسخنا كافة، وكذا في «الديوان»، وفي نسخة على حاشيتي (ش١) و(ش٢): الخالفين.

قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٤٥٤: الخالفين: يريد الذين تخلَّفوا في أهلهم.

غزوة غالب بن عبد الله أرضَ بني مُرَّة

قال ابن إسحاق: وغزوةُ غالبِ بن عبدِ الله الكَلْبيِّ ـ كلبِ ليثٍ ـ أرضَ بني مُرَّة[1]، فأصابَ بها مِرْداسَ بن نَهِيكٍ، حليفاً لهم من الحُرَقة من جُهَينة، قتله أُسامةُ بن زيدٍ ورجلٌ من الأنصار.

قال ابن هشام: الحُرْقةُ[2]، فيما حدّثني أبو عُبيدة.

قال ابن إسحاق: وكان من حديثه عن أُسامة بن زيدٍ قال: أدركتُه أنا ورجلٌ من الأنصار، فلمّا شَهَرْنا عليه السلاحَ قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، قال: فلم نَنزِعْ عنه حتّى قتلناه، فلمّا قَدِمْنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرَه، فقال: «يا أُسامةُ، مَن لكَ بلا إلهَ إلّا اللهُ؟!» قال: قلت: يا رسولَ الله، إنّه إنّما قالها تَعوُّذاً بها من القتل[3]، قال: «فمَن لك بها يا أُسامةُ؟!» قال: فوالّذي بَعَثَه بالحقِّ ما زالَ يُرِدِّدُها عليَّ حتّى لوَدِدتُ أنّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وأنّي كنت أسلَمتُ يومئذٍ وإنّي لم أقتُلْه، قال: قلت: أنظِرْني يا رسولَ الله[4]، إنّي أُعاهدُ اللهَ أن لا أقتلَ رجلاً يقول: لا إلهَ إلّا اللهُ، أبداً،

---

(١) بناحية فَدَك، وهي شرق خيبر على قرابة ١٢٥ كم.

وكانت هذه السرية في آخر السنة السابعة أو أوّل الثامنة على إثر سريّة بشير بن سعدٍ إليهم ومصاب أصحابه فيها، فبعث النبي ﷺ غالباً إليهم في مئتي رجل، كما في «مغازي الواقدي» ٢/ ٧٢٣-٧٢٤، وذكر فيها قصة أسامة بن زيد كما وقع لابن إسحاق.

وأما ابن سعدٍ فذكر في «طبقاته» ٢/ ١١٢ قصة أسامة هذه في سرية غالب بن عبد الله إلى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالمَيفَعة. وهذه في جهة الشرق من المدينة.

(٢) هكذا قُيِّد في (ش١) و(ش٢) و(ق٢) و(م)، للتفريق بينه وبين ما قبله.

(٣) أي: لاجئاً إليها ومعتصماً بها ليدفع عنه القتل، وليس بمُخلِص في إسلامه.

(٤) أي: أَمهِلْني وترفَّقْ بي.

قال: «تقولُ بَعْدي يا أُسامةُ» قال: قلت: بعدَك[1].

غزوة عمرو بن العاصِ ذاتَ السّلاسل

وغزوةُ عمرو بن العاصِ ذاتَ السّلاسِلِ من أرض بني عُذْرَةَ[2].

---

(١) أصل الحديث صحيح، فقد أخرجه أحمد (٢١٧٤٥) و(٢١٨٠٢)، والبخاري (٤٢٦٩) و(٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦)، وأبو داود (٢٦٤٣)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٤٠) و(٨٥٤١)، وابن حبان (٤٧٥١) من حديث أبي ظَبْيان الجَنْبي عن أسامة بن زيد قال: بَعَثَنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة من جُهينة، فصبَّحنا القومَ فهزمناهم، ولَحِقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلمّا غَشِيناه قال: لا إله إلا الله، فكفَّ عنه الأنصاريُّ، فطعنتُه برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بَلَغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال لي: «يا أسامة، أقتلتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله» قلت: يا رسول الله، إنّما كان متعوِّذاً، قال: «أقتلتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله» قال: فما زال يكرِّرها عليَّ حتى تمنّيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم.

وفي رواية عند مسلم وغيره: «أفلا شَقَقتَ عن قلبه حتى تعلمَ أقالها أم لا؟!».

وأما حديث ابن إسحاق، فقد أسنده عنه يونسُ بن بكير فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٩٧، والخطيب البغدادي في «الأسماء المبهمة» ص٤٥٧-٤٥٨، قال ابن إسحاق: حدثنا محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة، عن أبيه، عن جدّه أسامة بن زيد قال: أدركتُ ورجلٌ من الأنصار... وذكره. ومحمد بن أسامة وأبوه ذكرهما ابن حبان في «ثقاته»، وفيهما جهالة حالٍ.

(٢) لا يُعرَف اليوم موضع باسم ذات السلاسل، لكن على حسب ما جاء من أوصافه عند أصحاب المغازي، فإن بعض الرحّالة المعاصرين من أهل الجزيرة ذهبوا إلى أنه المعروف الآن بوادي السلسلة، ويقع هذا شمال وادي القرى (العُلا اليوم) وجنوب شرق تبوك، وشمال هذا الوادي من ناحية تبوك كانت بلاد جُذام، وفي جنوبه وشرقه بلاد بليٍّ وقضاعة وعُذرة.

وكانت هذه السريّة في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ كما ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ١/ ٦ وابن سعد في «طبقاته» ٢/ ١٢١، أي: بعد غزوة مؤتة، وعليه اتفاق أهل المغازي كما ذكر ابن عساكر في «تاريخه» ٢/ ٢١، سوى ابن إسحاق فإنها عنده قبل مؤتة، وقد نقل خليفةُ بن خياط في «تاريخه» =

وكان من حديثه: أنّ رسولَ الله ﷺ بعَثَه يَستنفِرُ العربَ إلى الشّام، وذلك أنّ أمَّ العاصِ بن وائلٍ كانت امرأةً من بَلِيٍّ، فبَعَثَه رسولُ الله ﷺ إليهم يستألِفُهم لذلك، حتّى إذا كان على ماءٍ بأرض جُذَام يقال له: السَّلسَلُ، وبذلك سُمِّيَت تلك الغزوةُ غزوةَ ذاتِ السَّلاسل، فلمّا كان عليه خافَ، فبَعَثَ إلى رسول الله ﷺ يَستمِدُّه، فبَعَثَ إليه رسولُ الله ﷺ أبا عُبَيدة بن الجَرَّاح في المهاجرين الأوَّلين فيهم أبو بكرٍ وعمرُ، وقال لأبي عُبَيدة حين وَجَّهَه: «لا تَختَلِفا».

فخرج أبو عُبيدة، حتّى إذا قَدِمَ عليه قال له عمرٌو: إنّما جئتَ مَدَداً لي، قال أبو عُبيدة: لا، ولكنّي على ما أنا عليه، وأنتَ على ما أنتَ عليه، وكان أبو عُبيدة رجلاً لَيِّناً سَهْلاً، هَيِّناً عليه أمرُ الدّنيا، فقال له عمرٌو: بل أنت مَدَدٌ لي، فقال له أبو عُبَيدة: يا عمرو، إنَّ رسول الله ﷺ قال لي: «لا تَختَلِفا»، وإنّك إن عَصَيتَني أطَعْتُك، قال: فإنّي الأميرُ عليك، وأنت مَدَدٌ لي، قال: فدُونَك. فصَلَّى عمرٌو بالنّاس[1].

= ص٨٥ عنه أنها في سنة سبعٍ قبل عمرة القضاء، فإن لم يكن خليفةُ واهماً فيما نقله، فهذا قول غريب عن ابن إسحاق، فإن عمرو بن العاص إنما أسلمَ بعد هذه العمرة قُبيل الفتح.

وكان تعداد سريّة عمرٍو ثلاث مئة، وأما المَدَد مع أبي عُبيدة فمئتان.

(١) خبر حسنٌ بمجموع طرقه.

ورواه يونس بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٩٩-٤٠٠، وابن عساكر في «تاريخه» ٢/ ٢٢-٢٣، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٧٤٢، عن ابن إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحُصين التميمي مرسلاً. ومحمد بن عبد الرحمن مجهول تفرّد ابن إسحاق بالرواية عنه، لكنه أثنى عليه فقال: كان صوّاماً قوّاماً، هكذا نقل عنه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ١٥٧، وذكره ابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤١٣.

ورواه سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٣٢، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلاً. وعبد الله بن أبي بكر ثقة عالم بالمغازي. =

قال: وكان من الحديث في هذه الغَزَاة: أنّ رافعَ بن أبي رافعٍ الطّائيَّ - وهو رافعُ ابن عَمِيرة - كان يحدِّث فيما بَلَغَني عن نفسِه قال: كنت امرَأً نصرانيّاً، وسُمِّيتُ سَرجِسَ، فكنت أدَلَّ النّاسِ وأهداهُ[1] بهذا الرَّمل، كنت أَدفِنُ الماءَ في بيض النَّعام بنواحي الرَّمل في الجاهليّة، ثمّ أُغِيرُ على إبلِ النّاس، فإذا أدخَلْتُها الرَّملَ غَلَبتُ عليها فلم يَستطِعْ أحدٌ أن يَطلُبَني فيه، حتّى أمُرَّ بذلك الماءِ الذي خَبأتُ في بيض النَّعام فأستَخرِجَه فأشربَ منه، فلمّا أسلمتُ خرجتُ في تلك الغزوة التي بَعَثَ فيها رسولُ الله ﷺ عمرَو بن العاصِ إلى ذاتِ السّلاسل، قال: فقلت: والله لأختارَنَّ لنفسي صاحباً، قال: فصَحِبتُ أبا بكر.

قال: فكنت معه في رَحْلِه، قال: فكانت عليه عَبَايةٌ له فَدَكيّةٌ[2]، فكان إذا نَزَلْنا بَسَطَها، وإذا رَكِبْنا لَبِسَها، ثمّ شَكَّها عليه بخِلَالٍ له[3] - قال: وذلك الذي له يقول أهلُ نجدٍ حين ارتدُّوا كفّاراً: نحن نُبايِعُ ذا العَبَاية! - قال: فلمّا دَنَوْنا من المدينة قافِلِينَ، قال: قلت: يا أبا بكرٍ، إنّما صَحِبتُك ليَنفَعَني الله بك، فانصَحْني وعَلِّمني، قال: لو لم تَسأَلْني ذلك لَفعلتُ، قال: آمُرُكَ أن تُوحِّدَ اللهَ ولا تُشرِكَ به شيئاً، وأن

= وأخرجه بنحوه أحمد (١٦٩٨) من طريق داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي مرسلاً. ورجاله ثقات.

وقد روي أيضاً من أوجه عن أصحاب المغازي كعُروة بن الزبير والزهري وموسى بن عقبة عند الواقدي ٢/ ٧٦٩-٧٧١، وابن سعد ٥/ ٥٣-٥٤، والبيهقي ٤/ ٣٩٧-٣٩٩، وابن عساكر ٢/ ٢٤-٢٦.

(١) في (ت): وأهداهم.

(٢) العباية: الكساء الغليظ، ويقال فيها: عَباءة، بالهمز. والفَدَكية: منسوبة إلى فَدَك، وهي بلدة شرق خيبر.

(٣) شكها عليه، أي: ضمَّها وجَمَعها بالخِلال، والخِلال: العود يجمع به الثوب.

تُقِيمَ الصّلاةَ وأن تُؤتِيَ الزّكاةَ وتصومَ رمضانَ، وتَحُجَّ هذا البيتَ، وتَغتسِلَ من الجَنابةِ، ولا تَتأمَّرَ على رجلَينِ من المسلمين أبداً.

قال: قلت: يا أبا بكر، أمّا أنا والله فإنّي أرجو أن لا أُشرِكَ بالله أحداً أبداً، وأمّا الصّلاةُ فلن أترُكَها أبداً إن شاءَ الله، وأمّا الزّكاةُ فإن يَكُ لي مالٌ أُؤَدِّها إن شاءَ الله، وأمّا رمضانُ فلن أترُكَه إن شاءَ الله، وأمّا الحجُّ فإن أستطِعْ أحُجَّ إن شاءَ الله، وأمّا الجَنابةُ فسأغتسِلُ منها إن شاءَ الله، وأمّا الإمارةُ فإنّي رأيت الناسَ يا أبا بكرٍ لا يَشرُفونَ عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلّا بها، فلِمَ تَنْهاني عنها؟ قال: إنّما استَجهَدْتَني لأَجهَدَ لك[1]، وسأُخبِرُك عن ذلك: إنّ الله بَعَثَ محمّداً ﷺ بهذا الدِّين، فجاهَدَ عليه حتّى دخل الناسُ فيه طَوْعاً وكَرْهاً، فلمّا دخلوا كانوا عُوّاذَ الله وجيرانَه، وفي ذِمّتِه، فإيّاكَ لا تُخفِرِ اللهَ[2] في جيرانِه فيُتبِعَك اللهُ في خُفرتِه، فإنّ أحدَكم يُخفَرُ في جاره فيَظَلُّ ناتئاً عَضَلُه[3]، غَضَباً لجارِه أن أُصِيبت له شاةٌ أو بعيرٌ، فاللهُ أشدُّ غَضَباً لجارِه. قال: ففارَقتُه على ذلك.

قال: فلمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وأُمِّرَ أبو بكرٍ على الناس، قال: قَدِمتُ عليه فقلت: يا أبا بكر، ألم تكُ نَهَيتَني عن أن أتأمَّرَ على رجلَينِ من المسلمين؟ قال: بَلَى، وأنا الآنَ أَنهاك عن ذلك، قال: فقلت له: فما حَمَلَك على أن تَلِيَ أمرَ النّاس؟ قال: لا أَجِدُ من ذلك بُدّاً، خَشِيتُ على أُمّةِ محمّدٍ الفُرْقةَ[4].

---

(١) أي: لأُوضح لك.

(٢) لا تُخفِر الله، أي: لا تنقض عهده.

(٣) الناتئ: المرتفع المنتفخ، والعضل: جمع عَضَلة، وهي القطعة الشديدة من اللحم كلحم العَضُد وما أشبهه، والمعنى أنه متحفِّز للمخاصمة والمحاربة.

(٤) خبر رافع هذا في قصته مع أبي بكرٍ صحيحٌ. =

قال ابن إسحاق: أخبرني يزيدُ بن أبي حَبيبٍ أنّه حُدِّثَ عن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيّ، قال: كنت في الغَزَاةِ التي بَعَثَ فيها رسولُ الله ﷺ عمرَو بن العاصِ إلى ذاتِ السّلاسل، قال: فصَحِبتُ أبا بكرٍ وعمرَ، فمَرَرتُ بقومٍ على جَزُورٍ لهم قد نَحَرُوها، وهم لا يَقدِرُون على أن يُعَضُّوها[1]، قال وكنت امرأً لَبِقاً جازِراً[2]، قال: فقلت: أتُعطُونَني منها عَشِيراً[3] على أن أَقسِمَها بينَكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذتُ الشَّفرَتَينِ فجَزَّأتُها مكاني، وأخذتُ منها جُزءاً فحَمَلتُه إلى أصحابي، فاطَّبَخْناه فأَكلناه، فقال لي أبو بكرٍ وعمرُ: أنَّى لك هذا اللّحمُ يا عَوفُ؟ قال: فأخبرتُهما خَبَرَه، فقالا: والله ما أحسنتَ حين أطعَمتَنا هذا، ثمّ قاما يتقيَّئانِ ما في بطونِهما من ذلك، قال: فلمّا قَفَلَ النّاسُ من ذلك السَّفَر كنت أوّلَ قادمٍ على رسول الله ﷺ، قال: فجِئتُه وهو يُصلِّي في بيته، قال: فقلت: السّلامُ عليك يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاتُه، قال: «أعَوْفُ بنُ مالكٍ؟» قال: قلت: نعم بأبي أنتَ وأُمّي، قال: «أصاحبُ الجَزُورِ؟»، ولم يَزِدْني رسولُ الله ﷺ على ذلك شيئاً[4].

= فقد رواه غيرُ واحدٍ عن طارق بن شهاب ـ وهو تابعيٌّ مخضرم كان معدوداً من العلماء ـ عن رافع بن أبي رافع، فيما أخرجه مطوَّلاً ومقطَّعاً وكيعٌ في «الزهد» (١٣٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ٨/ ٤١١ و٩/ ١١٢، وأحمد في «الزهد» (٥٥٨)، وأبو داود في «الزهد» (٢٥) و(٢٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٩٦)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٧٤٠-٧٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٦٧) و(٤٤٦٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٦٨٧)، وابن عساكر في «تاريخه» ١٨/ ٨-١٠ و٣٠/ ٣٠٠-٣٠١.

(١) يُعَضُّوها، أي: يقسموها.

(٢) اللَّبِق: الحاذق الرفيق في العمل. والجازر: الذي يذبح الجزور.

(٣) العشير: النّصيب، لأن الجزور كانت تُقسَم على عشرة أجزاء، فكل جزء منها عَشِير.

(٤) خبر حسنٌ، لكن الصواب فيه: أن عوفاً صحب في هذه الغزاة عمرَ وأبا عُبيدة، وأنه لما =

غزوةُ ابن أبي حَدرَدٍ بطنَ إضَم وقتلُ عامر بن الأضبَطِ الأشجعيّ

وغزوةُ ابن أبي حَدرَدٍ وأصحابِه بطنَ إضَمٍ[1]، وكانت قبل الفتح.

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيدُ بن عبد الله بن قُسَيطٍ، عن القَعْقاع بن عبد الله بن أبي حَدرَدٍ، عن أبيه عبد الله بن أبي حَدرَدٍ قال: بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى إضَمٍ في نَفَرٍ

= جاءهما بهذا العشير أبَيَا أن يأكلا منه لا أنهما أكلا ثمّ تقيّئاه.

وقد قصَّر ابن إسحاق بإسناد هذا الخبر كما قال البيهقي في «الدلائل»، فلم يبيّن الواسطة بين يزيد بن أبي حبيب وعوف بن مالك، وبيَّنها غيرُه.

فقد رواه ابنُ المبارك عند أحمد (٢٣٩٧٨)، وسعيد بن أبي أيوب وعبد الله بن لَهيعة عن البيهقي في «السنن» ٦/ ١٢٠ وفي «الدلائل» ٤/ ٤٠٥، ثلاثتهم (ابن المبارك وسعيد وابن لهيعة) عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن لَقِيط، عن مالك بن هِدْم، عن عوف بن مالك. وفيه: أن عمر وأبا عبيدة قالا له: قد تعجَّلتَ أجرك، وأبيا أن يأكلا منه. وإسناده حسن.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٨/ (١٣١) من طريق سعيد بن أبي أيوب ويحيى بن أيوب المصري، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن هدير، عن عوف. فأسقط مالك بن هدم وسمّى والد ربيعة هديراً، وما سبق هو المحفوظ.

وأما حديث ابن إسحاق، فقد أخرجه البيهقي أيضاً في «الدلائل» ٤/ ٤٠٤ من طريق يونس بن بكير عنه.

وعنى عمرُ وأبو عبيدة بكلامهما ذلك لعوفٍ - والله أعلم - أن عوفاً لم يصبر على ما أصابهم من شدّة في هذه الغزوة ويُكتَب له أجرُها عند الله، بل سارع وصنع ما صنع، فكأنه قد تعجَّل أجرَه في الدنيا، لكن جاء عوفٌ إلى النبي ﷺ يبشّره بالفتح والظَّفَر فلم يُنكِر عليه ذلك.

(١) إضَمٌ: هو وادي المدينة المنوَّرة إذا اجتمعت أوديتها الثلاثة - بُطحان وقناة والعقيق - شمال المدينة غرب جبل أُحد، ويسير هذا الوادي إلى أن يصبَّ في البحر الأحمر بين الوجه وأملج، ويعرف اليوم بوادي الحمض. انظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٢٩.

من المسلمين فيهم أبو قَتَادة الحارثُ بن رِبْعيٍّ ومُحلِّمُ بن جَثّامة بن قيسٍ، فخرجنا حتّى إذا كنّا ببَطنِ إضَم، مَرَّ بنا عامرُ بن الأضبَطِ الأشجَعيُّ على قَعُودٍ[1] له، ومعه مُتيِّعٌ له ووَطْبٌ[2] من لَبَنٍ، قال: فلمّا مَرَّ بنا سَلَّمَ علينا بتحيَّةِ الإسلام، فأمسَكْنا عنه، وحَمَلَ عليه مُحلِّمُ بن جَثّامة فقتله؛ لشيءٍ كان بينه وبينه، وأخذَ بعيرَه وأخذَ مُتيِّعَه. قال: فلمّا قَدِمْنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبرَ، نَزَلَ فينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ السَّلَمَ[3] لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إلى آخر الآية [النساء:٩٤][4].

قال ابن هشام: قرأ أبو عمرو بن العلاءِ ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾، لهذا الحديث.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير قال: سمعت زيادَ بن ضُمَيرةَ ابن سعدٍ السُّلَميّ يحدِّث عُرْوةَ[5] بن الزُّبَير، عن أبيه، عن جدِّه ـ وكانا شَهِدا حُنَيناً

(١) القعود: البعير المتَّخَذ للركوب.

(٢) المتيِّع: تصغير مَتَاع. والوَطْب: وعاءُ اللبن المتَّخَذ من الجلد.

(٣) من غير ألف، وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة من القراء السبعة، ومعناه: الاستسلام والانقياد، وقرأ أبو عمرو بن العلاء وابن كثير والكِسائي وعاصم: (السَّلَام) بألف، وهو التحيّة. انظر «السبعة» لابن مجاهد ص٢٣٦، و«الدر المصون» للسّمين الحلبي ٤/ ٧٤.

(٤) إسناده حسن من أجل القعقاع.

وأخرجه أحمد (٢٣٨٨١) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٥) في (ت) و(ص) و(ط) و(غ) و(م): يحدث عن عروة، وهو خطأٌ، والصواب ما أثبتناه من (ش١) و(ش٢) و (ف) و(ق٢) و(ي) بإسقاط «عن»، فقد رواه سائر أصحاب ابن إسحاق هكذا بإسقاطها، فعروة لا علاقة له برواية هذا الخبر سوى أنه مستمع محدَّث.

وقوله في الإسناد أيضاً: عن أبيه عن جده، هكذا هو في النسخ كافّة، وغير زياد البكائي يقول =

مع رسول الله ﷺ ـ قال: صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ الظُّهرَ ثمّ عَمَدَ إلى ظِلِّ شجرةٍ فجَلَسَ تحتَها وهو بحُنَينٍ، فقام إليه الأقرَعُ بن حابسٍ وعُيَينةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ يَختَصِمانِ في عامر بن الأضبَطِ الأشجَعيّ: عُيَينةُ يَطلُبُ بدمِ عامرٍ، وهو يومَئذٍ رئيسُ غَطَفان، والأقرَعُ بن حابسٍ يَدفَعُ عن مُحلِّمِ بن جَثّامة، لمكانِه من خِندِفَ[1]، فتَداوَلا الخُصومةَ عند رسول الله ﷺ ونحنُ نسمعُ، فسَمِعْنا عُيَينةَ بن حِصْن وهو يقول: والله يا رسولَ الله لا أَدَعُه حتّى أُذِيقَ نساءَه من الحَرِّ[2] مِثلَ ما أذاقَ نسائي، ورسولُ الله ﷺ يقول: «بل تأخُذُونَ الدِّيَةَ، خمسينَ في سَفَرِنا هذا، وخمسينَ إذا رَجَعْنا»، وهو يأبَى عليه.

إذ قامَ رجلٌ من بني ليثٍ يقال له: مُكَيثِرٌ، قصيرٌ مجموعٌ ـ قال ابن هشام: مُكَيتِلٌ ـ فقال: والله يا رسولَ الله ما وَجَدتُ لهذا القتيلِ شِبْهاً في غُرَّةِ الإسلامِ[3] إلّا كغَنَمٍ وَرَدَت، فرُمِيَت أُولاها فنَفَرَت أُخراها، اسنُنِ اليومَ وغَيِّرْ[4] غداً، قال: فرَفَعَ رسولُ الله ﷺ يدَه فقال: «بل تأخُذونَ الدِّيَةَ خمسينَ في سَفَرِنا هذا، وخمسينَ إذا

= فيه عن ابن إسحاق: عن أبيه وعن جدّه، أو عن أبيه وجدّه.

(١) خِندِفُ: اسم امرأة الياس بن مُضَر، ويُنسَب أولادها إليها: وهم مُدرِكة وطابخة وقَمَعة، ومحلِّم ليثيٌّ من بني كنانة بن خزيمة بن مدركة، والأقرع تميميٌّ، وبنو تميم من طابخة بن الياس.

وعُيينة من فَزَارة، وهي وأشجعُ كلتاهما من غَطَفان من قيس بن عَيلان بن مُضَر.

(٢) في (غ): الحُرقة.

(٣) غُرّة الإسلام: أوّله.

(٤) قال أبو ذرٍّ الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٥٥: اسنن اليوم، معناه: احكُم لنا اليوم بالدم في أمرنا هذا، واحكم غداً بالدية لمن شئت. وغيِّر: من الغِيَرة، وهي الدِّية هنا، وذلك أن قتله عند رسول الله ﷺ كان خطأً لا عمداً.

رَجَعْنا»، قال: فقَبِلوا الدِّيةَ.

قال: ثمّ قالوا: أين صاحبُكم هذا يَستَغفِرْ له رسولُ الله ﷺ؟! قال: فقام رجلٌ آدمُ ضَرْبٌ[1] طويلٌ، عليه حُلّةٌ له قد كان تَهيّأَ للقتل فيها، حتّى جَلَسَ بين يَدَي رسول الله ﷺ، فقال له: «ما اسمُكَ؟» قال: أنا مُحلِّمُ بن جَثّامة، قال: فرَفَعَ رسولُ الله ﷺ يده ثمّ قال: «اللّهمَّ لا تَغفِرْ لمُحَلِّمِ بنِ جَثّامةَ» ثلاثاً، قال: فقامَ وهو يَتَلقَّى دَمْعَه بفَضْلِ رِدائه. قال: فأمّا نحنُ، فنقولُ فيما بينَنا: إنّا لنَرجُو أن يكون رسولُ الله ﷺ قد استغفَرَ له، وأمّا ما ظَهَرَ من رسول الله ﷺ، فهذا[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهمُ عن الحسنِ البَصْريّ قال: قال رسول الله ﷺ حين جَلَسَ بين يَدَيهِ: «أمَّنتَه بالله ثمَّ قَتَلتَه!»، ثمّ قال له المَقَالةَ التي قال، قال: فوالله ما مَكَثَ مُحلِّمُ بن جَثّامةَ إلّا سبعاً حتّى مات، فلَفَظَته[3] ـ والذي نفسُ الحسنِ بيده ـ الأرضُ، ثمّ عادُوا له فلَفَظَته الأرضُ، ثمّ عادُوا له فلَفَظَته، فلمّا غُلِبَ قومُه

(١) الآدم: الأسمر. والضَّرب: الخفيف اللحم.

(٢) إسناده محتمل للتحسين إن شاء الله من أجل زياد بن ضميرة ـ وقد اختُلف في اسمه ـ فهو وإن لم يرو عنه غير محمد بن جعفر بن الزبير، قد حدَّث بهذا الحديث في مجلس عروة ولم ينكر عروةُ شيئاً من حديثه، وعروة كان من أعلم أهل المدينة بالمغازي، فهذا كالتقوية لشأنه، والله تعالى أعلم.

وأخرجه أحمد (٢١٠٨١) و(٢٣٨٧٩)، وأبو داود (٤٥٠٣)، وابن ماجه (٢٦٢٥) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد على الصواب كما سبق. وفي بعض طرقه في آخره: فأما نحن بيننا فنقول: قد استغفر له، ولكنه أظهر ما أظهر، ليدعَ الناسُ بعضَهم عن بعضٍ.

وروى هذا الحديث أيضاً عبدُ الرحمن بن الحارث المخزوميُّ عن محمد بن جعفر بن الزبير عند أبي داود (٤٥٠٣).

(٣) لفظته الأرض، أي: ألقته على وجهها.

عَمَدُوا إلى صُدَّينِ[1] فسَطَحُوه بينهما، ثمّ رَضَمُوا عليه الحجارةَ[2] حتّى وارَوْه. قال: فبَلَغَ رسولَ الله ﷺ شأنُه فقال: «والله إنَّ الأرضَ لتَطَّابقُ على مَن هو شَرٌّ منه، ولكنَّ الله أرادَ أن يَعِظَكم في حُرَمِ ما بينكم بما أَراكُم منه»[3].

قال ابن إسحاق: وأخبرنا سالمٌ أبو النَّضْر أنه حُدِّث: أنّ عُيَينةَ بن حِصْنٍ وقيساً حين قال الأقرَعُ بن حابسٍ - وخَلَا بهم -: يا معشرَ قيسٍ، مَنَعتُم رسولَ الله ﷺ قتيلاً يَستَصلِحُ به الناسَ، أفأمِنتُم أن يَلعَنَكم رسولُ الله ﷺ فيَلعَنَكم اللهُ بلَعْنتِه، أو أن يَغضَبَ عليكم فيَغضَبَ اللهُ عليكم بغَضَبِه؟! والله الّذي نفسُ الأقرَعِ بيدِه، لتُسلِمُنَّه إلى رسول الله ﷺ فلَيَصنَعنَّ فيه ما أراد، أو لآتِيَنَّ بخمسينَ رجلاً من بني تَميمٍ يَشهَدُون بالله كلُّهم لَقُتِلَ صاحبُكم كافراً، ما صَلَّى قَطُّ، فلأَطُلَّنَّ دمَه، فقَبِلوا الدِّيَةَ[4].

قال ابن هشام: مُحلِّمٌ في هذا الحديث كلِّه عن غيرِ ابن إسحاق، وهو مُحلِّمُ بن جَثّامةَ بن قيسٍ اللَّيثيُّ، قال ابن إسحاق: مُلجَمٌ، فيما حدَّثنا زيادٌ عنه.

---

(١) الصُّدّ، بضم الصاد وفتحها: التلّ.

(٢) أي: جعلوا بعضها على بعض من غير طينٍ يشدّها. ووارَوه: أخفَوْه وستروه.

(٣) إسناده ضعيف لإرساله، والواسطة المبهَمة بين ابن إسحاق والحسن سمّاها أبو خالد الأحمر في روايته عن ابن إسحاق عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٤٧ عمرَو بنَ عُبيدٍ، وعمرو هذا فيه مقال وطعن كثير من أهل الحديث.

(٤) في (غ) ونسخة على حاشية (ش٢): فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية.

والخبر إسناده ضعيف لإرساله، سالم أبو النضر - وهو سالم بن أبي أمية التيميُّ مولاهم - من ثقات صغار التابعين.

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٠٨ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به.

ومعنى «فلأَطُلَّنّ دمَه»: لأُهدرنّه فلا يؤخذ بثأره.

غزوة ابن أبي حَدرَدٍ لقتل رِفاعة بن قيس الجُشَميّ

قال ابن إسحاق: وغزوةُ ابن أبي حَدرَدٍ الأسلميِّ الغابةَ[1].

وكان من حديثها فيما بَلَغَني عمّن لا أتّهمُ عن ابن أبي حَدرَدٍ قال: تزوّجتُ امرأةً من قومي، وأصدَقتُها مِئتَي دِرهَمٍ، قال: فجئتُ رسولَ الله ﷺ أستَعِينُه على نكاحي، فقال: «وكم أَصدَقتَ؟» فقلت: مِئتَي دِرهَمٍ يا رسولَ الله، قال: «سبحانَ اللهِ، لو كنتُم تأخُذونَ الدَّراهمَ من بَطنِ وادٍ ما زِدْتُم، والله ما عندي ما أُعِينُك به».

قال: فلَبِثتُ أيّاماً، وأقبَلَ رجلٌ من بني جُشَمَ بن معاويةَ يقال له: رِفاعةُ بن قيسٍ ـ أو قيسُ بن رِفاعةَ ـ في بَطنٍ[2] عظيمٍ من بني جُشَمَ حتّى نَزَلَ بقومِه ومَن معه بالغابةِ يريد أن يَجمَعَ قيساً على حربِ رسول الله ﷺ، وكان ذا اسمٍ في جُشَمَ وشَرَفٍ، قال: فدَعَاني رسولُ الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين فقال: «اخرُجوا إلى هذا الرَّجُلِ حتَّى تأتُوا منه بخَبَرٍ وعِلْمٍ».

قال: وقَدَّمَ لنا شارِفاً عَجْفاءَ[3]، فحُمِلَ عليها أحدُنا، فوالله ما قامت به ضَعْفاً حتى دَعَمَها الرِّجالُ من خلفِها بأيديهم، حتى استَقلَّت وما كادَتْ، ثمّ قال: «تبَلَّغُوا عليها واعتَقِبُوها»[4].

قال: فخَرَجْنا ومعنا سلاحُنا من النَّبلِ والسّيوفِ، حتّى إذا جِئْنا قريباً من الحاضرِ

---

(١) الغابة: موضع في الشمال الغربي من المدينة على ثمانية أميال منها، وهي غرب أُحد وتمتد شمالاً إلى منطقة العيون.

(٢) البطن: أصغر من القبيلة.

(٣) الشارف: الناقة المسنّة. والعجفاء: المهزولة.

(٤) دَعَمَها الرجال: قوّوها بأيديهم. واستقلّت، أي: نَهَضَت. وقوله: اعتقِبوها، أي: اركبوها واحداً بعد واحد مداورةً.

عُشَيشِيَةً[1] مع غُروب الشّمس، قال: كَمَنتُ في ناحيةٍ وأَمَرتُ صاحبيَّ فكَمَنا في ناحيةٍ أُخرى من حاضرِ القوم، وقلت لهما: إذا سمعتُماني قد كَبَّرتُ وشَدَدتُ في ناحيةِ العسكر فكَبِّرا وشُدَّا معي. قال: فوالله إنّا لكذلك نَنتظِرُ غِرَّةَ القومِ[2]، أو أن نُصِيبَ منهم شيئاً، قال: وقد غَشِيَنا اللّيلُ حتّى ذهبت فَحْمةُ العِشاءِ[3]، وقد كان لهم راعٍ قد سَرَّحَ في ذلك البلد فأبطأَ عليهم حتّى تَخَوَّفوا عليه، قال: فقامَ صاحبُهم ذلك رِفاعةُ بن قيسٍ، فأَخذَ سيفَه فجَعَلَه في عُنُقِه ثمّ قال: والله لَأتّبِعنَّ أثَرَ راعينا هذا، ولقد أصابه شرٌّ، فقال له نَفَرٌ ممّن معه: والله لا تذهبُ، نحنُ نَكفِيكَ، قال: والله لا يذهبُ إلّا أنا، قالوا: فنحنُ معك، قال: والله لا يَتبَعُني أحدٌ منكم.

قال: وخرج حتّى يَمُرَّ بي، قال: فلمّا أمكَنَني نَفَحتُه بسَهْمي[4] فوَضَعتُه في فُؤادِه، قال: فوالله ما تَكلَّمَ، ووَثَبتُ إليه فاحتَزَزتُ رأسَه، قال: وشَدَدتُ في ناحية العسكر وكبَّرتُ، وشَدَّ صاحباي وكبَّرا، قال: فوالله ما كان إلّا النَّجَاءُ ممّن فيه: عندَك عندَك[5]، بكلِّ ما قَدَرُوا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خَفَّ معهم من أموالهم. قال: واستَقْنا إبلاً عظيمةً وغنماً كثيرةً فجِئْنا بها إلى رسول الله ﷺ، قال: وجئتُ برأسه أحمِلُه معي. قال: فأعانَني رسولُ الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثةَ عَشَرَ بعيراً في صَدَاقي، فجَمَعتُ إليَّ أَهلي[6].

---

(١) الحاضر: جماعة القوم النازلون على الماء. وعُشيشِيَة: تصغير عَشِيّةٍ على غير قياس.

(٢) الغِرّة: الغفلة.

(٣) فحمة العشاء: أوّل ظلام الليل.

(٤) نفحته بسهمي، أي: رميتُه به.

(٥) عندك عندك: كلمتان بمعنى الإغراء بمعنى: خُذْ خُذْ.

(٦) إسناد الخبر ضعيف لإبهام رواته، وقد اختُلف فيه على ابن إسحاق كما أنه خُولف فيه =

= كما سيأتي.

فرواه عنه هكذا محمدُ بن سلمة الحرّاني عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٧٧١)، لكن ذكر فيه أبا حدرد الأسلميَّ لا ابنه.

ورواه سلمة بن الفضل الأبرش عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٣٤-٣٥ عن ابن إسحاق فأسنده عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التَّيمي، عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي. وهذا إسناد لا بأس برجاله.

ورواه يونس بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣٠٣-٣٠٤ عن ابن إسحاق قال: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حدرد. وهو معضل بين جعفر وأبي حدرد، وجعفر ذكره ابن حبان في «ثقاته»، وهو مجهول الحال.

وأما الواقدي في «مغازيه» ٢/ ٧٧٧، فذكر أن محمد بن يحيى (وسقط يحيى من مطبوعه فيُستَدرك من «تاريخ الطبري» ٣/ ٣٥) بن سهل بن أبي حَثْمة حدَّثه عن أبيه، عن عبد الله بن أبي حدرد: أن النبي ﷺ بعثه في هذه السريّة مع أبي قَتَادة إلى غَطَفان نحو نجدٍ، وأن السريّة كانت ستة عشر رجلاً، وأنهم غابوا خمس عشرة ليلة.

فهذا يخالف ما ذكره ابن إسحاق من أن هذه السريّةَ كانت إلى الغابة من الحِجاز، وكانت مكوَّنة من ثلاثة رجال، وأنها كانت إلى بني جُشَم بن معاوية، وهؤلاء من هوازن لا من غطفان.

ويشهد لرواية الواقديِّ روايةُ أحمد في «مسنده» (٢٣٨٨٢)، فقد أخرج الخبر ـ بنحو ما ذكره الواقديّ ـ من طريق إبراهيم بن سعد الزهري، عن عبد الله بن جعفر المَخرَمي، عن عبد الواحد ابن أبي عون الدَّوسي، عن جدّته، عن ابن أبي حدرد. وهذا إسناد رجاله ثقات معروفون غير جدّة عبد الواحد فإنها لا تُعرَف.

ويشهد لها أيضاً حديث أبي هريرة عند مسلم (١٤٢٤)(٧٥) قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «هل نظرتَ إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئاً» قال: قد نظرتُ إليها، قال: «على كم تزوَّجتَها؟» قال: على أربع أَواق (والأُوقيّة أربعون درهماً)، فقال له النبي ﷺ: «على أربع أَواقٍ؟! كأنما تَنحِتون الفضة من عُرْض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثَك في بَعثٍ تصيبُ منه»، قال: فبعث بعثاً إلى بني عبسٍ =

غزوة عبد الرَّحمن بن عوفٍ إلى دُومَة الجَندَل[1]

قال ابن إسحاق: حدّثني مَن لا أتّهمُ عن عطاءِ بن أبي رَباحٍ قال: سمعت رجلاً من أهل البَصْرةِ يَسأَلُ عبدَ الله بن عمر بن الخَطّاب عن إرسالِ العِمَامةِ من خلفِ الرَّجل إذا اعتَمَّ، قال: فقال عبدُ الله: سأُخبِرُك إن شاءَ الله عن ذلك بعِلْمٍ، كنتُ عاشرَ عَشَرةِ رَهْطٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجدِه: أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وعبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ وابنُ مسعودٍ ومعاذُ بن جَبَلٍ وحُذَيفةُ بن اليَمَان وأبو سعيدٍ الخُدْريُّ وأنا، مع رسول الله ﷺ، إذ أقبَلَ فتًى من الأنصار فسَلَّمَ على رسول الله ﷺ ثمّ جَلَسَ فقال: يا رسولَ الله، أيُّ المؤمنينَ أفضَلُ؟ فقال: «أحسَنُهم خُلُقاً» قال: فأيُّ المؤمنينَ أكيَسُ؟ قال: «أكثرُهم ذِكْراً للموتِ، وأحسَنُهم استِعداداً له قبلَ أن يَنزِلَ به، أُولئكَ الأَكياسُ»[2]، ثمّ سَكَتَ الفتى.

وأقبَلَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «يا مَعشَرَ المهاجرينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إذا نَزَلْنَ بكم، وأعُوذُ بالله أن تُدرِكُوهُنَّ:

إنّه لم تَظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ حتَّى يُعلِنُوا بها[3]، إلّا ظَهَرَ فيهم الطَّاعونُ

= بعث ذلك الرجلَ فيهم. قلنا: وبنو عبسٍ من غطفان.

وقد أخرج الحاكم في «مستدركه» (٢٧٦٤) حديثَ أبي هريرة هذا بأطولَ مما ساقه مسلم، وذكر فيه قصة الناقة العجفاء التي ذكرها ابن إسحاق.

فهذا كلُّه مما يؤيد رواية الواقديِّ في هذه السريّة ويرجّحها على رواية ابن إسحاق، والله أعلم.

(١) وكانت في شعبان من السنة السادسة فيما ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٥٦٠ وابنُ سعد في «الطبقات» ٢/ ٨٥.

(٢) الأكياس: جمع كيِّس، وهو الفَطِن النبيه.

(٣) يعلنوا بها، أي: يجاهروا بها.

والأَوجاعُ التي لم تكنْ في أسلافِهِم الّذينَ مَضَوْا.

ولم يَنقُصُوا المِكْيالَ والمِيزانَ، إلّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ[1] وشِدَّةِ المَؤُونة وجَوْرِ السُّلطانِ.

ولم يَمنَعُوا الزَّكاةَ من أموالِهِم، إلّا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّماءِ، فلولا البَهائمُ ما مُطِرُوا.

وما نَقَضُوا عَهْدَ الله وعَهْدَ رسولِه، إلّا سُلِّطَ عليهم عدوٌّ من غيرِهم فأَخَذَ بعضَ ما كان في أَيدِيهم.

وما لم يَحكُمْ أئِمَّتُهم بكتابِ الله وتَجَبَّروا[2] فيما أَنزَلَ الله، إلّا جَعَلَ الله بأْسَهم بينَهم».

ثمّ أمَرَ عبدَ الرَّحمن بن عَوفٍ أن يَتَجهَّزَ لسَرِيّةٍ بَعَثَه عليها، فأصبَحَ وقد اعتَمَّ بعِمَامةٍ من كَرابِيسَ[3] سوداءَ، فأَدْناهُ رسولُ الله ﷺ منه، ثمّ نَقَضَها ثمّ عَمَّمَه بها، وأرسَلَ من خَلْفِه أربعَ أصابعَ أو نحواً من ذلك، ثمّ قال: «هكذا يا ابنَ عَوفٍ فاعتَمَّ، فإنّه أحسَنُ وأعرَفُ[4]».

ثمّ أمَرَ بلالاً أن يدفَعَ إليه اللِّواءَ فدَفَعَه إليه، فحَمِدَ اللهَ وصَلَّى على نفسِه ﷺ، ثمّ قال: «خُذْه يا ابنَ عَوفٍ، اغْزُوا جميعاً في سَبيلِ الله فقاتِلُوا مَن كَفَرَ بالله، لا تَغُلُّوا[5] ولا تَغدِرُوا، ولا تُمثِّلُوا، ولا تَقتُلُوا وَلِيداً، فهذا عَهْدُ الله وسِيرةُ نَبِيِّه فيكم». فأَخَذَ

(١) بالسنين، أي: بالجَدْب.

(٢) تجبَّروا: تعاظموا عن أن يحكموا بما أنزل الله.

(٣) الكرابيس: جمع كِرْباس، وهو القطن.

(٤) أي: وأظهَرُ.

(٥) لا تغلّوا، أي: لا تخونوا في المَغانم.

عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ اللِّواءَ[1].

قال ابن هشام: فخرج إلى دُومَةِ الجَندَل.

غزوة أبي عُبيدة بن الجَرّاح إلى سِيفِ البحر

قال ابن إسحاق: وحدّثني عُبَادةُ بن الوليد بن عُبَادة بن الصّامت، عن أبيه، عن جدِّه عُبادة بن الصّامت قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيّةً إلى سِيفِ البحر[2]، عليهم أبو عُبيدة بن الجَرّاح، وزَوَّدَهم جِرَاباً[3] من تمرٍ، فجَعَلَ يَقُوتُهم إيّاه حتّى صار إلى أن يَعُدَّه عليهم عَدَداً، قال: ثمّ نَفِدَ التّمرُ حتّى كان يُعطِي كلَّ رجلٍ منهم كلَّ يومٍ

---

(١) حديث حسن، وإسناد ابن إسحاق فيه ضعيف لإبهام شيخه.

وقد أخرجه بطوله البزار في «مسنده» (٦١٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧١) وفي «مسند الشاميين» (١٥٥٨) و(١٥٥٩)، والحاكم (٨٨٣٧) من طريق الهيثم بن حميد، عن أبي مُعَيد حفص بن غَيلان، عن عطاء بن أبي رباح، به. وهذا إسناد حسن من أجل حفص بن غيلان.

وأخرج أوله في قصة سؤال الأنصاريّ وجواب النبي ﷺ له ابنُ ماجه (٤٢٥٩) من طريق نافع ابن عبد الله، عن فروة بن قيس، عن عطاء.

وأخرج ابن ماجه أيضاً (٤٠١٩) أوسطه في قصة الخصال الخمس، من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء. والإسنادان ضعيفان.

(٢) سِيفُ البحر: جانبه وساحله.

وكانت هذه السريّة في رجب سنة ثمان، قال ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٢٢: بعث رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح في ثلاث مئة رجل من المهاجرين والأنصار إلى حيٍّ من جُهَينة بالقَبَليّة ممّا يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمسُ ليالٍ.

وسمّى ابن سعد هذه السريّة هو والواقدي في «مغازيه» ٢/ ١٢٢: سريّة الخَبَط، لأنهم أكلوا فيه الخَبَط: وهو ورق الشجر يُنفَض بالمخابط (وهي عِصيٌّ) ليسقط.

(٣) الجِراب: وعاء يُحفَظ فيه الزاد.

تمرةً، قال: فقَسَمَها يوماً بيننا، قال: فنَقَصَت تمرةٌ عن رجلٍ فوَجَدَ فَقْدَها ذلك اليوم، فلمّا جَهَدَنا الجوعُ أَخرج الله لنا دابّةً من البحر، فأَصَبْنا من لحمِها ووَدَكِها[1]، وأقَمْنا عليها عشرين ليلةً حتّى سَمِنّا وابتَلَلْنا[2]، وأخذَ أميرُنا ضِلَعاً من أضلاعها فوَضَعَها على طريقِه، ثمّ أمَرَ بأجسَمِ بعيرٍ معنا، فحَمَلَ عليه أجسَمَ رجلٍ منّا، قال: فجَلَسَ عليه، قال: فخرج من تحتها وما مَسَّت رأسَه.

قال: فلمّا قَدِمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خَبَرَها، وسألناه عمّا صَنَعنا في ذلك من أكلِنا إيّاه، فقال: «رِزْقٌ رَزَقَكُموهُ الله»[3].

بعثُ عمرو بن أميّة الضَّمْريّ لقتل أبي سفيان بن حرب وما صَنَعَ في طريقه

قال ابن هشام: وممّا لم يذكره ابنُ إسحاق من بُعوثِ رسول الله ﷺ وسَرَاياه: بَعْثُ عمرو بن أُميّة الضَّمْريِّ[4].

---

(١) الوَدَك: الشحم والدُّهن. وهذه الدابّة هي الحوت كما في روايات أخرى.

(٢) ابتللنا: أفَقْنا من ألم الجوع الذي كان بنا، من قولك: بَلَّ فلان من مرضه وأَبَلَّ، واستبلَّ: إذا أخذ في الراحة.

(٣) إسناده صحيح. ولم نقف على حديث عبادة هذا مخرَّجاً عند غير ابن إسحاق.

ويشهد له بنحوه حديث جابر بن عبد الله ـ وكان حاضراً في هذه السريّة ـ عند أحمد (١٤٢٥٦) و(١٤٢٨٦)، والبخاري (٢٤٨٣) و(٤٣٦٠)، ومسلم (١٩٣٥) وغيرهم. وذكر جابر في حديثه: أنهم كانوا في هذه السريّة ثلاث مئة رجل، وفي رواية عنه: أنهم أكلوا من الحوت ثمانية عشر يوماً، وفي أخرى: أكلوا منه شهراً، وهي شاذّة والمحفوظ هو الأول، وهو بنحو رواية عبادة.

(٤) غلَّط ابنَ هشامٍ في قوله هذا أبو بكرٍ أحمدُ بن عبد الله بن عبد الرحيم ابنُ البَرقيِّ راوي «السيرة» عنه، وقال: قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن أمية فيما حدَّث أسدٌ ـ وهو ابن موسى الأُمويّ ـ عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق، ذكر ذلك السهيليُّ =

بَعَثَه رسولُ الله ﷺ ـ فيما حدّثني مَن أثِقُ به من أهلِ العلم ـ بعدَ مَقتَلِ خُبَيبِ بن عَديٍّ وأصحابِه إلى مكّة، وأمَرَه أن يقتلَ أبا سفيان بن حَرْبٍ، وبَعَثَ معه جَبّارَ بن صَخْرٍ الأنصاريَّ[1]، فخَرَجا حتّى قَدِما مكّةَ، وحَبَسا جَمَلَيهما بشِعْبٍ[2] من شِعاب يَأجَجَ[3]، ثمّ دَخَلا مكّةَ ليلاً.

فقال جَبّارٌ لعمرٍو: لو أنّا طُفْنا بالبيت وصَلَّينا ركعتَينِ! فقال عمرو: إنّ القومَ

= في «الروض» ٧/ ٥٣١-٥٣٢ نقلاً عن الشيخ أبي بحر الأسديّ الذي نقل ذلك من حاشية نسخة من «السيرة» منسوبة بسماع أبي سعيد عبد الرحيم ابن البرقي وأخويه محمد وأحمد.

قلنا: ولم نقف على رواية يحيى بن زكريا هذه، وقد ذكر هذه السريةَ أيضاً سلمةُ بن الفضل عن ابن إسحاق ـ فيما أخرجه الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٥٤٢-٥٤٥ وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٠٦٤) ـ عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري، عن أبيه، عن جدّه قال: قال عمرو بن أميه: بعثني رسول الله ﷺ بعد قتل خُبيب وأصحابه، وبعث معي رجلاً من الأنصار، فقال: «ائتيا أبا سفيان بن حرب فاقتلاه»، ثم ساق الخبر، ولم يسقه ابن خزيمة بتمامه. وجعفر ابن الفضل شيخ ابن إسحاق فيه مجهول لا يُعرَف.

قلنا: فالظاهر أن خبر هذه السريّه ليس في رواية زياد البكّائي عن ابن إسحاق، فلذلك استدركه ابنُ هشام عليه.

(١) وذكر ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٩٠: أن الأنصاريَّ الذي بعثه النبي ﷺ مع عمرو بن أمية هو سلمة بن أسلم بن حَريش الخزرجي.

والسبب في ذلك: أن أبا سفيان بن حرب قال لنفرٍ من قريش: ألا أحدٌ يغتال محمداً؟ فإنه يمشي في الأسواق، فانتدب لذلك أعرابيٌّ وجاء إلى المدينة، فانكشف أمره للنبيِّ ﷺ وأُخذ فأسلم وأخبره بأمر أبي سفيان، فبعث ﷺ عَمراً وسلمةَ لقتله. وذكر هذا الخبر مطوَّلاً الواقديُّ ـ فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٣٣ ـ من ثلاثة أسانيد مرسلة.

(٢) الشِّعب: الطريق الخفيّ بين جبلين.

(٣) يأجج: وادٍ من أودية مكة، ويعرف اليوم بوادي ياج، يمرّ شمال عمرة التنعيم.

إذا تَعشَّوْا جَلَسوا بأفنِيَتِهم، فقال: كلَّا، إن شاءَ الله، فقال عمرو: فطُفْنا بالبيت وصَلَّينا، ثمّ خَرَجْنا نريدُ أبا سفيانَ، فوالله إنّا لنَمْشي بمكّة إذ نَظَرَ إليَّ رجلٌ من أهلِ مكّة فعَرَفَني، فقال: عمرُو بن أُميّة! والله إنْ قَدِمَها إلّا لشَرٍّ، فقلت لصاحبي: النَّجاءَ، فخرجنا نَشتَدُّ حتّى أصعَدْنا في جبلٍ وخرجوا في طَلَبِنا، حتّى إذا عَلَوْنا الجبلَ يَئِسُوا منّا، فرَجَعْنا فدخلنا كهفاً في الجبل فبِتْنا فيه، وقد أخَذْنا حِجارةً فرَضَمْناها دونَنا[١].

فلمّا أصبَحْنا، غَدَا رجلٌ من قُريشٍ يَقُودُ فرساً له ويُخْلي عليها[٢]، فغَشِيَنا ونحنُ في الغارِ، فقلت: إنْ رآنا صاحَ بنا، فأُخِذنا فقُتِلنا، قال: ومعي خِنجَرٌ قد أعدَدتُه لأبي سفيان، فأخرُجُ إليه فأضرِبُه على ثَدْيِه ضربةً وصاحَ صَيْحةً أسمَعَ أهلَ مكّة، وأَرجِعُ فأدخُلُ مكاني، وجاءَه الناسُ يَشتَدُّون وهو بآخرِ رَمَقٍ، فقالوا: مَن ضَرَبَك؟ فقال: عمرُو بن أُميّة، وغَلَبَه الموتُ فمات مكانَه ولم يَدلُلْ على مكانِنا، فاحتَمَلُوه، فقلت لصاحبي لمّا أمسَينا: النَّجاءَ.

فخَرَجنا ليلاً من مكّة نريدُ المدينةَ، فمَرَرْنا بالحَرَسِ وهم يَحرُسون جِيفةَ خُبَيبِ ابن عَديٍّ، فقال أحدُهم: والله ما رأيتُ كاللّيلةِ أشبهَ بمِشْيةِ عمرو بن أُميّة، لولا أنّه بالمدينة لقلتُ: هو عمرو بن أُميّة، قال: فلمّا حاذى الخشبةَ شَدَّ عليها فاحتَمَلها، وخَرَجا شَدّاً وخرجوا وراءَه، حتّى أَتى جُرْفاً[٣] بمَهبِطِ مَسِيلِ يأجَجَ، فرَمَى بالخشبةِ في الجُرْف، فغَيَّبَه اللهُ عنهم فلم يَقدِروا عليه، قال: وقلت لصاحبي: النَّجاءَ حتّى تأتي

---

(١) رَضَمْناها دوننا، أي: جعلنا بعضها فوق بعض، لتكون حاجزاً بيننا وبين من يطلبنا.

(٢) يُخْلي عليها، أي: يجمع لها الخَلَى، وهو الرَّطب من الحشيش، وسُمّي خَلَى لأنه يُختَلى، أي: يُقطَع.

(٣) الجُرف: جانب الوادي إذا حفر الماء في أسفله.

بعيرَك فتَقعُدَ عليه، فإنّي شاغلٌ[1] عنك القومَ، وكان الأنصاريُّ لا رُجْلةَ له[2].

قال: ومَضَيتُ حتّى أخرُجَ على ضَجْنانَ[3]، ثمّ أوَيتُ إلى جبلٍ فأدخُلُ كهفاً، فبَيْنا أنا فيه إذ دَخَلَ عليَّ شيخٌ من بني الدِّيلِ أعوَرُ في غُنَيمةٍ له، فقال: مَن الرّجلُ؟ فقلت: من بني بكرٍ، فمَن أنتَ؟ قال: من بني بكرٍ، فقلت: مَرحَباً، فاضطَجَعَ ثمّ رَفَعَ عَقِيرتَه فقال:

ولستُ بمُسلِمٍ ما دُمتُ حيّا ... ولا دانٍ لـــدِينِ المُســـلِمينا

فقلت في نفسي: ستعلَمُ! فأمهَلْتُه حتّى إذا نامَ أخذتُ قَوسي فجعلتُ سِيَتَها[4] في عينه الصحيحة، ثم تحامَلتُ عليها حتى بَلَغَت العظمَ، ثم خرجتُ النَّجَاءَ حتى جئتُ العَرْجَ، ثمّ سَلَكتُ رَكُوبةَ[5]، حتّى إذا هَبَطتُ النَّقيعَ[6] إذا رجلان من قُريشٍ من المشركين كانت قُريشٌ بَعَثَتهما عَيْناً إلى المدينة يَنظُرانِ ويَتَحسَّسانِ، فقلت: استأسِرَا، فأبَيَا، فأَرمي أحدَهما بسَهمٍ فأقتلُه، واستأسَرَ الآخَرُ فأوثقتُه رِباطاً وقَدِمتُ به إلى المدينة.

---

(١) في (غ): سأشغل.

(٢) أي: ليس له قوة بالمشي على رجليه، يقال: فلان ذو رُجْلة، إذا كان يَقوَى على المشي. وذكر الواقديُّ في روايته، كما عند البيهقي ٣/ ٣٣٧: أن قدوم الأنصاريِّ إلى المدينة كان قبل قدوم عمرٍو بثلاثة أيام.

(٣) ضَجنان: موضع شمال شرق مكّة على بعد ٥٥ كم تقريباً على طريق المدينة المنوَّرة، ويسمّى اليوم: حَرّة المُحسِنيّة.

(٤) سِيَة القوس: طرفها.

(٥) العَرج: وادٍ جنوب المدينة المنوَّرة على قرابة ١٠٠ كم. ورَكُوبة: جبل يبعد عن المدينة قرابة ٧٠ كم.

(٦) النقيع: وادٍ يبعد عن المدينة قرابة ٤٠ كم.

سريّةُ زيد بن حارثة إلى مَديَن

وسَرِيّةُ زيد بن حارثةَ إلى مَدْيَنَ[1].

ذكرَ ذلك عبدُ الله بن حَسَن[2] بن حَسَن عن أمِّه فاطمةَ ابنة الحُسَين بن عليٍّ رضوانُ الله عليهم: أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ زيدَ بن حارثةَ نحوَ مَديَنَ، ومعه ضُمَيرة مولى عليِّ بن أبي طالبٍ وأخٌ له، قالت: فأصابَ سَبْياً من أهل مِينا[3] وهي السّواحلُ وفيها جُمّاعٌ[4] من الناس، فبِيعُوا، ففُرِّقَ بينهم، فخرج رسولُ الله ﷺ وهم يَبكُون

(١) مَديَن: تعرف اليوم باسم البِدْع، وهي بلدة بين تبوك وساحل خليج العقبة، على قرابة ١٥٠ كم غرب تبوك، وتبعد عن الساحل قرابة ٢٥ كم، وآثار مدين القديمة في الشمال الغربي منها، وتعرف باسم مغائر شعيب. وانظر «معجم المعالم الجغرافية» للبِلادي ص٢٨٤.

قلنا: وسريّة زيد هذه مما استدركه ابن هشام أيضاً على ابن إسحاق، والقول فيها كالقول في سابقتها، فقد روى خبـرَها أبو شهاب عبد ربّه بن نافع عن ابن إسحاق عن عبد الله بن الحسن عن أمّه فاطمة مرسلاً، أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٦٦١)، وابن سعد في «الطبقات» ٧/ ٥٧٩، وابن المنذر في «الأوسط» (٦٦٥٦). لكن ذكر مكان مدينَ مَقْنا، وذكر أن ضُميرة كان من السَّبي الذين أصابهم زيدٌ في هذه السريّة، لا أنه كان من جُند زيدٍ فيها.

ومَقْنا: ذكر سعيد بن منصور أنها هي مدين. قلنا: هي في الإقليم نفسه، فهي على الساحل وتقع جنوب غرب البِدْع على قرابة ٣٠ كم.

(٢) تحرف في بعض النسخ إلى: حسين.

وعبد الله هذا: هو ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو وأمه ثقتان جليلان تابعيان، فرواية فاطمة لهذا الخبر مرسلة.

(٣) هكذا وقع لابن هشام، وإنما هي مَقْنا كما سبق في النقل عن ابن إسحاق، وهي على الساحل.

(٤) الجُمّاع: من الأضداد، يكون تارةً المجتمعين، وتارةً المفترقين، وأراد به هنا جماعاتٍ من الناس مختلطين.

فقال: «ما لَهُم؟» فقيل: يا رسولَ الله فُرِّقَ بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَبِيعُوهم إلّا جميعاً».

قال ابن هشام: أراد الأُمّهاتِ والأولادَ.

سريّةُ سالم بن عُمَير لقتل أبي عَفَك

وغزوةُ[1] سالمِ بن عُمَيرٍ ـ وهو أحدُ البكّائين ـ لقتلِ أبي عَفَكٍ أحدِ بني عمرو بن عَوفٍ، ثمّ من بني عُبيدٍ[2]، وكان قد نَجَمَ نِفاقُه[3] حين قتل رسولُ الله ﷺ الحارثَ ابن سُوَيد بن صامتٍ، فقال:

لقد عِشتُ دَهراً وما إنْ أَرى ... مِن النّاسِ داراً ولا مَجمَعا

أَبَرَّ عُهوداً وأَوفَى لِمَن ... يُعاقِدُ فيهم إذا ما دَعَا

مِنَ اْولادِ قَيْلَةَ في جَمعِهِمْ ... يَهُدُّ الجبالَ ولم يَخضَعا[4]

---

(١) في (ت) و(ص) و(ط): «قال ابن إسحاق: وغزوة»، وكذا في (ق٢) و(م) لكن فيهما إشارة إلى أن ابن إسحاق لم يُذكَر في بعض النسخ. قلنا: وإسقاطه هو الصواب كما في بقية النسخ (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ي)، فإن هذه السريّة جاءت هنا في سياق ما استدركه ابن هشام على ابن إسحاق.

(٢) تحرف في (ت) إلى: عذرة، وكان في (ص) و(م): عُبيد، على الصواب كبقية النسخ ثم صُحِّح فيهما إلى: عذرة، وهو غلط، والصواب أنهم بنو عبيد بن زيد، وهم من بني عوف بن عمرو بن عوف الأوسيِّين.

وكانت هذه السرية في شوال من السنة الثانية للهجرة كما ذكر الواقدي في «المغازي» ١/ ٣ وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٥، إلا أن ابن سعد ذكر أن أبا عفك هذا كان يهوديّاً، وليس له سلف في هذا، فالظاهر أنه وهمٌ منه، والله تعالى أعلم.

(٣) أي: ظهر وبانَ.

(٤) قَيْلة: اسم امرأة تنسب إليها الأوس والخزرج أنصار النبي ﷺ، وهي من قُضاعة. ولم =

فصَـدَّعَهمْ راكـبٌ جـاءَهـمْ حَـلالٌ حَـرامٌ لِشَـتَّى مَعـا[1]

فلـو أنّ بـالعِزّ صَـدّقتمُ أو المُلـكِ تـابَعتمُ تُبَّعـا[2]

فقال رسول الله ﷺ: «مَن لي بهذا الخَبيثِ؟»، فخرج سالمُ بن عُمَيرٍ أخو بني عمرو بن عَوفٍ، وهو أحدُ البكّائِينَ، فقتله[3].

فقالت أُمامةُ المُرَيدِيّةُ[4] في ذلك:

تُكـذِّبُ ديـنَ الله والمَـرْءَ أَحمَـداً لَعَمرُ الذي أَمْناكَ أنْ بئسَ ما يُمْني[5]

حَبَـاكَ حَنيـفٌ آخـرَ الليـلِ طَعنـةً أبـا عَفَـكٍ خُذْها على كِبَـرِ السِّنِّ[6]

= يخضعا: أراد: يخضعنَ، بالنون الخفيفة ـ يريد الجبال ـ فلما وقف عليها أبدل منها ألفاً، قاله الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٥٨.

(١) صدَّعهم: فرَّقهم.

(٢) تُبّع: أحد ملوك اليمن.

(٣) لم يسند ابن هشام خبر أبي عفك هذا، ورواه الواقديُّ ١/ ١٧٤ ـ وعنه ابن سعد ٣/ ٤٤٥ ـ بإسنادين مُعضلَين، فالخبر ضعيف، والله تعالى أعلم.

(٤) هكذا هو في نسخنا الخطية كافة، وتحرف في مطبوعة السقا وصاحبيه وكذا في مطبوعة وستنفيلد إلى: المزيرية.

وقد قيّده الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ٦/ ٢٤ بالحروف فقال: بضم الميم وكسر الراء كذا في «التبصير» تبعاً للذهبي، وقال في «الأنساب» بفتحها، وعليه جرى ابن الأثير، وبسكون التحتية وبالدال المهملة بعدها تحتية مشدّدة، بطنٌ من بَلِيّ.

وقد تقدّم عند ابن إسحاق ٣/ ١٩: أن بني مُرَيد بطن من بليٍّ وكانوا حلفاءَ لبني أُميّة بن زيد.

(٥) قولها: والمرءَ أحمداً، تعني النبيَّ ﷺ.

وأمناك: كأنها تريد: الذي رغَّب لك ما أنت فيه، من التمنّي: وهو تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه، والله تعالى أعلم.

(٦) حَبَاك، أي: أعطاك. وحنيف: مسلم.

غزوة عُمير بن عَديّ الخَطْميّ لقتل عَصْماءَ بنت مروان

وغزوةُ عُمَيرِ بن عَديٍّ الخَطْميِّ عَصْماءَ بنتَ مروان، وهي من بني أُميّة بن زيدٍ[1]، فلمّا قُتِلَ أبو عَفَكٍ نافقَت، فذكرَ عبدُ الله بن الحارث بن الفُضَيل عن أبيه قال: وكانت تحت رجلٍ من بني خَطْمةَ يقال له: يزيدُ بن زيدٍ، فقالت تَعِيبُ الإسلامَ وأهلَه:

باسْتِ بني مالكٍ والنَّبيتِ ... وعَوفٍ وباسْتِ[2] بني الخَزْرجِ
أطَعتُم أتاويَّ من غيرِكمْ ... فلا من مُرادٍ ولا مَذْحِجِ[3]
تُرجُّونَه بعدَ قتلِ الرُّؤوسِ ... كما يُرتَجَى مَرَقُ المُنضِجِ[4]
ألا أَنِفٌ يَبتَغي غِرّةً ... فيَقطَعَ من أمَلِ المُرتَجِي[5]

---

(١) وبنو أُمية بن زيد من بني عمرو بن عوف من الأَوس. وكذا خَطْمة أَوسيُّون.

وهذه الواقعة عند الواقدي في «المغازي» ١/ ١٧٤ وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٥، كانت في رمضان قبل قتل أبي عَفَك، على خلاف ما ذكر ابنُ هشام.

(٢) الاستُ: الدُّبر، ووقع في نسختي (ش١) و(ش٢): لبِئسَتْ.. وبِئسَتْ، وبَنُو بالرفع في الموضعين، فعدَّ ذلك المُطرِّزيُّ في كتابه «المُغرِب في ترتيب المُعرِب» ١/ ٣٨٣ ـ وقد ذكر هذه الأبيات ـ عدَّه تصحيفاً، وقال في تفسيره: يقال: باسْتِ فلانٍ، إذا استخفُّوا به، ومعناه: لصق العارُ بذلك الموضع. اهـ

وبنو مالك: بطون من الأوس، والنَّبيت: هو عمرو بن مالك بن الأوس، وعوفٌ أخوه، وهم أهل قُباء.

(٣) الأتاويّ: الغريب، وأرادت به النبيَّ ﷺ.

ومراد ومَذحِج: قبيلتان من اليمن.

(٤) الرؤوس: أشراف القوم.

(٥) الأَنِف: الذي يترفّع عن الشيء. والغِرّة: الغفلة.

فأجابها حسّانُ بن ثابتٍ فقال[1]:

بنـــو وائــــلٍ وبنــــو واقــــفٍ وخَطْمَـــةُ دونَ بنـــي الخَـــزْرجِ

متـى مـا دَعَـت سَـفَهاً وَيحَهـا بعَوْلَتِهـــا والمَنايـــا تَجِـــي[2]

فهَـــزَّت فتًـــى ماجـــداً عِرقُـــهُ كـــريمَ المَـــداخلِ والمَخـــرَجِ[3]

فضَـــرَّجَها مـــن نَجيـــعِ الـــدِّما ءِ بعـــدَ الهُـــدُوِّ فلـــم يَحـــرَجِ[4]

فقال رسولُ الله ﷺ حين بَلَغَه ذلك: «ألا أَحدٌ[5] لي من ابنةِ مروانَ؟»، فسمعَ ذلك من قولِ رسول الله ﷺ عُمَيرُ بن عَديٍّ الخَطْميُّ وهو عنده، فلمّا أَمسى من تلك الليلة سَرَى عليها في بيتِها فقتلها، ثمّ أصبحَ مع رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، إنّي قد قتلتُها، فقال: «نَصرتَ اللهَ ورسولَه يا عُمَيرُ»، فقال: هَل عليَّ شيءٌ من شأنِها يا رسولَ الله؟ فقال: «لا يَنتَطِحُ فيها عَنْزانِ»[6].

---

(١) هذه الأبيات ليست في الرواية من «ديوانه»، وانظره بتحقيق وليد عرفات ١/ ٤٤٩.

(٢) العَولة: ارتفاع الصوت بالبكاء. وتَجِي: مسهَّل من تجيء.

(٣) ماجداً عِرقُه، أي: شريفاً أصلُه.

(٤) ضرَّجها: لطخها بالدم. والنجيع: الشديد الحُمرة. وبعد الهدوّ، أي: بعد ساعة من الليل. ولم يَحرَج: لم يأثم.

(٥) في (ش١) و(ش٢) و(ي): آخذٌ.

(٦) هذا خبرٌ إسناده ضعيف لانقطاعه بين ابن هشام وعبد الله بن الحارث، ولإرساله، فالحارث بن فضيل من طبقة أتباع التابعين أو صغار التابعين، ولم يرو عنه غير ابنه عبد الله، فهو في حيِّز الجهالة.

وقد رواه بنحوه عن عبد الله بن الحارثِ الواقديُّ ١/ ١٧٢-١٧٣، ومن طريقه ابن سعد ٤/ ٣١٧، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٥٨).

وروي هذا الخبر موصولاً من حديث ابن عباس فيما أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٦/ ١٤٥، =

فرجع عُمَيرٌ إلى قومه، وبنو خَطْمةَ يومئذٍ كثيرٌ مَوجُهم[1] في شأن ابنة مروانَ، ولها يومئذٍ بَنُونَ خمسةُ رجالٍ، فلمّا جاءَهم عُمَيرُ بن عَديٍّ من عند رسول الله ﷺ قال: يا بني خَطْمةَ، أنا قتلتُ ابنةَ مروان، فكِيدُوني جميعاً ثمّ لا تُنظِرونَ؛ فذلك اليومُ أوَّلُ ما عَزَّ الإسلامُ في دار بني خَطْمة، وكان يَستَخفي بإسلامه فيهم مَن أسلَمَ، وكان أوَّلَ مَن أسلمَ من بني خَطْمة عُمَيرُ بن عَديٍّ، وهو الذي يُدعَى القارئَ، وعبدُ الله بن أوسٍ، وخُزَيمةُ بن ثابتٍ.

وأسلمَ يومَ قُتِلَت ابنةُ مروانَ رجالٌ من بني خَطْمة لِمَا رَأَوا من عزِّ الإسلام.

أسرُ ثُمَامة بن أثالٍ الحَنَفيّ

وإسلامُه بعد امتِنان رسول الله ﷺ

والسَّرِيّةُ التي أَسَرَت ثُمامةَ بن أُثالٍ الحَنَفيَّ[2]، بَلَغَني عن أبي سعيدٍ المَقبُريّ عن أبي هريرة أنه قال: خرجت خيلٌ لرسول الله ﷺ، فأخَذَت رجلاً من بني حَنِيفة لا يَشعُرون مَن هو، حتّى أتَوا به رسولَ الله ﷺ فقال: «أتدرُونَ مَن أخذتُم؟ هذا ثُمَامةُ بن أُثالٍ الحَنَفيُّ، أَحسِنُوا إسَارَه» ورجع رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه فقال: «اجمَعُوا ما

= والقضاعي (٨٥٦) و(٨٥٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٥/ ١١٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥١/ ٢٢٤، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٧٩). وإسناده تالف، فيه راوٍ كذّاب.

قوله: لا ينتطح فيها عنزان، أي: أن شأنها هيِّن، لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

(١) موجهم، أي: اختلاط كلامهم.

(٢) الظاهر أن خبر هذه السرية ليس في رواية زياد البكّائي عن ابن إسحاق، فلذلك استدركها ابن هشام عليه، وهي في رواية غيره عنه كما سيأتي لاحقاً في تخريج الخبر.

ثم إن روايته الخبر عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة خولف فيه، والمحفوظ كما سيأتي أنه من رواية ابنه سعيد المقبري عن أبي هريرة.

كان عندكم من طعامٍ فابعَثُوا به إليه»، وأمَرَ بلِقْحتِه[1] أن يُغدَى عليه بها ويُراحَ، فجعل لا يَقَعُ من ثُمامةَ مَوقِعاً، ويأتيه رسولُ الله ﷺ فيقول: «أَسلِمْ يا ثُمَامةُ» فيقول: إيهاً[2] يا محمّدُ، إن تَقتُلْ تَقتُلْ ذا دمٍ[3]، وإن تُرِدِ الفِداءَ فسَلْ ما شئتَ. فمَكَثَ ما شاءَ الله أن يَمكُثَ، ثمّ قال النبيُّ ﷺ يوماً: «أَطلِقُوا ثُمامةَ»، فلمّا أطلَقُوه خرج حتّى أَتى البقيعَ، فتَطَهَّرَ فأحسنَ طُهورَه، ثمّ أقبَلَ فبايعَ النبيَّ ﷺ على الإسلام[4].

فلمّا أمسَى جاؤوه بما كانوا يأتونَه من الطّعام، فلم يَنَلْ منه إلّا قليلاً، وباللِّقحةِ فلم يُصِبْ من حِلابِها إلّا يسيراً، فعَجِبَ المسلمون من ذلك، فقال رسولُ الله ﷺ حين بَلَغَه ذلك: «مِمَّ تَعجَبُون؟! أمِنْ رجلٍ أكلَ أوَّلَ النَّهارِ في مِعَى كافرٍ، وأكلَ آخرَ

(١) اللِّقحة: واحدة اللِّقاح من الإبل، وهي الناقة التي لها لبنٌ.

(٢) إيهاً: أمرٌ بالسكوت، بمعنى: كُفَّ واسكت.

(٣) أي: ذا دم عظيم لا يُهدَر، بل يؤخذ ثأره، ففيه الإشارة إلى رياسته في قومه.

(٤) هذا حديث صحيح.

وقد أخرجه بنحوه أحمد (٧٣٦١) من طريق محمد بن عجلان، وأحمد (٩٨٣٣)، والبخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)(٥٩)، وأبو داود (٢٦٧٩)، والنسائي في «المجتبى» (١٨٩) وفي «الكبرى» (١٩٢)، وابن حبان (١٢٣٩) من طريق الليث بن سعد، ومسلم (١٧٦٤)(٦٠) من طريق عبد الحميد بن جعفر، وابن حبان (١٢٣٨) من طريق عبد الله وعبيد الله ابني عمر بن حفصٍ العُمَريَّين، خمستهم عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. وبعضهم يزيد فيه على بعض، وفي روايتي الليث وعبد الحميد: أن النبي ﷺ بعث خيلاً قِبَلَ نجدٍ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال.

وروى هذا الخبر يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عند البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٧٩-٨٠ و«السنن» ٩/ ٦٦، فذكر فيه: أن ثمامة دخل المدينةَ فتحيَّر فيها (أي: تردّد فيها) حتى أُخذ وأُتي به رسول الله ﷺ. وهذا غلطٌ، وقال البيهقي في «الدلائل»: رواية الليث بن سعد ومن تابعه أصحُّ في كيفيّة أخذه.

النَّهارِ في مِعَى مُسلمٍ، إنّ الكافرَ يأكُلُ في سبعةِ أمعاءٍ، وإنَّ المسلمَ يأكُلُ في مِعًى واحدٍ»[1].

قال ابن هشام: فبَلَغَني أنه خرج مُعتمِراً، حتّى إذا كان ببَطنِ مكّةَ لَبّى، فكان أوّلَ مَن دخل مكّةَ يُلبِّي، فأخذته قريشٌ فقالوا: لقد اجترأْتَ علينا، فلمّا قَدَّموه ليَضرِبوا عُنُقَه قال قائلٌ منهم: دَعُوه، فإنّكم تحتاجون إلى اليَمَامة لطعامكم، فخَلَّوه[2].

فقال الحَنَفيُّ:

ومنّا الـذي لَبّـى بمكّـةَ مُعلِنـاً ... برَغْمِ أبي سفيانَ في الأشهُرِ الحُرُمِ

وحُدِّثتُ: أنّه قال لرسول الله ﷺ حين أسلَمَ: لقد كان وجهُك أبغَضَ الوجوه إليَّ، ولقد أصبَحَ وهو أَحَبُّ الوجوهِ إليّ.

وقال في الدِّين والبلادِ مثلَ ذلك[3].

ثمّ خرج مُعتَمِراً، فلمّا قَدِمَ مكّة قالوا: أصَبَوتَ يا ثُمَامُ؟ فقال: لا، ولكنّي

---

(١) هذا الخبر انفرد ابنُ هشام بوصله بخبر ثمامة السابق وجعله سبباً لورود هذا الحديث.

فقد روى نحوَه غيرُ واحد عن أبي هريرة فيما أخرجه أحمد (٧٤٩٧) و(٨٨٧٩) و(٩٦٢١) و(٩٨٧٤)، والبخاري (٥٣٩٦) و(٥٣٩٧)، ومسلم (٢٠٦٣)، وغيرهم، لم يسمِّ أحدٌ منهم فيه ثمامةَ أو يذكر قصّته.

وفي بعض هذه الروايات عن أبي هريرة: أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ وهو كافر، فكان يأكل أكلاً كثيراً، ثم إنه أسلم فكان يأكل أكلاً قليلاً، فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فقال هذا القول.

(٢) بلاغ ضعيف ولم يتابع عليه ابنُ هشام بهذا النحو، وما سيأتي لاحقاً أصحّ.

(٣) وهذا صحيح، وهو في حديث أبي هريرة السابق في إسلامه عند أحمد والبخاري ومسلم وغيرهما بلفظ: والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغضَ إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدِّين إلي، والله ما كان من بلد أبغضَ إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليّ.

اتَّبَعتُ خيرَ الدِّينِ دينِ محمّدٍ، ولا واللهِ لا تَصِلُ إليكم حَبّةٌ من اليَمَامة حتّى يأذَنَ فيها رسولُ الله ﷺ. ثمّ خرج إلى اليَمَامة، فمَنَعَهم أن يَحمِلوا إلى مكّة شيئاً، فكَتَبوا إلى رسول الله ﷺ: إنّك تأمُرُ بصِلَةِ الرَّحِمِ، وإنّك قد قَطَعتَ أرحامَنا[1]، فكَتَبَ رسولُ الله ﷺ إليه أن يُخلِّيَ بينهم وبين الحَمْل[2].

سريّةُ عَلقَمة بن مُجزِّز
ولم يلقَ فيها كَيداً

وبَعْثُ عَلقَمةَ بن مُجزِّزٍ.

لمّا قُتل وَقّاصُ بن مُجزِّزٍ المُدلِجيُّ يومَ ذي قَرَدٍ[3]، سأل عَلقَمةُ بن مُجزِّزٍ

---

(١) بعد هذا في طبعة السقا وصاحبيه زيادة: وقد قتلت الآباءَ بالسيف والأبناءَ بالجوع. وهذه الزيادة ليست في شيء من نسخنا الخطية سوى نسخة (ق٢)، ثم ضرب عليها بخطٍّ وأشار عليها بعلامة الحذف.

(٢) وهذا صحيح أيضاً، روي في حديث أبي هريرة عند أحمد والبخاري ومسلم وغيرهما، وكتابة قريش إلى النبي ﷺ وكتابته إلى ثُمامة زادها ابن عجلان في حديثه عن المقبري عن أبي هريرة عند أحمد، وسنده قويٌّ.

وسبب عُمرته ما ذكره هو ـ كما في حديث أبي هريرة ـ قال: وإن خيلك ـ أي: خيل النبي ﷺ ـ أخذتني وأنا أريد العمرةَ، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوتَ...

(٣) تقدم في هذه الغزوة ٣/ ٣٥٨ عن ابن إسحاق أنه لم يُقتَل في هذه الغزوة سوى مُحرِز بن نضلة الأسدي، ويقال له أيضاً: الأخرم، فزاد ابن هشام هناك ذكرَ وقّاص بن مجزِّز.

ثم إن ابن هشام قد ذَهَلَ في هذه السريّة فذكر أنها على إثر غزوة ذي قَرَدٍ، يعني أنها كانت في السنة السادسة، وهو منفردٌ بذلك، فإن تلك الغزوة لم يبعث منها النبي ﷺ سريّةً كما تقدّم في موضعه، وقد ذكر الواقديُّ في «مغازيه» ٣/ ٩٨٣ وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٤٩: أن سريّة =

رسولَ الله ﷺ أن يبعثَه في آثارِ القوم ليُدرِكَ ثأرَه فيهم.

فذكرَ عبدُ العزيز بن محمّدٍ عن محمّد بن عمرو بن عَلقَمة، عن عُمر بن الحَكَم ابن ثَوْبانَ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عَلقَمةَ بن مُجزِّزٍ، قال أبو سعيدٍ الخُدْريّ: وأنا فيهم، حتّى إذا بَلَغْنا رأسَ غَزاتِنا أو كنّا ببعضِ الطّريق، أَذِنَ لطائفةٍ من الجيش واستَعمَلَ عليهم عبدَ الله بنَ حُذَافة السَّهْميّ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيه دُعَابةٌ[1]، فلمّا كان ببعضِ الطّريقِ أَوقَدَ ناراً، ثمّ قال للقوم: أليسَ لي عليكم السّمعُ والطّاعةُ؟ قالوا: بَلَى، قال: أفما أنا آمُرُكم بشيءٍ إلّا فَعَلتُموه؟ قالوا: نعم، قال: فإنّي أَعزِمُ عليكم بحَقِّي وطاعتي إلّا تَواثَبتُم في هذه النار، قال: فقام بعضُ القوم يَحتَجِزُ[2]، حتّى ظَنَّ أنّهم واثِبُون فيها فقال لهم: اجلِسُوا، فإنّما كنت أضحَكُ معكم.

فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ بعدَ أن قَدِمْنا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «مَن أمَرَكم

= علقمة هذه التي كان فيها عبد الله بن حُذافة كانت في ربيع الأول من السنة التاسعة، وسببها كما ذكر الواقديُّ بإسنادين مرسلين: أن رسولَ الله ﷺ بلغه أن ناساً من الحبشة تراءاهم أهلُ الشُّعيبة (خليج من ساحل البحر جنوب جُدّة بما يقرب من ٦٨ كم) في مراكب، فبلغ النبيَّ ﷺ، فبعث علقمةَ بن مجزّز المُدلِجي في ثلاث مئة رجل حتى انتهى إلى جزيرة في البحر، فخاضَ إليهم فهربوا منه، ثم انصرف، فلما كان (أي: علقمة بن مجزّز) ببعض المنازل استأذنه بعض الجيش في الانصراف حيث لم يلقَوا كيداً، فأذن لهم وأمَّر عليهم عبدَ الله بن حُذافة السهميَّ... ثم ذكر قصتَه مع أصحابه.

كذا ذكر الواقديُّ في سبب هذه السريّة، والخبر التالي الذي هو أحسن إسناداً ليس فيه إيراد لسببها، فالله تعالى أعلم.

(١) أي: مِزاح.

(٢) يحتجز، أي: يشدّ ثوبه على خصره بمنزلة الحِزام.

منهم بمَعصِيَةٍ فلا تُطِيعُوه»[1].

وذكرَ محمّدُ بن طلحةَ: أنّ عَلقَمةَ بن مُجزِّزٍ رجع هو وأصحابُه ولم يَلقَ كَيداً.

سريّةُ كُرْزِ بن جابرٍ لقتل البَجَليِّين الذين قتلوا يَساراً

وبعثُ كُرْز بن جابرٍ.

حدّثني بعضُ أهلِ العلم عمّن حدَّثه عن محمّد بن طَلْحة عن عثمانَ بن عبدالرَّحمن قال: أصابَ رسولُ الله ﷺ في غزوة مُحارِبٍ وبني ثَعْلبةَ[2] عبداً يقال له: يَسارٌ، فجَعَلَه رسولُ الله ﷺ في لِقَاحٍ له كانت ترعى ناحيةَ الجَمّاءِ[3].

فقَدِمَ على رسول الله ﷺ نَفَرٌ من قيسِ كُبّةَ[4] من بَجِيلةَ، فاستَوبَؤُوا

(١) إسناد الخبر حسن، وقد روي موصولاً عن عبد العزيز بن محمد: وهو الدَّراوَرْديّ.

فقد أخرج الحاكم (٦٧٩٤) أوله مختصراً من طريق يحيى بن بُكير، عن عبد العزيز بن محمد، بهذا الإسناد.

وأخرجه بطوله كما ساقه ابنُ هشام: أحمد (١١٦٣٩)، وابن ماجه (٢٨٦٣)، وابن حبان (٤٥٥٨) من طريق يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو، به.

والمرفوع في آخره يشهد له حديث ابن عمر عند البخاري (٢٩٥٥) و(٧١٤٤) ومسلم (١٨٣٩) عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المَرْء المسلم فيما أحبَّ وكَرِهَ، ما لم يُؤمَر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمعَ ولا طاعةَ».

وحديث عمران بن حصين عند أحمد (١٩٨٢٤) و(١٩٨٨٠) مرفوعاً: «لا طاعة في معصية الله». وانظر تمام شواهده هناك.

(٢) من غَطَفان، وهي الغزوة المسمَّاة ذات الرِّقاع، وقد تقدمت ٣/ ٢٤٠.

(٣) الجمّاء: موضع في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة.

(٤) قيس كبّة: قبيلة من بَجِيلة، عرف بكُبّة اسم فرسِه، قاله السهيليُّ في «الروض» ١/ ٣٤٤.

وهؤلاء النفر من عُرَينة كما في حديثَي أنس بن مالك وسلمة بن الأكوع المذكورين لاحقاً.

وطَحِلوا[1]، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «لو خَرَجتُم إلى اللِّقاحِ[2] فشَرِبتُم من أَلبانِها وأبوالِها»، فخرجوا إليها.

فلمّا صَحُّوا وانطَوَت بُطونُهم[3]، عَدَوْا على راعي رسول الله ﷺ يَسارٍ فذَبَحُوه وغَرَزوا الشَّوكَ في عَينَيه واستاقُوا اللِّقاحَ، فبَعَثَ رسولُ الله ﷺ في آثارِهم كُرْزَ بن جابرٍ، فلَحِقَهم، فأَتى بهم رسولَ الله ﷺ مَرجِعَه من غزوة ذي قَرَدٍ[4]، فقَطَعَ أيديَهم وأرجُلَهم، وسَمَلَ أعيُنَهم[5].

---

(١) استوبؤوا: من الوباء، وهو كثرة الأمراض وعمومها. وطَحِلوا، أي: أصابهم وجعُ الطّحال وعِظَمُه.

(٢) اللِّقاح: جمع لِقْحة، وهي الناقة التي لها لبن.

(٣) انطوت بطونهم، أي: صارت فيها طرائق الشّحم فسَمِنوا.

(٤) هذا التوقيت انفرد به ابنُ هشام، وغزوة ذي قَرَدٍ كانت في جمادى الآخرة من سنة ستٍّ، وهذا يخالف ما ذكره الواقديُّ في «مغازيه» ٢/ ٥٦٨ وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٨٩ من أنّ سريّة كُرز هذه كانت في شوّال من سنة ستٍّ، أي: بعد غزوة ذي قَرَدٍ بثلاثة أشهر، وهذا الذي اعتمده الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٦٤٤، وابنُ حبان في السيرة من «ثقاته» ١/ ٢٨٨.

(٥) سمل أعينهم: فَقَأَها.

وهذا الخبر صحيح لغيره، وإسناد ابن هشام هنا ضعيف لإبهام الواسطة بينه وبين محمد بن طلحة، ولإرساله، فإن عثمان بن عبد الرحمن - وهو ابن عثمان بن عبيد الله التَّيمي - من صغار التابعين.

وقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٢٢٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٦٥٧) من طريق محمد بن طلحة - وهو ابن عبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله التَّيمي - عن موسى بن محمد ابن إبراهيم التَّيمي، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن سلمة بن الأكوع. وسمَّى أميرَ السريّة كُرز بن جابر كما عند ابن هشام. وإسناده ضعيف لضعف موسى بن محمد التيمي.

لكن روى نحو هذا الخبر أنسُ بن مالك فيما أخرجه أحمد (١٢٠٤٢)، والبخاري (٢٣٣)، =

غزوةُ عليّ بن أبي طالبٍ إلى اليمن

وغزوةُ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه اليمنَ، غَزَاها مرَّتين.

قال[1] أبو عمرو المَدَني: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ إلى اليمن وبَعَثَ خالدَ بن الوليدِ في جُندٍ آخرَ، وقال: «إنِ التَقَيتُما، فالأَميرُ عليُّ بن أبي طالبٍ»[2].

وقد ذكرَ ابنُ إسحاق بَعْثَ خالد بن الوليد في حديثه[3] ولم يذكره في عِدَّة البُعوث والسَّرايا، فيَنبَغي أن تكون العِدّةُ في قوله تِسعةً وثلاثين.

= ومسلم (١٦٧١) وغيرهم، فصحَّ الحديث به.

(١) في (ش١): قال ابن هشام: قال أبو عمرو.

(٢) خبر ضعيف لإعضاله، وأبو عمرو المدني هذا لم نتبيّنه.

وقد أخرجه بنحوه الطبراني في «الكبير» (٣٤٩٦) بإسناد مسلسل بالضعفاء والمجاهيل عن حنظلة الكاتب، وله صُحبة.

وأخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٥٠٢ من طريق ابن عبد الحكم عن الشافعي مُعضَلاً قال: وجَّه رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وخالدَ بن سعيد بن العاص إلى اليمن، وقال: «إذا اجتمعتما فعليٌّ أمير، وإن افترقتما فكلُّ واحد منكما أميرٌ»، فاجتمعا. هكذا سمَّى الشافعيُّ خالدَ ابن سعيدٍ مكان خالد بن الوليد.

زاد الشافعي في روايته: وبلغ عمرَو بن مَعْدي كَرِبَ مكانُهما، فأقبل في جماعة من قومه، فلما دنا منهما قال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم، فإني لم أُسمَّ لأحدٍ قطُّ إلا هابني، فلما دنا منهما نادى: أنا أبو ثَوْر، أنا عمرو بن معدي كرب، فابتَدَرَاه عليٌّ وخالدٌ، وكلاهما يقول لصاحبه: خلِّني وإيّاه، ويُفدِّيه بأبيه وأمّه، فقال عمرٌو إذ سمع قولَهما: العرب تفزع مني، وأراني لهؤلاء جَزَرةً، فانصرف عنهما. اهـ

والجَزَرة: الشاة السمينة الصالحة لأن تُجزَر، أي: تُذبَح للأكل.

(٣) يعني فيما تقدم في بعثه ﷺ له إلى بني الحارث بن كعب بنَجْران ص٣٦٥.

بعثُ أسامة بن زيدٍ إلى أرض فِلَسطين
وهو آخرُ البُعوث

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ أُسامةَ بن زيد بن حارثة إلى الشّام، وأمَرَه أنّ يُوطِئَ الخيلَ تُخُومَ البَلْقاءِ والدّارُوم، من أرض فِلَسطينَ، فتَجهَّزَ الناسُ وأَوعَبَ مع أُسامةَ المهاجرون الأوَّلون[1].

قال ابن هشام: وهو آخرُ بَعثٍ بَعَثَه رسولُ الله ﷺ.

(١) تقدَّم ذكر هذا البعث ص٣٩٢، فانظر شرح ألفاظه هناك.

ابتداءُ شَكْوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: فبَيْنا الناسُ على ذلك، ابتُدِئَ رسولُ الله ﷺ بشَكْواه الذي قَبَضَه الله فيه إلى ما أراد به من رحمتِه وكرامتِه في لَيالٍ بَقِينَ من صَفَرٍ أو في أوّلِ شهر ربيعٍ الأوّل، فكان أوّلَ ما ابتُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من ذلك فيما ذُكِرَ لي: أنّه خرج إلى بَقِيعِ الغَرقَد من جَوفِ اللّيل، فاستَغفَرَ لهم، ثمّ رَجَعَ إلى أهلِه، فلمّا أصبَحَ ابتُدِئَ بوَجَعِه من يومِه ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن عمرَ، عن عُبَيد بن جُبَيرٍ مولى الحَكَم بن أبي العاصِ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مُوَيهِبةَ مولى رسول الله ﷺ قال: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ من جَوْفِ اللّيل فقال: «يا أبا مُوَيهِبةَ، إنّي قد أُمِرتُ أن أستَغفِرَ لأهلِ هذا البَقِيعِ، فانطَلِقْ معي»، فانطَلَقتُ معه، فلمّا وَقَفَ بين أظهُرِهم قال: «السَّلامُ عليكم يا أهلَ المَقابرِ، ليَهنِئْ لكم ما أصبَحتُم فيه ممَّا أصبَحَ النّاسُ فيه، أقبلَتِ الفِتَنُ كقِطَعِ اللّيلِ المُظلِمِ يَتبَعُ آخِرُها أوّلَها، الآخِرةُ شَرٌّ من الأُولى»، ثمّ أقبَلَ عليَّ فقال: «يا أبا مُوَيهِبةَ، إنّي قد أُوتِيتَ مَفاتِيحَ خَزَائنِ الدّنيا والخُلْدَ فيها ثمّ الجنّةَ، فخُيِّرتُ بينَ ذلك وبينَ لقاءِ ربِّي والجنّةِ»، قال: فقلت: بأَبي أنتَ وأُمّي، فخُذْ مَفاتيحَ خزائنِ الدّنيا والخُلْدَ فيها، ثمّ الجنّةَ، قال: «لا والله يا أبا مُوَيهِبةَ، لقد اختَرْتُ لقاءَ ربِّي والجنّةَ»، ثمّ استَغفَرَ لأهلِ البَقِيعِ، ثمّ انصَرَفَ فبَدَأَ برسولِ الله ﷺ وَجَعُه الّذي قَبَضَه الله فيه[1].

---

(١) حديث حسن كما قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ١١١، وابن حجر في «نتائج الأفكار» ٥/ ٢٦. وعبد الله بن عمر: هو ابن عبد الله بن علي بن عديٍّ القرشيُّ المعروف بالعَبَليّ. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة، عن محمّدِ بن مُسلمٍ الزُّهْريّ، عن عُبيدِ الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: رجع رسولُ الله ﷺ من البَقِيع، فوَجدَني وأنا أَجِدُ صُدَاعاً في رأسي، وأنا أقولُ: وارأْساهُ، فقال: «بل أنا واللهِ يا عائشةُ وارأْساهُ». قالت: ثمّ قال: «وما ضَرُّكِ لو مِتِّ قَبْلي فقُمْتُ عليكِ وكَفَّنتُكِ، وصَلَّيتُ عليكِ ودَفَنتُكِ» قالت: قلت: والله لَكأنِّي بكَ لو قد فعلتَ ذلك، لقد رَجَعتَ إلى بيتي فأعرَسْتَ فيه ببعضِ نسائك، قالت: فتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ.

وتَتَامَّ به وَجَعُه، وهو يَدُورُ على نسائِه حتّى استُعِزَّ به[1] وهو في بيتِ ميمونةَ، فدَعَا نساءَه فاستأذَنَهنَّ في أن يُمرَّضَ في بيتي، فأَذِنَّ له[2].

قال ابن هشام: وكُنَّ تسعاً: عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ، وحَفْصةُ بنتُ عمر بن الخَطّاب، وأمُّ حَبِيبة بنتُ أبي سفيانَ بن حَرْبٍ، وأمُّ سَلَمة بنتُ أبي أُميّة بن المغيرة، وسَوْدةُ بنتُ زَمْعة بن قيسٍ، وزينبُ بنتُ جَحْش بن رِئَابٍ، وميمونةُ بنتُ الحارث بن حَزْنٍ، وجُوَيرِيَةُ بنتُ الحارث بن أبي ضِرَارٍ، وصَفيّةُ بنتُ حُيَيّ بن أخطَبَ، فيما حدَّثني غيرُ واحدٍ من أهلِ العلم.

= وأخرجه أحمد (١٥٩٩٧)، والحاكم (٤٤٣١) و(٤٤٣٢) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تمام تخريجه والكلام عليه فيهما؛ طبعة الرسالة.

(١) استُعِزَّ به، أي: اشتدَّ به المرض وأشرف على الموت.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٥٩٠٨)، وابن ماجه (١٤٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٤٢)، وابن حبان (٦٥٨٦) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه مختصراً أحمد (٢٥١١٣)، والنسائي (٧٠٤٤) من طريق عروة بن الزبير، والبخاري (٥٦٦٦) و(٧٢١٧) من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر، كلاهما عن عائشة.

ذكرُ أزواجِه صلَّى الله عليه وسلَّم

وكان جميعُ مَن تَزوَّجَ رسولُ الله ﷺ ثلاثَ عَشْرةَ[1]:

خَدِيجةُ بنتُ خُوَيلِدٍ، وهي أوّلُ مَن تَزوَّجَ، زَوَّجَه إيّاها أبوها خُوَيلِدُ بن أَسَدٍ، ويقال: أخوها عمرُو بن خُوَيلِدٍ، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ عشرين بَكْرةً[2]، فوَلَدَت لرسول الله ﷺ وَلَدَه كلَّهم إلّا إبراهيمَ، وكانت قبلَه عند أبي هالة بن مالكٍ أحدِ بني أُسيِّد بن عمرو بن تَميمٍ حليفِ بني عبد الدّار، فوَلَدَت له هِندَ بن أبي هالةَ وزينبَ بنتَ أبي هالةَ، وكانت قبلَ أبي هالةَ عند عَتِيقِ بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ، فوَلَدَت له عبدَ الله وجاريةً.

قال ابن هشام: جاريةٌ من الجَوَاري[3]، تزوَّجها صَيْفيُّ بن أبي رِفَاعة.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **عائشةَ بنتَ أبي بكرٍ** الصِّدِّيقِ بمكّة، وهي بنتُ سبعِ سنينَ، وبَنَى بها بالمدينة وهي بنتُ تسعِ سنينَ أو عَشْرٍ[4]، ولم يتزوَّجْ رسولُ الله ﷺ بِكْراً غيرَها، زَوَّجَه إيّاها أبوها أبو بكرٍ، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئةِ

(١) هذا السرد في ذكر أزواج النبي ﷺ من تتمّة كلام ابن هشام.

(٢) البَكْرة: الفَتِيّة من النُّوق.

وانظر الخلاف فيمن زوَّجها للنبي ﷺ فيما تقدم ١/ ٢١٠.

(٣) أي: بنت من البنات، واسم هذه البنت هند، وصيفي بن أبي رفاعة: هو صيفيّ بن أبي رفاعة أميّة بن عابد، وهو ابن عمّها. وانظر «طبقات ابن سعد» ١٠/ ١٦.

(٤) روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أن النبي ﷺ تزوّجها وهي بنت ستّ سنين، وأُدخلت عليه وهي بنت تسع. أخرجه أحمد (٢٤٨٦٧)، والبخاري (٥١٣٣) و(٥١٣٤)، ومسلم (١٤٢٢)(٦٩-٧٠).

وروى الزهري عن عروة عنها: أن النبي ﷺ تزوّجها وهي بنت سبع سنين، وزُفَّت إليه وهي بنت تسع سنين. أخرجه مسلم (١٤٢٢)(٧١). وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد».

دِرهَم.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **سَوْدةَ بنتَ زَمْعةَ** بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدٍّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ، زَوَّجَه إيّاها سَلِيطُ بن عمرٍو، ويقال: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدٍّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْلٍ، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرهَم.

قال ابن هشام: ابنُ إسحاق يُخالِفُ هذا الحديث؛ يذكرُ أنّ سَلِيطاً وأبا حاطبٍ كانا غائبَينِ بأرض الحَبَشة في هذا الوقت(١).

وكانت قبلَه عند السَّكْران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدٍّ بن نَصْر بن مالك ابن حِسْلٍ(٢).

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **زينبَ بنتَ جَحْش** بن رِئَابٍ الأسَديّة، زَوَّجَه إيّاها أخوها أبو أحمدَ بن جَحشٍ(٣)، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئة دِرهَمٍ، وكانت قبلَه عند

---

(١) كلام ابن هشام هذا أثبتناه من (ت) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م)، ولم يرد في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ف) و(ي)، وذكره صاحب نسخة (ش٢) على حاشيتها وأشار إلى أنه ليس في رواية ابن الوزير.

(٢) وكان السكران هاجر بسودةَ في الهجرة الثانية إلى الحبشة، ثم رجع بها إلى مكة فمات عنها.

(٣) كذا قال ابن هشام، والصحيح أن الله عزّ وجلّ هو الذي زوَّجها النبيَّ ﷺ من غير إذن أحدٍ كما جاء في حديث أنس عند أحمد (١٣٠٢٥) ومسلم (١٤٢٨) (٨٩): أن زيد بن حارثة لمّا أرسله النبيُّ ﷺ إلى زينب ليذكرَها عليه، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أُوامرَ ربِّي (أي: أستخيره)، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن (يعني نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾)، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.

ولذلك كانت زينبُ تَفخَرُ على أزواج النبي ﷺ تقول: زوَّجكُنّ أهالِيكنّ، وزوَّجني الله تعالى =

زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ففيها أنزَلَ الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **أمَّ سَلَمة ابنةَ أبي أُميّة** بن المغيرةِ المخزوميّةَ، واسمها هِندٌ، زَوَّجَه إيّاها سَلَمةُ بن أبي سَلَمةَ ابنُها[1]، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ فِراشاً حَشْوُه لِيفٌ وقَدَحاً، وصَحْفةً ومِجَشّةً[2]، وكانت قبلَه عند أبي سَلَمة بن عبد الأسَد، واسمه عبدُ الله، فوَلَدَت له سَلَمةَ وعمرَ وزينبَ ورُقَيّةَ[3].

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **حَفْصةَ ابنةَ عمر** بن الخَطّاب، زَوَّجَه إيّاها أبوها عمرُ بن الخَطّاب، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرهَمٍ، وكانت قبلَه عند خُنَيس بن

= من فوق سبع سماوات؛ كما وقع ذلك في رواية من حديث أنس عند البخاري (٧٤٢٠).

(١) أسند هذا يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق في «سيرته» ص٢٦١ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وعبد الرحمن بن الحارث وغيرهم عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد قال: كان الذي زوَّج رسولَ الله ﷺ أمَّ سلمة ابنَها سلمة. ورجاله ثقات، وعبد الله بن شدّاد من كبار التابعين، وُلد في حياة النبي ﷺ.

لكن أخرج أحمد (٢٦٥٢٩) والنسائي في «المجتبى» (٣٢٥٤) و«الكبرى» (٥٣٧٥) من حديث ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه: أن أم سلمة قالت لابنها عمر: زوِّج النبيَّ ﷺ. وهذا إسناد فيه ضعفٌ لإبهام ابن عمر بن أبي سلمة، وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٥٩٤ فقال: لا يُعرَف، وأشار إلى حديثه هذا فقال: فيه مقال لجهالته.

وقال البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٤٣٠: والثَّبَت أن سلمة زوَّجه إياها. وأقرّه ابن حجر في «الإصابة» ٣/ ١٤٩.

(٢) الصَّحفة: الإناء. والمِجَشّة: الرَّحى التي يُطحَن بها الحبّ.

(٣) هكذا ذكر ابن هشام في أولاد أم سلمة رقيّةَ، وهذا غريب، وذكر ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢٢٠ ومصعب الزبيري في «نسب قريش» ص٣٣٨ و٣٣٩ مكانها: دُرّة.

حُذَافةَ السَّهْميّ.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **أمَّ حَبِيبةَ**، واسمها رَمْلةُ بنتُ أبي سفيانَ بن حَرْبٍ، زَوَّجه إيّاها خالدُ بن سعيد بن العاص وهما بأرضِ الحَبَشة، وأصدَقَها النَّجَاشيُّ عن رسول الله ﷺ أربعَ مئةِ دينارٍ، وهو الذي كان خَطَبَها على رسول الله ﷺ، وكانت قبلَه عند عُبَيد الله بن جَحْشٍ الأسَديِّ.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **جُوَيرِيَةَ بنتَ الحارثِ** بن أبي ضِرَارٍ الخُزَاعيّة، كانت في سَبَايا بني المُصطَلِق من خُزَاعة، فوَقَعَت في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّمّاس الأنصاريِّ، فكاتَبَها على نفسِها، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ تستَعينُه في كتابتِها، فقال لها: «هل لكِ في خيرٍ من ذلكِ؟» قالت: وما هو؟ قال: «أَقضِي عنكِ كِتابتَكِ وأتَزوَّجُك؟» فقالت: نَعَم، فتَزَوَّجها.

قال ابن هشام: حدَّثنا بهذا الحديث زيادُ بن عبدالله البَكّائيُّ، عن محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة، عن عائشة[1].

قال ابن هشام: ويقال: لمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من غزوة بني المُصطَلِق ومعه جُوَيريةُ بنتُ الحارث، فكان بذاتِ الجيشِ[2] دَفَعَ جُوَيريةَ إلى رجلٍ من الأنصار وَدِيعةً، وأمَرَه بالاحتفاظِ بها، وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فأقبَلَ أبوها الحارثُ بن أبي ضِرَارٍ بفِداءِ ابنته، فلمّا كان بالعَقِيقِ نَظَرَ إلى الإبل التي جاء بها للفِداءِ فرَغِبَ في بعيرَينِ منها، فغَيَّبَهما في شِعْبٍ من شِعاب العَقِيق، ثمّ أَتى النبيَّ ﷺ فقال: يا

---

(١) إسناده صحيح، وقد تقدم ٣/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) تقع غرب المدينة في الطريق إلى بدرٍ وتبعد عن ذي الحليفة بضعة أميال، وقد جُهل هذا الاسم الآن، وذكر عاتق البلادي في «معجم المعالم الجغرافية» ص٨٧: أنها بالقرب من قرية مفرحات وتعرف اليوم بالشّلبية. وانظر «الأماكن» للحازمي ص٣٠٢ بتحقيق حمد الجاسر.

محمّدُ، أصَبتُم ابنتي، وهذا فِداؤُها، فقال رسول الله ﷺ: «فأينَ البَعِيرانِ اللَّذانِ غَيَّبتَ بالعَقِيقِ في شِعبِ كذا وكذا؟» فقال الحارثُ: أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأنّك رسولُ الله، فوالله ما اطَّلَعَ على ذلك إلّا الله، فأسلَمَ الحارثُ، وأسلَمَ معه ابنانِ له وناسٌ من قومِه، وأرسَلَ إلى البعيرَينِ فجاءَ بهما، فدَفَعَ الإبلَ إلى النبيّ ﷺ ودُفِعَت إليه ابنتُه جُوَيرِيةُ، فأسلَمَت وحَسُنَ إسلامُها، وخَطَبَها رسولُ الله ﷺ إلى أبيها فزَوَّجَه إيّاها، وأصدَقَها أربعَ مئة دِرهَمٍ، وكانت قبلَ رسول الله ﷺ عند ابن عمٍّ لها يقال له: عبدُ الله[1].

قال ابن هشام: ويقال: اشتَراها رسولُ الله ﷺ من ثابتِ بن قيسٍ فأعتَقَها وتزوَّجها، وأصدَقَها أربعَ مئة دِرهَم[2].

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **صَفيّةَ بنتَ حُيَيّ** بن أخطَبَ، سَبَاها من خَيبَر فاصطَفَاها لنفسه، وأَولَمَ رسولُ الله ﷺ وليمةً ما فيها شحمٌ ولا لحمٌ كان سَوِيقاً وتمراً[3]، وكانت قبلَه عند كِنانةَ بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **ميمونةَ بنتَ الحارث** بن حَزْن بن بُجَير[4] بن هُزَمَ بن

---

(١) خبر ضعيف لإعضاله، وسياقه منكر لمخالفته سياق الرواية الصحيحة السابقة. وقد انفرد به ابن هشام ولم نقف عليه عند غيره.

(٢) المحفوظ أنه ﷺ قضى عنها كِتابتها كما في حديث عائشة السابق، ولم يُنصّ فيه على مقدار هذه الكِتابة، والله تعالى أعلم.

(٣) كما في حديث أنس بن مالك عند البخاري (٣٧١) ومسلم (١٣٦٥).

والسويق من الأطعمة: أن تُجفَّف الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ثم تُطحَن، فإذا أرادوا أن يأكلوها مُزجت باللَّبن والعسل والسَّمن، فإن لم يكن شيء من ذلك مُزجت بالماء، وهو في الغالب طعام المسافر.

(٤) هكذا في (ش١) و(ش٢) و(غ) و(ق٢) بجيم، وهو الصواب، وتصحّف في بقية النسخ =

رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعصَعة، زَوَّجَه إيّاها العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب[1]، وأصدَقَها العبّاسُ عن رسول الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرهَم، وكانت قبلَه عند أبي رُهْمِ بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لُؤَيّ.

ويقال: إنّها التي وَهَبَت نفسَها للنبيِّ ﷺ، وذلك أنّ خِطْبَةَ النبيّ ﷺ انتهَت إليها وهي على بعيرِها، فقالت: البعيرُ وما عليه لله ولرسوله، فأنزَلَ الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠][2].

ويقال: التي وَهَبَت نفسَها للنبيّ ﷺ زينبُ بنتُ جحشٍ، ويقال: أمُّ شَريكٍ غُزَيّةُ بنتُ جابر بن وهبٍ من بني مُنقِذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ، ويقال: بل هي امرأةٌ من بني سامَةَ بن لُؤَيّ، فأرجَأَها[3] رسولُ الله ﷺ.

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ **زينبَ بنتَ خُزَيمة** بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مَنافِ بن هلال بن عامر بن صَعصَعةَ، وكانت تُسمَّى أمَّ المساكين، لرحمتِها إيّاهم ورِقّتِها عليهم، زَوَّجَه إيّاها قَبيصةُ بن عمرو الهِلاليُّ، وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ أربعَ مئة دِرهَمٍ، وكانت قبلَه عند عُبَيدة بن الحارث بن المُطَّلِب[4] بن عبد مَنافٍ،

= إلى: بحير، بحاء.

(١) وذلك أنها أخت زوجه لُبابة بنت الحارث أم الفضل. وانظر قصة تزويجه ﷺ منها فيما تقدم ٣/ ٥٠١.

(٢) روى ذلك بنحوه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٢٦٧) عن معمر عن الزهري وقتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» ١٩/ ١٣٢ من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وحده. لكن قال في روايته عند الطبري: يزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث.

(٣) أرجأها، أي: أخَّر أمرها.

(٤) في (غ): عبد المطلب، وهو خطأ.

وكانت قبلَ عُبيدة عند جَهْم بن عمرو بن الحارث، وهو ابنُ عمِّها.

فهؤلاءِ اللّاتي بَنَى بهنَّ رسولُ الله ﷺ إحدى عَشْرةَ، فمات قبلَه منهنَّ ثِنتانِ: خَدِيجةُ بنت خُوَيلِد وزينبُ بنت خُزَيمة، وتُوفّيَ عن تسعٍ قد ذَكَرناهنَّ في أوّل هذا الحديث، وثِنتانِ لم يَدخُلْ بهما: أسماءُ ابنة النُّعمان الكِنْديّةُ، تزوَّجها فوَجَدَ بها بَياضاً، فمَتَّعَها[1] ورَدَّها إلى أهلِها، وعَمْرةُ ابنة يزيدَ الكِلَابيّة، وكانت حديثةَ عهدٍ بكُفرٍ، فلمّا قَدِمَت على رسول الله ﷺ استَعاذَت من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مَنِيعٌ عائذُ الله»[2]، فرَدَّها إلى أهلِها، ويقال: إنّ التي استَعاذَت من رسول الله ﷺ كِنْديّةٌ بنتُ عمٍّ لأسماءَ ابنةِ النُّعمان، ويقال: إنّ رسولَ الله ﷺ دعاها، فقالت: إنّا قومٌ نُؤتَى ولا نَأتي، فرَدَّها رسولُ الله ﷺ إلى أهلِها.

القُرَشيّات منهنَّ ستٌّ: خَدِيجةُ بنت خُوَيلِد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ، وعائشةُ بنت أبي بكر بن أبي قُحَافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب، وحَفْصةُ بنت عمر بن الخَطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ، وأمُّ حَبِيبة بنت أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس ابن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ، وأمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة ابن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مَخزُوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ، وسَوْدةُ

(١) البياض: البَرَص، تكنِّي عنه العرب بالبياض، لكراهيتها إياه. ومتَّعها، أي: وصلها بشيء تتمتّع به.

(٢) الصحيح أن التي استعاذت منه ﷺ هي الكِندية الجَوْنية كما في حديثي عائشة وأبي أُسيد الساعدي عند البخاري (٥٢٥٤) و(٥٢٥٥)، فقال لها: «عُذتِ بعظيم» أو «عُذتِ بمَعاذٍ». وانظر شرح ابن حجر في «فتح الباري» عليهما.

بنت زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ.

والعربيّاتُ وغيرُهنَّ سبعٌ: زينبُ بنت جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَرَ بن صَبْرة بن مُرَّة ابن كَبِير بن غَنْم بن دُودَانَ بن أسَد بن خُزَيمة، وميمونةُ بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن هُزَمَ بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية بن بكر ابن هَوَازِنَ بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلانَ، وزينبُ بنت خُزَيمة ابن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مَنَاف بن هِلال بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية، وجُوَيرِيةُ بنت الحارث بن أبي ضِرَارٍ الخُزَاعيّة ثمّ المُصطَلِقيّة، وأسماءُ بنت النُّعمان الكِنْديّةُ، وعَمْرةُ بنت يزيدَ الكِلَابيّة.

ومن غير العربيّات: صَفِيّةُ بنت حُيَيّ بن أَخطَبَ، من بني النَّضير.

عُدْنا إلى ذكر شكوى رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: حدّثني يعقوبُ بن عُتْبة، عن محمّد بن مُسلِم الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: فخرج رسولُ الله ﷺ يَمْشي بين رجلَينِ من أهلِه أحدُهما الفضلُ بن العبّاس ورجلٌ آخَرُ، عاصِباً رأسَه تَخُطُّ قَدَماهُ حتّى دَخَلَ بيتي.

قال عبيدُ الله: فحدَّثتُ هذا الحديثَ عبدَ الله بن عبّاسٍ فقال: هل تدري مَن الرَّجلُ الآخرُ؟ قال: قلت: لا، قال: عليُّ بن أبي طالبٍ.

ثمّ غُمِرَ[1] رسولُ الله ﷺ واشتَدَّ به وَجَعُه فقال: «هَرِيقُوا عليَّ سَبْعَ قِرَبٍ من آبارٍ

(١) غُمر، أي: أصابته غَمْرةُ المرض، وهي شدّته.

شَتَّى، حتّى أخـرُجَ إلى النّاسِ فأعهَدَ إليهم[1]».

قـالـت: فأقعَدْنـاه في مِخضَبٍ[2] لحَفْصةَ بنتِ عمرَ، ثمّ صَبَبْنا عليـه الماءَ حتّى طَفِقَ[3] يقول: «حَسْبُكم حَسْبُكم»[4].

قال ابن إسحاق: وقال الزُّهْريّ: حدّثني أيّوبُ بن بَشيرٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ خرج عاصِباً رأسَه حتّى جَلَسَ على المِنبَر، ثمّ كان أوّلَ ما تَكلَّمَ به، أنّه صَلَّى على أصحاب أُحدٍ، واستَغفَرَ لهم فأكثَرَ الصّلاةَ عليهم، ثمّ قال: «إنَّ عَبْداً من عِبادِ الله خَيَّرَه اللهُ بين الدُّنيا والآخرةِ وبينَ ما عندَه، فاختارَ ما عندَ الله»، قال: ففَهِمَها أبو بكرٍ وعَرَفَ أنّ نفسَه يريدُ، فبَكَى وقال: بل نحنُ نَفدِيكَ بأنفُسِنا وأبنائِنا، فقال: «على رِسْلِكَ يا أبا بكرٍ»، ثمّ قال: «انظُرُوا هذه الأبوابَ اللّافِظةَ[5] في المسجدِ، فسُدُّوها إلّا بيتَ أبي بكرٍ، فإنّي لا أَعلمُ أَحداً كان أفضَلَ في الصُّحْبةِ عندي يداً منه»[6].

---

(١) أي: أُوصيهم.

(٢) المِخضَب: إناء يُغتسَل فيه.

(٣) طَفِقَ، أي: شَرَعَ وأَخذ.

(٤) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٥٩١٤)، والبخاري (١٩٨) و(٤٤٤٢) و(٥٧١٤)، ومسلم (٤١٨)(٩١-٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٤٦) من طرق عن الزهري، بهذا الإسناد. ورواية أحمد مختصرة.

(٥) اللافظة في المسجد، أي: النافذة إليه.

(٦) حديث صحيح، وأيوب بن بشير - وهو ابن سعد بن النعمان الأنصاري - تابعي كبير وُلد في حياة النبي ﷺ، وقد رواه عن صحابيٍّ لم يسمِّه كما وقع في رواية غير ابن إسحاق عن الزهري كما سيأتي، فاتصل الإسناد وصحَّ إن شاء الله.

وأخرجه البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٦-٥٤٧، وأبو يعلى بإثر (٤٥٧٩)، والطبري =

قال ابن هشام: ويُروَى: «إلّا بابَ أبي بكرٍ»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الرَّحمن بن عبد الله، عن بعض آلِ أبي سعيد بن المُعلَّى: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَئذٍ في كلامه هذا: «فإنِّي لو كنتُ مُتَّخِذاً من العِبادِ خليلاً، لاتّخَذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنْ صُحْبةٌ وإخاءُ إيمانٍ حتّى يَجمَعَ اللهُ بينَنا عندَه»[2].

= في «تاريخه» ٣/ ١٩٠-١٩١، والخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه في الرسم» ص٤٩ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه موصولاً يونسُ بن يزيد ومعمرٌ عند ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٠١، وشعيبُ بن أبي حمزة عند الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٢١٩)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٧١٨٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» ٢١/ ٢٣٠، وعُقَيلُ بن خالد عند الخطيب في «التلخيص» ص٤٩ ـ وأشار إليه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٤٠٨ ـ أربعتهم عن الزهري، عن أيوب بن بشير، عن بعض أصحاب النبي ﷺ، ولم يسمِّه.

وأما ما وقع عند الطبراني في «الكبير» ١٩/ (٧٩١) من رواية أحمد بن خالد الوَهْبي عن ابن إسحاق، وفيه: عن أيوب بن بشير حدثني معاوية، فهو تصحيف صوابه: أيوب بن بشير أحد بني معاوية، كما نبّه على ذلك الخطيب في «التلخيص» ص٤٨. وبنو معاوية هؤلاء من بني عمرو بن عوف من الأنصار ثم من الأوس.

ويشهد لحديث أيوب هذا بنحوه حديثُ أبي سعيد الخُدْري عند البخاري (٣٩٠٤) ومسلم (٢٣٨٢).

(١) وهي رواية الجمهور غير ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة البعض من آل أبي سعيد بن المعلَّى. وأبو سعيد بن المعلَّى صحابي من الأنصار ثم من الخزرج، وعبد الرَّحمن بن عبد الله: هو ابن أبي عتيق محمد بن عبد الرَّحمن التَّيمي، وهو حسن الحديث.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩١ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُرْوة بن الزُّبَير وغيرِه من العُلماءِ: أنّ رسولَ الله ﷺ استَبطأَ النّاسَ في بَعْثِ أُسامةَ بن زيدٍ وهو في وَجَعِه، فخرج عاصِباً رأسَه حتّى جَلَسَ على المِنبَر ـ وقد كان النّاسُ قالوا في إمرةِ أُسامة: أمَّرَ غلاماً حَدَثاً على جِلَّةِ المهاجرين والأنصار ـ فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه بما هو له أهلٌ، ثمّ قال: «أيُّها النّاسُ، أَنفِذُوا بَعْثَ أُسامةَ، فلَعَمْري لئِنْ قلتُم في إمارَتِه، لقد قلتُم في إمارةِ أبيهِ من قَبلِه، وإنّه لَخَلِيقٌ للإمارةِ، وإنْ كان أبُوه لَخَلِيقاً لها».

قال: ثمّ نَزَلَ رسولُ الله ﷺ وانكَمَشَ[1] الناسُ في جَهَازِهم، واستُعِزَّ برسولِ الله ﷺ وَجَعُه، فخرج أُسامةُ وخرج بجيشِه معه حتّى نزلوا الجُرْفَ[2] من المدينة على فَرسَخٍ، فضَرَبَ به عسكرَه، وتَتَامَّ إليه الناسُ، وثَقُلَ رسولُ الله ﷺ، فأقامَ أُسامةُ والناسُ ليَنظُروا ما اللهُ قاضٍ في رسول الله ﷺ[3].

= ورواه عبد الملك بن عُمير عند أحمد (١٥٩٢٢) والترمذي (٣٦٥٩) عن ابن أبي المعلّى عن أبيه: أن رسول الله ﷺ خطب يوماً... فذكره ضمن الخطبة. وهذا إسناد ضعيف أيضاً لجهالة ابن أبي المعلَّى، وأما أبوه: فهو أبو المعلَّى بن لوذان الأنصاري، وهذا يدل على الاضطراب في إسناده.

وفي معنى هذا الحديث روى ابن عباس عند أحمد (٢٤٣٢) والبخاري (٤٦٧) عن النبي ﷺ قال: «ولو كنت متّخذاً من الناس خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن خُلّةُ الإسلام أفضل».

ونحوه من حديث أبي سعيد الخُدْري عند أحمد (١١١٣٤)، والبخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(١) انكمش الناس، أي: أسرعوا. وقوله: استُعِزَّ به وجعُه، أي: اشتدَّ به المرض وأشرف على الموت.

(٢) موضع غربيّ المدينة يرى من جبل سَلْع. والفرسخ: ثلاثة أميال.

(٣) خبر صحيح، وإسناده هنا مرسل رجاله ثقات. =

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني عبدُالله بن كعب بن مالك: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَ صلَّى واستَغفَرَ لأصحاب أُحدٍ، وذكرَ من أمرِهم ما ذكرَ مع مَقالتِه يومَئذٍ: «يا مَعشَرَ المهاجرينَ، استَوصُوا بالأنصارِ خيراً، فإنَّ النّاسَ يزيدونَ، وإنَّ الأنصارَ على هَيئَتِها لا تزيدُ، وإنَّهم كانوا عَيْبَتي[1] الّتي أَوَيتُ إليها، فأَحسِنُوا إلى مُحسِنِهم، وتَجاوَزُوا عن مُسيئِهم»[2].

= لكن أخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢١٨ عن محمد بن عمر الواقدي، عن عبد الله ابن يزيد بن قسيط، عن أبيه، عن محمد بن أسامة بن زيد، عن أبيه. وهذا إسناد لا بأس برجاله ما عدا الواقديَّ ففيه مقال عند أهل الحديث، لكن خبره هذا صالح لموافقة غيره له فيه.

ويشهد لبعضه في فضل أسامة حديثُ ابن عمر قال: بعث النبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعضُ الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايمُ اللهِ إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعده». أخرجه البخاري (٣٧٣٠) ومسلم (٢٤٢٦).

(١) عَيبتي، أي: موضع ثقتي وسرّي ونُصحي، والعَيْبة في الأصل: ما يوضع فيه الثِّياب لحفظها.

(٢) حديث صحيح، وهو هنا مرسل، لكن وصله شعيبُ بن أبي حمزة عند أحمد (١٦٠٧٥)، ومعمرٌ عنده أيضاً (٢١٩٥١)، كلاهما عن الزهري، قال شعيب عنه: أخبرني عبد الله بن كعب ابن مالك، وقال معمر: أخبرني عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. وهذا إسناد صحيح، والخلاف في اسم شيخ الزهري لا يضرُّ، فكلاهما ثقةٌ جليلٌ من كبار التابعين. ولفظه عندهما: «أكرِموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم».

وأخرجه البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٧-٥٤٨ من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، عن الزهري، به مرسلاً.

ويشهد له بنحوه حديث أنس بن مالك عند البخاري (٣٧٩٩). وانظر «مسند أحمد» (١٢٦٥٠) و«مستدرك الحاكم» (٧١٤٦).

ثمّ نَزَلَ رسولُ الله ﷺ فدخل بيتَه وتَتَامَّ به وَجَعُه حتّى غُمِرَ[1]، واجتَمَع إليه نساءٌ من نسائِه؛ أمُّ سَلَمة وميمونةُ، ونساءٌ من نساءِ المسلمين منهنَّ أسماءُ بنت عُمَيسٍ، وعنده العبّاسُ عمُّه، فأَجمَعوا أن يَلُدُّوه[2]، وقال العبّاسُ: لَأَلُدَّنّه، قال: فلَدُّوه، فلمّا أفاقَ رسولُ الله ﷺ قال: «مَن صَنَعَ هذا بي؟» قالوا: يا رسولَ الله، عمُّك، قال: «هذا دَواءٌ أَتى به نِساءٌ جِئْنَ من نحوِ هذِه الأرضِ»، وأشارَ نحوَ أرض الحَبَشة، قال: «ولِمَ فَعَلتُم ذلك؟» فقال عمُّه العبّاسُ: خَشِينا يا رسولَ الله أن يكونَ بك ذاتُ الجَنْبِ[3]، فقال: «إنَّ ذلك لَداءٌ ما كانَ اللهُ ليَقذِفَني به، لا يَبْقَ في البيتِ أحدٌ إلّا لُدَّ إلّا عمِّي»، فلقد لُدَّت ميمونةُ وإنّها لَصائمةٌ، لقَسَمِ رسول الله ﷺ، عقوبةً لهم بما صَنَعوا به[4].

---

(١) أي: أصابته غَمْرةُ المرض، وهي شدّته.

(٢) اللَّدُود ـ بالفتح ـ من الأدوية: ما يُسقاه المريض في أحد شِقَّي الفم، ولَدِيدا الفمِ: جانِباه.

(٣) ذات الجَنْب: التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.

(٤) حديث صحيح.

وقد أسند هذا الخبر سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩٥ عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة. وهذا إسناد رجاله ثقات إن كان سلمةُ حفظه عن ابن إسحاق.

وقد روى نحوَه مختصراً موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة عند أحمد (٢٤٢٦٣)، والبخاري (٤٤٥٨) و(٥٧١٢)، ومسلم (٢٢١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٤٨)، وابن حبان (٦٥٨٩)، وفي هذه الرواية نفيُ شهود العباس لدَّه ﷺ، فضلاً عن أنه هو الذي فعل به ذلك، ففي هذا الخبر عن النبي ﷺ قال: «لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس، فإنه لم يشهدكم».

وقد روى الترمذي (٢٠٥٣) من حديث عبّاد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن =

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيدُ بن عُبيد بن السَّبّاق، عن محمّدِ بن أُسامةَ، عن أبيه أُسامةَ بن زيدٍ قال: لمّا ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ هَبَطتُ وهَبَطَ الناسُ معي إلى المدينة، فدَخَلتُ على رسول الله ﷺ وقد أُصمِتَ فلا يَتكلَّمُ، فجَعَلَ يَرفَعُ يدَه إلى السماءِ ثمّ يَضَعُها عليَّ، أَعرِفُ أنّه يَدعُو لي[1].

قال ابن إسحاق: وقال ابنُ شِهابٍ الزُّهْريُّ: حدّثني عُبَيدُ الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ كثيراً ما أسمَعُه يقول: «إنَّ الله لم يَقبِضْ نبيّاً حتّى يُخيِّرَه»، قالت: فلمّا حُضِرَ رسولُ الله ﷺ كان آخرُ كَلِمةٍ سمعتُها وهو يقول: «بلِ الرَّفِيقُ الأَعلَى من الجَنّةِ»، قالت: فقلت: إذاً والله لا يختارُنا، وعرفتُ أنّه الذي كان يقول لنا: «إنَّ نبيّاً لم يُقبَضْ حتّى يُخيَّرَ»[2].

= العباس كان من الذين لدُّوا رسولَ الله ﷺ. لكن إسناده ضعيف لضعف عبّاد، ومع ذلك فقد حسَّنه الترمذي.

وفي الباب أيضاً عن أسماء بنت عُميس، فقد أخرج أحمد (٢٧٤٦٩)، وابن حبان (٦٥٨٧)، والحاكم (٧٦٣٤) من رواية مَعمَر، عن الزُّهْري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أسماء، نحوَ حديث ابن إسحاق، لكن ليس فيه أن العباس هو الذي لدَّ النبيَّ ﷺ، ورجاله ثقات.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢١٧٥٥)، والترمذي (٣٨١٧) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) إسناده صحيح، وقد صرَّح ابنُ إسحاق بأنه سمعه من الزهريِّ في رواية جرير بن حازم عنه عند إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٣٧).

وأخرجه أحمد (٢٦٣٤٦)، والبلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٨، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/ ١٨٩ من طريق إبراهيم بن سعد، والطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩٦ من طريق سلمة بن الفضل، =



صلاةُ أبي بكرٍ بالناس

قال الزُّهْريّ: وحدّثني حمزةُ بن عبد الله بن عمرَ، أنّ عائشة قالت: لمّا استُعِزَّ[1] برسول الله ﷺ قال: «مُرُوا أبا بكرٍ فليُصَلِّ بالنّاس» قالت: قلت: يا نبيَّ الله، إنّ أبا بكرٍ رجلٌ رَقِيقٌ ضعيفُ الصّوت، كثيرُ البُكاءِ إذا قرأَ القرآن، قال: «مُرُوه فليُصَلِّ بالنّاس» قالت: فعُدْتُ بمِثْل قولي، فقال: «إنّكنَّ صَوَاحبُ يوسُفَ، فمُرُوه فليُصَلِّ بالنّاس».

قالت: ووالله ما أقولُ ذلك إلّا أنّي كنت أُحِبُّ أن يُصرَفَ ذلك عن أبي بكر، وعَرَفتُ أنّ الناسَ لا يُحِبُّون رجلاً قامَ مَقامَه أبداً، وأنّ الناسَ سيَتَشاءَمون به في كلِّ حَدَثٍ كان، فكنت أُحِبُّ أن يُصرَفَ ذلك عن أبي بكرٍ[2].

= كلاهما عن ابن إسحاق، عن الزهري، به. ولم يصرّح عندهما بسماعه.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٤٥٨٣)، والبخاري (٤٤٣٧) و(٤٤٦٣) و(٦٣٤٨)، ومسلم (٢٤٤٤)(٨٧) من طرق عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم، عن عائشة.

(١) استُعِزَّ به، أي: اشتدَّ به المرض.

(٢) حديث صحيح، ورجاله ثقات.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٥٩١٧)، ومسلم (٤١٨)(٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٢٨) من طريق معمر، عن الزهري، بهذا الإسناد.

ورواه يونسُ بن يزيد أيضاً عند ابن حبان (٦٨٧٤)، إلا أنه جعل الشطر الأول من رواية الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه، والشطر الثاني من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن عائشة.

ورواية يونس بالشطر الأول أخرجها البخاري أيضاً (٦٨٢)، وتابعه فيها شعيبُ بن أبي حمزة عند النسائي (٩٢٢٧)، وأما روايته بالشطر الثاني، فتابعه فيها عقيلُ بن خالد عند مسلم =

قال ابن إسحاق: وقال ابنُ شِهابٍ: حدّثني عبدُ الملك بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن ابن الحارث بن هشامٍ، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمْعة بن الأسوَد بن المُطَّلِب بن أسَدٍ قال: لمّا استُعِزَّ برسولِ الله ﷺ وأنا عنده في نَفَرٍ من المسلمين، قال: دعاه بلالٌ إلى الصّلاةِ، فقال: «مُرُوا مَن يُصَلِّي بالنّاس».

قال: فخرجتُ فإذا عمرُ في النّاس، وكان أبو بكرٍ غائباً، فقلت: قُمْ يا عمرُ فصَلِّ بالنّاس، قال: فقامَ فلمّا كَبَّرَ سَمِعَ رسولُ الله ﷺ صوتَه، وكان عمرُ رجلاً مُجْهِراً[1]، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «فأَينَ أبو بكرٍ؟! يأبَى اللهُ ذاكَ والمسلمونَ، يأبَى اللهُ ذاكَ والمسلمونَ». قال: فبُعِثَ إلى أبي بكرٍ فجاءَ بعدَ أن صلَّى عمرُ تلك الصّلاةَ، فصلَّى بالنّاس.

قال: قال عبدُ الله بن زَمْعةَ: قال لي عمرُ: وَيحَك، ماذا صَنَعتَ بي يا ابنَ زَمْعة، والله ما ظَنَنتُ حين أمَرتَني إلّا أنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَك بذلك، ولولا ذلك ما صلَّيتُ بالناس، قال: قلتُ: والله ما أمَرَني رسولُ الله ﷺ بذلك، ولكنّي حين لم أرَ أبا بكرٍ، رأيتُك أحقَّ مَن حَضَرَ بالصّلاةِ بالنّاس[2].

= (٤١٨)(٩٣). وانظر «فتح الباري» ٣/ ١٨٦-١٨٧.

وقوله: «إنكن صواحب يوسف» يريد جنسَ النساء، وأنهنّ في الغالب يكثرن الإلحاحَ في طلب ما يُرِدنَه ويَمِلنَ إليه.

(١) أي: صاحب جَهْر ورفع لصوته.

(٢) رجاله ثقات، وفي سماع ابن إسحاق له من الزهري خلاف كما هو مبيَّن في التعليق على «سنن أبي داود» (٤٦٦٠) ـ طبعة الرسالة ـ حيث رواه من طريق محمد بن سلمة الحرّاني عن ابن إسحاق، وصرّح فيه عنده بسماع ابن إسحاق من الزهري.

وأخرجه أحمد (١٨٩٠٦) من طريق إبراهيم بن سعد، والحاكم (٦٨٤٨) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به. =

قال ابن إسحاق: وقال الزُّهْريُّ: حدّثني أنسُ بن مالكٍ: أنّه لمّا كان يومُ الاثنينِ الّذي قَبَضَ اللهُ فيه رسولَه ﷺ، خرج إلى النّاس وهم يُصلُّون الصُّبحَ، فرُفِعَ السِّتْرُ وفُتِحَ البابُ، فخرج رسولُ الله ﷺ فقامَ على بابِ عائشة، فكادَ المسلمون يَفتَتِنون في صلاتِهم برسول الله ﷺ حين رأَوه فَرَحاً به، وتَفَرَّجوا فأشارَ إليهم: أنِ اثبُتُوا على صلاتِكم، قال: وتَبسَّمَ رسولُ الله ﷺ سُروراً لِمَا رأَى من هَيئَتِهم في صلاتِهم، وما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أحسَنَ هَيْئةً منه تلك السّاعةَ، قال: ثمّ رَجَعَ، وانصَرَفَ النّاسُ وهم يُرَونَ أنّ رسولَ الله ﷺ قد أَفرَقَ[1] من وَجَعِه، فرجع أبو بكرٍ إلى أهلِه بالسُّنْح[2].

= وخالف ابنَ إسحاق في وصله معمرٌ، فرواه ـ كما عند أحمد (٢٤٠٦١) ـ عن الزهريّ مرسلاً، وبيَّن فيه: أن هذا كان والنبي ﷺ في بيت ميمونة؛ يعني أول ما اشتدّ به الوجع وقبل أن يستأذن نساءه في أن يُمرَّض في بيت عائشة كما تقدم ص٤٥٧.

(١) أفرق، أي: بَرِئَ.

(٢) حديث صحيح.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩٨ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن الزهري، به.

وأخرج نحوه أحمد (١٢٦٦٦) و(١٣٠٢٨)، والبخاري (٦٨٠) و(١٢٠٥) و(٤٤٤٨)، ومسلم (٤١٩) وغيرهم من طرق عن الزهري، عن أنس: أن أبا بكر كان يصلّي لهم في وجع النبي ﷺ الذي تُوفّي فيه، حتى إذا كان يومُ الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكَشَفَ النبي ﷺ سِترَ الحجرة ينظرُ إلينا وهو قائمٌ كأنّ وجهه ورقة مُصحَف، ثم تبسَّم يضحك، فهَمَمْنا أن نَفتتِنَ من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنَكَصَ أبو بكر على عَقِبَيه ليصلَ الصفَّ، وظنَّ أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبيُّ ﷺ: أن أتِمُّوا صلاتكم، وأَرخى السِّتر، فتُوفّي من يومه.

وفي بعض الروايات عن الزهري عن أنس كما عند البخاري (٧٥٤) والنسائي في «المجتبى» (١٨٣١) و«الكبرى» (١٩٧٠): وتُوفّي من آخر ذلك اليوم. وسيأتي التعليق عليها قريباً. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّدُ بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسمِ بن محمّدٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين سمعَ تكبيرَ عمرَ في الصّلاة: «أينَ أبو بكرٍ؟! يأبَى اللهُ ذاكَ والمسلمونَ»[1].

فلولا مَقالةٌ قالها عمرُ عند وفاتِه، لم يَشُكَّ المسلمون أنّ رسولَ الله ﷺ قد استَخلَفَ أبا بكرٍ، ولكنَّه قال عند وفاتِه: إنْ أَستَخلِفْ، فقد استَخلَفَ مَن هو خيرٌ منّي، وإن أترُكْهم، فقد تَرَكَهم مَن هو خيرٌ منّي[2]. فعَرَفَ النّاسُ أنّ رسولَ الله ﷺ لم يَستَخلِفْ أحداً[3]، وكان عمرُ غيرَ مُتَّهَم على أبي بكرٍ[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو بكرِ بن عبد الله بن أبي مُلَيكةَ قال: لمّا كان يومُ الاثنينِ خرج رسولُ الله ﷺ عاصباً رأسَه إلى الصُّبحِ وأبو بكرٍ يُصلّي بالناس، فلمّا خرج رسولُ الله ﷺ تَفرَّجَ الناسُ، فعَرَفَ أبو بكرٍ أنّ الناسَ لم يَصنَعوا ذلك إلّا لرسول الله ﷺ، فنَكَصَ[5] عن مُصلّاهُ، فدَفَعَ رسولُ الله ﷺ في ظهرِه وقال: «صَلِّ بالنّاسِ»، وجَلَسَ رسولُ الله ﷺ إلى جَنْبِه، فصَلَّى قاعداً عن يمينِ أبي بكرٍ.

= والسُّنْح: موضع كان فيه مال لأبي بكر، وكان ينزله بأهله. وهو من عوالي المدينة، بينه وبين منزل رسول الله ﷺ - فيما قيل - مِيلٌ، وقد تقدّم التعريف به ٢/ ١٠٩.

(١) مرسل رجاله ثقات.

القاسم بن محمد: هو ابن أبي بكر الصدّيق.

وحديث عبد الله بن زمعة السابق يشهد له.

(٢) مقالة عمر هذه رواها ابنه عبدُ الله فيما أخرجه البخاري (٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣).

(٣) وقد أجمع أهل السنّة وغيرُهم سوى الرافضةِ على ذلك كما ذكر الإمام النووي في «شرح مسلم».

(٤) يعني غير متَّهم في حبّه لأبي بكر ومعرفة فضله وعظيم منزلته.

(٥) أي: رجع إلى الوراء.

فلمّا فَرَغَ من الصّلاة أَقبَلَ على الناسِ فكَلَّمَهم رافعاً صوتَه، حتّى خرج صوتُه من باب المسجد، يقول: «أيُّها النّاسُ، سُعِّرَت النّارُ، وأقبلَتِ الفِتَنُ كقِطَعِ اللّيلِ المُظلِمِ، وإنّي والله ما تَمَسَّكُونَ عليَّ بشيءٍ، إنّي لم أُحِلَّ إلّا ما أحَلَّ القرآنُ، ولم أُحَرِّمْ إلّا ما حَرَّمَ القرآنُ».

قال: فلمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من كلامِه قال له أبو بكرٍ: يا نبيَّ الله، إنّي أراكَ قد أصبَحتَ بنعمةٍ من الله وفضلٍ كما نُحِبُّ، واليومُ يومُ بنتِ خارجةَ، أفآتِيها؟ قال: «نعم»، ثمّ دخل رسولُ الله ﷺ وخرج أبو بكرٍ إلى أهلِه بالسُّنْح[1].

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني عبدُ الله بن كعب بن مالكٍ، عن عبدِ الله ابن عبّاسٍ قال: خرج يومَئذٍ عليُّ بن أبي طالبٍ على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناسُ: يا أبا حَسَن، كيف أصبَحَ رسولُ الله ﷺ؟ قال: أصبَحَ بحمدِ الله بارِئاً، قال: فأخَذَ العبّاسُ بيده ثمّ قال: يا عليُّ، أنت واللهِ عبدُ العَصَا[2] بعدَ ثلاثٍ، أَحلِفُ بالله لقد عَرَفتُ الموتَ في وجهِ رسول الله ﷺ كما كنت أعرِفُه في وُجوه بني

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله، وأبو بكر شيخ ابن إسحاق قد نسبه هنا إلى جدّه، وهو أبو بكر ابن عُبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، واسمه كنيته، وهو أخو عبد الله الذي يُكنى أبا محمد وأبا بكر أيضاً، وأمّا أبو بكر هذا فهو قليل الحديث كما قال ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٣٣، وقد انفرد بهذا السياق، ويعارضه حديثُ أنسٍ الصحيح السابق في أن النبي ﷺ صباح الاثنين لم يخرج إلى الصلاة، وإنما كشف الستر عن باب حجرته ورآهم يصلّون ثم أرخى الستر وعاد إلى حجرته.

وأخرجه من طريق ابن إسحاق الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٩٨، والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٠١ من طريقين آخرين عنه.

(٢) هذا كنايةٌ عمّن يصير تابعاً لغيره، والمعنى: أنه يموت بعد ثلاثٍ وتصير أنت مأموراً عليك، وهذا من قوّة فِراسة العبّاس رضي الله عنه. قاله ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٧٦٥.

عبد المُطَّلِب، فانطَلِقْ بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمرُ فينا عَرَفْناه، وإن كان في غيرِنا، أمَرْناه فأَوصَى بنا الناسَ، قال: فقال له عليٌّ: إنّي والله لا أفعلُ، والله لئِنْ مَنَعَناه، لا يُؤتِيناهُ أحدٌ بعدَه[1].

فتُوفّي رسولُ الله ﷺ حين اشتَدَّ الضَّحاءُ من ذلك اليوم[2].

---

(١) حديث صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٣٧٤) و(٢٩٩٧)، والبخاري (٤٤٤٧) و(٦٢٦٦) من طرق عن الزهري، بهذا الإسناد.

(٢) هذا يَخدِشُ فيه ما جاء في بعض طرق حديث أنس المتقدّم في كشف النبي ﷺ ستر باب حجرته صلاة الصبح من يوم الاثنين وهم يصلُّون، عند البخاري (٧٥٤) والنسائي في «المجتبى» (١٨٣١) و«الكبرى» (١٩٧٠): أنه ﷺ تُوفّي من آخر ذلك اليوم.

لكن قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٧٦٧: يُجمَع بينهما بأن إطلاق الآخِر بمعنى ابتداءِ الدخول في أول النصف الثاني من النهار، وذلك عند الزَّوال، واشتدادُ الضّحى يقع قبل الزّوال ويستمرُّ حتى يتحقّق زوالُ الشمس، وقد جَزَمَ موسى بن عُقْبة عن ابن شهاب: بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمسُ، وكذا لأبي الأسود عن عُرْوة، فهذا يؤيِّد الجمعَ الذي أشرتُ إليه.

وأما في اليوم والشهر الذي تُوفِّي فيه رسول الله ﷺ، فقال العلّامة أبو الربيع بن سالم الكَلاعي في «الاكتفا بما تضمّنه من مغازي رسول الله ﷺ» ٢/ ٤٦ ـ ونقله عنه ابن سيّد الناس في «عيون الأثر» ٢/ ٤٠٨ ـ: اختلف أهلُ العلم بهذا الشأن في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ من الشهر بعد اتفاقهم على أنه توفي يوم الاثنين في شهر ربيع الأول.

فذكر الواقديُّ وجمهورُ الناس: أنه توفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة خَلَت من ربيع الأول لتمام عشر سنين من مَقدَمه المدينة، وهذا لا يصحُّ، وقد جَرَى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانُه، وذلك أن المسلمين قد أجمعوا على أن وقفة النبي ﷺ بعرفة في حجّة الوداع كانت يوم الجمعة تاسع ذي الحجّة من سنة عشر، فاستهلَّ هلال ذي الحجّة على هذا ليلة الخميس، ثم لا يخلو شهر ذي الحجّة والمحرَّم بعده من سنة إحدى عشرة ثم صفر بعده أن تكون هذه الأشهر =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبة، عن الزُّهْريّ، عن عُرْوة، عن عائشةَ قالت: رجع رسولُ الله ﷺ في ذلك اليومِ حين دَخَلَ من المسجد فاضطَجَعَ في

= الثلاثة كاملةً كلها أو ناقصةً كلها، أو اثنان منها كاملين وواحد ناقصاً، أو اثنان منها ناقصين وواحدٌ كاملاً، وأيّاً ما قدَّرتَ من ذلك واعتبرتَه، لم تجد الثاني عشر من ربيع الأول يكون يوم الاثنين أصلاً.

وذكر أبو جعفر الطبري (في «تاريخه» ٣/ ٢٠٠) بإسنادٍ يرفعه إلى فقهاء أهل الحجاز، قالوا: قُبض رسول الله ﷺ نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول.

وهذا القول، وإن خالف ما ذكره جمهور العلماء، فإنه أَولى بالصواب، وأمكنُ أن يكون حقّاً، فإنه إن كانت الأشهر الثلاثة كلُّ شهر منها من تسعة وعشرين يوماً، كان استهلال شهر ربيع الأول على ذلك بالأحد، فكان يوم الاثنين ثانيَه.

وقد حكى الخُوارزمي: أنه ﷺ توفي أول يوم من شهر ربيع الأول، وهذا أيضاً أمكنُ وأكثرُ، إذ اتصال النقص في ثلاثة أشهر لا يكون إلا قليلاً، والله تعالى أعلم. انتهى النقل عن أبي الربيع الكلاعيّ.

قال ابن سيّد الناس: وقد تقدَّمه السهيليُّ (في «الروض الأنف» ٧/ ٥٧٨-٥٧٩) إلى بيانه، لأن حجّة الوداع كانت وقفتُها يوم الجمعة، فلا يستقيم أن يكون يومَ الاثنين ثانيَ عشرَ ربيع الأول، سواء أتمَّت الأشهر كلها أو نقصت كلها، أو تمَّ بعضها ونقص بعضها. اهـ

واختُلف في مدّة مرضه ـ كما قال ابن حجر في «الفتح» ١٢/ ٧٣٨ ـ فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً، وقيل: بزيادة يوم، وقيل: بنقصه، وقيل: إنها عشرة أيام، وبهذا جَزَمَ سليمان التَّيمي في «مغازيه».

وفي مقدار سنِّه ﷺ يوم تُوفِّي قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» ص٢٦: توفي ﷺ وله ثلاث وستون سنةً، وقيل: خمس وستون سنةً، وقيل: ستون، والأول أصحُّ وأشهرُ، وقد جاءت الأقوال الثلاثة في الصحيح؛ قال العلماء: الجمع بين الروايات: أنّ من روى ستين لم يعتبر هذه الكسور، ومن روى خمساً وستين عَدَّ سنة المولد والوفاة، ومن روى ثلاثاً وستين لم يعدَّهما، والصحيح ثلاثٌ وستون.

حَجْري، فدخل عليَّ رجلٌ من آلِ أبي بكرٍ وفي يده سِواكٌ أخضرُ، قالت: فنَظَرَ رسولُ الله ﷺ إليه في يده نَظَراً عَرَفتُ أنّه يريده، قالت: فقلت: يا رسولَ الله، أتُحِبُّ أن أُعطيَك هذا السِّواكَ؟ قال: «نَعَم» قالت: فأخذتُه فمَضَغتُه له حتّى لَيَّنتُه، ثمّ أعطَيتُه إيّاه، قالت: فاستَنَّ به كأشدِّ ما رأيتُه يَستَنُّ بسِواكٍ قَطُّ ثمّ وَضَعَه، ووَجَدتُ رسولَ الله ﷺ يَثقُلُ في حَجْري، فذهبتُ أنظرُ في وجهِه، فإذا بصرُه قد شَخَصَ، وهو يقول: «بلِ الرَّفيقَ الأَعلى من الجَنَّة»، قالت: فقلت: خُيِّرتَ فاختَرتَ والّذي بَعَثَك بالحقِّ، قالت: وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ قال: سمعت عائشةَ تقول: مات رسولُ الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري وفي دَوْلتي[2]، لم أظلِمْ فيه أَحداً، فمن سَفَهي وحَداثةِ سِنِّي، أنّ رسولَ الله ﷺ قُبِضَ وهو في حَجْري، ثمّ وَضَعتُ رأسَه على وِسادةٍ وقُمتُ أَلتَدِمُ[3] مع النّساءِ وأَضرِبُ

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٦٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه أحمد (٢٥٦٤٠)، والبخاري (٤٤٥٠) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، به. وفيه أن الرجل من آل أبي بكر صاحب السواك هو عبدُ الرحمن.

وكذلك هو في حديث ابن أبي مُليكة عن عائشة عند أحمد (٢٤٢١٦)، والبخاري (٣١٠٠)، وابن حبان (٦٦١٧) و(٧١١٦)، والحاكم (٦٨٦٩)، وحديث القاسم بن محمد بن أبي بكر عنها عند البخاري (٤٤٣٨).

(٢) السَّحْر: الرئة وما يتصل بها إلى الحُلقوم، والنَّحر: أعلى الصدر. والدّولة، بفتح الدال وضمّها: النَّوبة.

(٣) الالتدام: ضرب الخدِّ باليد.

وجهي[1].

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني سعيدُ بن المُسيّب، عن أبي هُرَيرةَ قال: لمّا تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ قامَ عمرُ بن الخَطّاب فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يَزعُمون أنّ رسولَ الله ﷺ قد تُوفّي، وإنَّ رسولَ الله ﷺ واللهِ ما مات، ولكنّه ذَهَبَ إلى ربِّه كما ذَهَبَ موسى بن عِمرانَ، فقد غابَ عن قومِه أربعين ليلةً ثمّ رجع إليهم بعدَ أن قيلَ: قد مات، وواللهِ لَيَرجِعَنَّ رسولُ الله ﷺ كما رجع موسى، فلَيَقطَعَنَّ أيديَ رجالٍ وأرجُلَهم زَعَمُوا أنَّ رسولَ الله ﷺ مات.

قال: وأقبَلَ أبو بكرٍ حتّى نَزَلَ على باب المسجدِ حين بَلَغَه الخبرُ، وعمرُ يُكلِّمُ الناسَ، فلم يَلتَفِتْ إلى شيءٍ حتّى دخل على رسول الله ﷺ في بيتِ عائشة، ورسولُ الله ﷺ مُسجًّى[2] في ناحيةِ البيت عليه بُرْدُ حِبَرةٍ[3]، فأقبَلَ حتّى كَشَفَ عن

---

(١) رجاله ثقات إلا أنّ ذكر التدام عائشة فيه شاذٌّ منكر، فعلى كثرة من روى خبر وفاته ﷺ عنها ـ كما هو مجموع عند الحديث (٦٨٦٩) من «مستدرك الحاكم» ـ فإن أحداً منهم لم يذكر ضربَها وجهَها عند موته ﷺ، كيف وقد صحَّ عن النبي ﷺ ـ فيما أخرجه البخاري (١٢٩٤) ومسلم (١٠٣) ـ من حديث ابن مسعود عنه أنه قال: «ليس منّا من لَطَم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وقد أخطأ السهيليُّ في «الروض» ٧/ ٥٧٧ فيما ذهب إليه من أن الالتدام لم يدخل في التحريم، لأن التحريم إنما وقع على الصُّراخ والنَّوح، وهو ذهولٌ منه ـ رحمه الله ـ عمّا وقع في حديث ابن مسعود في «الصحيحين» وغيرهما من ذكر اللَّطم فيه، وهو ضربُ الخدِّ وغيره باليد.

وأما حديث ابن إسحاق، فقد أخرجه أحمد (٢٦٣٤٨) من طريق إبراهيم بن سعد، عنه بهذا الإسناد.

(٢) أي: مُغطًّى.

(٣) البُرد: كساء يُلتَحف به، والحِبَرة: ما كان من الثياب مخطَّطاً.

وجهِ رسول الله ﷺ، ثمّ أقبَلَ عليه فقبَّلَه ثمّ قال: بأبي أنتَ وأُمّي، أمّا المَوتةُ التي كَتَبَ الله عليك، فقد ذُقْتَها، ثمّ لن تُصيبَك بعدَها موتةٌ أبداً، قال: ثمّ رَدَّ البُرْدَ على وجهِ رسول الله ﷺ.

ثمّ خرج وعمرُ يُكلِّمُ الناسَ، فقال: على رِسْلِك[1] يا عمرُ، أَنصِتْ، فأَبَى إلّا أن يتكلَّمَ، فلمّا رآه أبو بكرٍ لا يُنصِتُ أقبَلَ على الناس، فلمّا سَمِعَ الناسُ كلامَه أقبَلُوا عليه وتَرَكوا عمرَ، فحَمِدَ اللهَ وأَثنَى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناسُ، إنّه مَن كان يَعبُدُ محمّداً، فإنَّ محمّداً قد مات، ومَن كان يَعبُدُ اللهَ، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت. قال: ثمّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال: فواللهِ لكأنَّ الناسَ لم يَعلَموا أنّ هذه الآيةَ نَزَلَت حتّى تَلَاها أبو بكرٍ يومَئذٍ، قال: وأَخذَها الناسُ عن أبي بكرٍ فإنّما هي في أفواهِهم، قال: فقال أبو هريرةَ: قال عمرُ: فوالله ما هو إلّا أن سمعتُ أبا بكرٍ تَلَاها، فعَقِرْتُ[2] حتّى وَقَعتُ إلى الأرض، ما تَحمِلُني رِجلايَ، وعَرَفتُ أنّ رسولَ الله ﷺ قد مات[3].

---

(١) هذا أمرٌ بالرِّفق والتأنّي وعدم التعجّل.

(٢) عَقِرتُ: دَهِشتُ، يقال: عَقِرَ الرجلُ، إذا تحيَّر ودَهِشَ.

(٣) صحيح لغيره ورجاله ثقات، وهو وإن لم يصرِّح ابن إسحاق بسماعه فيه، قد روي من وجه آخر صحيح.

وأخرجه البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٥-٥٦٦، والطبري في «تاريخه» ٣/ ٢٠٠-٢٠١، والمنذري في «تفسيره» (٩٨٦) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ولم يصرح ابن إسحاق بسماعه عندهم من الزهري كذلك. =

= وقد أخرج نحوه البخاري (١٢٤١-١٢٤٢) من طريق معمر ويونس الأيليّ، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة وابن عباس.

وهو بنحوه أيضاً عند البخاري (٣٦٦٧-٣٦٦٨) من طريق هشام بن عُروة بن الزبير، عن أبيه، عن خالته عائشة. وفي آخره خبر سقيفة بني ساعدة.

أمرُ سَقِيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق: ولمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، انحازَ هذا الحيُّ من الأنصار إلى سعد بن عُبَادة في سَقِيفة بني ساعدة، واعتزَلَ عليٌّ بن أبي طالبٍ والزُّبَيرُ بن العَوّام وطلحةُ بن عُبيد الله في بيتِ فاطمةَ، وانحازَ بقيّةُ المهاجرين إلى أبي بكرٍ، وانحازَ معهم أُسَيدُ بن حُضَيرٍ في بني عبد الأشهَلِ، فأَتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر فقال: إنّ هذا الحيَّ من الأنصارِ مع سعدِ بن عُبادةَ في سَقِيفةِ بني ساعدة قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمرِ النّاسِ حاجةٌ، فأَدرِكوا النّاسَ قبلَ أن يَتَفاقَمَ أمرُهم؛ ورسولُ الله ﷺ في بيته لم يُفرَغْ من أمرِه قد أغلَقَ دونَه البابَ أهلُه، قال عمرُ: فقلت لأبي بكرٍ: انطَلِقْ بنا إلى إخوانِنا هؤلاءِ من الأنصار حتّى نَنظُرَ ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث السَّقيفة حين اجتَمَعَت بها الأنصارُ، أنّ عبدَالله ابن أبي بكرٍ حدّثني عن ابن شِهابٍ الزُّهْريِّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ، عن عبد الله بن عبّاسٍ قال: أخبرني عبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ؛ قال: وكنت في منزلِه بمِنًى أنتَظِرُه وهو عند عمرَ في آخرِ حَجّةٍ حَجَّها عمرُ، قال: فرجع عبدُالرَّحمن ابن عَوفٍ من عند عمرَ فوَجَدَني في منزلِه بمِنًى أنتظِرُه، وكنت أُقرِئُه القرآنَ، قال ابنُ عبّاسٍ: فقال لي عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ: لو رأيتَ رجلاً أتى أميرَ المؤمنين فقال: يا أميرَ المؤمنين، هل لك في فُلانٍ؟! يقول: والله لو قد ماتَ عمرُ بن الخطّابِ لقد بايعتُ فُلاناً، والله ما كانت بَيْعةُ أبي بكرٍ إلّا فَلْتةً[1] فتَمّتْ!

---

(١) أي: فجأةً من غير تدبُّر، قال ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٤٦٧: أراد بالفلتة الفجأة، ومثلُ هذه البيعة جديرةٌ بأن تكون مهيِّجةً للشرّ والفتنة، فعَصَمَ الله من ذلك ووَقَى، والفلتة: كلُّ شيء فُعِل من غير رَوِيّة، وإنما بُودِرَ بها خوفَ انتشار الأمر.

قال: فغَضِبَ عمرُ فقال: إنّي إن شاءَ الله لَقائمٌ العَشِيّةَ في النّاس فمُحذِّرُهم هؤلاءِ الّذين يريدون أن يَغصِبوهم[1] أمرَهم، قال عبدُ الرَّحمن: فقلت: يا أميرَ المؤمنين، لا تفعلْ، فإنّ المَوسِمَ يَجمَعُ رَعَاعَ الناس وغَوْغاءَهم[2]، وإنّهم هم الذين يَغلِبون على قُرْبك حين تقومُ في الناس، وإنّي أَخشى أن تقومَ فتقولَ مَقالةً يَطِيرُ بها أُولئك عنك كلَّ مَطِيرٍ ولا يَعُوها[3] ولا يَضَعُوها على مواضِعِها، فأمهِلْ حتّى تَقدَمَ المدينةَ فإنّها دارُ السُّنّة، وتَخلُصَ بأهلِ الفِقْه وأشرافِ الناس فتقولَ ما قلتَ بالمدينة مُتَمكِّناً، فيَعِيَ أهلُ الفِقْه مَقالتَك، ويَضَعُوها على مَواضِعِها، قال: فقال عمرُ: أمَا والله إن شاءَ الله لَأقومَنَّ بذلك أوّلَ مَقامٍ أقومُه بالمدينة.

قال ابنُ عبّاس: فقَدِمْنا المدينةَ في عَقِبِ ذي الحِجّةِ، فلمّا كان يومُ الجُمُعة، عَجَّلتُ الرَّوَاحَ حين زاغَتِ[4] الشّمسُ فأَجِدُ سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ جالساً إلى رُكْنِ المِنبَر، فجلستُ حَذْوَه تَمَسُّ رُكْبتي رُكْبتَه، فلم أنشَبْ[5] أن خرج عمرُ بن الخطّاب، فلمّا رأيتُه مُقبِلاً قلت لسعيد بن زيدٍ: لَيقولَنَّ العَشِيّةَ على هذا المِنبَرِ مَقالةً لم يَقُلْها منذُ استُخلِفَ، قال: فأنكَرَ عليَّ سعيدُ بن زيدٍ ذلك وقال: ما عسى أن يقولَ ممّا لم يَقُلْ قبلَه! فجلس عمرُ على المِنبَر، فلمّا سَكَتَ المؤذّنُ قام فأَثنى على الله

---

(١) العَشِيّة: ما بعد زوال الشمس.

وقوله: أن يَغصِبوهم، أي: يقصدون أموراً من أمور الناس ليست من وظيفتهم ولا مرتبتهم، فيريدون أن يُباشِروها بالظُّلم والغَصْب.

(٢) رَعَاع الناس: هم الجهلة الأراذل. والغَوغاء: هو في الأصل الجراد الصغار حين يبدأ في الطيران، ويطلق على السِّفلة من الناس، وشبَّههم به لكثرتهم.

(٣) كل مَطِير، أي: يحملونها على غير وجهها. ولا يَعُوها، أي: لا يعرفوا المراد منها.

(٤) في (ق٢) و(م): زالت. وكلاهما بمعنى: مالت.

(٥) أي: لم ألبَث.

بما هو أهلُه، ثم قال: أمّا بعدُ، فإنّي قائلٌ لكم اليومَ مَقالةً قد قُدِّرَ لي أن أقولَها، ولا أدري لعلَّها بين يَدَيْ أَجَلي، فمَن عَقَلَها ووَعَاها فليأخُذْ بها حيثُ انتهَت به راحلتُه، ومَن خَشِيَ أن لا يَعِيَها فلا يَحِلُّ لأحدٍ أن يَكذِبَ عليَّ:

إنّ الله بَعَثَ محمّداً وأنزَلَ عليه الكتابَ، فكان ممّا أُنزِلَ عليه آيةُ الرَّجْمِ[1]، فقَرَأْناها وعَلِمْناها ووَعَيْناها، ورَجَمَ رسولُ الله ﷺ ورَجَمْنا بعدَه، فأَخشَى إنْ طالَ بالنّاسِ زمانٌ أن يقولَ قائلٌ: والله ما نَجِدُ الرَّجْمَ في كتاب الله، فيَضِلُّوا بتَرْكِ فريضةٍ أنزَلها الله، وإنَّ الرَّجمَ في كتاب الله حقٌّ على مَن زنى إذا أَحصَنَ من الرِّجالِ والنّساءِ إذا قامت البيِّنةُ أو كان الحَبَلُ أو الاعترافُ.

ثمّ إنّا قد كنّا نَقرأُ فيما نَقرأُ من الكتاب: (لا تَرغَبوا عن آبائِكم فإنّه كُفرٌ بكم أن تَرغَبوا عن آبائِكم)[2].

---

(١) لم يذكر جمهور أصحاب الزهري لفظ هذه الآية في حديثه هذا غير سفيان بن عيينة عنه فيما أخرجه ابن ماجه (٢٥٥٣) والنسائي في «الكبرى» (٧١١٨)، وهي: (الشيخ والشيخة إذا زَنَيا فارجموهما البتّةَ)، وقد وهَّمه في ذلك النسائيُّ فقال: لا أعلم أن أحداً ذكر في هذا الحديث (الشيخ والشيخة فارجموهما البتّة) غير سفيان، وينبغي أن يكون وَهِمَ، والله أعلم.

قلنا: لكن ذكرها في حديث عمر في هذه الخطبة سعيدُ بن المسيّب فيما رواه عنه يحيى بن سعيد الأنصاري عند مالك في «الموطأ» ٢/ ٨٢٤.

والمراد بالشيخ والشيخة: المُحصَن والمُحصَنة، سواء كانا كبيرين أو شابَّين، وهذا ما عليه جمهورُ أهل العلم، وهذه الآية مما وقع الاتفاق على أنها نُسِخَت لفظاً وبقي حكمُها، فقد قال البيهقي في «سننه» ٨/ ٢١١: آية الرَّجم حكمها ثابت وتلاوتها منسوخة، وهذا مما لا أعلمُ فيه خلافاً. وانظر «فتح الباري» لابن حجر ٢١/ ٥٨٥-٥٨٧.

(٢) وهذا مما نُسخ خطُّه وبقي حكمُه، والمراد به مَن تحوَّل عن نسبته لأبيه إلى غير أبيه عالماً عامداً مختاراً، فمن فعل ذلك فقد ركب من الإثم عظيماً، وتحمَّل من الوِزْر جسيماً. وانظر =

ألَا إنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تُطْرُوني كما أُطرِيَ عيسى ابنُ مريمَ[1]، وقولوا: عبدُ الله ورسولُه».

ثمّ إنّه قد بَلَغَني أنّ فُلاناً قال: والله لو قد مات عمرُ بن الخطّابِ لقد بايعتُ فُلاناً، فلا يَغُرَّنَّ امرَأً أن يقول: إنّ بَيْعةَ أبي بكرٍ كانت فَلْتةً فتَمَّتْ، وإنّها قد كانت كذلك، إلّا أنّ الله قد وَقَى شَرَّها، وليس فيكم مَن تَنقَطِعُ الأعناقُ إليه مِثلُ أبي بكرٍ، فمن بايَعَ رجلاً عن غيرِ مَشُورةٍ من المسلمين فإنّه لا بَيْعةَ له هو ولا الذي بايَعَه، تَغِرّةً أن يُقتَلا[2].

إنّه كان من خَبَرِنا حين تَوفَّى اللهُ نبيَّه ﷺ أنّ الأنصارَ خالَفُوا فاجتَمَعوا بأشرافِهم في سَقِيفةِ بني ساعدةَ، وتَخلَّفَ عنّا عليُّ بن أبي طالبٍ والزُّبيرُ بن العَوّام ومَن معهما، واجتَمَعَ المهاجرون إلى أبي بكرٍ، فقلت لأبي بكرٍ: انطَلِقْ بنا إلى إخوانِنا هؤلاءِ من الأنصار.

فانطَلَقْنا نَؤُمُّهم حتّى لَقِيَنا منهم رجلان صالحان فذَكَرا لنا ما تَمالَأ[3] عليه القومُ، وقالا: أين تريدون يا معشرَ المهاجرين؟ قلنا: نريدُ إخوانَنا هؤلاءِ من الأنصار، قالا: فلا عليكم أن لا تَقرَبُوهم يا معشرَ المهاجرين، اقضُوا أمرَكم، قال: قلت: والله لنَأتِيَنَّهم، فانطَلَقْنا حتّى أَتيناهم في سقيفةِ بني ساعدة، فإذا بين ظَهْرانَيهم

= «شرح البخاري» لابن بطّال ٨/ ٣٨٣-٣٨٤، و«فتح الباري» لابن حجر ٢١/ ٣٩٧-٣٩٨.

(١) أي: لا تمدحوني كمدح النصارى لعيسى ابن مريم، حتى غَلَا بعضهم فيه فجعله إلٰهاً مع الله، وبعضهم ادَّعى أنه هو الله، وبعضهم زعم أنه ابن الله، تعالى الله سبحانه عن ذلك علوّاً كبيراً.

(٢) أي: حذراً من القتل، وهو مصدر من: أَغررتُه تغريراً أو تَغِرّةً، والمعنى: أنّ من فعل ذلك فقد غرَّر بنفسه وبصاحبه وعرَّضهما للقتل.

(٣) أي: اتَّفق.

رجلٌ مُزَمَّلٌ[1]، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: سعدُ بن عُبَادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: وَجِعٌ.

فلمّا جَلَسْنا تَشهَّدَ خطيبُهم فأَثنَى على الله بما هو له أهلٌ ثمّ قال: أمّا بعدُ، فنحنُ أنصارُ الله وكَتِيبةُ الإسلام، وأنتم يا معشرَ المهاجرينَ رَهْطٌ منّا، وقد دَفَّتْ دافّةٌ[2] من قومِكم، قال: وإذا هم يريدون أن يَحتازُونا من أصلِنا ويَغصِبونا الأمرَ[3]، فلمّا سَكَتَ أردتُ أن أتكلَّمَ وقد زَوَّرتُ[4] مَقالةً قد أعجَبَتْني، أُريدُ أن أُقدِّمَها بين يَدَيْ أبي بكرٍ، وكنت أُداري منه بعضَ الحَدِّ[5]، فقال أبو بكر: على رِسْلِك يا عمرُ، فكَرِهتُ أن أُغضِبَه، فتَكلَّمَ - وهو كان أعلمَ منّي وأَوقَرَ - فوالله ما تَرَكَ من كَلِمةٍ أعجَبَتني من تَزْويري إلّا قالها في بَدِيهتِه أو مِثلَها أو أفضلَ حتّى سَكَتَ، قال: أمّا ما ذكرتُم فيكم من خيرٍ، فأنتم له أهلٌ، ولن تَعرِفَ العربُ هذا الأمرَ إلّا لهذا الحيِّ من

---

(١) بين ظهرانَيهم، أي: بينهم أو وسطهم، وأصله: بين ظَهرَيهم، فزيدت الألف والنون للتأكيد. ومزمَّل: ملتفٌ في كساءٍ أو غيره.

(٢) دفَّتْ دافَّة، أي: عدد قليل، والدافّة: الرُّفقة يسيرون سيراً ليِّناً، أي: إنكم قوم طِراد غرباء، أقبلتم من مكّة إلينا.

(٣) هكذا وقع في رواية ابن إسحاق، ومعنى يحتازونا: يحبسونا عنه، وفي رواية صالح بن كيسان عن الزهري عند البخاري (٦٨٣٠): أن يَختزِلونا من أصلنا وأن يَحضُنونا من الأمر.
ويختزلونا، أي: يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا، والمراد هنا بالأصل: ما يستحقُّونه من الأمر، ويَحضُنونا، أي: يُخرِجونا، يقال: حَضَنه واحتَضَنه عن الأمر: أخرجه في ناحيةٍ عنه واستبدَّ به، أو حَبَسَه عنه. قاله ابن حجر في «الفتح».

(٤) زاد هنا في طبعة السقا وصاحبيه: في نفسي. وهي في بعض الروايات عن الزهري.
وقوله: زوّرتُ مقالةً، أي: هيّأتها وأصلحتها وحسّنتها.

(٥) الحدّ: يعني أنه كانت في خُلُقه حِدَّة، فكان عمر رضي الله عنه يداريه.

قريشٍ، هم أوسَطُ العربِ نسباً وداراً[1]، وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذينِ الرّجُلينِ، فبايِعُوا أيَّهما شِئتُم؛ وأخَذَ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجَرّاح وهو جالسٌ بيننا، ولم أكرَهْ شيئاً ممّا قال غيرَها، كان والله أن أُقدَّمَ فتُضرَبَ عُنُقي، لا يُقرِّبُني ذلك إلى إثمٍ، أحبَّ إليَّ من أن أتأمّرَ على قومٍ فيهم أبو بكر.

قال: فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذَيلُها المُحكَّكُ، وعُذَيقُها المُرجَّبُ[2]، منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشر قُرَيش.

قال: فكَثُرَ اللَّغَطُ[3] وارتَفَعَت الأصواتُ، حتّى تخوَّفتُ الاختلافَ فقلت: ابسُطْ يدَكَ يا أبا بكرٍ، فبَسَطَ يدَه فبايعتُه، ثمّ بايَعَه المهاجرون، ثمّ بايَعَه الأنصارُ، ونَزَوْنا على سعد بن عُبادة[4]، فقال قائلٌ منهم: قتلتُم سعدَ بن عُبادةَ، قال: فقلت: قَتَلَ اللهُ سعدَ بن عُبادة[5].

---

(١) أوسط العرب نسباً، أي: أشرفهم. وداراً، أي: بلداً، وهي مكة، لأنها أشرف البِقاع.

(٢) الجُذيل: تصغير جِذْل، وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتكَّ به، وهو تصغير تعظيم، أي: أنا ممن يُستشفَى برأيه كما تستشفي الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود.

والعُذَيق: تصغير العَذْق، وهو النخلة، والمُرَجَّب: من الترجيب، يقال: رجَّبتُ النخلة، إذا أسندتَها على خشبة ذات شُعبتين، لكثرة حملها وعزّها على أهلها، فضُرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظّمه قومه ويرجعون إلى قوله.

وقائل هذه المقولة يومئذٍ فيما روى مالكٌ عند أحمد (٣٩١) وابن حبان (٤١٤) عن الزهري: أنه سمع سعيد بن المسيّب يقول: إن الذي قال يومئذٍ: أنا جُذيلها المحكَّك، رجل من بني سَلِمةَ يقال له: الحُبَاب بن المنذر.

(٣) اللَّغَط: اختلاف الأصوات ودخول بعضها على بعض.

(٤) أي: وَثَبْنا عليه ووَطِئناه.

(٥) هذا الإغلاظ من عمر في الدعاء على سعد رضي الله عنهما، لما رأى عمرُ من أن موافقة =

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: أخبرني عُرْوةُ: أنّ أحدَ الرَّجلينِ اللَّذينِ لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السَّقيفة عُوَيمُ بن ساعدةَ، والآخَرَ مَعْنُ بن عَديٍّ أخو بني العَجْلان[1].

فأمّا عُوَيمُ بن ساعدةَ، فهو الذي بَلَغَنا أنه قيلَ لرسول الله ﷺ: مَن الّذين قال الله عزَّ وجلَّ لهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]؟ فقال رسول الله ﷺ: «نِعمَ المَرْءُ منهم عُوَيمُ بن ساعدة»، وأمّا مَعْنُ بن عَديٍّ، فبَلَغَنا أنّ الناسَ بَكَوْا على رسول الله ﷺ حين تَوَفّاه الله عزَّ وجلَّ وقالوا: والله لوَدِدْنا أنّا مِتْنا قبلَه، إنّا نَخشَى أن نَفتَتِنَ بعدَه، قال مَعنُ بن عَديٍّ: لكنّي والله ما أُحبُّ أنّي مِتُّ قبلَه حتّى أُصدِّقَه ميّتاً كما صدّقتُه حيّاً؛ فقُتِلَ مَعنٌ يومَ اليَمامةِ شهيداً في خلافة أبي

= سعد لقومه وحضوره في السقيفة كان سيؤدّي إلى فتنة وفُرقة كبيرة بين المسلمين، فلذلك أغلظ له بالقول إبطالاً وتشنيعاً لهذا الفعل، وقد وقع.

وإسناد ابن إسحاق في هذا الخبر صحيح. عبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري.

وأخرجه بهذا الطول والسِّياق أحمد (٣٩١)، وابن حبان (٤١٤) من طريق مالك، والبخاري (٦٨٣٠) من طريق صالح بن كَيسان، وابن حبان (٤١٣) من طريق هُشيم بن بَشير، ثلاثتهم عن الزهري، بهذا الإسناد. وزادوا فيه قول عمر ـ واللفظ لأحمد ـ: أما والله ما وجدنا فيما حَضَرَنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر، خَشِينا إن فارَقْنا القومَ ولم تكن بيعةٌ، أن يُحدِثوا بعدَنا بيعةً، فإما أن نتابعَهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفَهم فيكون فيه فساد.

وقد روي حديث عمر هذا مقطّعاً في الكتب الستّة وغيرها، فانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» و«صحيح ابن حبان».

(١) وهذا ذكره أيضاً مالكٌ في روايته عن الزهري عند أحمد (٣٩١) وابن حبان (٤١٤)، ومعمرٌ عن الزهري عند البخاري (٤٠٢١).

بكرٍ يومَ مُسَيلِمةَ الكذّاب[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ قال: حدّثني أنسُ بن مالكٍ قال: لمّا بُويِعَ أبو بكرٍ في السَّقيفة وكان الغَدُ، جَلَسَ أبو بكرٍ على المِنبَر، فقامَ عمرُ فتكلَّم قبلَ أبي بكرٍ، فحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه بما هو له أهلٌ، ثمّ قال: أيّها الناسُ، إنّي قد كنتُ قلتُ لكم بالأَمسِ مَقالةً ما كانت ممّا وَجَدتُها في كتابِ الله، ولا كانت عهداً عَهِدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ، ولكنّي قد كنت أُرَى أنّ رسولَ الله ﷺ سيَدبُرُ أمرَنا ـ يقول: يكون آخرَنا ـ وإنّ الله قد أَبقَى فيكم كتابَه الّذي به هَدَى رسولَه، فإن اعتَصَمتُم به هَدَاكم الله لمَا كان هَدَاه له، وإنّ الله قد جَمَعَ أمرَكم على خيرِكم، صاحبِ رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغارِ، فقوموا فبايِعُوه. فبايَعَ الناسُ أبا بكرٍ بَيْعةَ العامّةِ بعد بَيْعةِ السَّقيفة.

ثمّ تكلَّم أبو بكرٍ، فحَمِدَ الله وأثنَى عليه بالّذي هو أهلُه، ثمّ قال: أمّا بعدُ، أيّها الناسُ، فإنّي قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيرِكم، فإن أحسنتُ فأَعِينُوني، وإن أسأتُ

---

(١) الخبر عن هذين الرجلين الصالحين من الأنصار رضي الله عنهم موصول بكلام عروة بن الزبير، وهو مرسل.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢٠٦-٢٠٧ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٤٢٦ و٤٣١، وأبو القاسم بن بِشران في «أماليه» (١٣٧١) من طريق صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة.

وقصة معن بن عديٍّ رواها ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٨٩ من طريق سعيد بن هاشم، عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه. وقد تفرّد به سعيد بن هاشم ـ وهو الفيُّومي ـ عن مالك، وسعيدٌ هذا ضعّفه الدارقطني كما في «ميزان الاعتدال» للذهبي ٢/ ١٦١.

فقَوِّموني.

الصِّدقُ أمانةٌ، والكَذِبُ خِيانةٌ، والضّعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتّى أُرِيحَ عليه حَقَّه[1] إن شاءَ الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتّى آخُذَ الحقَّ منه إن شاءَ الله.

لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ في سبيلِ الله إلّا ضَرَبَهم الله بالذُّلِّ، ولا تَشِيعُ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ إلّا عَمَّهم الله بالبلاءِ، أَطِيعوني ما أَطَعتُ اللهَ ورسولَه، فإذا عَصَيتُ اللهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم، قوموا إلى صلاتِكم يَرحَمُكم الله[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حسينُ بن عبد الله، عن عِكْرمةَ، عن ابن عبّاسٍ قال: والله إنّي لَأمشي مع عمرَ في خِلافتِه وهو عامدٌ إلى حاجةٍ له وفي يدِه الدِّرّةُ[3] وما معه غيري، قال: وهو يحدِّث نفسَه ويضربُ وَحشِيَّ قدمِه[4] بدِرّتِه، قال: إذِ التَفَتَ إليَّ فقال: يا ابنَ عبّاسٍ، هل تدري ما كان حَمَلَني على مَقَالتي الّتي قلتُ حين تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أميرَ المؤمنين، أنت أعلمُ.

قال: فإنّه واللهِ إن كان الذي حَمَلَني على ذلك إلّا أنّي كنت أَقرأُ هذه الآيةَ:

---

(١) أي: أردّه عليه.

(٢) إسناده صحيح، وصحّحه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٨/ ٩٠.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١٠ من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

وروى خطبة أبي بكر دون خطبة عمرَ معمرٌ في «جامعه» (٢٠٧٠٢) قال: وحدثني بعض أهل المدينة قال: خطبنا أبو بكرٍ فقال...

ورواها أيضاً الدِّينَوري في «المجالسة» (١٢٩٠) بسند رجاله ثقات عن عبد الله بن عُكيم قال: لما بويع أبو بكر... وعبد الله بن عكيم تابعي كبير مُخضرَم.

(٣) الدِّرّة: عودٌ أو سوطٌ يُضرَب به.

(٤) الوحشيُّ من أعضاء الإنسان: ما كان إلى خارجٍ، والإنسيُّ: ما أقبَلَ على جسده منها.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، فوالله إن كنتُ لَأظُنُّ أنّ رسولَ الله ﷺ سيبقى في أُمّتِه حتّى يَشهَدَ عليها بآخرِ أعمالِها، فإنّه لَلّذي حَمَلَني على أن قلتُ ما قلتُ[1].

---

(١) إسناده فيه لِينٌ لضعف حسين بن عَبد الله: وهو ابن عُبيد الله بن عباس بن عبد المطَّلب الهاشمي.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١١، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٨٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ٢١٩ من طرق عن ابن إسحاق، به.

ورواه الواقدي في آخر كتاب «المغازي» ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزَّيلعي ٢/ ٤٠٧ ـ من طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس. فهذه متابعة قويّة لحديث حسينٍ، لكن الواقدي متكلَّم فيه، إلا أنه يُتسامَح بالاعتبار به في مثل هذه الأخبار.

فائدة: أخرج الحاكم (٤٥٠٦) من حديث داود بن أبي هند، حدثنا أبو نَضْرة، عن أبي سعيد الخُدْري قال: لمّا تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ قام خطباءُ الأنصار (يعني في السقيفة)، فجعل الرجلُ منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إنّ رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قَرَنَ معه رجلاً منّا، فنرى أن يَلِيَ هذا الأمرَ رجلان، أحدُهما منكم والآخر منّا، قال: فتتابَعَت خطباءُ الأنصار على ذلك، فقام زيدُ بن ثابت فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإنّ الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصارُه كما كنّا أنصارَ رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فقال: جَزاكم الله خيراً يا معشرَ الأنصار، وثبَّت قائلَكم، ثم قال: أمَا لو فعلتُم غيرَ ذلك لمَا صالَحْناكم، ثمّ أخذ زيدُ بن ثابتٍ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبُكم، فبايعوه؛ ثم انطلقوا.

فلمّا قَعَدَ أبو بكر على المنبر (يعني من الغدِ) نَظَرَ في وجوه القوم، فلم يرَ عليّاً، فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار فأتَوا به، فقال أبو بكر: ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ وخَتَنُه (أي: صهرُه) أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين؟! فقال: لا تثريبَ (أي: لا تأنيب) يا خليفةَ رسول الله، فبايَعَه، ثمّ لم يرَ الزبيرَ بن العوّام، فسأل عنه، حتى جاؤوا به، فقال: ابنُ عمّةِ رسول الله ﷺ وحَوَاريُّه، أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين؟! فقال مثلَ قوله: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله، فبايَعَاه. وإسناده صحيح.

جَهَازُ رسول الله ﷺ ودفنُه

قال ابن إسحاق: فلمّا بُويِعَ أبو بكرٍ، أقبَلَ الناسُ على جَهَازِ رسول الله ﷺ يومَ الثّلاثاءِ، فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ وحسينُ بن عبدِ الله وغيرُهما من أصحابنا: أنّ عليَّ بن أبي طالبٍ والعبّاسَ بن عبد المُطَّلِب والفضلَ بن العبّاس وقُثَمَ بن العبّاس وأُسامةَ بن زيدٍ وشُقْرانَ مولى رسول الله ﷺ هم الّذين وَلُوا غَسْلَه، وأنّ أوسَ بن خَوْليٍّ ـ أحدَ بني عَوْف بن الخَزْرج ـ قال لعليِّ بن أبي طالبٍ: أَنشُدُك اللهَ[1] يا عليُّ، وحَظَّنا من رسول الله ﷺ، وكان أوسٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ وأهلِ بدرٍ، قال: ادخُلْ، فدخل فجَلَسَ وحَضَرَ غَسْلَ رسول الله ﷺ.

فأسنَدَه عليُّ بن أبي طالبٍ إلى صدرِه، وكان العبّاسُ والفضلُ وقُثَمُ يُقلِّبونَه معه، وكان أسامةُ بن زيدٍ وشُقْرانُ مولاه هما اللّذانِ يَصُبّانِ الماءَ عليه وعليٌّ يُغسِّلُه قد أسنَدَه إلى صدرِه، وعليه قَمِيصُه يَدلُكُه من ورائِه لا يُفْضي[2] بيدِه إلى رسول الله ﷺ، وعليٌّ يقول: بأبي أنتَ وأُمّي، ما أَطيَبَك حيّاً ومَيتاً، ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيءٌ ممّا يُرَى من الميِّت[3].

---

(١) أي: أسألك بالله رافعاً نَشِيدي، وهو صوتي.

(٢) أي: لا يصلُ ولا ينتهي.

(٣) حديث قويّ، والظاهـر أن ابن إسحاق قد جمعه من رواية غير واحد وساقه هنا بسياقة واحدة. عبد الله بن أبي بكر: هو ابن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري، وهو ثقة حُجّة، وحسين ابن عبد الله: هو ابن عُبيد الله بن عباس بن عبد المطَّلب، وهو ضعيف، لكنه متابع بثقةٍ، فحديثه هنا معتبَرٌ به.

وقد رواه سلمةُ بن الفضل كما عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١١-٢١٢ عن ابن إسحاق، عن =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّادٍ، عن عائشة قالت: لمّا أرادوا غَسْلَ رسولِ الله ﷺ اختَلَفوا فيه فقالوا: والله ما نَدْري، أنُجرِّدُ رسولَ الله ﷺ من ثيابِه كما نُجرِّدُ موتانا، أو نُغسِّلُه وعليه ثيابُه؟! قالت: فلمّا اختَلَفوا أَلقَى اللهُ عليهم النّومَ حتّى ما منهم رجلٌ إلّا ذَقَنُه في صدرِه ثمّ كَلَّمَهم مُكلِّمٌ من ناحيةِ البيت لا يدرون مَن هو: أن اغسِلُوا النبيَّ وعليه ثيابُه، قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغَسَّلوه وعليه قميصُه، يَصُبُّون الماءَ فوقَ القميصِ ويَدلُكونَه والقميصُ دونَ أيديهم[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا فُرِغَ من غَسلِ رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثةِ أثواب، ثوبَينِ صُحَارِيَّينِ[2] وبُرْدِ حِبَرةٍ أُدرِجَ فيه إدراجاً، كما حدّثني جعفرُ بن محمّد بن عليّ بن

= عبد الله بن أبي بكر وحسين - وتحرف في مطبوعه إلى: كثير - بن عبد الله وغيرهما، عمّن يحدّثه عن ابن عباس.

وهذا الراوي المبهم عن ابن عباس هو عكرمة مولاه كما سيأتي لاحقاً.

وكذلك أخرجه أحمد (٢٣٥٧) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، عن حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس. وانظر تمام تخريجه فيه.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٠٦)، وأبو داود (٣١٤١)، وابن حبان (٦٦٢٧) و(٦٦٢٨)، والحاكم (٤٤٤٦) من طرق عن محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد. وزادوا في آخره عن عائشة قالت: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ، ما غسَّل رسولَ الله ﷺ إلا نساؤُه.

(٢) قال الخطّابي في «غريب الحديث» ١/ ١٥٨: الصُّحْرة: حُمْرة خفيّة كالغُبْرة، يقال: ثوبٌ أصحَرُ وصُحارِيٌّ، ومُلاءةٌ صَحراءُ وصُحاريّةٌ، وقال بعض أهل اللغة: الأصحر ما كان لونُه لونَ الصحراء من الأرض، قال الأصمعي: الأصحَرُ قريبٌ من الأصهب، ويقال: إن الصُّحَاريّ منسوب إلى صُحَار، وهي قرية باليمن. =

الحسين عن أبيه عن جدِّه عليِّ بن الحسين، والزُّهْريُّ عن عليِّ بن الحسين[1] .

= قلنا: كذا قال، وصُحَار إنما هي في عُمَان، ويشهد لكونها المرادةَ في هذا الأثر أن مؤمَّل بن إسماعيل قد صرّح بها في روايته لهذا الخبر عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه ـ كما ذكر ابن عبد البر في «التمهيد» ٢/ ١٦٣ ـ فقال: كُفّن في قميص وثوبين صحاريَّين من عمل عُمَان.

وأما البُرْد: فهو كساء يُلتَحف به، والحِبَرة: المخطَّط. ومعنى قوله: أُدرج فيه، أي: أُدخِلَ فيه، وكأنه يشير بذلك إلى أن هذا البُرد كان مَخِيطاً.

(١) رجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعليُّ بن الحسين ـ وهو الملقَّب بزين العابدين ـ من الطبقة الوسطى من التابعين، وقد خولف في ذلك كما سيأتي.

وأخرجه البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٧٢، وابن الجارود في «المنتقى» بإثر (٥١٧)، والطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١٢، والبيهقي في «السنن» ٣/ ٤٠٠ من طرق عن ابن إسحاق، به.

وقد خولف ابنُ إسحاق فيه، فرواه سفيانُ الثوري عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٦١٦٧)، وسفيانُ بن عيينة عنده أيضاً (٦٣٧٧)، وأنسُ بن عِياض عند ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٤٨، وحفصُ بن غياث عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٣/ ٢٥٨، أربعتهم عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه محمد، ولم يُجاوز به إلى جدّه عليٍّ.

ويخالف هذا الخبر ما صحَّ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كُفّن في ثلاثة أثوابٍ يمانيةٍ بِيضٍ من كُرسُف ليس فيهنّ قميص ولا عِمامة، أخرجه أحمد (٢٤١٢٢)، والبخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١) وغيرهم. تعني بقولها: ليس فيهن قميص ولا عمامة، أي: كان كفنه ﷺ لفائف وليس فيه شيء مما يُلبَس، والكُرسُف: هو القُطن.

قلنا: وهذا هو المشهور المعتمَد عند جمهور أهل العلم، قال الترمذي في «جامعه» بإثر الحديث (٩٩٧): قد رُوِي في كفن النبي ﷺ رواياتٌ مختلفة، وحديثُ عائشة أصحُّ الأحاديث التي رُوِيَت في كفن النبي ﷺ، والعملُ على حديث عائشة عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢/ ١٦٣ معقِّباً على خبر جعفر بن محمد عن أبيه: وهذا خبر =

قال ابن إسحاق: وحدّثني حسينُ بن عبد الله، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاسٍ قال: لمّا أرادوا أن يَحفِروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عُبيدة بن الجرّاح يَضرَحُ[1] كحَفْر أهلِ مكّة، وكان أبو طَلْحة زيدُ بن سَهلٍ هو الّذي كان يَحفِرُ لأهلِ المدينة، فكان يَلحَدُ[2]، فدعا العبّاسُ رجلين فقال لأحدِهما: اذهبْ إلى أبي عُبيدة بن الجرّاح، وقال للآخر: اذهبْ إلى أبي طَلْحة، اللّهمَّ خِرْ لرسول الله ﷺ. فوَجَدَ صاحبُ أبي طلحة أبا طلحةَ، فجاءَ به فلَحَدَ لرسول الله ﷺ.

فلمّا فُرِغَ من جَهَازِ رسول الله ﷺ يومَ الثّلاثاءِ وُضِعَ على سَريرِه في بيته، وقد كان المسلمون اختَلَفوا في دَفْنِه، فقال قائلٌ: نَدفِنُه في مسجدِه، وقال قائلٌ: بل نَدفِنُه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ما قُبِضَ نبيٌّ إلّا دُفِنَ حيثُ يُقبَضُ»؛ فرُفِعَ فِراشُ رسولِ الله ﷺ الّذي تُوفّيَ عليه فحُفِرَ له تحتَه.

ثمّ دخل النّاسُ على رسول الله ﷺ يُصلُّون عليه أَرْسالاً[3]، دخل الرّجالُ حتّى إذا فَرَغوا أُدخِلَ النّساءُ، حتّى إذا فَرَغَ النّساءُ أُدخِلَ الصِّبيان، ولم يَؤُمَّ النّاسَ على رسول الله ﷺ أحدٌ.

ثمّ دُفِنَ رسولُ الله ﷺ من وَسَطِ اللّيلِ ليلةَ الأربعاءِ[4].

= غير متصل، وحديثُ عائشة صحيح مُسنَد، والحُجّة به أَلزمُ في العمل، وكلاهما لا يَقطَع العُذرَ، وبالله العصمة والتوفيق، إلا أنّ الحديث المُسنَد يوجب العملَ وتجبُ به الحُجّةُ عند جميع أهل الحق والسُّنة.

(١) يضرح، أي: يشقّ الأرض للقبر.

(٢) اللَّحْد: الشَّق الذي يعمل في جانب القبر لوضع الميت، وسُمّي لحداً لأنه قد أُمِيل عن وسط القبر إلى جانبه.

(٣) أي: جماعاتٍ جماعاتٍ، واحدها: رَسَلٌ.

(٤) صحيح لغيره، وهذا إسناد فيه لِينٌ لضعف حسين بن عَبدالله: وهو ابن عُبيدالله بن =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ، عن امرأته فاطمةَ بنت عُمَارة[1]، عن عَمْرةَ بنت عبد الرَّحمن بن سَعْد[2] بن زُرَارةَ، عن عائشةَ قالت: ما عَلِمْنا بدَفْنِ رسول الله ﷺ حتّى سمعنا صوتَ المَسَاحي[3] من جوفِ اللّيل من ليلةِ الأربعاءِ.

قال محمد بن إسحاق: وقد حدَّثَتني فاطمةُ هذا الحديث[4].

= عباس بن عبد المطَّلب، لكن جاء ما يشهد لخبره هذا مقطَّعاً، فيتقوّى بشواهده.

وأخرجه أحمد مقطَّعاً (٣٩) و(٢٣٥٧) و(٢٦٦١)، وابن ماجه بتمامه (١٦٢٨) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تتمة تخريجه وبيان شواهده فيهما؛ طبعة الرسالة.

(١) كذا وقع في رواية ابن هشام عن البكّائي: فاطمة بنت عمارة، ولعله نسبها إلى جدّها، فقد رواه يحيى بن آدم عن البكّائي عند البلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٦٨ فسمّاها فاطمة بنت محمد بن عمارة، وهذا أصحُّ، وتابعه على هذا يحيى بنُ واضح عن ابن إسحاق عند ابن راهويه في «مسنده» (٩٩٣)، وإبراهيمُ بن سعد عنه عند أحمد (٢٦٣٤٩) وابن المنذر في «التفسير» (٩٩٣) وابن عبد البر في «التمهيد» ٢٤/ ٣٩٦، وسلمةُ بن الفضل عنه عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١٣، ورواه غيرهم عن ابن إسحاق فسمَّوها فاطمة بنت محمد، لم يذكروا عمارة في نسبها، وأما فاطمة التي أبوها عُمارة ـ وهو ابن عمرو بن حَزْم ـ فهي أمُّ عبد الله بن أبي بكر لا امرأته كما في «الطبقات» لابن سعد ٧/ ٤١٤ و٤٩١، ولعلّ فاطمة امرأته ابنة أخيها، والله تعالى أعلم.

(٢) في (ش١) و(ش٢): أسعد، وهو خطأٌ، فجدُّها هو سعد بن زُرارة، وهو أخو النقيب الكبير أسعد بن زُرارة، وانظر «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٠٧.

(٣) جمع مِسْحاة: وهي المِجرَفة من الحديد.

(٤) حديث صحيح، وهذا إسناد محتمل للتحسين من أجل فاطمة امرأة عبد الله، ففيها نوع جهالةٍ، وقد توبعَت، والخبر السابق يشهد لخبرها.

وأخرجه أحمد (٢٤٣٣٣) عن عبدة بن سليمان، و(٢٦٣٤٩) من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٥٥١) ـ ومن طريقه ابن المنذر في «الأوسط» (٣١٨٤) ـ =

قال ابن إسحاق[1]: وكان الّذين نَزَلوا في قبرِ رسولِ الله ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ والفضلَ بنَ عبّاسٍ وقُثَمَ بن عبّاسٍ وشُقْرانَ مولى رسول الله ﷺ.

وقد قال أوسُ بن خَوْليٍّ لعليِّ بن أبي طالب: يا عليُّ، أنشُدُك اللهَ وحَظَّنا من رسولِ الله ﷺ، فقال له: انزِلْ، فنَزَلَ مع القوم.

وقد كان مولاه شُقْرانُ حين وُضِعَ رسولُ الله ﷺ في حُفْرتِه وبُنِيَ عليه، قد أَخذَ قَطِيفةً[2] قد كان رسولُ الله ﷺ يَلبَسُها ويَفترِشُها، فدَفَنَها في القبر، وقال: والله لا يَلبَسُها أحدٌ بعدَك أبداً. قال: فدُفِنَت مع رسول الله ﷺ.

وقد كان المغيرةُ بن شُعبةَ يدَّعي أنّه أحدثُ النّاسِ عهداً برسول الله ﷺ، يقول: أخذتُ خاتَمي فألقَيتُه في القبر وقلت: إنّ خاتَمي سَقَطَ منّي، وإنّما طَرَحتُه عَمداً لأمَسَّ رسولَ الله ﷺ، فأكونَ أحدثَ النّاسِ عهداً به ﷺ[3].

= عن ابن جُريج وغيره، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن عَمْرة، عن عائشة. لكن لم يذكر فيه ليلة الأربعاء.

(١) هذا وما بعده من قصة أوس بن خولي وقصة القَطيفة من تتمّة خبره عن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس المتقدم تخريجه.

(٢) القَطيفة: كساء غليظ.

(٣) لم يسند ابن إسحاق خبر المغيرة هذا، وكذلك رواه عنه يونسُ بن بكير عند البيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٥٧.

وقد روي في نزول المغيرةِ القبرَ روايات مختلفة مضطربة، كما في «الطبقات» لابن سعد ٥/ ١٧٦-١٧٧، وأحسنها ما رواه أبو عمران الجَوْني عن أبي عَسِيم قال: لمّا وُضِعَ رسول الله ﷺ في لحده قال المغيرة بن شعبة: إنه قد بقي من قِبَلِ رجليه شيء لم تُصلِحوه، قالوا: فادخل فأصلِحه، فدخل فمسَّ قدميه، ثم قال: أَهِيلوا عليّ التراب، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصافَ ساقيه، فخرج فجعل يقول: أنا أحدثُكم عهداً برسول الله ﷺ. =

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن مِقسَمٍ أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نَوفَلٍ، عن مولاه عبدِ الله بن الحارث قال: اعتمرتُ مع عليٍّ ابن أبي طالبٍ في زمانِ عمر أو زمانِ عثمان، فنَزَلَ على أختِه أمِّ هانئٍ بنت أبي طالبٍ، فلمّا فَرَغَ من عُمرتِه رجع فسُكِبَ له غُسلٌ فاغتَسَلَ، فلمّا فَرَغَ من غُسلِه دخل عليه نَفَرٌ من أهلِ العراق، فقالوا: يا أبا حَسَن، جِئْنا نسألُك عن أمرٍ نُحِبُّ أن تُخبِرَنا عنه، قال: أظُنُّ المغيرةَ بن شُعبةَ يحدِّثُكم أنّه كان أحدثَ النّاسِ عهداً برسول الله ﷺ؟! قالوا: أجَلْ، عن ذلك جِئْنا نسألُك، قال: كَذَبَ[1]، قال: أحدثُ النّاسِ عهداً برسول الله ﷺ قُثَمُ بن عبّاسٍ[2].

= وهذا أخرجه أحمد أيضاً في «مسنده» (٢٠٧٦٦) بنحوه، وأبو عسيم هذا قد تشكّك أبو القاسم البغوي في صُحبته فقال ـ فيما نقله عنه ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٢٧٥ ـ: لا أدري له صحبة أم لا.

وقد روى الواقديُّ ما ينفي نزول المغيرة في القبر، فقد أخرج البيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٥٨ من طريقه عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مرسلاً قال: أَلقى المغيرة خاتمه في قبر النبي ﷺ، فقال علي: إنما ألقيتَه لتقول: نزلتُ في قبر النبي ﷺ فنزل فأعطاه أو أمر رجلاً فأعطاه.

ولذلك قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٨/ ١٤٧: هذا الذي ذُكر عن المغيرة بن شعبة، لا يقتضي أنه حصل له ما أمّله، فإنه قد يكون عليٌّ رضي الله عنه لم يمكِّنه من النزول في القبر، بل أمر غيرَه فناوله إياه.

(١) المراد بالكذب هنا الخطأ، وقد استعملت العربُ الكذبَ في موضع الخطأ كما بيّن ذلك ابنُ الأثير في «النهاية» ٤/ ١٥٩.

(٢) إسناده جيّد.

وأخرجه أحمد (٧٨٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٠٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٨٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٥٧ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالحُ بن كَيْسانَ، عن الزُّهْريِّ، عن عُبيدالله بن عبدالله ابن عُتْبة، أنّ عائشة حدَّثته قالت: كان على رسول الله ﷺ خَمِيصةٌ سوداءُ[1] حين اشتَدَّ به وَجَعُه، قالت: فهو يَضَعُها مرّةً على وجهِه ومرّةً يَكشِفُها عنه ويقول: «قاتَلَ اللهُ قوماً اتَّخَذُوا قُبورَ أنبيائِهم مساجدَ»، يَحذَرُ من ذلك على أُمّتِه[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالحُ بن كَيْسان، عن الزُّهْريّ، عن عُبيدالله بن عبدالله ابن عُتْبة، عن عائشة قالت: كان آخرَ ما عَهِدَ رسولُ الله ﷺ أنْ قال: «لا يُتْرَكُ بجَزيرةِ العربِ دِينَانِ»[3].

= وسقط في مطبوع «المشكل» من إسناده مقسمٌ.

(١) خميصة سوداء: هي كِساء أسود من خزٍّ أو صوف مُعلَم، أي: عليه أعلام، وهي رسومات تُنقَش على الثياب.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٥٤) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه إبراهيم بن سعد أيضاً عن صالح بن كيسان بلا واسطة فيما أخرجه أحمد (٢٦٣٥٣)، والنسائي أيضاً (٧٠٥٣). وقرن بعائشة ابنَ عباس.

وكذلك رواه عنهما كليهما جمهورُ أصحاب الزهري عنه فيما أخرجه أحمد (١٨٨٤)، والبخاري (٤٣٥) و(٣٤٥٣) و(٤٤٤٣) و(٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١)، والنسائي في «المجتبى» (٧٠٣) و«الكبرى» (٧٨٤) و(٧٠٥٢)، وابن حبان (٦٦١٩). ولفظه عندهم: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ورواه عن عائشة أيضاً بنحوه عروةُ بن الزبير عند أحمد (٢٤٥١٣)، والبخاري (١٣٣٠) و(٤٤٤١)، ومسلم (٥٢٩)، وسعيدُ بن المسيّب عند أحمد (٢٥١٢٩)، والنسائي في «المجتبى» (٢٠٤٦) و«الكبرى» (٢١٨٤)، وابن حبان (٢٣٢٧).

(٣) حديث صحيح رجاله ثقات، لكن اختُلف على ابن إسحاق في وصله وإرساله. =

قال ابن إسحاق: ولمّا تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ عَظُمَت به مصيبةُ المسلمين، فكانت عائشةُ ـ فيما بَلَغَني ـ تقول: لمّا تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ ارتَدَّتِ العربُ، واشرَأَبَّت[١] اليهوديّةُ والنصرانيّةُ، ونَجَمَ[٢] النِّفاقُ، وصار المسلمون كالغَنَمِ المَطِيرةِ في اللّيلةِ الشّاتيةِ لفَقْدِ نبيِّهم ﷺ، حتّى جَمَعَهم الله على أبي بكرٍ[٣].

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدةَ وغيرُه من أهلِ العلم: أنّ أكثرَ أهلِ مكّة لمّا تُوفّيَ رسول الله ﷺ هَمُّوا بالرُّجوعِ عن الإسلام وأرادوا ذلك، حتّى خافَهم عَتّابُ بن أَسِيدٍ[٤] فتَوارَى، فقام سُهَيلُ بن عمرٍو فحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه، ثمّ ذَكَرَ وفاةَ رسول الله ﷺ وقال: إنّ ذلك لم يَزِدِ الإسلامَ إلّا قوّةً، فمَن رابَنا[٥] ضَرَبْنا عُنُقَه، فتراجعَ النّاسُ وكَفُّوا عمّا هَمُّوا به، وظَهَرَ عتّابُ بن أَسِيدٍ.

= فقد رواه موصولاً أيضاً عن ابن إسحاق إبراهيمُ بن سعد عند أحمد (٢٦٣٥٢)، ومحمدُ بن سلمة عند الطبري في «تاريخه» ٣/ ٢١٤-٢١٥، والطبراني في «الأوسط» (١٠٦٦).

وأما الرواية المرسلة، فقد تقدّمت عند المصنف ٣/ ٤٧٥، فانظر تخريجها وشواهد الحديث هناك.

(١) أي: ارتفعت وعَلَت.

(٢) أي: ظَهَر.

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ عند غير المصنف، وقد روى نحوه ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٧٢ (٣٨٢١٠-عوامة) وأحمد في «فضائل الصحابة» (٦٨) من حديث القاسم بن محمد عن عائشة أنها كانت تقول: قُبِضَ النبي ﷺ فارتدَّت العرب، واشرأبَّ النفاق بالمدينة، فلو نزل بالجبال الرواسي ما نزل بأَبي لهاضَها (أي: كسرها)، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أَبي بحظِّها وعَنائها في الإسلام.

(٤) وكان رسول الله ﷺ قد استعمله على مكة بعد الفتح.

(٥) من رابَنا، أي: من رأينا منه ما يَرِيبُنا ونَكرَهه منه.

فهذا المَقامُ الّذي أراد رسولُ الله ﷺ في قوله لعمر بن الخَطّاب: «إنَّه عسى أنْ يقومَ مَقاماً لا تَذُمُّه»[1].

(١) لم نقف عليه مسنَداً بهذا اللفظ، وقد تقدم الكلام عليه ٢/ ٣٦٨.

شعرُ حسّان بن ثابت في مَرثِيَتِه رسولَ الله ﷺ

وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي رسولَ الله ﷺ، فيما حدَّثنا ابن هشامٍ عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ[1]:

بطَيْبةَ رَسْمٌ للرّسولِ ومَعهَدُ ... مُنيرٌ وقد تَعفُو الرُّسومُ وتَهمُدُ[2]

ولا تَمتَحي الآياتُ من دارِ حُرْمةٍ ... بها مِنبَرُ الهادي الّذي كان يَصعَدُ[3]

وواضحُ آثارٍ وباقي مَعالمٍ ... ورَبْعٌ له فيه مُصلًّى ومسجدُ[4]

بها حُجُراتٌ كان يَنزِلُ وَسْطَها ... من الله نورٌ يُستَضاءُ ويُوقَدُ[5]

مَعارِفُ لم تُطمَسْ على العهدِ آيُها ... أتاها البِلَى فالآيُ منها تُجدَّدُ[6]

عَرَفتُ بها رَسْمَ الرّسولِ وعَهْدَهُ ... وقبراً بها واراه في التُّربِ مُلحِدُ[7]

ظَلَلتُ بها أَبكي الرّسولَ فأسعَدَت ... عيونٌ ومِثْلاها من الجِنِّ[8] تُسعِدُ

---

(١) انظر «ديوان حسان» ١/ ٤٥٥.

(٢) طَيْبة: اسم مدينة النبي ﷺ. والرَّسْم: الأثر، ورَسْم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض.

والمَعهَد: المنزل الذي لا يزال القوم إذا ابتعدوا عنه رجعوا إليه، وهو أيضاً المنزل الذي كنت تَعهَدُ به هوًى لك. وتعفو: تنمحي وتتغيّر. وتهمد: تَبلَى.

(٣) تمتحي: تزول. والآيات: العلامات.

(٤) المعالم: جمع مَعلَم، وهو ما يُعرَف به الشيء. والرَّبْع: المَحَلّة.

(٥) الحجرات: جمع حُجْرة، يعني مساكنَه ﷺ.

(٦) لم تطمس، أي: لم تتغيّر.

(٧) الرَّسم: الأثر. والعَهد: كالمَعهَد، وقد سبق شرحه. المُلحِد: الذي يضع الميت في لَحْده.

(٨) هكذا في نسخنا غير (ش١) و(ف) ففيهما: الحنّ، بالحاء من الحنين، وفي طبعة السقا =

يُــذكِّرنَ آلاءَ الرّســولِ ومــا أَرى ... لهــا مُحصِــياً نَفْسِــي فنَفْســي تبَلَّــدُ[1]

مُفجَّعــةً قــد شَــفَّها فَقْــدُ أحمــدٍ ... فظَلَّـــت لآلاءِ الرّســـولِ تُعــــدِّدُ[2]

ومــا بَلَغَــت مــن كــلِّ أمــرٍ عَشِــيرَه ... ولكــنْ لنفســي بعــدُ مــا قــد تَوَجَّــدُ[3]

أطالــت وُقوفــاً تَــذرِفُ العيــنُ جُهدَهــا ... علــى طَلَــلِ القبــرِ الّــذي فيــه أحمــدُ[4]

فبُورِكــتَ يــا قبــرَ الرّســولِ وبُورِكَــت ... بــلادٌ ثَــوَى فيهــا الرَّشــيدُ المُســدَّدُ[5]

وبُــورِكَ لَحــدٌ منــكَ ضُــمِّنَ طيِّبــاً ... عليــه بنــاءٌ مــن صَــفيحٍ مُنضَّــدُ[6]

تَهِيــلُ عليــه التُّــربَ أيــدٍ وأَعــيُنٌ ... عليــه وقــد غــارَت بــذلك أســعُدُ[7]

لقــد غَيَّبــوا حِلْمــاً وعِلمــاً ورحمــةً ... عَشِــيّةَ عَلَّــوهُ الثَّــرَى لا يُوسَّــدُ[8]

وراحُــوا بحُــزنٍ لــيس فــيهم نبــيُّهمْ ... وقــد وَهَنَــت مــنهم ظُهــورٌ وأعضُــدُ[9]

= وصاحبيه: الجفن.

وتُسعِد، أي: تُعِين. يريد أن عيون الإنس والجنِّ تبكيه ﷺ.

(١) الآلاء: النِّعَم، جمع ألًى وإلًى.

وتَبلَّدُ، أي: تتبلَّد، يعني تلحقها حَيْرة ودهشة.

(٢) شفَّها، أي: أضعَفَها وأهزلها.

(٣) العَشِير هنا: العُشْر. وتَوجَّدُ، أي: تتوجّد، من الوَجْد، وهو الحزن.

(٤) تَذرِف العين: تَسِيل بالدمع. والطَّلَل: ما بقي من آثار الدار وغيرها.

(٥) ثَوَى: أقام.

(٦) الصفيح: الحجارة الرقيقة العريضة. والمنضَّد: الذي رُصِف بعضه على بعض.

(٧) تَهِيل، بفتح التاء وضمّها: تصبّ. وغارت، أي: اختفت وذهبت. وأسعُد: جمع سَعْد، أحد سُعود النجوم.

(٨) لا يُوسَّد، أي: لا يُجعَل له وِسادٌ، يعني في القبر.

(٩) وَهَنَت، أي: ضعُفت وفتَرَت من الحزن.

يُبكُّون مَن تَبْكي السّماواتُ يومَهُ ... ومَن قد بَكَته الأرضُ فالناسُ أكمَدُ[1]

وهل عَدَلَت يوماً رَزِيّةُ هالكٍ ... رَزِيّةَ يومٍ ماتَ فيه محمّدُ[2]

تَقطَّعَ فيه مُنزَلُ الوحيِ عنهمُ ... وقد كان ذا نورٍ يَغُورُ ويُنجِدُ[3]

يدُلُّ على الرَّحمن مَن يَقتَدي بهِ ... ويُنقِذُ من هَوْلِ الخزايا ويُرشِدُ

إمامٌ لهم يَهدِيهم الحقَّ جاهداً ... مُعلِّمُ صِدقٍ إن يُطِيعوهُ يَسعَدوا

عَفوٌّ عن الزَّلّاتِ يَقبَلُ عُذرَهمْ ... وإن يُحسِنوا فاللهُ بالخيرِ أجوَدُ

وإن نابَ أمرٌ لم يقوموا بحَمْلِه ... فمِن عندِه تيسيرُ ما يَتَشدَّدُ

فبَيْنا هُمُ في نِعمةِ الله؛ وَسْطَهمْ[4] ... دليلٌ به نَهْجُ الطّريقةِ يُقصَدُ

عزيزٌ عليه أن يَجُوروا عن الهُدَى ... حريصٌ على أن يَستَقيموا ويَهتَدُوا[5]

عَطُوفٌ عليهم لا يُثنّي جَناحَهُ ... إلى كَنَفٍ يَحنُو عليهم ويَمهَدُ[6]

---

(١) يُبكُّون، أي: يَبكُون عليه. وأكمد: أحزن.

(٢) الرَّزِيّة: المصيبة والفجيعة.

(٣) يغور، أي: يبلغ الغَوْر، وهو المنخفض من الأرض. ويُنجِد: يبلغ النَّجْد، وهو المرتفع من الأرض.

(٤) في (ق٢): بينهم.

وقوله: وسطهم دليل... إلخ، بيانٌ لنعمة الله التي هم فيها، وجواب قوله: فبَيْنا، قولُه: إذ غَدَا إلى نورهم سهمٌ من الموت مُقصِد، وقد أعاد فبَيْنا في ذلك البيت لطول ما بين فبَيْنا هنا وجوابها هناك، قاله البرقوقي في «شرح ديوان حسان» ص٩٣.

ونَهْج الطريقة، أي: الطريق البيِّن الواضح.

(٥) يجوروا عن الهدى، أي: يَحِيدوا ويميلوا عنه.

(٦) لا يثنّي جناحه، أي: لا يصرف عطفه عن أحد. والكَنَف: الجانب والناحية. ويَمهَد، أي: يتواضع لهم، من قولك: مهدت له المكان، أي: جعلته له وطيّاً سهلاً.

فبَيْنَا هُمُ في ذلكَ النُّورِ، إذ غَدَا ... إلى نُورِهم سهمٌ من الموتِ مُقصِدُ[1]
فأصبحَ محموداً إلى الله راجعاً ... يُبكِّيهِ حَقُّ المُرسَلاتِ ويُحمَدُ[2]
وأمسَتْ بلادُ الحُرْمِ وَحْشاً بِقاعُها ... لغَيْبَةِ ما كانت من الوحيِ تَعهَدُ[3]
قِفَاراً سوى معمورةِ اللَّحدِ ضافَها ... فَقِيدٌ يُبكّيهِ بَلاطٌ وغَرقَدُ[4]
ومسجدُه فالمُوحِشاتُ لفَقْدِهِ ... خَلَاءٌ له فيه مَقامٌ ومَقعَدُ
وبالجَمْرةِ الكُبرى له ثَمَّ أَوحَشَت ... ديارٌ وعَرْصاتٌ ورَبْعٌ ومَولِدُ[5]
فبَكِّي رسولَ الله يا عَينِ عَبْرةً ... ولا أعرِفَنْكِ الدّهرَ دمعُكِ يَجمُدُ
وما لكِ لا تَبكِينَ ذا النِّعمةِ الّتي ... على النّاسِ منها سابغٌ يَتَغمّدُ[6]
فجُودِي عليه بالدّموعِ وأَعْوِلي ... لفَقْدِ الّذي لا مِثلُه الدَّهرَ يُوجَدُ[7]
وما فَقَدَ الماضونَ مِثلَ محمّدٍ ... ولا مِثلُه حتّى القيامةِ يُفقَدُ
أعَفَّ وأَوفَى ذِمّةً بعدَ ذِمّةٍ ... وأقربَ منه نائلاً لا يُنكَّدُ[8]

---

(١) مُقصِد: مُصِيب، يقال: أقصَدَ السهمُ، إذا أصاب فقتل.

(٢) يبكِّيه، أي: يبكي عليه.

والمرسلات هنا: الملائكة، قال الخشنيُّ في «إملائه» ص٤٦٤: ومن رواه: جنّ المرسلات، فيريد أنهم مستورون عن أعين الآدميّين.

(٣) بلاد الحُرْم، بضم الحاء وكسرها: يعني مكة وما اتّصل بها من الحَرَم.

(٤) قِفاراً، أي: مُقفِرة خالية. وضافها: نزل بها. وبلاط: مستوٍ من الأرض. والغَرقَد: شجر. وأراد بمعمورة اللّحد: المدينة المنوَّرة، المعمورة بقبره ﷺ.

(٥) عَرْصات: ساحات، واحدها: عَرَصة، وسكّنت الراء ضرورةً.

(٦) سابغ: كثير تامّ واسع. ويتغمّد: يغمر ويستر.

(٧) أعْوِلي: ارفعي صوتك بالبكاء.

(٨) النائل: ما تناله، أي: العطاء. ولا يُنكَّد، أي: لا يكدَّر بالمنِّ الذي يُفسِد النائل.

وأبـذَلَ منـه للطَّريـفِ وتالِـدٍ ... إذا ضَـنَّ مِعطـاءٌ بمـا كـانَ يُتلَـدُ[(١)]

وأكـرمَ صِـيتاً في البيـوتِ إذا انتَمَـى ... وأكـرمَ جَـدّاً أبطَحيّـاً يُسـوَّدُ[(٢)]

وأمنَـعَ ذِرْوَاتٍ وأثبَـتَ في العُـلَا ... دعـائمَ عِـزٍّ شـاهقاتٍ تُشـيَّدُ[(٣)]

وأثبـتَ فَرْعـاً في الفُـروعِ ومَنبِتـاً ... وعُـوداً غَـذَاه المُـزْنُ فـالعُودُ أغيَـدُ[(٤)]

رَبَـاهُ وَليـداً فاسـتَتَمَّ تمامُـهُ ... علـى أكـرمِ الخيـراتِ ربٌّ مُمجَّـدُ

تَناهَـت وَصَـاةُ المسـلمينَ بكَفِّـهِ ... فـلا العِلمُ محبوسٌ ولا الرّأيُ يُفنَدُ[(٥)]

أقـولُ ولا يُلقَـى[(٦)] لمـا قلـتُ عائـبٌ ... مـن النـاسِ إلّا عـازِبُ العَقـلِ مُبعَـدُ

ولـيس هَـوَائي نازعـاً عـن ثَنائـهِ ... لَعلّـي بـه في جنّـةِ الخُلـدِ أَخلُـدُ

مـعَ المصـطفَى أرجـو بـذاكَ جِـوارَهُ ... وفي نَيـلِ ذاكَ اليـومِ أَسـعَى وأَجهَـدُ

---

(١) الطريف: المال المستحدَث. والتالد: المال القديم الموروث. وضنّ: بَخِل. ويُتلَد، أي: يُكتسَب قديماً.

(٢) الصِّيت: الذِّكر الحسن، وهو كذلك في نسختَي (ش١) و(ش٢): وأكرمَ ذِكراً. والأبطحيّ: المنسوب إلى أَبطَح مكة، وهو موضع سهل متّسع.

(٣) الذِّروات: الأعالي. والعُلا: الرِّفعة والشرف. وشاهقات: مرتفعات، وفي (ت) و(ص) و(ط) و(ق٢) و(م): شامخات.

(٤) المُزن: السحاب. وأغيَد: ناعمٌ متثنٍّ.

(٥) تناهَت، أي: انتهت، والوَصاة: الوصيّة، والمراد بها هنا كما قال البرقوقيُّ في «شرحه» ص٩٦: ما يتلقّاه المسلمون من السيّد الرسول ﷺ، وقوله: بكفّه، فالكفُّ هنا تمثيل لما عنده ﷺ من العلوم وكأنه في قبضة يده. ويُفنَد، أي: يعاب، والفَنَد: الخطأ في الرأي.

(٦) في (ق٢) و(م): ولا يُلفَى، بالفاء، أي: لا يوجد، وعلى حاشيتهما إشارة إلى نسخة فيها مكان «لما قلت»: لقولي.

وعازِبُ العقل: بعيد العقل.

وقال حسّانُ بن ثابتٍ أيضاً يبكي رسولَ الله ﷺ[1]:

مـا بـالُ عينِـكَ لا تنـامُ كأنّمـا ... كُحِلَـت مَآقِيهـا بكُحـلِ الأَرمَـدِ[2]

جَزَعـاً على المَهـديِّ أصبحَ ثاوِيـاً ... يا خيـرَ مَن وَطِئَ الحَصَى لا تَبعَدِ

وجهي يَقِيكَ التُّربَ لَهْفِي لَيتَني ... غُيِّبـتُ قبلَـكَ في بَقيـعِ الغَرقَـدِ[3]

بـأبي وأُمّـي مَـن شَـهِدتُ وفاتَـهُ ... في يـومِ الاثنـينِ النبـيُّ المُهتـدِي

فظَلَلْـتُ بعـدَ وفاتِـه مُتَبلِّـداً ... مُتَلـدِّداً يـا لَيتَنـي لـم أُولَـدِ[4]

أأُقِـيمُ بعـدَكَ بالمدينـةِ بينَهُمْ ... يـا لَيتَنـي صُبِّحتُ سَمَّ الأَسـوَدِ[5]

أو حَـلَّ أمـرُ الله فينـا عـاجلاً ... في رَوْحـةٍ مـن يومِنـا أو في غـدِ[6]

فتقـومَ سـاعتُنا فنَلْقـى طيِّبـاً ... مَحْضـاً ضَـرائبُه كـريمَ المَحتِـدِ[7]

يـا بِكـرَ آمنـةَ المبـارَكِ بِكرُهـا ... وَلَدَتـهُ مُحصَـنةً بسَـعْدِ الأَسـعُدِ[8]

نـوراً أضـاءَ علـى البَرِيّـةِ كلِّهـا ... مـن يُهـدَ للنّـورِ المبـارَكِ يَهتَـدي

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٢٦٩.

(٢) المَآقي: مجاري الدموع من العين، الواحد: مَأْق ومُؤْق. والأرمد: الذي يشتكي وجعَ عينيه.

(٣) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٤) المتبلِّد والمتلدِّد: من أدركته حَيرةٌ.

(٥) صُبِّحت، أي: سُقِيتُ صباحاً. والأسود: ضرب من الحيّات.

(٦) أصل الغَدِ: هو اليوم الذي يأتي بعد يومك، ولم يُرِد حسان الغدَ بعينِه، وإنما أراد القريب من الزمان، والرَّوحة: من الرَّوَاح، وهو من بعد زوال الشمس إلى الليل.

(٧) الضرائب: جمع ضَريبة، وهي الطبيعة والسَّجيّة. والمَحتِد: الأصل.

(٨) المحصَنة: العفيفة. وسعد الأسعُد: يريد سعد السُّعود، أحد منازل القمر، أي: باليُمن والبركة، والعرب تتيمّن بسعد السعود.

يـا رَبِّ فاجمَعْنـا معـاً ونبيَّنـا ... في جنّـةٍ تَثنِـي عيـونَ الحُسَّـدِ[1]

في جنّـةِ الفِـردَوسِ فاكتُبْهـا لنـا ... يـا ذا الجَـلالِ وذا العُـلَا والسُّـودَدِ

واللهِ أسـمَعُ مـا بَقِيـتُ بهالـكٍ ... إلّا بَكَيـتُ علـى النبـيِّ محمّـدِ[2]

يـا وَيـحَ أنصـارِ النبـيِّ ورَهْطِـهِ ... بعـدَ المُغيَّـبِ في سَـواءِ المَلحَـدِ[3]

ضـاقَتْ بالأَنْصـارِ الـبلادُ فأصبَحوا ... سُـوداً وُجـوهُهم كلَـونِ الإثمِـدِ[4]

ولقـد وَلَـدْناه وفينـا قبـرُه ... وفُضـولُ نِعمَتِـه بنـا لـم تُجحَـدِ[5]

واللهُ أكرَمَنـا بـه وهَـدَى بـهِ ... أنصـارَه في كـلِّ سـاعةِ مَشـهَدِ

صَـلَّى الإلـهُ ومَـن يَحُـفُّ بعَرشِـهِ ... والطّيِّبـون علـى المُبـارَكِ أحمـدِ

قال ابن إسحاق: وقال حسّانُ بن ثابتٍ يبكي رسولَ الله ﷺ[6]:

نَـبِّ المسـاكينَ أنّ الخيـرَ فـارَقَهم ... مـع النبـيِّ تَـوَلَّى عـنهمُ سَـحَرا[7]

مَن ذا الّذي عنده رَحْلي وراحلتي ... ورِزقُ أهلي إذا لـم يُؤنِسوا المَطَـرا[8]

أم مَـن نُعاتِـبُ لا نَخشَـى جَنادِعَـهُ ... إذا اللّسـانُ عَتَـا في القـولِ أو عَثَـرا[9]

---

(١) تثني، أي: تصرف وتدفع.

(٢) واللهِ أسمعُ، أي: والله لا أسمعُ.

(٣) سواء الملحد، أي: وسط القبر.

(٤) الإثمد: كحل أسود يكتحل به.

(٥) ولدناه: يشير إلى أن بني النَّجّار أخوال النبي ﷺ من قِبَل آبائه.

(٦) انظر «ديوانه» ١/ ٤٢١.

(٧) نبِّ، أي: نبِّئ وأَعلِم، سهّله لضرورة الشعر.

(٨) لم يؤنسوا المطر، أي: لم يبصروه ويروه. يشير إلى عِظَم جُود النبي ﷺ وسَعَة كرمه في العطاء.

(٩) الجنادع: أوائل الشر. وعتا: زاد وطغى.

كـان الضِّـياءَ وكـان النّـورَ نَتبَعُـهُ ... بعـدَ الإلـهِ وكـان السّمعَ والبَصَـرا

فلَيْتَنـا يـومَ وارَوْهُ بمَلحَـدِهِ ... وغَيَّبـوه وأَلقَـوْا فوقَـه المَـدَرا[1]

لـم يَتْـرُكِ الله منّـا بعـدَه أحـداً ... ولـم يُعِشْ بعـدَه أُنثى ولا ذَكَـرا

ذَلَّـت رِقـابُ بنـي النَّجّـارِ كلِّهـمِ ... وكـان أمـراً مـنَ أمـرِ الله قـد قُـدِرا

واقتُسِـمَ الفَـيءُ دونَ النّـاسِ كلِّهـمِ ... وبَـدَّدُوه جِهـاراً بيـنهم هَـدَراً[2]

وقال حسّان بن ثابتٍ أيضاً يبكي رسولَ الله ﷺ[3]:

آلَيتُ مـا في جميـعِ النّاسِ مُجتَهِـداً ... منّـي أَلِيّـةَ بَـرٍّ غيـرَ إفنـادِ[4]

تـاللهِ مـا حَمَلَـت أُنثـى ولا وَضَـعَت ... مِثـلَ الرّسـولِ نبـيِّ الأُمّـةِ الهـادي

ولا بَـرَا اللهُ خَلْقـاً مـن بَرِيّتِـهِ ... أَوفَـى بذِمّـةِ جـارٍ أو بمِيعـادِ

مـنَ الّـذي كـان فينـا يُستَضـاءُ بـهِ ... مُبـارَكَ الأمـرِ ذا عَـدلٍ وإرشـادِ

أمسـى نِسـاؤُك عَطَّلـنَ البُيـوتَ فمـا ... يَضـرِبنَ فـوقَ قَفَـا سِـتْرٍ بأَوتـادِ[5]

مِثـلَ الرَّواهـبِ يَلبَسـنَ المَبـاذِلَ قَـدْ ... أَيقَـنَّ بـالبُؤسِ بعـدَ النِّعمـةِ البـادي[6]

يـا أفضـلَ النّـاسِ إنّـي كنـتُ في نَهَـرٍ ... أصبحتُ منه كمِثْلِ المُفـرَدِ الصَّـادي[7]

---

(١) المَدَر: الطين والتراب.

(٢) بدَّدوه، أي: فرَّقوه. وهدراً، أي: باطلاً.

(٣) انظر «ديوانه» ١/ ٢٧٢.

(٤) الأليّة: اليمين والحَلِف. والإفناد: العيب.

(٥) قفا ستر، أي: خلفه ووراءه.

(٦) المباذل: جمع مِبذَل، وهو الثوب الذي يُبتذَل فيه.
والبادي: الظاهر، وهو صفة للبُؤس.

(٧) كنت منك في نهر، يريد: كنت ريّان. والصادي: العاطش.

قال ابن هشام: عَجُزُ البيتِ الأوَّلِ عن غير ابن إسحاق[1].

تمَّ كتاب سيرة
سيّدنا محمّد رسول الله ﷺ[2]

(١) جاء في آخر نسخة (ش٢) وآخر نسخة عندنا من مكتبة فاضل باشا بتركيا:

أنشدني أبو محمد عبد الواحد عن محمد بن عبد الرَّحيم البَرْقي قال: أَوعَب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتابَ «السيرة» وبحضرته رجل من فصحاء العرب وذوي علمهم، فقال في ذلك:

تمَّ الكتابُ وصار في الفرضِ عشرين جزءاً كلُّها تُرضِي

كَمُلَت بلا لحنٍ ولا خَطْلٍ في الشكلِ والإعجامِ والقَرْضِ

والحِملُ درٌّ صحَّ تحمُّله بعضٌ من العلماءِ عن بعضِ

قلنا: والشطر الأول من البيت الأخير هكذا وقع في النسختين، وهو مكسورٌ غير موزون.

* * *

(٢) تمَّ بحمد الله وتوفيقه الانتهاءُ من تحقيق وتخريج نصوص هذا السِّفر الجليل في النصف من شهر شوّال سنة ١٤٤٢هـ، الموافق لآخر شهر أيار سنة ٢٠٢١م، وكان البَدءُ بالعمل فيه في العشر الأوسط من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٤٠هـ، الموافق للنصف من شهر أيار سنة ٢٠١٩م، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.



فهرس الجزء الأول



فهرس الجزء الثاني



فهرس الجزء الثالث



فهرس الجزء الرابع

ثبت بمراجع التحقيق

١ . إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر البوصيري (ت: ٨٤٠هـ)، دار الوطن - الرياض، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢ . إثبات عذاب القبر، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق شرف القضاة، دار الفرقان- عمّان، ١٤٠٥هـ.

٣ . الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، تحقيق باسم الجوابرة، دار الراية- الرياض، ١٩٩١م.

٤ . الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار خضر- بيروت، ٢٠٠٠م.

٥ . الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة- بيروت.

٦ . أخبار مكة، للأزرقي (ت: ٢٥٠هـ)، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس- بيروت.

٧ . أخبار مكة، للفاكهي (ت: ٢٧٢هـ)، تحقيق عبد الملك دهيش، دار خضر- بيروت، ١٤١٤هـ.

٨ . الاختيارين المفضليات والأصمعيات، للأخفش الأصغر (ت: ٣١٥هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩ . الإخوان، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٨م.

١٠ . أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها، لأبي القاسم الوزير المغربي (ت: ٤١٨هـ)، دار اليمامة- الرياض، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١١. الأدب المفرد، للبخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٢. أساس البلاغة، للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣. أسباب النزول، لعلي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تصحيح وتخريج عادل مرشد، دار الأعلام - عمَّان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٥. أسد الغابة، لعز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٩م.

١٦. الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٩٧م.

١٧. الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، لمغلطاي الحنفي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق محمد نظام الدين الفُتَيِّح، دار القلم - دمشق، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٨. الاشتقاق، لابن دريد (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٩. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٠. الأصمعيات، لعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف- القاهرة، ١٩٩٣م.

٢١. الأصنام، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٢. الأضداد، لأبي بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٨٧م.

٢٣. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٤. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، لأبي سليمان الخطابي، تحقيق محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٢٥. الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ)، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٢٧م.

٢٦. الاكتفا بما تضمّنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى الكلاعي (ت: ٦٣٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٧. إكمال الإعلام بتثليث الكلام، لابن مالك الطائي الجياني (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٢٨. إكمال المُعلِم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء – مصر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٩. إكمال تهذيب الكمال، لعلاء الدين مغلطاي الحنفي(ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق عادل بن محمد، وأسامة بن إبراهيم، دار الفاروق الحديثة- القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٠. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، للأمير هبة الله ابن ماكولا (ت: ٤٧٧هـ)، تحقيق المعلّمي اليماني، حيدرآباد، ١٩٦٢م.

٣١. الأم، للشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء - المنصورة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٢. الأماكن، لزين الدين محمد بن موسى الحازمي (ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.

٣٣. أمالي المحاملي (ت: ٣٣٠هـ) برواية ابن مهدي الفارسي (ت: ٤١٦هـ)، تحقيق حمدي السلفي، دار النوادر- بيروت، ٢٠٠٦م.

٣٤. الأمالي لأبي القاسم بن بشران (ت: ٤٣٠هـ)، دار الوطن- الرياض، ١٩٩٧م.

٣٥. الأمالي، لأبي علي القالي (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٢٦م.

٣٦. الأمالي، للزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، ١٩٨٧م.

٣٧. الأمالي، لمحمد بن العباس اليزيدي (ت: ٣١٠هـ)، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٩٣٨م.

٣٨. إمتاع الأسماع، للمقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٩. أمثال العرب، للمفضل الضبي (ت: نحو ١٦٨هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٠. الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون- بيروت، ١٩٨٠م.

٤١. الإملاء المختصر في شرح غريب السير، لأبي ذرّ مصعب بن محمد الخُشَنى (ت: ٦٠٤هـ)، استخراج وتصحيح بولس برونله، مطبعة هندية- مصر، ١٣٢٩هـ.

٤٢. الأموال، لابن زنجويه (ت: ٢٥١هـ)، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل- الرياض، ١٩٨٦م.

٤٣. الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق سيد رجب، دار الهدي النبوي- المنصورة، دار الفضيلة- الرياض، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤٤. الإنباه على قبائل الرواة، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٨٥م.

٤٥. أنساب الأشراف، للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٦م.

٤٦. الأنساب، لأبي سعد السمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق المعلّمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٩٦٢م.

٤٧. الأنواء في مواسم العرب، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ).

٤٨. الأوائل، لابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر العجمي، دار الخلفاء - الكويت، ١٤٠٥هـ.

٤٩. الأوائل، لأبي عروبة الحراني (ت: ٣١٨هـ)، تحقيق مشعل بن باني الجبرين، دار ابن حزم- بيروت، ٢٠٠٣م.

٥٠. الأوائل، لأبي هلال العسكريّ (نحو ٣٩٥هـ)، دار البشير- طنطا، ١٤٠٨هـ.

٥١. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر (ت: ٣١٩هـ)، دار الفلاح بمصر، ٢٠٠٩م.

٥٢. الأولياء، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ١٤١٣هـ.

٥٣. الإيناس بعلم الأنساب، لأبي القاسم الوزير المغربي (ت: ٤١٨هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٥٤. البدء والتاريخ، لابن طاهر المقدسي (نحو ٣٥٥هـ) مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد.

٥٥. البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار هجر- مصر، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥٦. البرصان والعرجان والعميان والحولان، للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الجيل- بيروت، ١٤١٠هـ.

٥٧. البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت: نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق وداد القاضي، دار صادر - بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٨. البعث والنشور، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ١٩٨٨م.

٥٩. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لنور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة- المدينة المنورة، ١٩٩٢م.

٦٠. بلاد ينبع، لحمد الجاسر (ت: ١٤٢١ه).

٦١. بلاغات النساء، لابن طيفور (ت: ٢٨٠هـ)، تصحيح وشرح أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول - القاهرة، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.

٦٢. البلدان، لابن الفقيه (ت: ٣٦٥)، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦٣. البيان والتبيين، للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، مكتبة الهلال- بيروت، ١٤٢٣هـ.

٦٤. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، وزارة الإعلام- الكويت، ١٩٦٥م.

٦٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ٢٠٠٣م.

٦٦. تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٧م.

٦٧. تاريخ الخلفاء، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار الباز- السعودية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٦٨. تاريخ الخميس، للدياربكري (ت: ٩٦٦هـ)، دار صادر- بيروت.

٦٩. التاريخ الكبير، لابن أبي خيثمة (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق صلاح فتحي هلل، الفاروق الحديثة- القاهرة، ٢٠٠٦م.

٧٠. التاريخ الكبير، للبخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق المعلّمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٣٦٢هـ.

٧١. تاريخ المدينة، لعمر بن شبّة (ت: ٢٦٢هـ)، تحقيق فهيم شلتوت، ١٣٩٩هـ.

٧٢. تاريخ خليفة بن خياط، المعروف بشباب العصفري (ت: ٢٤٠هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم- دمشق، ١٣٩٧هـ.

٧٣. تاريخ دمشق، لأبي القاسم ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٥م.

٧٤. تاريخ مدينة السلام (بغداد)، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ٢٠٠١م.

٧٥. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٧٦. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع العدواني (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر.

٧٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٧٨. تخريج أحاديث الكشاف، للزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ١٤١٤هـ.

٧٩. ترتيب العلل الكبير للترمذي، لأبي طالب القاضي، تحقيق صبحي السامرائي وآخرين، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٩م.

٨٠. الترغيب والترهيب، لزكي الدين المنذري (ت: ٦٥٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٧هـ.

٨١. التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، لمحمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، نهضة مصر للطباعة- القاهرة.

٨٢. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر- بيروت، ١٩٩٦م.

٨٣. التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ)، تحقيق أبي لبابة حسين، دار اللواء للنشر- الرياض، ١٩٨٦م.

٨٤. التعريب والمعرَّب، لابن أبي الوحش (ت: ٥٨٢هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٨٥. تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار- المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.

٨٦. تفسير آدم بن أبي إياس، المطبوع باسم «تفسير مجاهد»، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية - بيروت.

٨٧. التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض، ١٤٣٠هـ

٨٨. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، طبعة هجر- مصر، ٢٠٠١ م.

٨٩. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، ١٤١٩هـ.

٩٠. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- الرياض، ١٩٩٩م.

٩١. تفسير القرآن، لابن المنذر (ت: ٣١٩هـ)، تحقيق سعد محمد السعد، دار المآثر- المدينة المنورة، ٢٠٠٢م.

٩٢. تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن هَمّام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٠هـ.

٩٣. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (ت: ٦٧١هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٩٤. التفسير الوسيط للواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود

وآخرين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩٥. تقريب التهذيب، بعناية عادل مرشد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ٢٠٠٢م.

٩٦. تقويم البلدان، لأبي الفداء، دار صادر - بيروت، مصورة عن دار الطباعة السلطانية - باريس، ١٨٤٠م.

٩٧. تقييد المهمل وتمييز المشكل، لأبي علي الجياني (ت: ٤٩٨)، تحقيق علي بن محمد العمران ومحمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٩٨. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، بعناية عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٩٩. تلخيص المتشابه في الرسم، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق سكينة الشهابي، دمشق، ١٩٨٥م.

١٠٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٠١. التنبيه والإشراف، لعلى بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة.

١٠٢. تهذيب إصلاح المنطق، للخطيب التبريزي (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة-بيروت، ١٩٨٣م.

١٠٣. تهذيب الآثار، لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٠٤. تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق عادل مرشد وعامر غضبان، دار الرسالة العالمية- بيروت، ٢٠٠٩م.

١٠٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٠ - ١٩٩٢م.

١٠٦. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث- بيروت، ٢٠٠١م.

١٠٧. تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم (ت: ٧٥١ه)، تحقيق علي العمران ونبيل السندي، دار عالم الفوائد، ١٤٣٨ه-٢٠١٧م.

١٠٨. توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٣م.

١٠٩. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ)، دار النوادر- دمشق، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١١٠. التيجان في ملوك حمير، لابن هشام الحميري (ت: ٢١٣ه)، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية- صنعاء.

١١١. الثقات، لابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٩٧٣م.

١١٢. جامع الآثار في السير ومولد المختار، لابن ناصر الدين الدمشقي (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق نشأت كمال، دار الفلاح، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١١٣. الجامع الكبير، للترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، بترقيم أحمد شاكر.

١١٤. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف- الرياض، ١٤٠٣هـ.

١١٥. جامع معمر بن راشد (ت: ١٥٣هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ملحق بمصنف عبد الرزاق، المجلس العلمي بباكستان، ط بيروت، ١٤٠٣هـ.

١١٦. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق المعلّمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ١٩٥٢م.

١١٧. جزء ما انتقى ابن مردويه على الطبراني، تحقيق بدر البدر، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١١٨ . جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١١٩ . الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، للمعافى بن زكريا (ت: ٣٩٠هـ)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

١٢٠ . جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر- القاهرة، ١٩٦٧م.

١٢١ . جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، دار الفكر-بيروت.

١٢٢ . جمهرة اللغة، لابن دريد (ت: ٣٢١هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

١٢٣ . جمهرة النسب، لابن الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية- دمشق.

١٢٤ . جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٢م.

١٢٥ . الجهاد، لابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، تحقيق مساعد بن سليمان الراشد، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ.

١٢٦ . الجهاد، لابن المبارك (١٨١هـ)، تحقيق نزيه حماد، الدار التونسية - تونس، ١٩٧٢م.

١٢٧ . الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، لابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، دار العاصمة- السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٢٨ . جوامع السيرة، لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار المعارف - مصر، ١٩٠٠م.

١٢٩ . الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، لمحمد بن أبي بكر التِّلمساني المعروف بالبُرِّي (ت: بعد ٦٤٥هـ)، تحقيق محمد التونجي، دار الرفاعي - الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣٠ . الحجّة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية – الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٣١ . حديث الإفك، لعبد الغني المقدسي (ت: ٦٠٠هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر (طبع مع مناقب النساء الصحابيات)، ١٩٩٤م.

١٣٢ . حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (البابي الحلبي)- القاهرة، ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م.

١٣٣ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة- القاهرة، ١٩٧٤م.

١٣٤ . الحيوان، للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي- القاهرة، ١٩٦٥م.

١٣٥ . الخراج، ليحيى بن آدم (ت: ٢٠٣هـ)، المطبعة السلفية- القاهرة، ١٣٨٤هـ.

١٣٦ . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٣٧ . الخصائص الكبرى، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٨ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للنسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا - الكويت، ١٤٠٦هـ.

١٣٩ . الخصائص، لابن جنّي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٤٠ . خلق أفعال العباد، للبخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء- الرياض، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

١٤١ . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم- دمشق.

١٤٢ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٤٣ . الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ١٤٠٣هـ.

١٤٤ . الدعاء، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٤٥ . الدعاء، للمحاملي (ت: ٣٣٠هـ)، تحقيق عمرو عبد المنعم، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ١٤١٤هـ.

١٤٦ . دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعجي، دار النفائس- بيروت، ١٩٨٦م.

١٤٧ . دلائل النبوة، لِقِوام السنة الأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ)، تحقيق محمد الحداد، دار طيبة- الرياض، ١٤٠٩هـ.

١٤٨ . دلائل النبوة، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٨م.

١٤٩ . الدلائل في غريب الحديث، لقاسم بن ثابت السرقسطي (ت: ٣٠٢هـ)، تحقيق محمد عبد الله القناص، مكتبة العبيكان- الرياض، ٢٠٠١م.

١٥٠ . دواوين شعراء متعددة.

١٥١ . ديوان الحماسة بشرح المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

١٥٢ . ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، دار الجيل- بيروت.

١٥٣ . ديوان الهذليّين، تعليق محمّد الشنقيطي، الدار القومية- القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١٥٤ . ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشمنتري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥م.

١٥٥ . الذرية الطاهرة النبوية، للدولابي (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق سعد المبارك الحسن، الدار السلفية - الكويت، ١٤٠٧هـ.

١٥٦ . رجال صحيح البخاري، للكلاباذي (ت: ٣٩٨هـ)، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٥٧ . الرِّقّة والبكاء، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم- بيروت، ١٩٩٨م.

١٥٨ . الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية- القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

١٥٩ . زاد المسير من أقوال أئمة التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي- بيروت.

١٦٠ . زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٧٩م.

١٦١ . الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر ابن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٢م.

١٦٢ . الزهد والرقائق، لابن المبارك (ت: ١٨١هـ)، تحقيق عادل مرشد، دار الفرقان- عمّان، ٢٠٢١م.

١٦٣ . الزهد، لأبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، دار المشكاة- حلوان، ١٩٩٣م.

١٦٤ . الزهد، لأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٩م.

١٦٥ . الزهد، لهناد بن السري (ت: ٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء - الكويت، ١٩٨٥م.

١٦٦ . الزهد، لوكيع بن الجراح (ت: ١٩٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٤م.

١٦٧ . زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ)، دار الجيل- بيروت (مصورة عن طبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٥٣م).

١٦٨ . الزهر الباسم في سير أبي القاسم، لمغلطاي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق أحسن عبد الشكور، دار السلام- القاهرة، ٢٠١٢م.

١٦٩ . الزهرة، لمحمد بن داود الأصبهاني (ت: ٢٩٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- عمّان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

١٧٠ . السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ١٤٠٠هـ.

١٧١ . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الشامي الصالحي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٧٢ . السنة، لابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧)، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٧٣ . السنة، لمحمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤هـ)، تحقيق سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٧٤ . سنن ابن ماجه (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأصحابه، دار الرسالة العالمية - بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م.

١٧٥ . سنن أبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأصحابه، دار الرسالة العالمية - بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م.

١٧٦ . السنن الصغرى (المجتبى) للنسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق رضوان عرقسوسي وآخرين، دار الرسالة العالمية- بيروت، ٢٠١٧م.

١٧٧ . السنن الكبرى، للبيهقي (٤٥٨هـ)، نشر مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند - حيدر آباد، ١٣٤٤هـ.

١٧٨ . السنن الكبرى، للنسائي (ت: ٣٠٣ه)، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٧٩ . السنن، لسعيد بن منصور (ت: ٢٢٧)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية- الهند، ١٩٨٢م.

١٨٠ . سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨١م.

١٨١ . السير، لأبي إسحاق الفزاري (ت: ١٨٨هـ)، تحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٧م.

١٨٢ . السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لعلي بن إبراهيم الحلبي (ت: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٧هـ.

١٨٣ . السيرة النبوية (كتاب السير والمغازي)، لابن إسحاق (ت: ١٥١هـ)، قطعة منه بتحقيق سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٨٤ . شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن الحسن السيرافي (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر- القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٨٥ . شرح أشعار الهذليين، لأبي سعيد السكّري (ت: ٢٧٥ه)، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة- القاهرة.

١٨٦ . شرح البخاري، لابن بطال (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد- الرياض، ٢٠٠٣م.

١٨٧ . شرح السنة، للبغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٢م.

١٨٨ . شرح الكافية الشافية، لابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٨٩ . شرح المواهب اللدنّية، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت: ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٩٠ . شرح ديوان الحماسة، لأحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت: ٤٢١هـ)، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٩١ . شرح ديوان الحماسة، ليحيى بن علي بن محمد التبريزي (ت: ٥٠٢هـ)، دار القلم - بيروت.

١٩٢ . شرح ديوان ذي الرُّمّة، لأبي نصر الباهلي (ت: ٢٣١هـ) برواية ثعلب، تحقيق عبد القدوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان- جدة، ١٩٨٢م.

١٩٣ . شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق همام سعيد، مكتبة المنار- الزرقاء، ١٩٨٧م.

١٩٤ . شرح قصيدة بانت سعاد، لابن هشام الأنصاري النحوي (٧٦١هـ)، تحقيق عبد الله الطويل، المكتبة الإسلامية- القاهرة، ٢٠١٠م.

١٩٥ . شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٤م.

١٩٦ . شرح معاني الآثار، لأبي جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، مطبعة الأنوار المحمدية - القاهرة.

١٩٧ . شرح نقائض جرير والفرزدق، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٨هـ)، تحقيق محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، المجمع الثقافي- أبو ظبي، ١٩٨٨م.

١٩٨ . شرح هاشميات الكميت، لأبي رياش القيسي، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٦م.

١٩٩ . شرف المصطفى، لأبي سعد الخركوشي (ت: ٤٠٧هـ)، تحقيق نبيل آل باعلوي، دار البشائر الإسلامية- مكة، ١٤٢٤هـ.

٢٠٠. الشريعة، لأبي بكر الآجري (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن- الرياض، ١٩٩٩م.

٢٠١. شعب الإيمان، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد- الرياض، ٢٠٠٣م.

٢٠٢. الشعر والشعراء، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف- القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٢٠٣. الشمائل المحمدية، لأبي عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق سيد الجليمي، المكتبة التجارية- مكة، ١٩٩٣م.

٢٠٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق حسين العمري ومطهر الإرياني ويوسف محمد، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٠٥. الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، نشر محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٠٦. الصبر والثواب، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠٧. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لأبي نصر الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي- القاهرة، ١٩٥٦م.

٢٠٨. صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٨م.

٢٠٩. صحيح أبي عوانة، يعقوب بن إبراهيم الإسفراييني (ت: ٣١٦هـ)، دار المعرفة- دمشق، ١٩٩٨م.

٢١٠. صحيح البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١١. صحيح مسلم (ت: ٢٦١هـ)، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١٢. الضعفاء الكبير، للعقيلي (ت: ٣٢٢هـ)، طبعة دار التأصيل، ٢٠١٣م.

٢١٣. الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، مكتبة الخانجي- القاهرة، ٢٠٠١م.

٢١٤. طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام الجمحي (ت: ٢٣٢هـ)، تحقيق محمود شاكر.

٢١٥. الطبقات، لخليفة بن خياط (ت: ٢٤٠هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٢١٦. العرش وما روي فيه، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت: ٢٩٧هـ)، تحقيق محمد خليفة التميمي، مكتبة الرشد- الرياض، ١٩٩٨م.

٢١٧. العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة- الرياض، ١٤٠٨هـ.

٢١٨. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي المالكي، مطبعة العامرة الشرفية بمصر سنة ١٣١٦هـ.

٢١٩. علل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، مطابع الحميضي- الرياض، ٢٠٠٦م.

٢٢٠. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية- فيصل آباد، ١٩٨١م.

٢٢١. العلل، للدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، دار طيبة- الرياض، ودار ابن الجوزي- الدمام.

٢٢٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٢٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، للحسن بن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت، ١٩٨١م.

٢٢٤. عمل اليوم والليلة، لابن السني (ت: ٣٦٤هـ)، دار القبلة- جدة.

٢٢٥. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال- بيروت.

٢٢٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسير، لابن سيد الناس، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٧م.

٢٢٧. عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٢٨. غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق سليمان العايد، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.

٢٢٩. غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

٢٣٠. غريب الحديث، لأبي سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر- دمشق، ١٩٨٢م.

٢٣١. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق محمد خان، دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد الدكن، ١٩٦٤م.

٢٣٢. غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، لبريك أبي مايلة العمري، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٢٣٣. غوامض الأسماء المبهمة، لابن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ)، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٣٤. الغيلانيّات، لأبي بكر الشافعي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق حلمي كامل أسعد، دار ابن الجوزي- الرياض، ١٩٩٧م.

٢٣٥. الفاخر، للمفضل بن سلمة (ت: نحو ٢٩٠هـ)، تحقيق عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ١٣٨٠هـ.

٢٣٦. فتح الباري بشرح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرنوؤط وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية – بيروت، ٢٠١٣م.

٢٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب البغدادي (ت: ٧٩٥هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ١٩٩٦م.

٢٣٨. فتوح البلدان، للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، مكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨م.

٢٣٩. فتوح مصر وأخبارها، لابن عبد الحكم (ت: ٢٥٧هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٦م.

٢٤٠. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٧١م.

٢٤١. الفصل للوصل المدرج في النقل، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق محمد مطر الزهراني، دار الهجرة- الرياض، ١٩٩٧م.

٢٤٢. فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٣م.

٢٤٣. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر- القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٤٤. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٨م.

٢٤٥. كتاب الأصنام، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٤٦. الكتاب، لسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٤٧. كشف المُشكِل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن- الرياض.

٢٤٨. الكنى والأسماء، لأبي بشر الدولابي (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم- بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٤٩. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف الكرماني (ت: ٧٨٦)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٥٠. اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار صادر- بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٥١. لسان العرب، لابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ١٩٥٥م.

٢٥٢. لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر- بيروت، ٢٠٠٢ م.

٢٥٣. المبعث والمغازي، لِقوام السنة الأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ)، تحقيق محمد الرباح، دار ابن حزم- بيروت، ٢٠١٠م.

٢٥٤. المتفق والمفترق، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد صادق الحامدي، دار القادري - دمشق وبيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٥٥. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٣٨١هـ.

٢٥٦. المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم- بيروت، ١٤١٩م.

٢٥٧. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي- حلب، ١٣٩٦هـ.

٢٥٨. مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني (ت: ٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت.

٢٥٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي - القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٦٠. المحاسن والأضداد، للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، مكتبة الهلال- بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢٦١. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصبهاني (ت: ٥٠٢هـ)،

دار الأرقم- بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٦٢ . المحبَّر، لمحمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق إيلزة شتيتر، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

٢٦٣ . محجة القُرَب إلى محبة العرب، للعراقي (ت: ٨٠٦هـ)، تحقيق عبد العزيز آل حمد، دار العاصمة، ٢٠٠٠م.

٢٦٤ . المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر- بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٦٥ . المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، لعبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ.

٢٦٦ . المحكم والمحيط الأعظم، لابن سِيدَه (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٦٧ . المحلَّى، لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية- مصر، ١٣٥١هـ.

٢٦٨ . محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، لإبراهيم خليل أحمد، دار المنار، ١٩٨٩م.

٢٦٩ . مختصر قيام الليل، للمرزوي (ت: ٢٩٤هـ)، اختصار أحمد بن علي المقريزي، نشر حديث أكادمي، فيصل أباد- باكستان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٧٠ . مختلف القبائل ومؤتلفها، لمحمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة.

٢٧١ . المخصَّص، لابن سِيدَه (ت: ٤٥٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م.

٢٧٢ . المخلِّصيّات، لأبي طاهر المخلص (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق نبيل جرار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٧٣ . المراسيل، لأبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٧٤ . مروج الذهب ومعادن الجوهر، لعلى بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، تحقيق أسعد داغر، دار الهجرة - قم، ١٤٠٩هـ.

٢٧٥ . المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٦م.

٢٧٦ . المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق عادل مرشد، أحمد برهوم، محمد كامل، سعيد اللحام، دار الرسالة العالمية- بيروت، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٢٧٧ . مسند أبي بكر الصديق، لأبي بكر أحمد بن علي المروزي (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٣٩٣هـ.

٢٧٨ . مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي الموصلي (ت: ٣٠٧)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ١٩٨٩م.

٢٧٩ . مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأصحابه، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٣-٢٠٠١م.

٢٨٠ . مسند البزار (البحر الزخار)، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ١٩٨٨ - ٢٠٠٩م.

٢٨١ . مسند الدارمي (سنن الدارمي) (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني - السعودية، ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠ م.

٢٨٢ . مسند الشاميين، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٤م.

٢٨٣ . مسند الشهاب، لأبي عبد الله القضاعي (ت: ٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٦م.

٢٨٤. مسند سعد بن أبي وقاص، لأبي عبد الله الدورقي (ت: ٢٤٦هـ)، تحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٨٥. مسند عمر بن الخطاب، لأبي بكر أحمد بن سلمان النجاد (ت: ٣٤٨هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ١٩٩٤م.

٢٨٦. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة بتونس.

٢٨٧. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، لابن حبان البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء - المنصورة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٨٨. مشيخة ابن البخاري، جمال الدين ابن الظاهري الحنفي (ت: ٦٩٦هـ)، تحقيق عوض عتقي الحازمي، دار عالم الفؤاد، ١٤١٩هـ.

٢٨٩. مشيخة ابن طهمان، إبراهيم بن طهمان الخراساني (ت: ١٦٨هـ)، تحقيق محمد طاهر مالك، مجمع اللغة العربية- دمشق، ١٩٨٣م.

٢٩٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، اعتنى به عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م.

٢٩١. المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، الدار السلفية- الهند، وطبعة محمد عوامة، دار القبلة، ٢٠٠٦م.

٢٩٢. المصنف، لعبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٣م.

٢٩٣. المطالب العالية بزوائد المسانيد العثمانية، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار العاصمة- الرياض، ١٩٩٨ - ٢٠٠٠م.

٢٩٤. المعارف، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٩٥. معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية- حلب، ١٩٣٢م.

٢٩٦. معالم مكة التاريخية والأثرية، لعاتق بن غيث البلادي (ت: ١٤٣١هـ)، دار مكة - مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٩٧. المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق سالم الكرنكوي وعبد الرحمن المعلّمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن، ١٩٤٩م.

٢٩٨. المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين- القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٩٩. معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر- بيروت، ١٤٠٤هـ.

٣٠٠. معجم الشعراء، لأبي عبيد الله المرزباني (ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق سالم الكرنكوي، مكتبة القدسي- القاهرة، ١٣٥٤هـ.

٣٠١. معجم الصحابة، لأبي القاسم البغوي (ت: ٣١٧هـ) تحقيق محمد الأمين الجكني، مكتبة البيان- الكويت، ٢٠٠٠م.

٣٠٢. معجم الصحابة، لعبد الباقي بن قانع البغدادي (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق صالح سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية- المدنية المنورة، ١٤١٨هـ.

٣٠٣. المعجم الصغير، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد شكور المياديني، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٥م.

٣٠٤. المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٤م. والمجلدات ١٣، ١٤، ٢١ بعناية فريق من الباحثين- السعودية.

٣٠٥. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي (ت: ١٤٣١هـ)، دار مكة - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٠٦. معجم ديوان الأدب، لإسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت: ٣٥٠هـ)، تحقيق أحمد مختار عمر، دار السعد- القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣٠٧. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري (ت: ٤٨٧هـ)، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٠٨. معجم معالم الحجاز، لعاتق بن غيث البلادي (ت: ١٤٣١هـ)، دار مكة - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٠٩. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣١٠. المعجم، لابن المقرئ (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق عادل سعد، مكتبة الرشد- الرياض، ١٩٩٨م.

٣١١. المعجم، لأبي سعيد ابن الأعرابي (ت: ٣٤١هـ)، تحقيق عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار ابن الجوزي- الدمام، ١٩٩٧م.

٣١٢. المعجم، لأبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية- باكستان، ١٤٠٧هـ.

٣١٣. المعرَّب، لأبي منصور الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب بمصر، ١٩٦٩م.

٣١٤. معرفة السنن والآثار، للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء- القاهرة، ١٤١١هـ.

٣١٥. معرفة الصحابة، لأبي عبد الله بن منده (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق عامر حسن صبري، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥م.

٣١٦. معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن- الرياض، ١٩٩٨م.

٣١٧. معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق معظم حسين، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٧٧م.

٣١٨. المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت: ٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨١م.

٣١٩. المعمَّرين من العرب، لأبي حاتم السجستاني (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق محمد أمين الخانجي، ١٩٠٥م.

٣٢٠. المغازي، للواقدي (٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٢١. المُغرِب في ترتيب المُعرِب، لبرهان الدين المطرّزي (ت: ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت.

٣٢٢. المغني، لابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، تحقيق عبد الفتاح الحلو، عالم الكتب- الرياض، ١٩٩٧م.

٣٢٣. المفضليات، للمفضل بن محمد الضبي (ت: نحو ١٦٨هـ)، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٤م.

٣٢٤. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٨٥م.

٣٢٥. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى، لبدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، تحقيق علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام - القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٣٢٦. المقتضب، لأبي العباس المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث- القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٢٧. مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن- القاهرة.

٣٢٨. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لابن المغازلي (ت: ٤٨٣هـ)، تحقيق تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار - صنعاء، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢٩. المنتخب من ذيل المذيل، لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

٣٣٠. المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، للزبير بن بكار (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق سكينة الشهابي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٣١. المنتخب من مسند عبد بن حميد (ت: ٢٤٩هـ)، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود خليل، مكتبة السنة - القاهرة، ١٩٨٨م.

٣٣٢. المنتقى شرح الموطّا، لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة - القاهرة، ١٣٣٢هـ.

٣٣٣. المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، لابن الجارود (ت: ٣٠٧هـ)، مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت، ١٩٨٨م.

٣٣٤. المنمَّق في أخبار قريش، لمحمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق خورشيد فاروق، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٣٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٢هـ.

٣٣٦. موافقة الخُبْر الخَبَر في تخريج أحاديث المختصر، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٣٧. المواهب اللدُنِّيّة بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية - القاهرة.

٣٣٨. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، للحسن بن بشر الآمدي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق ف. كرنكو، دار الجيل - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٣٩. المؤتلف والمختلف، للدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق موفق عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٦م.

٣٤٠. الموضوعات، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق نور الدين شكري، أضواء السلف- الرياض، ١٩٩٧م.

٣٤١. الموطأ للإمام مالك، برواية يحيى الليثي (ت: ٢٣٤هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤٢. الموفَّقيّات، للزبير بن بكار (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق سامي مكي العاني، عالم الكتب - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٤٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي- القاهرة، ١٩٥١م.

٣٤٤. ناسخ الحديث ومنسوخه، لابن شاهين (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق سمير الزهيري، مكتبة المنار- الزرقاء، ١٩٨٨م.

٣٤٥. الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح- الكويت، ١٤٠٨هـ.

٣٤٦. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير- دمشق، ٢٠٠٨م.

٣٤٧. نسب قريش، لمصعب الزبيري (ت: ٢٣٦هـ)، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف- القاهرة، ط ٢، ١٩٧٦م.

٣٤٨. نسب مَعَد واليمن الكبير، لمحمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٤٩. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية- القاهرة.

٣٥٠. نصب الراية لأحاديث الهداية، لجمال الدين الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، مؤسسة الريان- بيروت، ١٩٩٧م.

٣٥١. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٣٥٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣٥٣. الهواتف (هواتف الجنّان)، لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق محمد الزغلي، المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٥٤. الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٥٥. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، للسَّمهودي نور الدِّين علي بن أحمد (ت:٩١١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٥٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ١٩٧١م.

٣٥٧. الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لابن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧١م.